فهرس المجلد الثاني من المقتبس

(ا)

لصديقي الحبيب المولى جورج بك ناضوري

١٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٤ و٢٨ تموز سنة ١٩٢٦ محمد كرد علي

al-Muqtabas.

المقتبس

الجزء الاول من المجلد الثاني

محرم سنة ١٣٢٥ الموافق فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أقبستنا من قَبَس العلم بنور العقل السليم . فكان أفضل ما صدر عن كرمك الجزيل وفضلك العميم . ونستهديك لساناً لا يحلو له الا النطق بما يعتقد صحته بعيداً عن التزلف والتقية . وبياناً مؤيداً بأيدك ليجد سبيل القبول من قلوب البرية . اللهم وفقنا الى معالجة سم الجهل الناقع . بترياق التعليم النافع والادب الرافع . وحبب الينا التواصي بالحق والانصاف . وجنبنا مضالّ الاعتساف ومزالّ الخلاف . وأشرب أفئدتنا حب الاقرار بحسنات العدو قبل الصديق . واصرفنا عن مزالق التدليس ومغامز التلفيق . وافتح مُغلق عقولنا برحمتك لنهتدي بما اهتدى به البشر الناهض بفضل البحث والتنقيب من نور علومه . واشدد عزائمنا لقرن العلم بالعمل فتمتزج روحه باجزاء نفوسنا وننتفع بحديثه وقديمه . ربِّ نسألك ان تطبع هذه ألامة بطابع التسامح المقبول . وتبغض اليها التعصب المنبوذ المرذول . لتقبل الحكمة من أي وعاء خرجت . ومن أي جو تنفست . وعن أي لسان انبعثت . ولا تكلنا الى انفسنا لئلا نضل ونشقى .

وبعد فقد قضى المقتبس عامه الاول وهو اليوم في فاتحة عامه الثاني يدبّ ويدرج. حرَص — ولا يزال يحرص — على الانتفاع بنصح العقلاء. ونقد الجهابذة الفضلاء. وإرشاد المنزهين عن الاهواء. بما يؤهله الى السير على سنة النمو والارتقاء. ولكل عمل عمره الطبيعي لا مندوحة من قضائه. والنتائج أبداً بالمقدمات مقرونة. واذا جاز الفخر فيحق لهذه الصحيفة ان تفاخر بأنها قامت بمؤازرة العالمين والمفكرين. لا بمعونة الكبراء والموسرين. ولذلك فُرض عليها ان تشكر أيادي المتوفرين على إمدادها من معَين دروسهم وأبحاثهم أضعاف أضعاف ما تشكر لغيرهم.

وستظل ابحاثها على ما كانت عليه مع إشباع الكلام اكثر من ذي قبل في معظم ما تخوض عبابه من الموضوعات وتنشر في كل جزء رواية او قصة او افكوهة تروّح عن النفس بعد تلاوة العلميات والادبيات وذلك عملاً بما اقتضاه منا جمهور من القراء. فنلتزم كل مرة فتح باب « نفاضة الجراب » وكنا نود ان لا نعود اليه مؤتمرين بأمر بعض الاكابر لولا أن ثبت لنا بالاختبار ان الجدّ البحت لا يروج بين ابناء الغرب وهم في تهذيبهم واستنارتهم ما هم فما بالك في هذا الشرق وهو ما هو.

ومما وضعته هذه المجلة موضع العمل بعد الآن ان لا تعطي من عندها القاباً علمية وان تقتصر على الالقاب الرسمية فتورد اسم المعاصر كما تذكر العالم الغابر وتدعو الشرقيّ باسمه كما تدعو الغربيّ وفي ذلك تخفيف على القراء واقتداء بالقدماء من اسلافنا الاقدمين وحملة لواء العلم والحضارة من الغربيين المحدثين والله وليّ الهداية

صدور المشارقة والمغاربة

قطب الدين الشيرازي [١]

هو القاضي قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي كان اماماً مبرزاً في عدة علوم مثل العلم الرياضي والمنطق وفنون الحكمة والطب والأصول وله عدة مصنفات وفضائله مشهورة . كان مولده بمدينة شيراز في صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفي بتبريز سنة عشر وسبعمائة فتكون مدة عمره ستاً وسبعين سنة وسبعة أشهر ملخصاً عن تاريخ ابي الفدا وقال ابن الوردي انهُ توفي وهو في عشر الثمانين وكان غزير العلم واسع الصدر حسن الاخلاق وجيهاً عند التتر وغيرهم ثم قال في رثائهِ

لقد عدم الاسلام حبراً مبرزاً ۞ كريم السجايا فيهِ مع بعده قرب
عجبت وقد دارت رحا العلم بعده ۞ وهل للرحا دور وقد عدم القطب

وقال الشيخ طاهر الجزائري في كُنَّاشهِ [٢] وقفت على كتاب في تراجم أناس من المشهورين جمع الامام العلامة نجم الدين أبي الخير سعيد بن عبد الله الدهلي البغدادي وفيهِ ترجمة القطب الشيرازي وهي ناقصة في النسخة فاثبتها على ما وجدتها اعتناء بهذا العلامة الأوحد : ومنها كتاب أقليدس [٣] وهو باللغة الفارسية أيضاً صنفهُ باسم البرواناه وزير الروم

---

(١) ملخصة عن رسالة استنسخها شكري افندى العسلي من رسالة كتبت بخط سليم افندي البخاري من علماء دمشق (٢) الكناشة أوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد

(٣) من كتب المترجم به ما ذكره الشيخ طاهر الجزائري في كناشه ايضاً مشكلات التفاسير توجد نسخة منه في مكتبة يكي جامع بالاستانة والانتصاف شرح الكشاف في مكتبة راغب باشا وتفسير القطب في مكتبة أسعد افندي وشرح مختصر ابن حاجب في مكتبة الكوبرلي وشرح حكمة الاشراق في مكتبة اللاله لي وشرح النجاة في مكتبة الراغب والتحفة الشاهانية في الفلك ونهاية الادراك في علم الافلاك في مكتبة يكي جامع وفي المكتبة الخديوية شرح للقوشجي على التحفة الشاهانية وشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم في المعاني والبيان وله كتاب في الهيئة ويقال ان من مؤلفاته حل مشكلات المجسطي وله كتاب حكمة الاشراق طبع بالهند ومن مؤلفاته « فتح المنان تفسير القرآن » في نحو ثلاثين مجلداً يوجد في مكاتب الاستانة وله كتاب تاج العلوم محفوظ في خزائن كتب الاستانة وغيرها من المصنفات التي ذكر اكثرها صاحب كشف الظنون

ومن جليل مصنفاتهِ شرح كليات القانون في الطب لابن سينا وهذا الشرح لم تسمح قريحة بمثله لأنهُ يشتمل على خلاصة الشروح المصنفة لهذا الكتاب وهي عشرة شروح اجتمعت عنده مع تنقيحات لطيفة وزيادات غريبة من نتائج خاطره الغزيرة من كتب عزيزة الوجود قد لا يوجد مثلها الا في خزائن الملوك وسماه التحفة السعدية يعني باسم الوزير سعدالدين محمد الساوجي وزير الملك غازان و بعده أخيه (كذا) خر بنده واتفق ان هذا الكتاب تم شرحهُ وسيره الى الوزير المذكور وفي اثناء هذه الحال توفي الشيخ قطب الدين ووقع الترسيم والتوكيل على الوزير المذكور وطولب بالاموال وذلك في أذربيجان سنة عشر وسبعمائة وقصد خربنده العراق والوزير صحبته لتحصيل المطلوب منهُ الى ان قتله ليلة السبت حادي عشر شوال سنة احدى عشرة بمحول قريب بغداد ومع ما كان فيهِ هذا الوزير من المضايقة رسم لقطب الدين جائزة هذا الشرح مبلغ ستة آلاف دينار رائج عنها من الدراهم ستة وثلاثون الف درهم وراجعوا الوزير سعد الدين في ذلك وعرفوه بوفاة الشيخ قطب الدين فقال الوزير انا لا أعود في هبتي وخصوصاً لمثله وفي مثل كتابهِ فأحضر جميع المال المذكور وجمع له أرباب الديون فقضى عنهُ ما كان عليهِ من الديون القديمة والحديثة التي كانت قد اجتمعت عليه مدة المرض وكان قد بقي مريضاً احد وخمسين يوماً وكان معظم نفقتهِ في هذه العلة الصدقة على الفقرآء وعلى طلبة العلم و بقيت من المال بقية وزعت على أولاده وخاصته وكان هذا الوزير قد أنعم بهذه الجائزة وهو يومئذ تحت التوكيل وهو مطالب بألف كومار من المال منها عشرة آلاف دينار روائج فانظر الى علو همة هذا الرجل وسعة نفسه وصدق اعتقاده . . .

وكان له مع المشايخ الصالحين والصوفية المحققين اتصال حقيقي ونفس روحاني يرتاح اليهم في أوقات خلواتهِ وصفاء مشروباتهِ قال : وقد لازمت ذراه المحروس ثماني عشرة سنة فشاهدت معظم سيرته تشتمل على الاخلاق الشريفة والفضائل الكاملة مع السخاء المفرط . كان لا يبقي على شيء مما يحصل بيده لا في سفرٍ ولا في حضر وكان أكثر

عطائهِ للفقرآء وطلبة العلم وذوي البيوت القديمة وذوي الحاجات قال ولقد حضر عنده في بعض الأيام مائتا دينار فبلغهُ ان صفيّ الدين عبد المؤمن بن فاخر صاحب الموسيقاه قد قدم من بغداد لضرورة ديون عليهِ قد غلبتهُ فقال هذا من بيت له خدمة قديمة للخليفة العباسي فبعث اليهِ بالمبلغ المذكور واعتذر اليهِ انهُ لم يكن عنده في هذا الوقت غير هذا المقدار . قال : وكان يقول في مرض موتهِ ليست فائدة المهلة في حياتي الا لاعطي الفقرآء شيئاً فكان مصماً على العطاء والاحسان وفعل الخير الى ان صار الى أحسن مصير. قال وكان في أسفاره يصحبهُ من التلاميذ جماعات وخصوصاً في أيام توجههِ الى خراسان والروم فلقد اجتمع معهُ في سفره الى الروم نحو الاربعين طالباً وغالبهم أرباب فضائل وعلوم راسخة وكان يخدمهم بالمال والنفس والعلم وكانوا مع هذا ينتقصونهُ وما يفعله معهم من الخدمة والخير ويقولون هذا الرجل متطفل علينا لأن الناس انما يخدمونهُ ويعطونهُ الأموال لأجلنا ونحن الذين نشيد كلمتهُ ونظهر فضيلتهُ ونجمله بين الناس . قال وكان يبلغهُ هذا وامثاله عنهم فلا يغضب ولا يلتفت الى قول القائل اليهِ ذلك ويقول: انا أريض اخلاقي بالصفح عن زلات اخواني اليّ

وقال الاربلي: واخبرني الشيخ ضياء الدين الطوسي قال : اجتمعت بقطب الدين الشيرازي بقزوين وهو يقرأ الفقه على الشيخ علاء الدين الطاووسي صاحب التعليقة قال فسألته عن بعض احواله فحكى لي اشتغاله بالطلب وانه ترك معالجة الناس وخرج من شيراز وقصد بلاد خراسان وانه توفر مدة سنين على تحصيل علم المعقولات من علم الكلام قال وقال لي ما وجدت نفسي في عمري متوفراً على طلب العلم لم اشتعل بسوى (كذا) هاتين السنتين هما كانتا خير تحصيل حصلت فيهما من العلوم النظرية ما احياني لكني غير عالم بالفقه فقصدت الشيخ علاء الدين الطاووسي لاقرأ عليه الفقه فقرأت عليه الحاوي الصغير وكتاب الوجيز وكانت للشيخ علاء الدين نسخة من الوجيز محشاة بالفوائد اللطيفة من الفقه فسرقها وهرب من قزوين قال: وهكذا كانت عادته اذا اعجبه

كتاب يتحيل حتى يسرقه وكان مشتهراً بين طلبة العلم في مبادئ احواله بهذا الوصف قال وطلب علاء الدين نسخته فلم يجدها فقالوا لم يكن عندك غير محمود الشيرازي فقال ليس هو آخذها وقال لي مهذب الدين الشيرازي احد تلاميذ قطب الدين ان قطب الدين كان يلقي الدروس من هذه النسخة بمدينة سيواس ويقول هذه النسخة سرقتها من شيخي علاء الدين الطاووسي بقزوين في مبدأ تحصيل العلم وكنت عاجزاً عن مشترى الكتب

ولما عمر ملك خوارزم نَّلك مارستاناً انفذ الشيخ قطب الدين اليه برسم هذا المارستان كتباً طبية قيمتها بالتقريب اربعة آلاف درهم فاجازه بجائزة تشتمل على رقيق قماش ونقد قيمة الجميع ستة وثلاثون الف درهم . وصنف كتاباً باسم الملك عز الدين ملك شيراز في علم الاخلاق والحكمة فاجازه ببغلة سنية وآلاتها ومعها ثلثمائة مثقال ذهباً وتخت قماش ذكر هذا وما قبله الاربلي قال: وكنت بماردين فسير لصاحبها الملك المظفر هدية تشتمل على مملوك صغير تركي وآخر رومي وتخت قماش منوع من الحرير وسجادة وكتاب صغير من تصانيفه فرد الملك المظفر الجميع وقبل السجادة والكتاب واجازه عليهما باثني عشر الف درهم وقال: هذا القدر هو الذي ينبغي ان يقبل من العلماء اما كتاب من فوائدهم واما خرقة من بركاتهم . ولم يحمل (؟) الا في دولة غازان فانهُ كان بينه وبين رشيد الدولة كراهية في النفوس بين الشخصين لأن قطب الدين كان يتنقص كثيراً برشيد الدولة وبتصانيفه ويستجهله ويحط عليه

وقد صنف تصانيف في تفسير الكتاب العزيز وفي غيره وكان قطب الدين يظهر نقصها ويكشف عن عورتها قلت :ولقد حدثني بعض شيوخنا عن قطب الدين انه لما بلغه ان الرشيد قد شرح القرآن العظيم قال لاصحابه ايه هاتوا التوراة حتى اشرحها قال الاربلي وتمكن رشيد الدولة من دولة غازان فاشاع انه يريد ان يقتل قطب الدين ثم ظهر انه قتله بقطع رزقه الذي كان مقرراً على الدولة ومبلغهُ ثلاثون الف درهم فقال

لغازان هذا رجل فقيه « ايش » يعمل بهذا المال كله هذا تضييع هذا يكفيه اثنا عشر الف درهم وكان غازان بخيلا فاصغى الى قول رشيد الدولة وقطع سائر ما كان لقطب الدين من المبلغ المذكور و بعد مدة طويلة سعى فيه حتى اطلق له في كل سنة اثناعشر الف درهم قال : وكان قطب الدين قد بيت مع رشيد الدولة وعجز عن تلافي ما افسد وعجز عن رضاه قال لكن كان قطب الدين سعيداً في عقله وعمره وتصانيفه واصحابه فما اثر ذلك عنده شيئاً لكنه كان خائفاً لأن يسعى رشيد الدولة في قتله فآمنه الله تعالى منه قال الاربلي واخبرني التاجر الشفار قال ولما تطاولت علة الشيخ قطب الدين الشيرازي واحس بالموت طلب اليه الصدر زين الدين علي بن فخر الدين بن عبد السلام الطيبي وقال له ياخواجه زين الدين اريد من انعامك ان تتولى امر تجهيزي ودفني فاني مارأيت ان اضع هذه المكرمة الا عندك لاني شاهدت رغبتك في فعل الخيرات والمبرات فاجاب زين الدين بالسمع والطاعة قال ولما توفي قطب الدين انفق زين الدين على جنازته وتجهيزه ودفنه وايام العزاء سبعة آلاف درهم ومائتي درهم ومن ذلك انه اشترى سبعة آلاف ذراع قماش قطن ابيض وفصلها قمصاناً وعمائم للأيتام والارامل والبسها سبعمائة انسان من الفقراء والتلاميذ اللائذين بقطب الدين وطائفة من الايتام والارامل فكانوا بين يدي الجنازة يبكون ويندبون وجلس مدة ايام العزاء للناس والتزم اطعامهم ومهامّهم وما هو من كلف العزاء لمثل هذا الميت . قال الصدر شمس الدين : وما رأيت احداً من الرؤساء اطول من نفس قطب الدين الشيرازي في الشفاعات لذوي الحاجات وذوي السلطان كان اذا جلس الى امير او وزير او قاض يخرج اوراقاً من جيبه نحو عشرين أو ثلاثين قطعة ويشفع في الجميع وكان غالبها يقضى وما يرد الا القليل وكان كثيراً ما يشاهد من الأمرآء والأكابر مللاً من كثرة شفاعاته فلا يلتفت الى ذلك الملل ولا يترك تردده اليهم ويقول ولأي شيء خُلقوا وخُلقنا وما نفعنا بالجاه اذا لم تقض حاجات الناس اذا تركنا هؤلاء وسجاياهم لا يقضون حاجة المسكين أو عاجز

محروم فنحن نسوقهم الى فعل الخير قهراً وتحيلاً عليهم حتى يؤجروا ونؤجر نحن معهم ونقضي حوائج الناس الملهوفين العاجزين كان هذا دأبهُ يفعل غالب أوقاتهِ الخير بجاههِ وماله وعلمهِ رحمهُ الله

تسامح العظماء

يظن من لا عهد له بدرس مشاهير رجال الاسلام انهم كانوا جبابرة لا يحسنون غير البطش والكر والفرّ على ان الباحث في سِيرَهم يراهم من أشد الأمم حرصاً على على مافيهِ قوام عمرانهم ولم يكن في قلوبهم غالباً شيء مما يقال له تعصب أو تحزب بل ساسوا رعاياهم سياسة العدل لم يحابوا ولم يداجوا فقدروا الكفاءآت قدرها ولم يعتبروا في مصالحهم الا أهل الغَناء والعلم . وربما لا يصدق الاغمار في هذه الاعصار لو قلنا لهم(١) ان معاوية بن أبي سفيان اصطفى لنفسهِ ابن أثال النصراني من أطباء دمشق وأحسن اليهِ وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيهِ . وصحب تياذوق الطبيب الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطب وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان له منهُ الجامكية الوافرة والافتقاد الكثير

وخدم جورجس بن جبرائيل الخليفة المنصور وكان عظيماً عنده رفيع المنزلة ونال من جهتهِ أموالاً جزيلة والمنصور هو الذي يقال له الدوانيقي لبخله. وخدم بختيشوع بن جورجس هرون الرشيد وتميز في أيامهِ وكان رئيس الاطباء كلهم في بغداد . وكان جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس حظياً عند الخلفاء رفيع المنزلة عندهم كثيري الاحسان اليهِ وحصل من جهتهم من الاموال مالم يحصله غيره من الاطباء وكان مكيناً عند جعفر بن يحيى بن

(١) اتخذت طبقات الاطباء مرجعاً في كتابة هذه الرسالة والغالب اني أنقل المقصود من عبارة المؤلف بالحرف الواحد

خالد بن برمك أحبهُ مثل نفسهِ وكان لا يصبر عنهُ ساعة ومعه يأكل ويشرب أعطاه الرشيد مرة من أجل مداواة احدى حظاياه خمسمائة الف درهم وأحبه مثل نفسهِ وجعله رئيساً على جميع الاطباء . وأمر له المأمون مرةً بألف الف درهم وبألف كر حنطة وردّ عليهِ سائر ما كان قبض منه من الاملاك والضياع وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل واكرمهُ زيادة على ما كان أبوه يكرمه وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لا يخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه وكان عند المأمون مثل أبيهِ

ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيهِ عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليهِ في أيام خدمتهِ الرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة يذكر ان رزقهُ كان من رسم العامة في كل شهر من الورِق عشرة آلاف درهم يكون في السنة مائة وعشرون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الفا الف وستمائة وستون الفاً ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم يكون في السنة ستون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة وثمانون الف درهم ومن رسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم ومن الثياب خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة الملحم الطرازي عشرون شقة الخز الصوري عشر شقاق الخز المبسوط عشر شقاق الوشي اليماني ثلاثة أثواب الوشي النصيبي ثلاثة أثواب الطيالسة ثلاثة طيالس ومن السمور والفنك والقاقم والدلق والسنجاب للقبطين . وكان يدفع اليهِ في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وفي يوم الشعانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة

مائتا ألف وثلاثون ألفاً وفي يوم الفطر في كل سنة من الورِق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم على الحكاية يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة مائتا ألف وثلاثون ألف درهم

ولفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم من الورق مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ولشرب الدواء دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ومن أصحاب الرشيد على ما فصل منهُ مع ما فيهِ من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب وهو مائة ألف درهم من الورق اربعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم . تفصيل ذلك عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم زبيدة أم جعفر خمسون ألف درهم العباسة خمسون ألف درهم ابراهيم بن عثمان ثلاثون ألف درهم الفضل بن الربيع خمسون ألف درهم فاطمة أم محمد سبعون ألف درهم . كسوة وطيب ودواب مائة ألف درهم ومن غلة ضياعه بجندي سابور والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمتهُ بعد المقاطعة ورقاً ثماني مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر ألف ألف واربعمائة ألف درهم ومن فضل مقاطعته في كل سنة من الورق سبعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ستة عشر ألف ألف ومائة ألف درهم وكان يصير اليهِ من البرامكة في كل سنة من الورق ألفا ألف واربعمائة ألف درهم . تفصيل ذلك : يحيى بن خالد ستمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث عشرة سنة أحد وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف درهم يكون جميع ذلك مدة أيام خدمتهُ للرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة وخدمتهُ للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم منها خمسة وثمانون ألف ألف درهم ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف درهم

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين تسعمائة ألف دينار ومن الورق تسعون ألف ألف وستمائة ألف درهم . تفصيل ذلك ما صرفهُ في نفقاتهِ وكانت في السنة ألفي ألف ومائتي ألف درهم على التقريب وجملتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ثمن دور و بساتين ومتنزهات ورقيق ودواب والجمازات سبعون ألف ألف درهم ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا المجرى ثمانية آلاف ألف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر ألف ألف درهم . ثمن جواهر وما أعده للذخائر عن قيمة خمسمائة ألف دينار خمسون ألف ألف درهم. ماصرفهُ في البر والصلات والمعروف والصدقات وما بذل بهِ خطه في الكفالات لاصحاب المصادرات في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . ما كابره عليهِ أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاتهِ الى المأمون لابنهِ بختيشوع وجعل المأمون الوصيّ فيها فسلمها اليهِ ولم يعترض في شيء منها عليهِ بتسعمائة الف دينار . ولا عجب فيما قاله فثيون الترجمان ان جنس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله بهِ من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقرآء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح

و بلغ بختيشوع بن جبرائيل من عظم المنزلة والحال وكثرة المال مالم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرس و بلغ من كمال المروءة ومباراة الخلافة في الزيّ واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ فى النفقات مبلغاً يفوق الوصف وكان أيضاً لطيف المحل من المهتدي بالله وشكا اليهِ ما أخذ منه في أيام المتوكل لنكبة وقعت عليهِ من هذا لفرط إدلاله عليهِ فأمر ان يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف بهِ فليرد اليهِ بغير استئمار ولا

مراجعة فلم يبق له شيء الا أخذه واطلق له سائر مافاته وحاطهُ كل الحياطة

وكان عبيد الله بن بختيشوع متصرفاً ولما ولي المقتدر الخلافة استكتبهُ لحضرتهُ ويقي معهُ مُديدة وصار ابنهُ جبرائيل من خاصة عضد الدولة بن بويه وكان يكرمه كثيراً ويغدق عليه المشاهرات ووصله الصاحب بن عباد بما قيمتهُ الف دينار وكان دائماً يقول صنفت مائتي ورقة أخذت عنها الف دينار يعني بذلك الكناش الذي وضعهُ بأمر الصاحب في الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم

وكان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانيا اكرمهُ المهدي مرة ولم يزل يطرح عليهِ الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسهُ وكناه أبا قريش أي أبا العرب . وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية . وكان عبدالله الطيفوري من أحظى خلق الله عند الهادي وزكريا بن الطيفوري كان من جماعة القائد أفشين كان منهُ ان امتحن الصيادلة في معسكره كما امتحن يوسف لقوة الكيمائي زمن المأمون صيادلة بغداد . وكان اسرائيل ابن زكريا الطيفوري جليل القدر عند الخلفاء والملوك كثيري الاحترام له وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والانعام الوافر . وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليهِ ولهُ عند المتوكل المنزلة المكينة وجدَ مرة على المتوكل لما احتجم بغير اذنهِ فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبهُ مثل موكب الأمرآء واجلاَّء القواد . وكان يزيد بن زيد بن يوحنا متطبب المأمون وخدم ابراهيم بن المهدي ولهُ منه الاحسان الكثير والانعام الغزير والعناية البالغة والجامكية الوافرة . وتقدم سابور بن سهل عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء وكان عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها وكان موسى بن اسرائيل الكوفي متطبب ابراهيم بن المهدي . وكان سلمويه بن بنان متطبب المعتصم اختاره لنفسه لما استخلف واكرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف وكان يرد الى الدواوين توقيعات

المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج امر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سلمويه وولى اخا سلمويه ابراهيم ابن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد وخاتمه مع خاتم أمير المؤمنين ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة وكان المعتصم يسميه أبي فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده فلما مات امتنع المعتصم من اكل الطعام يوم موته وأمر بان تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته وحزن عليه حزناً شديداً . وعالج ابراهيم بن أيوب الابرش اسمعيل اخا المعتز وبرئ فاجازته أمه والمتوكل بست عشرة بدرة [1] وكان أخص المتطببين عند المعتز لما أفضت الخلافة اليه . وكان جبرائيل كخال المأمون يدخل اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة فيغسل أجفانه ويكحل عينيه فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك وكان يجري عليه الف درهم في كل شهر

واجرى الرشيد على ماسويه ابو يوحنا الفي درهم في الشهر ومعونة في السنة عشرين الف درهم وعلوفة ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وكان لهذا في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة الف درهم وصلات دائمة واقطاعات

وخدم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان له منهم الانعام الكثير والمنزلة السامية وله عليهم دالة الاقران على اقرانهم لا الخدام على مخدوميهم . وكان ميخائيل بن ماسويه متطبب المأمون وكان به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية اكثر مما يدعوه بالاسم وكان لا يشرب الادوية الا مما تولى تركيبه واصلاحه له . وبلغ حنين بن اسحق عند المأمون منزلة عالية لانه كان رئيس جماعة التراجمة لعهده وكانت له الاقطاعات الحسنة والجواري الجيد والاحسانات الفائضة وزادت مكانته كثيراً بعد خروجه من

---

(١) البدرة كيس فيه الف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

المحنة التي ألحقها به أعداؤه وامر المتوكل الاطباء الذين طلبوا قتل حنين وسعوا فيه لديه ان يحمل اليه كل منهم عشرة آلاف درهم وأمر ان يضاف اليها مثلها من خزانته فكانت زهاء مائتي الف درهم . قال حنين في كلامه على ذلك ثم ان الخليفة امر باصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها وحمل اليها سائر ما كنت اليه محتاجاً من الاواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك بعد ان شهد لي بالدور وتوثق بشهادات العدول لانها كانت خطيرة في قيمتها لانها تقوّم بالوف دنانير فلمحبته لي وميله اليّ ان تكون لي ولعقبي ولا تكون عليّ حجة لمعترض فلما فرغ مما أمر به من الحمل الى الدور وجميع ما ذكر وتعليقها بانواع الستور ولم يبق غير المضي اليها امر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي وحملني على خمسة أروؤس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم وامر لي كل شهر بخمسة عشر الف درهم وأطلق لي الفائت من رزقي في وقت محبسي فكان شيئاً كثيراً وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس آخذها من داخل الدار وصرت المقدم على سائر الاطباء

وخدم يوحنا بن بختيشوع بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه كثيراً و يسميه مفرج كربي . وحظي بختيشوع بن يوحنا من الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله وكان له منهُ الانعام الكثير والاقطاعات من الضياع وخدم بعد ذلك الراضي بالله فاكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام أبيه المقتدر

الباقي للآتي

النعام في الحضارة المصرية

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

النعامة أعظم الطيور واضخمها يبلغ علوها نحو مترين ووزنها أربعين كيلواغراماً احياناً . سمعها دقيق ونظرها حاد وحاسة الذوق والشم فيها غليظة بحيث لا تتخير غذاءها وقلما تميز بين جيده ورديئه . فهي وان تكن من الحيوانات آكلة العشب تخضم أغذية نباتية وتحتك بكل ما يقع نظرها عليهِ من حديد وقرمد وخشب وتصدمه حتى يكاد يتناثر . ساقاها مستويتان مستطيلتان متينتان حتى انها لتقطع نحو ٢٨٠ كيلومتراً في أقل من عشر ساعات فتبذُّ بذلك الصافنات الجياد في حلبة الطراد . وريش جسم ذكر النعام اسود فاحم وريش الاجنحة والذنب أبيض وعنقها أجرد لا ريش له وهو أحمر كساقيها وعينها زرقاء ومنقارها أصفر ورجلاها اسنجابيتان وهي كالجمل تنزل المناطق الحارة المنعزلة عن الناس

عرف القدماء النعام وورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة وسماها اليهود « ابنة الصياح » وكثيراً ما تزعق في المطارح النائية الواسعة في ظلمات الليل وتنخر نخيراً ممزوجاً بعويل محزن يرمض القلوب ويجلب الكروب . وهي من البلاهة بحيث لا يضاهيها حيوان حرمها الخالق تعالى من الحكمة ولم يجعل لها حظاً من الذكاء كما ورد في التوراة . ويذكر بلين ان الصيادين يضطرونها الى ان تقبع رأسها وتخفيه ظناً منها بأن لا يراها أحد ومتى طاردها المطاردون تستخدم رجليها بمثابة مقلاع وترمي بهما أحجاراً بغلظ الكف

هذا الطائر مشهور منذ القرون العريقة في القدم ويبيض في الرمل ولا تحضن اناثه بيضها الا من الليل لان حرّ النهار يتقفها . وانك لتراها أرسالاً وعصائب على مقربة من الواحات في رمال افريقية و بلاد العرب وتُرى في الصحراء من جبال الاطلس الى ضفاف النيل وفي رمال صحراء ليبية ومصر الوسطى وفي القفر الواقع في الجنوب

الغربي من الاسكندرية

رأينا النعامة مرسومة في مصانع الفراعنة والحبشان آخذين بزمامها وقد لزّت في قَرَن مع الاسود والفهود وغيرها من حيوانات تلك الارجاء . ويروى عنها في اساطير الاولين روايات من مثل اختيارها دون سائر الحيوانات لانقاذ اله الخمر لما ذهب هذا الى الهند على رأس جيشه الجرار مجتازاً صحاري ليبية حتى اذا اشتد به الظمأ استغاث بالمشتري فدله على نعامة فتبعها حتى قادته الى مكان حفرت فيه الارض بمنقارها فنبضت منها عين

ولطالما كان الصيادون يطاردون النعام مطاردة شديدة وكثيراً ما كانوا يلبسون جلودها ويقلدونها في حركاتها فيقتربون منها ويباغتونها . يستعملون لحمها غذاء لهم ويستخدمون جلدها تروساً أو ثياباً أو مضاجع وفرشاً . واذا تمكنت النعامة من صيادها نفثت فيه سماً قتالاً وعضته عضة يقاسي منها انواع الالم فلا تكون عاقبتها عليه سوى الموت. اما توم (بيض) النعامة فكان الصيادون يأكلون ما في داخلها فاذا أتوا عليه يستعملون القشرة اقداحاً واكواباً واذا رأوها ضخمة يقسمونها شطرين يكونان قُبَّعتين لرجلين يستران بهما رأسيهما

وما زال بعض السكان في افريقية الى يومنا هذا يقتاتون من لحم النعامة وشحمها وتومها ويبيعون ريشها أو يستخدمونهُ زينة لرؤوسهم . ويستخدم النعام لحمل الاثقال. وشاعت عادة ركوب النعام في القديم كل الشيوع . ويؤخذ مما قاله بوزانياس القائد الاسبارطي المشهور (٤٧٧ ق . م) انه رؤي على جبل هيليكون من بلاد اليونان تمثال لارسينوي الأميرة المصرية التي تزوجت بطليموس محمولاً على نعامة من النحاس . ويقول اتينيه الكاتب اليوناني الذي جاء في القرن الثالث للمسيح انهُ كان في الاحتفال بظفر فيلادلف الذي قام في الاسكندرية ثمانية قطارات من النعام في كل قطار نعامتان وقد رُسمت صورة جماعة يتعاطون الشراب مرسومة على كوب وفيها ست نعامات يركب

متونها فتيان و يسير امامهم رجل مستور الوجه ووراءهم موسيقار يمشي الهوينا ضارباً بمزماره

ومما يقصونهُ من الاخبار عن فيرموس ما ركوس الجبار المصري انهُ كان يركب نعاماً ضخمة و يستوي على ظهورها فتنساب به انسياباً سريعاً حتى كنت تخاله يطير وكان أكولاً يُطعَم كل يوم نعامة . وذُكر ان هليوكابال الامبراطور الروماني وضع على مائدته ستمائة مخ نعامة. وكان موسى على العكس يكره لحم النعام وحظر على بني اسرائيل استعماله. واستعمل النعام في نينوى صوراً لطيفة في الثياب المطرزة والمشالح الاشورية . وفي بعض النقود الرومية صور مقلوبة تمثل نعامة تسير الى الشمال والكلب يهمُّ بها . وفي صور قدماء المصريين أشياء كثيرة تدل على استخدامهم النعام في كثير من المهام

ورد في كتب التاريخ أقاصيص عن حسن تخلص النعام في الحروب مما يرجع الفضل فيه لشكلها لانها تشبه الطائر وتشبه ذوات الاربع ولها من كل فصيلة من هذه الفصائل أحسن ما فيها . وكان لريشها أثر وأي أثر في أساطير وادي النيل لم يصل اليه الجعلان ولذلك نرى من جملة الجزَى التي كان الفراعنة يضربونها على سكان الحبشة جزية وافرة من الريش و بيض النعام زيادة على ما كانوا يفرضونه عليهم من خرائط التبر

يقول هورابولون ان المصريين كانوا يمثلون للرجل العادل بريش النعام بدعوى ان هذا الطائر هو الوحيد من بين الطيور في تساوي ريشه . ولذلك أمثلة كثيرة في تاريخهم القديم . وترى في الخط الهيروغليفي ان ريش النعام اشارة الى صوتين مختلفين (ما وسو) فيستخدم الاول لكتابة الحقيقة. ويفهم من مغزى الفلسفة المصرية ان معنى (ما) العدل فمن ثم كانت ريشة النعامة رمزاً الى ربة الحقيقة والعدل

ترى هذه الريشة التي تمثل الحقيقة والعدل ماثلة احياناً وقد جعلت رأساً لجسد امرأة وكثيراً ما تظهر في صورة رشيقة متجلببة برداء ضيق وقد جعلت في ذراعيها وكاحليها أساور وفي احدى يديها اشارة الحياة وفي الثانية صولجاناً تريد بذلك الحقيقة والعدل . وكثيراً ما كنت ترى أمثال هذه الصور ماثلة بعضها امام بعض وقد

تزينت بحلاها و برزت بجمالها وجلالها

مُثلت (ما) ايضاً وعلى رأسها ريشة النعام وهي جاثمة وعيونها معصبة . وعلى هذا النحو كان الملوك يقدمون للار باب في مدافن الفراعنة صوراً من امثال هذه دليلاً على الطاعة وأداء الواجب . وكان رئيس المحكمة المصرية يحمل صورة صغيرة تشبه هذه الصورة مصنوعة من الاحجار الكريمة مناطة بسلسلة من ذهب واذا تقلدها الرئيس يكون ذلك رمزاً الى ان المرافعات ابتدأت . وكان المصريون يعتقدون ان (ما) هي صاحبة أوزيريس في الحياة الاخرى وانها تقف في مدخل الجنة تتلقى أرواح الابرار الاطهار وتبعث فيهم روح الطُمَأْنينة وحسن الثقة بالار باب

وكذلك الحال في (سو) فانه كان رمزاً على رب الار باب ورمزاً على النور المنبعث من الشمس . و (سو) يمثل النسيم العليل الذي ينازع زعازع القفر وقواصف البادية . ولذلك ترى في قباب المعابد القديمة عقباناً تحرك ريش النعام لتدفع به التأثيرات السيئة

وترى كثيراً من ريش النعام معلقاً في رؤوس الار باب . والريشتان المزدوجتان خاصتان بعمون را وأوزيريس ونوفري توم رب الافراح . وكان ملوك الفراعنة يرفعون ريش النعام للقيام ببعض الفروع الدينية ويزدان اوزيريس في محكمته بريش النعام ايضاً

ولريش النعام مقام مأثور في العادات المصرية الدينية عند القدماء فقد كان يجعل منهُ مذابُّ ومراوح وكانت علامة مميزة للامراء من أهل بيت الملك ومن أعاظم الحكام فيستعمل مراوح وسجفاً يحيط بمظلة الملك وزينة تناط برأس خيوله وتخفق عليه كما رأيناها تناط بعصابة الرأس وتندمج مع الشعر المستعار أزرقاً كان أو أسود . وكان المصريون يجعلونه عنواناً على زعمائهم وهو لهم زينة نادرة الظرف واللطف . ولذلك ترى ريش النعام ماثلاً في المعابد والمدافن وتشاهده في مدينة عبو كما تشاهده في مدينة ثيبة

كان كبار القوم يعلقون ريشتين على شعورهم اشارة الى الزينة والابهة من اجل هذا ترى الريش حيثما اتجهت في ارض الفراعنة يُتخذ زينة فهو يرفرف على الرؤوس ويتقلقل في أيدي أمراء الملك وآل بيت الفراعنة كما تراه على سدنة بيوت الارباب والكهنة والضاربين بالمزمار والطنبور يستجيدون ألطفها ويتزينون به كما كانت ترفع على اطار الثور الابيض الذهبي وغيره في الحفلات الدينية فيجيء النسيم يحركها

نعم كنت ترى الريش في كل مكان و بعضه ملون أخضر كالزمرذ و بعضه ابيض ناصع و بعضه أسود فاحم وآخر أحمر قانٍ . ومثل ذلك قلْ في بيض النعام ايضاً فمنها ما كان يُلَوّن بالزُّرقة أو يبقى على طبيعته وكان يُعَدُّ في المقابر من توابع الزينة ومنه ما يجعل أكاليل أو سبحاً طويلة وكثيراً ما كنت تراها تضم الى العمد اللطيفة كأنها تاج للمظلات على نحو ما ترى لعهدنا في المدارس القبطية يستخدم لمثل هذه الغاية من الزينة واللطافة في كل ناحية بريم حرير غليظ تعلق به مصابيح قرمزية أو غيرها من الاضواء توقد ليل نهار امام المذبح

الشعر العربي

جزعت السهول وجبت الوعوثا ... وسرت الى المجد سيراً حثيثا
عجلت وعندي لادراكه ... صريمة نفس أبت أن تريثا
متى أنا أطلقت من غربه ... يعدْ ذكرُ المرهفات أنيثا
دعاني الهوى والهوى ضلة ... فكنت لدعوته مستريثا
واعرضت عن لفتات الدمى ... وعفت خلاخيلها والرعوثا
اليكنَّ عني ذوات اللمى ... لقد عاد حبي بكنَّ رثيثا
كتمت عن الناس اخباركن ... ثم نثثت الكتيم نثيثا

ذكرت حديث الهوى برهة	وأنسيت نفسي ذاك الحديثا
وما زلت فوق ظهور المطي	طوراً سميناً وطوراً غثيثا
الى ان بلغت قصارى المنى	وعدت لكل علاء وريثا
ونلت الذي لم تصله الظنو	ن مجداً أثيلا وعزاً أثيثا
وادركت غاية ما يرتجى	وحزت قديم العلى والحديثا
واصبحت بين الملا مفرداً	أجير طريد الليالي الكريثا
أفرج كربة كل امريء	أتى بيَ من دهره مستغيثا
انا من تشير اليهِ البنا	ن ظعيناً اذا ما يرى أو لبيثا
تحط بأثقالها المكرما	ت حيث يحط الأَمون الدلوثا
نجائب عزم اذا ارقلت	تركن الحزون أباطح ميثا
متى تحتلبها تجد عندها	لبون الخطوب شطوراً ثلوثا
من القوم عهدهم لم يزل	وثيقاً وعهد سواهم نكيثا
اذا ما دعوا للندى والكفا	ح هبوا أسوداً وسالوا غيوثا
ليوث وغىً انجبوا للعلى	ليوث وغىً تسترق الليوثا
فكم أصلحوا للورى فاسداً	وذادوا الليالِيَ عن ان تعيثا
تمنى السماء وجوزاؤها	ببوغاء أرضهم ان تلوثا
ترحل الى العز يا إبنه	ولا ترض في دار هون مكوثا
وخذها معتقة من على	تريك لدى المزج نوحاً وشيثا
ولا تخدعنك وجوه الورى	وكن للسرائر منها نبيثا
لكم من فتى خلتهُ طيباً	فألفيته بعد ذاك خبيثا

القاهرة — عبد المحسن الكاظمي

حكم وخواطر

كتبت منذ سنوات في المجلة المصرية بعض جمل وخواطر سنحت لي يومئذ منها ما تحديت بهِ مناهج الحكماء ومنها ماذهبت بهِ مذاهب التعريض والايماء الى معانٍ عصرية ومقاصد سياسية فاستحسن بعضهم تلك الجمل واستشهدوا بها ووجد في بعضها قوم اغلاقاً ولم يدركوا جميع مراميها فقصدت ان أجرّب هذا النمط مرةً ثانية لا لانني مخترعٌ شيئاً بل لاني مجدد أسلوباً اذ ان المعاني وان كان اكثرها قديما فلا بد لها في كل عصرٍ من زيٍ يلائمه ولكل زمن لغة ولكل عصر بلاغة

قرائح الرجال كمعادن الجبال لا تظهر القرائح الا بالاختبار كما لا تعرف المعادن الا بالاحتفار

ما حثّ مطايا التقدم مثل مناخس الانتقاد

اذا تأخر بالانسان مركب الحياة تمنى مهبّ الحوادث

حملة العاقل في رأسهِ وحملة الجاهل على ظهره

الفضل ذنبٌ يذنبهُ الفاضل الى أهل النقص فليكفّر عنهُ بالتواضع

ربّ ملولٍ من العمل لو ارتاح ملّ اكثر

قد يفيد السلب كما يفيد الايجاب واحياناً ينهض بالمرء النقص ما لاينهض بهِ الكمال

قد يكون ما يُجدي العدو بعداوتهِ بوزن ما يفيد الصديق بصداقته وكم عداوة اكسبتك محابّ

المتكبر ممقوت ولو أخرج الحق من جنبهِ والمتواضع محبوب ولو لم يتب من ذنبهِ لانهُ مهما يكن من فضيلة فان الكبر ينسفها ومهما يكن من نقيصة فان الاقرار يُخففّها

أحسن مركز للعدو العاقل العدلُ في غير لين والادب في غير خضوع

بعض الناس يداوي العداوة بالظلم و بعضهم يعالجها بالذلّ وكلاهما يزيد الداء

قد تقع الندامة على العجلة بالخير كما تقع على العجلة بالشرّ وربما كان الندم على المعروف مع غير اهله انكى من الندم على الجزاء في غير اهله

الصادق اشدُّ الناس دهاء لانه يصل الى جميع مقاصده من أخصر الطرق ويعبر الى النجاة على جسر الاعتقاد

اذا كان العامل عالِماً كان اذًا العالِم عاملاً (العامل الاول هو الوالي)

اذا كان الملك حكيماً فمملكتهُ هي المدينة الفاضلة

لا تظنن العالم الشرير عالماً لان العلم الذي لا تطهر معه النفس هو كالماء الذي لا يطهّر من النجس

جميع الخلائق مفترِسة لكن بعضها يأكل بالاسنان وبعضها يأكل باللسان

ليس المهذَّب من لا تجد له عدوّاً بل المهذَّب من لا تجد عليهِ طاعناً بحق

اكثر ما يمتدح العدوّ عدوَّه في موطن الحملة عليه

اذا ضعف زرع القلب انبت زوان الكذب على أسَلة اللسان

اذا قدرت فاصفح لان علو المقام كافٍ في الانتقام

ما أقبح الهجوم بالمُعوِر والسباق بالمقصّر وإِثارة العداوات بمخروق الستر

الثناء نبتٌ شائك لا يُجتنى الا بادماء الاصابع والراحة لصٌّ هارب لا يُمسك الا بهجر المضاجع

اذا أنعمت بنعمة وجحدها جاحد فلا تذكرها لان سكوتك عن المنّ اكرم من كرمك بالمنَّة

أكبر الرجال في عيني من كان فعله اكثر من قوله وباطنهُ خيراً من ظاهره

ضدَّان لا أصعب من اجتماعهما لدى المرء ضيق الرزق وسعة العقل

لا تنتقم لنفسك مثلما ينتقم لك الدهر وقد يزيد على ما كنت تريد

ما عاض من المال مثل العقل ولا سدَّ هوَّة الفقر مثلُ الشرف ولا قصف غصن

الفضيلة مثل ربح الدعوى ولا جدع أنف الاصالة مثل دنس العرض والأصيل الطاهر أولى بالعشق من الجميل الباهر

مناط الحساب العقل وعلى قدر عقل الخصم يكون انفعال خصمه منه

لا يغلبك في خصام مثل المجنون لأنهُ محكومٌ له من الجميع من أول جلسة

الصداقة أمانةٌ وجدير بالامانة التي أبت حملها الجبال ان لا تُعرض إلا على أقوياء الرجال

أسعد حالات الصداقة ان يتوازن الحسن والحب وان تتساوى درجات الاعتبار في العقل مع درجات الائتلاف بالقلب

يجب ان يصوَّب الصواب ولو خاب صاحبهُ وان يخطَّأَ الخطأُ ولو فاز راكبهُ لأن الصواب للنجاح أساس وما جاء خلاف ذلك فعلى خلاف القياس

كل عهدٍ لازمٌ ذمَّة صاحبه الا في الشرّ فالنقض حلال

ما أعجب الا ممن يتعرض للنوافل وهو غير متمم للفروض وممن يتصدى للمكارم وهو غير مؤد للحقوق وممن يأخذ طريقة رفاعية أو قادرية وهو مقصر في نفس الاسلام

من اغرب ضروب الحسد ان العين تجمد لجاهك ولو كنت مُحسناً وتسيل لبؤسك ولو كنت مُسيئاً

ليس معنى التعنُّت في اختيار الصديق النفور من الناس أو التقطيب في وجوه الجلاَّس اذ بين الصداقة والمؤانسة درجات فمؤانسة الجميع لباقة وكياسة ومصادقة الجميع حماقة وخساسة

لا يمكن الانسان ان يحب من لا يحترم ولكن ربما اتخذ من لا يحترم وسيلة لقضاء حاجته وشتانَ بين المحبة والمصانعة

لا يجب الاتكال على الكبار في تجويد الاعمال العامَّة بسبب علو مراتبهم لأن غلط الكبير يكون كبيراً ولان علو المركز يحول دون التدقيق

بقدر حظك من الدنيا تقسو عليك القلوب وعلى درجة علوّك تنظر شزراً اليك العيون

لو كانت قيمة كل امريء مايحُسنه حقاً لخسف المقام بكثير من كبار الارض

الشهادة الحسنة بحق العدوّ أحبولة التصديق عند الذمّ

الجهل البسيط أول درجات العلم وخيرٌ للانسان ان يقيم بالعرآء من ان يقيم بالبناء الساقط

يستريح المرء مع الصدوق لأنهُ يركن الى كلامهِ كله ومع الكذوب لأنهُ لا يقبل شيئاً من جدّه ولا هزله وانما كان التعب مع المتوسط هذا الذي لايُدرى متى يصدق ومتى يكذب

مامن خيرٍ محض ولامن شرّ محض ولا من حالٍ تضرُّ من وجهين

قيمة الشيء الحاجة اليهِ فالثلج قيمتهُ حملهُ والحجر ثمنهُ نقلهُ وكم تراب هو ذهب وكم عودٍ يستطرف وهو في أرضهِ حطب

اذا طال البؤس على امريء تمنى التبديل لأن بالتقلّب على الجنبين راحةً للعليل

التواضع ستّار كل العيوب والخضوع ملينٌ لاقسى القلوب

لاتفرط في تشهي أمر فربما صار حلوُه علقماً وآلت راحتهُ ألماً وجنيت من كثرة التمني ندماً

كثرة التسهيل في الأول تورث كثرة التعقيد في الآخر

بيروت شكيب ارسلان

أميركا وعلماء العرب

كانت أميركا مجهولة عند ابنآء القرن الخامس عشر بدليل ان المؤرخين في ذلك العهد لم يذكروا عنها سوى اخبار اكتشافها في أواخر ذلك القرن غير ان كلام ايراتوستينيس واسترابون اليونانيين اللذين عُنيا بفن الجغرافيا بنحو ٢٠٠ سنة ق . م يستدل منه على ان القدمآء كانوا يتحدثون بوجود قارة مجهولة في أيامهم

ولقد اهتم الخليفة المأمون بن هرون الرشيد السابع من خلفآء بني العباس عام ٨٣٣ للميلاد بعلم الجغرافيا في جملة ما اهتم به من اصناف العلوم فكان من ذلك انه اشتغل في هذا الفن عدد من علية علمآء العرب في دار الخلافة وانتشرت معرفته من تلك المدينة الى معظم البلدان بعد ان درست آثاره وطمست اخباره في القرون المتوسطة في أوربا

ولم يقتصر علمآء العرب اذ ذاك على جمع ما بقي من أقوال علمآء اليونان والرومان في هذا الفن بل جدوا في اكتشاف بلاد مجهولة في أيامهم وتخطيطها فذهب فريق منهم سنة ٩٠٠ للمسيح الى الشرق الاقصى من القارّة الآسياوية ومضى فريق آخر الى القارة الغربية . ولو لم يثبط عزائمهم أمير الجزيرة التي بلغوها بعد ٢٤ يوماً من سفرهم من لشبونة من بلاد البرتوغال الى الغرب لكانوا أول مَن اكتشفوا أميركا

وبعد فقد ظلّ هذا الفن مجهولاً في أوربا حتى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد ولذا بقيت القارة الاميركية واوستراليا والجهات الشمالية من أوربا والجهات الشرقية من آسيا مجهولة في تلك البرهة الطويلة . ومن الحروب والفتوحات ما يبعث على يقظة العباد والبلاد وهبوبها من رقاد الانحطاط فقد حدث ان طرد السلطان صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م الصليبيين من سورية فعاد هؤلاء الى المغرب بعد سبع حملات حملوها على المشرق حاملين معهم ما اكتسبوه من علوم العرب وكتبهم واخذوا

يبثون تلك العلوم في البلاد الاوربيـة . ومن جملتها علم الجغرافيا فشرع الاوربيون في تهذيبه وهاموا بطلب اكتشاف الديار المجهولة . ثم جدت الهمة خريستوفورس كولمبس [1] فذهب في الثاني من شهر آب (أغسطس) ١٤٩٢ من مدينـة بالوس بمساعدة ازيبا ملكة اسبانيا في ذلك العهد في تسعين رجلاً وثلاث سفائن . وبعد صعوبات جمة لاقاها في طريقه من أهوال البحر ولا سيما متاعب صادفها من رجاله اكتشف أميركا بعد مضي ٦٩ يوماً من سفره

فلاعجب اذا قلت ان العرب كانوا هم الداعين الى النهضة الاوربية والى اكتشاف أميركا . فلولا اهتمام العرب بفن الجغرافيا بهمة الخليفة المأمون لكان من المحتمل ان تظل أميركا مجهولة ولولا عنايتهم بتوسيع نطاق المعارف وترقية العلوم في أيامهم لكان من الممكن ايضاً ان تظل أوربا رازحة تحت أعباء الجهل كما كانت في القرون المتوسطة . ولا يزال علماء الجغرافيا في هذا العصر معوّلين على جغرافيـة افريقية وبلاد التتر وقسم كبير من الشرق على علمآء الجغرافيـا من العرب الذين نبغوا في القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر. ومن جغرافيي العرب الذين ما برحوا موضوع اعتبار علمآء الجغرافيا في هذا العصر من المغاربة الزمخشري [2] والادريسي [3] وابن بطوطة [4] وابو الفدا [5]

---

(١) ولد عام ١٤٤١ في جنوا من ايطاليا وتوفي عام ١٥٠٦ (٢) ولد الزمخشري سنة ١٠٧٥ م وتوفي سنة ١١٤٤ م . وهو صاحب التآليف اللغوية والنحوية المشهورة وصاحب كتاب الجبـال والامكنة والميـاه في الجغرافيـا (٣) ولد محمد الشريف الادريسي سنة ١١٠٠ وهو من ولد ادريس من العلويين ملوك مراكش من سنة ٧٩١ الى سنة ٩٢٦ للميلاد . ومن تآليفه مقالته الجغرافية. وهي تقسم الى سبعة أقاليم وسبعين بلداً وقد ترجم موجزها الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٩٢ في رومية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٧ وترجمت الى الفرنسية (٤) ولد ابن بطوطة في طنجة من بلاد مراكش سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٧٧م . وقـد طاف في أيامه العراق العربي وجزءاً كبيراً من قارة افريقية وسورية وبلاد العرب والهند والصين وبلاد التتر والاندلس وكتبت رحلته المشهورة وسميت « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » وطبعت في باريس وترجمت الى الفرنسية في أربع مجلدات (٥) ولد أبو الفدا في أواخر القرن الثالث عشر وتوفي في أواسط

وياقوت الحموي[1]

سميت قارة أميركا المكتشفة العالم الجديد لانها كانت مجهولة قروناً عديدة. وسميت اميركا الان أميركوس جآءها بعد ان اكتشفها كولمبس فنسبت اليهِ أو سميت باسمه . وكان من العدل ان تسمى هذه البلاد كولمبيا تخليداً لاسم مكتشفها الاصلي كولمبس ومكافأة لخدمتهِ للعلم التي لا يساويها ثمن . وهذا الاجحاف بالانصاف يدل دلالة صريحة على ان بعض فضلآء الاوربيين القدمآء وعلمائهم كان معاصروهم يهتضمون حقوقهم ويجردونهم من فضلهم وان شئت فقل يحقرونهم كما احتقر ذلك المكتشف العظيم . ويسوءني وايم الحق ان أصرح بأن هـذه العادة متأصلة في الشرق وانها تدلّ على كساد بضاعة العلم وعدم تقدير رجال الادب والوطن حق قدرهم . وهؤلآء أصل كل تمدّن وتقدّم في كل قطر ومصر . وياحبذا لو يقتدي من يهمهم خير البلاد والعباد بالخليفة المأمون و بأبي الفدا الملك والمؤرخ فيخلدون ذكراً مجيداً على مرّ الايام فالبلاد لا تسعد بدون انتشار العلم . والعلم لا تقوم له قائمة بدون مساعدة رجاله ومناصرة طلاّبه

الولايات المتحدة . اوماها . نبراسكا . يوسف جرجس زخم

القرن الرابع عشر للميلاد. وهو الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة ويعتبره العلمآء ثاني الخليفة المأمون من حيث محبته للعلم ورجاله . ومن تآليفه في فن الجغرافيا كتاب تقويم البلدان طبع في باريس وفي درسدن

(١) ولد ياقوت الحموي سنة ١١٧٩ في بلاد الروم وتوفي سنة ١٢٢٩ في حلب . ومن تآليفه المفيدة في فن الجغرافيا معجم البلدان وكتاب المشترك وضعاً . وقد طبع هذين الكتابين العالم وستنفلد الالماني الأول في ليبسك في ستة مجلدات سنة ١٨٦٦ والثاني في مدينة غوتنغن سنة ١٨٤٦

الارض

خبر في الارض أوحتهُ السما لاولي العلم برُسْل الفِكرِ

أنَّ هذي الارض كانت أولا ما ترى بحراً بها أو جبلا
أو سهولاً أو ربىً أو سبلا أو رياضاً زهرها الغض نما
من سحاب جادها بالمطر
انما كانت كتلك الاخواتِ من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي احدى النيرات كنَّ من قبلُ عليها سُدُما
كتلةً واحدة في النظر
ثم بعدُ انفصلت من ذا السديم قِطَع منها صغير وجسيم
ضمنَ أفلاكٍ بها الدورَ تديم فاستقر الكل فيها أنجما
حول غير الشمس لم تستدر
أولاً نبتون منه انفصلا ثم أورانِسُ يهدي زحلا
ثم للمشتري مريخ تلا ثم هذي الارض فالزهرة ما
بعدها غير أخيها الاشهر
وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقربَ سيارٍ غدا
وهيَ سارت خلفهُ طول المدى فامامَ الارض ذانِ انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري
أرضنا كانت لظىً مشتعله مذ من الشمس غدت منفصله
لم تزل في دورها منتقله كتلةً فيها اللهيب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وَهَجاً في الجوّ عنها مبعدا
حيث لا يمكن ان ينعقدا فوقها منهُ بخارٌ دِيَما
هاطلات بالحيا المنهمر
بقيت حيناً وهذا أمرُها وهي بالاشعاع يخبو حرّها
وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتسى قشراً يحاكي الأدَما
واستمرت بطنها في سُعُر
ثم قد صار على مرّ الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آن
بَيْد ان النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرما
بصدوع مدهشات البصر
شخصت أطراف هاتيك الصدوع بجبال شمخت منها الفروع
ولها في العين أشكال تروع تقذف الافواه منها حُمما
صار منهن ركام الحجر
حصلت من قذف هاتيك المواد حيث يجمدنَ جبال ووهاد
وركاز وصخور وجماد بعضها دقّ وبعض عظما
وهو صلب الجسم صعب المكسر
وهناك انعقدت فيها الغيوم من بخارٍ كان في الجو يعوم
ردّه البردُ مياهاً في التخوم فجرى السيل عليها مفعما
كل غور فوقها منحدر
عمها السيل فغطى حين سال سطحها مجترفاً منها الرمال
فطما المآء ولكن الجبال شخصت في المآء لما ان طما
وعلت كالسُّفْن فوق الابحر

غمر المآء بها ما غمرا ثم خلّى بعضها منحسرا
محدثاً في السطح منها جُزُرا أنزل المآء بها ما حطها
من طُفال وحتات المَدَر

بسيول المآء كم فيها أرتكم من رمال رسبت فيها أكم
ولكم خدَّت أخاديد وكم قد بَنت من طبقات عَلَما
نضدت فيه صفيح المرمر

ثم صارت وهي من قبلُ موات تصلح الاقطارُ منها للحياة
فانبرت تنبت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسَما
وارتقت فيها لنوع البشر

فغدت اذ ذاك تزهو بالرّياض وبها الادواح تنمو في الغياض
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تمسي فحَما
حجرياً بمرور الاعصر

من حطام الخلق في الارض هضاب كونتهن أكف الانقلاب
ما تراب الارض والله تراب انما ذاك حطامٌ قدُما
من جسوم باليات الكسر

كم على الارض رفات باليات من جسوم طحنتها الدائرات
فاحتفر في الارض تلك الطبقات تجد الانقاض فيها رمما
هي للاحيآء أو للشجر

كل وجه الارض للخلق قبور خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور انما أنت ستفنى مثلما
قد فنوا والموت دامي الظُّفُر

ظلت الارض على كرّ الدهور تُبحر الاجبُل فيها والبحور
فوقها تُجبل والمآء يغور وعلى ذاك استدل الحكما
بجبال السمك المستحجر

علمآء الارض لم تبرح ترى حيوان البر لما دثرا
منه في الابحر أبقى أثرا وكذا في البرّ الفى العلما
أثراً من حيوان الابحر

كل ما في الارض من قفرٍ وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد
عن زهآء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكتما
تحت مآء البحر لم ينحسر

في صعيد الابحر المنغمس مثلُ ما يوجد فوق اليَبَس
من جبال نائثات الاروءس ووهاد تستزل القدَما
ورُبىً مختلفات القَدَر

ما نرى اليوم من المآء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دل ان الارض فيما قدُما
ذات جرم ذائب مستعر

كل ما كان بحال السيَلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الارض فى ماضي الزمان كروياً قد غدا ملتئما
جرمها من سيلان العنصر

ثم ان الارض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالوَلود
قمراً دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس أم القمر

بغداد

معروف الرصافي

نبأ من الصين

من مبحث لاحد علماء الفرنسيس في « المجلة » الباريزية

كان لانتصار اليابانيين على الروس رنة فرح في الصين والهند فاعتبرت الصين بهذه الحرب وتنبه في أبنائها شعور الوطنية وراحوا بعد ان كانوا يفزعون من العُدد الحربية التي هي أدوات التمدن الاوربي ينزعون عنهم لباس الخوف وتأبى نفوسهم الاستسلام للبيض على نحو ما كانت حالهم منذ قرون وقلما أُثر في الماضي عن الصينيين انتقاض أو ثورة على الاجانب بل كانوا أبداً يحتقرون برابرة الغرب في سرهم ويعتبرونهم دونهم من حيث الذكاء والمدنية . أما الآن وقد أثبتت الجيوش اليابانية لاهل الجنس الاصفر ان ما أقامه الاوربيون من العقبات في سبيلهم يمكن تذليله فقد نفضت الصين عنها غبار الكسل واطرحت الجبن جانباً وهبت من سباتها عازمة ان تشترك في الجهاد الزمني الذي يتمخض به الجنسان الابيض والاصفر ولم تكن الحرب اليابانية الروسية الا امارة من اماراته ومقدمة من مقدماته

تألف في الصين حزب يطالب بالاصلاح فأرادت الحكومة باديء بدء ان تحل عراه مخافة ان يكون مبتسراً فلا تجني البلاد منه غير توطئة السبل للاغيار من الاوربيين ولكنها عادت فتركته وشأنه فكثر اشياعه لكثرة انتشار الافكار في مملكة ابن السماء بأنه لا امان من تقسيم الاوربيين او الاذلال بيد اليابانيين الا اذا صلحت حالها ولذلك انضم الى حزب (كانغ يو واي) المصلح الشهير كثير من العمال الذين يخشون على بلادهم من التمزق . وما لبثت الافكار الجديدة ان سرت الى بلاط امبراطورة الصين بفضل بنات سفير ابن السماء في باريز يوكانغ اللائي تهذبن أحسن تهذيب فاختارتهن الامبراطورة نديمات لها فاغتنمن هذه الفرصة وانشأن يؤثرن حتى في الامبراطورة نفسها .

وانك لترى اليوم الامبراطورة — وهي صاحبة الصين من أقصاها الى اقصاها — بعد ان كانت منذ خمس سنين بعيدة كل البعد عن الافكار الحديثة وكانت عزلت ابن أختها عن الحكم لانه ظهر انه ممالئٌ لحزب الاصلاح قد أخذت اليوم تدخل بذاتها في طريق الاصلاح وعزمت كل العزم ان تنظم مملكتها وانشأ مستشاراتها العارفات على مافيهن من حذق ودربة يقنعنها بما تصيراليه المملكة من الدمار اذا تُركت وشأنها لان المطامع محدقة بها . فأي مسئولية تلحق الامبراطورة وبأي وجه تقابل أجدادها بعد موتها اذا هي غادرت المملكة السماوية نهب أيدي الناهبين ممزقة كل ممزق .

وينسب وصول حزب الاصلاح الى غاياتهِ لأولئك التلاميذ الذين يتلقون العلم في المدارس خارج بلادهم وخصوصاً لمن يدرسون في كليات اليابان وكلهم يد واحدة في محاولة اصلاح بلادهم ذاك الاصلاح الذي بهِ أصبحت اليابان مملكة مغبوطة مرهوبة الجانب والبأس وان كثيرين من هؤلاء التلاميذ ينزعون الى الثورة ويريدون ان يقطعوا كل صلة مع الماضي وان يقيموا على انقاضهِ أساس ملك جديد يتمكن من ضبط قياد الصفر عامة بيده . وكان من نتائج أعمالهم الشريفة ان انبث هذا الفكر على التدريج في عقول اربعمائة مليون نسمة من سكان الصين وانشأوا صحفاً باللغة العامية أخذ منشئوها ينقدون أحوال المملكة السماوية ويطالبون بتغيير ادارتها ويحملون الحملات المنكرة على كل عامل يقف في طريق الاصلاح ويناوئ سياستهُ غير مبالين بما قد ينتج لهم ذلك من العذاب الشديد أحياناً

ولم يتخلف النساء أيضاً عن الاشتراك في هذه الحركة اذ كان لهنَّ من بنات الوزير نديمات الامبراطورة المشار اليهن أعظم مثال ينشطهن ويحتذين مثاله فأسسن مدارس لبنات الحكام وأسست الامبراطورة من مالها الخاص مدرسة خاصة لتهذيب بنات موظفي قصرها . وكانت المرأة الصينية الى هذا العهد تعيش في جهالة جهلاء وحالها

نسق واحد مزوجة كانت أم عازبة لا تتخلل حياتها سلوى أدبية. وان كانت من الغنيات تمتاز بانقطاعها عن كل عمل عن نساء الشعب . أما اليوم فقد تغيرت حالها بالمرة فان الفتيات الصينيات يذهبن الى الكليات اليابانية ينجزن فيها دروسهن مع التلاميذ الصينيين . وأصبحت تطبع مجلات خاصة بالنساء وذلك في المدن الصينية الكبرى وتصدر كتب حديثة تبحث في شأن المرأة الصينية

وكانت الامبراطورة أصدرت أمراً سنة ١٩٠٢ تنصح بهِ لقومها ان يبطلوا عادة تعصيب الارجل لتكون صغيرة في الكبر فعادت اليوم تلغي هذه العادة البربرية رأساً بسعي مرسلي البرتستانت فتألفت جمعيات لهذا الغرض أخذ أعضاؤها على أنفسهم أن يتركوا أرجل بناتهم بدون تصغير ويمنعوا أولادهم من التزوج بزوجات ضُغطت أرجلهن في صباهن حتى صغرت . وهذه النهضة النسائية من الادلة على انقلاب حالة الصين في الزمن الاخير اذ ما كان يظهر قبل عشر سنين ان تدخل أمثال هذه الاصلاحات ويطرأ مثل هذا التبديل في أخلاق سكان مملكة ابن السماء وعاداتهم .

وكانت الامتحانات المدرسية القديمة تجمع كل مرة من ٢٥٠ ألفاً الى ٣٠٠ ألف مرشح ينهم بعض الشيوخ فمنذ سنتين انقلبت الحال وأبدلت تلك الدروس الخطابية على نصوص كونفوشيوس حكيم الصين والتمارين الصعبة في الانشاء التي كان يكفي للمرء ان ينجح فيها حتى يعين عاملاً أو مهندساً أو قائداً أو طبيباً أو قاضياً أو أمير بحر الى آخره

وقد وضع الفاحصون في الامتحانات الاخيرة بأمر الامبراطورة مسائل لم يعهد مثلها للمرشحين من التلاميذ ربما لا تجرأ الكليات الفرنسوية ان تضع مثلها واليك سؤالين منها : « هل يحسن التمدن الاوربي أم لا يحسن بأمة لم تحصل عليهِ فقد أصبحت يابان دولة من الطراز الاول بقبولها له وعلى العكس في مصر فانها سقطت تحت نير انكلترا لما أدخلت اليها التمدن الغربي فماذا يستنتج الطالب من ذلك للصين ».

والسؤال الثاني : «أي الطرق المشروعة تعمد اليها الصين لتكره الولايات المتحدة على الغاء القوانين التي تقيد الصينيين عن الهجرة الى أمريكا »

ولقد أوقع رخص أجور العملة الصينيين ومنازعتهم للعملة الاميركيين بلادَ الولايات المتحدة في حيص بيص فاصبح العامل منهم لا يكسب قوته الا بشق الانفس ففقدت بذلك ملايين من الريالات ولم يكتفوا بذلك بل حالوا دون البضائع الاميركية وتصريفها في مصارف الصين . وفي العام الماضي قضوا على التجارة الصينية في أقليم منغوليا وقد درست البعثة التي أنفذتها الصين الى أوربا ما ينبغي لامة متحضرة من الاوضاع السياسية والمدنية لتكسر الصين قيود التقليد بعد ان كانت قروناً ترسف فيها وتصبح الصين ولها دار ندوة وابنها يعرف الانتخاب بعد ان ظلت عشرين قرناً في حروب وغارات متواصلة ومذابح لا نهاية لها كان الصينيون اذا لم يتحاربوا في خلالها بعضهم مع بعض يلتقون مع القبائل الرحَّل في الشمال والسيتين والهونسيين والاتراك والتتر وقد نسي الصينيون منذ مئتي سنة ما كانوا يمتازون بهِ من الشجاعة وذلك على عهد أسرة مانشو الحاكمة الآن وما لقنتهم اياه من الاستكانة وحببتهُ الى قلوبهم من السلم واحتقار السلاح وحمله . بَيد ان ظفر اليابان الاخير أضرم في قلوبهم حب الغارة وعادت اليهم شجاعتهم السالفة وأخذت الصين تعد لها جيشاً وطنياً تستعين بهِ على دفع الطوارىء نظمتهُ على النسق الاوربي وهو يبلغ اليوم مئة الف جندي متخرجين على يد ضباط المان ويابان . وسيصبح عدد جيشها بعد خمس سنين خمسمائة الف جندي منظم . وقد سُلب حكام الولايات امتيازاتهم الحربية ومن شكا منهم ذلك عُزّر وغُرّم غرامة تصرف في التجهيزات الحربية

مطبوعات ومخطوطات

عقلاء المجانين

مهما اختلفت التقلبات على العقل البشري لا تزال مادة خواطره واحدة على تباين الاعصار والامصار . فما يجول في افكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات قد جال في خيال أهل القرون الخالية . وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كُشف سرّه في جيل أو قرن بل ان التصورات تكاد تكون واحدة وان اختلفت ضعفاً وقوّة وكل ما يبهرنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة

من كان يظن ان بعض سلفنا خطر له ان يُطرف أبناء عصره بكتاب في نكات المجانين وحكم البله والمتباهين . هذا المصنف[1] هو للعلامة الثبت الناقد الحجة الرحلة ابي القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابوري بدأه بمقدمة في الجنون وما ورد فيهِ في الكتاب العزيز وما احتالت بهِ قريش على الرسول صلوات الله عليهِ من نسبتهِ الى الجنون لما دعاها الى الحق شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيهِ وتوارثه بالتقليد الاعمى

قال المؤلف : «لقد سألني بعض أصحابي عوداً على بدء أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم وكنت اتغامس عنهُ الى ان تمادى بهِ السؤال فلم أجد بداً من اسعافهِ بطلبتهِ واجابته الى بغيته تحرياً لرضاه وتوخياً لهواه وكنت في حداثة سني سمعت كتباً في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبي الدنيا واحمد بن لقمان وابي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوقع كل كتاب منها في جزءٍ ما يقارب

---

(١) ظفرت بهذا الكتاب في مكتبة الشيخ ابي الخير عابدين بدمشق ضمن مجموعة من مجاميعها وهي مكتوبة لثلاث وعشرين خلت من المحرم سنة ١٠٦٥ بالقسطنطينية

جزءاً تتبعتها وتيقنتها وضممت اليها قرائنها وعزوتها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب وأرجو اني لم أسبق الى مثله »

ثم ذكر المؤلف أصل الجنون واسماء المجنون في اللغة أورد منها الاحمق واستشهد بقول الشاعر

سبحان من نزَّل الاشياء منزلها وصير الناس مرفوضا ومموموقا
فعاقل فطن أعيت مذاهبهُ وجاهل حمق تلقاه مرزوقا

ومنها المعتوه والاخرق والمائق والرقيع والمرقعان واستشهد بقول عبيدالله بن عبد الله

وما الناس الا وعاة العلوم وسائرهم غنم في قطيع
وانا بلينا بله حمير ومحنة دهر رفيع رقيع

ومنها الموسوس والأنوك والبدهة والذولة والموتة والعرهاة والاولق والمهوس واللهلباجة واللكع والجذب والهجاجة والرشاع ثم ذكر الامثال المضروبة في الحمق والحمقى فمنها قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي انها مع حمقها تظلم غيرها . ومن أمثالهم أحمق بلغ أي انهُ مع حمقه يبلغ حاجته ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نيقة اي انها حمقاء وهي مع ذلك تتأنق في الامور . ومن امثالهم أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء وحمقها انها تنبت في السروح ومسايل الاودية فيجيء السيل فيجرفها . ومن أمثالهم انه لاحمق من ترب العقد والعقد عقد الرمل وحمقه انهُ ينهار ولا يثبت فيهِ الترب يُضرب للذي لا يثبت ولا يستقر على حال. ومن امثالهم انه لاحمق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر ومن أمثالهم أحمق من الممهورة احدى حدمتيها (هما الخلخالان) وتقول العرب للمبالغ في الجنون جنونه مجنون ولبعض أصحاب الشافعي

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

ومنها خامري أم عامر (كنية الضبع) ومنها انه لاحمق من العقعق قال ابن الكلبي

تقول العرب انهُ لاحمق من حماقة عقعق وذلك لانها تبيض على الاعواد فربما وقع بيضها فانكسر . والمجانين على ضروب فمنهم المعتوه والممرور والممسوس والعاشق قال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء الاعراب وسُئلت عن العشق فقالت داء وجنون . وكانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون

وهنا تم القسم العلمي من الكتاب و بدأ المؤلف يورد القصص والحكايات الكثيرة على المجانين واشعارهم وذكر أمثلة ممن اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجنّ ومن جُنّ من خوف الله ومن تجانّ وتحامق وهوصحيح العقل وهم ضروب فمنهم من تعاطى ذلك ليري شأنهُ و يستره على الناس ومنهم من تحامق لينال غَناء ومن تحامق ليطيب عيشاً ومن تحامق لينجو من بلاء وآفة

ولم تخل هذه الحكايات من حكم وأمثال لا يتأتى مثلها الا لار باب العقول واشعار لطيفة قلما تجدها فيما بين أيدينا من الكتب كقول علي بن محمد بن قادم

عذلوني على الحماقة جهلاً — وهي من عقلهم ألذُّ وأحلى
لو لقوا مالقيت من حرفة العلـ — ـم لساروا الى الجهالة رسلا
ولقدقلت حين أغروا بلومي — أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقي قائم بقوت عيالي — ويموتون ان تعاقلت هزلا

وذكر كثيراً من أخبار أُويس القرني اول من نسب الى الجنون في الاسلام ومجنون ليلى وسعدون المجنون و بهلول وعليان وغيرهم

ومن حكاياتهم ان رجلاً آلى بيمين ان لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً و بقي واحد فخرج على ان يسأل أول من نظراليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوّد وجهه وركب قصبة فأخذ رمحه فسلم عليه وقال : مسئلة . فقال : سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك . فقلت : مجنون

والله ثم قلت : اني أصبت من النساء بلاء وآليت ان لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة . فقال : اعلم ان النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك ان رأت خيراً حمدت وان رأت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فان رأت خيراً قالت هكذا تجب وان رأت شراً حنت الى زوجها الاول . فقلت : ناشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم اشترط عليك ان لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال : اني رُشّحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء . قلت : وقد فعل ابن الهيثم الرياضي الفيلسوف المشهور مثل هذا وترك الوزارة وتجانّ ليكون له حرية يتمتع بها في خدمة العلم .

وقال الاصمعي : قال عمي : دخلت بعض احياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي وقد اجتمع اليه الناس فقلت مَن هذا ؟ فقالوا حساس الموسوس لايزال ينام ليله ونهاره وربما ينتبه فزعاً مرعوباً فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه ثم يعود الى نومهِ فبت ليلة هناك وهو على الحال الذي وصفوه فلما أصبحنا أتيته فقلت : ما اسمك ياشيخ أنت أنوم من فهد مالك تنام دهرك فقال : النوم لا تبعة عليّ فيه وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات . قلت : وأي تبعة عليك في مجالستي ؟ قال : اشتغل بك عمن انشأني ثم أنشد يقول

لقد أغنيت عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال
فان كنت الغداة تريد قولا فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً : ما اكثر فضول أهل الحضر .

قال الاصمعي : بينا انا ذات يوم عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة اذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر فقال : ادخلوه فدخل فاذا هو رجل كأنهُ نخلة

سحوق نتن الاطراف موسوس فسلم على الامير فرد عليه السلام وقال: من أنت ؟ فقال : اني أنا أبو الشريك الشاعر من يسأل عني فأنا ابن الفاغر فقال الوالي : ما أمدحك لنفسك! ! فقال :

لانني ارتجل ارتجالا ماشئت يامن البس الجمالا

قال الاصمعي : فقال لي الامير ماهذا مجنون فألق عليهِ ما عندك فقلت له ما الريم فقال : الريم فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الايسار فقلت ما الحلوان فقال :

أليس ماتعطي على الكهانة والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع فقال :

ان الدكاع هو سعال الماشية والله لايخفى عليه خافية

قلت فما التوله فقال :

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفة فقال :

الرفّة البين فسل ماشيتا لقد وجدت عالماً خرّيتا

قال الاصمعي : فاستحييت من كثرة ما سألته فقال : قل ما الهلقس والسحساح والحل الرادح لابراح قلت : الهلقس الطمع الحريص والسحساح الذي لا يستقر في موضع والرادح المهزول فقال :

ما أنت الا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي : فحبذا كل مجنون مثل هذا ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما قُدم اليه المال قال :

اكل هذا هو لي بمرة تم سروري واعترتني شِرّة

ثم أقبل على الامير فقال :

رِشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

والكتاب معظمهُ من هذا النسق وهو يقع في نحو مئة صفحة منصفة القطع مكتوب بخط جميل تغلب عليهِ الصحة . والغالب انهُ نقل عن نسخة صحيحة ووقع في أيدي جهابذة نقّاد فقوّموا منآده وأوده أما انشاؤه فانشاء المئة الثالثة والرابعة سلاسة بلا تكلف وطبع بلا تصنع

طبقات الشافعية الكبرى — اهدانا مصطفى افندي فهمي الكتبي نسخة من هذه الطبقات لمؤلفها شيخ الاسلام تاج الدين بن تقي الدين السبكي المطبوعة في مصر على نفقة مولاي احمد بن عبد الكريم القادري الحسني الفاسي فجاءت في ستة مجلدات حوت من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية والمذهبية والخلافية والمناظرات والمطارحات والفكاهات والحكايات ما لا يسع المتعلم جهله فضلاً عن المشتغلين بفقه الشافعي لان الوقوف على سِيَرِ أرباب هذا المذهب مما لا غنية لطالب عنه

ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة عريضة بلغت زهاء مئة وعشر صفحات من كتابه لاتخلو من مغامز وفوائد جاءت عرضاً . ولا بد أن تقع فيما ينقله المكثار ويرويه على طرفة تستطرفها وفائدة تقتطفها . ولذلك قالوا المكثار كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء . ولا ذنب في ذلك على التاج السبكي بل الذنب في الاكثر على عصره فقد كان عصر المشاغبات والمماحكات وضعف ملكة التأليف

قسم المؤلف كتابه الى طبقات سبع الاولى طبقة من جالسوا الامام الشافعي وعددهم نحو اربعين فقيهاً والثانية وهي فيمن توفي بعد المائتين للهجرة ممن لم يصحب الشافعي وانما اقتفى اثره ، ويبلغ عددها نحو ثلاثين رجلاً . والطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والاربعمائة وعددها نحو ١٧٠ مترجماً والطبقة الرابعة فيمن توفي بين الاربعمائة والخمسمائة وهي نحو ٢٧٠ فقيهاً . والطبقة الخامسة من مات بعد الخمسمائة وعددها نحو ٤٧٠ فقيهاً . والطبقة السادسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة وهي قرابة ٢٥٠ فقيهاً . والطبقة

السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة وتبلغ نحو ١٣٥ فقيهاً . وقد ساق المؤلف أسماءهم كلها على حروف المعجم واكثر من الكلام على من ارتضاهم وربما أدخل في غمار الفقهاء من ليس منهم كما يفعل بعض مؤلفي الطبقات في الغالب حباً بتكثير سوادهم

وقد أورد التاج طرفاً كبيراً من الكوارث والفتن التي حدثت في بعض تلك الادوار استطرد اليها لادنى مناسبة واكثر ما شاء وشاءت قريحته فلم يكن منها غير تكبير حجم الكتاب على غير طائل . وطبقات الرجال لادخل فيها لحوادث الاجيال وهذه من خصائص كتب التاريخ السياسي . ومن يقرأ المناظرات التي ذكرها المصنف وهي مما وقع بين بعض الفقهاء المترجَمين وبين غيرهم ممن ليسوا على مذهبهم يتضح له ما كان ثمت من تعصب بين المتخالفين وكيف صرف ارباب المذاهب أوقاتهم في الجدال والقيل والقال .

وانا لم نرَ عبارة لوصف هذه الطبقات اجمل من التي كتب بها الينا احد كبار شيوخ العلم في الشام عند ماصدر الجزء الاول منها قال : « قد سررت بطبع طبقات التاج السبكي لقلة ما طبع من كتب التاريخ في مصر وان كان السبكي شديد التعصب كما يظهر من مقدمة الكتاب التي أفردها لذم التعصب والمتعصبين وجعل من المفرطين فيه شيخه الحافظ الذهبي فزعم انه افرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة يريد بالمجسمة الحنابلة وعلماء الحديث وهي عبارة تدل على فرط السخافة فان كان الذهبي متعصباً فتعصبه نشأ عن خطاءٍ في الاجتهاد وتعصب التاج عن عناد ولجاج غير ان الزمان سيسقط كل مموّه أياً كان فينتفع بكتابه بمثل ذكر ما للمؤلف من مؤلَّف ونحو ذلك »

والكتاب جيد الطبع على الجملة يطلب من مكتبة مصطفى افندي فهمي بخمسين قرشاً مصرياً فنحث على اقتنائه فان حسناته كثيرة ولا يجوز أن يزهد في عقد من اللؤلؤ اذا كان فيه بعض الخرز . والصيرفيُّ الحاذق ينقد الدينار الخالص من الستوق الزائف . ونثني على طابعه اجمل ثناء

سياحة في القطر المصري — هو كتاب في نحو ١٥٠ صفحة فيه مباحث اجتماعية وتاريخية عن البحيرة والشرقية والفيوم وأسيوط وغيرها ومباحث عمومية عن العربان والامن العام وغير ذلك مما له علاقة بحياة هذه المديريات المهمة من القطر المصري ساح فيها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وتكلم عن شؤونها بما دله عليه اختباره وفضله وقد نشرها أولاً في مصر ثم جعلها مِلحقاً لمجلة المحيط وأرسلها لمشتركيه في العام الماضي وهي تطلب من مؤلفها وفيها من الفوائد ما يرغب فيه كل مصري أديب فنحث على اقتنائها ونشكر لرصيفنا عنايته وهديته

سير العلم

لغة الاسبرانتو — انتشرت هذه اللغة التي ألفها الدكتور زامنهوف الروسي انتشاراً عظيماً في العهد الاخير وأقبل الاوربيون على تعلمها لسهولة مأخذها وسينعقد مؤتمرها هذه السنة في كمبردج فتقيم له كلية هذه المدينة احتفالاً بديعاً وقد أنشئت جمعية من علماء الحقوق ممن تعلموا اللغة الجديدة. وممن ينتصر لهذه اللغة وتلقنها ملكة اسبانيا وملكة نروج التي تعلم هذه اللغة

للبرنس أولاف الصغير . والمظنون ان الدكتور زامنهوف سينال في العام المقبل جائزة نوبل جزاء خدمته الانسانية بهذا الاختراع المفيد للامم

اكل الاثمار — ألف المسيو جبرائيل فيو الفرنسوي كتاباً دعاه « لنغرس الاشجار ولنا كل الاثمار » ومما جاء فيه ان مئتين أو ثلثمائة متر مربع تنبت البقول اللازمة لأسرة فيبلغ متوسط غلة الهكتار (عشرة آلاف متر مربع) من الهليون والخرشف (ارضي شوكي) ١٢٠٠ فرنك ومن الملفوف ١٠٠٠ فرنك ومن الجزر ٧٠٠ فرنك ومن البطاطا ٥٠٠ فرنك ومن السلجم (اللفت) ٤٠٠ فرنك ومن الحنطة ٣٨٠ فرنكاً . واذا توفر العامل على زراعة حديقته خضراً وبقولاً تكون لأسرته مورد رفاهية ويسار وتنبه فيه الرغبة في الاقتصاد وتجود بذلك صحته . قال اذا غرست مئة شجرة مثمرة في هكتار من الارض تغل اكثر من الحنطة والبطاطا والشمندر بمعنى انه يأتي بمورد لا يقل معدله عن الف فرنك . وأوصى بغرس الاشجار المثمرة وجعل عشرة أو خمسة عشر متراً بين كل شجرة حتى لا يكون اشتباكها والتصاقها داعياً الى عدم الانتفاع من غلة الارض فتزرع أنواع المحاصيل والغلات . ثم استطرد المؤلف ونصح للناس ان يغتذوا بالاثمار خاصة قائلاً ان الامراض الشائعة في عصرنا هي مسببة من الافراط في تناول اللحوم ومما في عضلاتها من الزلال على حين ان قضم الاثمار يفيد الصحة اكثر من ذلك . وقال ان ضعف المجموع العصبي (نوراستينيا) يشفى بتناول الاثمار وعدد امراضاً ينتفع المصابون بها من تناول الفاكهة وأتى بادلة مقنعة وبراهين علمية لتأييد مدعاه

البنايات العائمة — وُفّق أحد مهندسي كليفورنيا الى اكتشاف طريقة لاقامة منائر في البحر وحصون وبنايات في مداخل المرافيء في عرض البحر تطفو على الماء وكل ما يبنى بحسب اشارته من هذه المباني يقاوم فعل جميع التقلبات التي تحدث على وجه الماء في البحر المحيط . والظاهر لاول نظر ان ما ادعاه المهندس المشار اليه يعد من المستحيل بلوغه ويناقض ما جرى عليه العمل في اقامة الابراج والمنائر والابنية في وسط البحر حتى الآن . فانه توصل الى اقامة هذه الابنية في عمق من المياه لا يتحرك باهتزاز سطح الماء والاساس اذا كان بعيداً عن الماء الذي يهتز بالامواج دام اكثر وقاوم فعل المياه . وهذا الاختراع سيفيد التجارة البحرية والدفاع عن الموانى والشواطيء فائدة كلية . فان قليلاً من الموانى تتمكن فيها البناؤون من وضع الاوتاد التي تغرز ليقام البناء عليها في الماء وبهذا الاختراع يمكن بناء أرصفة عائمة فتفرغ عليها السفن شحنها بدون عائق وهذه الارصفة تعلو وتسفل بحسب حالة المد والجزر في البحر . وبهذا الاختراع يمكن تشييد منائر في الماء الكثير التلاطم الذي لم يكن يتيسر من قبل ان يبنى فيه كما تشيد أماكن بعيدة عن الساحل لتأمن السفن من اخطار الشواطيء

الملبس المسموم — ثبت ان في بعض الحلويات سماً يضر بعض الضرر احياناً ونسب ذلك بعض الباحثين الى ما يحشى به من الزبدة والبيض ثم قرّ الرأي ان في البيض سماً زعافاً احياناً لفساده وان كان جديداً وان احسن واسطة في اتقاء خطر البيض ان ينظر الطاهي أو ربة البيت اليه عند وضعه في الحلويات وغيرها ليرى فيما اذا كان سليماً أو فاسداً

تعقيم اللبن — بحث كثير من علماء الكيمياء والحياة بالمانيا في الايام الاخيرة فيما اذا كان اللبن (الحليب) المغلي أنفع من غير المغلي وبعد المرادّات الطويلة تبين ان اللبن المغلي للاطفال انفع ولكنه اذا أُغلي كثيراً تفقد خاصية من خواصه الكيماوية والحيوية. وبحث علماء من الاميركان في تعقيم اللبن بدون واسطة الحرارة فرأوا ان يضاف اليه كمية قليلة من محلول ممزوج باكبر مقدار من الاكسيجين ومادة أخرى لا تغير لونه ولا طعمه أصلها من مادة حيوانيـة. وبالجملة فان المسألة ما برحت موضوعة على بساط البحث بين العلماء هذا يقول بغلي اللبن وذاك يرى تناوله بارداً وغيره يرى ان يعدل عن تعقيمه بمزجه ببعض المواد كما تقدم

نبات ضار — اذا لم يكن في النباتات مادة سامة لا تضر في العادة اذا لم يكن فيها نفع. ولبعض النباتات خاصية الضرر كالنبات الذي يكثر في أميركا الجنوبيـة فيأتي باضرار بليغة للحيوان والانسان وهو من جنس «الستيبا» فتجد في غلاف الزهرة الاسفل من مجموع ماتتألف منه سنابله زُغُباً فيه حرير يتلوى على نفسه فاذا ثارت الريح تحمل براعم هذا النبات فتعلق بشعر الانسان ولحيته وتتلوى فتدخل الجلد فاذا حاول المرء قلعها تنكسر وتزيد في الانغراز. ويمكن الانسان ان يتخلص منها أما الحيوان فانه اذا أصابت عينه تقلعها فتعميها فلا يتيسر له ان يتناول غذاءه فاذا كانت تلك الحيوانات وحدها مطلقة يكون قلع عينيها سبباً في هلاكها وعدم قدرتها على الاقتيات ثم ان براعم هذا النبات تلصق في جلد الخرفان فتحدث فيها تقرصاً مؤلماً كما تدخل في فم الحيـوان آكلة النبات وتجعلها كغرز الابر.

وقد حاول العلماء ايجاد واسطة لاتقاء هذه الآفة فلم يفلحوا و« الستيبا » ما زال يكثر

الفلسفة الحديثة — ألف احد علماء الالمان كتاباً في تاريخ الفلسفة الحديثة وهو يترجم الآن الى اكثر اللغات الاوربية شأن كل كتاب نافع يصدر باحدى لغاتها فلا يلبث ان يترجم في الشهر الذي يصدر فيه وربما صدرت الترجمة والاصل في ساعة واحدة من المطبعة . وقد أتى بالبراهين السديدة عند كلامه عن فلاسفة القرن التاسع عشر فانتقد « كانت » واضع الفلسفة الحديثة احسن انتقاد ثم أنحى على الفيلسوفين «فيختي» و «هيكل» الالمانيين وسماهما بخارقي قوانين الفلسفة وأصولها وأضاف اليهما الفلاسفة شيلرماشير، وشوبنهاور ، وهربارت ، من فلاسفة الالمان لانه لا نظام في آرائهم وهم يتكلمون كلام المغتاظ الحانق وقال ان الفلسفة الحسية تبدأ من أغست كونت الفرنسوي كما تبدأ الفلسفة الانكليزية من ستوارت ميل وداروين وسبنسر فان هؤلاء أتوا الغرب بافكار وعواطف يسير عليها اليوم ويعيش في ظلها

الحلقة المفقودة — اكتشفت سنة ١٨٩١ في ترنبيل من اعمال جاوة بعض عظام تحت التراب تشبه عظام القرد (جيبون) والانسان واستبشر العلماء عندئذ بانهم كادوا يظفرون بالحلقة المفقودة بين الانسان والقرد كما هو مذهب كبار علماء الطبيعة امثال داروين ووالاس وهاكل وغيرهم ثم أجلى البحث عن لا شيء . وقد فرح العلماء الآن بما وفق الى اكتشافه

الاستاذ كلاتش أثناء بحثه في شمالي أوستراليا من اكتشاف ينفع علم الانسان (انتروبولوجيا) . فقد اذاع انه صادف في بور داروين على الشاطئ في بقعة قلما ينزل اليها السائحون ولم يدخلها التمدن الحاضر — امرأة تعيش في البلاد على حالة التوحش من الفطرة الاصليـة وتشبه باوصافها القرود التي تشبه الانسان (انتروبويد) ورجلاها مثل ارجل الزنوج تتسلق بهما الاشجار بمثل السرعة التي تتسلق بها القرود . وهذه أول مرة شوهد فيها مخلوق بشري على هذه الصفة . ويزعم الاستاذ المشار اليه ان هذه المرأة مرتقية من القِرَدة وان اجدادها كانوا قروداً ولا شك . فاذا ثبت له مازعم فيكون الدروينيون عثروا على الحلقة المفقودة التي ينشدونها منذ أزمان

التلفون في السكك الحديدية — أُخذ في استعمال الادوات التلفونية في قطارات الخطوط الحديدية الرئيسة في الولايات المتحدة فتتأتى المخابرة بعد الآن بين المركبات والقاطرة على اختلاف انواعها كما تتيسر مخاطبة المحطات وتنفع هذه التلفونات في اتقاء الاخطار التي تعرض للقطارات في طريقها . وتستعمل اسلاك هذه التلفونات في ارسال الرسائل البرقية ولا يحدث من ذلك التباس

الالكحول من الشجر — اكتشف في أوستراليا الغربية ضرب جديد من الالكول يأتي من شجر غض كبير تحتوي اليافه على خمسة في العشرة من الالكحول وكان هذا الشجر معروفاً منذ القديم بين النازحين الى تلك القارة والمبعدين اليها فقد كانوا يستخرجون منه سائلاً يقوم مقام الجعة (البيرا)

السكسون واللاتين

ألف احد علماء الاجتماع في ايطاليا كتاباً في العنصرين الانكليزي السكسوني واللاتيني أبان فيه أهم اسباب ارتقاء الشعوب وبحث بحثاً مدققاً مؤيداً بالحجة في أسباب سر تقدم الامم وانحطاطها وهو يرى انه ليس هناك عناصر بل أمم يؤيد ذلك لا من طريق علم الاجتماع بل من طريق علم الانسان وقال انه ليس في العالم الآن أمم مكوّنة من جنس واحد بل هي نتيجة الامتزاج الحقيقي وأخلاط من عناصر مختلفة. فكما ان الجنس أو العنصر يشتهر وينتظم بما له من الصفات التشريحية المعروفة فيه فكذلك تعرف الامة بجماع الاخلاق النفسية والمظاهر الاجتماعية. وما سر تقدم أمة الا آتٍ من أحوال اقتصادية أو غيرها تطرأ عليها فتنهضها الى أعلى عليين أو تسقطها الى أسفل سافلين. فلو حازت أُمة تقدماً على غيرها كما يتوهمه بعض علماء الاجتماع لما رأيناها الا باقية ابداً في أعلى قمم المجد. بيد ان التاريخ لم يذكر بان أمة حالفها النصر والنجاح والتقدم في جميع أدوار حياتها السياسية والاقتصادية. و بينا كان ديمولين صاحب سر تقدم الانكليز السكسونيين ينشر كتابه كان العاقل يلاحظ ان الامة الانكليزية التي تمجد بها وأذل أمته لرفعة شأنها قد ظهرت فيها بعض اغراض الضعف. وعلى هذا فان من الازمان ما يواتي أمة ان ترقى رقياً عاماً في مهد الحضارة اذ تكون فيها القوى التي تلائم ذلك الرقي. ولذا ترى في الامم علواً وانخفاضاً وسقوطاً وارتفاعاً

وأغرب ما في هذا الكتاب فصل قارن فيه المؤلف بين ارتقاء المانيا وارتقاء ايطاليا وهما الامتان اللتان نالت كل منهما وحدتها في زمن متقارب فانه رأى ان الناس يبالغون بما بلغته المانيا في سلم الارتقاء الاقتصادي وانها تفوق ايطاليا بمراحل في هذا السبيل فقال ان في المانيا ٥٧ مليون ساكن وثروتها نحو ١٥٠ ملياراً من الفرنكات أما ايطاليا فثروتها ٦٥ ملياراً وسكانها ٣٢ مليوناً فمعدل ثروة الفرد في المانيا ٢٦٢٢ فرنكاً وفي ايطاليا ٢٠٠٣ فرنكات أما من حيث عظمة ايطاليا في الامور العلمية فان كل من ينظر اليها نظر المجرد عن الغرض ير فيما يشاهده من أعمالها العلميه والادبية بانها آخذة في المسير نحو دور جديد من العظمة والمجد

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

هذه روايةٌ وطنيةٌ اخلاقيةٌ واقعيةٌ تمثل للقاريء ما تئن منه هيئتنا الاجتماعية من البؤس وما يتخلل نظام بيوتنا من الخلل تشبه في بعض مضامينها رواية البؤساء لأُستاذ الفصاحة والادب حافظ افندي ابراهيم وان كان بين الروايتين فرق في الاسلوب وكيفية الأَداء ولا عجب اذا تم للمتقدم ما لم يتم للمتأخر فان حافظاً هو بلا مراء مالك زمام البيان والتبيان . ولعل المغرمين بالروايات والعالمين بنسج الاقاصيص والحكايات يؤآخذونني على الاقتضاب في الفصول الغرامية فيعدُّونه نقصاً في الاسلوب فأنا أستميحهم عذراً على ذلك اذ قضى عليَّ وضع الرواية وسلسلة حوادثها بأن أقتصر على ما اقتصرت والله المستعان دمشق : شكري العسلي

١

في ليل الاربعاء السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) هطلت الامطار وهبت العواصف واشتد البرد فاستحال المطر ثلجاً وابيضت الدنيا فصارت كالعهن المنفوش واخذت خديجة تشعر بألم الوضع نحو الساعة الخامسة بعد الغروب فايقظت زوجها احمد وأخبرتهُ بما ألمَّ بها من ألم المخاض فهبَّ من ساعتهِ ليأتي بالداية وأحب ان يستصحب معهُ مصباحاً يستصبح بهِ في ظلام الليل الدامس ولما كانت داره خالية من كل شيء راح يطلب الى خادم جاره وكان هذا من الاغنياء ان يعيره فناراً أو مصباحاً فطرق الباب عليهِ وكان الخادم مهتماً باحضارِ سفرة الحلويات والفاكهة ليتناول

منها ضيوف سيده فخجل احمد وخشي ان يظن القوم انهُ أتى مدفوعاً بما انبعث من رائحة الطعام ولكن صاحب المنزل كان كريم الطبع محباً للضيوف فتبسم له ورحب بهِ واستثقل بعض الحضور مجيئه في تلك الساعة فهمس احمد في أذن صديقهِ الخادم قائلاً له : هل لك ان تعيرني مصباحاً أستنير بهِ في طريقي لاني ذاهب لاحضر الداية لامرأتي فقد أخذها المخاض .فسأل صاحب الدار خادمهُ عن سر مجيء احمد فاجابه الخادم انهُ يريد ان يستعير منا مصباحاً وأعلمه بالسبب فامره مولاه بان يلبي طلبه فاخذ صاحبنا المصباح وذهب مهرولاً الى الداية فلما قرع بابها سألته عن المُقرِب فاجابها بانها امرأته واذ أيقنت انه لا ينالها الا التعب والبرد ونسيت ما ستناله من الاجر والشكر وما يترتب على عملها من خدمة الانسانية لم يسعها الا ان تظهر أسفها واعتذرت بمرض اعتراها منذ أسبوع فدلت على أنها عارية من عواطف الرحمة مجردة عن الانسانية التي كانت توجب عليها ان تسعى الى تخليص تلك البائسة من خطر الموت ومن يدرِ كم من النساء اللواتي ذهبن لجهلها وعدم اعتنائها بقواعد الصحة . وكم سمعنا ورأينا من النساء اللواتي فارقن الدنيا بسبب الوضع لجهل القابلات وقلة عنايتهن

انفصل صاحبنا عن باب الداية وعينه تقذف قطرات الحنو الزوجي ممزوجاً بحسرة البؤس البادي على صفحات خديه وذهب الى قابلة أخرى فسألته عن الاجرة فاخبرها بما في مكنتهِ ان ينقدها اياه من الدراهم فامتنعت واعتذرت ثم قالت انها لا تخرج من منزلها العامر الا باجرة وافرة فاخذه البكاء وذهب الى عجوزة عرفت بعمل الخير لها خبرة بالتوليد فاستنهض همتها واخبرها بما جرى له مع تينك القابلتين فأسفت لحاله ولعنتها ولعنت الزمان الذي قل عمل الخير فيه وأخذتها الحمية والحماسة الشرقية فذهبت معهُ على الفور وأجلست خديجة على الكرسي وأخذت تعالجها وتحمسها وتقرأ لها ما تيسر من القرآن وتتوسل بالادعية على عادة العجائز التقيات . فلما حانت الساعة السابعة بعد منتصف الليل وضعت خديجة غلاماً سُر به ابواه وسمياه سعيداً تفاؤلاً بان ينالها السعد بهذا وقرأا الفاتحة على هذه النية ومن العادات التي لا خلاص منها اكرام القابلة

بضروب الحلواء والفاكهة ولم يكن عند صاحبنا درهم واحد ليقوم بهذه العادة فرهن قدراً له وأتى ببعض المآكل قدمها للقابلة وانصرفت واعدة اياه بالمجيء كل يوم لتتم احسانها

٢

أخذ سعيد ينمو يوماً فيوماً وغدا سلوى أبويهِ في بؤسهما ومحط آمالهما وكانت مياومة أبيه لا تقوم بنفقة عياله فحسن لديه أن يُستخدم في كتائب الدرك لينال ثلثمائة قرش مشاهرةً فقدم طلبةُ والتمس تعيينه وساعده على ذلك بعض اهل الخير فعين نفراً وظن أن ما تم له من الخير ناله بيمن طالع سعيد ابنه فأمل فيه خيراً وزادت محبتهُ له وكان احمد حسن المنزع مهذب الاخلاق عُرف بالامانة فاتخذه زعيم الدرك علي باشا وكيلاً على منزله وأحله منه محل الثقة وطفق يحسن اليه والى سعيد ابنهِ وكان قد بلغ السادسة من عمره فظهرت عليه أمارات النباهة وحدة الذهن . وكان للقائد المشار اليه ابنة وحيدة اسمها جميلة هي في السادسة من عمرها كسعيد وقد كان أجتماع سعيد بها في منزل واحد واشتراكهما في العمر سبباً في ارتباطهما برابطة الاخاء المتينة وألف كل منهما أخاه حتى صارا كأخ وأختهِ لا يطيقان افتراقاً

وفي غضون ذلك أدخل الباشا سعيداً الى المكتب الابتدائي فلما بلغ الثانية عشرة من عمره أتم الدراسة الابتدائية وثبتت لدى الباشا كفاءتهُ فأدخله المكتب الاعدادي الملكي بدمشق داخلياً بلا أجرة فجدّ في دروسه حتى تقدم في صفّه واصبح الاول فيه وهو يختلف الى منزل الباشا في اغلب الاحيان وكلما دخل المنزل يشعر بميل لرؤية جميلة ويشتاق اليها كلما غاب عنها فأدرك أن لها مكاناً من قلبه علياً وخُيل له ان يتزوج بها ولكن كان يمنعهُ عن هذا التصور ما بين أبيه وأبيها من تفاوت الطبقة عالماً أن الناس لا يزالون مغرمين بالظواهر وأن الصفة المطلوبة بل الضالة المنشودة في الزوجيـة هي المال والجاه وندر من اهتم بمكارم الاخلاق والتربية الصحيحة ولذلك أيقن انه لا ينال ما تطمح اليـه نفسهُ الا اذا نال جاهاً ومقاماً عظيماً وكان كلما اجتمع بها يرى منها

أمارات الحب والميل اليه ولم يجسر أحدهما ان يبوح لصاحبه بما تكنه الصدور

٣

ألا ان خير الودّ ودٌّ تطوعت   بهِ النفس لا ودّ أتى وهو متعب

حدث ذات يوم أن كانت دار الباشا خاليةً فعزم سعيد على اظهار ما في فؤاده من دواعي الهوى وراح يختلس الفرص ويحادث جميلة ويأخذ معها في اهداب الكلام حتى ساقهما ذلك الى ذكر ايام صباهما ثم تحين المناسبة وقال لهـا : أيخطر على بالك يا تُرى ما كان بيننا مستحكماً من علائق الحبّ والوداد أيام كنا احداثاً ؟ ألا تذكرين ذلك العهد الذي كان بهجة الايام والليالي ورياض الازمنة فكأن الشاعر نظر اليه حين قال :

شهور قد قُضين وما علمنا   بأنصافٍ لهن ولا سِرار

— ألستَ تحبني الآن ؟

— كيف لا أحبكِ ! ولكني لا أعلم ان كنت باقيةً على العهد في الحب او زال أثره من نفسك ذهاب أمس الدابر فان الايام تقلب القلوب

— سلْ قلبك ينبئك عما في ضميري لك

— قلبي يحدثني بمحبتك ولكن لست ادري . . .

وعندها ساد السكوت وانقطعت سلسلة الحديث فلم يتجاسر احدهمـا على الاعتراف بأكثر مما اعترف والموقف حرج . فغير سعيد الموضوع خوفاً من لومها وعتابها وأخذا يبحثان عن المكتب فصار يمدح مستقبله ويشرح آماله ويتعلل بأنهُ سيكون منه رجل عظيم يحرز الرتب العالية والرواتب الوافرة اذا ساعده القدر ولم يخنهُ الحظ

وهنا تم الحديث وانقضت جلستهما التي يصح أن تسمى الاولى وهي الاولى

في شرح الغرام فودع سعيد حبيبتهُ وأليفة صباه وذهب الى مدرستهِ وآمالهُ تسبح به في سماء الخيال وقد أيقن انها شريكتهُ في الحب فارتسمت صورتها أمام عينيهِ في درسهِ وعند ما يخلو بنفسه وكان يذهب في تأويل كلماتها مذاهب شأن من رأى بصيص نور السعادة وكان منها محروماً او تجلت له أمارات الغنى وكان من قبل معدماً

« سل قلبك ينبئك عما في ضميري لك » جملة فاهت بها جميلة فأخذ أليف صباها يقيم العلالي والقصور من الاحلام ويتفنن في تفسير مضمونها على أوجه وبعد أن نثل ما في كنانة علمهِ من فهم المعاني الدقيقة قال يخاطب نفسه : أسألك يا قلب الا ما أطلعتني على ما حوتهُ ضلوعها ؟ فان كان وداً خالياً من الغرام فلست ارضاه اذ لا يجديني نفعاً . ثم راجع نفسهُ فقال ان قلبي يحدثني بأن عندهامني ماعندي منها وان سكوتها يدل على ذلك والسكوت في معرض الحاجة اقرار

ثم ما لبث أن سخر من نفسه وقال : واذ لم تعترف لي بما في فؤادها كيف يسوغ لي أن أحكم بحبها لي على الوجهِ الذي ترمي اليه آمالي ؟ . وأنشأ يفكر فيما يوصله الى معرفة كنهِ امرها من ناحيته فرأى أن يسطر لها كتاباً يستطلعها بهطلع افكارها فبعث اليها بالكتاب التالي :

« سيدتي — ساقتني الجرأة ان أكتب اليك بهذا الكتاب وأنا اخشى ان لا ينال منك قبولاً ولا يكون سبيلاً الى غضبك الذي أعدّه من قواصم الظهور . واني لأود أن يقيم لي عذراً مقبولاً بما يمت به اليك من بيان ما تجنّهُ اضالعي لك من الحب الطاهر . فان قولك يوم اجتمعنا « ان ما في قلبي لك ينبئني بما في فؤادك » قولٌ خليق بالنظر فقد فتشت في سويدائهِ وحناياه فلم أجد فيه لك غير الحب الأكيد مما يدعوني الى تعليق الآمال بما هو اقصى مناي من دنياي وأعني به ان تكوني شريكة حياتي تشاطريني فيها الافراح والاتراح . واني أتقدم اليك اذا رأيت

في رسالتي هذه لحة وجرأة أن تطويها عاذرةً والكريم عاذر واذا وقع كلامي منك موقعاً حسناً فلا تلومي مفاتحتي لك بما في قلبي واعف عني وقني سوْرَة سخطك واكتمي الامر عن الشمس والقمر والسلام عليكِ . . »

ثم طوى الكتاب ووضعه في غلاف وذهب الى منزل الباشا وطلب ان يقابل الخانم الكبيرة ليقبل يديها ويقوم بما اعتاد من تقديم واجباته لها فدعتهُ اليها وسلمت عليه ودعت له بالتوفيق . فاختلس فرصةً في تلك الساعة وألقى الكتاب بيد جميلة فتناولته مرتعشةً وقد احمرّ وجهها ثم اقام هناك هنيهةً وانصرف الى مدرسته

ذهب سعيد فدخلت جميلة غرفتها وأغلقت الباب وأرخت ستور النوافذ وسدت المنافذ والشقوق بحيث لا يراها احد وجلست على كرسي ووجهت وجهها نحو الجدار وأخذت تقرأ الكتاب فاحمر وجهها خجلاً وعلمت انهُ وقع في شراك هواها فارادت ان تتماسك ولا تريه انحلالاً في الاخلاص لعلمها ان بعض الرجال يكرهون زواج من يبحن بسرائرهن في الهوى . فبعثت اليه كتاباً تعيبه به على جرأته وما وقع له من الالماع اليه على أسلة لسانه و بنانه . ولما تلا كتابها أخذ اليأس والخجل يقيمه ويقعده فهجر منزل الباشا زمناً حتى صار اهل بيته يسألون عنه ووقعت جميلة في شر اعمالها وندمت على ما فرط منها من عتابه المرّ الجافي على جرأته الغريبه وأيقنت ان الخوف اقصاه عن غشيان منزل أبيها فكتبت اليه بما يأتي :

« عزيزي : أراك هجرتنا هجراً طويلاً وما عودتنا من قبل ذلك فان كان هذا تناسياً فهو ينافي أملنا فيك وان كان خجلاً من عتابنا فعملك مردود عليك. فتعال اذاً يوم الثلثاء اذ يخلو لنا الدار بتغيب أمي وأبي لابوح لك بذات نفسي ولك مني الف سلام »

ثم طوت الكتاب و بعثت به مع خادمتها الامينة الى المكتب فلما تناوله سعيد كاد يطير فرحاً وأخذ يغوص في بحور الخيال و يسبح في فضاء الاماني الى ان اقبل اليوم المضروب للاجتماع فاحتال على مدير المكتب ونال منـه رخصة بالخروج ذلك

اليوم فخرج مهرولاً نحو منزل حبيبته . فلما دخل عليها سلم سلام المتلعثم وهو لا يدري ما يقول فاحسنت استقباله بوجه يفتر سروراً ويطفح بشراً واخذت تلاطفه بالكلام وتقول كيف يخطر لك ان أسطر في الورق ما يخالج قلبي لك من الحب وليت شعري ماذا يكون حالنا لو وقع الكتاب في يد من يأتي به أبي ومن يشفع فينا عندئذ ؟ . فسكن روع سعيد وما جاش به من الجأش وعلم علم اليقين انها لم تجسر على مفاتحته فقال لها :

الآن حصحص الحق وعلمت مكانتي منك فهل تتنازلين لقبولي رفيقاً لك في حياتك غير ناظرة الى فقري وقلة جاهي وتكتفين بمكارم أخلاقي وآدابي وتعتمدين صدقي وفرط ودي وتثقين بان حياتي ستكون وقفاً على ما فيه رضاك

فقالت انت تعلم ان امر زواجي ليس بيدي ولو خيرت لما اخترت سواك . على اني أستطيع رد كل من يطلبني غيرك وأنا عالمة بشدة بأس ابي فكن في أمان من اني سأبذل الوسع لاظل عانساً ريثما تنجز سني دراستك ولعلك تنال مقاماً يبلغك أمانيك فأعطيك هذا الوعد وسأثبت عليه مهما كلفني من العذاب والهوان

— أنا أعلم منزلتي وان لا سبيل الى طلبك ولكن ما يخالج قلبي من الاماني يدفعني الى القول باني بعد ما أتم دروسي التجهيزية سأذهب الى الاستانة وادخل في احدى المدارس الكبرى فانال عند خروجي منها بعد نيل الشهادة منصباً يهيئ لي مستقبلاً جميلاً اكون جديراً بك ويسوغ لي طلبك من أبيك

— نعم ما قلت وفكرت فليس لك عندي سوى النصيحة ان لا تتأخر عن الجد في التعليم لئلا تقعد ملوماً محروماً واسع جهدك ولا ريب عندي انك ستحرز مقاماً يليق بنفاذ بصرك وبصيرتك ومكارم أخلاقك وسمو آدابك واياك ان تقلبك الايام فتنسى ما قر عليه قرارنا الآن واوصيك بالثبات على الوعد ولو بُليت بانواع العذاب

وهنا أقسم لها بكل محرجة من الايمان وتحالفا على ان لا يخلا بالوعد وتفارقا على اللقاء ولو بعد حين

البقية تأتي

المقتبس

الجزء الثاني من المجلد الثاني

صفر سنة ١٣٢٥ الموافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

امبرسون

١٨٠٣ - ١٨٨٢

يظن بعضهم ان العالِم اذا بثّ فضل علمهِ والاديب اذا نشر آثار أدبهِ والاخلاقي اذا علّم الحكمة لاهل جيله وقبيلهِ وصاحب الدعوة أو النزعة اذا نفخ في الناس من روحه ولم يظهر للعيان في الحال أثر مما قصدوا له ووقفوا نفوسهم عليه وانفقوا نقد أعمارهم على خدمتهِ يعدون في الخائبين الخاسرين وان العمل اذا لم يُنتج لاول الامر لايُعد صاحبه رجلاً مذكوراً ولا عمله مبروراً مشكوراً كأن يطلبون من الغرس ان يثمر في يومه ومن الطفل ان يكبر بانفصاله عن أحشاء أمه وفاتهم ان لكل عمل عمره ولكل مؤثر أثره والله لا يضيع عمل عامل.

يكاد يوقن كل ناظر في الحضارة الغربية وباحث في تاريخها منذ مئتي سنة انها ترمي بالتدريج الى ان تكون حضارة مادية بحتة لا ينظر فيها لغير الابيض والاصفر وان اهل الغرب على اختلاف أصقاعهم وحكوماتهم لا يحيون ولا يريدون ان يحيوا

الا الحياة المادية ولا تراهم الا زاهدين في الحياة الادبية أو الروحية . فعلى نسبة غنى المرء عندهم وكثرة ذهبه تزداد حرمته والاعجاب به وكلما استحل أكل مال الضعيف وتفنن في هضم حق الفقير ولو تحت ستار الاحتكار أو الاستعمار أو الشركات والمضاربات عُدَّ من ارباب العقول والمضاء وهذا من عيوب هذه المدنية الاوربية وما نخال ان الحال كانت كذلك على عهد الحضارة الاسلامية

الحياة المادية تكاد الآن تتغلب في كل بلد من المعمور على نسبة دخول نور العلوم وفضلات التمدن الحالي وتشهدها على اتمها في الولايات المتحدة الاميركية لان جميع أهلها من المهاجرين من أقطار العالم في طلب الرزق وقلَّ فيهم مثل المهاجرة الأوَل الذين هاجروا اليها فراراً بنفوسهم من ظلم الحكومات الاوربية فتكوّن منهم والله اعلم على ما طبيعة تلك المملكة الضخمة من الخصب واسباب الثروة التي لم يجتمع مثلها لمملكة أقوام يحلمون بالدولار ويحيون به ويموتون في حبه ويفضلون كل شيء على مثاله ويسعون بكل ما يمكن الى نيله ولا يفكرون في غيره من الحياة الادبية التي لو نزعت من أمة لزالت عنها سعادتها وغبطتها ونماؤها

ولقد كان أول من دعا من حكماء تلك الديار الى الاقلال من هذا التكالب الضار والجمع بين حب الذهب وحب الادب صاحب هذه الترجمة اميرسون حكيمها وعالمها العامل.دعا الى ذلك واهل طبقته من المفكرين في أمته فاثرت دعوته في بعض النفوس تأثيراً نظرياً ولكن لم تظهر آثارها العملية حتى الآن على ان كثيراً من زعماء الافكار وحملة العلم فيهم يتوفرون اليوم على قتل تلك الروح المادية ومحاربتها للتخفيف من شرر شرورها وفي طليعتهم الرئيس روزفلت[١] داهية الارض وعالم القياصرة والامبراطرة وأعقل المالكين من المطلقين والمقيدين

نشأ اميرسون في حجر الدين وكان أبوه رئيساً دينياً من شيعة الموحدين[٢]

---

(١) المقتبس ص ٢٧٩ م ١

(٢) الموحدون *Les Unitaires* هم شيعة من شيع البرتستانت ينفون التثليث ويقولون بوجود

فانصرف في أول أمره الى احتذاء مثال والده في الوعظ والارشاد ونال وظيفته في كلية هارفرد الجامعة فدرس فيها علم اللاهوت وغدا واعظاً موحداً في احدى بيع بوستون الا انه لم يلبث ان تخلى عن هذه الصناعة وذهب الى بلدة كونكورد[1] سنة ١٨٣٥ ينقطع للتعليم والالقاء على سبيل المذاكرات العامة والى تأليف الكتب وانشاء المقالات في المجلات وأسس لنفسه مجلة دينية فلسفية سماها الكمال وكانت تآليفه لاول عهده فلسفية محضة ولما زار انكلترا سنة ١٨٤٨ ورأى اهل العالم القديم وما عندهم من آثار وأمصار تنبهت فيه القوى النفسية فوضع تأليفاً كان سبباً لان لُقّب به « كارلايل أميركا » تكلم فيه على كثير من كبار الرجال ممن بلغوا مراتب الكمال على نحو ما تكلم كارلايل الانكليزي في كتابه « الابطال وعبادة الابطال » . ومن جملة كتب اميرسون التي تأفّقت بها شهرته كتاب سماه « الخُلُق الانكليزي » درس فيه أخلاق الامة الانكليزية من الوجه الاجتماعي والادبي وشرح فيه على أحسن طراز وألطفه واوضح أسلوب وانفعه الاسباب التي نجم عنها مجموع النقائص والعيوب التي يتألف منها الخُلُق البريطاني .

كان اميرسون كاتباً وشاعراً وهو الى الكتابة أميل وفيها امتن وارصن . منقطع القرين في سلاسة التعبير ولطف الاداء والتصوير مما كاد يبلغ به حد الاعجاز في لغته.

واحد أحد . وينزل أكثرهم في مقاطعة الماساشوست في الولايات المتحدة و بعضهم في انكلترا ومذهبهم أشبه بمذهب سوسين الايطالي القائل بعدم ألوهية المسيح والنافي ان فيه سراً الهياً . وربما كان عددهم يربو على مليوني نسمة . جاء في معجم القرن التاسع عشر الكبير للاروس : والموحدون أكثر شيع البرتستانت حرية فهم ولا جرم أكثرهم انصباغا بصبغة الديمقراطية كما ان شيعة الكواكز اكثر الشيع البرتستانتية احساناً وحناناً وعطفاً على القانع والمعتر ولكنهم أي الموحدون يكثرون من تغيير الكتاب المقدس

(١) احدى مدن الماساشوست الصغيرة لايتجاوز سكانها الخمسة آلاف وهي من أجل البقاع تحلو النزهة بنهرها العذب الصافي وغاباتها اللطيفة ولذلك اختارها كبار أهل العلم والأدب من الاميركان سكناً لهم وفيها الآن ماري ادي صاحبة ديانة العلم المسيحي واليها يحج اشياعها

وكان حكيماً مفكراً واخلاقياً عظيماً . قيل ان الوحدة التي مال اليها اميرسون وسعة العيش التي انقذته من الهموم الخارجية اتاحتا له ان يكون منه في القرن التاسع عشر رجل شبيه بمونتين في القرن السادس عشر هذا كاثوليكي وذاك برتستانتي . فأميرسون حكيم كمونتين وشارون الحكيمين الفرنسويين وشكسبير الشاعر الحكيم الانكليزي . ولقد أولع بدرس كتب مونتين ثم انتقل الى الاخذ من كتب شكسبير فهو مثلهما باحث من النظار وهو مثلهما في الابداع والعمل بما في فطرته بعيد الغور حسن التعليل جيد النقد نافذ البصيرة خالص من شوائب التقليد .

قال مترجموه انه جمع جميع الادوات التي تطلب للفلسفة ولم يتيسر له ان يحيلها الى طريقته . ومما امتاز به نقده احوال عصره لان طرق الحكومات الجمهورية تهلك الفرد في سبيل الجماعة فقام اميرسون وناهض في عصره هو وكبار ارباب العلم من اهل حلقته المتشبعين بافكاره امثال وتوروالكوت وشاننغ وفرانك سانبون(١) وغيرهم المتكالبين على الغنى المستحلين للمطامع . وقام يقول للفرد : اعتقد بما يوحيه اليك قلبك . ورأى ان الصناعات تقضي على عالم الكمال فأنشأ يقول ان العالم لا يحيا حياة طيبة رغيدة الا اذا نبذ الانانية وطهّر حياته من الشهوات البدنية ليبلغ الزلفى من رب العباد براً تقياً. فاميرسون هو صاحب الفلسفة المعنوية التي تدعو الى المعارف والآداب *Transcendan ta lisme* وقد وصفته مجلة بلاكوماكازين بقولها : « كان اميرسون من اسجح الناس خُلُقاً وأوسعهم علماً وأحسنهم رأياً واسمحهم فكراً وآلفهم بالفطرة واخلصهم من الاوهام المائجة المتغيرة ليس له نظرية يحيد عنها ولا طريقة يصعب الاخذ بها ولا ارب في القبض على قياد أحد . يطلب للمرء ان يكون لنفسه وان لا يعتمد الا عليها وان يوقرها ويحترمها على مثال كبار الرجال ممن لهم ما له وعليهم ما عليه . فان قام اميرسون بمبدإ

(١) حدثني صديقي أمين ريحاني ان سانبون لايزال حياً وقد زاره في مدينة كونكورد وهو شيخ كبير بعد آخر اشياع اميرسون وتلاميذه قال وقد أراني دار اميرسون وغرفة كتابته وهي الآن محفوظة على حالها يوم كان اميرسون حياً تزار للفرجة عليها

عام استنتج من فلسفته أو تصور انه أتى امراً جديداً لم يسبق اليه سابق فهو انه دعا الى اعادة الانسان الى شرفه في نظر أخيه والاهابة بالناس الى الغيرية وزحزحتهم عن الانانية ليكون المرء كبيراً في نفسه معتمداً عليها مستقلاً كل الاستقلال في افكاره وافعاله وهذه هي الشروط الحقيقية في القوة الشخصية والخير الاجتماعي

وما نرانا مخطئين لو عقلنا ان فلسفة اميرسون النظرية تتعاصى على التحليل فيقتضي حلها بحسب ما يوحي اليه وحي الوقت وان يرجع الى حلها في مشاكل المسائل المتعلقة بما وراء المادة واذا تعاورتها بالحذف والتنقيص تُفقدها رُواءها وتضيع سناها وسناءها فعليك يا هذا ان تقبلها على علاتها وتشربها على كدوراتها اذ ان حسنها ان تبقى على رسمها كما صدرت عن ابي عذرتها وهو يسير في الفلوات ويصعد الآكام والعقبات ويوغل في الحراج والغابات ويمليها بحسب ما تنزل عليه من السماء ويستنشقها من الهواء ويسمعها من حفيف الاوراق ويتناولها من أرج المروج الخضراء ويقرأوها في سطور المسايل والتيار . فان انت حذفت منها اضطرابها وارتخاءها وتلون صورها ولهجاتها وارتجالها ومواضع الوقف فيها تُصاب بآفة وعاهة . ولذا كان علينا ان نقبل تعاليم اميرسون بالحرف بدون ان نغير منها شيئاً فهو ابن الوحدة والتأمل »

شعراء النصرانية في الجاهلية

عُني حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منذ برهة باظهار فضل شعراء النصرانية في عهد الجاهلية وهو نعم العمل لو توخى في ذلك صراط الحق واتبع سنن التاريخ المسنون نقلاً ورواية . الا انه حفظهُ الله قد أخذ على نفسه امراً هو في غاية الصعوبة والعنت ألا وهو تنصير بعض شعراء الجاهلية ممن لم يكن لهم من النصرانية حظ . فلا غرو انه يعد هذا العمل من قبيل تنصير من كان على الضلال مبتغياً بذلك القربى والزلفى من رب العباد واكتساب الاجر والثواب في الدنيا والمآب . غير انك

هذا من جهة السموأل والا فان حضرته قد نصر ايضاً غير هذا من الشعراء ما قد اذّخر له أجراً مذكوراً لا يفنى ولا يزول اذ لا تمد اللصوص اليه يدها كما ان السوس لا يتعرض له . من ذلك انه نصر في الجزء الاول من كتابه « شعراء النصرانية » هؤلاء الواردة اليك اسماؤهم مرتبة على حروف المعجم :

الاخنس بن شهاب . أعشى بن قيس . الافوه الاودي . أفنون . امرؤ القيس وأعمامه . أمية بن أبي الصلت . بسطام بن قيس الشيباني . جساس بن مرة . جليلة . جحدر بن ضبيعة . الحارث بن حلِزّة . الحارث بن عباد . الخِرْنِق أخت طرفة . سعد بن مالك البكري . السفاح التغلبي . سُوَيد بن أبي كاهل اليشكري . طرفة . عبد يغوث . عمرو بن قميئة . عمرو بن كلثوم . عميرة بن جُعيل التغلبي . الفند الزماني كليب . وائل بن ربيعة . المتلمس . المثقب الفندي . المرقش الاصغر . المرقش الاكبر . المسيب بن علس . المنخّل اليشكري . المهلهل أخو كليب

ونصر في الجزء الثاني : الاسود بن يعفر . ذا الاصبع العدواني . أوس بن حجر الحصين بن حمام . دريد بن الصمة . الذبياني . الربيع بن زياد . زهير بن أبي سلمى المزني . زيد بن عمرو بن نُفَيل . سلامة بن جندل . عُبَيد بن الابرص الاسدي . عروة بن الورد . علقمة الفحل . عنترة العبسي . كعب بن سعد الغنوي

ولعلك تظن ان عمله المبرور يقف عند حد تنصير الافراد فاربع على ظلعك فقد نصر أيضاً عدة قبائل وبطون مما يدل على غيرته . فعنده كندة ومذحج وطيء وتغلب وقُضاعة وايان وبكر وتميم ومُزَيْنة وأسد وكنانة وعُدوان وذُبيان وغني وهوازن وعبس كلهم نصارى لا غير ولا غرو انهم تلقوا الايمان القويم عنه عند قدومه الى العالم واسماعه اياهم صوته وهم في القبور

على انك لو وقفت على سرّ دعائه هؤلآء الاقوام الى دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لاستغرقت في النوم والاحلام الا اني لا أريد أن أطلعك بنفسي

على هذا السر الغريب بل أجتزئ بان أورد لك بعض الشواهد لتقف أنت بنفسك عليه بدون أن أبوح لك به ليكون كل الفضل لك

قال مثلاً في المشرق ٧ : ٦٢٠ « قال طخيم بن الطخماء يمدح بني تميم :

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق » اه

قلت : ان الكلمات التي قدّمها على هذا البيت وصدّره بها يوهم ان تميماً كلها كانت نصارى . والحال ان الحق هو على غير هذا الوجهِ فان الشاعر مدح « بعضاً » من تميم . قال في الكامل ١ : ٢٦ (من الطبعة المصرية) ماهذا حرفهُ : قال أبو العباس : ومن سهل الشعر وحسَنهِ قول طخيم بن أبي الطخماء الاسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة من بني امريء القيس بن زيد مَنَاة بن تميم . ثم من رهط عديّ بن زيد العبادي :

كأن لم يكن يومٌ بزورةَ صالحٌ وبالقصر ظلٌّ دائمٌ وصديقُ

بنو السمط والحَدّاء كل سميذع له في العروق الصالحات عروقُ

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ

اه المقصود من ايراده . وعلى هذا الوجهِ أيضاً جاء النظم المذكور في معجم ياقوت في مادة زورة ٢ : ٩٥٧ فكيف صير اذاً جميع بني تميم نصارى وفيهم الوثنيون والمجوس واليهود والثنويّة والنصارى الى غير ذلك من الاديان ؟ فلا جرم أن حضرة الاب واهمٌ في قوله هذا بل موهم !

ومن غريب أمره أنهُ من بعد أن نصَّر تميماً قال بعد صفحات من قوله المذكور في بني تميم كلاماً هذا نصهُ بحرفهِ : « وعلى ظننا أن الذين هجوا بني حنيفة لأكلهم ربهم وقت المجاعة انما أرادوا القربان الاقدس . كان بنو حنيفة النصارى يتناولونهُ فظن الشاعر أن ذلك لجوعهم قال بعضهم :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحُّم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العقوبة والتباعه

وقال الآخر :

أكلت ربَّها حنيفةُ من جو ع قديمٍ بها ومن اعواز

(اه عن المشرق ٧ : ٦٢٢)

قلنا : ان الذين هجوا بني حنيفة هذا الهجو كانوا من تميم (عن الآثار الباقية ص ٢١٠) فاذا كان الاب يزعم أن بني تميم كانوا نصارى وكان بنو حنيفة أيضاً نصارى فكيف يُعيّر الواحد الآخر بشيء هو فيه ؟ أما تحرير الرواية فهو ان « بعض » بني حنيفة (لا كلهم) كانوا نصارى وهم الذين كانوا يكونون في رُصافة هشام المعروفة باسم الزوراء والا فان سائر بني حنيفة كانوا على أديان مختلفة حسب البلاد التي كانوا يكونون فيها . والذين أشار اليهم الشاعر هم الذين كانوا قد اتخذوا صنماً من حَيْس (والحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيُعجن ويُدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندر منه نواه وربما جُعل فيه سويق . ولم يكن من الخبز قط) . قال في الآثار الباقية ص ٢١٠ : كان بنوحنيفة قبل مُسيلمة اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيس فعبدوه دهراً . ثم أصابتهم مجاعة فقال رجل من بني تميم : أكلت ربها . البيت . وقال آخر : أكلت حنيفة . البيت . فاين هذا مما ذهب اليه حضرة الاب ؟ فلا جرم أنهُ واهمٌ بل موهِم

وقال حضرتهُ في المشرق ٧ : ٦٢١ « وكان المتنصرون من أهل الجاهلية يعبدون الصليب كما دل عليه بعضهم في هجو بني عجل وكانوا نصارى :

تهدّدني عجلٌ وما خلت انني خلاةٌ لعجل والصليب لها بعلُ » اه

قلنا : ولم يكن بنو عجل كلهم نصارى بل « بعض » منهم . والا فان أغلبهم كانوا على الوثنية دين دهماء العرب لا النصرانية كما يريد الأب أن يوهمهُ . اذ بنو عجل كانوا من بكر بن وائل ووجود الوثنية في بطون بكر أمرٌ لا يحتاج الى ايضاح

وقال أيضاً في المشرق ٧ : ٦٢٤ « وقال الزِّبرقان بن بدر :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منا القروم وفينا تنصب البِيَعُ » اه

فأدخل وهمين في هذا الكلام . أولاً جعل الزبرقان من النصارى كما أوضح ذلك بين العبارة في شرح المجاني ص ١٣٥ اذ قال : « كان (الزبرقان) في الجاهلية سيداً يدين بالنصرانية وهو القائل :

نحن الملوك فلا حيّ يقاومنا فينا العلاء وفينا تنصب البيَعُ

وفَدَ مع بني تميم على نبيّ المسلمين سنة ٩ هـ ٦٣١ م فاسلم بنو تميم وأجازهم محمد » اه المقصود من ايراده

والحال ان الزبرقان لم يكن هنيهةً من الزمان نصرانيًّا فلو سلمنا له ان رواية البيت « وفينا تنصب البيَع » صحيحة لكان لفظ « البيع » هنا جمع بيعة بكسر الاول مثل الحِلبة والرِّكبة للنوع والهيئة . والمراد مبايعة الملوك وطاعتهم والمعاقدة على ولائهم والمعاهدة عليه كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبهِ وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره . ومحصل معنى البيت على هذا هو : نحن الملوك والكرام أو القروم وفي شأننا تجري عقود البيعة لا مستحق لها غيرنا . وهذا معنى يلائم ما قبله وما بعده ويمتزج معها امتزاج الماء بالراح لا أن البيَع جمع بيعة وهي كنيسة اليهود أو النصارى على ما ذكره أهل اللغة فانهُ مع عدم ملائمتهِ للكلام منافٍ لما صرح به أهل المقالات ومن تكلم على أديان العرب . والدليل اذا طرقهُ الاحتمال بطل به الاستدلال

على ان للبيتَ رواية ثانية ذكرها صاحب الاغاني ٤ : ٨ وهي :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

وفي زاد المعاد وقد ذكر القصة مفصلة في الصفحة ٤٥٢ من الجزء الثاني رواية ثالثة وهي:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا يُنصب السبُعُ

وفسر السبع انه يوم عيد من أعياد الجاهلية . فكيف يقول ان الزبرقان كان نصرانياً وأي كاتب من الكتبة الاقدمين أو المحدثين يقول بهذا القول الفج والبراهين متضافرة ومتكاتفة ومتساندة على كونهِ خالياً من دين عيسى بن مريم

والوهم الثاني الذي حاول ادخاله في العقول هو تأييد بني تميم أنهم كانوا كلهم على النصرانية . وهو يزعم ذلك في جميع ما يكتبه فقد قال في المشرق ٧ : ٦١٨ « اشتهرت (عدة قبائل) بالنصرانيـة قبل الهجرة كتغلِب وتميم وكندة » اه . فنحن نقول : «انه لم يوجد في عهد الجاهلية قبيلة واحدة كان يدين جميع أفرادها بالنصرانية لا كندة ولا تميم ولا بكر ولا تغلب لا بل ولا غسان » فان هذه القبائل كانت أحياء وبطوناً تعبد الاصنام أو كانت على غير النصرانية فقد بينا لك ما كانت عليهِ غسان من اختلاف الاديان . وهذه تغلب المشهورة بكونها نصرانية فانها لم تكن كذلك في عهد الجاهلية

أما كون بعضها كان يعبد الاصنام فهذا ما لا ريب فيه . قال ياقوت في معجمه في مادة أُوال (١ : ٣٩٥) « أُوال اسم لصنم كان لبكر بن وائل وتغلب بن وائل » اه . وكانت تغلب من ربيعة وكانت تلبية ربيعة عند وقوفها عند صنمها هذه : لبيك ربنا لبيك . لبيك ان قصدنا اليك . وبعضهم يقول : لبيك عن ربيعة . لربها مطيعة . اه عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٦ ولم تكن التغالبة ممن كانوا يعبدون الاصنام عبادة بدون ان يعتقدوا بصحتها ولذا تراهم يحلفون بها . ومن ذلك كلام جساس حينما سأله أبوه مرّة بعد قتله لكليب : « ما وراءك يا بنيّ ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصاً . قال : أقتلت كليباً ؟ . قال : إي وأنصاب وائل وأيّ قتل » . (عن كتاب شعراء الجاهلية ١ : ١٥٥) وبهذا المعنى حلف ايضاً المهلهل أخو كليب وكان وثنياً اذ قال

كلا وأنصابٍ لنا عاديَّةٍ معبودةٍ قد قطعت تقطيعا

قال صاحب الضياء مفنداً حضرة الاب لويس شيخو وقد أجاد : « الانصاب : الاصنام أو كل ما عُبد دون الله وفسرها جامع الكتاب بانها كانت حجارة ينصبونها في الجاهلية ويُهَلّ عليها ويُذبح لغير الله تعالى . قال : ويقي منها بعضها بعد تنصُّر ربيعة وكان الجهال من العرب يعبدونها . اه . وكأنهُ ظن أن هذا القول يثبت نصرانية

المهلهل ويخرجهُ من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع أن الرجل يحلف بها ويصرّح بانها « معبودة » ولا يُعقل أن أحداً يحلف بمعبود غيره اذا كان يعتقده باطلاً . وزد على ذلك أنه يقول : وأنصاب « لنا » بضمير المتكلمين فجعل نفسه في جملة أصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعادية » أي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومه وان هذه العبادة انتهت اليه عن أسلافه الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الاب كلما عثر على من شُكّ في دينه أو جُهل أمره عده نصرانياً تكثراً بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءه طائل » اه (الضياء ٥ : ٢١٨)

ثم أيجهل حضرة الاب ان من التغالبة من اتبع سجاح بنت الحارث بن سويد ابن عقفان المتنبئة فليراجع الطبري١ : ١٩١١ يرَ انهم تركوا التنصر مع رئيسهم الهذيل ابن عمران وانضووا اليها . وعليه فلم تكن كل تغلب نصارى الباقي للآتي

بغداد أحد القراء

تسامح العظماء

تابع ماقبله

اتصل ثابت بن قرة الحراني بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين وأقطعه ضياعاً جميلة وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابي وهو ممن حظي عند الامراء ايضاً : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نتر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جداً فلما نتر يده من يد ثابت قال له: يا ابا الحسن وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت

عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يعلون .

وكان سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر وخدم ايضاً بصناعة الطب الراضي بالله . وكان ابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في خدمة الراضي بالله ايضاً وخدم بصناعة الطب المتقي بن المقتدر بالله والمستكفي بالله والمطيع لله . واتصل ابو الحسن الحراني ثابت بن ابراهيم بن زهرون بعضد الدولة وكان له منه الجاري السني . وكان غالب طبيب المعتضد بالله وكان أولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل وارتضع سائر أولاد المتوكل من لبن اولاد غالب فكان يسَرُّ بهم فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوَّله وأغناه وكان له مثل الوالد وعالج الموفق من سهم كان اصابه في ثندوته وبرأ فأعطاه مالاً كثيراً وأقطعه وخلع عليه وقال لغلمانه من اراد اكرامي فليكرمه وليصلْ غالباً فوجَّهَ اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ووجه اليه سائر الغلمان مثل ذلك وصار اليه مال عظيم ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى مماليك فمن اسلم منهم اجري له رزق وترك ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب وكان عدد من أنفذ اليه سبعين غلاماً أزمة وغيرها فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب : أيُّ شيءٍ أعمل بهؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق فقال : هؤلاء يستغرقون مال ضيعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه الحرسيات وكانت ضياعاً جليلة تغل سبعة آلاف دينار وأوعدها له بخمسين الف درهم في السنة وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان مكيناً عنده حظياً في ايامه وكان المعتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته

وخدم ابو عثمان سعيد بن غالب المعتضد بالله بصناعة الطب وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه والانعام عليه . وعوّل الملوك على صاعد بن بشر في العلاج ولطالما حصل له مال عظيم وحشمه الخليفة ووزيره وزكاه وقدمه على جميع من كان في زمانه . وكذلك ديلم داود بن ديلم خدم هذا المعتضد بالله في الطب وخُصَّ به فكانت التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لمحله منه ومكانته وكان يتردد الى دور المعتضد وله منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . ومنهم ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي كان منقطعاً الى الوزير علي بن عيسى . ومنهم عيسى طبيب القاهر كان عمدته ويركن اليه ويفضي اليه باسراره . وكان اسحق بن شليطا خادماً بالطب للمطيع لله . وفنون المتطبب كان يختص بخدمة بختيار ويكرمه ويعده امراً عظيماً . ونظيف القس الرومي استخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي انشأه ببغداد وخلع عليه خلعاً سنية . وكذلك ابو غالب بن صفية تقدم في زمن المستنجد بالله والمستضيء بأمر الله . وكذلك امير الدولة بن التلميذ من رجال المستضيء بامر الله وبلغت به الأنفة والغنى انه كان لايقبل عطية الا من خليفة أوسلطان ، مدحه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل والشريف ابو يعلى محمد بن الهبارية العباسي بقصيدتين غراوين وذكرا افضاله وكماله كما مدح الشريف الرضي ابا اسحق الصابي كثيراً وكانت بينهما مودة اكيدة . وكذلك مدحه الطغرائي وابن جكينا وغيرهما كما مدح الشريف ابن الهبارية ابا الفرج يحيى ابن صاعد بن التلميذ من أسرة امير الدولة وكان له « جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب »

ومنهم اوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي اليهودي كان في خدمة المستنجد بالله . ومنهم ابو الخير المسيحي طبيب الناصر لدين الله . وابن نصر بن المسيحي حظيّهُ أيضاً امره هـذا الخليفة عقيب برئه من مرض على يده ان يدخل دار الضرب ويحمل من الذهب مهما قدر أن يحمله ففعل به ذلك ثم أتتـه الخلع والدنانير من أمّ الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي والوزير نصير الدين أبي الحسن بن مهدي العلوي الرازي ومن سائر كبار الامراء بالدولة فحصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ومن الثياب والخلع جملة وافرة وألزم الخدمة وفرضت له الجامكية السنية والراتب والاقامة . وكان ابو الفرج صاعد بن هبة الله ابن توما طبيب نجم الدولة ابي اليمن نجاح الشرابي وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكاتبه ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في اوقات امراضه ثم حظي عنده الحظوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها وكان بين يديه فيها عدة دواوين وكتّاب قال ابن القفطي : انه كان بمنزلة الوزراء واستوثقه الناصر على حفظ اموال خواصه وكان يودعهاعنده ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهر له في كل وقت

وخدم ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل المسيحي بالدار العزيزة الناصرية الامامية وتقرب قرباً كثيراً . وكسب بخدمته وصحبته الاموال وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . ووصل ابو الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار بالطب الى ان قبـل له محمود الملك الارض وكان الملك محمود عظيماً جداً .وتقدم ابو سهل المسيحي عند سلطان خراسان . وأجرى

الرشيد على منكه الهندي رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . وخدم اسحق بن سليمان الاسرائيلي الامام ابا محمد عبيد الله المهدي صاحب إفريقية بصناعة الطب . وكان يحيي بن اسحق الطبيب في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله الاندلسي واستوزره وولي الولايات والعمالات وكان قائد بطليوس زماناً وكان له من الناصر محل كبير كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وهرون بن موسى الاشبوني خدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب واسحق بن قسطار من أحبار اليهود خدم بالطب الموفق مجاهداً العامري وابنه اقبال الدولة علياً . وحسداي بن اسحق من أحبار اليهود ايضاً خدم بالطب الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله . وكان ابن بكلارش يهودياً من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وخدم بها بني هود

وحظي بليطيان الطبيب بطريرك الاسكندرية على النصارى الملكية في أيام الرشيد ووهب له مالاً كثيراً وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية مما أخذوها وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة . وخدم ابراهيم بن عيسى بالطب الامير احمد بن طولون وكذلك سعيد بن توفيل . وكان اسحق بن ابراهيم بن نسطاس في خدمة الحاكم بامر الله ويعتمد عليه في الطب . وكان موسى ابن العازار في خدمة المعز لدين الله العلوي وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب وكان جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره واغتم المعز لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق . وكان ابو الفتح منصور بن سهلان بن

مقشر طبيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز ايضاً يستطبه ويرى له ويحترمه وكان متقدماً في الدولة الفاطمية . وكان الحقير النافع من أطباء الحاكم الخاص وكان ابن مقشر مكيناً في الدولة الفاطمية حظياً عند الحاكم بلغ منه أعلى المنازل وأسناها وكان له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة ولما مرض ابن المقشر عاده الحاكم بنفسه واطلق لمخلفيه مالاً وافراً

وخدم أفرائيم بن الزفان الخلفاء الذين كان في زمانهم بمصر وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيئاً كثيراً . وكان ابن جميع الاسرائيلي من أطباء الملك الناصر صلاح الدين وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر نافذ الامر يعتمد عليه في صناعة الطب . وخدم ابو البيان بن المدور الخلفاء المصريين في آخر دولتهم ثم خدم صلاح الدين يوسف وكان يرى له ويعتمد على معالجته وله منه الجامكية الكثيرة والافتقاد المتوفر وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف فاطلق له الناصر في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه ويكون ملازماً لبيته ولا يكلفه خدمة وبقي على تلك الحال وجامكيته تصل اليه نحو عشرين سنة . وكان الرئيس بن هبة الله الاسرائيلي من خدمة الخلفاء المصريين بالطب وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتوالية . وخدم الموفق بن شوعة الاسرائيلي الملك الناصر بالطب لما كان بمصر وعلت منزلته عنده. وممن حظي في أيام هذا ايضاً وأيام أخيه الملك العادل ابي بكر بن أيوب ابو المعالي بن تمام اليهودي. وكان السلطان صلاح الدين ايضاً يرى لابي عمران الرئيس موسى الاسرائيلي ويستطبه وكذلك ولده الافضل علي وهو الذي يمدحه القاضي

السعيد بن سناء الملك بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده وطب أبي عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمه لابراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبه لتم له ما يدعيه من التم
وداواه يوم التم من كلف به وأبرأه يوم السرار من السقم

وكان ابراهيم بن الرئيس موسى في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب . وكان ابو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة الطبيب حظياً عند خلفاء مصر . وكذلك ابنه ابو سعيد بن ابي سليمان جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك المعظم واكرمه غاية الاكرام وأمر أن لا يدخل قلعة من قلاعه الا راكباً مع صحة جسمه فكان يدخل في قلاعه الاربعة كذلك وهي قلعة الكرك وقلعة جعبر وقلعة الرها وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بالطب ايضا الملك الناصر والملك العادل . وكان ابو شاكر بن ابي سليمان مكيناً عند السلاطين جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة وتمكن عنده التمكين الكثير ونال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها ولم يزل يفتقده بالهبات الوافرة وكان الملك العادل يعتمد عليه وكان يدخل في جميع قلاعه وهو راكب . وكان ابو الفضل بن ابي سليمان طبيباً للملك المعظم في الكرك ثم خدم الملك الكامل . وكان عيسى الرقي المعروف بالتفليسي في خدمة سيف الدولة بن حمدان يأخذ أربعة ارزاق رزقاً بسبب الطب ورزقاً بسبب النقل ورزقين بسبب علمين آخرين . وأنعم صلاح الدين على سكرة

الحلبي المتطبب وخلع عليه وأقطعه اراضي مؤبدةً

وخدم موفق الدين بن المطران بالطب الملك الناصر صلاح الدين وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عندهُ عظيم الجاه وكان يتحجب عندهُ ويقضي اشغال الناس ونال من جهته من المال مبلغاً كثيراً قال ابو الظاهر اسمعيل وكان يعرف ابن المطران ويأنس به : ان العُجب والتكبر الذي كان يغلب على ابن المطران لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم وقال انه كان يراهُ في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان وهو في ركبة حفلة وحواليهِ جماعة كثيرة من المماليك الترك وغيرهم فاذا قرب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يدهِ أو تحت ابطهِ ولم يترك احداً من الغلمان يصحبه ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم عليه ويقعد بين الجماعة وهو بكيس ولطف الى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليهِ ثم انه اسلم فزوجه صلاح الدين احدى حظايا داره وترقت حاله عند سلطانه الى ان كاد يكون وزيراً وحصلت له اموال جمة من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم وتنافسوا في العطاء له

وممن خدم صلاح الدين ايضاً بالطب ابو منصور النصراني وابو النجم النصراني وابو الفرج النصراني وخدم هذا الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين ثم صار أولاده خدمة اولاد الملك الافضل. وخدم ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي بالطب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين وكان يعتمد عليه وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري . وكان

عمران الاسرائيلي حظياً عند الملوك واعتمدوا عليه ونال من جهتهم الاموال الجسيمة والنعم التي تفوق الوصف ولم يخدم احداً من الملوك في الصحبة ولا يقيد معهم في السفر وحرص به الملك العادل بان يستخدمه في الصحبة فما فعل وكذلك غيره من الملوك

وكان موفق الدين يعقوب المسيحي خدم الملك المعظم عيسى وصار معه في الصحبة وكان حسن الاعتقاد فيه حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها وقصد الملك المعظم ان يوليه بعض تدبير دولته والنظر في ذلك فما فعل واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجليه نقرس وكان يثور به في اوقات ويألم بسببه وتعسر عليه الحركة فكان الملك المعظم يستصحبه في أسفاره معه في محفة ويفتقده ويكرمهُ غاية الاكرام وله منه الجامكية السنية والاحسان الوافر

وخدم صدقة السامري بالطب الملك الاشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وبقي معه سنين كثيرة في الشرق وكان يحترمهُ غاية الاحترام ويكرمهُ كل الاكرام ويعتمد عليه وله منه الجامكية الوافرة والصلات المتواترة . وكان مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين وخدم ايضاً لعز الدين فرخشاه بن شاهان شاه بن أيوب وخدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه وحظي في ايامه ونال من جهتهِ من الاموال والنعم شيئاً كثيراً وكان يستشيره في أموره ويعتمد عليه في احواله

هكذا كان عظماء الاسلام يعاملون أهل ذمتهم من نصراني ويهودي وساميٍّ ومجوسي يبوحون لهم بأسرارهم ويطلعونهم على خُويصة انفسهم ويوسدون اليهم مهمات أمورهم ويأمنونهم على حرمهم وأرواحهم ويغدقون عليهم هباتهم واحساناتهم ويرفعون منزلتهم ومكانتهم لا ينظرون في ذلك الى نحلة ولا مذهب ولا يعتدون بمخالف ولا بموافق بل يتدبرون الكفاآت ويختارون الاصلح والانسب وقد قابل أولئك المقربون ساداتهم بصنوف الامانة وخدموهم فأحسنوا خدمتهم وقلما خان منهم الا بعض افراد فسدت فِطَرُهم واختلت عقولهم واحلامهم وضلوا عن سواء السبيل

حكم وخواطر

من ترك شغله للوكلاء ضاع عليه النصف اذا ربح ودفع من ماله الضعف اذا خسر

ما احتاج انسان مداجاة اعدائه الا من فسولة أصدقائه

كما لا ترجو صداقة الكذّاب فلا ترجُ صداقة الجبان لان الكذب والجبن أخوان أبوهما الضعف

أدلُّ الدلائل على حماقة المرء جمع الضدين على بغضه والصادق الحكيم يجمع الاضداد على حبه

اكثر ما تكون المواعظ كالخزَف الصيني في البيوت تُحفظ ولا تستعمل لخمود الهمم عند اشتعال اللّمم

انما آثر الناس العدو العاقل لا لانه لا يضر بل لانه أبلغ في الضرر

وأخفُّ في الالم فهو كالسيف الماضي يقطع ولا يؤلم أما العدو الجاهل فهو سيف كليل لا يقط الرقاب ولا يُريح من العذاب

لايقدر على احتمال رفعة الادنياء الا الفيلسوف الذي تساوت عنده الاشياء

يُظنُّ الكريم قليل الانانية والحال انه أشد حباً لنفسه حيث آثرها على الملل، ويُظنُّ اللئيم محباً لذاته والحال انه عدوٌّ نفسه اذ أسقطها في مساويء الاعمال، وان سموأل الوفاء أشد إثرة من كل انكليزي على وجه الارض لانه سمح بحياة ابنه لاجل حياة اسمه

اذا خاف الانسان غائلة عدوّ متكبر أنامه بمورفين التقريظ

لا تظننَّ محالاً عداوة محب مهما اشتدَّ كلفه ولامحبة عدوّ مهما تناهى شنآنه فان الزوجين يكونان جسماً واحداً ويقع بينهما الطلاق وان في مخازن الغيوب ما لا يخطر على القلوب

ان لم تلن دمامل الفتن بمراهم المراحم لم ينجع فيها الا المبضع الصارم لكن لا خير في عنف لم يتقدمه لطف

يتَّقى الخراب الكبير بالاضطراب الصغير وكلاهما من البلاء كما يتَّقى المرض الثقيل بالتلقيح الخفيف وكلاهما من العياء

العقل بلا قلب نورٌ بلا حرارة

لذةُ الخيال أقوى من لذة الواقع لذلك المجاز أوقع من الحقيقة

القليلُ من الخبيث يفسد الكثير من الطيب كما ان المتر المكعب من الآجِنِ يُفسد ذوق مائة مثله من العذب الفرات

قوَّة الارادة من قوَّة الكهرباء لانه متى امتلأَت الارادة جذبت

المقاصد البعيدة بدون سلك ظاهر

اذا تلبدت غيوم الغموم لم ينشرها مثل تموّجات الهواء ، بألحان الغناء

الطبيعة مثال ، والشاعر مصوّر ، وأحسن الشعراء توليداً ، أجودهم للطبيعة تقليداً

يكاد الشعراء يكونون صوفيةً لان المعنى واحد والصور مختلفات كما ان الوجود واحد والتعدد للجهات

من دلائل أن الحياة خيالٌ لذةُ الانسان بالاماني وان علمها كواذب ، ولهوهُ بالتصوُّرات ولو كانت محالات ، وبكاؤهُ بالدموع في قراءة قصصٍ موضوع

لاتخالنَّ المستغرق في فنّ قاصر نظرهُ عليه أبصر به من سواه ممن ينظر في متعدد الامور لان تنوُّع الموضوعات في ذهن الانسان يوسّع دائرة العقل ويسدّد مرامي الحكم

ينبغي أن تدقق في اختيار صديقك كما تدقق في اختيار امرأتك اذ كما يجب للناس أن يتخيروا لنطفهم كذلك يجب أن يتخيروا لمرؤآتهم

خيرٌ للمرء أن يكون خصياً من أن يلد عاقاً عصياً

لا يبرد على الاكباد شيء كزكاء ثمراتها

التقبيل ضريبة الحسن ، والمشورة ضريبة الذكاء ، والجود ضريبة اليسار ، والنجدة ضريبة البأس ، ولا يمنع الضرائب الا العاصي على الله والناس

اذا أوصيتَ بامريء ولم يرجع اليك فاعلم أن حاجتهُ قد انقضت لان اكثر المراجعة يقع استنجازاً للحاجة ونادراً يقع شكراً على النعمة

كذب الكبير يسمى سياسة

يستدلُّ بسيادة الغرباء في بلاد على انحلال العصبية اكثر مما يستدل بها على الاخلاق الرضيَّة

المملكة جسمٌ والاجنبيُّ ميكروب ولا يرعى الميكروب من الجسم الا مواطن الضعف

قلوب العشاق أقدم من تلغراف ماركوني

العصر الجديد هو عصر الحديد والغناء الأقوى بالغثاء الأحوى (الفحم الحجري)

لوردَّ الناس كلام الكذابين بحذافيره لالتزموا الصدق وانما روَّج بضاعة الافك انه مهما اشتهر به الانسان فلا يزال يلصق منه بالاذهان

خير لمن لم يُصِب طَهور العلم ان يتيم بالتقليد

ما أجدر العائلة بنقطة

كم وجهٍ أبيض منه بلاء ازرق وفرع اسود منه موت أحمر

اكثر الناس استعداداً لعداوتك من قام من تحت سلطتك لأنه يريد ان يقوم بقدر ما نام ولأن سواد الليالي متعادل مع بياض الأيام

قد لا يكون الامام تقياً وتصحُّ الصلاة اذا راعت الجماعة وشرطها وقد لا يكون الوالي عادلاً وتمشي العدالة اذا عرفت الرعيَّة قوانينها

الحسد نارٌ في الفؤاد يبردها بعضهم بالتنقُّص ويلقي عليه اسم الانتقاد

الوالي الظالم خائن للسلطان في أمانته فجزاؤه جزاء الخائنين

« جهنم بالعز أطيب منزل » أبلغ بيت الا في مقام الهوى

قد تذهب الحقوق ضحيَّة الخلابة وقد تأكل المتاع نار الذرابة وقد تختني

الحقائق بين هدرات الشقاشق ولكن ذو البصر يميّز بين الغث والسمين ودريفوس يتبرأ ولو بعد سنين

من كان مرمى نقده الاصلاح العام لم يخفَ ذلك من أسلوبه والناس اكيس من ان لا يفرقوا بين الحاسد والناصح

احذر من هو دونك في العداوة اكثر من حذرك ممن هو كفؤك لان الكفؤ يأنف ان يقاتلك الا بسلاحك ولا يأخذك غيلة أما الدون فانه يأخذك كيفما استطاع ولا يرى في ذلك غضاضة

كانت الفتوحات أولاً بالسيف فصارت اليوم بالدَين فهي لا تزال بين الاحمرين

لا تُجتاز عقبة بدون جُهد سواء النازل فيها والطالع

متى ثارت القبائل وهاج هائج التعصب على الاجانب فاعلم ان في تلك الجهة معدناً أعجب المهندسين أو ان شركة تألفت لاستثمار بعض الارضين

أجدر المصابين بالشماتة قومٌ لم يزالوا يتحاملون على ولاتهم العقلاء حتى ابتلاهم الله بولاية المجانين

اذا اهتدى المغول الى معارف الافرنج فالصين قد صين

لا بد من يوم أسود بين الاصفر والابيض

السياسة في أيامنا هي فوق الديانة لانه اذا تعارض العقل والنقل أُوّل النقل حتى يطابق العقل أما السياسة فلا تقبل التأويل أياً كان مصادمها

بيروت شكيب ارسلان

العالم شعر

قرأت وما غير الطبيعة من سفر ... صحائف تحوي كل فن من الشعر
أرى غرر الاشعار تبدو نضيدةً ... على صفحات الكون سطراً على سطر
وما حادثات الدهر الا قصائد ... يفوه بها للسامعين فم الدهر
وما المرء الا بيت شعر عروضه ... مصائب لكن ضربه حفرة القبر
تنظّمنا الايام شعراً وانما ... ترد المنايا ما نظمن الى النثر
فمنّا طويل مسهب بحر عمره ... ومنّا قصير البحر مختصر العمر
وهذا مديح صيغ من اطيب الثنا ... وذاك هجاء صيغ من منطق هجر

***

ورب نيام في المقابر زرتهم ... بمنهلّ دمع لا ينهنه بالزجر
وقفت على الاجداث وقفة عاشق ... بقفراء يدعو دراس الطلل القفر
فما سال فيض الدمع حتى قرنته ... الى زفرات قد تصاعدن من صدري
أسكان بطن الارض هلا ذكرتم ... عهوداً مضت منكم وانتم على الظهر
رضيتم باكفان البلى حللاً لكم ... وكنتم أولي الديباج والحلل الحمر
وقد كنتم تؤذي الحشايا جنوبكم ... فكيف رقدتم والجنوب على العفر
ألا يا قبوراً زرتها غير عارف ... بها ساكن الصحراء من ساكن القصر
لقد حار فكري في ذويك وانه ... ليحتار في مثوى ذويك أولو الفكر
فقلت وللاجداث كفي مشيرة ... ألا ان هذا الشعر من أفجع الشعر

***

وليـل غُدافي الجناحين بتّه اسامر في ظلمائه واقع النسر
واقلع من سفن الخيال مراسياً فتجري من الظلماء في لجج خضر
أرى القبـة الزرقاء فوقي كأنهـا رواق من الديباج رصّع بالدر
ولولا خروق في الدجى من نجومه قبضت على الظلماء بالانمل العشر
خليليّ ما أبهى وابهج في الرؤى نجوماً باجواز الدجى لم تزل تسري
اذا ما نجوم الغرب ليلاً تغورت بدت أنجم في الشرق اخرى على الإثر
تجولت من حسن الكواكب في الدجى وقبح ظلام الليل في العرف والنكر
الى ان رأيت الليل ولت جنوده على الدهم يقفو اثرها الصبح بالشقر
فيا لك من ليـل قرأت بوجهه نظيم البها في نثر انجمه الزُّهر
وقلت وطرفي شاخص لنجومه ألا ان هذا الشعر من أحسن الشعر

***

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى وقد قدَّ درع الليل صمصامة الفجر
فاطربني والديك مشجٍ صياحه ترنم عصـفور يزقزق في وكر
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها هبوب نسيم سَجْسَج طيّب النشر
فقمت وقام النـاس كلٌّ لشـأنه كأنّا حجيج البيت في ساعة النفر
وقد طلعت شمس النهار كأنهـا مليك من الاضواء في عسكر مجر
بدت من وراء الافق ترفل للعلى رويداً رويداً في غلائلها الحمر
غدت ترسل الانوار حتى كأنهـا تسيل على وجه الثرى ذائب التبر
الى ان جلت في نورها رونق الضحى صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياة في الشعاع جديدة الى حيوان الارض والنبت والزَهر

فقلت مشيراً نحوها بحفاوة ألا ان هذا الشعر من أبدع الشعر

***

وبيضة خدران دعت نازح الهوى أجاب ألا لبيكِ يا بيضة الخدر
من اللاء يملكن القلوب بكلمة ويحيين ميت الوجد بالنظر الشزر
تهادت ترينى البدر محدقةً بها أوانس أحداق الكواكب بالبدر
فلله ما قد هجن لي من صبابة الفت بها طيّ الضلوع على الجمر
تصافح احداهن في المشي تربها فنحر الى نحر وخصر الى خصر
مررت وقد اقصرت خطوي تأدباً وأجمعت أمري في محافظة الصبر
فطأطأنَ للتسليم منهنَ أرؤسا عليها أكاليل ضفرنَ من الشّعر
فالقيت كفي فوق صدري مسلّما وأطرقت نحو الارض منحني الظهر
وأرسلت قلبي خلفهن مشيّعا فراح ولم يرجع الى حيث لا أدري
وقلت وكفي نحوهن مشيرة ألا ان هذا الشعر من أجمل الشعر

***

ومائدة نسجُ الدمقس غطاؤها بمجلس شبان همُ أنجم العصر
رقى من أعاليها الفنغراف منبراً محاطاً باصحاب غطارفة غُر
وفي وسط النادي سراج منور فتحسبه بدراً وهم هالة البدر
فراح باذن العلم ينطق مقولاً عرفنا به ان البيان من السحر
فطوراً خطيباً يحزن القلب وعظه وطوراً يسرّ السمع بالعزف والزمر
يفوه فصيحاً باللُّغا وهو أبكم ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وقر
أمين أبى التدليس في القول حاكياً فتسمعه يروي الحديث كما يجري

تراه اذا لقنته القول حافظاً تمر الليالي وهو منه على ذُكر
فيا لك من صنع به كل عاقل أقر لآديسون بالفضل والفخر
فقلت وقد تمت شقاشق هدره الا ان هذا الشعر من أعجب الشعر

***

وأصيد مأثور المكارم في الورى يريك اذا يلقاك وجه فتى حر
يروح ويغدو في طيالسة الغنى ويقضي حقوق المجد من ماله الوفر
تخونه ريب الزمان فأولعت باخلاقها ديباجتيه يد الفقر
فاصبح في طرق التصعلك حائراً يجول من الاملاق في سَمَل طمر
كأن لم يرح في موكب العز راكبا عتاق المذاكي مالك النهي والأمر
ولم تزدحم صيد الرجال ببابه ولم يغمر العافين بالنائل الغمر
فظلّ كئيب النفس ينظر للغنى بعين مقلّ كان في عيشة المثري
الى ان قضى في علة العدم نحبه تجهزه من مالهم طالبو الاجر
فرحتُ ولم يُحفل بتشييع نعشه أشيعه في حامليه الى القبر
وقلت وأيدي الناس تحثو ترابه ألا ان هذا الشعر من أحزن الشعر

***

ونائحة تبكي الغداة وحيدها بشجو وقد نالته ظلماً يد القهر
عزاه الى احدى الجنايات حاكم عليه قضى بطلاً بها وهو لا يدري
فويل له من حاكم صُبَّ قلبه من الجور مطبوعاً على قالب الغدر
من الروم أما وجهه فمشوّه وقاح وأما قلبه فمن الصخر
أضرَّ بعف الذيل حتى أمضّه ولم يلتفت منه الى واضح العذر

تخطفه في مخلب الجور غيـلةً فزجَّ به من مظلم السجن في القعر
تنوء به الاقيـاد ان رام نهضة فيشكو الاذى والدمع من عينه يجري
تناديه والسجان يُكـثر زجرها عجوز له من خلف عاليـة الجُدْر
بنيَّ أظن السجن مسَّك ضره بُنيَّ بنفسي حلَّ ما بك من ضر
بُنيَّ استعن بالصبر ما أنت جانياً وهل يخذل الله البريء من الوزر
فجئت أعاطيها العزاء وأدمعي كأَدمعها تنهلّ مني على النحر
وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي ألا ان هذا الشعر من أقتل الشعر

بغداد معروف الرصافي

الشرق في الغرب

من مقالة للمسيو لوسين بوفا في مجلة العالم الاسلامي

عُني اهل المجر وهم من اصل آسياوي وبلادهم على أبواب الشرق بالمباحث الشرقية عناية كبرى على ما هو مأثور عنهم من التوفر على خدمة العلم. وما زالوا منذ قرون كثيرة جيران شعب مسلم يتحدون معه في الاصول وان اختلفوا في الفروع ويتكلمون لغة تكاد تشبه لغته ولذلك رأوا من الواجب عليهم ان يتمحضوا لدراسة الموضوعات الاسلامية

قام منذ سبعين سنة رجل عالم غيور منهم اسمه كوسما كوروس فزار آسيا ليبحث فيها عن اصل الامة المجرية . وتاريخ حياة هذا الرجل يشبه تاريخ أرمنيوس فمبري في كثير من أدواره. لم يرَ كوروس حرجاً في دخول دير للبوذيين في بلاد التُّبَّت بصفة كاهن رجاءَ الوقوف على احوال شعوب

آسيا الوسطى ولم يتحرج من الاخذ عن علماء بوذيين

ثم قام فمبري الذي طاف آسيا الوسطى لابساً ثياب درويش والاستاذ غولدسير الذي طلب العلم في الازهر. وكان من اعمال هؤلاء الرجال اكبر مجد لامتهم في خلال القرن التاسع عشر. وما برح علماء المجر يقصدون الهند الواحد تلو الآخر يبحثون في علومها وتاريخها واديانها ومنهم اليوم أورل ستين نزيل آسيا الوسطى الذي عرفت الحكومة الانكليزية ان تنتفع من مباحثه في شمالي الهند وبلوجستان وأتى بفوائد جمة

ومما لا مُشاحةَّ فيه ان رؤساء هذه المباحث اليوم في بلاد المجر هما الاستاذان فمبري وغولدسير من اساتذة كلية بودابست وقد اختص الاول بتعلم اللغة التركية حتى اتقنها اتقانه للغته وخدمها أجل خدمة وانصرف الثاني الى دراسة العربية واللغات السامية ·

ولد فمبري سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢ من أُسرة يهودية فقيرة في بلاد المجر في قرية سان جيورجين وبعد ان تلقن مباديء التعليم في قريته أخذ في تعلم العبرية والدين ثم انتقل الى مدرسة برتستانتية فتعلم فيها اللغة المجرية واللاتينية ومنها دخل مدرسة أخرى رومية ثم مدرسة كاثوليكية

ولما أتم دروسه كان قد أتى على آخر ما يملك من الدراهم فاضطرته الحال الى ان يعلم اطفالاً براتب ١٥٠ فلورنياً عند أُسرة اسرائيلية في بلدة مارينتال وانتقل بعد الى التدريس براتب اكثر في بيت أُسرة في قرية كوتيفو من أعمال سلافونيا. فترك مقامه في هذه القرية أجمل أثر في نفسه لانه تجلى له فيها السبيل الذي يحتم عليه سلوكه في حياته العلمية. ففيها عقد

العزم على ان يكون عالمًا باللغات وفيها شرع لاول امره بتعلم التركية وبالنظر في المباحث التي أطارت شهرته في العلم وفيها درس التركية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والدانيمركية والسويدية

واذ رأى ان ينصرف الى البحث في احوال الشرق نزل عاصمة فينا يستنصح العالم دي هامير الذي نشطه على ما هو آخذ نفسه في سبيله فذهب الى بودابست يتعلم فيها العربية والفارسية . وقضت عليه الحاجة في هذه المدينة ايضاً ان يكون مؤدِباً ليسد بما يناله من الاجر بعض حاجته ولما كانت نفسه تنزع به الى رؤية الشرق لم يعتم عند ما اقتصد ١٢٠ فلوريناً ان سافر الى الاستانة

وصف فمبري هذه العاصمة عقيب حرب القريم سنة ١٨٥٧ فقال ان شذَّاذ الآفاق كانوا ينهالون عليها من كل صوب واوب والعثمانيون لا يكادون يعباون بكل وارد عليهم بيد انهم تلقوا المترجَم بالعطف وعاملوه بالاحسان فكان لما بلغ الاستانة لا يملك الا دريهمات وصادف صعوبات جمة لاول أمره لكنه تمكن من التغلب عليها بمساعدة احد مواطنيه ممن انخرطوا في خدمة الدولة العثمانية وأعني به القائد كمتي الذي دُعي بعد باسم اسمعيل باشا فسعى له هذا بوظيفة معلم عند اسرة في بك اوغلي ومن ذاك الحين دخل على ناظر الخارجية رفعت باشا بصفة استاذ وأخذ فمبري يتشبه بالعثمانيين في أطواره ومناحيه عملاً بنصائح وطنيه اسمعيل باشا ومجاراةً له فدعا نفسه رشيد افندي وأخذ يتعرف الى اهل الطبقة العليا في الاستانة على ذاك العهد ويختلط بهم ويعاشرهم . وفي خلال ذلك ايضاً بدأ يشتغل في الصحافة

فعين مراسلاً لاحدى الجرائد الالمانية الكبرى

أصبح فمبري « أفندياً » بحتاً لا ينقص عن أدباء الاستانة في معرفة اللغة التركية وآدابها . ولكنه لم يقنع بما حصل له من ذلك بل طمحت به نفسه الى زيارة آسيا الوسطى وهي البلاد التي قام منها الاتراك وهاجموا أوربا ليتيسر له ان يسمع اللغة التركية الاصليـة في موطنها تلك اللغة التي لطُفَت فكانت منها اللغة العثمانية اليوم

وكانت الصعوبات التي تحول دون هذه الامنية كثيرة الا ان الاستاذ فمبري لم يبالِ بالمصاعب . وغادر الاستانة بمساعدة المجمع العلمي الذي عينه عضواً مراسلاً ليرحل رحلة كانت فيها شهرته وبعد صيته . فاكتسى ثياب مسلم واجتاز آسيا الصغرى ودخل فارس فعرفه العامة من ثيابه بانه سني وراحوا يطيلون اليه يد الاذى.وبعد شقّ النفس بلغ طهران ونال من ناظر خارجيتها اذ ذاك المرزا سيد خان جوازاً بمتابعة سيره

ذكر المترجَم به ما لقيه في رحلته هذه من المتاعب فانه طاف بلاد فارس متنكراً في ثياب درويش وكاد يكشف أمره ويعرف انه ليس من أهل الاسلام ولكنه نجا ولم تدرك حقيقته . ثم التحق بجماعة من الحجاج فرافقهم الى خيوه وبخارى ولقي من سفره هذا نصباً لم يكن أقل مما لقيه في مبدإ رحلته وبعد سنة عاد الى طهران فطلبته روسيا ان يكون موظفاً عندها فابى وعاد الى بودابست سنة ١٨٦٤

وبعد ان قضى فيها مدة طُلب الى انكلترا بالحاح شديد فذهب اليها واستقبل فيها بالحفاوة . وقد نشر فيها رحلته هذه بالانكليزية فلم تلبث ان

ترجمت الى لغات اوربا واشتهر امرها وكانت الحكومة الانكليزية تود كثيراً ان تجعل في جملة رجالها رجلاً كالاستاذ فمبري يعرف الشرق معرفة حقيقية ليكون منه لها أحسن خدمة ولكن العالم المجري آثر ان يعود الى وطنه على شدة حبه لانكلترا . وعند عودته عين استاذاً لكلية بودابست فكان فيها اول استاذ غير كاثوليكي

وهنا انتهى تاريخ جهاد هذا الرجل وقد دام ثلاثاً وثلاثين سنة من حياته . وذكر فمبري في الفصول الاخيرة من رحلته كيف زار انكلترا وفرنسا ولقي فيهما الملوك والامراء وأعاظم العلماء ورأى منهم الحفاوة وأورد في فصلين اجتماعه بالسلطان عبد الحميد خان صديقه القديم والتقاءه بشاهي الفرس الاخيرين . وما أحلى الصفحة التي ذكر فيها كيفية اجتماع ناصر الدين شاه به لما اجتاز هذا مدينة بودابست في رحلته الى اوربا ودهشته لما رأى في المجمع العلمي المجري ذاك الدرويش الذي كان لقيه في طهران منذ بضعة عقود من السنين

كتب فمبري في العلم والسياسة وكل ما خطته يمينه نافع خطير . فقد ابتدأ يعمل في الصحافة بعد بلوغه الاستانة بقليل من الزمن ومن ذاك العهد لم يفتأ يؤازر في عدة مجلات انكليزية واميركية والمانية وافرنسية . والسنُّ لم توقفه عن نشاطه ولا عاقت حركته عن الانبعاث فانا نراه الى اليوم يتناول الموضوعات المختلفة بالهمة المعهودة فيه فبينا تراه يبحث في اللغات وعلمها اذا هو يبحث في الآداب فاصول الشعوب فالتاريخ فالسياسة فالاحوال الاجتماعية

أما أغناس غولدسير المشار اليه فهو من أعاظم العلماء بالعربية في قارة أوربا . ولد سنة ١٨٥٠ فتخرج بارمنيوس فمبري الموما اليه ثم قضى اربع سنين في كليات برلين ولبزيك وليد.وفي الثالثة والعشرين من عمره عهدت اليه حكومته بمهمة فسافر الى سورية ومصر وقيد نفسه في طلبة الجامع الازهر ولما عاد الى بلاده عين أستاذاً في كلية بودابست وعضواً في المجمع العلمي المجري رصيفاً لاستاذه . ولغولدسير القدح المعلّى في علم أصول اللغات السامية وأصل اللغة العربية خاصة وهو بحر طامٍ في تاريخ الاسلام

وهنا عدد الكاتب بعض أعمال هذين الرجلين في العلم وذكر جانباً من مصنفاتهما وعقب عليهما بذكر بعض كبار علماء المشرقيات من المجر ومنهم من خصص بتعلم التركية ومنهم الاخصائيون بالعربية وكلهم يخدمون الآداب الشرقية حق الخدمة . ففي قسم الفلسفة من كلية بودابست صفان للغة التركية وآدابها ولاصل اللغة الفارسية وفي القسم الديني منها صف للعربية والسريانية والكلدانية . وليس لتعليم اللغات الشرقية في بلاد النمسا والمجر غير كليتي بودابست وفينا

وللابحاث العلمية في المجر موارد غنية تساعد القائمين بها على البحث والتنقيب . منها المجمع العلمي المجري الذي جعل في زمرة اعضائه أناساً من المستشرقين أمثال فمبري وغولدسير وزيشي . ومنها جمعية علم خصوصيات الشعوب المجرية التي أنشأت فرعاً شرقياً خدم الابحاث الاسلامية أجلّ خدمة سواء كان بعلم أحوال الامم وأصولهم وأخلاقهم وتفرقهم (ايتنولوجيا وايتنوغرافيا) أو بعلم اللغات والادب والآثار والتاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٩٠٤ انشأ المجمع الدولي الآسياوي جمعية مجرية للبحث التاريخي والاثري واللغوي واصول الامم في آسيا الوسطى والشرق الاقصى. وهذه الجمعية تبحث بحثاً علمياً في بلاد الاورال وتتفرغ ما عدا البحث في اخلاق الامم وتفرقهم للابحاث المتعلقة بامم الاورال الالتايكية [1] كما تبحث في حالة البلاد التي ينزلها غير هؤلاء الشعوب وتعين هذه الجمعية فئة من علماء المجر تكون لهم صلة مع سائر الجمعيات والعلماء من الامم الغربية وتنفق على من يرحل الرحلات العلمية وتتفق مع سائر الجمعيات العلمية في المجر ليكون العمل بينهن مشتركاً ولا سيما فيما يتعلق بالآثار والعاديات. وتوزع الاعانة السنوية التي تعطيها نظارة الاديان والمعارف في المجر ثلاثة أثلاث. ثلث على المجلة التي هي لسان حال الجمعية والتي تنشر اعمال الاعضاء ومباحثهم. والثلثان الآخران يوزعان بالسوية على الفروع التي تريد الجمعية مساعدتها ولا سيما فرع اللغة والبحث في اصول الشعوب والآثار والتاريخ. وتعين نظارة الاديان والمعارف هؤلاء الاعضاء الى اربع سنين فاذا اتموا هذه المدة يقدمون لائحة بمن يرشحونهم بعدهم لتقر النظارة عليهم وقد انتخب للرئاسة هذه المرة الاستاذ فمبري.

وفي جانب هذه الجمعيات العلمية الصرفة جمعيات اقتصادية لا تقل عنها فائدة. فان المتحف التجاري الامبراطوري المجري في بودابست أسس سنة ١٨٨٧ وهو من المباني الفخيمة ويعد رسمياً تجارياً ونصب له وكلاء في جميع

(١) هي الامم التي كانت تعرف قديماً بالتاتار وهي عبارة عن الاتراك والتركمان والمجر والقرغيز

ارجاء بلاد البلقان كما له وكلاء في الاسكندرية وتونس . وقد أسس هذا المتحف فادرك لاول عهد تأسيسه ضرورة التعليم الابتدائي لاعداد بعض النشء للتجارة مع الشرق فانشأ سنة ١٨٩١ صفاً للتجارة الشرقية وهو الذي اصبح اليوم مجمعاً علمياً للتجارة ثم اعيد تنظيمه سنة ١٨٩٨ – ١٨٩٩ فنتجت منه احسن النتائج

اما التعليم الذي شرعه هذا المجمع العلمي فيتناول عدة ابحاث ومعارف يدرسها المتعلم في سنتين وهي عملية حقيقية لا نظرية خيالية . واهمها تعلم اللغات الشرقية ولغات بلاد البلقان خاصة والعلوم التجارية والقنصلية وعدة مواد اخرى . وعلى كل طالب ان يتعلم سنتين اللغات الشرقية وهي الرومانية والصربية والبلغارية والتركية والرومية الحديثة والعربية العامية والروسية . وان يتعلم المراسلات التجارية والكلمات الاصطلاحية في التجارة والقضاء وان يتعلم من اللغات الاوربية الايطالية والفرنسية ومن العلوم جغرافية الشرق ولا سيما بلاد البلقان وآسيا الصغرى وعلم اصول امها واخلاقهم وعلم التجارة والجمارك والحقوق العمومية والادارية وقوانين التجارة وطريقة الاعتمادات .

وهناك صفوف لتعليم اللغات الشرقية تقام في المساء . وقد خصص المجمع العلمي مبلغاً من المال ليستعين به بعضهم على التعلم وحذا حذوه في هذا السبيل بعض أرباب الخير وغيرهم . ثم رأت هذه الجمعيات العلمية انه لا غنية لها عن صحيفة تكون لسان حالها وسجل أبحاثها وتحقيقاتها فانشأت مجلة شرقية تكتب بجميع لغات أوربا وتباع بثمن بخس تُعنى بالمباحث

الاوراليـة الالتاييكية سمتها « كليتي زميل » وبعلم خصوصيات الشعوب وتنشر مقالات عن الامم الشرقية النازلة بين نهري فولغا وأورال من الجنس الفينو المجري وأبحاثاً في العنصر التركي وتعنى عناية خاصـة بنشر التقاليد القديمة أو العامية وتبحث في صلات الامم الاورالية الالتاييكية بعضها مع بعض أو مع غيرها وتبحث في احوال الشعوب الآسياوية ولا سيما في أصول التاتار والامم القافقاسية والايرانية والصقلبية (السلافية) وغيرها

وقد قال العالمان اللذان عُنيا بادارة شؤُون هذه المجلة ان المجر هم زعماء العناصر الاورالية والالتاييكية وممثلو تلك الحضارة نزلوا بلادهم منـذ الف سنة وظلوا محتفظين بلغتهم وهي أشبه بجزيرة خضراء في الشرق وسط بحر محيط مؤلف من سيل الشعوب الجرمانية والصقلبية على حين ان أمماً كثيرة تماثلهم كالبلغار والبشناق والخزر والكومان لم يتركوا أثراً من تاريخهم يذكر وبادت مملكتا الهونس والأفار[1] وذهبتا ذهاب امس الدابر

وختم الكاتب هذا الفصل بتعداد ما كتبه اولئك الاعلام من الابحاث الممتعة وشاركهم في وضعه زمرة من علماء المشرقيات من الالمان والفرنسيس والانكليز والروس والترك وكان للمباحث الاسلامية ولا سيما التركية منها شأن عظيم في سجل اعمالهم

(١) الهونس امة بربرية كانت على شواطيء بحر الخزر انقضّت على اوربا بزعامة البطل اتيلا في نحو القرن الخامس للميلاد . والافار شعوب من اصل اورالي الاتاييكي هاجمت اوربا ثلاثة قرون وقضى عليها شارلمان امبراطور الفرنسيس في القرن الثامن

دمعة بعد جناية

آه حتى مَ يظل الحق غريباً في معاهدكِ أيتها الجمعية البشرية ، الى مَ تبقى التقية — كالجندي الجاهل العنيد — مسيطرة على الصلاح بين أفرادكِ ، ولماذا يُحرج على الصدق ان يخرج بموكبه وتاجه في هذا العالم كما يحب جلاله ؟

متى يا تُرى تنشطُ هذه الحقيقة من عِقالها الازلي وهل من أماني هذه الارض ان ترى كهربائية الصلاح مضيئة في آفاقها قبل ان تسوّد الشمس ؟

آه ، ما أوحش الانسان وما أقساه : يضم بين ضلوعه عواطف ملؤُها الحنان والحب والحقيقة والفضيلة والعدل ، وضميراً هو هو معيار الانصاف في هذه الحياة ، وشعوراً هو السيَّال الاثيري الذي ملأ ذرَّات كل شيءٍ ، نعم لقد ضمَّ بين ضلوعه هذه المزايا الفاضلة وهو ربها وهو بها العالم الاصغر والنسخة الكبرى لهذه الكائنات ، ولكن أين هذه القوى الملكية ، أليست معه يوم يفعل فظائع الشيطان ، أما هي بين ضلوعه عند ما يُقدم على الشر والباطل ؟ . .

أجل ، هي لا تزال فيه ، ولكنها يا للاسف والخسران قد صدأت وتولتها رطوبة البعد عن الحق وسطا عليها غُبار الرذيلة . . .

كم وكم أيهذا الصلاح يبسم في العالمَ الانساني القاتم بريقٌ ضئيل من ذُبالتك المعرضة لجميع الاهواء ، من كل الانحاء ، فأُريد ان أتبعها ، فلا أجدني الا بين الاشواك ، في جانب هوّة مدهشة ، يظهر منها التنين وجهنم والغول وكل خيالات الوهم ومخوفات الباطل . . .

كم وكم أيهذي الحقيقة عاهدت عواطفي وضميري وكل شعوري على

إخائك ، على الصدق لكِ وعلى اهداّء حياتي العزيزة عليَّ اليك ، نعم اليك فقط ، اليك وحدكِ ، فيضطرني هذا الوسط الاسود الى جناية لا محيص عنها ، فأفعلها وأنا شاعر باحتياج روحي الى البكاء ، فارجع الى نفسي ، وأبكي ، ثم أبكي ، ثم أبكي ، حتى أروي ظماءِي من هذا الاحتياج في حين أني عارف تمام المعرفة ان الجناية البشرية لا تبررها قطرات الدمع

وكم وكم أيهذا العدل من دمعة قطرت بيني وبين نفسي من عينيَّ بعد جناية ، بعد حادثة مشؤومة ، فذكرت عند ذلك أني لا أزال انساناً وحشياً قاسياً في هذه الحياة . . .

القسطنطينية محب الدين الخطيب

صحف منسية

قصيدة لأبي العلاء المعري(١)

أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سوء أعمالي
قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في مشاةٍ وفدٍ ولا ركبان أَجمال
فقلت اني ضرير لم يحجَّ أبي ولا ابن عمي ولم يعرف مِنى خالي
وحجَّ عنهم قضاءً بعد ما ارتحلوا قومٌ سيقضون عني بعد ترحالي
فان يفوزوا بغفران أفُزْ معهم أولا فاني بنار مثلهم صالي

(١) ارسلها للمقتبس الاستاذ مرجليوث استاذ العربية في كلية اكسفورد وقال : ان الصفدي اوردها في الوافي بالوفيات عن سبط ابن الجوزي في ترجمة ابي علاء وهي عندي من غرر شعره مع انها لم تنشر

ولا أروم نعيماً لا يكون لهم فيه نصيب وهم أهلي وأشكالي
فهل أسرُّ اذا حُمَّت محاسبتي أم يقتضي الحكم تعتابي وتسآلي
من لي برضوان أدعوه فيرحمني ولا أنادي مع الكفار أمثالي
باتوا وحتني أمانيهم مصورةً وبتُّ لم يخطروا مني على بال
وفوّقوا لى سهاما من سهامهم فاصبحت وُقّعاً عني باميال
فما ظنونك اذ جندي ملائكة وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت فرعون ملكاً ونجت آل اسرال
أقيم صيتي وصوم الدهر آلفه وادمن الذكر ابكارا بآصال
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا عيد الاضاحيَ يقفو عيد شوال
اذا تنافست الجهال في حال رأيتني في خسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهرَ مأثرةً أخاف من سوء اعمالي وآمالي
واعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد اكرام واجلال
أصون ديني عن جُعل أؤمله اذا تعبد اقوام باجعال

مطبوعات ومخطوطات

مفردات الراغب — قال الامام الرازي ان الراغب الاصفهاني من أئمة السنة وقد قرنه بالغزالي وهو من اهل المئة الخامسة . ولم نعثر له على ترجمة حافلة على ان ما عرف من كتبه كاف في الدلالة على واسع علمه وكثرة تحقيقه فمن كتبه المطبوعة « الذريعة الى مكارم الشريعة »و « تفصيل النشأتين » وهذا « المفردات في غريب القرآن » . طبع الكتاب الاخير

وقد أعادت المطبعة الميمنية طبعه على نفقة أصحابها مصطفى افندي الحلبي وأخويه بكري افندي وعيسى افندي مصححاً بمعرفة الشيخ محمد الزهري الغمراوي على عدة نسخ بدار الكتب الخديوية وبعد ان تحرى أصوب الروايات في مظانها من الكتب اللغوية وضبط الفاظه بالشكل الكامل فجاء في ٥٧٦ صفحة حرياً بطالب معاني الكتاب العزيز والفاظه ان يقتنيه والفاظ القرآن كما قال المؤلف : هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الالفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى أطايب الثمرة وكالحُثالة والتبن بالاضافة الى لُبوب الحنطة

والكتاب يباع في مكتبة طابعيه بشارع التبليطة بالغورية وهو في اعتقادنا يغني الطالب عن الرجوع الى التفاسير اذا اراد كشف المعاني من الالفاظ اللغوية فنثني على طابعيه بما هم أهله فانهم أحيوا بمطبعتهم كثيراً من كتب السلف التي كان يعز وجودها وحبذا يوم يعيدون طبع جميع ما طبعوه ولا سيما الامهات بالحروف الجديدة اللطيفة ليكون أدعى للاقبال واحسن للمطالعين على كل حال

محاورات المصلح والمقلد — هي مقالات نشرت في المجلد الثالث والرابع من مجلة المنار الاسلامية الغراء ويليها فتاوي نشرت في المجلد السادس منه موضوعها الاجتهاد والتقليد وكليات الدين الاسلامي لمنشئها السيد محمد رشيد رضا المعروف بعلمه وعمله وقد شرح فيها باسلوبه الرصين المحكم كثيراً

من أدواء المسلمين ولا سيما المقلدين منهم والجامدين وزيف ترهات المخرقين ومعتقدات الحشوية المبطلين فافاد وأجاد أثابه الله وهي تقع في ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً نظيفاً وتطلب من مكتبة المنار بخمسة قروش فنحث كل طالب ومتعلم على اقتنائها

الهداية الى فرائض القلوب — هو الباب الاول من كتاب التوحيد تأليف الرئيس بَحْيَة بن يوسف اليهودي الاندلسي نشره الدكتور ابراهيم سالم المقدسي وقد أراد ان يجعله تمهيداً لتأليف تام من كتاب الهداية للدائن (أي قاضي اليهود) الاندلسي المشهور بابن بحية. ولقد كان لليهود شأن في الفلسفة العربية يعرفه حق معرفته كل من درس الحضارة الاسلامية. فللميموني كتاب دلالة الحائرين ولسعدية كتاب الايمانات والاعتقادات ولسليمان بن جبيرول كتاب اصلاح الاخلاق وقد طبعت اكثر مصنفاتهم في أوروبا وترجم اكثرها الى الفرنسية أو الالمانية اما ابن بحية مؤلف هذا الكتاب فلم يترجم حتى الآن الى لغة من لغات الغرب ولذلك كان في عمل الدكتور المشار اليه أحسن مقدمة تدل على فضله. وانا لنرجو ان يوفق الى نشر ما ينوي تأليفه من مجاميع مسلسلة في فلاسفة اليهود الذين كتبوا بالعربية في القرون الوسطى على عهد ارتقاء الاندلس ي . د

فصول الحكماء — هي رسالة في مئة صفحة صغيرة تأليف سماحة محمد أبي الهدى افندي الصيادي جمع فيها تراجم بعض حكماء اليونان والاسلام وشيئاً من حكمهم وعقب عليها بتراجم بعض مشايخ الطريق والتصوف

وأورد شيئاً من اشارتهم وعباراتهم وقابل بينها وبين كلام الحكماء

مقامة الامثال السائرة — طبع عبد القادر باشا الخضيري من بغداد هذه المقامات لمؤلفها الشيخ عبد الله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ ضمنها الامثال السائرة القديمة المولدة المعروفة على طريقة التسجيع والترصيع التي كانت مألوفة في عصره . وفي ذيلها مقامة للشيخ عبد الرحمن الانصاري وهي مسجعة أيضاً

سير العلم

مضار الغبار — حدث في منجم فحم ببلاد الانكليز سنة ١٨٤٤ ان التهب التهاباً شديداً فقضى على كثيرين من المعدّنين . وقد دعي عالمان للبحث في سبب هذا الالتهاب فذهبا الى انه ناتج من الغاز المتجمع على سطح الغبار في المنجم ونصحا بالتوقي من هذا الغبار فثبت ان الغبار المترا كم كيف كان حاله يخشى من التهابه ولا سيما غبار الدقيق والسناج (الشحار) والسكر والقطن وغيره من المواد التي يضر مسها كما يضر مسّ الديناميت. وكل معامل القطن التي لا تعنى بازالة هذا الغبار من حيطانها يحترق ويلتهب اذا اصابته حرارة وكذلك مطاحن الدقيق والامثلة على ذلك كثيرة كما روت المجلة البارزية . وكانت بعض المعامل تكتفي برفع هذا الغبار وتروّحه وقد اخترع احدهم آلة تفصل الغبار المتجمع وتقذفه بقوة شديدة الى مقر هذه الآلة فتتكون منه مادة تستعمل في تغذية الماشية وأُدخلت تحسينات كثيرة على هذه الآلة واخذوا في اميركا يجعلون استعمالها ضربة لازب

على كل محل يتصاعد الغبار منه مخافة ان يعلق بها شيء من اللهيب عن بعد فتلتهب وتضر بالمكان والمكين.

البناء في اميركا – أخذ القوم في نيويورك يمتدون في الهواء بمبانيهم فانهم اقاموا فيها ١٩ مسكناً يكون مجموع ما فيها من الطبقات نيفاً واربعمائة طبقة ويكثر نوع هذه البنايات في الغالب في جزيرة مانهاتان والبنايات ذات الست والثلاثين طبقة كثيرة جداً وتستعمل الادوات الرافعة بقوة الماء أو الكهرباء لطلوع السكان ونزولهم واذا دامت الحال على هذا المنوال في سكنى العلالي بل الاعالي فسيكون للحياة في اميركا بعد حين شأن غير شأنها الحاضر فيقضي الرجل في مسكنه معظم ساعات نهاره لا يكلم الناس الا بالتلفون ولا ينزل الا اذا رأى حاجة ماسة لنزوله وقد ظهر ان الاعمال لم تتعطل بذلك عن سيرها وانها ما دامت تتزايد .

شقاء العلماء — هربرت سبنسر هو أكبر عالم انكليزي قام في القرن التاسع عشر وقد نشرت مفكراته عن حياته فاذا بها يصف نفسه قبل ان يموت باشهر بصورة تحزن ولكنها تعلّم . قال : انه اصيب في السنة الخامسة والثلاثين من عمره بضعف في قواه عقيب اشتغاله الاشغال العقلية الطويلة الصعبة ومذ ذاك اصيب بالأرق الدائم وفي السبعين من عمره لم يعد يستطيع ان يعمل سوى ساعة في النهار متقطعة يراوح بينها وبين اعمال أخرى فلا يعمل كل مرة أكثر من عشر دقائق . وقبل ان يموت بعشرين سنة عدل عن تناول طعامه في المدينة واصبح اذا سمع الانغام الموسيقية خمس

دقائق وكانت من قبل تستهويه وتشوقه أولعب بالنرد أو غيرهامن الالعاب بضع دقائق يمرض اياماً وكاد لا يستطيع القراءة ولا يستطيع ان يمشي زيادة عن ثلثمائة متر ولا ان يتنزه اكثر من عشر دقائق في عربة ذات آلة مفرغة للهواء . ولما اهتدى الى مذهب النشوء لم يكن يهنأ له بال الا بوضعه وشرحه. وعاش وقلبه لا يعرف حباً غير حب الحقيقة . قال والعزوبة كانت بعدكل ذلك هي اليق بي بل هي اليق بالمرأة التي لا أعرفها والتي لم اتزوجها . قالت المجلة التي نروي عنها وهكذا حياة كبار الرجال وخصوصاً كبار العاملين المجاهدين منهم ما كانت قط عذبة المذاق . والمجد في الغالب لا ينال الا اذا بذل فيه كل ما عزّ وهان

اللغة الانكليزية — اللغة الانكليزية اكثر اللغات الفاظاً فقد قدروا مؤخراً عدد الفاظها بثلثمائة وخمسين الف لفظة هذا وشكسبير الشاعر الانكليزي لم يستعمل من هذه الالفاظ سوى ستة عشر الفا وميلتون الشاعر المشهور ايضاً لم يؤثر عنه انه استعمل اكثر من ثمانية آلاف لفظة . ويستخدم الانكليزي المتوسط في تعليمه من ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف كلمة ويتأتى لمن يعرف الف لفظة ان يحسن التخلص باستعمالها في انكلترا وهذا غريب

فلسفة الشرق —كتب انكليزي في احدى المجلات الهندية الانكليزية فصلاً في العلوم التي يتيسر للغرب ان يأخذها عن الشرق فقال ان العلوم الفلسفية ينبغي ان تؤخذ عن الشرق أولاً وفي الهند ميدان فسيح اكثر

من كل بلاد شرقية سبقت لها حضارة قديمة لدرس أصول اللغات ومقارنتها والديانات ووضعها على محك التنظير وان لها في الفلسفة القدح المعلى . فالمذاهب الهندية في الفلسفة لم تأخذ شيئاً عن أفلاطون ولا أرسطو ولا القديس بولس بل ان حكماء الهند بحثوا منذ ألوف من السنين في المسائل الكبرى التي أزعجت الانسانية كمسألة الوجود المطلق والآخرة والروح والربوبية . فعلى من يودون ان ينصرفوا الى دراسة علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة ان لا يباشروا هذين العلمين الا بعد ان يتمكنوا من الوقوف على بعض ما ذهب اليه قدماء حكماء الهند في هذا الموضوع

الطلاق في أميركا — يكثر شيوع الطلاق في الولايات المتحدة سنة عن سنة وان لم ينظر القانون في حال الاولاد الذين يولدون من المطلقات وقد غبطت احدى المجلات الاوربية بلاد الاميركان على قلة الطلاق بينهم على كثرة ما يقال عن شيوعه بينهم فقالت ان حدوث مئتي الف طلاق في سنة ١٩٠٠ باميركا لا يعد شيئاً مذكوراً اذا قيس بأمة يبلغ عددها نحو ثمانين مليوناً .

مستقبل الاتوموبيل — نشرت مجلة المجلات النيويوركية فصلاً في الاتوموبيل استندت فيه الى ما تم له من الانتشار منذ اثنتي عشرة سنة في أميركا فقالت انه لم يكن فيها على ذلك العهد سوى خمسة اتوموبيلات ومنذ خمس سنين لم يكن في أميركا الا قليل من عجلات الاتوموبيل يقتنيها كبار المثرين للتسلية والبذخ ويقدر اليوم عدد الاتوموبيلات في أميركا بمئة الف أتوموبيل وقد صنع منها في السنة الماضية وحدها خمسة وعشرون الفاً

وأوصي لهذه السنة على خمسين الفاً أخرى وهذا مما يدل على ان عجلات الاتوموبيل ستقضي على عجلات الخيل وخصوصاً متى أدخل على الاتوموبيل بعض الاصلاح

اكتشاف في سيلان – اكتشفت في جزيرة سيلان مصانع عظيمة فخيمة أقامها الملك العظيم « باراكراماباهو » الذي شيد ١٤٧٨ حوضاً لخزن مياه الامطار ليستعملها الناس . وعثر في معبد « كال فيهارا » على ثلاثة تماثيل ضخمة للمعبود بوذا نُحتت في حجر الصوان على أجمل شكل واكتشفت كهوف حفظ فيها تاريخ سيلان قبل المسيح وعثر فيها على كتب بوذية كتبها الكهنة على أوراق النخيل ملتصقة بعضها الى بعض وموضوعة في ظروف من حرير لتجمع في صناديق صغيرة من خشب جعلت في مقاصير

الحياة المادية – كتب احد رجال العلم والدين مذكرات عن الولايات المتحدة قال فيها انها أصبحت جنة أرباب الصنائع والفنون واهل العلم راجت فيها الآداب والفنون رواجاً لم يعهد له نظير حتى ان الممثل أو المغني اذا طاف أميركا يعود منها بثروة . فالعمل في هذه البلاد هو الحياة حقيقة أي ان كل عامل ينال حظه من سعة الرزق بقدرجده في أعماله وقد اصبح الذهب فيها الغاية الوحيدة التي يسعى اليها الناس . وبحق ما قال احد الاميركان: انا نحسن العمل ولكننا لا نحسن العيش فانا نرى الانتحار شائعاً بين اهل الطبقات الغنية اكثر من شيوعه بين اهل الطبقة الفقيرة

تلقيح الارض — رأى بعضهم منذ مدة ان يستعمل النيتراجيين لاخصاب التربة وامراعها . ثم ان احد علماء الزراعة من الانكليز اخترع في هذه الايام اختراعاً آخر لتلقيح الارض المجدبة خصوصاً اذا كانت رملية فجربت هذه المادة في عدة أصقاع من بريطانيا فأتت البقول قبل ثلاثة أسابيع من ميعادها وزاد محصولها خمسين في المئة ويكلف كل آكر (هو ٤٠ آراً ونصف والآر مئة متر مربع) شليناً واحداً فيأخذ الفلاح ثلاث رزم يكون في الاولى كمية من الاملاح المعدنية وفي الثانية ذرور وفي الثالثة فوسفات النشادر ويحلها في اناء كبير يملأوه ماء ويجعل مسافة ٢٤ ساعة بين وضع كل رزمة ثم يجعل هذا المحلول مع البذور فتبتل بها أو يمزجها بتراب ويذرها على الارض أو يرش بهذا المحلول أديم الارض المزروعة .

النوام — هو مرض النوم الذي شاع كثيراً في افريقية الشرقية وهلك به نحو مئة الف نسمة في بضع سنين وقد انتدب للنظر فيه الدكتور كوخ الالماني ونشر الآن تقريره عنه فقال انه حقن المصابين به بمادة الاتوكسيل المؤلفة من النشادر فظهر انه يخفف بعض آلام المريض ويرجى ان يشفى به فأذا وفق الدكتور الباحث الى تحقيق الامنية من دوائه فيخفف عن ابن افريقية بدوائه الجديد ماخففه عن ابن الغرب بدوائه للسل الرئوي

وقف على العلم — وقف أحمد بك الشريف من أعيان طنطا مئة فدان من أجود اطيانه على المدرسة الجامعة المنوي انشاؤها في مصر ويقدرون ثمنها بثلاثين الف جنيه بارك الله به وبماله

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

(٤)

مضت أيام وسعيد يجتهد فوق طاقته بحيث قدم لخصين عن دروس صفين في آن واحد حتى بلغ الصف المنتهي ليقرب وصوله الى المدارس العالية وظلَّ مثابراً على خطتـه حتى خرج الاول من المدرسة ولم يترك جائزة لاحد من رفقائه في الصف فادهش المعلمين والتلاميذ واملَّ الجميع بنجاحه في المستقبل وبعد ما نال الشهادة عزم على السفر واطلع الباشا على قصده فساعده على ما يريد ولم يتيسر له ان يختلي بجميلة ولكنه ودعها قائلاً « أؤمل ان اوفق الى مطلوبي » وذهب الى الاستانة تحف به الآمال وتشيعه الاحلام

حتى اذا بلغ دارالسعادة اخذ يفكر في انتخاب مدرسة يتخرج فيها على النحو الذي يكون به في المستقبل جديراً بجميلة فلا تكبده ما لا يطيق من النفقات . فرأى ان دار المعلمين أحسن عائدة عليه لأَن الأول في الصف فيها يقبض مشاهرةً ليرة عثمانية وكان يعتمد على نفسه بأنه سيحرز الاولية بيد أنه فكر بما سيؤول اليه أمره في المستقبل وما ذا سيكون من اشتغاله فلما أدرك انه سيصير معلماً للنشء وقيماً على الاطفال امتنع عن الدخول الى دار المعلمين ذلك لأَن هذه الصناعة تعد قبيحة عند العامة وهو يود ان يصير في مقام

يكسب به جاهاً يخوله الحق ان يخطب جميلة من أبيها ثم فكر في حقيقة تعليم النشء وتدريبهم فأدرك انه بعمله هذا يكون علمهم العلوم وأحسن تربيتهم وجعلهم رجالاً للأمة وقد يعلمهم المؤازرة والتضامن فيجعلهم جسماً واحداً وأمة واحدة كالبنيان المرصوص ويدربهم على الاعمال الشريفة التي تعود بالخير على وطنهم فيغنم بذلك أجراً جزيلاً وثناءً جميلاً . وربما أحرز منصباً في نظارة المعارف يجعله في أوج المعالي اذا ساعده الدهر وخدمه الحظ وكان مغروراً بحظه لما رأى من نفسه الغَناء في الفوز بالاولية في الصف ومحبة الناس عامة . وبعد ان فكر ملياً في الامر أزمع الدخول الى هذه المدرسة فدخلها وأخذ يقضي أوقاته ويفني صحته في الدرس لينال ذلك الراتب . وفي غضون ذلك انتقل الباشا من دمشق برتبة أكبر الى مكان بعيد فساقته الضرورة الى الاكتفاء بهذا الراتب القليل

وكان سعيد لما بلغ الاستانة نزل في خان من خانات « شنبرلي طاش » واستأجر أصغر حجرة فيه يدفع ثلاثين قرشاً في كل شهر وقد أتى معه بفراش ولحف واشترى قطعة بساط عتيق فمده وجعل يجلس على فراشه كل من يزوره من اخوانه وكان يشتري ما يلزمه من الأواني شيئاً فشيئاً ويعيش في غاية الاقتصاد . فكلما دخل حجرته او اكل او شرب او نام يعتريه ضيق صدر فيشكو دهره ويقول الى متى وأنا مقضيٌّ عليَّ بالتقتير والحرمان من كل لذة وقد ينتهي في الاحايين الى درجة اليأس بحيث يكاد ينتحر ليخلص من هذه الحياة التعسة ثم يرجع الى نفسه ويقول قتل الانسان ما اكفره . لا بد من تحمل المشاق حتى انال السعادة ومهما عاكسني الدهر فاني قاهرهُ

بشدة صبري ثم يأخذ يفكر في مستقبله وماذا يفعله وربما تجسمت أمامه السعادة ورأى نفسه في أعلى المناصب وانه نال حينئذ وصالاً من حبيبته جميلة وبينا هو يخوض بحار هذه الخيالات يرى ساعة الدرس اتت فيلعن الدرس والاجتهاد لانه كان في حرب من الافكار

وكان يمتنع عن التنزه الا اذا اكرهه اخوانه على رفقتهم فيذهب حياءً منهم فينغصون عيشه وهم بمالهم فرحون فكان اذا رأى منزلاً عالياً تذكر حجرته واذا رأى عربة جميلة تذكر ذهابه وايابه الى المدرسة ماشياً تحت المطر والثلج وان رأى نُزلاً تذكر دكان الطاهي الذي يتعشى فيها واذا استنشق هواءً نقياً تذكر هواء حجرته الفاسد واذا رأى غادة تذكر حبيبته واذا رأى عجوزة تخدمها السراري تذكر أمه وهي تعمل في المطبخ. وكلما شاهد ما يدل على السعادة كان يذكر ما يقابله من شقائه فيرجع من التنزه حزيناً كئيباً ويعود رفقاؤه مسرورين . ولذلك كان يعد أحسن أوقاته ساعة نومه الخالي من الاحلام اذ يستريح به من التفكر في الشقاء وكان كلما ذكر شقاءه يقطع أمله من جميلة ولكن الآمال كانت تبعث الاطمئنان الى قلبه . وقضى ثلاث سنين على هذا المنوال وهو بعيد عن راحة الفكر وانشراح الصدر فاتم الدراسة وأخذ شهادة تامة تؤهله لكل خدمة ثم عين معلماً براتب ثمانمائة قرش في الشهر فساقته الآمال واطمعته الرواتب وسعد به أبواه وأهله ولكن لم يمضِ زمن حتى مات أبوه وخلف له أُسرة قضي عليه ان ينفق عليها فاصبح راتبه لا يكفيه وصار يلتمس ممن تعرف اليهم ان يعينوه معاوناً لمدير مكتب بيروت الاعدادي فبلغ راتبه الفاً ومائة قرش

على شرط ان لا يفارق المكتب الا ليلتين من كل أسبوع ويدرس أربع ساعات كل نهار ويعلم الرياضيات والتاريخ والانشاء فصار يتألم من تنوع الفنون التي يشتغل بها وكان يود ان يختص بفن واحد منها ولكن قلة الاجرة التي خُصصت للدروس اضطرته الى ان يتحمل هذا العذاب ويمنع نفسه من الاخصاء بفن واحد ومع كثرة اشتغاله وتألمه من كثرة عائلته ما انقطع لحظة عن التفكر بجميلة ولكن بعدها عنه وانقطاع أخبارها جعلاه في يأس من الوصول اليها وكان في احتياج للزواج

(٥)

في يوم راقت سماؤه ورق هواؤه ذهب سعيد مع صديق له يسمى رفيقاً الى متنزه ضبيا ليصرف وقتاً بدون فكر ويتخلى ساعة عن بؤسه وشقائه . فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث في كل ما خطر ببالهما . فساقهما الكلام الى البحث في الزواج شأن من لم يتزوجوا من الشبان وكان لرفيق أخوات جميلات متعلمات يود الناس الزواج بهن ولكن كان له أم عرفت بمساويء الاخلاق واشتهرت بسوء الطوية فامتنع الناس عن التأهل باخواته . وكان رفيق في كدر من كساد هن وهو على علم من مكانة سعيد في الحال والمآل فتصور سعادة لاخته في قرانها بسعيد فتجاسر وكلفه بان يصير له صهراً ففكر سعيد هنيهة ووعده بالقبول فتعهد رفيق باسكانه في منزله واعتباره واحداً من اهله وفرداً من افراد عائلته وافترقا على أمل القران فذهب رفيق وأخبر أمه بما جرى بينه وبين سعيد ومدحه لها وأعلمها براتبه وأفهمها مستقبله فسرت به وأملت بسعادة ابنتها فرضيت

وسافت ابنها الى اتمام هذا الامر فذهب اليه غير مرة وسأله عن عزمه فاجابه بالقبول وكان سعيد فكَّر في جميلة وما بينهما من الوعد.ولكنه استبعد ثبات النساء على أقوالهن والوصول اليها لما بينه وبينها من الامتيازفي الطبقة وعبثاً رأى نفسه معلقة بها فرضي بالزواج وتكلم مع رفيق على مقدار المهر فرضي هذا بخمسة آلاف بعد قبول أمه ولكنهما قررا على ان يعقدا النكاح على مهر مقداره ١٥٠ ليرة رئاء أمام الناس وعينت ليلة العقد ودعي الاقارب والخلان وشربت المرطبات وتولى الشيخ صيغة العقد وذهب كل من حضر داعياً بلسانه وهم ما بين معترض ومنتقد وساب وشاتم وحامد

وعينت ليلة العرس ودفع المهر سعيد فاستدان وباع راتبه بنقص ليقبضه قبل ميعاده حتى يقوم بما يلزم من نفقات العرس

واجتمع بقرينته « شهيرة » فوجدها على ما يرغب وسرَّ بها وظن انه نال السعادة فصار معززاً مكرماً لدى أسرة رفيق بأسرها ولكنه وقع في قبضة الديون بعد انكان يقتصد من راتبه ويجمع دراهم وصرت لا تراهُ الا شاكياً باكياً من دهره يفكر ويقدّر فيما يجعله غنياً وكانت عنده (تحويلات) البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي فرهنها على مبلغ ليوفي ديونه فما خلص منها ولكن لذة ليالي الوصال واوقات الاجتماع كانت تنسيه همه وتسليه عن غمهِ . وظل نحو شهرين بين مسرور بزوجته ومغموم بديونه وكان أخبراً مهُ التي تركها بدمشق بزواجهِ فأرسلت تطلب منهُ ان تحضر اليه لترى كنتَّها وتلتقي بابنها فاستدان لها مبلغاً ارسله اليها فأتت ونزلت ضيفة في بيت رفيق ولم تلبث يوماً او بعض يوم حتى اخذت أم رفيق تهينها هي وبناتها

الا شهيرة امرأة سعيد فانها كانت تبجلها رعايةً لقرينها فتكدرت أمُّ سعيد وأخبرت ابنها بما وقع لهــا فأسف لذلك واضطر الى الرحيل فاتخذ له داراً سكنها هو وأمه وامرأتهُ فزادت نفقتهُ وازدادت ديونهُ فصعب انتقاله على أمّ رفيق لانه كان يشترك معها في الانفاق على البيت وكانت تقتصد بسببهِ وتخفف نفقات ابنها فسعت في ارجاع ابنتها بدعوى انها لا تطيق السكنى مع أمهِ وكانت تعلّم ابنتها ما تقوله فصارت هذه تلحُّ عليه باعتزال أمهِ وتبدي له الجفاء بعد أن كان لا يرى منها الا المحبة والوفاء فصار يؤاخذها على اعمالها وينصح لها بأن لا تسمع كلام أمها فما سمعت له وتركته وحيداً من اجل أن تنال رضى أمها ورجعت الى بيت أخيها . اغتنمت تغيب أهل الدار ذات يوم فأتت بحمالين ونقلت متاعها وتركت الدار بلا أثاث فرجع سعيد في المساء فلم يجد متاعاً وأخبره الجيران بما تمَّ فلعن حماته والساعة التي عرف بها رفيقاً وكانت أمرأته حاملاً قد اقربت وكان أخوها متغيباً عن بيروت عند ما تمت هذه الاعمـال القبيحة فلما رجع اخبرته أمه وعظمت الامر في عينه حتى جعلت سعيداً فحمة سوداء أوحية رقطاء وصورته لابنها مثال الدناءة والرذيلة وجردته من كل شهامة وخلة كريمة ونسبت اليه من الاعمال ما لم يخطر له على بال حتى أشربته بغض صهره وساقه الحنو الاخوي للانتصار لاخته وأعماه كلام أمه عن رؤية الحق وراح يظن الباطل حقاً وأصبح لا يثق بكلام سعيد فبدلاً من ان ينصح لاخته وأمه أخذ يزيدهما عتواً وطغياناً . وكان سعيد يسعى ليصلح الخلل ونصح لرفيق ووعظه فما استفاد الا هجراً وصداً فتركه وشأنه

وضعت شهيرة فطلبوا منه نفقات الوضع فما تأخر عن طلبهم وأرسل اليهم جميع ما يلزمهم من دراهم وغير ذلك على أمل ان يرجعوا عن غيهم. فولدت الفتاة غلاماً فرح به أبوه ولكنه لم يتيسر له ان يراه وصار يتوسط ليرى مهجة فؤاده فلم يحظ بطائل. وعندها رأى ان يهجر أهل زوجته هجراً جميلاً فاغتاظ رفيق لذلك وأقام الدعوى عليه في المحكمة الشرعية فأتى بشهود من أقاربه ليشهدوا ان سعيداً طلّق شهيرة فشهدوا بالطلاق وانه لم يدفع من مهرها المسجل شيئاً وقدره مائة وخمسون ليرة وهنا أدرك سعيد انه وقع في شَرَك احتيال رفيق الذي اتفق معه على خمسة آلاف قرش وكتب العقد بـ ١٥٠ ليرة ولكنه أقام البراهين والادلة القاطعة على انه دفع المهر وانه لم يسبق منه طلاق وان الفتاة زوجته في كل وقت وانه يحبها وان تعيين هذا القدر من المهر كان من قبيل التظاهر امام الناس بالسعة ومفاخرة لا حقيقة

فادرك القاضي اخلاصه وأيقن بصحة دفع الخمسة آلاف من المهر المسجل وما استطاع الا ان يحكم ببقية المائة والخمسين ليرة مهراً مؤجلاً لانه مسجل بالقيود وشهادة الشهود على انه موقن بعدم صحة هذا المهر المسجل ورتب على سعيد مائة وخمسين قرشاً في كل شهر أجرة الحضانة وتربية ابنه وحكم ببقاء الزوجية

فعند ذلك يئس سعيد من امكان الاجتماع بزوجته الا اذا ماتت حماته ولم يجسر على الطلاق خوفاً من ان يحق عليه اداء بقية المهر لانه لم يبرح رازحاً تحت أحمال الديون التي تذهب ببركة راتبه كل شهر وأخذ يشكو من آلام الوحدة بعد ان كان يعيش العيشة الزوجية فساقته الضرورة الى الميل

للزواج مرة ثانية فوسط امرأة من اللواتي يتوسطن للنساء « سمسارات » واوصاها بان تفتش له على زوجة غنية لا أم لها ولا اب ولا اخوات

(٦)

من عجائب الاتفاق ان علي باشا عاد الى بيروت بمنصب أعلى من منصبه سابقاً فانشأ سعيد يتردد عليه ويزوره في أغلب الاحايين

علمت جميلة بما حلَّ بسعيد فأسفت عليه وشمتت به لانه خان عهدها على أنها لا تزال مقيمة على العهد ويئست من الزواج وعزفت نفسها عن الرجال وحكمت عليهم بانهم أقل وفاءً من النساء ولكنها ودت الاجتماع به لتعاتبه وتشكو اليه وتشكو منه لانها لم تطلع احداً على سرها وأخذت تسعى وراء مقصدها حتى تيسر لها ان تخلو به في منزل أبيها فرحبت به وأخذت تعاتبه قائلة : لم يخطر ببالي انك ستخون عهدي لاني لم أعهد فيك الا الوفاء والثبات ومكارم الاخلاق فما الذي حملك على الخيانة ؟

— نعم خنت عهدكِ على ان مكانك لا يزال محفوظاً في قلبي ولكن علمي بمنزلتي وعدم امكان القران بك واحتياجي الى تدبير امر معاشي وتنظيم حياتي ساقاني الى ذلك الزواج المشؤوم لازداد شقاءً على شقاء وأنال جزاء خياتي لعهدك وكان ينبغي ان أبقى على الوفاء ولو عشت العمر كله في حرمان

فضحكت جميلة ثم قالت : هب اني لم أشك بما أعهده فيك وانك لا تزال على عهدك القديم فما الذي ساقك الى الزواج مرةً أخرى وأنت على علم من حبي لك ووجودي في بيروت ؟

— لم أقصد من ذلك الا تعذيب زوجتي والانتقام منها لاني اعلم ان

اعظم ما يجازى به النساء الزواج عليهن ولو كانت الواحدة منهن مطلقةً وعلى عصمة زوج آخر

— وهذا هو العجب العجاب ! فكيف يليق بمنوَّر الفكر مثلك عرف بمكارم الاخلاق أن يتنازل للانتقام ؟ أنسيتَ أن الرجال لا ينتقمون عند المقدرة ؟

— لا أنكر أن الانتقام نقيصة في الرجال ولكن اذا كان الذي لا ننتقم منه يعدُّ عدم انتقامك جبناً ويزيد في طغيانه فهل يعامل الا بالانتقام ؟ « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اُعتدى عليكم » ودفع الشر بالشر أحزم ، واللئام لا يعاملون بغير الانتقام

— هب اني سلمت لك بأن الانتقام من هؤلاء الانذال واجب عليك واذا لم تفعل تلام فقل لي بأبيك ألا تأمل ارجاع امرأتك ؟

— لا أخفي عنكِ اني ربما رضيت بها اذا رجعت عن غيها وعلمت أن لا خلاص لها مني واصلحت نفسها وماتت أمها كل هذا اذا كنت في يأسٍ منكِ

— فأنت اذاً عازم على الانتقام منها بزواج امرأة أخرى ؟ ألا تصبح اذا رجعت اليك ذا الزوجتين ؟ فكيف تتصور لك راحة او هناء بين زوجتين وانت على علم بأن من يتزوج امرأتين يشتري عذابه بيده فينغص تنغيصاً لا نهاية له ويلقي بنفسه في الغم والهم ، واذا طلقت الثانية لترجع الى الاولى فيكون عملك مما يشين العقلاء لان النساء لسن كما يقول بعض الجهلاء كالحذاء متى ما مللت منه تنزعه من رجلك ! . وتذكر ما كتبته احدى

منذ حين من أن رجلاً رأى في منامه ان حذاءهُ سقط في النهر فراجع كتب تفسير الاحلام فلم يجد تعبيراً لرؤياه سوى مفارقة زوجتـهِ فطلق امرأته تفسيراً لمنامه وتصديقاً لكتب الحشو . على ان العاقل البصير يحترم النساء لانهن جنس لطيف جدير بالتعظيم والمحبة . النساء أمهاتكم اللواتي يعانين انواع العذاب في الوضع فمن لم تكن أُمك فهي أمٌّ اخيك او ابيك او صديقك او جارك او ابنك . فكيف يليق بك أن تطلق زوجتك بعد ما تستوفي حظوظك منها وتذهب برأس مالها فتتركها محرومةً من الزواج ؟ ولا يدورنَّ في خَلَدك اني لا اذكر ان الله تعالى أجاز لكم أن تأخذوا من النساء مثنى وثلاث ورباع ولكنه جل شأنه شرط عليكم العدل ثم ذكَّركم بأنكم لا تستطيعون أن تعدلوا بين النساء . وكيف ترضى امرأة بشريكة لها في حياتها بأعمالها وأفراحها ؟ ألا تضطر أن تحرمها منك لتعدل بين الاثنتين وتعاملهما بالمساواة ، أو يخطر ببالك ان تلك التعسة تنام تلك الليلة وهي على علم من انك عند أعدى عدوَّاتها ؟ ثم افرض ان الاثنتين اتفقتا — وهذا ضرب من المحال — أليس من الممكن أن يأتيك اولاد من الاثنتين ؟ وبديهي أن يتنازع اولادك على أقل سبب فاذا انتصرت الواحدة لابنها لا تسكت الاخرى فيقع النفور بينهما وبين الاخوة فتحرم بذلك راحتك وتفقد سعادة عائلتك فاذا كان الشقاق دأب بيتك ونشأ الأخ على بغض أخيه فكيف تؤمل منه خيراً للهيئة الاجتماعية ؟ أوهل لك سبيل الى الاقناع بأن تعدُّد الزوجات حسن ونتائجه حسنة ؟

— لا يسعني الانكار بمضرة تعدد الزوجات الا اذا كان عن ضرورة

وللضرورة احكام ، ولا انكر أن الشرع الشريف لم يبحهُ الا لهذا السبب وما فرضه علينا فرضاً فمن لم يكن في اضطرار الى تعداد زوجاته فلا يليق به الا الرضا بواحدة

واذا صفا لك من زمانك واحد نعم الصديق فعش بذاك الواحد

— فاذا وافقتك الجديدة وأعجبتك بخُلقها وخلْقها وطلقت شهيرة فماذا تكون حال ولدك منها ؟ لو كان أجمل ولد في العالم وكنت أعقل رجل لا بد من ان تسقطه من عينك وتجعله نقطة سوداء لان المرأة عدوة طبيعية لابن زوجها فاذا نشأ ابنك في ظلم امرأتك واستبدادها ألا تكون حينئذ قد جنيت عليه ؟ وأنت في عيني أعظم من ان ترتكب جناية مثل هذه وهب انه سمحت لك كل هذه الاحوال أليس من العار ان تتزوج باسم الانتقام أو باسم الاحتياج وانت تعلم ان القصد من التأهل اتخاذ قرينة تشارك الرجل في أفراحه وتشاطره اتراحه ويكمل بها ويعيش معها عيشة راضية فيقومان بما يجب عليهما للمجتمع الانساني وهذا الامر لا يتم الا بقران الرجل بمن توافقه طبيعة ومزاجاً وأخلاقاً ولذلك أرى ان تسعى في استرضاء خاطر شهيرة اذا كانت فيها هذه الشروط وترضى بما قسم لك ربك وتربي ابنك كما تشاء لتجعله خير الخلف من بعدك عساه يكون لك ذخراً وسنداً

— أنا وحقكِ معترف بما أتيتِ به من الحقائق ومن الاسف انه لم يتيسر لي الاقتران بمن توافقني وتكون جامعة لشروطك ولو أسعفني الحظ وتزوجت منك لسعدت وما أتاحت لي الايام ان أقع في المهالك والاخطار

— قضي الامر وكان بودي ان اكون قرينة لك ولكنك عجلت

فاخطأت وحرمت نفسك مني وحرمتني بعملك من التأهل بغيرك لاني وعدتك بان لا أرضى بسواك ومن شيمي وطبعي الثبات على وعدي فلهذا لا اقترن باحد وسأعيش عانساً متبتلة وا بحكم القضاء راضية

فلما سمع سعيد هذه العبارة احمر وجهه وأطرق خجلاً وود الموت ليخلص مما عراه من الخجل امام من فاقته بمكارم أخلاقها واستولى عليه السكوت وانقطع عن الحركة

فلما أدركت خجله قالت لا تستحي فانك لست أول رجل خان الجنس اللطيف بوعده فمهما كان الرجل عاقلاً رقيق الشعور كريم العواطف والاخلاق لا يزال في عتو بدعوى التفوق على النساء ولا يعد الخطأ امامهن الا من قبيل السهو والنسيان الملازمين للبشر ولكن كن على ثقة من انه سيجيء يومٌ ترتقي فيه الهيئة البشرية وتعلم منزلة المرأة وواجبات الرجال نحوها فتحفظ حقوقها فتصبح معززةً مكرمةً ولا يجسر احد حينئذ على خياتها لان عمله يعدُّ سقوطاً في الاخلاق ، وأرجو منك أيها الصديق ان لا يشق عليك كلامي وما لك الا الاذعان والاعتراف بالذنب لاني صاحبة الحق . وأما أنا فاني اسلمت امري لخالقي الذي جعلني بائسة محرومة من شرف السعادة الحقيقية

فعند ذلك قام وعبرات الاسى تنهمل من عينيه على خديه واخذ يقبل يديها ويقول : ها أناذا أكرر اعترافي بذنبي فاعف عني والعفو من شيمك ولا تزيديني هماً وخجلاً فوق كدري ، وارحمي شبابي لئلا يسوقني هذا العذاب الى الانتحار

فضحكت وقالت : اوجو أن تجلس في مكانك . أتدري سبب ضحكي ؟
قال : لا . فقالت لاني قرأت من الروايات واخبار العشاق ما لم أتذكر عدده وقد ثبت لديَّ ان الرجال يستعطفون النساء ويستميلونهن بدعوى الانتحار فلا يصدق دعواهم الا اللواتي حرمهن الخالق من العقل والعلم وكم قرأت وسمعت من اخبار الرجال الذين كانوا عزموا على الانتحار من اجل معشوقاتهم وبعد ان حظوا بقربهن تركوهن يعانين آلام العذاب وندر من انتحر والنادر لا حكم له . واني لا أودُّ ان اسمع من عاقل مثلك ان يقول هذا الكلام فلو كنت ممن يطيب لهم الانتحار لصبرت من اجلي وعملت مثلي . هذا والشائع على الالسن ان الرجال اقدر من النساء على ضبط انفسهم ولكني رأيتك مع شدة عقلك ومتانة اخلاقك لم تمنع نفسك من خيانة العهد

— كفى سيدتي أما قلت لك اني تزوجت اضطراراً علماً مني انه من المحال ان اصل اليكِ لما بيننا من الدرجات والفروق

— هل طلبتني ورجعت خائباً حتى تعتذر هذا الاعتذار الواهي ؟

— لا أجرأ على ان اخطبك لاني كنت على يقين من رجوعي خائباً وخفت ان تتحول عني انظار الباشا وان تنقلب محبته لي نفوراً مني فأكون حينئذ ضيعت آمالي على اني ما زلت غريقاً في بحر الآمال

— ماذا تقول ؟ أجننت ام تهذر ؟

— اعذريني على خطاءي ولا تجرحي حواسي فاني ما زلت اسعد بها

— ماذا تقول ؟ لقد صغرت في عيني بعد ما كنت كبيراً ! . أنسيت اننا كنا نتكلم عن تعدد الزوجات ووصف مضراته ؟ وكيف يخيل اليك ان

بجعلني شريكةً لمن خربت آمالي وجعلتني في حرمان من حبيبي الخائن ؟

— آه سيدتي دعي عنك هذا الكلام فاني سأطلقها من أجلك وارجع اليك اذا ساعدني الحظ

— كيف تطلق زوجتك امّ ولدك وانت تعلم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق وماذا تكون حالها بعد الطلاق وماذا يؤول اليه امر ابنك التعيس الذي سيتربى على غير ما تريد ؟

— أنسيتِ ان الله تعالى قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان على اني سعيت لامسكها بمعروف فلم يتيسر لي لانها شربت لبن اللؤم من امها ولا امل لي باصلاح حالها وهي كلما تقدمت ودرست على امها زادت لؤماً وخبثاً وبغضاً اليّ فطبيعة الحال تسوقني الى تسريحها واما ابني فانه أُهمل وترك للطبيعة تتصرف به كما تشاء فخانته وسلطت عليه الامراض وقد اخبرني الطبيب ان لا امل في حياته واذا مات اراحنا واستراح وبذلك تزول الموانع ويبقى مانع واحد وهو قبول الباشا الذي لا سبيل اليه فهل اليه من وسيلة ؟

— انا ثابتة على قولي وعهدي ولكن وجود زوجتك يمنعني عن قبول ذلك

فاقسم لها بالله بانه لو لم يخف من الحكم عليه بدفع بقية مهرها لطلقها ثم قال : لا يخفى عليك قلة ذات يدي وعدم اقتداري على دفع المبلغ ولعل الحظ يسعفني فيموت ابني على انى اعدك وعد حر انه يستحيل اجتماعي بها بعد الآن

المقتبس

الجزء الثالث من المجلد الثاني

ربيع الاول سنة ١٣٢٥ الموافق أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٧

التقية

الامم في اول نشأتها تحتاج الى كتم أمرها وضم أطرافها والتماسك في كل أحوالها خوف عدو قاهر ومليك مقتدر وعدة ضخمة وعدد دثر من مال ورجال حتى اذا استحكم أمرها وأصبحت كفؤاً لمناوئها تُظهر ما كانت تضمر وتقدم إقدام الاتيّ على الوادي وتلوب على من تضمه اليها وتكثّر به سواد قومها . وهكذا حال الافراد فان العالم أو صاحب الدعوة اذا كان في مبدإ شأنه بين قوم يخاف بادرتهم اذا فاتحهم بافكاره يخفي شيئاً مما يكنه ضميره حتى اذا اشتدت شكيمته واستحكمت مُنّتهُ واستجاش له أنصاراً وخاصة يقبلون ولو جانباً من أفكاره وعلمه يتدرج في بث دعوته فيبدأُ بالضعاف أو المستَضعَفين الى ان يصل الى الاقوياء والعظماء . وهذا الضرب من الكتمان يسمى التقية مشتقة من أتقاه أي خافه وهي ضد العلانية. عادة راجت ولا تزال رائجة في المشرق خصوصاً بين المغلوبين المخالفين

امام الغالبين الظالمين ولكم ذهب بها فيما غبر أرواح رجال لم يحسنوا استعمال التقية ونجا بها أناس جعلوها شعاراً يلبسونه ومجناً يتقون به عادية من يخالفونهم أو يريدونهم على العمل بما لا يعتقدون به من علم ورأي ونحلة

جاء الرسول العربي عليه الصلاة والسلام فقام يبث دعوته وتحمل فيها صنوف الاذى والاهانة ولما كثر أنصاره ومريدوه من المهتدين وخاف امتداد الاذى هاجر الى المدينة وهناك أقام على تلقين اليقين علانية . ولذلك أجمع رأي الصحابة على عهد عمر ابن الخطاب لما أرادوا التأريخ ان يبدأوا من سنة الهجرة لانه الوقت الذي حكم فيه الرسول على غير تقية فكأن الدور الاول ما كان الا لتأسيس ما بدأ ظهوره من الدعوة في المدينة فلم يحسبوه . وقد جاء في القرآن آيات تدل على الاخذ بالتقية وآيات على عكسها بحسب المناسبات

قال الخازن في تفسير قوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الاَّ ان تتَّقوا منهم تقاةً ويحذركم الله نفسهُ والى الله المَصير » أي ألاَّ ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن مداراة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعاً عن نفسه من غير ان يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين . والتقية لا تكون الا مع الخوف من القتل مع سلامة النية قال الله تعالى « الاَّ من أُكره وقلبهُ مطمئن بالايمان » . ثم ان هذه

التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم . وانكر قوم التقية وقالوا انما كانت التقية في جِدّة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعزّ أمة الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم . قال يحيى البكاء : قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج : ابن الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان . فقال سعيد : ليس في الامان تقية انما التقية في الحرب . وقيل انما تجوز التقية لصون النفس من الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان . اه

واختلفت مذاهب المسلمين في التقية فروى المؤرخون انه كان سبب اختلاف نافع بن الازرق ونجدة بن عامر من زعماء الخوارج أن نافعاً قال التقية لا تحلّ والقعود عن القتال كفر واحتج بقوله تعالى « اذا فريقٌ منهم يخشَوْن الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ خشية » وبقوله « يقاتلون في سبيل اللهِ ولا يخافون لَوْمَةَ لائم » وخالفه نجدة فقال : التقية جائزة واحتج بقوله عز وجل « إلاّ أن تتّقُوا منهم تُقَاةً » وبقوله عز وجلّ « وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعون يكتمُ إيمانَهُ » فالازارقة من الخوارج وهم اصحاب ابن الازرق المشار اليه يقولون ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل . وحكى الكعبيُّ عن النجدات وهم اصحاب نجدة بن عامر ان التقية جائزة في القول والعمل كله . وقال الصُّفرية الزيادية وهم فرقة من الخوارج ايضاً : التقية جائزة في القول والعمل . والرِدّيُّ عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه

أما الشيعة فلهم في التقية تجوُّز لم تعرفه فرقة من المسلمين فيما أحسب

فكل ما ارادوه تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقيةً وفعلناه تقيةً . هذا ما نقله الشهرستاني في الملل والنحل وليس في الايدي كتاب من كتبهم نرجع اليه فيما قالوه هم في حقها . ولقد رأيت بعضهم يستعملون التقية في خلواتهم وجلواتهم فلا تجديهم الا صغر النفوس وضياع الشمم والشرف على حين لا يضطرهم الى ذلك داعٍ ولا يريدهم عليه حاكم ولا محكوم عليه. ولكن هي العادات يرضعها الابناء مع لبن الامهات فيتعذر الاقلاع عنها الا بعد الاستغراق في نور العلم النافع والتربية الصحيحة

والعقل يقضي بان يستعمل في دار التقية ما لا يستعمل في دار العلانية على حسب الاحوال . وقد تترتب مفاسد دينية ودنيوية على سوء استعمال التقية ولكن قلَّ في العلماء وأرباب المقالات من احسن استعمالها وساعده محيط بلاده على تحقيق أمانيّه . والتوسط في كل شيء محمود المغبّة فكيف بالتوسط مع الطواغيت والمرء لا ينجو معهم بدونه

عهدنا الحجاج لما هزم عبد الرحمن بن الاشعث وقتل اصحابه وأسر بعضهم يتلقى كتاب عبد الملك بن مروان في عرض الاسرى على السيف فمن أقرَّ منهم بالكفر خلَّى سبيله ومن أبى قتله . فأُتي منهم بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف يريان التقية وكان سعيد بن جبير لا يراها فذهب عامر ومطرف الى التعريض والكناية فعفا عنهما وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل . وكان مما عرَّض به الشعبي : أصلح الله الامير ، نبا بنا المنزل ، وانحزل بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة

أقوياء . قال : صدق والله ما برُّوا بخروجهم علينا ولا قووا خلّيا عنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له الحجاج : أتقرُّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ان من شق العصا ، وسفك الدما ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر . قال خليا عنه . ثم قدم اليه سعيد بن جبير فقال له : أتقرُّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرت بالله مذ آمنت به . قال اضربوا عنقه

أرأيت رجلاً معروفاً بصلابة دينه ووفرة علمه وثبات جنانه وقوة برهانه فادى بروحه من اجل الحق وغلَّب الموت على القول بما يخالف ما وقع في نفسه ؟ أبى إباؤهُ وأنفت أنَفَتُهُ أن يلجأ الى تقية لا يرضاها ذوو النفوس الكبيرة فذهب مثال الكمال وأنموذج الفضيلة والتقوى أبد الدهر . هذا هو سعيد بن جبير الذي لا تفتا الألسن تذكره بالرحمة وتسخط على من قتله شر قتلة

ومن التقية المحمودة ان صح ان يسمى تقية ما يأتيه بعض العلماء من الامتناع عن افشاء بعض الاسرار في الدين للعامة وقد أرجع الغزالي هذه الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها الى خمسة اقسام : الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقاً تكلُّ اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح من هذا القسم . الثاني من الخفيات التي تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه

من هذا القسم فلا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضراً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل . الثالث ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب كما لو قال قائل رأيت فلاناً يقلد الدر في إعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها . الرابع ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلاً بالتحقيق والذوق . الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده حقاً والبصير بالحقائق يدرك السر فيه

قال صاحب كتاب « إيثار الحق على الخلق » : كثرت البدع وكثرت الدعاة اليها والتعويل عليها وطالب الحق اليوم شبيهٌ بطلابه في أيام الفترة وهم سلمان الفارسي وزيد بن عمر بن نفيل وأضرابهما رحمهما الله تعالى . وان نشأة الانسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وجيرانه وأترابه صنيعُ أسقط الناس همة وأدناهم مرتبة . قال ولا ينبغي ان يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين له كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين ولا المتقي من كثرة العاصين ولا الذاكر من كثرة الغافلين بل ينبغي منه ان يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه

ونسب تنكب الناس عن طريقة الحق لعدم الحرص وقوة الداعي وللخوف من شر الاشرار مع الترخيص في التقية باجماع الامة فقد اثنى الله على مؤمن آل فرعون مع كتم ايمانه وسميت به سورة المؤمن وصح أمر

عمار بن ياسر بذلك وتقريره عليه ونزلت فيه إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان . وقد قيل من عرف الخلق جدير ان يتحامى ولكن من عرف الحق فعسير ان يتعامى . والذين آمنوا أشد حباً لله . ونسبه أيضاً للخوف من الشذوذ من الجماهير والانفراد عن المشاهير

وذكر ايضاً انه زاد الحق غموضاً وخفاءً امران احدهما خوف العارفين مع قلتهم من علماء السوء وسلاطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقية عند ذلك بنص القرآن وإجماع اهل الاسلام قائلاً : وما زال الخوف مانعاً من اظهار الحق ولا برح المحق عدواً لاكثر الخلق . وقد صح عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال في ذلك العصر الاول حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين اما احدهما فبثثته في الناس وأما الآخر فلو أبثه لقطع هذا البلعوم

وما زال الامر في ذلك يتفاحش وقد صرح الغزالي بذلك في خطبة المقصد الاسنى ولوَّح بمخالفته اصحابهُ فيها كما صرح بذلك في شرح الرحمن الرحيم . وأشار الى التقية الجويني في مقدمات البرهان في مسألة قدم القرآن ، والرازي في كتابه المسمى بالاربعين في أصول الدين . قال : وثانيهما الاعتماد على الكتابة في حفظ العلم فانه أدى الى كتم اهل العلم لكثير من مصونه في أول الامر ثم لمهمات الدين في آخره وكان العلم في أول الامر يبذل من اهله لاهله مشافهةً ولو سراً وذلك أول النقص وهو محفوظ في الصدور غير مبذول لاهل الشرور في الشعور فلما قلَّ الحفظ وطال الامر وكتب ليحفظ وتعذرت الصيانة وخيف العدوان من اعداء اهل الايمان

كتم بعضهم فلم يظهر علمه فازداد النقص واتقى بعضهم فتكلم بالمعاريض الموهمة للباطل خوفاً على نفسه ورمز بعضهم فغلط عليه فيما قصده في رمزه فتفاحش الجهل

وأما الفرق بين ما يجوز من المصانعة والمداهنة وما لا يجوز من الرياء فما كان من بذل المال والمنافع فهو جائز وهو المصانعة وربما عبر عنه بالمداهنة والمداراة والمخالفة وما كان من امر الدين فهو الرياء الحرام . ومن كلام الامام الداعي الى الله تعالى يحيي بن المحسن عليه السلام في الرسالة المخرسة لاهل المدرسة : لا يجوز أن تكون الموالاة هي المتابعة فيما يمكن التأويل فيه لان كثيراً من اهل البيت عليهم السلام قد عرف بمتابعة الظلمة لوجه يوجب ذلك فتولى الناصر الكثير منهم وصلى بهم الجمعة جعفر الصادق وصلى الحسن السبط على جنائزهم وأقام علي بن موسى الرضا مع المأمون وكثّر جماعته وتزوج ابنهُ محمد ابنةَ المأمون وغير ذلك . والوجه فيه ان الفعل لا ظاهر له فتأويله ممكن. وذكر الامام المهدي محمد بن المطهر عليهما السلام أن الموالاة المحرمة بالاجماع هي موالاة الكافر لكفره والعاصي لمعصيته ونحو ذلك . وهو كلام صحيح والحجة على صحة الخلاف فيما عدا ذلك أشياء كثيرة منها قوله تعالى في الوالدين المشركين بالله « صاحبْهما في الدنيا معروفاً » ومنها قوله تعالى « لا ينهاكمُ اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبَرّوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحبُّ المقسطين إنما ينهاكمُ اللهُ عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولَّوْهم ومَنْ يتولّهمْ فأُولئك همُ الظالمون »

تأمل هذا المنقول في التقية من كلام ذاك الامام المجتهد وهو نموذج من تأليف من عمل بعلمهِ ولم يكتم حقيقةً ارضاء لخاطر ولم يتق رئاء وخوفاً وطمعاً . ذاك كلام أبي عبد الله محمد المرتضى من اكابر علماء القرن التاسع أنفت نفسهُ من التعصب لعادات الآباء والمشايخ فتجانف طرق اسلافهِ وحكّم الانصاف في اقوال فرق الاسلام ولولا عراقتهُ في الشرف و بُعد غورهِ في العلم واخلاصهُ في اقواله واعماله لاضطُهد وأوذي ونال من صنوف العذاب ألواناً . أقدم هذا الاقدام مؤثراً أن ينصرف عنه جانب من حطام الدنيا مثل تولي الامارة عند الزيدية وشرطها عندهم أن يتقلدها أعلم الناس وأشرفهم وكان هو جامعاً لهذين الشرطين وهو من أسرة تولت زعامة الناس فرأى الدعوة الى الحق خيراً من الامامة والامارة فردّ على أبناء مذهبهِ الاصلي في كتاب ضخم يقع في زهاء ألف ورقة سماه « العواصم والقواصم » . وخلّف مصنفات غيرها دلت على سعة فضله وعقله وأنه ممن احسنوا استعمال التقية ولم يتأذوا بالعلانية ورخصت اعمارهم في عيونهم فأفادوا واستفادوا . وكتابهُ ايثار الحق المنقول عنه آنفاً رأيهُ في التقية اكبر دليل على ما وصف به

واذا قابلنا بين كلام هذا الامام وكلام من اشتهر اكثر من شهرتهِ لا نعتم أن نشعر بفرق بين المشارب والعقول ولكلٍّ ذوقهُ وعقله . فمن مشاهير المؤلفين والفلاسفة الفخر الرازي وكل من قرأ مصنفاتهِ ير فيها عقلاً كبيراً ومادة واسعة . ومع هذا وجد له أهل البصر ما ينتقد في حياته العلمية

درّس الرازي والتفت حوله التلاميذ والاساتذة فكان اذا ركب يمشي معه ثلثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم ونال الحظوة من أمراء عصره والحظة عند شعوبهِ وتعاظم حتى على الملوك ومع هذا مال الرازي الى مذهب الجبر القاضي بأن الانسان كالريشة في الهواء لا عمل له ولا تدبير ينفعه وأن القضاء والقدر يدوران به على مرادهما وهو المذهب الذي عشش اعتقاده في صدور معظم المسلمين فكان من دواعي انحطاطهم

وان لم يشعر ظاهر الشريعة ولا المأثور عن الأمناء عليها في الصدر الاول بشيء من هذا المعنى وانما رأى الرازي الخير في نصرة هذا المذهب لانه كان متسلطاً بكثرة على اهل بلاده فقرر كما قال عن نفسهِ ما اعتقده أنه هو الحق وتصور أنه الصدق. ولقد رد عليه بعض علماء المسلمين وسفهوا رأيهُ فيما ذهب اليه حتى ان كل محب لاحترام العلم واكرام صنيع حملتهِ ليرجو أن تكون بعض هذه الافكار التي أخذها العلماء على الرازي هي التي سجل على نفسه في وصيتهِ بأنهُ رجع عنها

وأنت ترى ان اليماني والرازي المشار اليهما قضيا حياةً طيبةً ممتعين بثمار عقلهما وغادرا هذه الدار بلا اهانة وفتنة واكتفى معاصروهما ومَن بعدهما من العلماء بالرد عليهما في الورق فكانا مثالاً فيمن نفعته التقية وعرف استخدامها . واذا جئنا نستشهد بمن جنى عليهم عدم استخدام التقية نخرج عن قصد الاختصار . قال الثوري : اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم أنه مخلّط لانهُ ان نطق بالحق أبغضوه

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية قد صرح بما اعتقد صحتهُ والغناء فيه فعاداه أعداء التجديد والتحقيق واشياع التخريف والتلفيق من علماء السوء الرسميين وآذاه مَن شأنهم مسايرة الحزب الغالب من الامراء الذين لا مذهب لهم الا المال ولا دين الا بسطة الجاه ولا سياسة الا حكم الناس بما يريدون ولا عقل الا الاعتصام بالقوّة والجبروت

قضى فساد محيط ابن تيمية والجهل المركب الذي فُطر عليه من جُنُّوا في التجني عليه بمالأة من لا رأي لهم أن قضى سجيناً سنين عديدةً في جب يوسف بقلعة الجبل بالقاهرة وأعواماً في برج بالاسكندرية وأعواماً في قلعة دمشق الى آخر ما عومل به من الحبس وكان القصد من هذا كله ايقاف قريحتهِ عن الانبعاث تفادياً من أن يجرف سيلها العرم ما وهى من باطل الاعتقاد ووجد ضعاف العقول وأسرى التقليد آباءهم عليه من الاضاليل والخزعبلات . ولا اقول ان ما لقيهُ ابن تيمية من الألاقيّ

حبس قلمهُ عن الكتابة وعاق تأثيره في نفوس مئات من القريبين للخير ولكن من لنا بعشرة عملوا عمله في تاريخ الاسلام رُزقوا نفساً كنفسهِ وعزيمةً كعزيمتهِ يستهين بروحهِ وراحته ويستميت في نصرة الحق واماتة الباطل من دون ما تقية ؟

ولقد شهدنا رجلاً قام في القرن الثاني عشر في وسط جزيرة العرب دعا الى مثل دعوة ابن تيمية واستنار بعلمهِ واهتدى بهديهِ فعاش سعيداً والنفع به عمياً ألا وهو محمد بن عبد الوهاب . قام هذا بين قوم تغلب عليهم السذاجة البدوية والفطرة العربية فصاح فيهم صيحةً أراد بها زحزحتهم عما كانوا فيه من العبادات والمعاملات لانها من شأن اهل الجاهلية منافية للاسلام فأذعن كبراؤهم لقوله طائعين وما هو الا أن انقضى جيل وجاء الثاني حتى نشر التوحيد اعلامهُ بين أناس ما عرفوا الا الشرك والوثنية . وكان نصيب هذا الداعية من علماء عصره أن بدّعوه وفسقوه وكفروه ولو طالت اليه يد الاشرار لمزقوه كل ممزق وجعلوه سلفاً ومثلاً للآخرين

نعم نفعت تلك البادية في بث الدعوة بلا تقيَّة ولا مصانعة اكثر من الشام ومصر زمن ابن تيمية . والدعوات كلها سياسيةً كانت او علمية ما فتئت تبدأ في البوادي والاقاصي ثم تمتدّ امتداد شواظ من نار فتلتهم الأقرب فالاقرب . وأهل المدن يستغرقون في الترف على الاغلب ويتبنكون النعيم حتى تكاد تنزع منهم وجداناتهم الا قليلاً فيلجأون الى المشاغبة في كل ما لم يألفوه والتمويهِ في الحق والباطل . ولذلك ترى سكان الجبال والارياف أنشط في كسب العلم وأرغب في التجديد ونزع التقليد لبعدهم عن نشأة السرف والترف

ومعاذ الله أن يفهم من هذا القول أن ابن تيمية لم يحسن استخدام التقية وابن عبد الوهاب احسنها ولكن الاول جمع الشروط كلها لخانتهُ بيئتهُ وأسلمه قومهُ لاهواء الحاسدين. وهذا هو السبب الذي من اجله اعتاد بعض اصحاب الافكار والمجددين المصلحين منذ القديم أن يهجروا مساقط رؤوسهم لبث دعوتهم وترويج بضاعتهم كما

ترحل التاجر بتجارتهِ والصانع بنتائج صنعته . عهدنا معظم العلماء لما أن يشتدّ عليهم في وطنهم الضغط الناشئ من حسد حاسد وكيد كائد ينزلون صقعاً آخر ليقدّروا بقيمهم الحقيقية ويثمنوا بما يساوون. كان هذا شائعاً في بلاد الاسلام أيام كان فيها بقايا من العلم ونسيس من الحياة الاجتماعية فكان العالم اذا كرُب أن تنكربهُ التقية في بغداد يهجرها الى الشام واذا اشتدت به الحال هنا يغادرها الى مصر أو المغرب او الاندلس واذا وقع عليه ما لا ترضى به نفسهُ في الروم يرحل الى فارس

اليك حكم التقية في العلم والعلماء والدين والامراء . ولم أفض فيما يستعمله اهل السياسة من التقية لان ما هم بسبيله مبني في الغالب على الخديعة والحيل مدعوم بالرهبوت والجبروت مصبوغ كل يوم بصبغة تخالف صبغة أمس

واني لأرجو أن لايكون جماع اهل العلم والسياسة داخلين في غمار من وصفهُ احد الأعراب بضعف فقال : « سيء الرويَّة ، قليل التقية ، كثير السعاية ، ضعيف النكاية » ولا أن يكونوا مثل من قال المأمون فيهم لرجل وعظهُ فأصغى اليه منصتاً فلما فرغ قال : « قد سمعت موعظتك فأسأل الله ان ينفعنا بها وربما عملنا غير انَّا احوج الى المعاونة بالفعال منا الى المعاونة بالمقال فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون »

شعراء النصرانية في الجاهلية

(تابع ما قبله)

هذا وان سألت حضرة الاب لويس شيخو كيف عرفت ان الشاعر الفلاني أو الفلاني كان نصرانياً على حين لم يصرّح لك بذلك احد الائمة. فيجيبك من فوره و بدون تمهل أجوبة باردة يعيدها كل مرَّة على من يطالبه بايراد الادلة على نصرانية احد شعراء الجاهلية ممن نصرهم على يديه . فاْسمع ما يقول مثلاً عن نصرانية امريء القيس

(المشرق ٨ : ١٠٠٣) » فبأي دين كان اذن يدين امرؤ القيس أبدين الوثنيين ؟ لا نظن وقد فند حضرة الاب أنستاس حجج القائلين بتعبده للاصنام . فبقي انه كان اما يهودياً أو نصرانياً .ولم يقل احد بيهوديته فكان اذن نصرانياً ولا نريد بنصرانيته هذه كما مر انه كان متمماً لفرائض الدين المسيحي أو انه كان كاثوليكياً .كلا . وعلى رأينا انه كان من ملة النسطورية التي أحل اصحابها أموراً لم يحلها غيرهم من النصارى

أما أدلتنا على نصرانيته فهي الآتية :

أولاً . ابطال مزاعم القائلين بوثنيته ومزدكيته

ثانياً . خلو شعره من آثار الشرك ففي كل ديوانه ليس من اشارة تدل على عبادة آلهة العرب في الجاهلية

ثالثاً .بل تجد اقراره بوحدانية الخالق و بالبعث والنشور مع شواعر دينية ظاهرة... هذا فضلاً عما في قلبه من الرغبة في المجد والامور الشريفة والعدول عن حطام الدنيا (كذا . وقد أورد هنا بيتين لا يدلان ابداً على عدوله عن حطام الدنيا بل على تعلقه باهداب مجد العالم المؤثل)

رابعاً . وفي شعره من الاشارات النصرانية ما في غيره من الشعراء النصارى . . . (كذكره) مصابيح الرهبان والمقدّس وهو الزائر لبيت المقدس والإران وهو تابوت النصارى . . .

خامساً . انتشار النصرانية في كندة قبيلة امرئ القيس لمح الى ذلك حضرة الاب مناظرنا

سادساً . خروج امرئ القيس الى القيصر يستنجد به وهذا لم يكن ليخطر على بال اهل البادية وهو يعلم ان القياصرة نصارى متعمقون في الدين لو لم يتخذ وحدة الدين وصلة بينه و بين القيصر لا سيما ان القيصر كان يومئذ يستنيان من أشد الامبراطورين تحمساً للدين وانه (على ما روى العرب) أزوجه ابنته

سابعاً . ومن الدلائل على نصرانية امرئ القيس نصرانية عمته هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى . . . وقد ذكرنا في المشرق (٥ : ١٠٦٠) الكتابة التي وضعتها في صدره وفيها تدل على نصرانيتها ونصرانية أبيها الحارث وابنها عمر بن هند . . .

ثامناً . وكذا قل عن نصرانية أمّ امرئ القيس التي تسمى فاطمة بنت ربيعة بن الحارث وكانت من تغلب وأخواها كليب والمهلهل التغلبيان ولا أحد يجهل أن تغلب كانت تدين « كلها » بالنصرانية

تاسعاً . وأقوى من ذلك ما كتبه المؤرخ ننوز وهذا الرجل العظيم أرسله يستنيان الى الحبشة والى امرىء القيس الكندي وهو يدعوه قيساً ليولي امرأ القيس فلسطين فلما عاد الى القيصر وأتم ما عهد اليه كتب خبر رحلتهِ في تأليف وقع في ايدي فوطيوس فاختصره في مكتبتهِ الشهيرة . . .

عاشراً . ويؤيد قول ننوز المؤرخ الشهير بروكوب من الكتبة المعاصرين لامرىء القيس » . . . انتهت الأدلة

فنحن الآن نجيب على كل واحد منها مستهلين بالنتيجة التي استنتجها من بحثهِ هذا وقد صدّر بها حججهُ الدامغة فنقول :

لو فرضنا أن امرأ القيس لم يكن وثنياً فلا يستنتج من ذلك انه « كان اما يهودياً واما نصرانياً » لان عدة اديان كانت في بلاد العرب وأصحابها من الموحدين وهم مع ذلك ليسوا من اليهود ولا من النصارى . فما على حضرة الأب الا ان يفتح كتاب الشهرستاني فيرى ذكر فرق دينية جمة كلها في بلاد العرب وكان اصحابها موحدين . لكن لما كان ذكرها يطول هنا فنضرب عنها صفحاً ونحيل القراء الكرام على مطالعتها في مظنتها . على انه لا يجوز لنا أن نسكت عن الحنيفية اذ كانت شائعة ذائعة في بلاد العرب كلها ولا سيما في بلدح ومكة والطائف ويثرب وغيرها . قال الشهرستاني : « من العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع . . .

فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر وينتظر المقدم النبوي : زيد بن عمرو ابن نُفيل (وهو الذي نصَّره حضرة الاب ودوّن اسمهُ في سجل عداد النصارى يعني في كتاب شعراء الجاهلية — ٢ : ٦١٩) كان يسند ظهره الى الكعبة ويقول : أيها الناس هلموا اليّ فانهُ لم يبق على دين ابرهيم أحد غيري » . اه

ولكي يتثبت ونتحقق أن الحنفاء لم يكونوا يهوداً أو نصارى بل على ملة ابرهيم اسمع ما جاء في كتاب الاغاني (٣ : ١٦) ما هذا نصهُ بحرفهِ بخصوص دين زيد بن عمرو بن نفيل قال :

« ان زيد بن عمرو خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم . فقال اليهودي : انك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد بن عمرو : لا أفرُّ الا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً ابداً وأنا استطيع . فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال ما اعلمه الا ان تكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابرهيم . فخرج من عنده وتركه . فاتى عالمـاً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال اليهودي . فقال له النصراني : انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . فقال : اني لا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً ابداً وأنا استطيع . فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي : لا اعلمه الا ان تكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رضي بما اخبراه واتفقا عليه من دين ابرهيم . فلما برز رفع يديه وقال : اللهم على دين ابرهيم »

فهل بعد هذا النص الجلي يماحكنا حضرة الأب ويقول : لا بل وكان زيد بن عمرو نصرانياً لانه لم يكن يهودياً ؟

قلنا : وكان أمية بن ابي الصلت من الحنفاء ايضاً لا من النصارى . قال في الاغاني

(٣ : ١٨٧) : كان أمية بن ابي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابرهيم واسمعيل والحنيفية وحرم الخمر (والنصارى لا تحرمه) وشك في الاوثان وكان محققاً والتمس الدين (والنصارى لا تلتمس غير دينهم) وطمع في النبوة (والنصارى لا تطمع في النبوة) لانهُ قرأ في الكتب (وليس ذلك في كتب النصارى) أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو » . اه بحرفه

فأين بقيت نصرانية أمية ؟ اللهم الا ان تكون بعدُ في عقل حضرة الأب حرسهُ الله . .

هذا من جهة كون الانسان قد يكون موحداً ولا يكون مع ذلك لا يهودياً ولا نصرانياً . وهو جواب مقدمته والآن نجيب على جواب أدلتهِ فنقول :

أولاً . اننا ان سلمنا ان امرأ القيس لم يكن وثنياً فلا نسلم ابداً انه لم يكن مزدكياً لان براهين الأب في نقض أدلة براهين خصمهِ في منتهى الضعف والوهن . كيف لم يكن مزدكياً وقد أثبت اغلب المؤرخين وأرسخهم قدماً في تحقيق الاخبار وتحريرها ان جدّه الحارث كان مزدكياً وكذا كان ابوه حُجْر . ومزدكية او زندقة والده مما لا تحتمل الشك او الريب اذ قد قال اليعقوبي وهو من اقدم مؤرخي العرب في كتابه (١ : ٢٩٩) « وتزندق (أي تمزدك) حُجْر بن عمرو الكندي »

فاذا كان حضرة الاب يثبت دين رجل لكون أمهِ او خالته او عمته كانت على النصرانيـة فلماذا لا يريد أن يقبل حجة من يريد ان يثبت دين رجل لاتّباعهِ دين أبيهِ او جده ؟ فقد أثبت الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي في رسالة ألفها فيما خالف الاسلام ما عليه عرب الجاهلية وورد الشرع بابطاله وذكر نحو مائة مسألة . منها : تقليد الآباء والاسلاف والاعراض عن الاستدلال والى ذلك الاشارة : « واذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليهِ آباءنا » . قال : « أولو كان آباؤهم لا

يعقلون شيئاً ولا يهتدون » الى غير ذلك . اه . فامرؤ القيس على هذا هو على مذهب آبائهِ ان لم يقم دليـل صريح على خلاف ذلك به يقال انه خالف دين آبائهِ وانتحل الدين الفلاني مثلاً وهذا لم نعثر عليه في احد الاسفار

ثانياً . أما خلو أشعاره من آثار الشرك فيحتمل انه لم يكن وثنياً لكن لا يستنتج منه انه كان نصرانياً اذ كان في بلاد العرب عدة أديان كلها قائلة بالتوحيد كما سبق القول ولم يكن اصحابها مع ذلك نصارى . قال الشهرستاني : « كانت العرب اذا لبت وهللت قالت : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه ومالكه » . وقال قبل ذلك : « وصِنف منهم أقروا بالخالق وابتدآء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقرّبوا القرابين وتقرّبوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرّموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم » اه . وقال ايضاً : « وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث (بعث الاجساد) والاعادة » اه .

فانت ترى من هذا انه لم يوجد نوع واحد من الموحدين بل أصناف مختلفة . ومثله يقول المسعودي في مروج الذهب فقد ذكر ثمّ ما هذا نصه : «كانت العرب في جاهليتها فرَقاً . منهم : الموحد المقرّ بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقناً بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي» . اه . وقال ايضاً : « وكان من العرب من أقرّ بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وانكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام » . اه ومثل هذا الكلام كثير في كتب العرب الاقدمين والمحدثين

ثالثاً . جوابنا على خلوّ شعر امرىء القيس من آثار الشرك محتوٍ على جوابَيْنا السابقين فلا حاجة الى الاعادة

رابعاً . أما قوله ان الاشارات النصرانية الموجودة في شعره تنطق بلسان حالها

عن علاقاته مع النصارى فهذا لا ننكره لكن بين ان يكون له علاقات مع النصارى و بين أن يكون نصرانياً فرق ظاهر لا يخفى على عاقل اديب مثله . وكذلك القول في من استعمل الاصطلاحات النصرانية في شعره فهذا لا يدل على تنصره . والا لزم أن كل من ذكر مثل هذه الالفاظ والاصطلاحات واستعملها في ما كتب ونظم أنهُ نصراني مثل يزيد بن معاوية وابن المعتز ومدرك بن علي الشيباني وغيرهم من لغويين ومؤرخين واخباريين وغيرهم وغيرهم . وهو قول فاسد لايحتاج الى اظهار مافيه من الوهن

خامساً . أما استدلاله بانتشار النصرانية في كندة قبيلة امرىء القيس فهو قول باطل لان النصرانية كانت أقلّ انتشاراً في كندة من سائر الاديان فيها . ولو فرضنا أنها كانت منتشرةً فيها فلا ينتج من ذلك ان كل افراد القبيلة كانت تدين بها . فهذه تميم مثلاً ففيها كان نصارى (الكامل ١ : ٢٦) و ياقوت ١ : ٥٩٨ وكان فيهم المجوس ومنهم زرارة بن عدس التميمي وابنهُ حاجب والاقرع بن حابس وأبو الاسود جدّ وكيع بن حسان وكان فيهم صابئة عبدوا الدبران . ومنهم ثنويّة . وآخرون عبدة اصنام وكانت تلبيتهم عند صنمهم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لبيك عن تميم قد تراها ، قد أخلقت أثوابها ، وأثواب من وراءها ، وأخلصت لربها دعاءها . (عن اليعقوبي ١ : ٢٩٦) ومنهم من اتبع سجاح المتنبئة . وفريق وافق مسيلمة الكذاب وهم بنو عطارد بن عوف بن كعب بطن من تميم . فهل يصح دائماً في الاستدلال والاستنتاج أن ننتقل من الجزئي الى الكلي ؟ هل يجوز لنا ان نقول ان بني تميم كانوا كلهم نصارى ؟ أو كلهم عبدة اصنام ، او كلهم اتبعوا سجاح ، او كلهم وافقوا مسيلمة لان بعضهم كان كذلك . فاذا كان لا يجوز دائماً : فلماذا يريد الاب أن يجوّز لنفسه ما لا يجيزه لغيره ؟ ففي كندة كانت اليهودية (اطلب بلوغ الارب ١ : ٣٧٩) والنصرانية (راجع كتاب الخراج للامام أبي يوسف ص ٨٦) والوثنية وكانت تلبيتهم :

لبيك لاشريك لك ، تملكه أو تهلكه ، انت حكيم فاتركه (اليعقوبي ١ : ٢٩٧) الى غير ذلك من الاديان . فلمَ يريد أن يخصها بالنصرانية ؟ أليس لمجرد الايهام ؟

سادساً . من أوهن أدلته على نصرانيـة امريء القيس استنجاد أمير الشعراء بالقيصر ! فأي علاقة للدين هنا ؟ فنحن لا نرى في ذلك سوى استنجاد الضعيف بالقوي أو التعاقد والتعاهد لمنفعة شخصية أو غاية دولية . وبخصوص ما يشبه استنصار الشاعر المذكور أو هو هذا الاستنصار بعينه كتب الاديب دُشَين في كتابه الموسوم بالكنائس المفترقة ص٣٢٩ما هذا معناه(L. Duchesne. Les Eglises séparées) : « فأرادت دولة الروم أن تنتفع من هذه الحالة (حالة اضطراب أمور الحميريين) فأرسل قيصر الروم الى ملوك اكسوم وحمير عدة رسل كان أولهم يوليان ثم نَنُّوس . وكانت الغاية من ذلك تحويل تجارة الحرير من تلك الجهة لانها كانت على ما يُظن تتبع طريق هرمز فتتخذ دائماً طريق فارس . وكان في الصدر غايات عسكرية ايضاً . فألقى يُستنيان نظره على رجل اسمهُ قيس كان قد نكث حبل الوصال مع اسيمفيوس (ملك الحميريين النصراني) ليقيمهُ رئيساً على قبائل عرب كندة ومعدّ . وكان الغرض من ذلك أن قيساً يتفق مع الحمريين ليحارب الفرس بعد أن يكون قد تمكن من رئاسته » فهنا نرى القوي يلتجيء الى الضعيف وكل ذلك لغايات سياسية

ولو كان لِما يزعم حضرة الاب صحة أي استنصار الضعيف بالقوي من لوازم الديانة او نتائجها او روابطها لقلنا ان جميع الدول المتعاهدة هي على دين واعتقاد واحد ، والا لما ارتبطت . والحال ان المسائل السياسية لا تعلق لها بالمسائل الدينية ، وهذا ما يفقهُ أصغر الولدان ، وكما تشهد عليـه الاحوال واحداث الزمان ، في الحال وسابق الأوان

ومن غريب كلام حضرة الاب لويس المحترم ان امرأ القيس استنجد بالقيصر

لوحدة الدين ولولا ذلك « لما خطر على بال احد أهل البادية خاطر الاستنجاد » وهو مع ذلك يُظهر في دليله التاسع ان القيصر كان أول من فكر بهذا الامر اذ كانت قد جرت مذاكرات منذ عهد الحارث بهذا الخصوص فأتمها على يد حفيده امرئ القيس . وعليه فأي الروايتين أصح ؟ وأيهما نصدق ؟ لا شك أن التعصب يبين من اثناء السطور . واللسان شاهد على ما في الصدور

واليك الآن دليله السابع : « من الدلائل على نصرانية امريء القيس نصرانية عمتـهِ هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى » . . . ثم قال : « وقد ذكرنا في المشرق (٥ : ١٠٦) الكتابة التي وضعتها في صدره وفيها تدل على نصرانيتها ونصرانية أبيها الحارث وابنها عمرو بن هند »

قلنا : أما نصرانية عمته وولدها عمرو فلا ننكرها . وأما نصرانية أبيها فمشكوك فيها. لان قوله : « ويكون الله معهـا ومع والدها » كما رواه المشرق فغير صحيح . والذي أورده ياقوت « ومع ولدها » أي ابنها . وهو الامر الذي يدفعنا الى ان أباها لم يكن على دين النصرانية لتطلب الخير الاعظم لنفسه ولذا لم تقل : « ويكون الله معها ومع ولدها ووالدها » وكذلك قالت : « ويغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها » ولم تذكر والدها لكونه لم يكن نصرانياً . وهذا يحملنا على القول بان أباها بقي مزدكياً حتى انها لم تطلب له ما طلبت لنفسها ولولدها من مغفرة الخطايا والرحمة والملك مع الله في مجد الآخرة . هذا ومن أعجب ما في هذه الحجة الاستـدلال بمذهب عمة امريء القيس على مذهبه مع ان حضرة الاب المستدلّ لم يرضَ باستدلال من استدلّ بالنصوص الواضحة الصريحـة على ان أباه وجدّه كانا على دين المزدكية . ومن المعلوم ان الولد في الغالب المشهور يكون على دين آبائه لا سيما اهل الجاهلية . فلكم قالوا : « إنّا وجدنا آباءنا على أمة وانّا على آثارهم مقتدون » ولم نسمع أنهم قالوا :

ان الولد على دين عمته أو خالته كما أسلفنا قبل هذا

ودونك ما تقول عن الدليل الثامن : الاستدلال على نصرانيـة امرئ القيس بكون أمهِ كانت تغلبيةً ومن ثم انها كانت نصرانيةً وعليه فامرؤ القيس نصراني هو في غاية الضعف والوهن . فقد مرّ بك أن تغلب لم تكن « كلها » نصرانية ولا سيما قد أبنّا لك ان أخوي فاطمة أمّ امرئ القيس وهما كليب والمهلهل كانا على الوثنيـة فكيف يُستنتج بعد ذلك أن امير الشعراء كان نصرانياً ؟ هذا وقد يكون في البيت الواحد عدة اشخاص ولهم اديان مختلفة وهو أمر مشهور في الجاهلية

ثم ان الاب قد ذكر في دليله التاسع ما زين لنفسهِ ان يقول انه اقوى الادلة وهو ارسال الملك يستنيان ننوس سفيراً الى الحبشة والحميريين وقبائل البادية لكي يولي امرأ القيس رئاسة فلسطين . نعم ان هذا لا يبقي شبهةً في ارسال ننوس المذكور الى الحبشة والى امرئ القيس . لكن لا نرى كيف يستدل بذلك على نصرانية الشاعر والملك الضلّيل . ولقد أجبنا أن مثل هذا لا يستنتج منـه وحدة الدين في المولّي والمولّى بل يتحصل منه حسن التواصل بين القيصر والشاعر لاغير . وقد فعل القياصرة مثل ذلك في غير النصارى كما يشهد بذلك التاريخ والامثلة كثيرة فلتراجع في مظانها

وأما دليله العاشر فلا يخرج عن دائرة المعنى المتقدم ذكره والجواب عليه واحد . فليعد اليه والعود احمد

فيتحصل مما تقدم شرحهُ الحقائق الآتية وهي :

١ً — ان امرأ القيس كان مزدكياً ولا ريب في ذلك . والسبب هو لان أباه وجدّه كانا على هذا الدين . ومن ثم فالابناء يُعتبرون على دين آبائهم ان لم يأت ذكر صريح بكونهم اتبعوا ديناً آخر. ولما لم نقف على أثر يؤيدأن امرأ القيس خالف دين آبائهِ فالنتيجة واضحة كون الابن اتبع الاب في مذهبه . على اننا لا نريد بقولنا انه كان

مزدكياً كان من المتحمسين في دينه ؟ كلا ، بل على حد ما كان الغير متبعين اديانهم . يعني انهم كانوا ينتحلون من الدين ظواهره وقشوره لا غير

٢ً — لا يجوز لنا ان نقول ان فلاناً من اهل الجاهلية كان على دين كذا ما لم يصرح بذلك احد الأئمة . فان حُرمنا هذا السند فيجب حينئذ أن تتضافر عدة أدلة لامعة على سدّ مسدّ هذا السند والا فمن اللازم أن يُعدّ ذلك الرجل بين جماعة المتدينين بدين دهماء العرب أي التوحيد مع عبادة الاوثان أو بدين طائفة عقلاء العرب وحكمائها يعني بالحنيفية

(حاشية : — ان الائمة من المتكلمين في الادب واللغة والتاريخ قد ذكروا كل من كان على دين من اهل الجاهلية وصرحوا به تصريحاً بيناً . ولم نجد احداً نسب النصرانية الى امرئ القيس الا أنهم نسبوا المزدكية الى ابيهِ وجدّه ولهذا ورد فيه : « انه القائد لمن سلك مسلكه الى النار » مع ان كلام الائمة في اهل الفترة يأبى كونهُ من اهل النار اذا كان على النصرانية أو اليهودية يعني اذا كان من اهل الكتاب)

٣ً — الاستدلال بأسماء العرب او بدين قبائلها وعشائرها وأقوامها على حقيقة دين الواحد منها أو ببعض عوائده الملية او ببعض مُبهم اشاراتهِ وتلميحاتهِ وكلامهِ غير كافية لاقامة الدليل على جوهر دينه . اللهم الا أن تجتمع هذه الحجج العامة مع حجج خاصة فحينئذ تحمل تلك محمل هذه فيتبين الحق و يتصرم الباطل . وهذان الدليلان يوضحان أن امرأ القيس على دين المزدكية ولم يكن ابداً على دين آخر ولا سيما النصرانية كما توهمهُ وأوهمه الاب لويس شيخو اليسوعي

٤ً — ان ما يزيد اشكالاً مسألة دين عرب الجاهلية وجود عدة اديان وفرق كانت تقول كلها بالتوحيد . ولم يكن اليهود والنصارى وحدهم موحدين ففي القرآن آياتُ كثيرة تشير الى هذه الحقيقة . وكتبة العرب قد ذكروا معتقد تلك الفرق بحيث

لا يبقى في الامر شبهة البتة . وعليه فاننا ان عدلنا عن القول بمزدكية امرئ القيس (وهو أمر بعيد) فلا جرم أننا نميل الى القول بأنه كان موحداً الا انه لم يكن نصرانياً مهما حاول الغير أن يثبتوه لضعف براهينهم في هذا الصدد . وفوق كل ذي علم عليم .

بغداد أحد قراء المقتبس

حكم انكليزية

الحياة

الحياة أمر خطير ولكنه بهيج محفوف بالنعم والفرص الثمينة

الحياة لا تقدر بالسنين فقط لان الحوادث احياناً هي أفضل ما تحصى منها

الامر الوحيد العظيم للمرء ان يكون له في الحياة مسلك خاص به

يكاد يؤسف لكل خطوة نسيرها في الحياة اذا تأملنا خطوات أخرى كثيرة كان يتيسر ان نخطوها .

الحياة أمثولة في التراضي فاننا أبعد ما نكون عن الرضا متى نلنا كل ما نريد

جُعلت الحياة للعمل لا للبطالة — للكد في الخطر والخوف ولعمل شيء من الخير قبل ان يأتي الليل الذي ينقطع المرء فيه عن العمل وما كانت الحياة ليحاول بها المرء الاستمتاع بجنة في الارض

محن الحياة كثيرة تعرض على الدوام وكثيراً ما تغير في لمحة كل ما نفكر فيه ونشعر به

الطفولية والشباب

تنيخ حول الطفل جميع الفضائل الثلاث وهي الايمان والرجاء والمحبة

ليس في الطفل ما ينذر بمخاوف المستقبل ولا تذكّر احزان مضت

خصال الرجل في أوائل عمره خصاله اذا بلغ أشده

كل أمر يبدأ في الدنيا صغيراً فيما يتناوله المرء من الاعمال كما ان كل بشر يبدأ الحياة من الطفولية

الشباب سعادة علية في نفسه لان الممكنات منطوية تحته باسرها وليس فيه مالا يمكن رده

اكثر ما يعمله الانسان في حياته هو ما يعمله في شبابه

للشباب الخطأ وللكهولة الكد وللشيخوخة الاسف

العمل الواجب

ثق بان الحق عامل للقوة وعلى هذا الايمان اجسر ابداً على عمل ما تراه من الواجب عليك

العمل الواجب لا يعبس وجهه الا متى هربت منه واذا تابعته تبسّم

ان من يعملون ما يجب عليهم في الامور اليومية الحقيرة هم الاولى يقومون به في الشؤون العظيمة

ما عرفت انه يجب عليك فاعمله في الحال

ما يجب دائماً على كل انسان لرفقائه هو ان يعرف ما فيه من القوى والمواهب الخاصة ويؤيدها لنفعهم

يتكامل العقل لا بالعلم بل بالعمل

لا يهم كل انسان خيبة سعيه أو نجاحه بل ان يعمل ما يجب عليه حتى الموت بحسب ما له من النور

العمل والهمة

لا خطر للمرء ولا كرامة له الا بالعزم الفاضل

ما نفع العافية والحياة اذا لم نعمل بهما عملاً

من وجد عمله فقد وجد السعادة التي عليه ان لا يطلب غيرها

لا مبالغة بان العمل الخالص يكاد لا يضيع بتة فاننا اذا لم نجد الكنز الوهمي في الحقل اخصبناه بالعمل على الاقل

ألا تعلم أنك كلما كنت أنشط على العمل كانت سعادتك اكثر

لا تعدّ مواهب المرء شيئاً اذا لم تكن مقرونةً بموهبة العمل

من العجب ان بعض الناس يحسبون لذة الحياة بلاعمل أمراً باهراً وهم يسوقون غيرهم الى عمل بلا لذة

النجاح

ليس للانسان ان يقضي بالنجاح وله ان يفعل اكثر من ذلك وهو ان يستحقه

سر النجاح حصر الفكر في الشيء المطلوب وهو ما يسبق كل عمل عظيم في الحياة

سبب نجاح من يهتمون بامورهم ان منازعتهم كانت قليلة

تيقن ان عطية النجاح ليست الا اتقان العمل في كل ما تعمله بلا التفات الى الشهرة التي اذا اتفق أبداً وقوعها كانت من باب الاستحقاق لا من باب غرض يسعى اليه .

كيف تستطيع اتيان عمل في الدنيا او تنجح في شأن من شؤونها اذا لم تكن لك ثقة بنفسك

اذا شئت النجاح في الحياة فاجعل المواظبة صاحبك العزيز والخبرة مشيرك الحكيم والحذر أخاك الاكبر والرجاء خُلقك الحارس

بيروت يوحنا ورتبات

التعليم بالعربية

تحيا لغة كل أمة بحياة سياستها فاذا انتعشت هذه خدمت تلك فانتشرت ونمت . ومتى ضعفت السياسة ضعفت اللغة بضعفها . فقد رأينا اللغة الانكليزية تغلبت على الفرنسية أو كادت في معظم اقطار المعمور لان سياسة انكلترا وابنتها الولايات المتحدة نافذة في القارات الخمس ولأن الشعوب الانكليزية السكسونية أرقى الامم بعلومها وآدابها واخلاقها وصناعاتها ومتاجرها واستعمارها . واللغة أيضاً كالتجارة تابعة لعَلَم الدولة فحيثما خفق لواء أمة وانبسط ظل سلطانها تتغلب بالطبيعة لغة ذلك العَلَم والسلطان . والناس مفطورون على تقليد حاكمهم في منازعهِ ومناحيهِ تقليدهم له في شعاره . واللغة رأس كل تقليد وتشبُّه . وعلى هذه السنة جرى المغلوبون على امرهم من الروم والقبط والترك والفرس في الدولة الاموية والعباسية وأخذوا يتلقفون العربية خصوصاً بعد أن نُقلت لغة الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان الاموي من الرومية والفارسية الى العربية وقال سرحون كاتب عبد الملك لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم

وقد اهتمّ الانكليز لما احتلوا هذا القطر بجعل التعليم بالانكليزية في مدارسهِ لينشأ لهم على الزمن جيل جديد يفهم مغازيهم ومراميهم ويكون عونهم على تأليف القلوب وواسطة للتفاهم فلا يستثقل ظلهم ولا يتبرم بدولتهم . ومن تعلم لغة قوم وثق بهم وعرف تاريخهم وشرائعهم وأشرب قلبهُ حبهم . ولطالما رأينا من تعلموا العربية من متعصبي الافرنج هاموا بالعرب وتاريخها وشريعتها ولا هيام اهلها بها وغاروا عليها غيرة الكرام . وكذلك الحال بالانكليزية مثلاً فانا نرى متعلميها يتشيعون لاهل تلك اللغة . ومن علم شيئاً والاه ومن جهل شيئاً عاداه

حمي وطيس الحوار في الشهر الماضي في بهو الجمعية العمومية في هذه العاصمة بشأن اعادة التعليم بالعربيــة في المدارس الاميرية المصرية الى ما كانت قبل سنة ١٨٨٩ فكانت حجة الحكومة ان العربية لا يتسع صدرها ولا ينطلق لسانها للعلوم العصرية وما تنتجهُ حضارة الغرب كل يوم من المسميات التي لا أسماء لهـا في هذه اللغة وانها لو سمحت الآن باعادة التعليم بالعربيــة في المدارس لأعوزها الاساتذة والكتب . وليس هنا محل تفنيد الآراء التي تمليها الاهواء السياسية في هذا الشأن ، وانما نلم بذكر رأينا العلمي في هذه اللغة التي يرميها المماحكون بأنه يتعذر عليها أن تكون بعدُ لسان العلم ومباءة الحكمة الغربية

ان كل منصف للعربية ليراها قد اتسعت لكل ما ألقي عليها من علوم الحضارة ومطالبها ولم تتحرج من ادخال الكلمات الدخيلة التي لا عهد لهـا بها فما وجد التراجمة والنقلة في العهد الاول مرادفاً له في أصـل اللغة وضعوه وما لم يروا له لفظاً أو مادةً يشتقون منها نقلوه على اصله او نحتوه بعض النحت بحيث لا يصعب على العربي أن ينطق به لمخـالفتهِ الصيغ المألوفة . هكذا جروا في معظم الالفاظ الفقهية والكلامية والفلسفية والنجومية والطبيعية والطبية والرياضية والزراعية والكيماوية ولم يكن التراجمة كلهم من الماهرين بالعربيــة بل كان المترجمون كثيراً ما ينقلون المعاني وعلماء اللغة والمحيطون بشواردها وضوابطها يضعون الالفاظ والمصطلحات وكثيراً ما كانوا يترجمون اللفظة الواحدة اذا عجزوا بجملة تفسرها . وهذا مألوف في معظم اللغات وقلما يكون لكل لفظة في لغة مرادف لها من اللغة الثانية ولا سيما اذا كان النقل من لغة غربية الى لغة شرقية كما كان صدر الدولة العباسية . والعلوم نقلت عن الرومية والنبطية والفارسية والنقل عن الرومية اكثر . والرومية غربية بعيدة عن العربية الشرقية في أسلوبها

ألا وان كتب الاسلاف لتشهد أبد الدهر بأن العربية تقبل كل دخيل وعلم .

وفي المؤلفات العلمية التي ظهرت في مصر على عهد محمد علي وسعيد اكبر دليل على ذلك

فقد كان المترجمون ينقلون الكتب الى العربية فيجيء المصححون في دار الترجمة يقوّمون العبارة وينظرون في بعض ما له مقابل من اللغة . كان ذلك قبل ثمانين سنة واللغة العربية منحطة لارتفاع سند العلوم الكونية من بين اهلها قروناً فما بالك اليوم وقد ارتقت لهجة اللغة واستحكمت ملكتها في القائمين على الكتابة والتدريس وصار كثير من العامة ممن شغفوا بالمطالعة يميزون بالفطرة بين صحيح الكلام وفاسده وأصبح اكثر تلك العلوم لأبنائنا مألوفاً بل غدا معظم المترجمين ينقلون في اصعب الموضوعات بأسلوب تكاد لا تقرأ فيه صورة الترجمة لسلاسته

نعم ان الواحد منا قد يصعب عليه اليوم نقل علوم لا عهد لنا بها كعلم الحياة (بيولوجيا) مثلاً فلا يكون ضعفهُ في ذلك دليلاً على ضعف اللغة التي لم تحشر الى ذهنه ساعة الترجمة ألفاظها وتراكيبها بالسرعة التي يريدها بل الذنب كل الذنب على جهله ذلك العلم لان فهمهُ يتوقف على الاحاطة بعلوم كثيرة ليست من المألوفات عنده . وأنى يتأتى لمن لا يفهم الاصل أن يحسن نقله بألفاظ وأسلوب يفهمهُ من لم يفهمهُ واللفظ والمعنى يخونانهِ ؟ . ولو درسنا هذا الفن على اهله لما صعب علينا نقله بأسره فنترجم الالفاظ التي لا مرادف لها عندنا بجملة ريثما يقوم من يضع لها مرادفاً في لغتنا أو نأخذها كما هي في اللغات الافرنجية على نحو ما اخذنا كثيراً من الالفاظ في العهد الاخير وأدمجناها في مطاوي كلامنا

والعربية ليست دون التركية في معنى النقل فان الاتراك فتحوا باب النقل من اللغات الاوربية فاغتنت لغتهم على قلة مادتها الاصلية بآداب الامم الغربية وعلومها . ولو أتيح للعربية أن يعاد قلم الترجمة الى القاهرة كما كان لا يصعب على المدارس الابتدائية والثانوية والعالية أن تسير مع العلم الغربي كتفاً الى كتف . فلا يفوتنا هنا اليوم ما نُشر في الغرب أمس . وكيف يطلب من العربية الآن أن تحوي كتباً بأحدث

ما تمّ من ابحاث العلم واكتشافاتهِ بعد أن بطلت منها الترجمة في العلوم العصرية منذ أبطلت كلية بيروت الاميركية تدريس العلوم بالعربية وجعلتها بالانكليزية وقضت نظارة معارف مصر أن تكون الانكليزية ايضاً لغة المدارس وضعف تعليم آداب اللغة في مدارس الاجانب في سورية وفي المدارس الاميرية بمصر

وكان من هذا الضعف أن زهدت النفوس في تعلم لسان العرب وانتهى أمره الى نفر من المولعين بهِ وهم افراد لا يبنى عليهم حكم في مصر والشام والعراق وتونس . بل وكلت خدمتهُ لمرتزقة الكتّاب كأكثر محرري الجرائد وكتاب الروايات و بعض أساتذة المدارس ومعظمهم لا يهمهم من اللغة الا أن يكتبوا ما يُطلب منهم أو يعملوا في الدائرة التي حددت لهم . و بديهي أن الناس لا ينبعثون الى التأليف في لغة الا اذا وجدوا المنشطات عليه والدواعي الحافزة اليه كأن تقبل الدولة ما يؤلفون وتنيلهم الجوائز عليه وتطبعه على نفقتها وتدرسه في مدارسها . وانما يرغّب الناس في العلم وهو أشق الصناعات وأشرفها رواج سوقهِ بين الخاصة والعامة ولكن اذا رأى المؤلفون أن بضاعتهم مزجاة وأن ارقاهم كعباً لا يربح من قلمهِ ما يسدّ جوعتهُ وأسعدهم من لم يضطهد في سبيل نشر علمهِ فهيهات أن تنشط اللغة من عقالها . واذا لم توفق مصر الى جعل التعليم بالعربية يستحيل أن توجد كتب علمية أو ينشأ لها نشوء يحسن الكتابة والخطابة على مناحي البلغاء . دع عنك الافراد فانهم لا يخلو منهم زمن مهما بلغ من انحطاطهِ العلمي والاجتماعي

يا عدل

متى تحضر نطب يا عدل بالا واما ان تغب عنا فلا لا
وكم واعدتنا يا عدل وصلاً رجوناه فلم تُنِل الوصالا
وطالبناك بالانجاز لما مطلت فلم تزد الا مطالا

الى الناس التفت يا عدل يوماً فان عليك للناس اتكالا
زوالك لا تهنَّأ مُحضِروه يكون لعز مملكة زوالا
وان السعد حيث طلعت يبدو وان الامن حيث تميل مالا
وانك كالصباح اذا تجلى وأسفر عن عمود قد تلالا
وانك قد اضأت الناس قدماً وانك كنت حينئذٍ هلالا
فكيف وانت هذا العصر بدرٌ بلغت تمام ضوئك والكمالا
تُواري نورك المحبوب عنا وتحجب عن محبيك الجمالا
أقم للحق ديواناً عظيماً ورخّص كي نُلمّ به عجالى
فنقرأ في ظُلامتنا كتاباً ونشكو في حضورٍ منك حالا

* * *

وقفت وأعيني مغرورقات على ربع لميَّة قد أحالا
على ربع لمية زايلته ولم يكُ عرف مية عنه زالا
أسائله فلم يُرجع جوابي كأن الربع ما فهم السؤالا
وقفت محاذياً طللاً حكاني به وحكيت دارسه هُزالا
كأني اذ أسائلهُ خيالٌ يخاطب في مُعطّلة خيالا
ذكرت به زماناً فيه ميٌّ تلاعبني وتوليني الوصالا
وصالاً قد نعمتُ به كأني شربت به على ظمأٍ زلالا

* * *

ألا يا ميّ حبك في فؤادي كمثل النار يشتعل اشتعالا
أبيني كيف ليلك قد تقضى فبعدكِ ليلنا يا ميّ طالا
أمية نوّلينا منكِ قرباً أميـة ثم لا تذري النوالا
ولم نك اذ منعتِ الوصل ندري أبخلاً كان ذلك أم دلالا
أذنب يا رعاكِ الله أنّا عشقنا منكِ يا ميّ الجمالا

* * *

أدرْ في الربع عيناً منك وانظر — الى حالٍ اليها الربع حالا
تولَّى فيه عنك العيش حلواً — فخلّ العين تنهمل انهمالا
وما الربع الذي أخبرتُ عنه — سوى الوطن الذي ركناه مالا
وليس سوى العدالة ما هوينا — وميٌّ قد ذكرناها مثالا
اذا أمست حياة المرء عبئاً — عليه لا يطيق لها احتمالا
ولازمه من الاحزان داء — وأصبح داؤه داءً عضالاً
وقد فرحت أعاديه شماتاً — وفارقه أحبته ملالا
فليس سوى الحمام له طبيب — يداوي منه آلاماً توالى
فان الموت يرحمه وينفي — خطوباً قد نزلن به ثقالاً
وان الموت ملتجأٌ كريم — لمن ألقى بساحته الرحالا
فزرنا عاجلاً يا موت زرنا — فان لنا بزورتك احتفالا
ويا نفس ارحلي عنا فينا — بقاؤكِ لم يكن الا ضلالا
ودوسي في طريقك كل صعب — بعزم تنطحين به الجبالا
فانك ان برحتِ الجسم منا — سموتِ الى ذرى جو تعالى

∴

نفرّ من الحياة الى المنايا — لان حياتنا أمست وبالا
نريد من الكروب بها خلاصاً — وعن دار الهوان بها ارتحالا
وان لنا اذا متنا حياةً — ننال الى السماء بها انتقالا
ستخرج عن مضيق الجسم روحي — وتُلْفي في الفضاء لها مجالاً
بقاء الروح بعد الجسم أمر — به اختلفوا ومن يدري المآلا
فقال البعض ان الروح تبقى — اذا انفصلت عن الجسم انفصالا
وقال البعض ان النفس تفنى — اذا لاقت قوى الجسم انحلالا
فظن بقاءها حتماً أناس — وعدّ بقاءها قومٌ محالا
وقد قلنا به ونفاه بعض — وان لنا مع النافي جدالا

بغداد

ج . ص

هنود اميركا

لما وطئت أقدام البيض قارة أميركا ألفوا أنحاء كثيرةً منها مأهولةً بالهنود فدهشوا لما رأوا ، كما عجب الهنود من رؤية البيض وتوهموهم آلهـةً بادىء الرأي . فاخذوا يسجدون لهم ويعبدونهم ويقدمون لهم الهدايا النفيسة كالقطع الذهبية الكبيرة التي لم يكن لها قيمة عند الهنود

ولقد وهم المكتشفون الاوربيون في ظنهم أن سكان أميركا الاصليين على جانب من الحضارة والعمران ، بيد أنهم لم يلبثوا في ذلك العالم الجديد طويلاً حتى تحققوا أن أولئك الهنود قوم جهلاء انقضت عليهم ألوف من السنين وظلوا على حالة واحدة من الخشونة والجهالة . فكانت الفلاحة عندهم في ذلك العهد غير معروفة . وكانوا يعيشون من الصيد وثمار الارض الطبيعية . وكانت بنادقهم أقواس النشاب ورصاصهم الاحجار المحددة وسيوفهم العظم والصوّان

وكانت مساكنهم من تراب الارض وأعشابها ، ولم تكن الا أكواخاً حقيرة ملأى بالاقذار لا ترتيب فيها ولا نظام ، وكان معظمهم بدون مساكن يعيشون كالحيوانات البرية ، واذ كانوا يطوفون البقاع والربوع للقنص والصيد اضطرتهم حالة الاقليم الى عمل الخيام من جلود الحيوانات التي كانوا يصطادونها ويعيشون من لحومها وكثيرون منهم ما برحوا عائشين كسابق عهدهم

اهتمّ علماء أوربا بأمر أولئك الهنود فأخذوا يبحثون عن أصلهم وانقضت عشرات السنين على أبحاث كثيرين منهم والى اليوم لم يتوصلوا الى معرفة ذلك . فذهب فريق من العلماء الى أن أصل هنود اميركا من أوربا ، وذهب فريق آخر الى أن اصلهم من آسيا وهذا المذهب هو المعوّل عليه اليوم

أما كيفية نزولهم أميركا وعهد مجيئهم اليها فهما من المسائل الغامضة عنـد أهل

البحث والعلم اذ ليس من تاريخ لذلك وليس ثمت آثار تفيد في هذا الباب على ان أصل الهنود واحد وهم عريقون جداً في القدم

والدليل على ان الهنود من أصل واحد تشابه سحناتهم على تباين عشائرهم في جهات من مختلف الاقاليم في قارة أميركا . والدليل على قدمهم تفرع لغتهم الأصلية التي تختلف من الخمسين الى الستين فرعاً . وكل هذه الفروع منسوبة الى أصل واحد هو الأصل السامي . ويستلزم تفرع هذه الفروع العديدة من لغة واحدة دهراً طويلاً

وبحث جمهور من علماء القرن المنقضي عما اذا كان هنود أميركا من أصل قبل الطوفان أو بعده فكانت نتيجة ابحاثهم بأن أقرّ فريق منهم على ان الهنود من أصل قبل الطوفان . وذهب فريق آخر الى ان أصلهم من بعد الطوفان . والحقيقة انهُ ليس هناك أدلة تدل دلالة صريحة بحسب قوانين العلم الحديث على كون هنود أميركا من أصل بعد الطوفان . فعوائد الهنود تدلّ على انهم كانوا في أميركا منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . ويقول علمآء الدين انهُ انقضى على الطوفان نحو أربعة آلاف سنة . فاذا صحّ هذا الزعم فيكون مذهب الذاهبين الى ان الهنود من أصل بعد الطوفان فاسداً

ورجح علماء أصول اللغات في هذا العصر ان أصل لغة الهنود ساميٌّ وان هؤلاء الهنود من آسيا . ولقد تأملت ملياً في كثيرين منهم في أوقات مختلفة فوجدتهم يشبهون الكلدان وعرب البادية من وجوه كثيرة . وغنيّ عن البيان ان قارة آسيا أقرب القارات من قارة أميركا الشمالية . فالحاجز بين القارتين خليج بيرين المعروف

***

عرف عام ١٨٩١ ان لكل قبيلة من الهنود لغة مختصة بها وثبت ان للهنود ٥٩ لغة . اما عدد عشائرهم فقد ناهز الثمانمائة عشيرة . وعدد الهنود في الولايات المتحدة الآن ....، ٢٦٧ نفس ٨٠ الفاً منهم على جانب من التمدن و٠٠٠ ، ١٧٧ لايزالون

على جانب عظيم من التوحش كما كانوا في القرون الغابرة و٦٠ الفاً يحسبون من جماعة المصوتين في انتخابات الرؤساء والحكام والولايات . ولم يبق من أملاك الهنود الخصيبة التي كانت على التحقيق ٢٧٦ مليون آكر غير سبعة ملايين وأكثرها من الاراضي التي لا تصلح لغير رعي الماشية

ويرد تاريخ مساعي حكومات الولايات لتهذيب الهنود الى عام ١٧٧٥ فانها أخذت على ذاك العهد تنفق المبالغ الطائلة في تعليمهم فذهبت تلك الاموال ضياعاً لان الهنود غلاظ الرقاب ميالون الى اللهو وقضاء العمر في التنقل من بقعة الى أخرى. ولئن ذهبت اتعاب الولايات المتحدة بدون جدوى في أول الامر فان هذه العقبات لم تقف في طريق الحكومة الغيورة على تهذيب شعوبها . فقد جدد مجلس الامة الهمة عام ١٨٧٧ وبدأ بافتتاح المدارس الخصوصية للهنود لتعليمهم أولاً القراءة والكتابة والحساب . ثم العلوم وواجباتهم نحو الدولة والامة والوطن والدين والانسانية

ولم يأت ربع قرن على تأسيس تلك المدارس بين الهنود حتى استنار كثيرون منهم بقبس المعارف وأصبحوا يعدون من رجال الدولة والامة فكان من حكومات الولايات انها أبدت بما قامت مثالاً لكل دولة لا تحفل بتهذيب شعوبها وان التهذيب هو مطلب هذا العصر وان العزائم القوية تبدد غياهب الجهل وان الهمم العلية تخترق جبال المصاعب

وبعد فقد كان الهنود سابقاً يعدون بالملايين أما اليوم فقد انقرض معظمهم ولم يبق منهم اكثر من ٤٠٠ الف نفس ذلك لان حكومات الولايات حصرتهم في بقاع خاصة في أميركا الشمالية . فحرموا من المنافع الصحية التي كانوا يتمتعون بها أيام كانوا يمرحون ويسرحون في طول البلاد وعرضها أيام لا منازع ينازعهم ولا حاكم يقيد حديثهم أيام كانوا يعيشون من خيرات الارض الطبيعية وصيد الحيوانات

ومن أسباب انقراض نسل هذا الشعب المتوحش القديم حصر الزواج في العيال

والعشائر ولولا اختلاط زواج الهنود بيبض أوربا وعبيد افريقية لكان عددهم اليوم قليلاً جداً . ولعلّ لبقاء الا نسب فعلاً في الامر والله أعلم

الولايات المتحدة .أوماها نبراسكا يوسف جرجس زخم

مقاومة الالكحول

ثبت للباحثين في أدواء المجتمع الاوربي منذ أوائل القرن التاسع عشر ان الالكحول على اختلاف أجناسها تحدث المضار الجسيمة فتهلك الانفس وتبيد الاموال وتشوه الخلقة وتؤثر في النسل والعقل وان أقل ما يصيب المدمن جنون مطبق وسبة يلحقه عارها أبد الدهر فقام الصالحون من أهل ذاك المجتمع يناهضون الالكحول دفعاً لغوائلها ولا سيما في البلاد التي يزعم بعضهم انها وقاية لهم من برودة الجو كروسيا والسويد وشمالي فرنسا ونورمنديا وايرلاندا .

توفر المقامون على مناهضة المسكرات فأثمرت أعمالهم على توالي الايام ثمرات غضة نافعة جناها أهل بلادهم فكان من السويد بفضل وعظ الواعظين ان أصبح يصيب الفرد من أهلها في السنة ستة لترات من المسكرات بعد ان كان يصيبه سنة ١٨٣٠ أربعون لتراً وكان بدأ الافراط في تعاطي المسكرات ببلاد السويد منذ أواخر القرن الثامن عشر . وقد جاهد بطرس ويزلكران عميد مدينة غوتمبورغ ثلاثين سنة جهداً حسناً فوفق عام ١٨٥٥ الى وضع حد للالكحول وكانت أفكاره في هذا المعنى أساساً للقوانين التي سنّتها حكومة السويد وجرى العمل بها . وهذه الاعمال ترمي الى الشدة في معاملة بائعي المسكرات وصانعيها .

قالت الطان ضربت الحكومة السويدية على صانعي المسكرات ضرائب فاحشة وأخذت تزيدها الحين بعد الآخر حتى بلغت سنة ١٨٨٨ — ١٣٨ فرنكاً على كل

هكتولتر (مئة لتر) فعجزت المعامل الصغيرة عن صنع المشروبات اذ قضي على كل معمل ان يخرج في اليوم أربعة هكتولترات من الالكحول الخالص أو يغلق أبوابه ولم تسمح الحكومة بتنزيل هذا المعدل الى هكتولترين ونصف الا سنة ١٨٧١ وحظرت عمل الالكحول الا في شهرين من السنة ثم تسامحت ورخصت على توالي السنين بأن تصنع سبعة أشهر في السنة . فكان من ذلك ان قلّ في السويد عاصرو الخمر فبعد ان كان فيها سنة ١٨٢٩ — ١٢٤ ، ١٧٢ معملاً نزل عددها سنة ١٨٩٨ الى ١٢٨ معملاً

وجعلت السويد بيع المسكرات حراً في الجملة الا انها جعلت معدل ما يباع منه بالجملة ٢٥٠ لتراً وان لا يباع بالمفرق أقل من لتر واحد ليأخذها المبتاع معهُ ولا يشربها في محل ابتياعهِ لها . وعاملت الحانات بأقصى الشدة فأمرت أهلها ان يغلقوا محالهم الساعة الثامنة مساء في القرى والساعة العاشرة في المدن ولم تسمح لبائع المسكر ان يتقاضى مالاً من غريم له باعه خمراً بالنسيئة . وضربت اثنين وأربعين فرنكاً ضريبة على كل هكتولتر من الالكحول الصافي فأصبحت تمر في أربع ولايات من تلك البلاد فلا ترى فيها محلاً واحداً لبيع المسكرات

وقامت جمعيات تنشيء مطاعم لا يقدم فيها الشراب الا بأثمان فاحشة وأنشئت في انحاء كثيرة من البلاد غرف للمطالعة ليلهو فيها العامة عن الاختلاف الى الحانات فنزل معدل تناول المشروبات الروحية في العشرين سنة الاخيرة الى أربعين في المئة بمدينة استوكهلم والى خمسة وأربعين في مدينة غوتمتبورغ وسنت سنة ١٨٩٢ قانوناً اجبارياً يقضي فيه على جميع المدارس ان تلقي دروساً في طبيعة الالكحول وتأثيراته المضرة

وقد حذت سويسرا حذو السويد في مقاومة المسكرات فقامت في كل ناحية من انحائها جمعيات تدعو الى الاقلاع عن المسكرات وجمعيات لمقاومة الالكحول ومؤتمرات للدعوة الى مقاومة الابسنت لانه ثبت انه من أضر المشروبات الروحية . ولما قتل أحد السكيرين

في مقاطعة فود زوجته وأبنيته منذ سنتين هاج أهالي تلك المقاطعة وقدموا للحكومة محضراً فيه زهاء ٧٥ الف توقيع وهو ربع عدد السكان . فاضطر مجلس النظار هناك الى اصدار قانون شديد في منع المسكرات وحصرها حتى كان ربح تلك المقاطعة وحدها من احتكار الابسنت نحوستة ملايين فرنك هذه السنة وقد أضرهذا الاحتكار بكثير من أرباب معامل الابسنت واقفلت بيوت كثيرة كان أهلها يرتزقون منهُ فآثرت الحكومة مصلحة البلاد على مصلحة الافراد . وهكذا كل حين تنشأ المجامع وتعقد الجمعيات لمقاومة المسكرات في الجمهورية السويسرية

وكذلك فعلت ايرلاندا فنادى رجالها سنة ١٨٣٨ بالاقلاع عن المسكرات وكان بلغ اذ ذاك عدد محال بيعها ٢١٣٢٦ وما برحوا يكافحونها وأهلها حتى نزل عددها الى نصف ذلك بعد عشر سنين وأغلقوا الباقي ويقل اليوم في ايرلاندا عدد السكيرين واحداً في المئة كل سنة فقد كان يصيب الفرد من الايرلانديين سنة ١٩٠٣ سبعة وثمانون فرنكاً في السنة ثمن المشروبات فأصبح معدل ما يصيبه سنة ١٩٠٥ خمسة وسبعين فرنكاً ولا يزالون يسعون الى تقليل هذا المعدل . ويؤخذ من الاحصاءآت الأخيرة ان في نيويورك وسكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ١٠٨٢٠ محلاً لبيع المسكرات بالمفرق وفي باريز وسكانها مليونان ونصف ٢٠،٠٠٠ وفي لندن وسكانها أربعة ملايين ونصف ٥٨٦٠ محلاً

هذه خلاصة ماتلوناه بالافرنجية في هذا الشهر وكنا كلما تلونا احصاء أو فكراً نافعاً في هذا الباب نذكر ما قاله بنتام المشرع الانكليزي (١٧٤٨ — ١٨٣٢) في كتابه أصول الشرائع من ان الخمر في الاقاليم الشمالية يجعل المرء كالابله وفي الاقاليم الجنوبية يصبح بهِ كالمجنون ففي الاولى يكتفى بالمعاقبة على السكر لانه عمل فظيع وفي الثانية يجب منعه بطرق أشد لانهُ أشبهُ بالتشرر ولقد حرمت ديانة محمد جميع المشروبات

الروحية وهذا التحريم من محاسنها . فاذا رددناه ذكرنا ان هذا التحريم لم ينفذ بالفعل في الممالك الاسلامية الا على عهد نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام وديار الجزيرة فانه أبطل صنع المسكرات في أيامه من البلاد واقفل الحانات وعاقب الشريب الخمير بأقصى العقوبات فانتفعت البلاد من هذا المنع الشديد فوائد حسن أثرها على عهد خلفه صلاح الدين يوسف ومن بعده

نبأ من الصين

من مقالة في المجلة الباريزية

للصين اليوم عشرون فيلقاً في كل واحد منها فرقتان تحتوي على ١٢٥٠٠ جندي وتؤلف كل فرقة من اربع كتائب من المشاة وكتيبة من الفرسان وثلاث بطاريات مدفعية وجماعة من المهندسين ويخدم الجندي في العسكرية تسع سنين ويخدم ثلاث سنين رديفاً يخدم فيها شهرين على رأس كل سنة بحيث يتأتى للصين أن يكون لها زمن الحرب مليون جندي منظم . وكان أبناء الاسرات الشريفة يستنكفون من خدمة الجندية أما اليوم فان اشرافهم يخدمون ضباطاً عن رضى لما أشربتهُ قلوبهم من حب بلادهم وكذلك تجد بين الجنود شباناً جازوا الامتحانات الادبية وآثروا خدمة أوطانهم على تقلد أعمال رابحة وليسوا في صبرهم على المكاره ورشاقة ابدانهم وخفة حركاتهم دون اليابانيين في شيء

وقد كان في أواخر سنة ١٩٠٤ في الصين اثنتان وعشرون مدرسة حربية فيها ٣٣٦٤ ضابطاً وأساتذتهم من الالمان واليابانيين وترسل الحكومة بأذكاهم عقولاً الى اليابان يتمون فيها دروسهم في المدارس الحربية يدرسون مع شبان يابان ويماثلونهم في فحوصهم حتى اذا خرجوا من المدرسة يقضون في الجيش الياباني ثلاث سنين أو أربعاً يمرنون فيها على الاعمال الحربية

يدخل الصين كل سنة نحو ثلثمائة ضابط واذا أضيف الى هذا العدد نحو ثمانمائة أو تسعمائة ضابط ممن يتخرجون في مدارس الصين نفسها كان للصين كل سنة ١٢٠٠ ضابط جديد معلَّم وهنالك ضباط من الدرجة الثانية يمكن استخدامهم عند نشوب الحرب كما فعلت اليابان في حربها الاخيرة مع الروس واستعملت من كان لديها على شاكلتهم، وقد قضت الامبراطورة على كل حاكم كبير أن يبعث الى يابان أو الى مدرسة نانكين العسكرية بأحد بنيهِ يتعلم فيها الاعمال الحربية وأخذ ضباط الصينيين يحذون حذو ضباط اليابانيين في عنايتهم بالجند وتدريبهِ على الاعمال الحربية

تعتني الحكومة الصينية بأسطولها الحربي فانه بعد أن دُمر في الحرب اليابانية أخذت تعيد انشاءه بواسطة رجال قدموا للصينيين (خصومهم سابقاً) عدة طرادات ومدفعيات وقد أُنزلت بعض هذه السفن الحربية الى البحر في خلال الحرب اليابانية الروسية وافتخر الاميرال الياباني الذي كان يرأس حفلة تسيير هذه السفن بأنه لم يعهد أن دولة أوربية سلمت سفناً حربية وجعلتها تحت امرة بلاد أخرى على حين هي مشتبكة في حرب اهوالها على ما ترون . هذا مع ما توصي عليه الآن الصين من السفن في المعامل الالمانية والانكليزية

كل هذا تقوم به حكومة ابن السماء لتحسين حال الميزانية فانها بعد أن كانت ٣٥٠ مليون فرنك اصبحت مليارين ونصفاً . ولقد كانت العادة أن يعهد الى حكام الولايات بجباية الاموال من مقاطعاتهم فيقضى عليهم القيام بجميع نفقات حكومتهم وارسال ما بقي من الجباية الى بكين . و بديهي انهم كانوا يخفضون النفقات و يقتصرون منها على ما لا بدّ منه ويرسلون الى خزينة العاصمة أقلّ من القليل . ولطالما كان الحاكم يتنحى عن عمله بعد أن يتولاه ثلاث سنين بعشرة ملايين فرنك ربحاً خالصاً له على حين لم يكن راتبهُ ليتجاوز مائتي ألف فرنك و يقضى عليه ان يوزع من ثمانمائة الى تسعمائة الف فرنك رشوة

أما الآن فقد أخذت هذه العادات تتعدل بفضل حزب الاصلاح . نعم ان خونة الموظفين ما برحوا هم السواد الاعظم بين العمال على انه حدث منذ سنين ان حكاماً منهم خلعوا ربقة العادات القديمة وعفوا عن مال الامة والتلاعب بها ليغتنوا من الرشوات . وأخذت الحكومة تجبي الجبايات على طريقة منظمة تتعلق بقصر بكين مباشرةً ، وأصدرت الامبراطورة بتحريض حزب الاصلاح أمراً تتهدد فيه الموظفين بأشد العقوبات والتعذيب اذا هم ارتكبوا وارتشوا ، ووعدت انها تزيد الرواتب اذا رأت انها لا تقوم بنفقاتهم بحيث لا يبقى للحكام حجة يتوكأون عليها في تلاعبهم وقد كان ارتشاء حكام الصين أهم سبب لضعف مملكة ابن السماء

ولا بد من التنويه هنا بأن الصينيين ما برحوا يستحلون جميع الاختراعات الاوربية ويقبلونها واحداً بعد واحد فقد اتصلت مدنهم الكبرى منذ بضع سنين بالاسلاك البرقية والتلفونية . ولكن الصينيين يستنكفون من مخاطبة البيض وبعبارة أخرى الاوربيين بواسطة التلفون ويستعملونهُ فيما بينهم في التخاطب . وان وزراء الصين يبدون ارتياحاً لانشاء الخطوط الحديدية وقد ذهبت الايام التي كانوا يزعمون فيها ان تنين الارض يجرح اذا مدت الخطوط فيغضب وتكون الهزات الارضية دليل غضبه . ففي الصين اليوم عشرة آلاف كيلومتر من السكك الحديدية أنشئ بعضها أو مُنح امتيازه ويعمل به. وتخلف بعض الشركات الاجنبية عن الاسراع في مد الخطوط الحديدية دعا حكومة الصين ان تعمد بعد الآن الى مد السكك على نفقتها وتحرم البيض منها ، وكل من يتسامح بعد الآن مع شركة اجنبية غير صينية من الحكام يعزل من وظيفتهِ مؤبداً . لا جرم ان الصين ايضاً تحاول ان تنزع ربقتها من اليابان بعد أن تأخذ عنها ما تحتاجهُ الآن كما حاولت نزع يدها من يد الاوربيين من البيض

قال أحد رجال الاصلاح فيهم : ان بلاد يابان على ما دخلها من الاصلاح منذ

سنة ١٨٦٨ ما برحت بلاد مملكة اقطاعات وحكومة أشراف وراثية أما الصين فحكومتها في الحقيقة أميل الى الجمهورية ولذلك تختلف مقاصد الحكومتين . ومن المعلوم في التاريخ ان الصين ويابان قلما اتحدتا والاوربيين لا يستفيدون من الشرق الاقصى الا بدوام المباراة بين مملكة الشمس المشرقة ومملكة ابن السماء والظاهر انهم يحاولون تطبيق مذهب مونرو على بلادهم القائل أميركا للاميركيين فعساهم يقفون عند هذا الحد ولا يقولون أوربا للآسياويين

كتاب من العالم الجديد (١)

القانون الأساسي أعظم أسباب نجاح الولايات المتحدة وقد جاء فيه ان الولايات المتحدة ليس لها دين رسمي وان الاديان كلها سواء في نظر الحكومة . ولهذا ترى الحكومة لا تنفق درهماً واحداً على معهد ديني وأهل كل دين يبنون معابدهم من مالهم لانفسهم والمدارس خالية من التعاليم الدينيـة فيأتي المهاجرون الى أميركا بالالوف من جميع العناصر والنحل ولا يعدون أنفسهم غرباء بل يرسلون أولادهم الى هذه المدارس يتخرجون فيها على النحو الذي ينشأ عليه أولاد الاميركان الاصليين . وقد كتبت اليك سابقاً ان هذه المدارس حرة مجانية اجبارية للذكور والاناث .

هذه المدارس لاتعنى بالتعليم العقلي فقط بل تصرف وكدها الى تعليم أمور تعود بالمنافع الجسمية . فتعلم التلاميذ أصول اللبس والمشي لئلا يعتادونهما على غير الصورة المناسبة كما تعلم الطبخ وتدبير المنزل . والمدنية بهذه المدارس منتشرة بين أهل الحواضر والقرى على نمط واحد . وأعظم فرق بين مدارس أوربا والمدارس هنا ان أهل أوربا يعلمون صبيانهم في مدارس على حـدة وبناتهم في مدارس خاصة بهن .

(١) بعث به أحد أعيان المسلمين السائحين من مدينة أوكلا في الولايات المتحدة الى قريب له في القاهرة

والبنات والصبيان هنا يدرسون في مدرسة واحدة في المدارس الابتدائية والعالية يتربون سوية من الخامسة الى الثامنة العاشرة أو العشرين من العمر . ويدعي الاميركان ان لهذه التربية محسنات جسيمة لم تثبت لي صحتها . ولكن مما لا شبهة فيه ان البنات يترجلن فترى الابنة الاميركانية متخلقة بأخلاق الصبيان ولها من الجرأة والاعتماد على النفس ما للصبي . وان الرجال يحترمون النساء كثيراً بحيث يبلغون حد الافراط في ذلك و يعدون من أعظم الجنايات التعدي على امرأة أو ابنة ولو كانت زنجية

ترى الفتاة الجميلة ذاهبة وحدها في المحال البعيدة ولا يجسر امرؤ ان يقترب منها أو يسمعها كلاماً بذيئاً لئلا يجلب عليه عمله هذا ضروب البلاء . ذلك ان القوم اذا رأوه يكلم من لا تريد مخاطبته يتعذر عليه الخلاص منهم فيضربونه ويدمونهُ وربما ضُرب بحيث يوشك ان يهلك . واذا قبضت الحكومة عليه تجازيه جزاء شديداً . واذا اعتدى معتد فاستباح العرض أو ما يشبهه فاعدامه أمر محقق على أي حال كان . وقد شهدت بعض حوادث من هذا القبيل وذلك ان عبداً صفع امرأة على خدها فأدى ذلك الى سقوطها في الوحل فاجتمع الناس فبحثوا عنه فوجدوه وفي الحال تألفت محكمة موقتة حكمت عليه بالاعدام فشنق لساعته . ورأيت رجلاً من البيض اعتدى على عرض ابنة مراهقة فحكمت المحكمة عليهِ بالسجن المؤبد . وشهدت عبداً آخر التقى بفتاتين وطلب اليهما ان يقبلهما ومع انه لم يمسسهما بيديهِ حكمت المحكمة عليه بألف ريال جزاء نقدياً لكل منهما النصف . و بالجملة فان الاعتداء على النساء مهما كان فضعيف و يعده القوم جناية لا عفو فيها . فأين هذه الاخلاق من أخلاق المصريين الذين يتفاخرون بالتعرض للنساء المسلمات بقحة وسلاطة

و بعد فان أمر التعليم في المدارس الاميركية موكول الى النساء فهن المعلمات وهن المديرات ولا تجد المعلمين من الرجال الا في المدارس العالية . وقد كنت ذهبت الى

الجبال حيث المناجم والمعادن فشاهدت فيها مدارس تشبه مدارس أعظم الحواضر . رأيت أولاد عملة المناجم ممتعين بتربية وتعليم أحسن من أكثر أولاد الاكابر في بلادنا . وفي هذه المناجم ملايين من العملة وأقل أجرة للعامل ثلاثة ريالات أميركية في اليوم

ودور الكتب العامة من أسباب ترقي الولايات المتحدة بعد المدارس فترى في كل بلدة أو قصبة مكتبة عامة يدخلها الناس مجاناً . وتقسم كل مكتبة الى أقسام بحسب حجمها وحجمها يكون على مقدار اتساع المدينة . فترى فيها قسما للمطالعة فيه الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية وغير ذلك من المطبوعات اليومية والاسبوعية والشهرية وأصغر مكتبة تحتوي على خمسين جريدة . وفي المكاتب الكبرى اكثر من ذلك . وقسماً فيه الكتب على اختلاف ضروبها من كل فن وعلم وباب . وقسماً من المكتبة خاصاً بالاولاد وفيه كتب وجرائد ورسوم مما ترغب فيه نفوسهم ويبعثهم على المطالعة والبحث وترى في بعض تلك المكاتب امرأة عُهد اليها النظر في دائرة الاطفال من المكتبة تستقبلهم وتتلطف معهم

واطفال هذه البلاد لايشبهون أطفال بلادنا فلاترى بينهم أحداً يلبس ثياباً رثةً أو حافي القدم أو قليل الهندام أو ما يماثل ذلك من قلة العناية خصوصاً البنات فانهنّ بدون استثناء يلبسن الثياب النظيفة المكوية ويصففن شعورهن وينظفنها ويمشطنها وما السبب في ذلك الا شيوع العلم والمدنية بين أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها . والى الآن لم أشاهد ولداً أقرع أو أرمد لان هذه الامراض تنشأ من قلة النظافة . فما الحال في البنات . والنساء على ما رأيت هن في الولايات المتحدة أرقى الجنس الانساني علماً وتهذيباً

عود الى حديث المكاتب . ان فيها دوائر أخرى منها واحدة للتحرير والتأليف

والترجمة وفيها من الكتب ما يلزم المؤلف والمترجم . وللمطالع ان يقرأ الكتاب الذي يريده في المكتبة وله ان يستعيره فيطالعهُ في بيته. وفي هذه المكاتب ضروب من الكتب كانت في وضعها بعضها مع بعض أثراً من آثار التسامح، ترى فيها كتباً من نوع واحد في الاديان والمذاهب والسياسة والى جنبها كتباً تنقضها . كتب الفلسفة التي تحمل على الدين موضوعة بجانب الكتب التي تؤيده وتبجله . وكذلك الجرائد ترى الصحف الاشتراكية التي دأبها انتقاد أقوال الرؤساء وافعالهم والحكومة ومجالسها موضوعة الى جانب الصحف التي تسالم الحكومة وزعماء السياسة . ولكل واحد الخيار في مطالعة ما يشاء وتصديق ما يشاء أو تكذيبه . ويبلغ مديرات هذه المكتبات وموظفاتها من النساء ثمانين في المئة من بقية الموظفين ويختلف راتب المديرة من ألف ومائتي ريال في السنة وهو الحد الادنى في الرواتب التي ينالها أمثالهن الى ألفين واربعمائة ريال وهو الحد الأعلى

للمستر كارنيجي المثري المشهور فضل عظيم في اتمام هذه المكاتب فانهُ أنشأ الفاً ومائتي مكتبة في ألف ومائتي بلدة ولهذا الرجل خيرات جسيمة عدا هذه المكتبات . وقد منح هذا الشهر أحد أعاظم الاغنياء واسمه مستر جون روكفلر اثنين وثلاثين مليون ريال دفعة واحدة لانشاء مدارس وكان أعطى من قبل احد عشر مليوناً لتلك الولاية التي منحها هذه المنحة هذه المرة فتكون جملة اعاناته للمدارس ثلاثة وأربعين مليون ريال . وبهذا يمكنك ان تقيس درجة الغنى في الولايات المتحدة

ومعلوم ان نفوس الولايات المتحدة كان زمن استقلالها أي قبل ١٣٠ سنة أقلّ من أربعة ملايين وكانوا أقل الأمم ثروة فبلغوا الآن ٨٥ مليوناً ويقدرون نمو ثروة البلاد بعشرة ملايين ريال كل يوم . كل ذلك بفضل الحرية الدينية والمساواة الشخصية وانتشار العلم بين افراد الأمة ولا سيما النساء . ففي الولايات المتحدة نحو ثمانية عشر

مليون تلميذ منهم خمسمائة وخمسون ألف تلميذ في المدارس العالية منهم ٣٣٠ الف فتاة و٢٢٠ الف صبي. فاذا كان المتخرجون في المدارس العالية يصبحون بعدُ رؤساء الأمة ونخبتها فاستنتج من هذا الاحصاء ان البنات أرقى من الصبيان وتعال معي وأعجب ممن يدعي ان النساء ناقصات في عقلهن أليس هذا دليلاً حسياً لا يقبل الردّ بأن البنات أرقى من الصبيان ؟ اللهم لا اذا قلنا ان نساء بلادنا هنّ من جنس آخر أدنى من الجنس الاميركاني . وعليهِ فلا أدري كيف يدعي بعضهم النقص في عقل النساء وما النقص في الحقيقة الا من تربيتهنّ لا فيهن . والنساء هنا يدخلن في كل عمل من الاعمال المعاشية ومعظم كتاب دواوين الحكومة من النساء

هذا وليحط علمك ان طول السكك الحديدية في الولايات المتحدة هو نحو مائتين وعشرين الف ميل (الميل نحو ١٧٠٠ متر) ونحو ثمن هذه الخطوط لرجل اسمهُ هاريمين يلقبونه ملك السكك الحديدية . والخدمة في الجندية البرية والبحرية اختيارية هنا ويقبل فيها الاجانب على شرط ان تكون صحتهم جيدة وان يعرفوا الانكليزية قراءة وكتابة ويقضى على كل متطوع ان يخدم ثلاث سنين وراتبه ثلاثة عشر ريالاً في الشهر يزاد فيه كل سنتين اذا بقي في الخدمة حتى يبلغ راتبه ٢٥ ريالاً . ويلبس الجند ويأكلون أحسن الالبسة وأطيب الاطعمة وقد زرت ثكنة من ثكنهم فصادفت الجند في الطعام فرأيتهم يأكلون على موائد مجللة بالقماش الابيض ولكل واحد معلقتهُ وشوكته وسكينهُ وكأسه ولكل خوان خادم واقف في خدمة الجالسين اليه ويبلغ جيش هذه البلاد ثمانين الف جندي . هذا ما خطر لي الآن ان أدونه لك والسلام عليك

رأي في الشعر

الشعر لغةً الشعور وقد أخرج عن معناه الاصلي فأصبح يفهم منه الآن الكلام الموزون المقفى الذي يتوخى صاحبهُ ايداع خياله وشعوره فيه بصورة تستفز العواطف وتأخذ بمجامع القلوب وابتذله الاكثرون فأضحى حرفة يتعنى بها أحدهم و يعمد الى اكتسابها على طريقة علمية كأن يقرأ العروض والقوافي ثم يقبض على اليراع ويحاول صف كلام ملفق ليس من الشعر في شيء طمعاً في أن يقال عنه انه شاعر وما أحراه أن يدعى صفافاً فهو أشبه بمنضد الحروف في المطابع الا ان هذا يصف الحروف بقياس معلوم وطريقة مصطلح عليها وذلك يصف الكلمات حسب تفاعيل الخليل

الشعر شعور لا كلام والشاعر صاحب هذا الشعور يشعر بما لا يشعر به غيره و يسمع ما لا يسمعهُ غيره فعينهُ تخترق السحب وتسرح في فضاء العوالم وتأتي اليه بما لم يخطر على بال ، وخاطره يفترع أبكار المعاني التي لم يسبقهُ اليها أحد ، ووجدانهُ يختلف عن وجدان سائر الناس ، والنظرة التي ينظر بها الى العمران ليست كنظرة الناس . فكل نظم خالٍ من الخيال ليس حقيقاً أن يدعى شعراً ولا يمكن أن يعيش بعد صاحبهِ وربما مات قبله . وكم من شعر نُظم وكم من شاعر نَظم فوارتهما أيدي الزمان في مدافن النسيان

فالشعر لا يعيش الا اذا استوفى شرطين : أولهما أن يكون فيه شعور فائق وخيال بالغ ، وثانيهما أن يكون مسبوكاً في قالب متين المبنى موضح المعنى فالشرط الاول لا يتنازع فيه أحد ضرورة انه من مقتضيات الشعر وشرائطهِ الكبرى . نعم ان الشعر الذي لا شعور فيه ليس شعراً كما ان العلم الذي ليس فيه العلم الصحيح لا يعدّ علماً . وما أحسن لفظة « شعر » تفصح عن المراد من الشعر وهي لفظة حسن وضعها لما يقصد

منها تفضل لفظة « بوتري » الاعجمية لان هذه تعني الفعل وليس فيها ما يستشف منه المعنى المرغوب والشيء المقصود . أما الشرط الثاني فلأن اللغة واسطة لنقل خيال الشاعر الى الناس . وأحرى بهذه الواسطة أن تكون ممحصة من شوائب التعقيد ومعائب الالتباس . وكلما كانت اللغة صحيحة كان فهم الشعر سهلاً . فهي كالوعاء تودع فيها سوامي الفكر وسوانح الفطن . واذا كان الوعاء ناقصاً في شيء يوجب تمامهُ كان المودَع فيه خليقاً أن تذهب بحسنه عوامل الايام . وكم من نظم طوتهُ صحف الدهر لغير علة سوى انه أنشيءَ بعبارة تافهة تخالف القياس المألوف

ومن الناس من لا يذعن لهذا الشرط فيحسبون أن مراعاة اللغة في الكتابة سواء كانت نظماً او نثراً ليست ذات شأن فيقولون ان الغرض من اللغة ليس الا التفاهم فلا ينبغي أن يعنى بها كثيراً فيجوّزون لانفسهم ارتكاب اغلاط فادحة في النحو واللغة وسائر العلوم اللغوية ناسين أن التغاضي عن الاهتمام باللغة يؤدي بهم الى فوضى لا يرأب صدعها ولا سيما ان للُّغة العربيـة ضوابط تقيدها وقواعد تضبطها فاذا فسد التركيب فسد المعنى وبفساد التركيب تضيع اللغـة وبفساد المعنى يغلط في فهم الافكار التي يقصد الشاعر نقلها الى قارئ شعره فينتج اذاً انه كلما كانت لغة الشعر ركيكة كان فناء الشعر المودع فيها سريعاً

يتضمن الخيال في الشعر وصف الانفعال الذي يطرأ على النفس اذا أدرك صاحبها في عالم الحس شيئاً يدعو الى الانفعال وباعثاً ينزع بهِ الى التأثر بحيث لا يستطاع معه الا الالتجاء الى الشعر للافصاح عما يكنهُ الفؤاد في صور كلاميـة يتجلى بها الخيال ويتجسم الشعور متنقلاً من عالم الخيال الى عالم المنظور ولا يتوخى في هذا الانتقال الا دفع ألم وسدّ مطلب من مطالب النفس تتقاضى صاحبها اتمامه كما قد تقتضيه تأديتها مطالب أخرى

ليس الشعر عملاً من الاعمال العادية التي يتكلفها الانسان ويضطره المعاش اليها فيسعى لنيلها . الشعر ينظم لنفسه لالغاية أخرى ولا يكون شعراً الا اذا نظم أثر انفعال من حادث أو شعور واما اذا نظم على سبيل التفكهة و بدون داعٍ فيكون متكلفاً فيه والنفس مقسورة على ابرازه على حين يجب ان يكون منبعثاً من النفس باختيارها وقبولها فالشاعر الذي ينظم محمولاً على النظم بتيار الرغبة في الشهرة والنزوع الى الصيت لا يكون شعره شعراً . الشاعر كما قال بعض الاعاجم مخلوق لا مصنوع وحسبك عليه من حجة دامغة ان الشاعر المطبوع ينظم الشعر وهو صبي لا لغرض وانما يشعر بشيء فينطق بالشعر عفواً مستخدماً الفاظ الصبيان للتعبير عن خياله ثم يرتقي فيصبح اقدر على اظهار شعوره وينمو شعوره بنموّ مركزه في الدماغ كما تنمو سائر القوى العقلية كلما تقدّم الانسان في العمر وقد تبطيء سجية الشعر في ظهورها لعلة خارجية فتتأخر الى سنّ العشرين أو بعدها كما جرى لملتون الشاعر الشهير ولكنها ظهرت في أغلب الشعراء في سن الصبا وأعلى درجات الشعر وصف الطبيعة ففيهِ تظهر قريحة الشاعر بأعظم مظاهرها . يرى الشاعر في الوجود أموراً يتعذَّر على غيره رؤيتها ينظر الى سيَّار كأنهُ هبط عليهِ وحيٌ من العلى فينظم فيهِ المعاني الحسان على حين لو سئل غيره ان يصف السيَّار لما قال غير نجم منير . وفي أساطير الأولين ان بعض الأمم اعتقدوا بوجود قوة غيبية تلهم الشعراء وتوحي اليهم الشعر ولا توحيه لسائر الناس . وما يراه الشاعر في ظواهر الطبيعة يكون مخبوءاً تحت حجاب كثيف لا يرى الناس من ورائهِ شيئاً على انهُ يصبح شفافاً اذا نظر اليهِ الشاعر فيرى وراءه كنوزاً وركازاً . وقد عُني الافرنج بالشعر الوصفي فاجادوه ويتلوه في الحسن الشعر الذي يمثل الطبع البشري وما في الانسان من العواطف والاميال وما يتنازعهُ من الاشواق والشعور الذي يطرأ على الشاعر عند حدوث نكبة عامة وما شاكل ذلك وكل وصف يبعث عليهِ انفعال عظيم

أما الشعر الرثائي فأحسنهُ ما نظم عن انفعال شديد كما وقع لشاعر الأنكتار العظيم تنيسون حين نكب بفقد صديقه الحميم حلام المؤرخ المشهور فرثاه بقصيدة طويلة رنانة وصف فيها العواطف البشرية وصفاً دقيقاً وما استحوذ عليه من الغم في ذلك الخطب المؤلم . على ان الرثاء مبتذل الآن ، وكم من شاعر يرثي ميتاً لا يعرف سوى اسمه فيأتي شعره وأمارات التكلف بادية عليه ليس فيه الا معانٍ تافهة سيقت النفس الى ابرازها سوقاً . والمدح أسقط الشعر لما فيه من الاختلاق ولاسيما اذا قصد منه جرّ مغنم أو دفع مغرم فيضطرّ الناظم أن يبتدع المعالي والمكارم وينسبها الى ممدوحهِ

ويبلغ الشعر المدحي أعلى درجة في عصر البداوة ويأفل نجمهُ في عصر الحضارة حتى يكاد يكون معدوماً . وكان الشعراء يتخذون هذا النوع من الشعر وسيلة للزلفى من الامراء واستدرار العطايا من العظماء . والشعر الهجائي أرفع في نظري ان صح أن يكون لي نظر من الشعر المدحي وأقرب منه للغرض المبدئي من الشعر خصوصاً اذا نظم عقيب تهيج حاسة الاشمئزاز من ادراك شوائب ونقائص في المهجوّ تبعث الشاعر على الهجاء اضطراراً . وأما اذا تكلف له فيكون من اعمال العقل لا من اعمال الشعور والعواطف . وقد علمت مما مرّ بك أن الشعر من خصائص العواطف وليس للعقل علاقة به ، ولذلك لا يعدّ من الشعر كل ما نظم من المعقولات والمنقولات ، ويدخل تحت هذا الاراجيز على تفاوت انواعها وآراء الفلاسفة التي أودعت في الشعر وآي الحكماء وعلماء الاخلاق . وبالجملة فان كل ما ليس له اتصال بالعواطف ليس شعراً وانما هو نظم ولا يتعذر على النبيه التمييز بين الشعر والنظم ان هو تذكّر معنى كلمة شعر . والله أعلم

يافا — خليل الخوري

التربية والتعليم

تربية السكسونيين

قامت منذ بضع سنين حركة في الافكار في معظم بلاد أوربا للمفاضلة بين التربية التوتونية واللاتينية أي بين تربية الانكليز والالمان والاميركان المعروفين بالانكليز السكسونيين و بين تربية الفرنسيس والطليان والاسبان ولقد أطلعنا على مقالة في احدى المجلات الكبرى الفرنسوية أفاض كاتبها في تأثيرالمسابقات بين طلبة الطب في الاخلاق . ومما جاء فيها ان هذه المباراة في الفحوص قد تؤدي الى ضعف ملكة الذكاء وان نفعت في تمرين الذاكرة بما يضطرون ان يودعوه ألواح محفوظهم من القوانين والصور وقد يستظهرونها استظهاراً نظرياً ولا تكون عندهم من العمليات في شيء بمعنى انهم مهما جعلوا دراستها دينهم وديدنهم لايخرجون من الامتحان الاوقد غربت تلك المواد عن اذهانهم . سئل أحد التلاميذ يوماً عن حرب السبعين وكان قد درسها من قبل بالطبع فلم يُحر فيها جواباً ، وسئل عن التلفون فانقطع ولم ينبس ببنت شفة . مع انهُ بعيد عن الظن ان يكون في الغرباليوم ناهيك بفرنسا مَن لم يسمع بحرب السبعين وأخبارها والتلفون وآثاره

و بعدهذا لا يسعنا الا التصريح بأن الطريقة العقيمة في التربية التي اتخذتها فرنسا من نحو مئة سنة مازادتها الا الرجوع القهقرى وسبق الأمم السكسونية . تربية تسقم العقل وتضعف الجسم. تربية تحبب الى المرء الراحة والسكينة والاقتصاد والترف والسرف .

تربية كأنها ملصقة بغراء لاتلبث ان تتزعزع اذا أمطرتها سماء الدنيا بوبلة فمابالك لو هبت عليها أعاصيرها وعواصفها وسحت فوقها وابلها ومدرارها

قال بعض علمائنا ان فرنسا مستنبت الاوسمة والمراتب وميدان المسابقات والمناوشات واذا أردنا على ان لا ننقد هذا الخُلُق نكتفي بأن نقول انهُ دليل الانانية والشعور بالحاجة الى العدل ونحن لا نزال شعب تلاميذ أي اننا محتاجون في تربيتنا ان نربي تربية الصغار من مهدنا الى لحدنا فنساق منذ نعومة أظفارنا في المدرسة والبيت بقوة الايقونات والانواط والعلامات والصفوف والقوانين ومن نشأ على هذه الطريقة في التربية يحتاج اذا بلغ مبلغ الرجال ان يظلّ متطلّباً للأوسمة والجوائز وان تنظم حاله بنظام الاستحقاق والاهلية

وقال غستاف لبون مؤلف كتاب حضارة العرب وغيره من الكتب الممتعة : ان كليتنا معاشر الفرنسيس لا تنشيء الا اهل اوهام وأرباب اكثار وثرثرة ممن بعدت نفوسهم عن الحقيقة بُعدها عن معرفة العالم الذي يقضي عليهم أن يعيشوا فيه . من كل وُكَلة تكلة لا يعمل بدون يدٍ تدفعه وعون يقوده وعين تلاحظه . ففي بيتهِ تقوده أمهُ ويأخذ بيده أبوه ، وفي المدرسة يشتدّ ساعده بزند معلمهِ ومربيهِ حتى اذا دخل في غمرة الحياة يظل حائراً لا يعرف مصيره ما لم تأخذ الحكومة بيده وتصرفهُ فيما تشاء وتهوى

وقال غيره : أين نجد في فرنسا مثل أولئك الاولاد الذين رأيتهم خارج هذه البلاد يسافر أحدهم وحده وهو في سن العاشرة من لندن الى بطرسبرج في فئة من اطفال الكتاتيب تختلف سنهم بين الثامنة والعاشرة فيقضون تحت الخيام نصف العطلة المدرسية في جزيرة من سان لوران يعيشون من صيدهم وقنصهم فكيف لا يتأتى لهؤلاء الاطفال من الانكليز أن يستعمروا حيث شاؤا من الارض ويكونوا من أنفع الطواريء متى بلغوا الخامسة والعشرين . وقال أحدهم : لاشيء أذلّ على النفس من رؤية الفرنسوي خارج بلاده فكأنهُ ميت انقطع عمله أو مدنف يتلجلج لسانهُ فلا يجيب عما يسأل

وقال غيره : من الرعونة أن يعتقد الفرنسيس بعلوّ كعبهم في كل شيء ولو ذهب الى المانيا ودرس احوالها عن أَمم لرأى شعباً كان يشكو مما نشكو منه . داء أصيب به

زمناً فشفى نفسهُ منه . يرى السكسونية مجسمة بأبهى مظاهرها فيقدس « كارلايل » ظهيرها ونصيرها ويقيس حاله بالانكايز فيراهم سُبَّاق غايات . ثم اذا رأى في تينك المملكتين ما رأى وقاسه بحاله يركب بحر الظلمات ليتبصر فيما تورثهُ جُدُد الفضائل في هذا القرن الحديث و ينجلي له الفرق بين رغائبه ورغائب الاميركان

لفرنسا نظارة للمعارف ، ولأميركا مدرسة للتربية . فالاولى تعلم والثانية تربي . الاولى تلقن ابناءها كلمات يحفظونها ، والثانية تعلم مبادئ يسيرون عليها . تعدّ فرنسا أدمغة لحفظ قانون ، وتهيئ اميركا اذرعاً للعمل . يغرس الاميركان في عقول ناشئتهم شهامة الارادة التي لا تنفع بدونها المواهب وتضيع القوى بَدداً واذا فقدت يكون العلم نفسهُ قليل النفع . وهذا القانون الذي سنهُ لهم فيلسوفهم أميرسون تلميذ هيكل الالماني القائل في فلسفته : ليست الحياة شغلاً عقلياً ولا مناقشة ومهاوشة بل الحياة هي العمل . ولقد علق في أعلى باب كل مدرسة بأميركا شعار معناه : ان تهذيب الخلق أسمى غاية للمدرسة وعلى الشبان أن يحسنوا معرفة الحياة بارادة ثابتة

مطبوعات ومخطوطات

كنز العلوم واللغة — من المؤلفين المجتهدين في مصر محمد فريد افندي وجدي صاحب مجلة الحياة والمصنفات الكثيرة وقد أصدر هذا الشهر مجلداً ضخماً في زهاء ٨٧٠ صفحة كبيرة كل صفحة ذات ثلاثة أعمدة من الحرف المتوسط سماه كنز العلوم واللغة وهو صورة دائرة معارف مصغرة فيها بعض الفصيح وخلاصات من العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والطبية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية . وقد أخذنا عليهِ اقتضابهُ في بعض المواد المهمة وتطويله في غيرها مماهو دونها في الفائدة فرأيناه مثلاً قدأغفل في الاعلام ابن تيمية وابن القيم وابن الهيثم والذهبي والسيوطي والقلقشندي وابن فضل الله العمري وذكر عبد الرحمن العمري والقليوبي والشنواني والشبراوي والكفراوي . والمعاجم

المختصرة في العادة تذكر الأهم فالأهم من الاسماء والاشخاص . ورأيناه تابع بعض المعاجم الافرنجية في ايراد بعض الشؤون التاريخية الشرقية ونقلها على غلطها مثل قوله في محلين ان صلاح الدين يوسف هو ابن أخي نور الدين محمود بن زنكي مع انهُ لا قرابة بينهما وصلاح الدين كردي ونور الدين تركي ومثله قوله ان فاراب من بلاد الاناضول . وقد نقل بعض أعلام الاشخاص والاماكن بحسب الأصل الافرنجي فقال مثلاً سالونيك كما يلفظها الافرنج والصواب سلانيك . وجزيرة ساموس : سيسام . ونهر الدانوب : الطونه . والسلافيون وتسميهم العرب الصقالبة . وليسبون : والعرب تقول اشبونة ، وجبال هيماليا : حملايا . والتيبت : والعرب تقول تُبت كسكر . وبخارست : بكرش . وقد أعجبنا منهُ أدبه في كلامه على المخالفين من فرق الاسلام وغيرهم وفي الكتاب فوائد نافعة لا يسع متعلماً جهلها وعسى ان ينتشر كتابهُ بين جميع الطبقات فانهُ على ايجازه سلمٌ الى تناول دوائر المعارف الافرنجية الكبرى . وحبذا لو تدارك المؤلف ذكر من أهمل من الاعلام وما أغفل من أسماء البلدان ولو بملحق يبيعهُ على حدة . وفقهُ الله وأكثر فينا أمثاله من أهل النشاط في خدمة العلم والتوفر على التصنيف والنشر

فتح الرحمن لطالب آيات القرآن — هو مفتاح أو فهرس يعين على الاهتداء الى مواقع الآيات الكريمة جمعهُ فيض الله افندي العلمي الحسني المقدسي ووقف على طبعه الشيخ احمد حسن طبارة محرر جريدة ثمرات الفنون الغراء . وقد عُني الجامع بأن استعان بكتاب ترتيب زيبا وكتاب نجوم الفرقان واقتصر من ألفاظ الكتاب العزيز على الكلمات الرئيسة التي يكثر خطورها بالبال أي الافعال المشتقة والاسماء المتمكنة . وبالجملة فهذا السفر البديع يسهل الوصول الى الآيات الكريمة على من يريد الاستشهاد بها فيتناولها سالمةً من التحريف في أقل من لمح البصر وقد ألحق به فهرساً للاعلام فجاء من أنفس الذخائر التي لا يستغني عنها طالب . جزى الله جامعهُ ومصححهُ خيراً . والكتاب يباع بريال مجيدي في بلاد الشام ويطلب من المكاتب الشهيرة . وقد طبع

في المطبعة الاهلية في بيروت طبعاً متقناً للغاية على ورق صقيل جيد

تقويم المؤيد — صدر هذا التقويم البديع لسنة ١٣٢٥ هـ . فأتمّ بذلك سنتهُ العاشرة وهو من وضع محمد افندي مسعود صاحب جريدة المنبر الغراء . وقد قرأنا فيه نبذاً في التوقيعات وعلم الفلك والكيمياء وفصولاً علمية وأدبية واحصائيات ونظام الحكومات والاخبار العمومية والتاريخ العام والتراجم والمسائل السياسية والمعاهدات وأحوال مصر سنة ١٩٠٠ وتخطيط الوجه القبلي وشذرات نافعة في القضاء والادارة والزراعة وتدبير المنزل والدليل المصري وغير ذلك من الفوائد التي تنفع أصحاب الاعمال والبيوت وانا لانزال نقول ان تقويم المؤيد من أحسن الكتب الدورية التي تصدر في هذه العاصمة وما برح التحسين فيهِ مستمراً سنة عن سنة فشكراً لفضل مؤلفهِ الذي ثبت على اصداره وتوفر على الاستزادة من فوائده الممتعة

ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب — هو كتاب يقع في زهاء ستمائة صفحة يحتوي نموذجاً من العرائض والرسائل والمخاطبات التجارية والاخوانية والرسمية وفيه مختصر في اصول مسك الدفاتر لمؤلفه عبد الباسط افندي الانسي صاحب جريدة الاقبال الغراء في بيروت وقد طبعه الآن طبعة ثانية اجزل فيها فوائده وهو مطول من كتابه هداية السائل الى انشاء الرسائل وقد رتبه على خمسة ابواب ادخل فيها الاغراض التي تعرض للكاتب في مكاتباته وطبعه في مطبعته «المعارف» طبعا لطيفاً وهو يباع في مكتبته « الانسية » باثني عشر قرشا فنحث الطلاب على اقتنائه ونشكر للمؤلف عنايته وهديته

السجل المصري — اصدر علي افندي يوسف الكريدلي من المشتغلين بصناعة القلم في القاهرة كتاباً بهذا الاسم واخذ على نفسه اصداره في منتصف كل شهر افرنجي مشتملا على كل ماحدث في الشهر السابق من الحوادث والوقائع واعمال الحكومة

المصرية كالاوامر العالية والمنشورات واللوائح والتنقلات والرتب والاوسمة والوفيات والمواليد فكان تاريخاً دورياً لمصر يصدر في اجزاء متفرقة مزينا بصور بعض امراء البلاد ووزرائها وكبرائها وعلمائها واعيانها ومشاهيرها وفضلائها وأدبائها وشعرائها وكتابها وكل ذي مظهر ومقام وفي الجزء الذي صدر عن شهر يناير كثير من الفوائد التي ينبغي تخليد اكثرها في تاريخ البلاد وهو في زهاء ١٨٠ صفحة متوسطة الحجم وقيمة كل جزء خمسة قروش اميرية وهي قليلة لكثرة فوائده فعسى ان يلاقي مشروع هذا الاديب الاقبال اللائق به

لباب الخيار في سيرة المختار — هي رسالة جميلة الطبع والوضع تدخل في ٨٢ صفحة من ذوات النصف في السيرة النبوية لمؤلفها الشيخ مصطفى سليم الغلاييني من المشتغلين بالعلم في بيروت ذكر فيها شذرات مهمة من احوال الرسول واعماله وجميع غزواته ولم يذكر من سراياه الا ما كان له علاقة ببعض الغزوات وقد علق شرحاً لغوياً موجزاً على الالفاظ اللغوية او التي يخشى التباسها على المبتدئ فجاءت نافعة لجميع الطبقات فله الشكر على عنايته وفضله .

خارطة العالم — هو المصور الذي رسمه الاكسرخوس يوحنا الحداد نزيل شيكاغو ومن اهل الفضل وقد اهدينا نسخة منه فرأيناه من اجمل المصورات الجغرافية الانكليزية وانفعها وليتهُ يتفضل بترجمتهِ الى العربية ليعم انتفاع الجالية السورية به في اميركا كما يعم سائر البلاد العربية

ديوان الشاب الظريف — طبعت المطبعة الاهلية في بيروت هذا الديوان المشهور لمؤلفهِ المتوفى سنة ٦٨٨ هـ عن ٢٧ عاماً واضافت اليهِ ماعثرت عليهِ من نظمهِ المتفرق في دواوين الأدب وفسرت الفاظه اللغوية وقد قالت انها جعلته خدمة لطلبة المدارس

مع ان أكثر الديوان من الغزل الذي لا يروق ان يطلع عليهِ الشيوخ دع عنك الاطفال وعلى كل فانَّا نشكر لها هذه العناية بنشره ونرجو ان تنشر غيره من آثار السلف النافعة

لطائف السمر — في سكان الزهرة والقمر أو الغاية في البدايه والنهاية وهو كتاب في ٢٨٠ صفحة لمؤلفهِ ميخائيل افندي انطون الصقال الحلبي جعله على شكل رواية اخلاقية فتصور انهُ رأى والده بعد وفاته في الروءيا وقص عليهِ مارآه في العالم الثاني أي في السماء والحقيقة انهُ قص عليهِ حالة الارض فتخلل ذلك كلام في المدينة الفاضلة والمدينة السافلة وأطور البشر واخلاقهم ومنازعهم والديانات والنحل والمعتقدات كل ذلك في أبواب مخصوصة و بعبارة سليمة فصيحة تخللها كثير من الشوارد اللغوية التي شرحها المؤلف في أسفل الصفحات فأجاد وأفاد في الاحتيال على بث الافكار الصحيحة المعتدلة في ثوب عربي جميل . وهذا الكتاب يطلب من المكاتب الشهيرة في القاهرة بريال مصري

الاخبار — أعاد هذا الشهر الشيخ يوسف الخازن اصدار جريدتهِ الاخبار بعد ان حجبها مدة وانشأ يصدرها في الصباح وهي الجريدة الصباحية الوحيدة باللغة العربية وصاحبها ممن تقلبوا في الصحافة كل مقلب وهو يحسن ما يقتضي لهذه الصناعة الشريفة من أدوات العلم العملي والنظري يضاف الى ذلك حنكة وتجارب و بعد غور ونظر فلا عجب اذا رجونا ان يكون اصحيفته شأن في الآداب عظيم وصوت في السياسة رخيم ولسان في صحة الاحكام قويم

الجريدة — اسم لجريدة جديدة يومية أنشأتها شركة من اعيان القطر وأصدرتها هذا الشهر في بزة جديدة وطبع جميل وعهدت بادارتها الى احمد بك لطفي السيد من رجال القضاء ، و بانشائها وموءازرتها الى جماعة من اهل الفضل والادب كالسيد محمد

رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي وأحمد بك زكي ونجيب افندي شاهين وعبد الحميد افندي الزهراوي ويوسف افندي البستاني وكامل افندي دياب وغيرهم وهي تصدر كسائر جرائد العاصمة بعد الظهر . وقد تصفحنا الاعداد التي صدرت منها فرأيناها سليمة العبارة متينة التراكيب جيدة الموضوعات فرجونا لها أن تكون كجريدة «الدبا» الفرنسوية من حيث وفرة مادتها وصحة عبارتها فان الدبا وهي لشركة ايضاً ترمي الى خدمة الآداب . وسبيل الجريدة في سياستها مع الحكومة« سبيل المحاسنة التي لاتجر الى ترك حق أو تزيين باطل وهي أجلى مظاهر الاعتدال الذي يجب أن يكون دعامة العلاقات بين أمة و بين حكومة كلتاهما في طور التكون» . فعسى أن يكون منها ما يؤهلها لبلوغ الغاية النافعة التي يتوقعها أنصارها ومساهموها . وقد بلغ بالجريدة عدد الجرائد العربية اليومية في القطر ثلاث عشرة جريدة . زاد الله النافع القويم منها فان هذا العدد يوجد في مدينة صغرى من مدن الغرب وأصغر جريدة من جرائد الولايات هناك تطبع أكثر من اكبر جريدة في عواصمنا

الاحياء — مجلة في ثماني صفحات تصدر مرتين في الشهر في مدينة الجزائر وهي اسلامية أدبية اخبارية وقيمة اشتراكها ٤ فرنكات في الجزائر وتونس و٥ في الخارج وهذه أول مجلة على ما نعلم صدرت بالعربية في ذلك القطر فعسى أن تكثر فيه بعد ذلك الصحف والمجلات ويحذو اخواننا الجزائريون حذو اخواننا التونسيين في نشر المطبوعات العربية النافعة واذا كان نقص ما يكتبونهُ محسوساً باديء بدء فان كثرة المران تجبر كل نقص

الريحانة — هي مجلة تاريخية أدبية قصصية تصدر في منتصف كل شهر عربي لصاحبتها ومحررتها جميلة خانم حافظ وقد قدمت لها مقدمة لطيفة في السعادة وغرض

المجلة وفيها مقالات في التربية والتاريخ وتعليم المرأة وهذا هو أهم ابحاث المجلة وان كل من عانى البحث في الشؤون العامة ليوافق الفاضلة صاحبة الريحانة على ان الرجال هم سبب تقهقر النساء في الآداب والعلم وانهنّ لو تعلمن كما يتعلم الرجال أو أقلّ لسعدت الامة الاسلامية كما سعد غيرها من الامم المعاصرة . وقيمة اشتراك الريحانة ٣٠ قرشاً في مصر و١٠ فرنكات خارجها فنرجو لها التوفيق الى ما تقصد اليه . أكثر الله من أمثالها العاملات

سير العلم

الحالة الاقتصادية في مصر — كتب الدكتور الفريد افندي عيد المالي الشهير تقريراً في الديون المعقودة على رهن في القطر المصري فقال ان فيهِ الآن خمسة مصارف تسلف النقود على رهن عقاري وهي المصرف الزراعي والمصرف العقاري وشركة الاراضي والرهنيات المصرية وصندوق الرهنيات واللندبنك وقد بلغ رأس مال المصرف الزراعي ٧،٧١٥،٠٠٠ جنيه ورأس شركة الاراضي والرهنيات المصرية ٨٧٧،٥٠٠ جنيه ورأس مال صندوق الرهنيات العقارية ١٠ ملايين فرنك ورأس مال اللندبنك ٩٧٥ الف جنيه هذا ماعدا قيمة السندات التي أصدرتها . وقال ان شركات التأمين الانكليزية سلفت مليوناً وار بعمائة الف جنيه وسلف جماعات أصحاب الاموال ثمانمائة الف جنيه واستنتج ان سُلَف الافراد بلغت ٥ ملايين و٤٤٥ الف جنيه فيكون مجموع الديون المعقوده على رهن في المصارف وغيرها ٢٨ مليون جنيه و١٤٥ الف جنيه ومجموع الاموال المستحقة للشركات العقارية التي باعت اراضيها على اقساط زهاء مليوني جنيه ومجموع الديون المستحقة على رهن ٣٨ مليون جنيه و٩٩٧،٧٢٠ ج وقال ان تاريخ عقود الرهن في القطر يرد الى سنة ١٨٧٦ وان الرهنيات زادت قيمة الارض وقدر

الاموال التي سلفت على ارض البناء بمئة وخمسين مليون جنيه اما الاموال الموظفة فلم يرد جميعها من الخارج بل ان قسما منها من اموال البلاد

المصارف الزراعية العثمانية — نشرت نظارة المصارف الزراعية في البلاد العثمانية احصاء بأعمالها عن سنة ١٣١٩ على الحساب الشرقي فقالت انه كان عدد شعب المصارف في مراكز الولايات والالوية ٦٦ شعبة وعدد شعب الاقضية وبعض الالوية ٣١٤ شعبة وكان رأس مال هذه الشعب كلها ٣،٧٧٧،٥٠٠،٨٤١ قرشاً وأقرضت هذه المصارف للفلاح العثماني ٣٠٦،٨٢٤،٣٢٢ قرشاً وبلغ عدد المقترضين ٩٦،٠٧٤ مزارعاً وقد بيعت في مدة خمس عشرة سنة أراضي زهاء ٨١٠٠ فلاح لم يوفوا ما عليهم من الديون لتلك المصارف وبلغ عدد المستدينين من الفلاحين في ١٥ سنة أيضاً ٩٨١،٣٤٩ شخصاً . وهذه المصارف الزراعية في البلاد سهلت على الفلاح العثماني اقتراض المال في حين حاجتهِ بفائدة ستة في المئة كما سهلت المصارف العقارية في القطر المصري سبل استلاف النقود برهن العقارات فكان منها أن اغتنى ألوف من الناس ما كانوا يملكون من قبل الا ما لا يذكر . أما في البلاد العثمانية فان المصارف الزراعية أنقذت الفلاح بعض الانقاذ من شطط المرابين واجحافهم

احصاء غريب — كان في الولايات المتحدة في العام الماضي ٢٢٠٠٣٠ ميلاً من الخطوط الحديدية وبعد ان كانت منذ سنين زائدة عن حاجة البلاد اصبحت الآن تلك البلاد في اشد الحاجة الى الاستكثار من هذه الخطوط ويلزمها على اقل تعديل ٧٥ الف ميل اخرى ينفق عليها ١١٠٠ مليون ريال في السنة مدة خمس سنين وقد عجزت معامل اميركا على كثرة استعدادها عن صنع مايطلب منها من القاطرات والمركبات للخطوط الحديدية فان اميركا الشمالية يلزم لها من ذلك ٢٥٠ الف مركبة

في السنة وكان في أميركا سنة ١٩٠٥ — ٤٧،٣٥٠ قاطرة و٤٠،٧١٣ مركبة و١،٧٣١،٤٠٩ مركبة لنقل البضائع وكان عدد من ركبوا القطارات الحديدية الى مسافة ميل فاكثر في تلك السنة ٢٣،٧٠٠،١٤٩،٤٦ راكباً و بلغ مانقل الى مسافة ميل من البضائع ١٨٦٬٤٦٣،١٩٠،٥١٠ طنات

المعلمات والمعلمون — تقول احدى المجلات العلمية ان الحال اذا ظلت على هذا المنوال يُربَّى أهل الجيل القادم في انكلترا والولايات المتحدة على أيدي المعلمات بدل المعلمين فقد كان الرجال منذ خمسين سنة يديرون أربع مدارس ابتدائية في انكلترا من كل خمس مدارس وفي سنه ١٨٧٠ تساوى عدد المعلمين والمعلمات اما اليوم فانك ترى من كل اربع مدارس ثلاثاً يديرها النساء ويقدر عدد المعلمات في الجزائر البريطانية بعشرين الف معلمة وعدد المعلمين بأربعة آلاف معلم. اما في اميركا فان قلة المشاهرات التي تدفع للمعلمات تحول دون اقبال ربات الحجال على التعليم.

شقاء العمال — وضعت مجلة اميركا الشمالية مقالاً ضافياً وصفت فيه حالة العملة وما يصيبهم من العاهات الطبيعية والعملة هم القسم الاعظم من أهل الولايات المتحدة فقال ان سبب ذلك زيادة عدد المحاويج وازدحام المدن بأقدام السكان وقلة الغذاء عند الفقراء والمساكين فلم يكن سكان المدن منذ مئة سنة في اميركا اكثر من ٣ في المئة وقد اصبح اليوم ٤٠ في المئة وفي بعض الولايات اكثر من ذلك . وسبب هذا رغبة الناس عن سكنى القرى والمزارع وانهيالهم على المدن والعواصم لادخال الادوات في الاعمال الزراعية والاستغناء في اكثرها عن ايدي العاملين كما كان من قبل فاضطر اكثر الفلاحين ان يدخلوا المعامل في المدن وان ينقطعوا عن الزراعة ولكن ما يقبضونه من المياومات لايسد حاجاتهم الضرورية فيبيتون في اماكن رديئة الهواء تكثر فيها

الامراض والوفيات فاذا لم يهلكوا قبل سن الشيخوخة فان معظمهم يصابون بامراض بطيئة تزيد ضعفهم الطبيعي ضعفاً . وهذه الاسباب تنتج هذه النتائج في كل مكان ولا سيما في الولايات المتحدة فان الحالة هناك ادهى وامر . ولا سبيل الى تلافي هذه الآفات الا بان تجعل الرياضية الجسمية اجبارية في جميع المدارس وان تضاعف ايام العطلة وان يكره الاولاد على قضائها في الخلاء والبراري وان تسير التربية الطبيعية هي والتربية العقلية على نظام صحي وان يحسن طعام الاولاد في المدارس

لحم الخيول — نشرت أحد علماء الاسبان بحثاً في الدعوة الى تناول لحم الخيول فقال ان من يدعي من الاسبانيين انها قذرة رديئة لا توافق الصحة هو في ضلال مبين واذا استعمل هذا الضرب من اللحم ولا سيما بين الطبقات النازلة يتبين لآكليه انهُ من اللحوم اللذيذة الطعم كثير التغذية يقوي الجسم وقد استشهد على صحة رأيهِ باحصاءآت أكلة الخيول في الأمم ولا سيما في بروسيا التي ينمو فيها متناولوه وقال ان فرنسا لم تبدأ بتناول لحم الخيل الا سنة ١٨٦٦ وكان بعض الفرنسيس قبل ذلك يتناولونهُ سراً على ان الجندي الفرنسوي في حرب القريم كان يؤثر لحم الخيل على لحم البقر أما الجندي الانكليزي فكان يتقزز من تناوله قال وكيفية تقديم لحم الخيل على الموائد هي التي تحببه الى النفوس أو تكرههُ اليها وان بعض الشرهين ليزعمون ان لسان الحصان لذيذ الطعم

المكاتب في نروج — بحثت احدى المجلات العلمية الهولاندية في تاريخ المكاتب العامة في بلاد النروج فقالت انها تُرَدُّ الى أواخر القرن الثامن عشر وكان مبتدعها رجلاً اسمه سورت ارفلو خطر له ان يجعل كتبه القليلة في غرفة يطالع فيها الخاصة والعامة فمشى على أثره غيره من عشاق الكتب وشاركوه في هذا العمل النافع وأخذ الشاعر ورجلاند يبث هذه الفكرة في العقول بما وضعهُ من كراسة ذكر فيها ما ينال الشعب

النروجي من النعم الجسام بتهيئة أسباب المطالعة له في الكتب العلمية الحقيقية فوضع بكتابتهِ هذه أساس مكتبة عامة للشعب وأشار بالكتب النافعة التي ينبغي وضعها فوقع كلامه موقع القبول من القلوب فلم تمض سبع سنين على دعوتهِ حتى صارت مكاتب الشعب هناك سنة ١٨٣٧ — ١٨٥ مكتبة منتشرة في طول البلاد وعرضها ويبلغ اليوم عددها نحو ثلثمائة والحكومة تنفق عليها ما يلزمها من النفقات

مدنية آسيا الوسطى — ذكرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ان ضابطين انكليزيين رحلا منذ مدة من بلاد الهند الى بكين مارين ببلاد تُبت وتركستان الصينية فاكتشفا في طريقهما اكتشافات أثرية مهمة وكانت هذه الاصقاع وهي اليوم تكاد تكون غير مأهولة مهد مدنيات قديمة قوية زال أثرها فكان بحث هذين الضابطين مذكراً بها . وساح عالم الماني في الشمال الشرقي من تركستان فاكتشف بعد عناء ثلاثة أشهر نقوشاً على الحيطان ومخطوطات كتبت بالخط الناكاري والبرهمي وهي من خطوط آسيا الوسطى ومن هذه المخطوطات ما هو مكتوب بالخط الصيني والتبتي والتانغوتاني والسرياني والمانشوي والويكوري والتركي الازرق ومنها ما كتب بلغة مجهولة غريبة ويظن انها سريانية أو مشتقة منها . وانت ترى في هذه الخطوط مجموعة من اللغات الآرية واللغات السامية يضاف اليها تلك اللغة التركية الزرقاء أقدم اللهجات التركية التي عرفت. والمخطوطات التانغوتانية من أنفس ما عثر عليهِ من هذه الآثار لأن هذه اللغة مشتقة من اللغة التبتية ومكتوبة بخط محرف من اللغة الصينية غريب في شكله ووضعه ولم تعرف هذه اللغة الا برسوم كان عثر عليها منذ مدة . وقد كتبت بعض هذه الكتابات على ورق وبعضها على ورق البردي وبعضها على رق ابيض جميل وبعضها على خشب وفيها من الفوائد التاريخية واللغوية ما اغتبط بهِ اهل البحث والعلم . ومما لفت الانظار من هذه الآثار خصوصاً المخطوطات المانشوية المكتوبة

باللغة الفارنسية الوسطى بحروف خاصة اخترعهـا في فارس ماني مؤسس المذهب المعروف به سنة ٢٧٠ ق ٠ م وحلها موالر اللغوي في متحف خصوصيات الشعوب في برلين لان هذا المخطوطات تؤكد ما كان لفارس من النفوذ العظيم في آسيا الوسطى ومما اكتشفه العالم الالماني عدد عظيم من الجثث لابسة ثياب كهنة بوذيين ماتوا صبراً في المعابد التي كانت لهم سجوناً وفي هذه الجثث اشارة الى ما كان يجول في صدور الفاتحين الصينيين من الكراهة للديانة البوذية . والتماثيل المصنوعة من الجص هي تماثيل بوذا تدل على انه كان للهند في تلك العصور نفوذ ممتد الرواق في الشرق الاقصى ويابان

التنويم الكهربائي — جرب احد اساتذه مدرسة نانت الطبية في فرنسا التنويم بالكهربائية بدلاً من التنويم بالكلورفورم فاسفرت تجربته عن نتائج حسنة فان المنوَّم يبقى بدون حركة اختيارية ولا يحس بأي ألم يحدث له ويبقى في حال سبات مدة مرور المجرى الكهربائي عليه فاذا حُوّل عنه يقوم لساعته وجرب ذلك في الكلاب والارانب

حفظ الثمار — اخترعت وسائط لحفظ الثمار ومن أقربها تناولاً ما اخترعه احد علماء الانكليز وذلك بتغطيس الثمرة مدة عشر دقائق في محلول مؤلف من ٣ في المئة من محلول حامض النمل الصناعي (فورمول) فالثمار اللطيفة القشرة كالعنب والتوت الافرنجي والكراز ينبغي ان تغسل بالماء الصافي بعد ان تجعل في ذاك المحلول اما الثمار الاخرى التي تقشر كالتفاح والكمثرى والدراق فلا لزوم لغسلها وتحفظ الثمرة بهذه الوسطة من ١٠ الى ١٥ يوماً فاذا قطفت قليلة النضج تسافر بهذه الطريقة الى البلاد الشاسعة ولا تنبعث منها رائحة

اللفافة الجديدة — ان اللفافة التي اخترعها احد رجال الانكليز في العام الماضي قد عرضت الآن في لندن وكثير من امهات مدن الولايات المتحدة وهذه اللفافة لاتطوي الجرائد فقط بل تلصق عليها الطوابع وتربطها وتعلق عليها العناوين وتجعلها رزماً

وأضابير ، ويقول بعضهم ان هذه الآلة معقدة بعض التعقيد ولكنها لا تشغل مكاناً كبيراً وتغني عن استعمال مئات من الايدي فتطوي في اقل من ساعة الوفاً من الجرائد المعدة للارسال وتربطها وتحزمها وتناط بها آلة اخرى تمنع من وقوع سهو في عدد الاعداد المرسلة .

المعارف في مصر — ظهر منذ ايام تقرير اللورد كرومر السنوي عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٦ فما قاله عن معارف مصر ان الاعتمادات المخصصة لها أصبحت الآن ٣٧٤٠٠٠ ج.م بعد ان كانت ١٩٧٠٠٠ ج.م سنة ١٩٠٣ . وان في القطر ٣٢ مدرسة ابتدائية راقية تحت تفتيش نظارة المعارف وكان مجموع تلاميذها ٧٥٨٤ مقابل ٦٨١٥ تلميذاً سنة ١٩٠٥ و٩٧ في المئة من التلاميذ مسلمون . وفي مصر ٢٠ مدرسة أخرى من هذا القبيل ارادت أن تكون تحت مراقبة نظارة المعارف وفيها ٤٦٩٠ تلميذاً وتقدم للامتحان في الدروس الابتدائية الاخيرة ١٦٣٤ طالباً تخرجوا من مدارس الحكومة و١٧٣٦ تعلموا في مدارس خاصة أو درسوا في بيوتهم فقبل منهم ٩٠٤ تلاميذ فقط او ٢٧ من مجموعهم ومن الذين نالوا الشهادة الابتدائية ٥٦٤ تلميذاً ما زالوا يتممون دروسهم في مدارس الحكومة او مدارس خاصة ومنهم ٢١٤ تلميذاً دخلوا في خدمة الحكومة و٢٦ اخذوا يتعاطون اعمالاً حرة لانفسهم ومنهم ١٠٠ بقوا بلا عمل

وتقدم للشهادة الثانوية ٧٤٠ طالبا يقابلهم ٤٤٧ في سنة ١٩٠٥ فقبل منهم ٣٦٦ او ٤٩ في المئة من مجموعهم وكان منهم ٢٥٦ اي ٧٠ في المئة مسلمين ومنهم ٢٧٧ ما زالوا يدرسون في المدارس العالية و٧٢ دخلوا في خدمة الحكومة و١٢ استخدموا في أعمال خاصة و ٥ ظلوا بلا عمل ونحو ٤١ في المئة من الطلاب المقبولين أخذوا أنفسهم بدراسة الحقوق و ٢٦ في المئة درسوا الطب و ٢٤ طالباً دخلوا دار المعلمين

وقال في كلامهِ على الكتاتيب انهُ أنشيء في مديرية الدقهلية منذ أقلّ من سنتين ٢٢٨ كتّاباً من أموال الاغنياء ووقف عليها ما لا يقلّ عن ٣٠٩ أفدنة ما عدا المباني

ولم ينشأ في خلال السنة الماضية في القطر سوى ٣٣ كتاباً جديداً وأصلح ٩٠ وكان عدد الكتاتيب في القطر سنة ١٨٩٨ — ٣٠١ كتاب فيها ٦٩٣١ صبياً و ٨٩٨ بنتاً و٤٩٠ معلماً و٩ معلمات فاصبحت سنة ١٩٠٦ — ٤٤٣٢ — فيها ١٤٥،٨٣٨ صبياً و١٠،٧٠٤ بنتاً و ٦٥٥١ معلماً و٣٣ معلمة وشكا من قلة اقبال النساء على ان يكنّ معلمات كما شكا من جهل المعلمين الموجودين في المدارس الابتدائية ونسب اليهم اخفاق التلاميذ في التقدم لنيل الشهادة

وقد بلغ عدد مدارس البنات ٢٠٩ وعدد التلميذات ١٣٧٠٥ و بلغ عدد البنات اللائي يذهبن الى كتاتيب الحكومة ٢١٣٥ وعدد اللائي يذهبن الى الكتاتيب الأخرى ١٠٧٠٤ تلميذات وقال ان الأهالي اقبلوا على تعليم بناتهم والتوسع في تلقينهنّ علوماً أكثر من الأول

وتكلم على مدرسة الزراعة فقال ان فيها ٦٥ طالباً منهم ٣٨ مصريين و٢٧ مختلفة أجناسهم ومن هؤلاء المصريين ٢٩ من المسلمين . قال ولا يزال معدل المسلمين في هذه المدرسة قليلاً على زيادة فيه . وقال في كلامه على مدرسة الهندسة ان فيها الآن ٨٩ طالباً منهم ٥٨ مسلماً وقد دخل اليها ٤٠ طالباً في شهر سبتمبر الماضي منهم ٣٠ مسلماً فعدد الطالبين من المسلمين في هذه المدرسة يزداد سنةً عن سنة . ولفت انظار المصريين الى تعليم اولادهم الهندسة وقال ان مصر محتاجة الى مهندسين وطنيين وفيها أعمال كثيرة لهم

وذكر مدرسة الحقوق فقال : ان طلبتها الآن ٣٥٨ طالباً منهم ٢٦٣ مسلماً وقال ان الاقبال على تعلم الحقوق زاد منذ ست سنين . وقد نال شهادة الطب من المدرسة الطبية في القصر العيني ٢٠ طبيباً وتقدم للدخول فيها ٩٧ فقبل منهم ٥٣ طالباً . قال اللورد : ان عدد الاطباء قليل وان الامة بقدر ما تستنير تشتدّ حاجتها الى الاطباء

وأشار في كلامه على مدرسة البيطرة الى أن فيها ٣٠ طالباً وفي كلامه على مدرسة العميان انها آخذة في التقدم والعطايا تنهال عليها وان فيها ٢٧ طالباً داخلياً وانهُ اختلف اليها في السنة الماضية نحو عشرة اولاد كل يوم بصفة خارجية . وقال ان في مدرسة فيكتوريا في الاسكندرية ٢١٥ صبياً منهم ٧٩ اسرائيلياً و٧٩ مسيحياً و٥٧ مسلماً .

وقال في كلامه على المعارف في السودان : ان في مدارس حكومتها ٤٣٠ تلميذاً منهم ٣١١ مسلماً و٢٥ قبطياً و٤ اسرائيليين وذلك ما عدا صبيان الكتاتيب ، وان قد اخذت تنشأ النتائج الحسنة من التعليم في السودان بعد أن رأى السودانيون ان منهم ٣٧ رجلاً تخرجوا في مدارس الحكومة فاستخدمتهم بعد في اعمالها . وأشار الى كلية غوردون في الخرطوم فقال ان تلاميذها قلائل وان خطتها تنشئة معاونين مهندسين ومساحين وان تكون فيها مدرسة ثانوية ومدرسة ابتدائية. وأصبحت المدارس الابتدائية الراقية في السودان ست مدارس فيها ٧٦٢ تلميذاً . وفي مدرسة الصنائع التي هي فرع من فروع كلية غوردون ١٢٥ خريجاً يتعلمون الصنائع المختلفة . ويؤخذ من كلام جناب اللورد ان الكتاتيب الخصوصية للذكور ضعيفة جداً في السودان على رغم تنشيط الحكومة لها وتكلم على مدارس المرسلين في السودان وقال ان الحكومة السودانية لم تأذن لهم بانشاء مدارس في الاصقاع السودانية المختلفة لان الاهلين كلهم من المسلمين وغاية الامر أنها ترخص لهم بانشاء مدارس في الخرطوم حاضرة السودان لتكون هذه المدارس تحت مراقبة الحكومة ولان فيها أولاداً لغير الطائفة الاسلامية . وعلى الجملة فان القارئ يلاحظ معنا بعد تلاوة ما تقدم أن مصر والسودان يستحيل عليهما أن يبلغا في معارفهما مبلغ الحكومات الراقية في كثرة المتعلمين والمتعلمات قبل أن تمضي قرون اذا ظلَّ العمل جارياً على هذا النحو في البطء

آثار الافغان — ذكرت احدى المجلات الانكليزية في الهند بحثاً لأحد رجال التاريخ والأثر كشف فيهِ الغطاء عن بعض ما اشتملت عليهِ افغانستان من الشؤون التاريخية فقال ان افغانستان تهم كلاً من الهند وفارس وان اسمها كان على عهد خلفاء الاسكندر آري كما أطلق عليها آراشوزي و بارو باميز ودارنجيان وكانت لها مدنية راقية و بعدان انتقل منها العنصر اليوناني الى بلاد الهند كانت كرسي مملكة الهند السيتية (السيت قبائل رحالة متوحشة كانت في الشمال الشرقي من أوربا وفي الشمال الغربي من آسيا) وهناك اجتمعت أديان ثلاثة وهي المزدكية والبرهمية واليونانية . وانك لترى الى اليوم فرعاً من لغة الزاند سارية في لغة افغان ومعظم اسماء المدن الحديثة من افغانستان ورد في كتاب ديانة الفرس الاقدمين . أما كون بارسيس من المتشيعين لزردشت في الهند استولى في غابر الدهور على بلاد الافغان فذلك ثابت بما شوهد من انقاض المعابد والحصون

النساء والاجتماع — تكلم أحد الباحثين من الفرنسيس في مجلة العالمين الباريزية عن الاعمال التي تقوم بها النساء في فرنسا لتحسين أحوال بنات جنسهن فذكر من الجمعيات المفيدة جمعية اتحاد البيوت لمؤسستها الآنسة كاهيري فقال ان غايتها ان تلقي في ذهن اعضائها منذ سن الطفولية حب الاقدام والتبصر والتكافل وان هذه الجمعية أقامت بيتاً يأوي اليه الاطفال من السنة الثانية ونصف الى السادسة فيعلمون ما يعدهم لتلقي الدروس الابتدائية بعد ذلك من أسهل الطرق . وقد جرى العمل في هذا المأوى بمذهب فربل في التربية ومذهبه مؤسس على مبدئين عظيمين وهما تعلم الولد القراءة قبل ان يتعلمها في الكتب وأن يتعلم الرسم قبل أن يؤخذ بتعلم الكتابة . والأسرة تدفع عن كل طفل من أولادها أو بناتها عشرة سانتيمات في اليوم واذا ارادت تعليمه الرياضة البدنية فتدفع عنه أجرة ذلك ٢٥ سانتيماً في الشهر وتدفع خمسين سانتيماً عن كتب تقدم له في الشهر

ومتى أحبت أسرته تعليمه الموسيقى تدفع عنه فرنكين في الشهر . ويتعلم البنات في هذا المأوى علم تدبير المنزل ويتلقين دروساً في الطبخ بحيث اذا أتقنها لا ينفقن أكثر من فرنك في اليوم عن كل شخص يراد اطعامه واعالته . وهذه الجمعية تعلم ثمانمائة طفل ويجتمع آباء الأولاد وأمهاتهم كل شهر مع المعلمات المربيات ليتفاوضوا معهم في تربية أطفالهم . وفي سنة ١٩٠١ أنشئت في فرنسا اول مدرسة لتعليم تدبير المنزل انشأتها امرأة من فضليات النساء وفي فرنسا اليوم خمسون مدرسة من مثل هذه فيها ١٢٠٠ تلميذ وتلميذة منها خمسة في باريز ويعلم في كل مدرسة مايلزم للمختلفين اليها من الذكور والأناث وما يلائم حالهم وشأنهم

الذهب — كان المستخرج من الذهب سنة ١٧٩٦ : ٩٠٠ مليون فرنك فصار سنة ١٩٠٦ ملياراً و٨٠٠ مليون فرنك

احياء الموتى — اخترع أحد علماء الاميركان الاستاذ بو آلة كالمضخة «الطلمبة» التي تستخدم لاملاء اطار الدرّاجة بالهواء بعد تفريغهِ منه وقال انه يحيي بها بعض الحيوانات كالارانب والكلاب والجرذان وقد أجرى بالفعل تجارب من هذا القبيل فأفلح في تجرباتهِ ويقول انه يتمكن بآلتهِ من احياء من يموت من البشر مختنقاً او مسموماً ويحيي من يموتون تحت البنج ويمنع موت الاطفال اختناقاً عند الولادة ويعيد السكارى الى صحوهم بعد خمس دقائق ويحيي المصعوقين بالكهربائية الى غير ذلك من الاعاجيب التي قام بها بعد اشتغال ٣١ سنةً ودهش لها العلماء وصفقت لها مجامعهم وأنديتهم

محسنة أميركية — روت جريدة الهدي النيويوركية أن العقيلة رسل ساج أرملة أحد كبار اغنياء نيويورك (خلف لها زوجها ثمانين مليون ريال) قد منحت اليوم ١٠ ملايين ريال اختارت لتوزيعها نخبة من أفاضل جمهورية اميركا وفاضلاتها وجعلت

غايتها : — (١ً) تحسين حالة بيوت الفقراء صحياً . (٢ً) مقاتلة السل في نيويورك وأمهات المدن بتعليم المسلولين كيف يشفون بالعمل في الخلاء وأكل بعض المغذيات والامتناع عن المسكرات والتدخين وتعليم أهلهم كيف يتقون الداء . (٣ً) ارسال أولاد الفقراء الى البرية عند اشتداد الحر . (٤ً) جمع فضلات موائد الاغنياء لاطعام الجياع . (٥ً) مقاومة تدخين القاصرين . وتنوي هذه المحسنة انفاق ما خلفهُ لها زوجها في مثل هذه السبل من اعمال الخير ونفع البشر

الاعمال العقلية — قال الدكتور فلوري في بحث له في المجلة الفرنسوية ان الاقلال من الطعام هو خير ما تداوى به معِد أرباب الاعمال العقلية الذين يقضون الساعات الطويلة محصورين في غرف ضيقة يعملون اعمالاً تهيج اعصابهم وتثير قواهم وأدمغتهم وأكثرهم معرضون لوجع المفاصل وضعف المجموع العصبي . وقد أحصى الطبيب المشار اليه ٣٣ رجلاً من أرباب الاعمال والاموال و٢٦ من المستخدمين في الادارات و٢١ طبيباً فلم يظفر من بينهم بغير ٤ محامين ونقاشين ووكيل دعاوٍ واحد سالمين من الضعف مثل تعب الذاكرة وتشوش الفكر وضياع الارادة والسويداء وقلة الهمة للعمل وغير ذلك . قال : وكل ذلك ناشيء في الاكثر من الافراط في تناول اللحوم والخمور والالكحول والشاي والقهوة والدخان . وهو يصف لارباب الاشغال العقلية اذا كانوا لم يصابوا بأعراض هذه الامراض أن يقتصروا في الصباح على مائتي غرام من القهوة باللبن وقرصين بالسمن وعند الظهر أن يتناولوا قرصين بالسمن على شكل الخبز ومئة الى مئة وخمسة وعشرين غراماً من اللحم المشوي بدون « صلصة » وعلى بقول خضراء او

« سلاطة » مطبوخة وطعام من اللبن وكعكتين وفي المساء أن يتناولوا حساءً وفطائر أو بقولاً ناشفةً او خضراء وفواكه مطبوخة وكعكتين بالزبدة وأن يمتنعوا كل الامتناع عن الخمر والمشروبات الروحية على اختلاف انواعها ويقللوا من القهوة

آلة للعمى — يقال ان عالماً نروجياً اخترع آلة توضع فى عيون العمي فيبصرون ولكن لا بعيونهم كالمبصرين بل بتنبيه حواسهم

سحب الحمولات — كان يجري النقل في أوربا قبل اختراع السكك الحديدية على السفن في البحار والانهار والترع وكانت الاجور التي تؤخذ عن النقل قليلة بالنسبة وقد عادت المانيا اليوم الى استعمال النقل في بعض أنهارها الكبيرة على السفن التى تسير بالكهربائية وتقطر معها عشرات من السفن فثبت لها ان مليوني طن من الاثقال تكلف أجرة نقلها بالكهرباء مثل ما تكلف بالبخار واذا تضاعف هذا العدد تقل النفقة عشرين في المئة ولذلك ستحذو أكثر الحكومات حذو ألمانيا

واقي الحبوب — اكتشف أحد علماء فرنسا اكتشافاً يقي الحبوب كالقرطمان والحنطة والشعير والذرة وغيرها من الآفات التي تطرأ عليها فتغيرها فخدم باكتشافه الزراعة خدمة لا تقدر بثمن

البحث في الاعماق — لم يتمكن الباحثون في أعماق المحيط الى بلوغ أكثر من ثلاثة عشر متراً فاذا جاوزوا هذا القدر واضطروا الى النزول الى عمق أكثر يستخدمون المسبار وقد اخترع أحد المهندسين آلة يستعملها الغطاس فتمكنه من الوصول الى السفينة الغرقى في قعر البحر وبها ينزل

الى عمق مئة متر بسهولة وقد جرب هذا المهندس هذه الآلة المعدنية ١١٥ مرة فوفت بالغرض وتوفر على تجربة اختراعه خمس سنين فتم كماله أخيراً على ما يرام . وهذه الآلة تجدد الهواء من تلقاء نفسها بواسطة محركات كهربائية معلقة بها وتنير للغطاس طريقه بالكهربائية أيضاً .

النزلة الصدرية — ثبت لدى كبار الاطباء ان النزلة الصدرية تعدي كالسل والجذام وغيرهما من الامراض وقد رأى أحدهم في لندن ان تصدر الحكومة أمرها الى شركات السكك الحديدية بتطهير المركبات ونفض المخدات والمتكآت والمقاعد في عجلات الخطوط الحديدية بعد ان تسير مدة لان جراثيم النزلة تعلق فيها لامحالة وقال ان المفرط في تناول الالكحول هو معرض للوقوع في هذا المرض أكثر من غيره وقال غيره ان المصاب بالنزلة اذا أقام في منزله خمسة عشر يوماً لم يخرج للناس يقلُّ جداً المصابون بالنزلات الصدرية بقلة اختلاط السقيم بالسليم

جمعيات التعاون — عمت هذه الجمعيات أوربا بأسرها ففي المانيا نحو ألفي جمعية من هذا النوع ومثلها في ايطاليا وفي الدانيمرك الف جمعية وللبلجيك من هذه الجمعيات انواع وضروب نافعة وفي انكلترا من هذه الجمعيات ألوف وأهلها ينفقون على البائس والفقير بألوف الالوف فقد قدر أحد كبار رجال الانكليز العارفين ان الانكليز انفقوا على هذه الجمعيات ٧٥٦ مليون فرنك

اللحوم في فرنسا — فى احصاء اخير ان فرنسا تكثر فى هذه الايام من تناول لحم الخيل ويقبل أهلها عليه ايما اقبال فانك ترى فى كل مدينة لها بعض الشأن من مدنها

مسلخاً لذبح الخيول وقد أكلت مدينة باريز في السنة الماضية اربعين الف حصان اي ثمانية اضعاف ما كانت تأكل منذ سبع سنين . ولحم الخيل يساوي نصف لحم الضأن واذا روقب أمر تقديمه لا يضر بالصحة أصلاً كما تقدم في غير هذا الموضع

ثروة الولايات المتحدة — لو وزعت الثروة في الولايات المتحدة على الافراد بالتساوي لاصاب كل أمريكي ١٢٣٥ دولاراً و٨٦ سنتاً وفي الولايات المتحدة و١٢٥ الف رجل يبلغ مجموع ثروتهم ٣٣ مليار دولار فلو قسمت عليهم بالتساوي لاصاب كل واحد منهم ٢٦٤ الف دولار وفيها ١ مليون و ٣٧٥ الف رجل يبلغ ثروتهم ٢٣ مليار دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لنال كل شخص منهم ١٦ الف دولار وفيها ٥ مليون و٥٠٠ الف شخص يبلغ مجموع ثروتهم ٨ مليارات و٢٠٠ مليون دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لنال كل فرد منهم ١,٥٠٠ دولار وفيها ٥ ملايين و٥٠٠ الف شخص يبلغ مجموع ثروتهم ٨٠٠ مليون دولار فلو وزعت عليهم بالتساوي لاصاب كل واحد منهم ١٥٠ دولاراً فهؤلاء ١٢ مليون و٥٠٠ الف شخص من سكان الولايات المتحدة يستحقون ان يذكروا في التقويمات المالية العامة و يبقى ٧١ مليوناً من سكانها غير موجودين مالياً

أصدر المستر ركفلر المثري تقريراً مثبتاً بشرف كلامه ان ثروته لا تتجاوز ٣٠٠ مليون دولار وان دخله السنوي من ١٥ مليوناً الى ٢٠ مليون دولار

ومن الاغنياء المستر كارنيجي الذي تقدر ثروته بمبلغ ١٦٦ مليون دولار ومسز انا واكر التي تقدر ثروتها بمبلغ ١٣٠ مليوناً ويليهما عدد كبير ممن تقدر ثروة الواحد منهم بمئة مليون دولار كفندربلت وغيره وكل هؤلاء عاملون على زيادة ثروتهم لا على تفريقها فهم يملكون المناجم والسكك الحديدية واكثر الشركات التجارية وتقدر ثرواتهم مجموعة بمبلغ ٤٠ مليار دولار حال كون الاموال المبذولة في سبيل الخير في الولايات المتحدة كلها تقدر بأربعين الى خمسين مليون دولار وليست الا مبلغاً جزئياً بالنسبة الى دخل الاغنياء وليست كلها مجموعة منهم عن الهدى بتصرف

المقتبس

الجزء الرابع من المجلد الثاني

ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ الموافق مايو (ايار) سنة ١٩٠٧

تبذير الكبراء

الاسراف في الغالب آفة من آفات الحضارة ولا اسراف اذا لم توجد حضارة وعلى نسبة حضارة الامة وغناها يكون في الاكثر بذخها واسرافها وان شئت فقل اسراف اهل البسطة والغنى . مثاله ما نسمعه لهذا العهد عن ديار الغرب وايغال الموسرين من اهله في الانفاق على كل ما طاب وحلا و بهرج و زخرف فينفق انفرد في الشهوات والتبرج ما يكفي لاعالة عشرات الالوف اعواماً . وتأتينا عنهم انباء لا تكاد تصدق لولا تناصرها واتفاق المشاهدين لها عياناً على اثبات ما يقال ويروى . ولو استقريت تاريخ الامم لرأيت الشيء الكثير من ذلك قبل ألوف من السنين وآخر من انتهت الينا اخبار ترفهم الرومان واليونان لما بلغت الحضارة بينهم حدها .

وهذا الشرق ايضاً ما خلا في كل دور من ادواره من مسرفين كانوا اخوان الشياطين واسراف اليوم يختلف عن اسراف امس فانه كان في غابر الاحقاب مقصوراً على رجال الدول والكلمة النافذة عند الملوك والسلاطين اما اليوم فالاسراف يكون من الرعاة والرعايا معاً خصوصاً بعد ان انتقلت الثروة الى الافراد . وتاريخ العرب لم ينقل الينا سوى اخبار الامراء والملوك وما عُني المؤرخون بنقل اخبار الافراد من الاغنياء ولذلك كان علينا اذا رغبنا ان نستشهد تاريخنا ونبحث في حالتنا الاجتماعية في القرون الغابرة ان نقتصر على ايراد ما انتهى الينا علمه من اخبار اولئك العظماء وهي لا تخلو من عبرة وتسلية .

خذ لك امثلة لا تستغرب بعدها زوال الممالك الشرقية وتقرأ فيها نموذجاً من تفننهم

في دورهم وقصورهم وافراحهم ومجتمعاتهم . فقد رأت الرميكية زوج المعتمد بن عباد الاندلسي الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي فيه فامر المعتمد فسحقت اشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على اخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الايام فاقسمت انها لم ترَ منه خيرًا قط قال ولا يوم الطين فاستحت واعتذرت .

ولما اقتعد ابن ابي عامر الذروة في ايام الحكم الاندلسي صنع قصرًا من فضة لصبح ام هشام وحمله على رؤوس الرجال لجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به .

وكان في دار القاهر بالله عشرة آلاف خادم من الخصيان ويفرق الضحية من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الف رأس . وكان عز الدولة بن بويه متوسعًا في الاخراجات والكلف وكان يتناول احد الموظفين بايقاد الشمع امامه الف منّ في كل شهر .

ولما بعث ملك الروم يتوعد المستكفي بلله بالقتال استعرض عسكره فكان جملة العسكر المصفوف مائة الف وستين الفًا ووقف الغلمان بالزينة والمناطق الذهبية وكذلك الخدم والخصيان ووقف الحجاب وكانوا سبعمائة وزينت دار الخليفة بالستور والبسط فكانت جملة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج المذهب وكانت جملة البسط اثنين وعشرين الف بساط وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنًا واوراقها من ذهب وفضة واغصانها تتمايل بحركات موضوعة وعلى الاغصان طيور خضر من ذهب وفضة ينفخ الريح بها فيصفر كل طير بلغته .

وحكى الصابي عن بعض الرسل قال: دعينا الى باب مسعود يعني ابن محمود بن سبكتكين بغزنة فشاهدنا بالباب اصناف العساكر وملوك جرجان وطبرستان وخراسان والهند والسد والترك وقد اقيمت الفيلة عليها الامرة والعماريات الملبسة بالذهب مرصعة بانواع الجواهر واذا باربعة آلاف غلام مرد وقوف سماطين وفي اوساطهم مناطق الذهب وبايديهم اعمدة الذهب ومسعود جالس في سرير من الذهب لم يوضع على الارض مثله وعليه الفرش الفاخرة وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت وقد احاط به الغلمان الخواص باكمل زينة ثم قام مسعود الى سماط من فضة عليه خمسون خوانًا من الذهب على كل خوان خمسة اطباق من ذهب فيها انواع من الاشربة فسقاهم الغلمان ثم قام مسعود الى مجلس عظيم الاقطار فيه الف دست من الذهب واطباق كبار خسروانية فيها الكيزان وعلى كل طبق زرافة ذهب واطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور واشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت

وشموع من ذهب في رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الاحمر تلمع لمعان النار واشجار العود قائمة بين ذلك وفي آخر المجلس رحى من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر وفي جوانب المجلس بحيرة في جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص شيء يقصر الوصف عنها وذكر اشياء أخر تحير الاسماء والاسماع— قاله ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار

ومما يعد في باب ترف الكبراء وسرفهم ما رواه المقريزي من أعذار (طعام الختان) بني ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي في الاندلس وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الذنوبي وبه يضرب المثل عند اهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند اهل المشرق . وبوران هي ابنة الحسن بن سهل امرأة المأمون قالوا لما دخل اليها نثرت عليه جدتها الف لؤلؤة من انفس ما يكون فامر المأمون بجمعه فاعطاه بوران ثم اوقد تلك الليلة شمعة عنبر فيها اربعون منّاً (رطلاً) وقالوا ان المأمون لم يرقه هذا الاسراف وقال فيه . واقام المأمون في معسكر الحسن سبعة عشر يوماً يعدّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ ما لزمه خمسين الف الف درهم وكتب الحسن اسماء ضياعه في رقاع ونثرها على القوّاد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها واوعز الى النوتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفاً اجازوا الناس بها أخريات نهارهم .

والمتتبع لهذه الاخبار يعثر منها على الكثير ولا سيما في ايام مباهاتهم وولائمهم واعراسهم فقد روى المؤرخون ان ابا الجيش خمارويه بن طولون صاحب مصر لما زوّج ابنته اسماء للمعتضد بالله العباسي على صداق قدره الف الف درهم جهزها ابوها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل كان لها الف هاون ذهب وشرط عليه المعتضد ان يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وارزاق جنودها مائتي الف دينار ويقال ان المعتضد اراد بزواجها افتقار الطولونية وكذا كان . وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ثمانين واربعمائة كيف نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين بغلاً مجللة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة

كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيداً ثم ارسل الخليفة — المقتدي بامر الله — الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم يرَ مثلها حسناً وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن في نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة امراء السلطان لسماط امر بعمله حكي ان فيه الف منّ من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وارسل الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

وهكذا كانت اعمال اولئك الرجال تصدر عنهم بلا روية ولا حساب لان الرعايا والبلاد والثروة كانت لهم يتصرفون فيها بما يشاءون واين هذا الترف من ذاك الاقتصاد الذي أُثر عن عمر بن عبدالعزيز وقد امر جليسه رجاء بن حيوة ان يشتري له ثوباً بستة دراهم فاتاه به فجسه وقال هو على ما احب لولا ان فيه ليناً قال رجاء : فبكيت قال: فما يبكيك قال: اتيتك وانت امير بثوب بستمائة درهم فجسسته وقلت هو على ما احب لولا ان فيه خشونة واتيتك وانت امير المؤمنين بثوب بستة دراهم فجسسته وقلت هو على ما احب لولا ان فيه ليناً فقال: يارجاء ان لي نفساً تواقة تاقت الى فاطمة ابنة عبدالملك فتزوجتها وتاقت الى الامارة فوليتها وتاقت الى الخلافة فادركتها وقد تاقت الى الجنة فارجو ان ادركها. وقال: قُوّمت ثياب عمر بن عبدالعزيز وهو يخطب باثني عشر درهماً وكانت قباء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة .

بل اين ذاك الاسراف من زهد نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر فانه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة

نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال: ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك . وكذلك كان خليفته صلاح الدين يوسف ابن ايوب فانه كان على كثرة فتوحه و بسط يده على ذخائر وكنوز عظيمة لم يدخر منها شيئاً وفرقه في وجوه المبرات واقامة المعالم الخيرية حتى اذا لحق بربه لم يخلف في خزائنه غير دينار واحد صوري وار بعين درهما ناصرية ولما بنى له احد رجاله في دمشق قصراً مشرفاً هجاه وبخه على عمله ولم يرض ان يسكنه لما انفق عليه من النفقات الفاحشة .

و بالجملة فتاريخ الامة ينعي على المسرفين اعمالهم كما ينادي بالثناء على المقتصدين من رجالها فان جاء مثل ابن عباد وابن ابي عامر والقاهر والمستكفي والحسن بن سهل فقد جاء امثال عمر بن عبدالعزيز ونور الدين وصلاح الدين وكل منهم ذكر بعمله ولقي جزاءه في قصده واسرافه .

الانتحار

سلامٌ على الدنيا سلام مودع رأى في ظلام القبر انساً ومغنما

الانتحار واسبابه

الانتحار قتل النفس . ولا يعمد المرء اليه حتى تضيق به الدنيا او تضيق به نفسه . ولا يبعث الانسان على الانتحار باعث اشدّ من ضياع امل له كان يعلل به قلبه او نعمة زالت كان يمرح في نعيمها او مال فقده على غير رغبة منه او أسر وقع فيه وهو لا يرجو منه فكاكاً او ذنب جناه ولا يرى له من الجزاء عليه خلاصاً او غرام كوى فؤاده وهو لا يرجو ان يطفيء ناره بماء الوصال .

وهناك باعث اشد من تلك البواعث واعني به سوء التربية ونقص التهذيب . فان النفس الساذجة كالسيف البتار الذي اغفلته الصياقل او كالحجر الكريم لا يبدو بهاؤه حتى يزيل صدأه العامل الحاذق فيبهر الابصار بنوره . والتهذيب يصقل النفوس و يظهر الفضيلة الكامنة .

وانك ترى اخا الجهل اذا ثارت براسه سورة الغضب ولم يكن الانتقام طوع بنانه او احب حبًّا اخذ برشده وغشى على بصيرته ولم ينل اربه او فقد مالاً قليلاً تعب في الحصول عليه يضيق به عقله و يقتل نفسه بيده

الحكماء والانتحار

وابعد الناس عن قتل النفس اهل الحكمة والعلم فانهم يرون الانتحار جبنًا وضعفًا في العزيمة ووهنًا في الهمة . وهم اذا لم يبلغوا مناهم عادوا فاملوا واذا زالت نعمة كانوا يرفلون في حللها قنعوا بآثارها وان فقدوا مالاً فالمال ادنى ما يتطلبون وان نالهم اسر علموا بان

لكل شيءٍ مدةٌ وتنقضي   ما غلب الايام الاَّ من رضي

وهم اشد الناس احجامًا عن الذنوب فأنى لهم ان يجرموا فيحتويهم القنوط ؟ اريد باهل الحكمة اولئك الذين نالوا من العلم منالاً كبيرًا فاسفرت لهم الحقيقة وعلموا بخلود النفس .

الفلاسفة الماديون والانتحار

ومن المفكرين فريق لا يقول بالنفس والخلود ويرون ان الموت نهاية كل حي . وهذا الفريق يؤثر الموت على الحياة والفناء على البقاء ويرى ان الحياة شر وتعذيب وفي الموت كل الراحة والهناء . ومن انصار هذا الفريق فريق الماديين وهم يقولون بان النفس بدعة لا وجود لها وان الكون خلق من المادة . انما توجد في الخلق الحياة بالحركة وغيرها من القوى الكامنة في المادة . ومنهم الدهريون القائلون بان «العالم ارحام تدفع وارض تبلع»

وان المنايا خبط عشواء مَن تصب   تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وان امر الانسان في حياته موقوف على صروف الزمان . هؤلاء باسرهم يقولون بتفضيل الموت على الحياة ويرون ان الحياة ذنب جناه الناس على النسل . وقد نشأت هذه المبادىء عند الفرس واليونان وغيرهم من الامم التي اتى عليها الزمان . فلما اشرقت شمس الحكمة في الغرب واينعت ازهار المدنية الحديثة قام من الغرب اناس يدعون الى تلك المذاهب والبسوها لباس الغلو الشديد . حتى حدت الحال ببعضهم ان اسسوا جمعيات بعد ان ائتمروا بينهم على الانتحار بالتعاقب فينتظم الفرد في سلكها على ان يقتل نفسه اذا انتهى اليه الدور واصابته النوبة .

الجهلاء والانتحار

وترى الجاهلين وهم لم يسمعوا بالخلود ولم يعوا بان لهم نفوسًا زكية لها اتصال بالخالق ولم يعلموا بمبدإٍ الماديين ولم يبلغهم مذهب الدهريين اذا سئموا تكاليف الحياة (واي الرجال لم يسأم ؟) عمدوا الى نفوسهم فاختطفوها من بين جنوبهم وهم على يقين من انهم يلقون عذابًا اليماً قائلين ولعذاب الاخرة خير لنا من تكاليف الاولى

كتاب القصص والانتحار

يلعب كتاب القصص بالنفوس لعباً . ويندر ان تقع لك قصة لا تنتهي بقتل نفس ليأس استحوذ على رجل او حب احدث في قلبه جنوناً . ولقد تنال تلك الصغائر من صغار العقول منالاً كبيراً فتمهد لهم السبيل الى ارتكاب ما يرتكبون .

على انه ليس في كتاب (الف ليلة وليلة) وهو اشهر القصص في لسان العرب قصة تنتهي بقتل النفس . وقد يقاسي احد ابطال ذلك الكتاب اهوالاً تشيب لها الولدان ولا يخطر على قلبه قتل نفسه .

واخبار العرب في كتب الادب وهي كثيرة غزيرة فيها اخبار الحرب والغرام والثأر والانتقام لا تجد فيها خبراً ينتهي بقتل النفس . انما تسرب الينا الاقتداء بابطال القصص في قتل النفس من تلك القصص الغربية التي يتحفنا بها المعربون

فن التمثيل والانتحار

وانك لا تشاهد رواية مؤلمة حتى تجد لقتل النفس فيها اثراً كأنه هو ما يعمد اليه الناس وقت ضيقهم وهم لا يعمدون الى خالقهم او يثوبون الى رشدهم .

واشد تلك الروايات في النفس وقعاً رواية (شهداء الغرام) وخلاصتها ان فتى يعشق فتاة . ويقف العداء في سبيل قربهما . ثم يحدث انه يقتل قريباً لها فينفيه الملك فتحزن عليه حبيبته وتجرع كأساً ينالها بعده سبات عميق فيدفنها اهلها . ويأتي حبيبها الى قبرها زائراً على غير علم بانها لا تزال حية ترزق . واذا ما رأى قبر حبيبته ورأى جمالها الفتان قد ذبلت زهرته يجرع سماً زعافاً فيختطف روحه الموت الزؤام وتفيق حبيبته من سباتها فيأخذ بصرها حبيبها فتراه جثة خامدة قد اطفأ الموت شعلتها فتقتل نفسها

وغير هذه من روايات شكسبير رواية القائد المغربي . فانه تلحقه غيرته على امرأته من رجل غريب ويوقع بينه وبينها رجل من اهل الشر والفساد فيخمد انفاسها . ثم يحصحص الحق ويدري بانها بريئة وان شرفه سليم لم ينله اذى فيقتل نفسه غيظاً من نفسه

ومن روايات فيكتور هوجو رواية طبق الخافقين ذكرها واشتهر امرها بين اهل الفضل والادب اسمها (روييلاس) وخلاصتها ان اميراً من امراء الاسبان رأى ان الملك صائر الى الزوال لان الملك كان كثير التنقل والارتحال والملكة من ربات الجمال فأتى في بعد الملك بغلام من السوقة بهي الطلعة وقال انه اخوه فاحلته الملكة محل الاكرام والتبجيل واحب الغلام الملكة حباً مبرحاً هذب نفسه ولطف من خلقه وسما به سمواً كبيراً . ورأى

رو بيلاس الوزراء يوماً يتفاوضون فيما بينهم على مال المملكة فعنفهم فسمعته الملكة فاحبته وقربته اليها . ولما علم الامير المحتال بذلك جمع بينهما تحت مدارع الظلماء على غير علم منهما بقصده ثم فاجأهما ووصم الملكة بوصمة العار وذلك لتتخلى عن الملك و يتفرد به . فعز الامر على رو بيلاس وخلع لباس الامراء وقال انك لقيت الملكة مع غلام من بطانتها ولم تجدها مع امير يظن به وبها السوء . فذعر الامير الكبير لفعله فاخذ الغلام بسيفه وقتل به الامير ثم جرع السم فارتاعت الملكة وصرخت بملء فيها (رو بيلاس) فيقول وهو يتضاءل بين يدي الموت :

« مولاتي الرحمة والرضوان »

ثم يغلبه الموت على امره .

قصيدة من الشعر .

وحرام على حافظ ابراهيم ان ينظم قصيدة تهيج النفوس الساكنة وتحرك الشر في القلوب وتحمل من نالت منه الخطوب على ان يقتل نفسه اذ قال حفظ الله نفسه :

سعيت الى ان كدت انتعل الدما	وعدت وما اعقبت الا التندما
سلامٌ على الدنيا سلامُ مودع	رأى في ظلام القبر انساً ومغنما
اضرَّت به الاولى فهام باختها	وان ساءت الاخرى فويلاه منهما
فهبي رياح الموت نكباً واطفئي	سراج حياتي قبل ان يتحطما
فيا قلب لا تجزع اذا عضك الاسى	فانك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي	فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا صدر كم حلت بذاتك ضيقة	وكم جال في انحائك الهمُّ وارتمى
فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة	تنفس عنك الكرب ان بت مبرما

اكابر الرجال والانتحار

ولقد قام فريق من اهل الطب وقالوا بان الجنون اقوى اسباب قتل النفس . وعارضهم في ذلك آخرون وقالوا بان من يحفظ التاريخ ذكر انتحارهم كانوا من اعقل الناس واكبرهم نفوسا

ومن هؤلاء الرجال العظام الذين سعوا الى حتوفهم باظلافهم وخطفوا ارواحهم باسيافهم القائد القرطجني الشهير هنيبال فانه بعد ان هزم جنود الرومان شر هزيمة عاد فافل نجم سعده ورافقته الخيبة ولازم جنده الفشل وانهزم . فأوي الى ملك يحتمي به ثم لم تطق نفسه ان تبقى على الذل فانتحر

ومنهم كاتو القائد الروماني الشهير . وكان ذلك القائد من انصار بومبيوس الذين يمتون اليه بحبل الصداقة والاخلاص وكان من المتألبين على قيصر العاملين على انخذاله فلما اخلفت الايام ظنه وبات قيصر والنصر حليفه واندحر بومبيوس وانصاره شق الامر على كاتو وابت نفسه ان يبقى على الضيم فطعن نفسه بخنجره طعنة اودت بحياته .

ومنهم اوتو القيصر الروماني الكبير الذي تألبت عليه جنود الالمان وردوه مخذولاً محسوراً فابت نفسه العار واختار الصارم البتار . ووجد عليه اهل مملكته فقتل كثير منهم نفوسهم حزناً واسى

ومن له المام بالتاريخ الحديث يذكر ان فريدريك الكبير بعد ان ظهر على اعدائه ظهوراً كبيراً عاوده النحس ولزمه الفشل وتألبت عليه ثلاث دول كبرى وتخلى عنه محالفوه فاحتواه اليأس ونال منه القنوط وعمد الى الانتحار . ولكنه عاد فغلبته على امره بقية عزيمة فيه وتحول عن قتل نفسه بنفسه

نابوليون لم ينتحر

ولا يسعنا الا ان نذكر نابليون ذلك الملك الكبير صاحب الحروب والغارات ورب القتال الذي نال من الامم مالم ينله الاسكندر او هنيبال فانه بعد ان كان من امره ما كان واسرته انكلترا مالكة البحار وقذفت به الى تلك الجزيرة القصية التي يحيط بها « بحر الظلمات » احاطة المطبق بالاسير وبقي فيها في ذل وانكسار تحت حكم رجل جاف الطبع غليظ القلب لا يعبأ باكاليل النصر ولا تهمه تيجان الفخار ست سنين طوال لم يدر في خلده امر الانتحار . فما اكبر تلك النفس في النصر والاسر ؟

انتحار المرأة

والرجال الذين يقتلون نفوسهم اكثر من النسوة اللاتي يقترفن الانتحار لان الرجل اقرب الى متاعب الحياة وهمومها وهو الذي يلاقي آلام العيش ويذوق اصناف العذاب فهو الهارب الطالب الراغب الراهب الهالك النادب . وهو الذي يخوض غمار معترك الحياة فاما فائزاً منصوراً او مخذولاً محسوراً .

اما المرأة فهي سيدة الرجل ومليكة قلبه يسعى ليأتيها برزقها وينصب ليصونها من الشقاء فهي ابعد منه عن مصائب الدهر وطوارىء الحدثان .

وانك لترى ان النساء لا يعمدن الى الانتحار فراراً من فقر او هرباً من عار اوحرصاً

على شرف من ان تناله يد الاذى او حزنًا علي مال مضيع او اسفًا على نصر عقد للاعداء لواؤه ولكن لحب دب في النفس دبيب الجنون في العقل او غيرة نالت من قلو بهن ماتناله النار من الحطب ٠

وكأن المرأة لا تزال تخشي على جمالها من ان تذبل زهرته حتى بعدالموت فهي تقتل نفسها بما لا يمس حسن وجهها فتعمد الى السم او الغرق ٠ واشهر من قتلن نفوسهن من النسوة الملكة كلوبطرة ٠ فانها بعد ان مات عشيقها (انطونيوس) وامست الدنيا في عينيها اضيق من سم الخياط عمدت الى قتل نفسها ٠ فدعت اليها وصيفة لها وقالت البسيني حلة الملك وضعي فوق رأسي تاج السلطان فقد آن لي ان اموت وكنت اهوى ان اكون من الخالدات اما الآن فما اسهل الموت وما احلاه وما امرّ العيش وما اقسى الحياة ٠ آه ٠٠ اني اكاد اسمع صوت حبيبي وهو يدعوني اليه ٠ واراه يهمّ بنفسه فاذا رآني اسعى نحوه تبرق أسرّته ٠ ثم اخذت بالحية وقالت اليّ ايتها الحية الفانية حلي عقدة حياتي ٠ ووضعت بها على صدرها وحنت عليها حنوّ ام مرضع ففغرت الأفعى فاها كأنها تبسم لها ورضعت من ثديها ماء الحياة ٠٠٠٠٠

ولما جنت اوفليا عشيقة همليت عمدت الى قتل نفسها فارخت غدائر فرعها ووضعت فوق رأسها اكليلاً من الزهور وسعت الى غصن شجرة على شاطيء البحر وجلست عليه واخذت تهز بنفسها طربًا كما تهتز الطيور على الاغصان وهي تشدو وتغرد فلم يقو الغصن على حمل قدها وهوى بها فعانقها الموت على صدر الماء

على ان هناك سبيلاً الى الموت ايسر من السم والغرق ٠ روى رجل رأى فتاة سلكت ذلك السبيل قال : « ودفعنا بالباب فهبت علينا من الحجرة روائح الازهار وعطرالرياحين ونظرنا الى الفراش فاذا به مثقل بالفل والياسمين والورد والنسرين ٠ وبصرنا بالفتاة وهي بين خمائل الزهور وقد نامت ملء جفونها ولكن ورد خدودها لم يذبل فخلناه بعض الزهور الزاهرة ٠»

الانتحار داء من ادواء المدنية

قال ابن خلدون : « ان البداوة اقرب الى الخير من الحضارة وسبب ذلك ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر واهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه ٠. واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري

لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل منهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد مما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها »

ونزيد على قول ذلك العالم الجليل ان في جسم الحضارة شوائب وادواء البداوة سليمة منها . فان اهل الحضر يجمعون في طباعهم بين الانانية والاستئثار بالنفع والكذب والنفاق والسرقة فتنزع نفوسهم الى الشر والفساد واما اهل البدو فهم ابعد عن تلك العيوب والمثالب لان الخيرات عندهم وافرة فلا يتسرب الطمع الى نفوسهم ولا يجد حب الذات من قلوبهم مكاناً رحيباً .

وليس الانتحار الا داء من ادواء المدنية الحديثة يلجأ اليه كل بائس ظلمه ذلك المجتمع الانساني واهمل شأنه وهو في حاجة اليه .

ولذا ترى قتل النفس يزداد رويداً في كل البلدان التي انتشرت فيها المدنية وهو على الاكثر في المدن الكبرى حيث معترك الحياة اشد بأساً ونار الجهاد في سبيل هذه الحياة الدنيا احمى وطيساً وعلى اقله في القرى الصغيرة وبين الفلاحين وحيث يجد كل انسان عملاً يعمله هو . وحيث لا ترى المرأة تتبرج وتتزين فتأخذ بعقل الرجل وحيث لا حانات يأوي اليها الفتيان فيزيدون جنونهم بما لديهم من المال القليل وحيث الطبيعة ساكنة هادئة تشهد بجمال الخالق وقدرته وكماله .

هل الانتحار عدل ؟

لا يستطيع الكاتب ان يبوح برأيه في امر قتل النفس بعد ان بينه هذا التبيين ويجدر بالقارىء ان يحكم على الامر بنفسه . وغير نكير ان الحياة كلها شر وان الخير فيها صائر الى الزوال . . وان ذوي المفسدة ينالون مالا يناله اهل الخير والفضل . ونعلم ان حب الحياة فطرة في الانسان فهو لا يعمد الى قتل نفسه الا اذا بلغت به الهموم والاحزان او الفقر والفاقة مبلغاً شديداً او نال منه داء لا يرجى شفاؤه او غرام مبرح منالاً كبيراً او ابت نفسه الذل بعد العز . وتلك امور لا يعرفها الا من يذوق مرها لان الشوق لا يعرفه الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها . ونحن نعلم ان احد هذه البواعث يحدث في العقل جنوناً فيقتل المجنون نفسه . فهلا التمسنا عذراً للمجانين ؟

القاهرة

محمد لطفي جمعة

الجباية في الاسلام

لفن المالية منزلة عالية عند رجال الدول لانهم في اشد الحاجة الى معرفته ليعلموا كيف يفرضون الضرائب على الامة ولهذا عني به الاوروبيون فجعلوه من اهم الفنون التي تقرأ في ارقى المدارس الجامعة فمن درس هذا الفن واطلع على كتاب الخراج لابي يوسف رآه جامعاً للابحاث المالية في صورة مجلة مندمجة القواعد تكون اساساً لروح اموال الدول وبياناً لذلك اشرع بتعريف فن المالية واذكر موضوعه وغايته فاقول :

فن المالية (هو علم يبحث عن اموال الدول) وضع لوصف تلك الاموال وبيان نوعها وتكييف ادارتها . وغايته تعليم القواعد المقررة المأخوذة عن تجارب جرت لاخذ الاموال بالعدل وصرفها بالعقل على شرط ان تحفظ مصالح الامة والحكومة معاً فالدولة التي لا تراعي قواعد هذا الفن لا يتيسر لها ان تحصل على الاموال الطائلة التي تلزم لحفظ حياة بلادها والذود عن حياض امتها .

منشأ اموال الدول

ثبت بالاستقراء ان كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر سنة الكون في جميع الامور وناموس عام يشمل الاشياء كلها وهذا القول يصدق على البشر والدول . ولما اخذ الناس يتكاثرون وينمون في الارض انشأوا ينقسمون الى قبائل وعشائر واصبح قويهم يطمع في التغلب على ضعيفهم فطرة فيهم منذ خلقوا ودأبهم في كل جيل . وهذا ما دعا كل فريق الى الحذر من جاره او الانتقام منه او التعدي عليه فيتحاربون ويتقاتلون وينهب بعضهم اموال بعض ويعبثون بالسكان ويسبون النساء ويستحيون الذراري فيجعلونهم اذلاء صاغرين . وكانت الدولة في تلك الادوار عبارة عن هيئة تحفظ نفسها من تعدي القبائل والعشائر وتسعى لتكون على وفاق مع غيرها وتنشر لواء العدل وتحكم بالعرف والعادة معتمدة على الوجدان على حين كان لا فرق بين الحكومة والدولة ومن ثم يتضح ان اساس وظائف الحكومة واهمها منع اعتداء الاعداء ونشر لواء العدل بين افراد الامة وكانت العادة اذ ذاك ان يتجهز افراد القبيلة للحرب بسلاحهم واموالهم بيد انهم كانوا يتركون ما يغنمونه من الاموال والاراضي لرئيسهم واعوانه جزاء شجاعتهم في الحرب وقيامهم بسنة العدل في زمان السلم وما هذه الاموال والاراضي المسلوبة الا اموال الدولة الابتدائية وعلى هذا النمط كانت الامم الشرقية في العصور المتقدمة توزع الغنائم على الامراء والشجعان والرهبان وتأسر السكان وتزرع اراضيهم على اكتافهم . ولما ارتقت حكومات اليونان القديمة والدول الشرقية اخذن يوسعن نطاق

بلادهن ويقوين سطوتهن فبنين بتلك الاموال واولئك الاسرى المباني العظيمة والآثار الفخيمة التي لا تزال تدهش المتأخرين وظل هذا الناموس معمولاً به وقاعدة من قواعد حقوق الدول المعتبرة في ذلك الحين الى ان بزغت شمس الاسلام فتبين بطلان هذا القانون الواهي وجعل القائمون بدعوة الدين يكتفون بفتح البلاد وضرب الخراج على الاراضي والجزية على الرقاب ويتركون السكان احراراً يتصرفون في املاكهم كما يشاؤون « كتاب الخراج ص ١٤ و ٢٠ » وجاء فيه بالحرف قال عمر رضي الله عنه « فاقرّ ما افاء الله عليك في ايدي اهله واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين ويكونون عمار الارض فهم اعلم بها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك . ص ٨٢ »

وغدت الدول الاسلامية وحكومات الرومان على ذاك العهد تصرف الاموال في توطيد دعائم الامن والعدل وتسهيل سبل النجاح على ان الملوك والامراء في الاجيال المتوسطة اخذوا يحصرون الاموال والاراضي بانفسهم فصاروا يديرون الممالك بذاتهم وكانت اموالهم يومئذ عبارة عن دخل الرهبان بعد موتهم ريثما يعين غيرهم يضاف الى ذلك دفائن الذهب والفضة المكتشفة واموال من لا وارث يرثهم او من قتلوا جزاء اعمالهم القبيحة وما يحصل من الخراج والمعادن وضرائب المسكرات والصيد وانتقال الاراضي بين الوارثين وعشور البيع والشراء والجزاء النقدي وغير ذلك فيتضح من ذلك ان الاموال المذكورة هي اساس الضرائب الجارية في البلاد المتمدنة الآن .

ولما اخترع البارود واستبدلت المحرقات الفاتكات بالجارحات واتحدت الامم والشعوب جعلت الدول تتيه عجباً بعظمتها فاخذت يثير بعضها على بعض ويشن الغارات اعواماً مديدة حتى صارت الحكومة تنوء باعباء الديون واضطرت الى تحصين القلاع وتقوية الحدود واستخدام الجيوش المنظمة في زمن السلم دون الحرب وانشأت تسعى في تزييد اموال الملة ليزداد دخلها وتسعى في رفاهيتها وسعادتها وتحسين اخلاقها وتهيىء الاسباب الكافية لهذا الغرض فاقتضى لذلك مبالغ طائلة .

فتبين مما تقدّم ان اهم وظائف الحكومة نحو الامة حفظ كيانها من تعدي الاعداء في الداخل والخارج وهذا لا يقوم الاّ باحكام أُسس العدل والحرية وتعميم المعارف وتوفير اسباب الزراعة وتنظيم الصنائع وتسهيل طرق التجارة وكل ذلك يحتاج الى دراهم ولذلك حق للحكومة ان تأخذ من الامة اجرة قيامها بنشر العدل والامن داخلاً وخارجاً براً وبحراً وليست هذه الاجرة الا « اموال الحكومة » التي يحق لها تقاضيها من افراد الامة .

قال ابو يوسف : « كتب امير الطائف الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه » ان

اصحاب النحل لا يؤدون الينا ما كانوا يؤدون الى النبي صلى الله عليه وسلم و يسألون مع ذلك ان نحمي لهم اوديتهم فاكتب اليَّ برأيك في ذلك فكتب اليه عمر ان ادوا اليك ما كانوا يؤدونه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاحم لهم اوديتهم وان لم يؤدوا اليك ما كانوا يؤدونهُ الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا تحمها لهم قال وكانوا يؤدون الى النبي عليه الصلاة والسلام من كل عشر قرب قربة اه ص ٤٠ وقال : فلما رأى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدوّ المسلمين وعوناً للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعاً لم يرَ مثله فاتى رؤساء اهل كل مدينة الامير الذي خلفه ابي عبيدة عليهم فاخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه ابو عبيدة الى ابو عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتدّ ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب ابو عبيدة الى كل والٍ ممن خلفهُ في المدن التي صالح اهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جُمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردُّوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا ردّكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردّوا علينا شيئاً واخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً اه ص ٨١ فتأمل !

كيف تطرح الضرائب

تبين مما فصلناه ان طرح الضرائب العادلة التي تطبق الامة حملها (لا يكلف الله نفساً الاّ وسعها) حق صريح من اهم حقوق الحكم والاستقلال ولا يخفى على من قرأ التاريخ ان الحكومات وقعت في ديون جسيمة وتداعت تحت اثقالها بسبب الحروب العظيمة التي امتدّت اعواماً وشهوراً لعلل معقولة او غير معقولة حتى اضطرت الى تحميل الامة الاجرة التي تقدّم ذكرها مع تسوية ديونها من اجل حفظ كيان الدول ولذلك عرّف علماء هذا الفن الضريبة بقولهم : الضريبة ما اصاب كل فرد من افراد الامة من نفقات الحكومة بالنسبة لريعه الحقيقي

فالضرائب يجب ان تؤخذ من افراد الامة بالعدل والانصاف وشرط في اخذها النسبة مع صافي ايراد كل شخص وقد بذل الاوروبيون جهدهم في البحث فلم يروا غير ثلاث طرق يؤملون بها اخذ الضرائب التي لا مناص منها على قاعدة العدل والانصاف ولكنهم

قلما نجحوا فيما قصدوا له واما تلك الطرق الثلاث فهي :

(١) ان يبين افراد الامة ايرادهم و يعترفوا للحكومة بمداخيلهم

(٢) التحقيقات الرسمية

(٣) الامارات الخارجية

فبيان افراد الامة واعترافهم هو اجبار كل فرد على بيان حقيقة ربعه لينال نصيبه من النفقات اللازمة للحكومة . غير ان هذه الطريق لا تكون سالمة لان الناس يكرهون بيان حقيقة اموالهم مع ريعهم ولا يستثنى من ذلك الا الانكليز الذين حرموا على انفسهم الكذب امام حكومتهم فيما يترتب عليهم اداؤه لانهم على ثقة من عدلها فلا تكلفهم مالا يطيقون ومع ان هذه الطريق اقرب للعدل من سواها فهي لا تكون عادلة عند جميع الامم و يستحيل اعتراف المرء بحقيقة دخله اذا كان مقدار الضرائب فوق الطاقة .

واما التحقيقات الرسمية فهي ان يدقق عمال الحكومة و يحققوا دخل افراد الامة ومهما كان اولئك الموظفون متصفين بالعدل معروفين بالانصاف بريئين عن الغرض والغاية لا يصدقون في تقديراتهم ولا يصلون الى حفظ النسبة بين المكلفين ولذلك يصعب تحقيق العدل في هذا الطريق .

واما الامارات الظاهرة فهي اقل عدلاً من غيرها لان الظواهر لا تكون حقائق وذلك باعتبار المنازل الجسيمة والعجلات والخيول والخدم دليلاً على كثرة الريع . وهذه الطريقة غير سديدة لان الناس اعتادوا ان يتظاهروا بالمال والغنى و يضعوا انفسهم في مصاف من لهم من الايراد ما يساوي ملكهم وكذلك البخلاء المقترون ممن اذا رأيتهم حسبتهم من الفقراء المدقعين مثلهم كمثل البغال والحمير يحملون الفضة والذهب و يأكلون التبن والشعير فلو نظر لظواهر هؤلاء وفرضت الضرائب على تلك النسبة ظلم الاولون وتضررت الحكومة بخسة الآخرين

ومع شدة عناية الدول المتمدنة بايجاد واسطة لوضع الضرائب بالعدل لتعم كل فرد وتؤخذ منهم على نسبة واحدة لكي لا يكلف الضعيف بالكثير ولا القوي بالقليل لم ينجحوا حتى الآن . بيد ان سعيهم هذا جعلهم يقربون من العدل وكذا المسلمون في صدر الاسلام بذلوا قصارى جهدهم من اجل ان يعدلوا بين الرعية في حفظ النسبة بين الايراد والضرائب

جاء في كتاب الخراج ص٢٠ فمسح عثمان (١) الارضين وجعل على جريب العنب عشرة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب

(١) هو عثمان بن حنيف ارسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وعلى الرأس اثني عشر درهماً واربعة وعشرين درهماً وثمانية واربعين درهماً وعطل من ذلك النساء والصبيان . اه وقال : حدثني الحجاج بن أرطاة عن ابن عوف ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مسح السواد مادون جبل حلوان فوضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء بدلو او بغيره زرع او عطل درهماً وقفيزاً واحداً ومن كل رأس موسر ثمانية واربعين درهماً ومن الوسط اربعة وعشرين درهماً ومن الفقير اثني عشر درهماً وختم على اعناقهم رصاصاً والغى لهم النخل عوناً لهم واخذ من جريب الكرم عشرة دراهم ومن جريب السمسم خمسة دراهم ومن الخضر من غلة الصيف من كل جريب ثلاثة دراهم ومن جريب القطن خمسة دراهم اه ص ٢٢

وقال : ثم حمل الاموال على قدر قربها وبعدها فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل الفي اصل مما بعد ديناراً وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم او اليومين واكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك اه ص ٣٤ فتبين من هذا ان مراعاة النسبة للايراد الصافي من اهم الامور التي يجب ان يعنى بها في طرح الضرائب .

جباية الاموال

وخلاصة الامر ان رجال الاسلام سعوا لجعل التكاليف متناسبة مع ايراد الاشخاص كي لا يظلم زيد بعمرو . واما جباية الاموال فشرط فيها علماء هذا الفن ان تكون في زمان سعة المكلف بها فيحصل من الفلاح ضريبته مثلاً بعد ان يذري غلاته و يأتي بها للبيع لئلا يضطر للاستدانة بالربا . فيكون مكلفاً بالمال ورباه . ويتقاضى من ارباب المواشي بعدما تنتج وتدرج ويتمكن من بيعها حتى لا يستدين ايضاً وتؤخذ عن العقارات عند ما تؤجر ومن الصادرات والواردات عند دخولها وخروجها واوصوا ان لاتجبى تلك الاموال قبل اوانها فقال ابو يوسف « كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى احد عماله على العشور في العراق والشام من مرّ عليك فاخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً الى مثل ذلك اليوم من قابل الا ان تجد فضلا ـ الى ان قال . حدثني يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب اليه ان انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من اموالهم ومما ظهر من التجارات من كل اربعين ديناراً ديناراً وما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً فان نقصت تلك الدنانير

فدعها ولا تأخذ منها واذا مرَّ عليك اهل الذمة تخذ مما يديرون في تجاراتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها فلا تأخذ منها شيئاً واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول. اه ص ٧٩

وقد شرط على الجباة ان لا يضايقوا الرعية لئلا تنفر من الحكومة وحددوا لهم زمان الجباية فمن تأخر عن الدفع انذره الجابي بلطف يخجله فاذا تأخر عن ايفاء ما عليه بعد انذاره انذره ثانية بشدة ممزوجة باللين فاذا تأخر بعد ذلك اقام عليه الدعوى بالمحكمة ثم يوضع الحكم في دائرة الاجراء فتحصل هذه كسائر الديون بحسب القانون على شرط ان لا تمس كرامة المكلف بدفعها. قال ابو يوسف حدثني اسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر البجلي عن عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف قال استعملني علي بن ابي طالب رضي الله عنه على عكبراء فقال لي واهل الارض معي يسمعون: انظر ان تستوفي ما عليهم من الخراج واياك ان ترخص لهم في شيء واياك ان يروا منك ضعفاً ثم قال رح اليَّ عند الظهر فرحت اليه عند الظهر فقال لي انما اوصيك بالذي اوصيتك به قدام اهل عملك لانهم قوم خدع انظر اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفاً ولا رزقاً يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ولا تضربن احداً منهم سوطاً واحداً في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم ولا تبع لاحد منهم عرضاً في شيء من الخراج فانا انما أُمرنا ان نأخذ منهم العفو فان انت خالفت ما امرتك به يأخذك الله به دوني وان بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك. قال: قلت اذن ارجع اليك كما خرجت من عندك قال: وان رجعت كما خرجت قال: فانطلقت فعملت بالذي امرني به فرجعت ولم انتقص من الخراج شيئاً اه ص ٩

وقد منع عمال الصدقة «الجباة» عن قبول الهدية والصدقة قال ابو يوسف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي اليَّ قال فقام النبي عليه الصلاة والسلام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ما بال عامل ابعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدي اليَّ افلا قعد في بيت ابيه و بيت امه حتى ينظر أيهدى اليه ام لا والذي نفسي بيده لا يأخذ احد منها شيئاً الاّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته اما بعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال اللهم هل بلغت اه ص ٤٦

ولما كان امر جباية الاموال من اهم الامور التي يجب بها تجنب الظلم والاعتساف وحفظ راحة العامة والخاصة قال ابو يوسف «ان تتخذ قوماً من اهل الصلاح والدين والامانة

فنوليهم الخراج ومن وليت منهم فليكن فقيهاً عالماً مشاوراً لاهل الرأي عفيفاً لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم ما حفظ من حق وادى من امانة احتسب به الجنة وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت تجوز شهادته ان شهد ولا يخاف من جور في حكم ان حكم فانك انما توليه جباية الاموال واخذها من حلها وتجنب ما حرم منها يرفع من ذلك ما شاء ويحتجن منه ما شاء فاذا لم يكن عدلاً ثقة اميناً فلا يؤتمن على الاموال » الى ان قال : وقد يجب الاحتياط فيمن يولى شيئاً من امر الخراج والبحث على مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم كما يجب ذلك فيمن اريد للحكم والقضاء وتقدم الى من وليت ان لا يكون عسوفاً لاهل عمله ولا محتقراً لهم ولا مستخفاً بهم ولكن يلبس لهم جلباباً من اللين يشو به بطرف من الشدة والاستقصاء من غير ان يظلموا او يحملوا مالا يجب عليهم ثم قال : ولتصير مع الوالي الذي وليته قوماً من الجند من اهل الديوان في اعناقهم بيعة على النصح لك فان من نصحك ان لا تظلم رعيتك وتأمر باجراء ارزاقهم عليهم من ديوانهم شهراً بشهر ولا تجري عليهم من الخراج درهماً فيما سواه ' وقال : تقدم في اختيار هؤلاء الجند الذين تصيرهم مع الوالي وليكونوا من صالحي الجند ومن له الفهم واليسر والنعمة منهم ان شاء الله تعالى اه ص ٦١ و يستنتج مما تقدم ان مراعاة النسبة بين الايراد و بين الضرائب من اهم القواعد الاساسية في فن المالية و يظهر للقاريء مما ذكر ان المسلمين في صدر الاسلام بذلوا طاقتهم من اجل تخفيف اثقال الضرائب عن الامة كما يفعل القائمون بوضع الضرائب من العمال العالمين بقواعد هذا الفن في البلاد الراقية اليوم وكذا اقر العلماء ان الدولة لا تكون غنية الا بشعبها ولا يغني الشعب الا بقلة الضرائب فمنع ابو يوسف طلب الزيادة عن الخراج من المكلفين بعبارة طويلة ثم ختم كلامه قائلاً في الزيادة « وهذا كله ضرر على اهل الخراج ونقص للفيء مع ما فيه من الاثم » ص ٦١

ش . دمشق

من اين الى اين

من اين من اين يا ابتدائي   ثم الى اين يا انتهائي
امن فناء الى وجود   ومن وجود الى فناء
أم من وجود له اختفاء   الى وجود بلا اختفاء
خرجت من ظلمة لاخرى   فما امامي وما ورائي
مازلت من حيرة بامري   معانق اليأس والرجاء

ان طريق النجاة وعر   يكبو به الطرف ذو النجاء
ياقوم هل في الزمان نطس   يهدي الى ناجع الدواء
لاي امر هذي الليالي   تأتي وتمضي على الولاء
فتطلع الشمس في صباح   وتغرب الشمس في مساء
ارى ضياء يروق عيني   ولست ادري كنه الضياء
وما اهتزاز الاثير الا   علالة نزرة الجلاء
نحن على رغم ما علمنا   نعيش في غيهب العماء
نشرب ماء الظنون عبًّا   فلم نعد منه بارتواء
تاتي علينا مشاهدات   نروح منهن في مراء
وكم نرى فعل فاعلات   من القوى وهي في الخفاء
ياويلة الحس انه عن   حقيقة الامر في غطاء
فان اجزاء كل جسم   مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجماد عرك   يتهم الحس بالخطاء

***

ياقوة الجذب اطلقيني   من ثقلة اوجبت عنائي
لولاك لولاك ياشكالي   لطرت كالنور في الفضاء
انت عماد السماء لكن   خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها   بعضًا ببعض ربط اعتناء
فدرن في الجو جاريات   كأنها السفن فوق ماء
نحن بني الارض قد علمنا   باننا من بني السماء
لو كنت في المشتري لبانت   ارضي سماء بلا امتراء
فليس فوق وليس تحت   ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وانما نحن فوق نجم   نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري اي ارتقاء   للروح يبقى الى ارتقاء
وانت ياكهرباء سر   بدا وما زال في غشاء
عجائب الكون وهي شتى   فيك انطوت ايما انطواء
اضأت ان شئت كل داج   لنا وادنيت كل ناء
فانت للكائنات روح   ان كانت الروح للبقاء

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقة صعبة الاداء
فقال والقول منه ظن ما الكون الاّ بالكهرباء

***

وليلة بتها أنادي نجومها ابعد النداء
أ آخذ منهن بالتداني فكرًا و يأخذن بالتنائي
فانثني باكيًا بشعري ويطرب الليل من بكائي
وربما كرّ بعد وهن فكري فالفى بعض الشفاء
فارجع القهقرى اغني وما سوى الشعر من غناء
اقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في ازائي
يا أيها الانجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
اما كفاك السنى جمالاً حتى تجللت بالسناء
يا انجم النعش فاصدقيني امات ذو النعش بانطفاء
اني اذا كنت في حداد اليك اهدي حسن العزاء
وانت يا نسر من كلال وقعت ام طلبة الغذاء
اخوك هل طائر لوكر ام قاصد منتهى الفضاء
كأن ام النجوم سيف سُلّ على الليل ذو مضاء
رُصع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء
كأن نجم السها اديب في ارض بغداد ذو ثواء
كأن خط الشهاب مدل لاسفل البئر بالرشاء
كأنما انجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذي الصفاء

***

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء
لم يكفها انها احتياج حتى غدت حومة البلاء
يا أيها المترف المهنى يمرح في ثوب كبرياء
مهلاً اخا الكبر بعض كبر ألست تقنى بعض الحياء
انت ابن فقر الى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء

بغداد معروف الرصافي

اميركا الشمالية

موقعها الجغرافي — تشغل اميركا الشمالية القسم الشمالي من القارة الغربية وتحتوي على نحو سدس اليابسة من الكرة الارضية وهي تقريبًا مثلثة الشكل وشواطئها البحرية مسننة لعمق خلجانها ·

سطحها — ان القسم الغربي من سطحها مرتفعات واسعة تخترقها سلسلة جبال عالية وهي تمتد بلسان طويل من برزخ تانتيبك الى آخر شمالي غربي القارة

مساحتها — مساحتها ٩٫٣٤٩٫٧٤١ ميلاً مربعًا وهي اكثر بقليل من نصف مساحة قارة آسيا — اكبر واعظم قارة في العالم — وتبلغ زهاء ثلثي قارة افريقية مساحة واكبر من قارة اوروبا مرتين · وطولها نحو ٥٥٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٥٠٠ ميل وهي ثالثة القارات اتساعًا ·

جبالها — اعلى جبالها هما جبل سانت ايلياس · وعلوه ١٨٫٠١٠ اقدام · وجبل اوريزابا وعلوه ٤ ١٨٣١ اقدمًا · وهذان الجبلان من سلسلة جبال كورديلراس · وهما ثانيا جبال الدنيا بعلوهما · فجبل حملايا في قارة آسيا يعلو عن سطح البحر ٢٧٠٠٠ قدم وهو اعلى جبال الدنيا وجبال القوقاس في اوربا تعلو عن سطح البحر ١٧٨٠٠ قدم وهي خامس جبال الدنيا بالعلو · اما الجبال الصخرية في اميركا الشمالية فتخترق البلاد من البحر الشمالي من جنوب تخوم الاسكا الى الجهة الجنوبية من اميركا الجنوبية ·

انهارها — اشهر انهار اميركا الشمالية مسيسبي · ولورانس · ومكنكي · وهي اهم سائر شرقي الجبال الصخرية ويوكون وكوريليدو · وكولمبيا ثلاثة انهر مصدرها تلك الجبال وهي تصب في الاوقيانس الباسيفيكي · ومسيسبي من الانهر التي تسير فيها السفن ومصدره في شمالي البلاد ومصبه في بحر المكسيك وهو اسرع انهار اميركا ويصب فيه نهر اوهايو ونهر ميسوري ونهر اركانسس · ونسبة نهر مسيسبي في اميركا الشمالية الى سائر انهرها كنسبة نهر امازون الى سائر انهار الدنيا من حيث العظم والكبر والطول

ونهر امازون اعظم انهار الدنيا في برازيل في قارة اميركا الجنوبية ومساحته ٢٦٨١٠٠ ميل وهو ثاني انهار الدنيا طولاً · فنهر ينيسي في سيبيريا اطول انهار الدنيا طوله ٣٦٨٨ ميلاً وطول امازون ٣٥٩٦

بحيراتها — عدد بحيرات اميركا الشمالية عشر اشهرها واعظمها خمس بحيرات هي سو بيرير ومشيغن · وهورن · واري · واونتاريو ومن هذه البحيرة يخرج نهر سانت لورانس السابق الذكر

هواؤها — اعظم قسم من اميركا الشمالية هو في المنطقة المعتدلة . وفي هذا القسم صحاري وحراج واسعة وقسم صغير منها في المنطقة المتجمدة حيث لا تعيش النباتات والمغروسات او حيث تكون الانجم والطحلب هي النباتات الرئيسة . وعلى الجملة فان شمالي اميركا الشمالية بارد كثيرًا وهواؤها معتدل في اقاليمها المتوسطة وحار في جنوبيها حيث تجود الاشجار وتكثر البقول والثمار .

امطارها — تهطل الامطار تهطالاً كثيرا على الاقاليم الواقعة غربي شمالي كولمبيا وعلى الاراضي الواطئة المحيطة بخليج المكسيك وبحر كريب وقلما تمطر في سلسلة جبال كورديلراس وفي الاقاليم الواقعة غربي المكسيك . اما سائر اقاليم هذه القارة فمطرها معتدل وكثيرًا ما تمطر في فصل الصيف كما تمطر في فصل الشتاء

اراضيها — اراضي اميركا الشمالية جيدة جدًا وفيها سهول واسعة وهي مخصبة . وقد بقيت قرونًا عديدة قبل اكتشافها بورًا فصارت اليوم بهمة الجالية الاوربية تدرّ على البلاد اخلاف الثروة واليسار وهي الارض التي يصح القول فيها انها ارض الميعاد التي تفيض لبنًا وعسلاً .

حاصلاتها — البر والشعير والذرة والانس والبطاطا والعنب والمشمش والدراق والخوخ والتين والموز والسكر والتفاح الذي لا نظير له في الدنيا بحجمه وجودته . والارز والقطن والشاي واكثر انواع البقول .

حيواناتها — اكبر حيواناتها المفترسة النمر المخطط والدب الاغبر والدب الاسود والجاموس البري والغزال والثعلب ودب القطب الشمالي والخيل والبقر والخنزير والغنم والماعز والكلب والهر وغيرها وتبلغ الحيوانات التي لا توجد في بلاد سواها نحو ثمانين نوعًا وعدد الطيور فيها ٣٦٢ نوعًا

اما الوحوش البرية التي كانت تأوي الغابات والحراج فقد انقرض اكثرها . واصدرت حكومات الولايات الاوامر بانقراضها وعمر الاوربيون المهاجرون معظم تلك الارجاء

معادنها — الذهب والفضة والفحم الحجري والقصدير والرصاص والماس والزمرد واللؤلؤ والمغناطيس . وهذه المعادن توجد بكثرة فيها واميركا الشمالية اغنى قارة في العالم بالمعادن ومعادنها الذهبية توجد بكثرة في كليفرنيا وهو الاقليم الذي يشبه الاقليم السوري في القارة الآسياوية من وجوه

اقسامها — تقسم اميركا الشمالية الى ثمانية اقسام هي الولايات المتحدة والمكسيك التي استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ واميركا المتوسطة وجزائر الهند الغربية وكرنيلاند

والاسكا ونيوفوندلاند . وتحكم سبعة اقسام منها الولايات المتحدة . اما كندا فتحكمها الدولة الانكليزية

حدودها — يحدها شمالاً الاوقيانوس المتجمد الشمالي وشرقاً الاوقيانوس الاتلانتيكي وجنوباً بحر كريب و برزخ داريان والاوقيانس الباسيفيكي وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي ومضيق بيرين والاوقيانوسات المحيطة بهذه القارة هي الاوقيانوس الشمالي المتجمد والاوقيانوس الاتلانتيكي والاوقيانوس الباسيفيكي

انواع البشر القاطنة في هذه القارة — يقطن هذه القارة خمسة انواع من البشر هي النوع القوقاسي واصله من انكلترا وجرمانيا وفرنسا واسبانيا وسائر ممالك اوربا . والنوع الحبشي واصله من قارة افريقية الجنوبية وهو يكثر في جنوبي الولايات المتحدة . والنوع المغولي واصله من الاسكيميين وهم جيل من الناس يقيمون في بعض جهات الشمال من القارة والصينيون اتوا من الشرق الاقصى في آسيا وهم مقيمون غالباً في غربي البلاد في ولاية كليفرنا . والنوع المعروف بهنود اميركا سكانها الاصليين الذين كتبنا عنهم نبذة تقدمت هذه

اديانها — نشأت اديان عديدة للانسان في كل جيل و بلاد قطنها الانسان وعمرها فمن البشر من عبد الشمس والقمر والنجوم والسيارات والاصنام و بعض انواع الحيوانات . ومنهم من عبدوا الله جلَّ جلاله . ومنهم من جعلوا افراداً ممتازين ببعض المواهب العقلية آلهة فسجدوا لهم وعبدوهم . وقد قام الملاحدة و يقومون في كل زمن وقطر ومصر

وتاريخ اديان الجنس البشري متفاوت فتاريخ دين اليهود يرجع الى اربعة آلاف سنة في ايام ابراهيم الخليل في غربي قارة آسيا وهم يؤمنون بالتوراة . وتاريخ دين النصارى يرد الى نحو الفي سنة وهم يؤمنون بالسيد عيسى وانجيله . وتاريخ قدماء المصريين يرجع الى نحو خمسة آلاف سنة . وكان هؤلاء يعبدون بعض الحيوانات والصور والنقوش التي توهموا انها كانت مقدسة . وتاريخ اهل الهند يرد الى اكثر من اربعة آلاف سنة وكان الهنود ولا يزال اكثرهم يعبدون برهم وفريق منهم يعبدون بوذا . وتاريخ بوذا يرجع الى نحو ٢٥٠٠ سنة . و يرد تاريخ الاسلام الى اكثر من الف وثلثمائة سنة

وما يقال في اديان سكان البلاد والقارات التي اشرنا اليها يقال في اديان قارة اميركا الشمالية . فان فيها عبدة الاوثان وهم في كرينلاند في شمالي شرقي البلاد وكلهم من الاسكيميين وعبدة الشمس والقمر و بعض الحيوانات وهم معظم هنود اميركا . وفي هذه القارة البوذي والبرهمي والكافر والمؤمن والمحمدي والدرزي واليهودي والنصراني . والديانة العامة في هذه القارة هي الديانة المسيحية

اما اديان اميركا الشمالية فترجع الى تاريخ هنود اميركا المجهول وتاريخ اديان سائر القطان فيها واذا اعتبرنا تاريخ اديانها منذ اكتشافها فيكون اربعمائة واربع عشرة سنة تنوَّعت المذاهب وتعدَّدت المشارب في هذه البلاد ومع ذلك فليس للتعصب اثر فيها . فالحرية مباحة فيها لكل دين من الاديان وان المهاجرين السوريين ليأتونها من بقعة عريقة في التعصب الى بقعة حديثة بالتساهل وقد حمل فريق منهم التعصب معهم الى هذه القارة واخذ هذا الفريق يتاجر بالاديان فكانت ثمرات التعصب وتلك التجارة اهراق الدماء وخسارة المال واهانة الاسم والسمعة

الولايات المتحدة — اوماها نبراسكا يوسف جرجس زخم

التجارة والشهرة

من مقالة في المجلة البارزية

ظهر كتاب في نيويورك مؤخرًا اسمهُ « طريقة الاعلانات الجديدة » قال فيه مؤلفه انهُ انتشر الولع بالسياحة في المجتمع الحديث فلم تكتف كل امة ان تنعزل وراء تخومها عزلة تامة بل راحت تختص بعمل لا يشاركها فيه سواها . فاذا كانت المانيا تؤثر كبار رجالها المعروفين وتوسد اليهم الاعمال العلمية وفرنسا تعلم ابناءها الصنائع على اختلاف ضروبها فان اميركا تسوق ابناءها الى مضامير الاعمال وهي على ما يظهر موطن المشاريع الصناعية العظمى . وانا لنميل كل الميل ان نحكم على الأُمم حكمنا على الافراد . نحكم عليهم حكمًا مسمطًا في شؤون ليست فيهم على حين كان الواجب علينا ان نقدرهم قدرهم ونضعهم في المنزلة التي يستحقونها . وقد يذهب بنا الاستقراء الناقص الى ان نستنبط ان جارنا محروم من الامر الفلاني . وما على الغريب عن امة يريد ان يصفها حق وصفها الا ان يضيف ما رآه الى ما لم يره . فان في الاشياء ابدًا ما يعجب بهِ ويحب . ولا شك ان الحاجيات بأسرها والنزوع الى العلى قد اخذت حظها عند كل امة مثال ذلك انك تشهد التفنن بالصنائع في اميركا الاَّ انك تراه على اتمه في مملكة اخرى وعلى وجه يخالفه كل المخالفة . فمن يطلب المصنوعات الفرنسية في اميركا يسخر منه كمن يطلب الى اللابوني (١) ان يلبس ثياب سكان

(١) اقليم لابونيا في شمالي اوروبا قسم منه تحت حكم روسيا وقسم منه للسويد وسكانه نحو سبعين الف نسمة وبلادهم على مقربة من القطب الشمالي تصاب بالجمد تسعة اشهر ويكون فيها كل سنة يوم وليلة طول كل منهما ستة اسابيع

المناطق الحارة او للنازل على مقربة من خط الاستواء ان يعد الادوات لصيد الدب الابيض من جواره

يعيب فلاسفة الالمان على الاميركي عدم اشتغاله بعلوم ما وراء الطبيعة وعلى العكس يعيب علماء النفس الاميركان على اساتذة الالمان اكتفاءهم من العلوم بالنظر فيها دون العمل بها · ويعيب المتفنن من الفرنسيس على الاميركي كونه نفعياً على حين ترى الاميركي يهزا اذا نظر الى ما في بلاد الفرنسيس من آثار التفنن والصناعة · قال الفيلسوف هربرت سبنسر: ان صاحب الفلسفة هو الذي يعرف الصلات التي يهتدي اليها عامة الناس ·

وبعد فان اميركا توصف بانها مهد الاعمال المالية والحركة التجارية والصناعية · والاعلانات هي دليل على ما هناك من نشاط في الاتجار والصنائع · ومتى اوردنا لك بعض الارقام يتبين لك ان القوم غربيون في اعمالهم · قال موسيو ديسبي : تنفق الولايات المتحدة في السنة خمسمائة مليون ريال اجور اعلاناتها · اي ان ما تنفقهُ يقرب مما تنفقهُ الدول الاوربية العظمى كروسيا والمانيا وفرنسا والنمسا واسبانيا على جيوشها · كانت الولايات المتحدة تنفق هذا المبلغ سنة ١٩٠٥ وبحسب التقدير الذي قدره عالمان آخران ارتقت النفقات من ستمائة مليون ريال الى الف مليون ريال

وارتقاء الاعلانات في هذه البلاد آخذ بالزيادة تبعاً لارتقاء التجارة فقد كان يعد مسرفاً قبل الحرب المدنية من يدفع أُجرة اعلانه ثلاثة آلاف فرنك اما اليوم فهذه الاجرة تعد عادية بسيطة حتى أن معمل الموازين (فيربانك وشركاؤُه) الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات في السنة · وليس هذا المعمل هو الوحيد في هذا المعنى بل ان تسعة بيوت ومعامل تنفق مثله او اكثر على نشر اعلاناتها · فقد خصص احد معامل الصابون منذ نحو ثلاثين سنة ثلاثين الف ريال للاعلان عن مصنوعاته وها هو اليوم يصرف الف ريال في اليوم على هذا الغرض · وتخصص المعامل الكبرى التي تبيع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتها في الصحف · وفي مدينة شيكاغو يستخدمون البريد لنقل قوائم باعلاناتهم وقد صرف احد اصحاب المخازن الكبيرة لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤ الف ريال ومعظم الاجور التي يدفعها ارباب المحال التجارية والصناعية يؤَدونها لارباب المجلات لان المجلة تبقى على المنضدة معرضة للانظار نصف شهر او شهر ريثما يصدر العدد التالي اما الجرائد فانها تغيب عن الانظار بعد ساعات من صدورها ·

تتقاضى احدى صحف فلادلفيا وهي تطبع مليون نسخة ستة ريالات عن كل سطر من الاعلانات فتكون اجرة الصفحة الواحدة في اليوم ستة آلاف ريال واذا خصصت بمحل تجاري واحد تؤجر باربعة آلاف ريال . وهكذا الحال في جريدة العملة التي تصدر في اوغستا فان اجرة السطر فيها خمسة ريالات وهذه الجريدة تطبع مليونًا وربع مليون نسخة والمجلات تتقاضى في اميركا عن الاعلانات اجرة ارخص من اجرة الجرائد لانها اقل انتشارًا واعظم مجلة تطبع في العالم الجديد ٦٠٣٣٥٠ نسخة فتأخذ اجرة كل صفحة خمسمائة ريال وكثيرًا ما تكون نصف صفحاتها مشحونة بالاعلانات فقط وقد قدر ما تتقاضاه عشر مجلات كبرى في الولايات المتحدة فبلغ معدله السنوي ٣٥٣ر١٣٠ر٤ ريالا . وهكذا قل عن النفقات الطائلة التي ينفقها ارباب التجارة على تعليق اعلاناتهم في الحيطان والمواقف في الشوارع فان احدى شركات الحبوب استأجرت ثلاثين الف مكان لتعليق الاعلانات من حجم ثماني ورقات وعشرين الف مكان من حجم اربع وعشرين ورقة بمبلغ خمسة وعشرين الف فرنك في الشهر . وكانت اعظم قيمة دفعت على هذا الضرب من الاعلانات عشرة ريالات في السنة عن كل قدم مربع في احدى ساحات نيويورك العظمى

ويكون للتاجر من الرجل الماهر في التفنن بالاعلانات اعظم ذخر وانفع عامل فينقده راتبًا مهمًا . ولذلك تدفع المخازن الكبرى التي تبيع بالمفرق في امهات مدن اميركا مثل نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا ١٢٥٠٠ ريال في السنة لمن ينشيء الاعلانات اليومية والرجل الذي يحسن صف البضائع في الزجاج يتقاضى اجرة مثل هذه مسانهة

قدر المقدرون ان متوسط ما ينفقه التاجر الاميركي على الاعلانات من اصل ارباحه خمسة في المائة ومنهم من ينفق اكثر ومنهم من ينفق اقل . ويقتضي ذلك من التفنن وحسن الذوق شيئًا كثيرًا . ولما كانت اميركا المثل السائر بغناها ترى الدراهم فيها تغدو وتروح من جيب الى جيب كأنها بانطلاقها دراهم ذاك الكريم المفتخر بقوله

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق

فالمرء باديء بدء لا يرى حاجة ماسة لا بتياع المصنوعات وبيعها الا طمعًا في الارباح الكثيرة ومباهاة بما لديه من عروض ومتاع وثروة حقيقية او غير حقيقية ثم تصبح هذه العادة بعد من ضروريات الحياة . قال باسكال في كتابه (الافكار) : اكثر من الصلاة تكن تقيًا . ويقول لسان حال التجارة : اجعل الزخرف والزينة ديدنك تغدو بطبعك مفننًا والذوق يحصل لصاحبه بسرعة .

قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وهو قول صحيح فقد رأينا طبقة الاشراف في الغرب وهي

في الاصل من ابناء اولئك البرابرة القساة والامراء الغلاظ الجفاة في اوائل القرون الوسطى قد رقت طباع اهلها بالتعليم والتربية فالمال هو الذي يولي الشرف ويحسن الاذواق في الحقيقة. امر بديهي لان حواسنا تتأثر في الغالب والعجب يورث الرغبة في الجمال وامتلاك ناصية الجمال تكون مادة للعجب

خذ مثالاً لذلك رغبة القوم في اميركا بالملاحة والظرف وتأثيرها في عقولهم. فان المخازن العظيمة التي تبيع بالمفرق في المدن الكبرى كنيويورك مثلاً يكثر الطلب عليها ايام الاثنين اكثر من سائر ايام الاسبوع. ذلك لان الجرائد تصدر يوم الاحد طبعات خاصة من صحفها وتملؤها بالاعلانات وعلى العكس في يوم الجمعة فان الاشغال فيه تكون في فتور حتى يعده التجار من الايام التي لا حياة فيها ولا رواج لسلعهم. بيد انه لم يسعهم الا ان يتداركوا امره باعلانات جلبت الزبن على مخازنهم فعد ثاني الايام في منافعه التجارية وانك لترى كثيرات من ربات البيوت يغسلن غسيلهن و يقضين شؤون بيوتهن يوم الثلاثاء ليتمكنّ يوم الاثنين من الاختلاف الى المخازن والانتفاع بما تجعلته للزبن في ذلك اليوم من الامتيازات.

ولو شئنا تعداد ما يأتيه الاميركان من ضروب الاحتيال في الاعلانات لضاق المجال فان القوم هناك يعتبرون الاعلانات من ادوات النجاح النافعة شهدت بذلك العادة والحس مثال ذلك ان القوم في الولايات المتحدة يصرفون كميات وافرة من الكعك بحيث يخشى ان ينسوا استعمال الخبز بعد. فكان من رغبة الناس في الكعك ان كثر الطلب عليه وهذا اقتضى انشاء معامل عظيمة لصنعه. وكان الكعك يباع بالمفرق منذ بضع سنين بان يوضع عند البدال في صناديق او براميل مفتحة ويجعل الواحد بجانب الآخر فيجيء الزبون يجس الكعك ويذوق قطعة منه ثم يشتري او ينصرف. فاذا اراد ان يشتري يتناول البائع الكعك باصابعه في العادة ليضعه في الميزان ويكون قد وُزن فيه من قبل سكر او بن او ملبس ثم يأخذه فيضعه في كيس من الورق. وانت خبير بان تناول الكعك على هذه الصفة فيه ما فيه من الاضرار بالصحة والقذارة التي تؤدي الى القرف وهي منافية للذوق قليلة السرعة والغناء. خل عنك بان الكعك اذا ظل على الدوام معرضاً للهواء يفقد طراوته وقضمه. على ان الناس لم يشتكوا من هذه الطريقة

وكان من الاعلانات انها هي التي سدت الخلل واصلحت الحال. غدا التاجر الاميركي لا يكتفي بان تكون بضاعته احسن بضاعة بل اقتضى عليه ان يؤثر في اذهان العامة ويحملهم على ابتياع ما لديه والاعتماد في تناول حاجياتهم عليه. فمن ثم كان على التاجر ان يشفع

جودة بياعاته بفوائد لم يكن يخطر للمبتاع على بال اجتناؤها واخذ الباعه يتفننون بكعكهم حتى ادت الحال الى انه يباع الآن في رزمة وزنها محدد . فترزم اولا في ورقة غليظة صحية مشمعة تنفذ اليها لرطوبة والهواء ثم يوضع هذا المغلف في علبة من المقوى على شكل لطيف وتلف تلك العلبة بورقة ايضاً وترسم عليها علامة المعمل واسمه . وبهذه الطريقة اصبح الكعك في اميركا آمناً من الجراثيم الضارة والغبار الملوث يحفظ بحاله طويلا ولا ترقد فيه القطط في الليل كما كان من قبل واخذ الباعة يبيعون منه كميات اوفر . وتبارى الباعة في هذا التفنن حتى لا يتخلف احد عن صاحبه ولا يقطع البائع المتفنن على البائع الخامل رزقه وما الداعي الى كل هذا الا الرغبة في الاعلان

ولم يقف الامر في اميركا عند حد بيع الكعك على هذه الصورة بل انه تعداه الى السكر والبن والشاي والملح والفلفل والارز وغيره . وربما بيع الخبز بعد الآن في ورق خاص به لا تمسه يد ولا تراه عين ولا تؤثر فيه عوامل الحرارة والبرودة . وهكذا تدخل روح الترتيب والنظام والنظافة حتى الى افقر بيوت الاميركيين مما يعد خطوة عظيمة في طريق الاتجاه صوب الولوع بالجمال واختيار الاحسن من كل شيء

ومن فوائد الاعلانات انها نفعت في بيع الثياب الحاضرة «الجاهزة» فكان بعض الاميركيين ومنهم الفقراء فقط يلبسون من قبل البسة حاضرة و يعمد بعضهم الى الخياطين لان مقادير اجسامهم تختلف بعضها عن بعض وقد لا يوافق الاكتساء بالاقيسة المعتادة فقام احدهم وانشأ معملا لصنع الثياب الحاضرة من جميع انواع الطول والعرض والهندام وتوصل بواسطة الاعلان عن محله بالجرائد والمجلات ان اقبل الناس عليه لان قيمة الثياب الحاضرة تفرق عن التفصيل نحو النصف فاذا وجد كل انسان القياس الذي يطابه يفضل اخذ «بدلة» حاضرة . ثم زال ما كان علق في اذهان القوم من ان الالبسة الجاهزة لا تلائم كل جسم وغدا معظم اهل اميركا يبتاعون الالبسة المهيأة وزال على الايام ذاك الوهم الذي غرسه الخياطون وغيرهم

وكان من رخص الثياب في اميركا ان غدا الاميركيون غاية في نظافتهم ولبسهم الجديد من الثياب . وحدث ان احد الاميركان نزل الى مدينة همبورغ في المانيا فقال لاحد رفاقه عجبت من اهل هذه المدينة كيف لا يوجد فيهم غني يلبس بزة جديدة . ذلك لانه رأى القوم يلبسون ثياباً لا تماثل في نظافتها وحسن نظامها مايلبسه سكان المدن الاميركية وبهذا عرفت ان الاميركيين فاقوا الاوربيين في ولوعهم باتخاذ الجميل من كل شيء وان كان هذا الخلق حديثاً فيهم قديماً في الاوربيين . ومثل ذلك قل عن الاثاث

والرياش في المساكن فان الاميركان يستجدّونها ويستجيدونها . وارتأى كثيرون من مراقبي سير الاعلانات ان ما كان منها منظوماً يفضل على المنثور لان العامة تطالعها برغبة وينظرون فيها اذا كانت شعراً ولو عامياً اكثر من نظرهم في غيرها . ومن الناس من يقول ان الاعلانات كثيراً ما جلبت ضرراً لان القارىء يخدع بما فيها ويكون فيها مبالغة او خديعة فيبتاع السلعة او الشيء فيبخس او يغبن وانها كثيراً ما اتت بما لا تحمد مغبته .

ولكن القائلين بالاستكثار من الاعلانات يقولون ابداً : ان لكل سبب من اسباب العمل سلاحاً ذا حدين وذكاءنا ايضاً نصرفه في الشر كما نصرفه في الخير . فلا داعي اذاً لتعنيف المعلنين بحجة ما في اعلاناتهم من الخطاء . وليس من العقل ان ينبذ الدين والادب بحجة ان هناك ناساً من المنافقين المخادعين كما لا يجوز بحال ان يزهد في سهام المصارف (البنوك) لان في بعضها تدليساً وغشاً .

قيل لخياط في فيلادلفيا انك تغش الناس بما تنشره من اعلاناتك التي يخالف اكثرها حقيقة الواقع فقال : ان في هذه المدينة مليون نسمة فلو خدع بما اعلنه عشرة في المائة منهم واكثرهم بله مغفلون وتيسر لي ان ألقي في شراك احتيالي عشرة في المئة منهم اي عشرة آلاف نسمة فأنا في سعة من العيش وبسطة من الغنى . وفاته ان من خدع مرة لا يرجع ثانية في الغالب . واحسن طريقة لدفع الغش عن القراء ان يجعل ارباب الصحف والمجلات اجوراً غالية على الاعلانات التي يلحق منها بالناس ضرر فاذا شكا احد قرائهم من غش ناله من انخداعه باعلان تعوض عليه ادارة الجريدة من مالها لانها هي التي كانت السبب في خديعته .

العامة وضعاف العقول ينخدعون في العادة بكل ما حوت الاعلانات . والعامة اكثر الناس . ويليهم في الانخداع النساء ثم العملة . على ان العامة يقل عددهم في اميركا لشيوع التعليم فيها فيقل لذلك المنخدعون بالاعلانات الساقطة يوماً بعد آخر . قال مسيو بوانكره في كتابه (قيمة التعليم) وهو الكتاب الذي اشتهر بين الخاصة والعامة : لا يعرف كم نفع البشر الاعتقاد بعلم الفلك . فان قُدّر الفلاح لكبلر وتيخوبراهي (١) فذلك لانهما كانا يروّجان على السذج من الملوك اخباراً من المغيبات يبنيانها على قرانات الكواكب . فلو لم يكن اولئك الامراء على جانب من التغفل يصدقون بما يُلقى عليهم لكنا بقينا الى اليوم

(١) الاوّل فيلسوف الماني مات سنة ١٦٢٠ م ولقي الشدائد في نشر علمه وله قوانين في الفلك اخذ عنها نيوتن الفلكي الانكليزي فقال بالجاذبية العامة . والثاني فلكي سويدي اخترع مذهباً في الفلك يخالف مذهب بطليموس وكوبرنيك مات سنة ١٦٠١

نعتقد ان الطبيعة تابعة لهوى النفوس وظللنا نتسكع في بيداء الجهالة · وهذا القول ينسج مثله على منواله فيقال : لو لم يكن للاميركيين رغبة في اكتساب المال ولو لم يتنافسوا فيه ويتفاخروا في احرازه ولو لم يكونوا متجرفين ربما كنا رأينا القوى السامية في الانسان تسقط في المزاحمة مع القوى العملية النافعة الصرفة في جنسنا الانساني وكنا نسير في الشؤون المادية على وجه سمج ·

فالصنائع هي زخرف الحياة ولا يكون الزخرف الا مع الغنى ولا يحصل الغنى في هذه العصور الديمقراطية البعيدة عن العبودية الا بالتفاني في اصطياد الدرهم والدينار وقد ينتج من شر كبير خير كثير ومن الولوع بالمال في الاتجار الادب والفنون اه

نظام الاكل

معربة عن مبحث للدكتور فلوري في « المجلة » الفرنسوية

سوء الهضم اكثر الامراض انتشارًا ولا سيما في الطبقة المستنيرة من الناس ومسبباته كثيرة فليست اسبابه الاخلاقية هي الغم والملل فقط بل الاهتمام بالاشغال والاعمال ·

واذا تيسر للمصاب به ان يسلي نفسه ويبدل محيطه الذي يعيش فيه وان يستحم في حمامات البحر والنهر وان يصرف زمنًا في الخلاء يزول هذا المرض موقتًا ثم يعود الى حالته عند عودة صاحبه الى معاطاة اعماله

ولطالما نصح الطبيب للمصاب بسوء الهضم ان يتخلى عن افكاره ويتناسى ما يشغل ذهنه ولكن هذه النصيحة قلما عمل بها الا اذا كان في خلال الطعام · ولقد ابان بافلوف الفسيولوجي الروسي المشهور انه ينبغي تناول الطعام بسرور ليجود الهضم · فاذا كان صاحب هذا المرض مشتت البال وقضي عليه ان يتناول طعامًا لا طعم له ولا لذة فيه لا يسيل اللعاب وعصارة المعدة ولا يعمل الهضم عمله وعلى العكس اذا استحسن المصاب به صحفة من الطعام فانه يسيل لعابه في فمه وتحسن عصارة المعدة ويتم الهضم بسهولة ·

يقولون ان الطاهي اذا اجاد الطبخ يحمل الآكل على ان يتناول من الطعام فوق حد الكفاية وهذا غلط فان الناس لا يفكرون بان امثال هذا الطاهي ينتفع بغفلة المصاب بسوء الهضم ويستدعي سيلان اللعاب والعصارة · وينبغي ان يكون الطعام تام النضج على ان ذلك لا يكفي اذ الواجب على الآكل ان يتناوله كما ينبغي على الوجه الذي ينبغي · وانا معاشر الناس باسرنا نأكل اكلاً رديئًا اي ان طريقتنا في تعاطي الطعام ليست صحية فلا نرى حرجًا في الاسراع بتناول كمية كبيرة من الطعام على المائدة ·

وجوب التمهل في تناول الطعام

من الآفات المنتشرة كثيراً تناول الطعام بسرعة فان الوقت يقضي على بعض الناس ان يسرعوا في خضمهم وقضمهم لان دواعي اعمالهم تبعثهم على ذلك . وبعضهم وهم اهل المزاج العصبي يعجلون في جميع الاعمال و يستحيل عليهم ان يقوموا بالتأني في معاطاة عمل لم فتراهم يقضون اعمالهم كلها بسرعة و يصدم حركاتهم بعضها بعضاً وتأخذ افكارهم بعضها برقاب بعض نرى كثيرين منهم من اذا حفزتهم الشهوة للطعام وجلسوا الى الخوان يشعرون بحاجة شديدة لتناول الاكل فيزدردونهُ ازدراداً دون ان يجعلوا في وقتهم متسعاً للمضغ وقصاراهم ان يخضموا طعامهم مسرعين . كأنهم يرون الغذاء ضرباً من ضروب السخرة فيأبون التريث والتلكوء فلا يكاد يفرغ ما بين ايديهم من الصحاف حتى يطلبوا غيرها بالحاح وسرعة .

وقد اطلقت اللغة ألفاظاً منوّعة على الاكولين من مثل الاسترط والنهم والشره اما الطبيب فان هذه الاسماء تتساوى في نظره و يراها كلها بنتائجها فان النهم وسرعة تناول الغذاء على اختلاف حالاتها تؤول الى نتيجة واحدة من تشويش الصحة . ذلك ان العصارات الهاضمة لا تؤثر التأثير الحسن في الاطعمة التي لم يحسن مضغها فان الغذاء يتخمر ويحدث اضطرابات و برازاً فاسداً وهي من الاسباب الفعالة في حدوث داء المفاصل .

تزول هذه الاضطرابات بأسرها اذا عقد المرء العزم على ان يحسن المضغ بالتدريج وقد نصح الدكتور فلتشر الاميركي باجادة المضغ على مهل وبتقليب اللقمة بحيث تستحيل كالمرق وتنعم وتمتزج باللعاب اي امتزاج (١) ومن رأيه ان يبقى اللبن والحساء والخمر وكل شراب مغذٍ مدةً في الفم قبل البلع . واللقمة اذا جزئت وطحنت على هذا النحو تصبح كالمادة القلوية باللعاب السائل . وقد قال فلتشر ان هذه القلويات ضرورية لهضم الطعام ومما ينفع في هذا استعمال الفواكه الحامضة مثل التوت الافرنجي (فريز) والريباس (عنب الثعلب) . وقد تبين لهُ ان الهضم سهل بهذه الطريقة فقلت جراثيم الامعاء ولم يبق فيها غازات ولا فساد وقلت رائحة المواد البرازية وبقيت في الامعاء مدة اطول وقلّ مقدارها ونقلصت الامعاء . والمتمهل في طعامهِ يشعر بزيادة المسرة عند الغذاء وتطيب نفسه لتناول طعام بسيط و يتبدل سير صحته فلا تعب في الجسم ولا في الفكر غبّ الطعام ولا وجع في ولا اوجاعاً مجهولة وتقل اعراض الرثية والنقرس بل تزول وهكذا الحال في ضعف المجموع العصبي فانهُ يتبدل و يبتهج صاحبه ويحسن نظره في المستقبل . لان جميع هذه الاعراض

(١) شاعت طريقته هذه في بلاد الانكليز السكسونيين انكلترا واميركا شيوعاً كثيراً حتى عُدّ القائلون بمذهبه والسائرون على خطته بمئات الالوف

السيئة وكثيرًا غيرها هي ولا جرم ناشئة من تسمم الانسان بيده وتناوله من الطعام فوق طاقته على طريقة مختلة . وان كثيرًا من الامراض المزعجة في الشيخوخة لتحدث من ذلك فاذا جاد المضغ وحسن تناول الطعام لا يحدث من سوء اثرها ما يحدث . فليس من الضرورة لمن اراد الاحتفاظ بشبابه ان يملأ معدته كما قال الاستاذ متشنكوف باللبن الرائب او بحسب رأي القائلين بالتغذية بالنباتات ان يمتنع الانسان عن اكل اللحم بل يكتفي المرء بان يحتاط لنفسه احتياطًا واحدًا وذلك بأن يمضغ بتأن فاذا فعل ذلك يسعده الحظ فيعمر مئة سنة .

نعم ان تحمس اتباع فلتشر لا يخلو من غلو فقد ابان جان فينو في كتاب فلسفة طول الاعمار ان احسن ما يداوى به المرء ليبلغ اقصى حدود الشيخوخة ان لا يكون فقط معتدلاً في كل شيء بل ان يكون من أسرة معمرة يبلغ افرادها المئة سنة . وقد اعترف الاطباء في كل عصر بضرورة اطالة المضغ ليكون الهضم على اصوله . وانت ترى ان فلتشر لم يأت امرًا جديدًا بل جعل من هذه الوصية الشائقة لجميع المصابين بسوء الهضم قاعدة يسيرون عليها وسنة يتبعونها .

وقد اثبت المستر ستيدان استاذ الفسيولوجيا في كلية يال الاميركية قدر هذه الوصية فاخذ ينظر في طعام الاساتذة والتلاميذ والجند وقسم جراية كل منهم الى نصفين وجرب ذلك بالدقة اشهرًا واخذ يسجل على وجه الصحة ما يدخل الجوف وما يخرج منه . فتوصل اقوياء البنية بمجرد تناولهم الطعام بتأن ان يهضموا هنيئًا مريئًا نصف الطعام واحيانًا ثلثيه وقللوا خصوصًا من معدل اللحم لانه هو الغذاء الذي يهيج بالاكثر تركيب التوكسين فقويت اجسامهم ونشطت وحالفتها البهجة واخذوا يتمتعون بصحة اجود من صحة اخوانهم الذين لم يسيروا على سيرتهم .

ينبغي تقليل كمية الغذاء

انا لا نسرع في تناول الطعام بل نكثر ايضًا من تناوله فان هذين النقصين متلازمان بالضرورة . ولا بد لمن يسرع في تناول اكله ان يتناول كمية كبيرة من الطعام لان جزءاً من طعامه لا يهضم وكلما اكل زادت شهوته ونهمه ولا تنتهي به الحال الى الشبع ولقد عرف القدماء مضار الاكثار من الطعام فضربوا لذلك الامثال فاشتهرت عنهم . وكان اول مؤلف اشاع ذلك بين الملاء ودعا الى عدم الاكثار من الطعام لويجي كورنارو (١٤٦٧ — ١٥٦٦) فان هذا الشريف البندقي (نسبة لمدينة البندقية) بعد ان قضى شبابه في الفسق طفق في الاربعين من عمره عقيب مرض شديد عراه يجري على ترتيب

مدقق في معيشتة على نحو ما يجري الرهبان النساك فاخذ يقلل كل يوم كية طعامه شيئاً فشيئاً بحيث انزله الى ٣٤٠ غراماً من الطعام الجامد و٤٠٠ غرام من الخمر ونصب له ميزاناً يتحقق به ما يدخل معدته وما يخرج منها . وهكذا تقدم هذا السري غيره بقرون في الاقلال من الطعام ولكنه لم يذكر الطريقة التي كان يمضغ بها فقويت بذلك صحته كثيراً وفي السبعين من سنه حدث له حادث مريع من عربة فقضقضت اعضاؤه وتهشمت جمجمته فحكم الاطباء بانه هالك لا محالة ولكنه لم يلبث ان شفي . ولقد اراد ان يزيد طعامه بعض الشيء فمرض وعاد الى التقشف في اكله ولم يمد يغضب ووجد راحة في فكره واصبحت اخلاقه دمثة وحالته الى النشاط والبهجة . وفي الثالثة والثمانين من عمره وضع كتاباً ذكر فيه الطريقة التي ينبغي الجري عليها لتطول الحياة بلا اسقام ونشر ايضاً ثلاثة مصنفات في هذا الموضوع ومات في السابعة والتسعين وقال بعضهم في الثامنة بعد المئة .

ومن عهد هذا الرجل كثرت الامثلة المشابهة لحاله . وانا اقتصر منها على ايرادا حدثها فأقول ان الرحالة يوحنا شاركو الذي نزل من السفينة في رحلته الاخيرة الى القطب الجنوبي في جماعة من رفاقه ليتوغل في الجنوب لما كان توزيع الطعام موكولاً اليه اخذ يعطي كل فرد من رفاقه نصف جرايته بدون ان يقول لهم انه نقصهم من طعامهم فلم يشكُ احدهم جوعاً وكانوا على ما ينالهم من التعب مسرورين ولم يمرضوا وبذلك تيسر له ان يطيل امد هذه الرحلة حتى اذا كانوا في العودة وقد بقي معه قسم عظيم من المؤن انشأ يعطيهم الجراية تامة اي الجراية المظنون انها ضرورية للانسان فاصيبوا كلهم اذ ذاك بسوء الهضم .

وهنا سؤال وهو كم يقتضي للمرء من الجراية ليعيش على اقل تقدير . فاقول ان ذلك يرجع الى امور منها قامة الانسان ووزنه ثم البلاد التي يعيش فيها والجنس الذي ينسب اليه والعمل الذي يتعاطاه . وقد قام التواتر بتجارب مدققة للغاية في هذا الباب فاخذ رجلاً زنته من ٦٠ الى ٧٠ كيلوغراماً وكان يعيش في حرارة تبلغ ١٧ درجة ويمتنع من كل عمل لا جدوى فيه وجعله في غرفة ووزن ما يدخل اليه وما يخرج منه بادوات كثيرة منوعة كما وزن تنفسه وقدر جميع اعماله واعطاه من الغذاء ما يولد فيه الحرارة اللازمة لنشاطه فرأى انه في حاجة الى ٢٢٥٠ من الكالوري في كل ٢٤ ساعة هذا اذا كان لا عمل له اي الى ٣٣ من الكالوري في كل كيلوغرام (١) فالشبان يحتملون الافراط في التغذية فلا يحدث

(١) اقل ما يقتضي لمن كان في راحة تامة بحسب رأي الاستاذ غوتيه ٢٠٠٠ من الكالوري تقدم على نسبة ٨٢ غراماً من الالبومين و٥٠ غراماً من الدهن و٣٨٠ غراماً من هيدرات الكربون . وارتأى بعض الفسيولوجيين انه يكتفي باقل من ذلك . وذهب الدكتور

من ذلك فيهم سوى زيادة في حرارة الجسم وعرق غير اعتيادي وحاجة لعمل غير معتدل وليس الامر كذلك في الشيخ والرجل الذي بلغ اشده وفي جميع من لم تكن بنيتهم على حالة حسنة فان الافراط في تناول الاغذية يحمل المعدة فوق طاقتها فيشق عليها ويرهقها من امرها عسرًا . فاذا لم يتأت الهضم يحدث تخمر وتسمم ذاتي فتكثر الاملاح والحامض البولي والمواد الحامضة ويصاب المرء على الزمن باحتقان الكبد وتغير الكلى والتحول الى شحم فيكون بذلك مصابًا بوجع الاعصاب والمفاصل والسويداء وغيرها .

كيف يتمكن المرء من الاقلال من الطعام ومن تناوله بتأن

تبين لك مما تقدم ان من مصلحة الانسان ان يعدل عن طريقة عيشه ولا يقتضي ذلك كبير عناء ويكفي في هذا الباب اقناع المرء بذلك ليتحول اليه . على انه من المحقق صعوبة التغلب على عادة سيئة حتى ان المصاب بسوء الهضم ليعترف بانه يسرع في طعامه ويود اصلاح نفسه ولكن ارادته وحدها لا تكفي في مغالبة هواه فتراه يحتاط في اول جلوسه الى المائدة ولكنه لا يلبث ان يعود الى طبيعته فتتغلب عليه فيأخذ في القطع والبلع . ونظن ان مداواة هذا النقص تكون باعطاء اطعمة منوعة كثيرًا نتقدمها توابل مطبوخة كحساء الجلبان او العدس والخذيعة (طعام من لحم او سمك مخردل) وربما نصحوا باستعمال العلك Masticateur فيهيج اللعاب والعصارة المعدية على الغذاء الا انه يلزم للعاب من الوقت ما يتمكن معه من السيلان . ولذلك اقتضت الضرورة ان تكون البداءة بالاكل لقماً صغيرة وان يمضغ بتأن حتى اللحم المفروم والحساء بل السوائل من اللبن والمرق والشراب .

ويرجو بعضهم ان يعالجوا قلة سيلان اللعاب بان يمضغ المرء بعد الاكل قطعة من الصمغ مضغًا طويلاً . فقد اعتاد الاميركيون هذه الطريقة وما هي الا ملطفة وملينة

بوردي الى انه يلزم من ٦٠ الى ٨٠ غرامًا من المواد الزلالية (البومونيد) ومن ٥٠ الى ٦٠ غرامًا من الدهن ومن ٢٣٥ الى ٣٠٠ من هيدرات الكربون ووافقه على ذلك الدكتور مورل من تولوز . والغالب انه توجد فروق عظيمة لا بحسب ثقل الجسم والعمر بل بحسب المزاج وربما امكن تخفيض عدد الكالوري الى ٢٠٠٠ غرام في البلاد الحارة عند بعض الامم المتقشفة كالحبشة والهنود واليابانيين . ولا يفوتنك ان الادهان يمكن الاستعاضة عنها بهيدرات الكربون وعلى العكس والمواد الزلالية هي لازمة ضرورية في الغذاء ولا يمكن تنقيصها الى اقل من ٨٠ غرامًا . ويستدعي العمل الطبيعي زيادة في كمية الكالوري تختلف بحسب شدته ومدته فيصل صاحبه من ٣٥٠٠ الى ٥٠٠٠ وربما الى ٦٠٠٠

موقتًا فان اللعاب يسيل متأخرًا كثيرًا فاذا وصل الى المعدة يمتزج مع السوائل وعصارة المعدة فيفقد جزءاً من قوَّته ·

وهناك حيل يحتال بها لاصلاح حال الاكولين وزحزحتهم عن الشره فاذا كان الاكول يملأ معدته ليشبع فوق طاقته فنصح له اوَّلاً ان يقطع اللحم والخبز قطعًا صغيرة كالقطع للاطفال وان لا يتناول منها سوى لقمة دفعة واحدة وان يتناول الحساء والبقول الناشفة بملعقة صغيرة وان يعنى بان لا يأخذ الى فمه شيئًا منها الا اذا بلع الملعقة الاولى برمتها · وتتيسر معالجة سوء الهضم بتحريض صاحبه على الاقلال من انواع الاطعمة كثيرًا كأن يراد على ان يتناول فطيرًا فيأكل منهُ على وتيرة واحدة وهو طعام قليل اللذة ولكنه من اكثر الاطعمه هضماً ولا نرى هنا تعداد الطرق المختلفة التي يعمد اليها بعض الاميركان فان بعضهم يتناولون غذاءً مقتصرين فيه على الحبوب وبعضهم على الثمار وبعضهم يأبون ان يتناولوا طعامًا دخل النار ·

ومما يرتاب فيه ان تكون أمثال هذه التدابير في الاكل صالحة في ذاتها وعلى كل فهي تقلل من الشراهة · ولهذه التدابير في نظر الفسيولوجيين عائق عظيم وهو ان المرء يتناولها بدون لذة على حين قد قلنا آنفًا ينبغي لجودة الهضم ان يستحسن الانسان ما يتناوله من الطعام · يقتضي ان يكون طعام المصاب بسوء الهضم بسيطًا ولكن ينبغي ان يكون لذيذًا محضرًا احسن تحضير فاذا استحسنه المريض تنتهي به الحال ان يتلمظه ببطء واذا رضي بان يقدم له الطعام على مهل وان يفصل بين كل صحفة بحديث مفرح فيكون ذلك من حسن طالع المصاب بسوء الهضم اذ يغدو معتدلاً في شرهه ·

واذا لم يصلح الممعود نفسه على رغم ما تقدم فله طريقة اخرى ينصح بها فليتشر قال : اذا بلع الانسان الطعام وفيه بضعة اجزاء لم تسحق كل السحق تقف بعد الحلق ·اما الجزء السائل من اللقمة فانه ينزل الى البلعوم وعندها يستدعي ذلك عملاً جديدًا من البلع لتسييرها الى مقرها· خذ مثالاً لذلك طلة (قرصًا) من الفاكهة فامضغها وابلعها فان التفل يستحيل باللعاب الى مواد نشائية (هيدرات الكربون) نصف سائلة فتمر بعد ذلك في البلعوم اما قشر الثمار وبزرها فانه يقف قليلاً في الحلقوم (١) وليس اسهل عند ذلك من ابداء

(١) اوضح المستر فوستر هذه القضية بان فرَّق بين طبقتين من الحيوانات الاولى كالفرس مثلاً ينبغي لها ان تمضغ طويلاً لبلع حساء نصف سائل والاخرى كالكلب فانه يأكل لقماً صلبة ولا يكاد يمضغها وبذلك تبين ان حلقوميهما مختلفان · وان للفرس جلدة في سقف حلقه الى العضلات الثخينة ولهاته متسعة ومدورة اما الكلب فعلى العكس فان جلدة سقف

حركة يعاد بها الطعام الى الفم بدون قيء وان تتعاور وهذه الاجزاء التي لم يحسن المرء سحقها ويعاد مضغها حتى لا يعود يحس بطعمها اصلاً فان هذه الطريقة التي ارتآها فلتشر وتحققها بذاته هي اسهل على الاجراء من ابقاء الطعام ريثما يمضغ بتمامه . وهكذا ينبغي استعمال الحيل للتغلب على العادات القبيحة فان الارادة مهما بلغ من قوتها لا تكفي اذا لم يساعدها الذكاء .

الاطعمة السهلة الهضم

يقول فلتشر ان كل من بلغت به الحال ان يأكل قليلاً بتأن لا تأتي عليه بضعة اشهر حتى يتمكن من تناول كل شيء ويستطيع ان يهضم الحصا فينبغي له ريثما يسعده الحظ بهذه النتيجة ان يعنى كل العناية باختيار الاطعمة السريعة الهضم . وقد اختلف المؤلفون في معنى سريع الهضم على طرق شتى فقالت فئة : هو كل طعام يجري بسرعة الى الاحشاء وعلى هذا النظر قرروا لكل طعام الوقت الذي يصرفه في المعدة بيد انه يمكن ان يمر في الاحشاء وهو غير مهضوم وغير قابل للتعديل . ويفضل ان ينظر كل طعام سهل على الهضم لانه يستحيل في الحال الى كيموس متشابه وان من الصعب تحقيق امر هذه الكيموسية . والافضل ان يعمد في ذلك الى التعريف العامي وهو ان كل طعام سريع الهضم اذا هضم بدون ان يدركه الانسان وكل طعام لا يهضم هو الذي يحدث ثقلاً وانتفاخاً وتجشوءا

وقد وضع الكيماويون والفسيولوجيون في كل زمان طبقات للطعام على قابليتها للهضم وعدمه فلم يكن بحثهم الا تقرير الرأي الشائع . وانا لا نذكر هنا ما وضعوه من القوائم والفهارس لانك تجدها في جميع المقالات الصحية بل نكتفي بالقول بانه لا يمكن تطبيقها على جميع الممعودين بدون تمييز . بيد ان بعض الناس على لطافة معدهم يهضمون بعض الاطعمة الصعبة الهضم . دع عنك الاستعداد الشخصي الذي لا يحسن الاطباء تفسيره ويزخرفونه ستراً لجهلهم باسم مفخم فيدعونه (الاديوسانكرازيا) وهو الميل او الكراهة لبعض الامور وينشأ من استعداد خاص بالمزاج . ثم اني ارى من الاشبه ان يقال ان هذه الاطعمة قابلة للهضم لانه يلذ المرء تناولها ولا ينبغي ان يستنتج من هذا ان كل طعام يروق في الذوق يكون سهلاً على الهضم فان عكس ذلك هو المألوف واحسن ما يجدر في هذا الباب تعاطيه ان يثق المرء باختباره الخاص . وعلى كل فان بعض الاصناف من الغذاء سيئة الاثر في جميع الممعودين وهي الاطعمة المهيجة والاطعمة الدسمة . فان الفلفل الاحمر والبهار والخردل

حلقه خالية من الالياف العضلية تغلق ما وراء الحلق كما تغلق الصدفة فيكون منفذ الحلقوم عند البلع متسعاً واللهاة حادة ورفيعة فبنية حلقوم الانسان تشبه حلقوم الفرس .

والتوابل المصنوعة في الخل والطرطور الانكليزي (Sauces) تهيج شهوة الطعام وليس فيها سوى تهييج المخاطيات فينبغي الامتناع عنها وكذلك الحال في الادوية المنبهة (كالمياه المعدنية وغيرها) والابسنت والخمر فانها كلها تقاس على ما نقاس عليه تلك المشهيات اما الاطعمة الدسمة فان فيها عائقاً آخر لان الدهن يتحد مع مخاط المعدة فيمنع عنها البروز ويقاوم هجوم الاطعمة بالعصير المعدي ·

ومن المبادي المقررة التي ينبغي للممعود الجري عليها ان يكون طعامه لا دسم فيه ولحمه لا دهن فيه وسمكه كذلك وان تكون الثمار التي يتناولها غير زيتية · وهنا اعتراض وهو انه كيف يتأتى تحضير الاطعمة اذا مُنع الطاهي من وضع شحم الخنزير والدهن و (السلسات) الدسمة فان معنى ذلك الضرب على ايدي الطاهي بحيث يتعذر عليه ان يحسن طبخ الطعام فيكون من ذلك على الممعود اشق من مرضه على انه يمكن استخدام مادتين دسمتين سهلتين على الهضم ألا وهما زيت الزيتون والسمن فان زيت الزيتون الخالص يحسن اكله ولكن ينبغي ترغيب النفس في طعام الزيت · وسكان الجنوب من فرنسا عرفوا بهذه المزية · وكذلك السمن فانه الغذاء الدسم السريع الانهضام على شرط ان لا يكون مطبوخاً فاذا كان السمن نيئاً يكون منه مستحلب وقطيرات دقيقة تعوق العصارات الهاضمة عن عملها كثيراً واذا كان مطبوخاً يسوء هضمه كشحم الخنزير

فلا يضاف السمن على الاطعمة المختلفة الا اذا رفعت هذه عن النار وتم طبخها وهذه الطريقة التي اعتادها مهرة الطهاة لان السمن اذا أذيب على هذا الوجه يحفظ طعمه · اما السمن النباتي المستخرج من الجوز الهندي الذي اخذ يدخل المطابخ تحت اسماء متنوعة فانه يهضم كالسمن الحيواني

واراني في الختام قد مرنت على الكلام في فن الطبخ بكتابة هذه المقالة على انها ليست فصلاً في الفسيولوجيا بل هي درس في الطبخ اردت الخوض فيه واردت ان ابين ببساطة ان لعناية المصابين بسوء الهضم علاقة بهذا الفن ولو كنت اشكو من هذا المرض لعمدت الى طبيب ممن عرف بشرهه واخذت رأيه فيما يقتضي لي الجري عليه فانه يكون ولا جرم ابن بجدة هذا المرض ولكن من الغلو ان يطلب مجموع هذه الصفات من رجل فرد

نبأ من الصين

لأحد علماء الفرنسيس

بعد ان ثارت ثورات البوكسر من دعاة الفتنة في الصين وصار سبيل للاوربيين ان يتداخلوا في شؤونها عمدت ان تحذو حذو اليابان في ابدال اوضاعها باوضاع غربية وتصبغ بلادها بصبغة الحضارة الاوربية فكان منها ان صرفت وجهتها الى التعليم . وبعد اربع سنين الغت نظام التعليم القديم وطريقة الامتحانات العقيمة فعد ذلك انقلاباً عظيماً لا في السياسة بل عدّ ضربة قاضية على كونفوشيوس وما لقيه بين ابناء الصين منذ القرن التاسع من النفوذ والتأثير فاصبحت تعاليمه هي المعمول بها واساس كل تعليم في البلاد الصينية فكان يتحكم في جزئيات الصينيين وكلياتهم ولم يعهد ان كان لبشر مثل هذه السلطة على مثل ذي القوم في عدده وان دامت سيطرة انسان قروناً لا يجرأ احدٌ على نقضها . فقد كان قبل المسيح بستمائة سنة . ولد في إمارة « لو » التي هي اليوم ولاية « شانغ تون » وهي للالمان تعد جزءاً من « كياوتشو » . نعم لم يعهد في تاريخ البشر ما يشبه هذه العبادة وهي مدنية دينية يعبدها رجل بسيط و يعبده شعب لا يحصى مدة ٢٤ قرناً في الشرق الاقصى . ولذلك لم يجسر احد من اتباع هذا المذهب على الغاء الطريقة القديمة في الفحوص وحذف اسم كونفوشيوس من المدارس سيما وصورته في كل صف يسجد لها التلميذ والاستاذ على حد سواء . فكان من هذا الانقلاب ان استعيض في المدارس عن تعليم جميع العلوم وجعلها فرعاً واحداً بجعل كل فرع منها مختصاً بفئة من الناس كأن تكون الاولى مدرسة الحقوق والاخرى للطب والثالثة للعلوم السياسية والرابعة للصنائع والفنون وغير ذلك وكان يكفي في نيل الطالب لشهادة المدارس انكلية ان ينشيء شيئاً في الادب يأخذ موضوعه من كتب كونفوشيوس و يطلب اليه كتابة شيء في الشعر وكانت تفتح ابواب المناصب والمراتب امام من يحسن ذلك من الطلاب . فعرفت الحكومة عقم هذه الطريقة في التعليم وانشأت مدارس خاصة دعتها « مدارس العلوم الحقيقية الثابتة » وانشأ الامبراطور نظارة للمعارف العمومية ترقب احوالها كما هو الحال في الغرب وستنقسم تلك المدارس الى ثلاث طبقات ابتدائية ووسطى وعليا . وقد رخصت الحكومة لبعض الولاة ان ينشئوا في عمالاتهم مدارس مجانية يقرأ فيها التلاميذ نصف النهار و يتمكن الفقراء في خلال ذلك من الدراسة في الصباح والعمل لتحصيل قوتهم بعد الظهر وهذه المدارس اشبه بمدارس البالغين في فرنسا والفرق بين هذه وتلك ان هذه تفتح في المساء وتلك تفتح في الصباح ذلك لان الصينيين

لا يسهرون في الليل اللهم الا من يتعاطى الافيون منهم وما عداهم فانهم يباكرون منامهم حفظاً لصحتهم وحرصاً على الاضواء وصرف شيء منها عبثاً

ولقد كان اصلاح التعليم في الصين ونشر المعارف بين طبقات العملة او الفقيرة من المستحيلات الا بتسهيل طريقة الكتابة وكانت هذه من الابهام والالتباس بحيث حالت دون العامة وتلقي المعارف الادبية وغيرها . فرأى الامبراطور من الحكمة ان يصدر امره ليستعمل خط جديد صيني يتألف كله من خمسين حرفاً و يسهل اتقانه في شهرين . و بفضل هذه الطريقة الجديدة اصبح الآن ثلثمائة الف صيني يعرفون القراءة والكتابة . وقد نشر اهل العلم جرائد تطبع بهذه الحروف الجديدة ليتمكن المتعلمون من استخدام هذه النعمة ولذا اصبحت نتائجها راهنة من الآن

ادركت الصين بعقول رجالها الثاقبة كل الادراك ان نشر التعاليم الديمقراطية بين الغوغاء من اهلها لا يكون الا بواسطة الصحافة التي تتناولها العقول كافة وان الطريقة لحقيقية في ازالة غشاوة الاوهام عن ابصار العامة و إزالة ما علق في نفوسهم عن الاجانب ان يطلعوهم على اوضاع الغربيين وكانوا يرونهم من قبل اعداء لا يميلون الا الى السلب ولا يظمأون الا لسفك الدماء و يطلقون عليهم اسم « شياطين الغرب » . واذ اخذت الصحف تستخدم الخط الجديد فستحارب هذه الاوهام وتنتهي بالتغلب عليها و إزالتها من العقول وهذا هو الرأي الشائع عند من يرون اختطاط خطة النجاح

يطمع الامبراطور ان يبث العلم في عقول رعاياه وهذا الامر موقوف على الاكثار من المدارس والمدارس تحتاج للانفاق والصين يعوزها المال كما قد تمس الحاجة اليه في كل مملكة فلم يرَ ابن السماء بداً من استوكاف اكف الطبقات كلها وراح يفتتح الاكتتابات العامة وجعل لكل من يؤدي الف فرنك لقب شرف او وساماً ومن ادى من عشرة آلاف الى خمسين الف فرنك يحق له ان ينشيء وسط الشوارع العامة قوس نصر من الحجر يخلد به اسمه وعلى نسبة عظم المبلغ المعطى يكون البناء التذكاري جسيماً . وهذا من غرائب الحيل الباعثة على الطمع النافع . فالصيني يعجب باجداده ولذلك تراه يتعاظم الآن اذا تخلد ذكره كما تخلدت اسماؤهم و يكون له بهذه الطريقة باب يثبت به اخلاصه لبلاده بل يؤيد به منحه وأعطياته وربما كان في الاوربيين من تطمح نفوسهم الى هذا التمايز من اقامة اقواس نصر من هذا النوع بعد ان كان الملوك حتى اليوم مستأثرين بمجدها دون سائر الناس .

ومما اضافه ابن السماء على تلك الاكتتابات لانشاء المدارس نزع ملكية الاراضي والعقارات لاجل المنافع العامة فصدر امره الى المعابد التي لم تقم على نفقة الحكومة ولا

اعترفت هي بها ان تدفع مداخيلها الى خزانة الدولة لتخصص للمدارس . وعلى هذا الفكر احالت الحكومة الصينية قصر امير توان السابق الذي اثار ثورة البوكسر الى مدرسة حربية خاصة بتعليم الامراء والاشراف وابناء الحكام من اهل الطبقة العالية وهذا القصر في بكين في المدينة التاتارية . ولا بدّ من الملاحظة هنا ان انشاء هذه المدرسة الحربية هي على طرفي نقيض مع تعاليم كونفوشيوس الذي ينفي الحرب ويحظره على الصينيين و يعده اسوأ الجرائم . ولقد كان من كره هذا الفيلسوف ومقاومته للحروب ان اصبحت به المملكة السماوية بلا مدافع يدفع عنها عادية اعدائها فعرف الصينيون اليوم بما لقنتهم اياه يابان من دروسها الحاجة الماسة في الشرق الاقصى الى تأليف الجيوش المنظمة القوية القائمة بمحض تجاربهم واستعدادهم ليقاوموا بها الدخيل الذي لا يرمي الا الى تجزئة بلادهم واكتساح ارضهم . وقد شعروا بان خضوعهم لتقاليدهم ولدينهم قد اضرّ بهم فقضى عليهم الحكيم كونفوشيوس . بيد انهم لم يعصوا عليه ولم ينزعوا حبه من نفوسهم بل تركوه وشأنه واخذوا ينظرون في امرهم من طريق آخر . وانشأت الحكومة بجانب نظارة المعارف العمومية نظارة اخرى للمعارف مهمتها الاولى ان تؤسس في المملكة كلها مدارس للتجارة والزراعة وتربية الدود والغابات وكان الصينيون على مثال قدماء الرومان يحتقرون التجارة و يعدون اهلها من الساقطين في الهيئة الاجتماعية ولا يرى الصينيون الا الطاعة العمياء لما رسمته شريعة كونفوشيوس لان هذا لا يحترم الا الادباء ورجال الدرس والبحث فاصبح ما كان يحول دونهم ودون الترقي قرونًا كثيرة جائز العمل مرخصًا باتيانه

وكانت الصين من قبل محرومة من المكاتب العامة على مثال خزائن الكتب في اوربا فلم يظهر لاحدهم منذ عهد كونفوشيوس ما يتأتى عن المكاتب من الفوائد للمدنية فأسسوا اليوم مكاتب جمعوا فيها جميع الكتب المنقولة الى اللغة الصينية التي نشرت في ممالك كثيرة في العلوم العملية والمعارف الشائعة التي من شأنها ان تساعد الصين على النهوض وانشأت الحكومة مكاتب للترجمة رسمية في جميع المدن الصينية الكبرى . اما المجلات فليس غير المرسلين الكاثوليك والبروتستانت من يعنى بنشرها في الصين حتى الآن وهي تبحث في الموضوعات الدينية وتشغل قليلاً من صفحاتها بالابحاث العلمية وقد ارتقت الصحافة كثيرًا في الصين وفيها اليوم كثير من الجرائد اليومية والجرائد التي تصدر ثلاث مرات في الشهر وادرك الصينيون منذ كارثة البوكسر ان الصحافة من المواد الجوهرية في الحياة العامة ولذلك ترى كل من تعلم القراءة منهم يقرأ الجرائد حتى الامبراطور وجميع الجرائد الجديدة كلها تقريبًا تكتب على مثال جريدة « سهان باو » التي تصدر في مدينة شنغاي وهي التي اسست سنة

١٨٦٨ على يد شركة صينية اوروبية وذرع هذه الصحيفة الكبيرة متر وثلاثون سنتيما ذات ثماني صفحات طولها ٠٫٣ سنتيمتراً وعرضها ٣٠ وتباع بعشرة «سايك» وهي تعادل خمسة سنتيمات

وترى المقالات في هذه الجريدة التي يكتبها الادباء العارفون من اهل الكفاءة جيدة في موضوعاتها منوعة الاساليب وهي في العادة مفعمة بالاحساس الطاهر ويظهر استقلال هذه الصحيفة مما تنصح به للحكومة وبما تدل عليه من الفساد المستحوذ في الادارة وبما تعلقه على السياسة الخارجية وقد تكون تعليقاتها سديدة . وفي هذه الجريدة مجال طويل للبحث في الشؤون المختلفة وترى رواد الاخبار في الصين على غاية من المهارة يدخلون في كل مكان ويعرفون كيف يحدثون غيرهم ويروون عنهم الاخبار وهي طريقة اخذوها عن اليابانيين. واحسنوها وترى الصفحات الاربع الاخيرة غاصة بالاعلانات التجارية صينية او اجنبية وفي اعلانات الاجانب حروف باللغات الافرنجية لالفات انظار الصينيين وورق هذه الجرائد معمول من ورق الخيزران «البامبو» ولذلك تراه رقيقاً للغاية ويطبع من وجه واحد ويترك الوجه الآخر ابيض لانه شفاف يرى ماوراءه لانه اميل الى الصفرة على ان لون ورق الجرائد وطبعها يمكن تغييرهما في بعض الاحوال على نحو ما يفعل ارباب الطباعة اذا مات احد الاسرة المالكة فتطبع الورقة التي تذكر الامر المعلن بالخبر على طبع ازرق وهو علامة الحداد عند امبراطرتهم لان البياض لايتجلى على الورق الاصفر المستعمل في العادة وعند زواج الامبراطور وعيد ولادته او ولادة الامبراطورة والدته تصدر الصحف على ورق احمر وهو لون العيد والسعادة وتطبع بالسواد . ويستعمل اللون الاحمر ايضاً في اليوم الاول من السنة وهو يصادف بعد شهر من رأس السنة في اوربا.

والجرائد المصورة ناجحة في المدن العظمى وهذه الصحف مؤلفة من نحو اثنتي عشرة ورقة مضاعفة ولها غلاف احمر او اخضر وثمن النسخة عشرون سنتيما اما الصور فتكون خطوطا في موضوع جديد

ليس في الصين قوانين مقيدة لحرية الكلام والكتابة كما انه ليس فيها قوانين تضمن لها حقوقها بحيث ان الصحافيين الصينيين هم تحت رحمة رجال الشرطة والحكام كل حين . ولما لم تكن الصحف الصينية لهذا العهد لسان حال حزب سياسي فليس لها قوة ولا خطر منها على الحكومة ولذلك يصح ان يقال ان ليس في الصين صحف غير رسمية ولا صحف معارضة وقد حاولت مؤخرًا جريدة انشئت في وسط بلاد الصين بشركة صينية يابانية ان تنزع عن تلك الطريقة وتخرج عن ربقتها فالغاها الوالي للحال

ولا بأس ان نختم هذا الفصل بالكلام على الصين الحديثة بان الحكومة الصينية

آخذة بتنشيط تعليم النساء وكان حتى الآن مهملاً بالمرة اذ ان المرأة كانت أبداً في الشرق ولا سيما في الشرق الاقصى بعيدة عن الاهتمام بشؤون بلادها اما الآن فقد أسست الاميرات المالكة المدارس وتطوعت العقائل اليابانيات للتدريس في كل من بكين وسوتشو وهذه المدينة من بلاد الصين بمثابة باريز من فرنسا . وانشئت عدة مدارس كثيرة لبنات الاسرات الكبيرة وقد حضر في العهد الاخير اربع عشرة اميرة مغولية الى بكين ليلقين فيها التعليم الاوربي . واللغة الانكليزية تدرس في جميع هذه المدارس

وانت ترى ان للصين الجديدة مستقبلاً زاهراً يبعث الغرب على الطمأنينة الآن وهو خائف من الخطر الاصفر وان الصين تسير الى المستقبل في نفس الخطة التي اختطها الغربيون نعم ان هذا الامر يحتاج الى زمن طويل قبل ان تأتي الشجرة المغروسة باثمار يعتدّ بها حقيقة ولكن الصيني عرف بصبره لذلك تراه يؤمل نيل النتيجة في هذا القرن وهو الذي عرف ان ينتظر الغد و يرقبه رقبة الفلاسفة مدة طويلة لا تقل عن بضعة الوف من السنين اه .

صحف منسية

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

استخرجه احد علماء المشرقيات من الفرنسيس

توطئة

ابن قتيبة اشهر من ان يذكر هنا بكلمات قليلة تكون ترجمة له وقائمة بتصانيفه ولذلك لم أرَ حاجة الى اعادة ما ترجم بهِ في وفيات الاعيان كما هو مذهب كل من طبع له كتاباً في الشرق فاكتفي بما اتى به ابن خلكان عن البحث اللائق بشأن صاحب عيون الاخبار وكتاب المعارف .

ثم اني رأيت ان صغر حجم كتاب الاشربة لا يقبل الاطالة في الخطبة — وان كانت الاطالة في الخطب مما عوتب بهِ الامام ابن قتيبة في الوفيات — فارجأت الى وقت آخر انشاء مقالة تفي بحقوق هذا العلامة ان شاء الله فأحصر الكلام الآن في الكتاب الذي بدأت اليوم بنشره ووصف النسخة التي نقلته عنها وبالله التوفيق

اما الكتاب فمعروف وقد ذكره صاحب كشف الظنون (تحت عدد ٩٨٤٦ الجزء ٥ ص ٤٣) واستشهد ببعض فقراته غير واحد من الادباء لا سيما ابن عبد ربه فان هذا

النهاب نقل الى العقدالفريد معظم كتاب الاشربة بعد ان خلط بين اجزائه ولو كان طبع العقد بما يجب له من العناية والدقة لكنا ربما امسكنا عن نشر كتاب الاشربةمع مااسقطه ابن عبدربه من الفوائد الجزيلة والمحاسن الجليلة التي جرت عادة ابن قتيبة ان يأتي بها على أسلة قلمه . واذا قرأت ما كتبهُ صاحبنا في الخمر والنبيذ وغيرهما مما قد حرم او أُحلّ شربه فلا بأس بان نقرأ ما جاء به ابن عبدربه في هذه المسألة لنصلح الاغلاط العديدة الواقعة في نسخ العقد المطبوعة وتطلع على ما عاتب بهِ الامام ابن قتيبة من اطالة الكلام وعلة النسيان المؤدية الى التناقض بين قوليه فتأسف لان الله عز وجل لم يمنّ على ابن قتيبة بعمر طويل ليحيا الى عصر ابن عبدربه فيطلع على ما كتبهُ هذا ويهديه التوفيق لشرح قوليه في الاشربة وما فيهما من التناقض كما فسر ابن قتيبة اتفاق جميع الاحاديث التي ادعى الناس تناقضها في كتابهِ المؤلف في تأويل مختلف الحديث

اما النسخة التي نقل عنها النص فعبارة عن احد المؤلفات الموجودة في مجموع من مجاميع مصطفى باشا المحفوظة في دار الكتب الخديوية وقد نقلت من المجموع الذي عدده ١٦٦ ثلاثة كتب للاصمعي وهي كتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر نشرها كلها الدكتور اوغست هفنر وطبع منها الآباء اليسوعيون ببيروت في سنة ١٨٩٨ كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر . وتصفحت فهارس للمخطوطات المحفوظة في دور الكتب في الشرق والغرب فلم اظفر بغير نسخة من كتاب الاشربة . فلله در هذا الناسخ الذي وقى من ايدي الضياع هذه الآثار الاصمعية والقتيبية وان لم يكن علمه باللغة والمعاني يوازي مهارته بفن الخط فانهُ يحذف الكلمات والفقر ولا يشعر وهذا شأن متأخري النساخ كلما رأى الرائي ما ينسخون يحكم عليهم بانهم ينقلون الكلام بدون فهم ولا علم . واسم الناسخ عبدالحليم بن احمد اللوجي نسخ مجموعه النفيس في جزئين قدّم الثاني وأخر الاول في التجليد فاوله قد انتهى من تحريره يوم الجمعة غرة محرم سنة ١١٠٥ وثانيه في اواخر ذلك الشهر وكتاب الاشربة موجود في الجزء الثاني المقدم من الصفحة ٥٥ الى الصفحة ٨٠ وطول الصفحة ٢٧ سنتمتراً وعرضها ١٦ وعدد السطور في الصفحة ٢٩ سطراً والخط دقيق واضح ولما لم اعثر على نسخة اخرى للكتاب عمدت الى النص المنقول في العقد الفريد لضبط عبارة هذه الرسالة بعد المقابلة

اما الرواية فانها جاءت مرتين فاثبتنا التي بعد البسملة كما ترى وازلنا التي بعد ترجمة الكتاب وهي: رواية الحسين بن مظفر بن احمد بن كنداج عن ابي محمد عبدالله بن جعفر ابن درستويه النحوي عن ابن طاهر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله البيع . اذ المشهور ان ابن درستويه كان من تلاميذ ابن قتيبة وروى عنه القاهرة ي . د

كتاب الاشربة

وذكر اختلاف الناس فيها

تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ ابوطاهر محمد بن علي بن محمد بن عبدالله البيّع فيما اذن لنا ان نرويه عنه قال اخبرنا ابوعبدالله الحسين بن المظفر كنداج (وفي الاصل كداج)البزاز قراءة عليه قال اخبرنا ابو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي قراءة عليه قال قال ابو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة :

الحمد لله الذي هدانا لدينه المرتضى . واكرمنا بنبيه المصطفى . وجعلنا خير امة اخرجت للناس ايمانًا بالغيب وتصديقًا بالوعد وشفقًا من الوعيد . واخلاصًا للتوحيد . واعطانا بالصغير الكبير . وباليسير الكثير . وبالحقير الخطير . وبطاعته في الايام المعدودة الخلود في النعيم المقيم ورضي منا بعفو الطاعة وفسح لنا في التوبة وجعل من وراء الصغير المغفرة ومن وراء الكبير الشفاعة فلم يهلك عليه الا من نفر نفار الظليم وشرد شراد البعير واوسع لنا من طيب الرزق وحرم علينا الخبائث ولم يجعل في الدين من حرج ولا حظر بالاستعباد الا ماجعل منه الخلف الاطيب والبذل الاوفر رحمة منه وبرًا ولطفًا وعطفًا . فحرم علينا بالكتاب الميتة والدم ولحم الخنزير وبالسنة سباع الوحش والطير وعوضنا من ذلك بهيمة الانعام الثمانية الازواج وسائر الوحش وصنوف الطير وحرم علينا بالكتاب الميسر وبالسنة القمار وعوضنا من ذلك اللهو بالرهان والنضال وحرم علينا الربى (١) واحل البيع وحرم السفاح واحل النكاح وحرم بالسنة الديباج والحرير وعوضنا الخز والوشي والعقم والرقم وحرم بالكتاب الخمر وبالسنة المسكر وعوضنا منهما صنوف الشراب من اللبن والعسل وحلال النبيذ .

وليس فيما عازنا من هذه الامور التي وقع فيها الحظر والاطلاق شيء اختلف فيه الناس اختلافهم في الاشربة وكيفية ما يحل منها وما يحرم على قديم الايام مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوافر الصحابة وكثرة العلماء المأخوذ عنهم المقتدى بهم حتى يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه وبارع فهمه الى ان يسأل عبيدة السلماني عن النبيذ وحتى يقول له عبيدة وقد لحق خيار الصحابة وعلماؤهم منهم عليّ وابن مسعود (٢) اختلف علينا في النبيذ . وفي رواية اخرى . اخذت الناس اشربة كثيرة فمالي شراب منذ عشرين

(١) في الاصل الربا (٢) في الاصل اختلف عليا

سنة الا من لبن او ماء او عسل . وان شيئًا وقع فيه الاختلاف في ذلك العصر بين اولئك الائمة لحري ان يشكل على من بعدهم وتختلف فيه آراؤهم ويكثر فيه تنازعهم وقد بينت من مذاهب الناس فيه وحجة كل فريق منهم لمذهبه وموضع الاختيار من ذلك بالسبب الذي اوجبه والعلة التي دلت عليه ما حضرني من بالغ العلم ومقدار الطاقة لعل الله يهدي به مسترشدًا ويكشف من غمة وينقذ من حيرة ويعصم شاربًا ما دخل على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة ويردع طاعنا على خيار السلف بشرب الحرام وأؤمل بحسن النية في ذلك من الله حسن المعونة والتغمد للزلة ولا حول ولا قوة الا بالله

***

قد اجمع الناس جميعًا على تحريم الخمر بكتاب الله الا قومًا من مجان اصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ (١) الله بهم فانهم قالوا : ليست الخمر محرمة وانما نهى الله عن شربها تأديبًا كما انه امر في الكتاب باشياء ونهى فيه عن اشياء على جهة التأديب وليس منها فرض كقوله في العبيد والاماء : « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرًا » . وقوله في النساء «فاهجروهن في المضاجع واضربوهن — ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » وقالوا لو اراد تحريم الخمر لقال حرمت عليكم الخمر كما قال حرمت عليكم الميتة والدم . وليس للتشاغل بهؤلاء وجه ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى اذ كانوا ممن لا يجعل حجة على اجماع واذ كان ما ذهبوا اليه لا يخيل على عاقل ولا جاهل واجمع الناس على ان ما غلا (٢) وقذف الزبد من عصير العنب من غير أن تمسه النار خمر وانه لا يزال خمرًا حتى يصير خلاً واختلفوا في الحال التي يخرج بها من منزلة الخمر الى منزلة الخل فقال بعضهم : هو ان يتناهى في الحموضة حتى لا يبقى فيها مستزاد وقال آخرون : هو ان تغلب عليها الحموضة وتفارقها النشوة . وهذا هو القول لان الخمر ليست محرمة العين كما حرم عين الخنزير وانما حرمت بعرض دخلها فاذا زايلها ذلك العرض عادت حلالاً كما كانت قبل الغليان حلالاً . وما اكثر من يذهب من اهل النظر الى ان الخمر اذا انقلبت عن عصير والخل اذا انقلب عن خمر ان عين كل واحد غير عين الآخر وهذا القول ما ليس به خفاء على من تدبره وانصف من نفسه وكيف يكون ههنا عينان والجسم واحد لم يخرج من الوعاء ولم يبدل وانما انتقلت اعراضه تارة من حلاوة الى مرارة وتارة من مرارة الى حموضة ولم يذهب العرض الاول جملة واحدة ولا أتى العرض الثاني جملة (واحدة) وانما زال من كل واحد شيء بعد شيء كما ينتقل طعم الثمرة وهي غضة من الحموضة الى الحلاوة وهي يانعة والعين قائمة

(١) في الاصل يعبؤ (٢) في الاصل غلا

وكما يأجن الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة وكما يروب اللبن بعد ان كان صريفًا فيتغير ريحه وطعمه والعين قائمة ومثل الخمر مما حل بعرض وحرم بعرض المسك كان دمًا عبيطًا حرامًا ثم جف وحدثت رائحته فيه فصار طيبًا حلالاً . واما النبيذ فاختلفوا في معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل ان يغليا فاذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر . وقالوا : انما كان الاولون من الصحابة والتابعين يشربون ذلك يتخذونه في صدر نهارهم و يشربونه في آخره ويتخذونه من اول الليل و يشربونه على غدائهم وعشائهم . وقالوا : سمي نبيذًا لانهم كانوا يأخذون القبضة من التمر او الزبيب فينبذونها في السقاء اي يلقونها فيه . وقال آخرون : النبيذ ما اتخذ من الزبيب والتمر وغيرهما من المستخرج بالماء او ترك حتى يغلي وحتى يسكن . ولا يسمى نبيذًا حتى ينتقل عن حاله الاولى كما لا يسمى العصير خمرًا حتى ينتقل عن حلاوته ولا يسمى الخمر خلاً حتى تنتقل عن مرارتها ونشوتها وانما سمي نبيذًا لانه كان يتخذ و ينبذ اي يترك و يعرض عنه حتى يبلغ . وهذا هو القول لان النبيذ لو كان ماء الزبيب لما وقع فيه الاختلاف ولاجمع الناس جميعًا على انه حلال من قبل ان يغلى ففيم اختلف المختلفون وعمَّ سأل السائلون ؟ قال الشاعر (طويل)

نبيذ اذا مرّ الذباب بدنه ... تعطر لو خرّ الذباب وقيذا

وقال ابن شبرمة (خفيف)

ونبيذ الزبيب ما اشتدّ منه ... فهو للخمر (١) والطلاء نسيب

وقال آخر (متقارب)

تركت النبيذ وشرابه ... وصرت حديثًا لمن عابه (٢)

شرابًا يضل سبيل الرشاد ... ويفتح للشر ابوابه

فسماه نبيذًا وهو يفعل هذا الفعل ولا يجوز ان يكون اراد ماء الزبيب ولا ماء التمر قبل ان يغليا وروى الواقدي عن اخيه سملة بن عمر عن عمر بن شيبة بن ابي كبير الاشجعي عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يخدر (٣) الوجه من النبيذ وتتفاتر (٤) منه الحسنات» وماء الزبيب لايخدر منه الوجه ولا تتفاتر (٥) منه الحسنات وروى شريك عن ابي اسحق عن عمرو بن حريث قال : سقاني ابن مسعود نبيذًا شديدًا من جر اخضر وحدثني سبابة عن عمرو بن حميد عن كبير بن سليم قال : حدثني اصحاب انس عنه انه كان

(١) في الاصل الخمر

(٢) في عقد الفريد . تركت النبيذ واصحابه ... وصرت خدينًا لمن عابه

(٣) في الاصل خدر (٤) في الاصل تتناثر بدون واو (٥) في الاصل تتناثر

يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي وما جاء في مثل هذا مما يدل على ان النبيذ ما غلي «١» واسكر كثيره «٢» وفرق قوم بين نبيذ الزبيب ونبيذ التمر ولا اعلم بينهما فرقاً فيكره واحد ويستحب آخر لانهما جميعاً مسكران · انشد ابن الاعرابي (هزج)

ألا أيها المهدي | إلينا الآس من شهرِ
دع الآس ولا تغفل | اذا جئت عن التمر
فان الآس لا يسكـ | ـرُ واللذة في السكر
حجج المحرمين لجميع ما أسكر

واما المسكر فان فريقاً يذهبون الى ان كل شيء اسكر كثيره كائناً ما كان ولو بلغ فرقاً فقليله كائناً ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام · فلم يفرقوا بين ابن ثلاث ليال من نبيذ التمر اذا غلي وبين ابن ثلاثة احوال من عتيق السكر وعتيق الخمر ولا فرقوا في ذلك بين منفرد وخليطين ولا بين شديد وسهل ولا بين ما استخرج بالماء وما استخرج بالنار وقضوا عليه كله بانه حرامٌ وبانه خمرٌ وذهبوا من الاثر الى حديث حدثنيه محمد بن خالد بن خداش عن ابيه عن حماد بن زيد عن ايوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام · وحديث حدثنيه اسحق بن راهويه عن المعتمر بن سليمان عن مهدي بن ميمون عن ابي عثمان الانصاري عن القاسم عن عائشة رحمة الله عليها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر حرام وما اسكر الفرق فالحسوة منه حرام · وحديث حدثنيه محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن الزهري عن ابي سلمة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل شراب اسكر فهو حرام · مع اشباه لهذا من الحديث يطول الكتاب باستقصائها وفي ما ذكرنا من هذه الاحاديث غنى عن ذكر جميعها لانها اغلظها في التحريم واشدها افصاحاً به وابعدها من حيلة المتأوّل ·

وقالوا : والشاهد على ذلك من النظر ان الخمر انما حرمت لاسكارها وجرائرها (٣) على شاربها لانها رجس · قال الله تعالى وجلّ من قائل : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون » · وقد كان كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرموا الخمر على انفسهم في الجاهلية لعلمهم بسوء مصرعها وكثرة جناياتها · قالت عائشة رحمة الله عليها : ما شرب ابو بكر رحمة الله

«١» في الاصل غلا «٢» في الاصل كثير «٣» وهذه العبارة احسن مما اتى في العقد الفريد وهو جناياتها لما نفيده من معنى الجر والانجرار فان الجارة الخمر والمنجر الشارب

عليه خمرًا في جاهلية ولا اسلام . وقال عثمان رحمة الله عليه :ما تغنيت ولا تفتيت ولا شربت خمرًا في جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بهارسول الله صلى الله عليه وسلم «١» وكان عبد الرحمن بن عوف ترك شربها وقال فيها بيتًا(وافر)

رأيت الخمر شاربها معنى برجع القول او فصل الخطاب

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعد قال قال عثمان : اياكم والخمر فانها مفتاح كل شر . أُتي برجل فقيل له : اما ان تخرّق هذا الكتاب واما ان تقتل هذا الصبي واما ان تسجد لهذا الوثن واما ان تشرب هذه الكأس واما ان تقع على هذه المرأة . فلم يرَ شيئًا اهون عليه من شرب الكأس فشرب فوقع على المرأة وقتل الصبي وخرّق الكتاب وسجد للصليب . وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته : لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك . فقال : ما انا بآخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي واصبح سيد قومي وامسي سفيههم . وقيل لهُ بعد ما أسنّ واسلم : قد كبرت سنك ودق عظمك فلو اخذت من هذا النبيذ شيئًا يقويك . فقال : اصبح سيد قومي وامسي سفيههم وآليت ان لا يدخل رأسي ما يحول بيني وبين عقلي . وكان قيس بن عاصم يأتيه في جاهليته تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد «٢» ما عنده فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرًا قبيحًا فجذب ابنته وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشيء ثم انهب ماله ومال الخمار وانشأ يقول وهو يضربه . (بسيط)

من تاجر فاجر جاء الاله به كأنَّ لحيته اذناب اجمال
جاء الخبيث بيسانية «٣» تركت صحبي واهلي بلا عقل ولا مال

فلما صحا خبرته ابنته بما صنع وما قال فآلى لا يذوق الخمر ابدًا وقال . (وافر)

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشربها صحيحًا ولا اشفي بها ابدًا سقيما
ولا اعطي بها ثمنًا حياتي ولا ادعو لها ابدًا نديما

وكان عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال : لا اشرب شرابًا يذهب بعقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وازوج كريمتي من لا اريد . فبينا هو بالعوالي اذ اتاه آت فقال : اشعرت ان الخمر حرمت ؟ وتلا عليه الآية في المائدة فقال تبًا لها ! لقد كان بصري

(١) في الاصل : ما تعنيت ولا تمنيت . وفي عقد الفريد : ما تعنيت ولا تفتيت ولا مسست فرجي بيدي بعد ان خططت بها المفصل (٢) في الاصل ينفذ (٣) في الاصل نيسانية وفي العقد الفريد بيسانية ولا اظنها الا ميسانية لنسبتها الى ميسان

فيها نافذًا . قيل لاعرابي اتشرب النبيذ ؟ فقال : لا اشرب ما يشرب عقلي . ودعا يزيد ابن عبدالملك نصيبًا او كثيرًا الى ندامته فقال : ياامير المؤمنين اني لم أصر الى هذه المنزلة بمال ولا دين وانما وصلت بلساني وعقلي فان رأيت ان لا تحول بيني وبينهما فافعل . وقال بعض الشعراء (طويل)

ومن(١)تقرع الكأس الذميمة سنه . فلا بدَّ يومًا ان يريب ويجهلا
فلم أرَ مشروبًا اخس غنيمة واوضع للاشراف منها واخملا
واجدر ان تلقي حليماً بغيها ويشربها حتى يخر مجدَّلا

وقال آخر (طويل)

ولست بلاح لي نديمًا بزلة ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبي(٢)قول خدني وصاحبي ونحن على صهباء طيبة النشر
وايقنت ان السكر طار بلبه فاغرق في شتمي وقال وما يدري

ودخل أمية بن خالد بن اسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه آثار فقال : ماهذا ؟ فقال : قمت الليل فاصاب الباب وجهي فقال عبد الملك : (طويل)

رأتني صريع الخمر يومًا فسؤتها(٣) وللشاربيها المدمنيها مصارع

فقال امية : لا آخذني الله بسوء ظنك ياامير المؤمنين . فقال : لا بل لا آخذني الله بسوء مصرعك (٤) . ودخل حارثة بن بدر العداني على زياد وكان حارثة صاحب شراب وبوجهه اثر . فقال له زياد : ما هذا الاثر بوجهك ؟ فقال : ركبت فرسًا لي اشقر فحملني حتى صدم بي الحائط . فقال له زياد : اما انك لو ركبت الاشهب لم يصبك مكروه . وقال ابن هرمة الشاعر في شرفه ونسبه وجودة شعره يشرب الخمر بالمدينة ويسكر فلا يزال الشرط وقد اخذوه ورفعوه الى الوالي في المدينة فحده فوفد على ابي جعفر المنصور وقد قال فيه المدحة التي امتدحه بها وقافيتها لام فاستحسنها وقال له : سل حاجتك . قال : يا امير المؤمنين تكتب الى عامل المدينة ان لا يحدني ان وجدني سكرانًا . فقال ابوجعفر : هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطله فهل من حاجة غيره؟ قال لا والله ياامير المؤمنين فاحتل لي بحيلة فكتب المنصور الى عامله . من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين . فرضي ومضى بكتابه فكان العون اذا مرَّ به صريعًا قال : من يشتري ثمانين بمائة ؟ ثم اعرض عنه . وكان مالك بن قيس من ثقيف يشرب مع ابن

(١) في الاصل من تقرع بدون واو (٢) في الاصل عركت بجيني وفي الحاشية :لعله عزلت بجنبي وقبلها تصحيحه (٣) عقد الفريد بسوقها (٤) عقد الفريد لا بل آخذك الله الخ

الكاهلية يوم عرفة وهم محرمون فغلبه السكر فنام حتى فات الحج وادركه ابن الكاهلية فقال : (وافر)

اليس الله يامال ابن قيس وان غبنا عليك رقيب عين
أقم صدر المطية وانجُ اني اراني وابن نجبة هالكين

فاية جريرة اعظم من هذه واية غبنة اشد من غبنتها واية(١) صفقة اخسر من صفقتها وماذا يلقى صاحبها فاذا عاودها هان عليه القبيح قال القطامي (طويل)

افيء اذا اصبحت من كل عاذل وأُمسي وقد هانت علي العواذل

وقال ابن هاني، (رمل)

اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح

وسقى قوم اعرابية مسكراً فلما انكرت نفسها قالت لهم : ايشرب هذا نساؤكم ؟ قالوا نعم : قالت: لئن كنتم صدقتم لا يدري احدكم من ابوه . وكانت العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يشتدون علي النساء في شربه حتى ما يحفظ ان امرأة شربت ولا ان امرأة سكرت . وحدثني الرياشي عن الاصمعي قال :كان عقيل بن علقمة المري غيورا فكان يسافر ببنت له يقال لها الجرباء فسافر بها مرة فقال (طويل)

قضت وطراً من دير سعد وربما على غرض ناطحنهُ بالجماجم (٢)

ثم قال لابن له يقال له عملس : أجز فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته : اجيزي ياجرباء فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية عقاراً تمشى في المطا والقوائم

فقال : والله ما وصفتها هذه الصفة الا وقدشربتها ثم احال عليها يضربها (بالسوط) فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فخلوا فخذه بسهم فقال (رجز)

ان بني زملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

واخزم فحل والشنشنة الشبه (٣) وقد فضح الله بالشراب اقواماً من الاشراف فحدوا

---

(١) في الاصل واي (٢) جاء هذا البيت في الاصل هكذا :

قضت وطراً من دارسعدي على عرض باطحنه بالجماجم

(٣) ومرت حكاية عقيل والجرباء مرتين في العقد الفريد احداها في باب بعد الهمة وشرف النفس من كتاب مخاطبة الملوك (الجزء الاول) الثانية في باب قولهم في المناكح من

ودوّنت في الكتب اخبارهم ولحقت بتلك السبة اعقابهم · منهم الوليد بن عقبة (بن

كتاب النساء وصفاتهن (الجزء الثالث) وناهيك بقلة اعتناء مؤلفي الكتب بالشرق ان جميع من طبعوا العقد الفريد لم يقابلوا بين النصوص المكررة فيه فنجد مثلاً بيت عقيل هذا في الجزء الاول هكذا

قفت وطرًا من دير سعدو ربما علا عرض منها بدير الحماحم

وفي الجزء الثالث هكذا

قضيت رطرًا من دير سعد و ربما غلا غرض ناطحته بالجماجم

فلله درّ علماء المشرقيات فانهم لم تفتهم كلمة الا واثبتوها على اصح الرواية واتم القياس وان كان من شأنها ان يُنبه عليها القارئه دلوه عليها بالفهارس والمقابلات وحبذا لو اقتفى آثارهم علماء هذه الديار . اما الحكاية نفسها فهي من حكايات الاصمعي ولا فرق بينه وابين العقد الفريد ورواية كتاب الاشربة غير ان صاحب العقد اتمها بما يفيد ان عقيل بن علقمة المري كان رجلاً غيورًا فخورًا · وكان يصهر اليه خلفاء بني أمية فخطب اليه عبد الملك ابن مروان ابنته لبعض ولده فقال : جنبني هجناء ولدك وكان اذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه فخرج مرة فنزلوا ديرًا من ديرة الشام يقال له دير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل قفت وطرًا · الخ · قال: فاستغاثت باخيها عملس فحال بينه و بينها فاراد ان يضربه فرماه بسهم فخل فخذه فبرك فمضوا وتركوه حتى اذا بلغوا ادنى ماء لاعراب قالوا لهم انا اسقطنا جزورًا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنيّ زملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم شنشنة اعرفها من اخزم

والشنشنة الطبيعة واخزم فحل معروف وهذا مثل للعرب · فهذه رواية الاصمعي كما ترى وللمدائني رواية اخرى نقلتها ههنا اتمامًا للفائدة عن كتاب بدائع البدائه المطبوع على حاشية كتاب شرح شواهد التلخيص للعباسي (الجزء الاول ص : ٣٠٣ مصر المطبعة البهية سنة ١٣١٦) قال علي بن ظافر الازدي صاحب كتاب بدائع البدائه : روى المدائني ان عقيل بن علقمة المري خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته الجرباء فانتجعوا بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قضت وطرًا من دير سعد و ربما على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت ارضًا يموت غرابها بهـا عطشًا غطينه بالخزائم

ثم قال أجز يا علقمة فقال :

ابي معيط اخو عثمان بن عفان لامه) شهد عليه اهل الكوفة بشرب الخمر وانهم صلى بهم

اذا علم غادرنه بتنوفة   تدارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال اجز ياجثامة فقال :

واصبحن بالموماة يحملن فتية   نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال اجز ياجرباء فقالت : وانا آمنة ؟ قال نعم فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرخدية   عقاراً تمشت في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطبيك اما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة : وهل اساءت ؟ انما اجازت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فاصاب ساقه ثم شدّ عليها وقال : لولا يعيرني بنو مرة بعد اليوم ماذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزوراً وتركه وقصد قومه وقال : لئن اخبرت اهلك بشأن جثامة او قلت انه اصابه غير الطاعون اتيت عليك فلما قدموا على اهل اثير وهم بنو القين ندم عقيل على ما فعل بجثامة فقال لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا نعم قال : الزموا اثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور . فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه وقد انزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وانزلوه عليهم وعالجوه حتى برىء والحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحي تغنى جثامة يقول :

ايعذر لاهينا ويلحين في الصبا   وما هن والفتيان الا شقائق

فقال لهُ القوم انما افلت من الجراحة التي جرحك ابوك آنفاً وقد عاودت ما يكرهه فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لئلا يلحقك منه شرٌّ فقال : انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم . وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر لعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة اخاه عملس وانشد له البيت الاول ايضاً من بيتيه ثم ذكر انه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشلوا فخذه بسهم فقال :

ان بنيَّ زملوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم

شنشنة اعرفها من اخزم

قال علي بن ظافر الازدي : وذكر ابو الفرج هذا الرجز في حكاية اخرى تتصل بزيد ابن العباس التغلبي والربيع بن نمير قال : عدا عقيل بن علقمة على افراس له عند بيوته فاطلقها ثم رجع فوجد بنيه وامهم مجتمعين فشدَّ على علقمة بسيف فحاد عنه وتغنى بقوله :

قفي يا ابنة المري نسأ لك ما الذي   تريدين فيما كنت منيتنا قبلُ

الغداة(١)(ثلاث ركعات)وهو سكران فقال :(ان شئتم)زدتكم . شهره الله بذلك(٢)و بمنادمة ابي زبيد الشاعر وكان نصرانياً(٣) فحده علي بن ابي طالب بين يدي عثمان وفيه يقول الحطيئة :« كامل»

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه   ان الوليد احق بالعـذر
نادى وقـد تمت صلوتهم   أأزيدكم ثملاً وما يدري (٤)
ليزيدهم خـيراً ولو قبـلوا   لجمعت (٥) بين الشفع والوتر
كبحوا (٦) عنانك اذ جريت ولو   تركوا عنانك لم تزل تجري (٧)

نخبرك ان لم تجزي الوعد اننا   ذوو خلة لم يبق بينهما وصل
وان شئت كان الصرم بيني وبينكم   وان شئت لم تبق المكارم والبذل

فقال عقيل : يا ابن اللخناء متي منتك نفسك بهذا ؟ وشدّ عليه بالسيف وكان عملس اخاه لامه فحال بينه وبينه فشد علي عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فاصابت ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه و يرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله :

من يلق ابطال الرجال يكلم   ومن يكن ذا أود يقوّم

قال المدائني واخزم فحل لرجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملاً فقال : شنشنة اعرفها من اخزم . فأرسلت مثلا وذكر الحريري في تفسير بعض مقاماته ان اخزم جدّ حاتم الطائي وان جده الادنى سعداً ضربه له مثلاً لما رأى من تخلقه باخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ما ذكره ابو الفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تفريق عقيل اولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون اذاه بانشاد الغزل بحضرة اخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغاً في الظن شديد الرقاعة وهم من شياطين العرب .

(١) في العقد الفريد : الصبح

(٢) في الاصل وهو سكران وقال ازيدكم بشهر الله بذلك

(٣) في الاصل هنا فضاء واسع غطيناه بما وجدناه في العقد الفريد ولا نحسب الناسخ الا اغلطه تكرر كلمة فحده مرتين فانتقل من الاولى الى ثانية غافلاً عما بينهما من خبر الوليد فجعل عمرو بن العاص يحده بمصر وهو بالكوفة ولا ندري اكانت ابيات الحطيئة التي انشدها صاحب العقد انشدها ابن قتيبة ام لا ولذا نقلنا هنا نصاً لم يكن لنا بدٌّ من نقله بتمامه

(٤) كذا في ديوانه وهو يخالف ما جاء في العقد وهو : ليزيدهم خيراً ولا يدري

(٥) في ديوانه لقرنت

(٦) في ديوانه : خلعوا

(٧) ومما جاء في شرح ديوان الحطيئة لابي الحسن السكري قال : قال الهيثم بن عدي

ومنهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر)فحده هناك عمرو بن العاص سرًا فلما قدم على عمر رضي الله عنه حده حدًا آخر (علانية) . ومنهم العباس بن عبدالله بن العباس كان ممن شهر بالشراب وبمنادمة الاخطل الشاعروكان نصرانيًاوفيه يقول : (كامل)

ولقد غدوت على التجار بمسمح هرّت عواذله هرير الاكلب
لذ تقبله (١) النعيم كأنما مسحت ترائبه بماء مذهب

صلى الوليد بن عقبة صلوة الصبح بالناس وهو سكران فوثب جندب بن زهير وابو زينب الازديان فاخذا خاتمه من يده فلم يعلم بهما ويقال انه التفت اليهم فقال : أأزيدكم ثم ان الازديين رحلا الى عثمان ومعهما الخاتم فاعلماه ما كان من ذلك فقال او كلما عتب رجل على واليه جاء يقرفه بالحدود لأنكلن بكما ! فاتيا عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه فقال : عليكما بامّ المؤمنين فانه اشبع لامركما فاتيا امّ المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها فذكرا ذلك لها فقالت : كونا قريبا . فلما خرج عثمان رضي الله عنه الى صلوة العصر نادت عائشة : الا ان عثمان عطل الحدود وتهدد الشهود فدخل عثمان وهو مغضب فقال قائل ما لعائشة ولهذا ؟ انما هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم امرها الله ان تقر في بيتهافقال قائل : من احق بالنظر في امور المسلمين من امهم ؟ فلم يزالوا حتى كتب عثمان الى الوليد ان أقدم واحضر معك من يقوم بعذرك ان كان لك عذر . فاقبل في سبعين من اشراف الكوفة فيهم عدي بن حاتم وكان الوليد خلائقه خلائق عربية فكان في مسيره يأمر رجلاً فيرجز باصحابه ساعة ثم يركب وينزل آخرفيفعل مثل ذلك حتى ادركت الوليد النوبة فرجز باصحابه .

لا تحسبينا قد نسينا الايجاف والنشوات من معتق صاف

فقال عدي بن حاتم ياابا وهب ففيم تذهب اذًا ؟ فقدموا على عثمان فقال: ما تقولون في اميركم ؟ قالوا خيرًا وسكت عدي بن حاتم فقال ابو زينب وجندب بن زهير : سلهم هل كانوا شهدوه يوم اخذنا خاتمه . فقالوا لا . فقالا : ليس هؤلاء ممن جئنا في شيء . فقال عثمان : اما والله لقد كنت اخاف عليك هذا ونحوه قال وكان علي رضي الله عنه يقيم الحدود فامره عثمان ان يضربه فضربه عليّ بسوط له طرفان اربعين جلدة فقال : اعتزلهم ابا وهب فلا خير لك فيهم . فقال الوليد : والله لا اساكن عثمان ببلدة ابدًا الا بيني وبينه بطن واد فقال كثير بن الصلت الكندي ياابا وهب داري ببطحان ودارك بالسوق وبيني وبين المدينة بطن واد فهل لك ان اباد لك ؟ فبادله فتحول كل رجل الى منزل صاحبه ثم استعمل عثمان سعيد بن العاص على الكوفة مكانه فلما قدم الكوفة قال : لا اصعد المنبر حتى يطهر فغسل ثم صعد

(١) في الاصل يقبله

لباس اردية الملوك يروقه — من كل مرتقب عيون الربرب
ينظرن من خلل الستور اذا بدا — نظر الهجان الى الفنيق المصعب
فضل الكياس اذا تشتى (١) لم يكن — خلفا مواعده كبرق الخلب
واذا تعورت (٢) الزجاجة لم يكن — عند الشراب بفاحش منقطب

فاخبر انه غدا على تجار الشراب به واخبر انه يروقه عيون النساء ويرقنه · وكان عبيد الله بن عبدالله بن عباس من اجمل الناس وكان يقال له المذهب لجماله فمدحه كما كان يمدح بعض النصارى وكانت الشهرة في الشعر على حسب حسنه ورغبة الناس في حفظه · ومنهم قدامة بن مظعون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حده عمر بشهادة علقمة الحصي عليه وغيره في الشراب · ومنهم عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بابي شحمة حده ابوه في الشراب وفي امر آخر فمات · وعاصم بن عمر بن الخطاب حده بعض ولاة المدينة في الشراب · وعبدالله بن عروة بن الزبير حده هشام بن اسماعيل المخزومي في الشراب · وعبد العزيز (بن) مروان حده عمر بن الاشدق في الشراب · وممن فضح بالشراب بلال بن ابي بردة (الاشعري) قال يحيي بن نوفل الحميري (متقارب)

واما بلال فذاك الذي — تميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب — كمص الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطربا ناعسا — تخال من السكر فيه احولالا (٣)
ويمشي ضعيفا كمشي النزيف — تخال به حين يمشي شكالا

ومنهم عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي القاضي بالكوفة فضح بمنادمة سعد بن هبار فقال حارثة بن بدر (٤) · (وافر)

نهاره في قضايا غير عادلة — وليله في هوى سعد بن هبار
مايسمع الناس اصواتا لهم عرضت — الا دويا دوي النحل في الغار
فاصبح القوم اطلاقا اضر بهم — حث المطايا (٥) وما كانوا بسفار
يدين اصحابه فيما يدينهمو — كأسا بكأس وتكرارا ابتكرار (٦)

(١) في الاصل تمشى (٢) في الاصل تغوّرت (٣) العقد: انخلالا (٤) جاءت اخبار حارثة بن بدر في الجزء ٢١ من الاغاني فراجعها (٥) في الاصل وفي العقد المطي كذا اثبتناه لاجل الوزن (٦) في الاصل وفي العقد

يدين اصحابه فيما يدينهم — كأسا بكاس وتكرار بتكرار

وقدم صاحب العقد البيت الآخر على البيت قبله

وهذا عبد الملك بن مروان بعد اجتهاده في العبادة فضحه الله تعالى في الشراب فكان يشرب المغذي وقال له سعيد بن المسيب : بلغني ياامير المؤمنين انك تشرب بعدي الطلا . فقال اي والله والدماء . وهذا الوليد نقم عليه الناس شرب المسكر ونكاح امهات اولاد ابيه فقتلوه . وهذا يزيد بن معاوية كان يقال اذا ذكر يزيد الخمور والقرود فقال الشاعر فيه . (كامل)

ابني امية ان آخر ملككم جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشواته بالصبح تقعد تارة وتقوم

ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير وفيه يقول القائل (طويل)

اذا انت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا
امنت باذن الله ان تقرع العصا وان يوقظوا من رقدة السكر راقدا
وصرت بحمد الله في خير فتية حسان الوجوه لا تخاف العرابدا

والعجب عندي قوله * وان يوقظوا من نومة السكر راقدا * واكثر ما يوقظ السكران للصلوة افتراه حمدهم على تركهم ايقاظه للصلوة اذا سكر ؟ وهذا ابو محجن الثقفي شهد يوم القادسية وابلى بلاء حسناً شهر وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معديكرب فقدم عليه وهو القائل . (طويل)

اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

فحدثني عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب قال : اخبرني الاصمعي عن ابن الاصم عن عبد العزيز بن مسلم العقيلي قال رأيت قبر ابي محجن الثقفي بارمينية الرابعة تحت شجرات من كرم . (الباقي يتبع)

مطبوعات ومخطوطات

شرح ديوان المتنبي

ما رزق احدٌ من الشعراء حظوة كحظوة المتنبي في شعره وما خدم ديوان بمثل ماخدم ديوانه . ولعل ذلك والله اعلم من اجل تلك الحكم الرائعة التي تخللت شعره . وما يخيل لي ان المتنبي بقي اسمه يردد على الافواه كل يوم أُلوفاً من المرات الا بفضل حكمه والا فالمديح والنسيب الذي فيه يوجد مثله في دواوين غيره من الشعراء . اطلعت بالاتفاق على شرح لهذا الديوان لأَبي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ قال صاحب كشف الظنون فيه وهو اجمل ما وجدنا عليه من الشروح واكثرها فائدة ليس في شروحه مثله

قال فيه الشارح بعد البسملة والحمدلة والصلولة : اما بعد فان الشعر انق كلام . واعلى نظام . وابعد مرقى في درجة البلاغة . واحسنه ذكرًا عند الرواية والخطابة . واعلقه بالحفظ مسموعاً . وادله على الفضيلة الغريزية مصنوعاً . وحقاً لو كان الشعر جوهرًا لكان عقياناً . او من نبات لكان ريحاناً . ولو امسى نجوماً لزاد ضياؤُها . او عيوناً لما غار ماؤُها فهو الطف من در الطل . في اعين الزهر . اذا تفتحت الرياض غب المطر . وارق من دمع المستهام . ومن الراح رقوق بماء الغمام . وهذا وصف اشعار المحدثين الذين تأَخروا عن الجاهلية . وعن نأْنأَة الاسلام الى ايام ظهور الدولة العباسية . فانهم الذين اصبح بهم الشعر عذباً فراتاً بعد ما كان ملحاً اجاجاً . وابدعوا في المعاني غرائب اوضحوا بها لمن بعدهم طرقاً فجاجاً . حتى اصبحت روضة الشعر . مفتحة الانوار يانعة الثمار . مفتقة الازهار . متسلسلة الانهار . فثمرات العقول منها تجتنى . وذخائر الكتابة عن غرائبها تقتنى . وكواكب الآداب منها تطلع . ومسالك العلم من جوانبها يسطع واليها تميل الطباع . وعليها تقف الخواطر والاسماع . واليها ينشط الكسلان . وعند سماعها يطرب الثكلان . لما لها من المزاين والتدبيج . وسطوع روائح المسك الاريج .

وبعد ان اورد حديث ان من الشعر لحكمة وقول عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح قال : ولقد رويت اشعارًا منها القصيدة اربعون ودون ذلك وان الناس منذ عصر قديم قد اولوا جميع الاشعار صفحة الاعراض مقتصرين منها على شعر ابي الطيب المتنبي نائين عما يروى لسواه . وان فاته وجاوز في الاحسان مداه . . وليس ذلك الاّ البخت اتفق لها فعلاً وبلغ المدى وقد قال

هو الجد حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

وجاء في آخر الشرح . هذا آخر ما اشتمل عليه ديوانه الذي رتبه بنفسه وهو خمسة آلاف واربع بمائة واربع وتسعون قافية وتقرر الفراغ من نسخ هذا التفسير والشرح السادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين واربعمائة قال الشيخ الامام رحمه الله : انما دعاني الى تصنيف هذا الكتاب مع خمول الادب وانقراض زمانه اجتماع اهل العصر قاطبة على هذا الديوان وشغفهم بحفظه وروايته والوقوف على معانيه وانقطاعهم عن جميع اشعار العرب جاهليها واسلاميها الى هذا الشعر واقتصارهم عليه في تمثلهم ومحاضراتهم وخطبهم ومقاماتهم حتى كأن الاشعار كلها فقدت وليس ذلك الا لتراجع الهمم وخلو الزمان وتقاصر الرغبات وقلة العلم بجوهر الكلام ومعرفة جيده من رديه ومطبوعه من متكلفه ومع ولوع الناس بهذا الديوان لا ترى احداً يرجع في معرفته الى محصول او يعي ببيان عن مودعاته وغوامض معانيه ومشكلاته ....

وهاك نموذجاً صغيراً من شرحه قال :

ابى خلق الدنيا حبيباً تديمه فما طلبي منها حبيباً ترده

قوله تديمه من فعل الدنيا وكذلك ترده اي تدفعه ويجوز ان يريد ترده الى الوصل يقول حبيب تديمه الدنيا قد ابت ذلك اي تأبى ان تديم لنا حبيباً على الوصال فكيف اطلب منها حبيباً تمنعه عن وصالنا وكيف اطلب منها ان ترده الى الوصال بعد ان اعرض وهجر .

واسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

يقول ان الدنيا لو ساعدتنا بقرب احبتنا لما دام ذلك لان الدنيا بنيت على التغير والتنقل فاذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه فيدعه من قريب ويعود الى طبعه كما قال حاتم

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه وترجعه اليه الرواجع

ومثله قول الاعشى السني

ومن يقترف خلقاً سوى خلق نفسه يدعه وتغلبه عليه الطبائع
وادوم اخلاق الفتى ما نشابه واقصر افعال الرجال البدائع

وقول ابراهيم بن المهدي

من تحلى شيمة ليست له فارقته واقامت شيمه

وقال في شرح

واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

هو مثل ضربه لنفسه كأن يقول انا اتعب خلق الله لزيادة همتي وقصور طاقتي من الغنى عن مبلغ ما اهم به وهذا مأخوذ مما في الحديث ان بعض العقلاء سئل عن اسوإ الناس حالاً فقال من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقال الخليل ابن احمد .

رزقت لبًا ولم ارزق مروته وما المروءة الا كثرة المال
اذا اردت مسامات تقاعدني عما ينوه باسمي رقة الحال
فلا يخلل في المجد مالك كله فيخل مجد كان بالمال عقده

هذا نهي عن تبذير المال والاسراف في انفاقه يقول لا تذهب مالك كله في طلب المجد لان المجد لا ينعقد الا بالمال فاذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذي كان يعقد بالمال الا ترى الى قول عبدالله بن معاوية

ارى نفسي تتوق الى امور يقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخل ولا مالي يبلغني فعالي

وقد كتب الاصل بالحمرة والشرح بالحبر الاسود على عادة الكتب القديمة ولولا نقص كراس منه لكان جديرًا بالطبع وقد روى بعضهم ان هذا الكتاب مطبوع في اوروبا والنسخة التي تكلمت عليها كتبت في شهر رمضان سنة ١٠٧٥ وعدد اوراقها ٥٢٥ من الحجم الوسط

الادراك للسان الاتراك

نشر مسيو لوسين بوفا من مشاهير علماء المشرقيات عند الفرنسيس هذه الرسالة النافعة لمؤلفها ابي حيان الاندلسي المولود في غرناطة سنة ٦٥٤ هـ والمتوفى في مصر سنة ٧٤٥ وكان ابو حيان كثير التصنيف ذكر له مترجموه زهاء ستين مصنفًا وهو العلم المفرد في النحو وله خمس رسائل في نحو اللغة التركية وصرفها وقد قال عن هذه الرسالة انها لم ينسج على منوالها كتبها عقيب مقامه في مصر واختلاطه بالترك الذين كانوا ملوك عصره وهذه الرسالة تنقسم كما قال ناشرها الى كتاب مفردات اللغة التركية مترجمة الى العربية وفيها نحو الفين ومائتي لفظة والقسم الثاني في التلفظ والتصريف والقسم الثالث في النحو فنشكر للناشر عنايته اكثر الله في خدمة العلم امثاله

الفنون السبعة

اهدانا مسيو هرمان كيز من علماء المشرقيات من الالمان نسخة من هذه الرسالة وعنى بالفنون السبعة الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما وشرحها كلها بالالمانية مع ايراد بعض الفقرات باللغة العربية . والقوما والكان وكان لا يعرفهما سوى اهل العراق . وحبذا لو عاد هذه الآونة الى ما كان كتبه في هذا الموضوع واشبهه مع ترجمة جميع ما يكتبه بالعربية لتعم فائدته الجميع

مناقضات العلماء

اطلعنا على رسالة للامير شكيب ارسلان في رثاء فقيد اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي فما قاله فيها :

لم يبرح الدهر فتاك المضارب عن ايامه البيض او ليلاته السمر

اذا لهنا غافل عن رعي طارقة | فالشدائد منه بالغ النذر
كفى بريب المنايا واعظًا وجزا | رشدًا لمن كان من دنيا على غرر
تخالف الناس في الاهواء حين حيوا | وجمع الموت منهم كل منتثر
وقد يلج ببعض كيد شانئه | ولو درى لصفا صفوًا بلا كدر
وقد يحاول في اعدائه ظفرًا | وانه بين ناب الموت والظفر
كم وترت قوس ضغن كف ذي ترة | فأذهب الموت عزم الوتر والوتر
والدمع يغسل ما بالقلب من وضر | كما يزول غبار الارض بالمطر

الى ان يقولى بعد ان وفاه حقه من الرثاء

اليك حقك لا ظلمٌ ولا سرفٌ | لا ينكر الشمس الا فاقد البصر
وان يؤاخذك نقادٌ ببادرة | فليس يرجم الا مثمر الشجر
وقد يعاب الذي في البدر من كلف | وليس يسلب معنى الحسن في القمر (١)

الاسلام في افريقية الشرقية

« L'Islam dans l'Afrique occidentale, par M. A. Le Chatelier »

مسيو لشاتليه من كبار علماء المشرقيات المنصرفين في فرنسا الى دراسة احوال الشرق ولا سيما اهل الاسلام و بلادهم قضى في ذلك السنين الطويلة وهو اليوم رئيس ادارة مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ولهُ في الابحاث المشار اليها عدة مصنفات ممتعة ومنها هذا الكتاب الذي اتحفنا بنسخة منه قرأنا فيها ادلة على فضله وتحقيقه فقد تكلم فيه على مسلمي غربي إفريقية كلام من رحل اليهم وخالطهم وعرف عجرهم و بجرهم وشفع كلامه بنصوص تاريخية ووصف احوالهم الاجتماعية والدينية والمعاشية والسياسية فى سفر ضخم وقع في زهاء ٣٧٠ صفحة وشفعه بمصوّرات تفيد القارىء اذا اراد ان يتصور تلك البلاد . ومما استنتجهُ ان الاسلام عريق في تلك البلاد يرد عهده الى زمن عمرو بن العاص لما فتح مصر وجاءهُ ستة من البربر ودانوا بالاسلام وراحوا ينشرونه بين اهلهم وعشيرتهم وان الويز دي كادا موستو قال سنة ١٤٥٥ ان الاسلام يزداد انتشاره بين قبائل الزنوج في افريقية الغربية . ومن

(١) هذا البيت والذي قبله يشيران الى ما كان حدث بين المرثيّ والرآثي من المناقشة مرارًا وقد توخى الامير في هذه القصيدة جملة اغراض منها ان الانتقاد لا يسلب الفضل ومنها ان الموت يذهب الاحقاد ومنها ان التوجع لفقد كل انسان فرض على كل انسان لان ذهاب الفرد ايذان بذهاب النوع الذى يندمج في طيه كل فرد

رأي المؤلف ان الدين المحمدي يعم الزنوج في افريقية اذا لم يستخدم المرسلون الكاثوليك والبروتستانت الاسباب لتنصير من بقي منهم بلا دين . وعلى الجملة فقد وصف بلاد السودانيين والصحراء والبربر والعرب بما لم يبق بعده مجال لقائل شأن العارفين المحققين الذين يوءلفون ويحسنون التأليف فجاء هذا الكتاب مرجعاً يستفتيه كل من تهمه دراسة احوال اولئك الزنوج .

منهل الوراد

قسطاكي بك الحمصي من اعيان حلب مشهور بادبه وفضله الف بعد بحث ستة عشر عاماً كتاباً في علم الانتقاد اصدر الجزء الاول منه في نحو ثلثمائة صفحة صغيرة تكلم فيه على علم النقد عند العرب وقال انه لم يكن معروفاً عندهم ايام استبحار العلم والحضارة في اقطارهم وان ما عرف عنهم لا يصح في الاكثر ان يسمى نقداً وتكلم على تاريخ النقد عند سائر الأمم في القرون الوسطى والقرون الحديثة وعلى اساليب الانشاء ورتب الشعر وطبقاته وافاض في ذلك فهذا الجزء الاول هو في تاريخ النقد وموضوعه استوفى تاريخه عند الافرنج اكثر مما استوفاه عند العرب والجزء الثاني وهو تحت الطبع في قواعد هذا الفن وفروعه . وقد اهدى المؤلف كتابه لطلاب العلم وتلاميذ المدارس عساهم يقعون على فائدة في تضاعيف سطور صرف المصنف على تدوينها شطراً من العمر قائلاً انه خالف بذلك عادة متقدمي العلماء والكتاب في هذا اللسان العربي المبين من اهداء تآليفهم لبعض امراء عصرهم وحكام زمانهم كما فعل ابو منصور الثعالبي باهداء كتابه نثر النظم وحل العقد الى الملك المؤيد ابي العباس خوارزم شاه وكتابيه المشهورين فقه اللغة ويتيمة الدهر الى الامير عبيدالله ابي الفضل الميكالي وحذا حذوه الفتح بن خاقان باهداء كتاب قلائد العقيان الى امير المؤمنين ابي اسحق بن يوسف بن تاشفين والفيروزابادي باهداء القاموس لمجلس الملك الاشرف اسماعيل صاحب اليمن واهدى الفيلسوف ابن خلدون تاريخه الى امير المؤمنين ابي عبدالله المريني .

بارك الله لقسطاكي بك بهمته التي ساقته الى افراد هذا الفن بالتأليف . والنقد كما هو المعلوم يرتقي بارتقاء الامة فعسى ان يكون من الكتب النافعة ما ينتج منه ارتقاؤه في هذا العصر بين الامة العربية .

نجعة الرائد

اتحفنا الشيخ حبيب اليازجي بنسخة من هذا الكتاب النفيس في المترادف والمتوارد تأليف عمه فقيد اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي وفي هذا الكتاب ابواب مهمة لا يستغني كاتب

او معرب عن الفاظها وجملها التي اختارها الشيخ من ارق الالفاظ ومنسجم التراكيب للعرب وهذا الجزء في العلم والادب وما اليهما وفي سياقة احوال وافعال شتى مما يعرض في الالفة والمجتمع والمعاش وفي معالجة الامور وذكر اشياء من صفاتها واحوالها وهو يقع في ٢٢٥ صفحة جيدة الطبع والوضع تدل على بعد غور كاتبها وتدقيقه فحبذا لو اعتمدت عليه المدارس المصرية في التدريس والمراجعة فانه من خير ما أُلف في موضوعه وهو يطلب من مطبعة المعارف بالفجالة بمصر

كتاب الاخلاق

طبع محمد افندي هاشم الكتبي هذه الرسالة المفيدة للشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي التي كتبها الى بعض اخوانه سنة احدى وتسعين وخمسمائة هجرية بقلم بليغ يذكرنا بنمط الاندلسيين في الانشاء . وهذه الرسالة مما يعلي مقام الشيخ الاكبر في صدور المنكرين عليه دع عنك المعتقدين به لانه لم يذكر فيها مالا يقع تحت الحس بل ذكر فاضل الاخلاق وسفسافها ومما قاله فيها : وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هي تقوية النفس الناطقة فان بهذه النفس تكون جميع السياسات وهذه النفس اذا قويت (واصبحت) متمكنة من صاحبها امكنه ان يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع ابداً مكارم الاخلاق واذا لم تكن هذه النفس قوية في صاحبها وكانت مقهورة خافتة فاول ما ينبغي ان يعتمده في سياسة اخلاقه ان يروض هذه ويقويها وتقوية هذه النفس انما يكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة وداوم عليها تيقظت نفسه وتنبهت وانتعشت من خمولها واحست بفضائلها وانفت من رذائلها وذلك ان هذه انما تضعف وتخفت اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها فاذا اقتبست الفضائل واكتسبت الآداب تيقظت من غشيتها وثارت من سكرتها وقويت بعد ضعفها وفضائل هذه النفس هي العلوم العقلية وخاصة ادق منها والرسالة كلها من هذا النمط في الانسجام والمرامي السامية في تهذيب النفس واشرابها حب الفضيلة .

غريب القرآن

طبع محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه هذا الكتاب المسمى بنزهة القلوب للامام ابي بكر محمد بن عزيز السجستاني من اهل المئة الرابعة وهو على حروف المعجم مشروح الطف شرح واسهله تيسر لطالب معاني مفردات الكتاب العزيز ان يرجع اليها في اسرع ما يمكن والكتاب من الحجم الصغير ويطلب من طابعه بالقاهرة بثلاثة قروش

امالي السيد المرتضى

السيد المرتضى المتوفى في سنة ٤٣٦ هو شقيق الشريف الرضي الاول عالم والثاني اديب وقد طبع هذه الآونة محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه اماليه وهي اربعة اجزاء صدر الجزء الاول منها وقد جعل اشتراكه ١٥ قرشاً اميريّاً بالاشتراك اذا اشترك المشترك قبل صدور الجزء الثاني وما بعد ذلك يباع بخمسة وعشرين قرشاً . وهذا الكتاب هو احد مآخذ كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي وفيه نبذ كثيرة في الادب والتاريخ قد لا نجد اكثرها في الكتب المتداولة وقد جعله المؤلف مجالس مجالس فكان هذا الجزء اثنين وعشرين مجلساً كل مجلس فيه ما رق وراق من الاخبار والآثار مثل تراجم بعض الدهريين والزنادقة والمعمرين وبعض رؤساء المعتزلة ومما رواه لابن المقفع من الحكم قوله: قيل ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخر جوابه فكتب اليه كتاباً آخر يستريثه فكتب اليه عبدالله : ان الاخاء رق فكرهت ان أملكك رقي قبل ان اعرف حسن كنهك . وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك . وكان يقول اذا نزل بك امرٌ مهم فانظر فان كان مما لهُ حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وقال لبعض الكتاب : اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انهُ يحسن مثلها . ومن كلام الجاحظ : ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى . وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة .

وروى من اخبار المعمرين ان عبدالمسيح بن بقيلة الغساني ذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انهُ عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيّاً وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوي انسابكم فبعثوا اليه بعبدالمسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال: أنعم صباحاً ايها الملك قال: قد اغنانا الله عن تحيتك فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال: من ظهر ابي . قال : من اين خرجت قال : من بطن امي . قال : فعلام انت قال : على الارض قال : ففيم انت قال : في ثيابي . قال : اتعقل لا عقلت . قال : اي والله وأقيد . قال : ابن كم انت . قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط اني اسأله عن الشيء وينحو في غيره . قال : ما اجبتك الا عما سألت فاسأل عما بدالك . قال اعرب انتم

ام نبط قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا . قال : فحرب انتم ام سلم . قال : بل سلم . قال : فما هذي الحصون . قال : بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه . قال : كم اتى لك . قال : خمسون وثلاثمائة سنة . قال : فما ادركت . قال ادركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود الا رغيفاً حتى تأتي الشام ثم قد اصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال : ومعهُ سم ساعة يقلبهُ في كفهِ . فقال لهُ خالد : ما هذا في كفك . قال : هذا السم . قال : ما تصنع بهِ . قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلاً وبلاءً اشربهُ فاستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير . قال خالد: هاته فاخذه ثم قال بسم الله و بالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشربهُ فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلاً ثم عرق فافاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشأ يقول :

ابعد المنذرين ارى سواماً يروّح بالخورنق والسدير
ابعد فوارس النعمان ارعى مراعي نهر مرّة فالحفير
تحاماهُ فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج بني قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساة او سرور

وبالجملة فالكتاب رخيص الثمن ثمين القيمة والنفع جداً وقد عني السيد محمد بدرالدين النعساني الحلبي بتصحيحه وضبط الفاظه وتعليق بعض حواشٍ عليه وهذا الجزء في ٢٣٠ صفحة مطبوع الطبع المتوسط مشكول محل الاشكال من الفاظه

المقتبس

الجزء الخامس من المجلد الثاني

جمادى الاولى سنة ١٣٢٥ الموافق يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧

غلو الشرقيين

عرف علماء البيان المبالغة بأنها وصف شيء بما يزيد على ما في الواقع واختلفوا في جوازها واباحتها فجعلوا منها المقبول ومنها المردود وهو الرأي الراجح وقسموا المبالغة الى اقسام ثلاثة الاول التبليغ وهو وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه في العادة والثاني الاغراق وهو وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة والثالث الغلو وهو الوصف الذي لا يمكن في عقل ولا عادة ·

ولقد راجت سوق الغلوّ ولا تزال رائجة في الشرق بما سرى اليه من ضعف العقول بضعف العلوم التي تنفع في التمييز بين ما يقع وما يمتنع · والغلو موجود عند كل امة ولكنك تراه على اشده عند المشارقة فان المفهوم من تاريخ المغاربة وآدابهم بأنهم دوننا في المبالغات والسبب في ذلك والله اعلم ان فلسفة ابناء الغرب فلسفة حسية مبنية على الحس وفلسفتنا فلسفة خيالية ·

الشرقي يبالغ ويفحش في الغلوّ بالدقيق والجليل من شؤونه الدنيوية والاخروية فقد بالغ في تصوير الامور الروحية حتى صار كثير من أممه يؤلهون المخلوقات ويسجدون للجمادات والعجماوات او يثبتون لما يحترمون من الآدميين من ضروب الصفات ما تضل في تكييفه العقول ويعتريها الذهول ·

جاءت الاديان السماوية لنزع هذا الغلوّ من العقول فسلمت بتعاليمها العقول في بعض اصقاع الشرق حيناً من الدهر حتى عادت بالتدريج الى سابق اغراقها وافراطها في وصف

البشر وتأليهم الى حد الهزل فدل ذلك على عموم الجهل وضعف العقل · الشرقي يبالغ في تصوير الصفات فاذا وصف احدًا بالعفة اختلق لهُ من النعوت ما تمليه المخيلة وتساعد عليه محفوظاته من الفاظ اللغة واقل ما يصف به من يريد وصفه ان يثبت له من الصفات ما لا يليق بعضه الاّ باكبر دعاة الحكمة من افراد العالم ·

الشرقي يبالغ اذا وصف احدًا بالسخاء والشجاعة والمروءة والشمم وكل ما يرفع النفوس الى المقامات السامية · وفي دواوين الشعر وكتب المحاضرات امثلة اكثر من ان تحصى او يستشهد بها فاقرأها يتجلى لك كيف تضيق الاحلام بالاوهام وأنى تسطو الخرافات على المخلوقات ·

نعوذ بالله من شعرائنا الجاهليين والمخضرمين والمولدين اذا انشأوا ينشئون القصائد ويشدون بالمناقب والمحامد · تأملها مليًا وضعها على محك النقد الصحيح وانصف في تطبيق مفاصلها على الحقيقة وانظر اذا كنت لا توجب عليهم الكفارات لفرط ما غلوا في المبالغات واذا غاليت ايضًا فاحكم عليهم بالجلد مئين واسجنهم لئلا يعلموا الناس هذا الخلق المشين ويحملوا اليهم ذاك الرأي الافين والداء الدوي الدفين · وقل معي ان امة تقول « اعذب الشعر اكذبه واشعر الناس من استجيد كذبه » هي هي امة المبالغة والغلوّ ·

ومع ان الحساب من اختراع الشرقيين وكان لهُ فيما مضى بين ظهرانيهم شأن عظيم ترى خاصتنا دع عنك عامتنا في القديم والحديث اذا عدوا وقاسوا نسوا الحساب والمساحة واذا قدروا اوغلوا في عالم الخيال وخرجوا عن طور الحس وتناسوا التدقيق فكالوك او وزنوك بالالوف وربما كانت الحقيقة في العشرات ·

ترى قومنا هداهم الله اذا سألت اكثر الطبقة العالية منهم كم قوّة الدولة الفلانية اجابوك لساعتهم كذا وكذا بتحديد الارقام مع انك لو سألت كبار رجال تلك الدولة لتمهلوا في الجواب واضطروا ان يرجعوا الى حساب وربما بقيت في نفوسهم بعد ذلك من صحة ما قالوا اشياء كما مات الفراء وفي نفسه شيء من حتى ·

ترى كثيرين من خاصتنا اذا سألتهم عن الثروة لا يسعك الا ان تقف شاخصًا تستعيذ بالله من غلوّ المشارقة وتجويزهم الكذب وايغالهم في الباطل وضعف استقرائهم واستنتاجهم وغفلتهم عن القياس · قف واسأل الله السلامة وهم يصورون لك صاحب المئة من اصحاب الالوف وصاحب الالف من اصحاب مئات الالوف وهكذا الى ما شاء الله وشاء اتساع عقولهم ·

ولقد كان بعض الظرفاء يقول: اذا ذكرت اموال صاحب الثروة في الشرق وقدر

ما تملك يمينه فاحذف صفرين من يمين الارقام فاذا قالوا لك ان فلاناً يملك عشرة آلاف فاعرف انه يملك مئة واذا قيل لك مئة الف فاعرف انه يملك عشرة آلاف وهكذا افرض اقل تعديل لعلك تسقط على الحقيقة وكان يقول اذا لم تصدق فاسأل العادين ممن يقدرون ثروات الافراد الى آخر درهم مما عندهم على حين انك لو سألت اصحابها عما يملكون لما عرفوا ان يقدروا لك الا بالتخمين والتقريب هذا اذا لم يكونوا من اهل الغلو والاغراق

اجارك الله من شرقي يتشدق بذكر عالم عرفه او سمع به او جد نسب اليه ولا سيما اذا كان ذاك العالم في عالم الاموات والشرقي يرى المبالغات بالاموات من اقرب القربات ولعله يحيل على بعيد عن قصد لان الحكم على الاحياء القريبة يستلزم منه ان يأخذ المتكلم من عنان لسانه و بيانه

ساعدت الجرائد والمطابع والمدارس على تخفيف الشرقيين من المبالغات ولكنها لم تتمكن الى اليوم من نزع هذا الخلق المتأصل في السواد الاعظم وبعض الناس في الغالب مسوقون الى المبالغة بحكم العادة والبيئة . ولقد وقعت من ذلك حادثتان كانتا من اكبر الادلة على ان هذا الخلق فينا لا ينزع الا اذا اكثر الكتاب من التنديد فيه وعملنا كلنا على قلب اوضاع مجتمعنا وعاداته .

فالحادثة الاولى جرت في مصر إبان مسألة العقبة في السنة الماضية فقالت احدى الجرائد المتحمسة ان الدولة حشدت في عريش مصر ثمانمائة الف جندي كتبت ذلك برقم غليظ ولما سئلت من الغد في معنى هذه المبالغة قالت ان المحشود من الجنود هو ثمانون الفاً وان الصفر زائد وبعد التحقيق تبين ان ما كان جمع هناك من الجند لم يتجاوز الالفين فتأمل مبالغة تقولها جريدة كبرى في مدينة كالقاهرة في مثل هذا العصر عصر الاحصاء والتقدير في قطر اتصل جنوبه بشماله وشرقه بغربه بالخطوط الحديدية والاسلاك البرقية والتلفونية بحيث لا يحتاج تحقيق هذا الغلو الا لشيء من البحث

والحادثة الثانية جرت لصاحب هذه المجلة اذكرها للقارىء على سبيل التمثيل والفكاهة فاني ما ذكرتها الا وذكرت معها غلوّ الشرقي . ذلك اني كنت منذ تسع سنين اكتب جريدة الشام فنعى الناعي ذات يوم رجلاً من وجهاء الاكراد في صالحية دمشق كان معروفاً بين اهل جيله وحيه بانه من المعمرين المتمتعين فقال لي الناعي وكان من اكابر الفضلاء: اكتب انه مات عن خمس وثلاثين سنة بعد المئة . فقلت له : ان العدد عظيم فهل لك ان تنزله فنهرني وقال : اكتب والحق اقول ان المرحوم كان اطول عمراً مما قلت لك يعرف ذلك الناس حتى ان فلاناً قال لي ذلك واكده افلا يسعك ما يسع العارفين به وعندها

كتبت : ومات عن عمر جاوز الخامسة والثلاثين بعد المئة · ولم يكتف الناعي بذلك بل قال ان المتوفى خلف خمسمائه نفس ذكورًا واناثًا فكتبت بعد تأبينهِ والغلوّ في ذكر عاداته وصحته طول حياته : ومما يجدرُ بالذكر ان لهُ من الولد وولد الولد ما ينوف عن خمسمائة نفس ذكورًا واناثًا ·

كتبت هذا وانا بين الشك واليقين في صحته لكني كنت والحق يقال الى اليقين اقرب لان الناقل ممن اعتقد فيهم سعة العقل وصحة القياس · فاعجب الناس بما كتب وتحدثوا به وربما زاد بعضهم فقال : ان عمر المرحوم كان اكثر مما ذكر وان الجريدة اخطأت في تقدير عمره ولعل سنه لا تقل عن مئة وخمسين واولاده واحفاده اكثر من ذلك بمئين ·

ولما انتشرت الصحيفة في البلاد تناقلت الخبر عنها بعض المجلات العلمية واكثر الجرائد السيارة في البلاد العثمانية وربما لم تغفل زميلاتها في مصر ايضًا عن نقل هذا النبإ الغريب فدهشت من هول ما رأيت ونبهني احد العقلاء الى هذا التسرع في الحكم على عمر الميت واولاده فلم يسعني الا ان اخذت في تحقيق الخبر فتبين ان الرجل لم يتجاوز المئة وان ابناءه وابناء ابنائه هم دون الخمسين بيقين · وان ظل بعض احباب المبالغة يقولون ان الرجل مسن جدًا وقد حارب في جيش ابراهيم باشا المصري ولكن لم يسعهم ان يكثروا في عداد اولادهِ لان الاغراق في عددهم يكذبه العيان واما عمر والدهم فليس فيه مستند تاريخي صحيح يعول عليه ما دام الشرقي يأخذ تاريخ رجاله واكثر ساسته في الاكثر من افواه الشيوخ والعجائز · وبعد مدة ظهر لي ان المتوفى المشار اليه كان جاء الى ادارة تلك الجريدة بنفسه قبل وفاته بسنتين وكتبت تعجب منهُ ومن صحتهِ ونشاطهِ وقالت ان عُمره مئة وخمس وعشرون سنة · فكان ما جرى من المبالغة في تقدير عمر الرجل وعدد اولاده واحفاده اشبه بما تأتيه الجرائد الصفراء في اميركا من الغلو في تجسيم الاخبار لالفات الانظار ·

واحسن تعليل للمبالغة ما ذكره ابن خلدون بقولهِ : وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبًا منهُ وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء والموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونهُ وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطاء ولا عمدٍ ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة

ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه و يسيم في مراتع الكذب لسانه و يتخذ آيات الله هزوءًا و يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة ·

المرأة في الاسلام (١)

تعدُّد الزوجات حالة لازمة لبعض درجات النشوء العمراني لا مناص منها فكثرة الحروب بين القبائل وما ينشأ عنها من نقص الرجال مع حفظ عدد النساء واستبداد الامراء امور كلها توجب هذه العادة التي نستقبحها في عصرنا هذا ونراها ضررًا عظيماً ·

ولقد عُرف تعدد الزوجات في القديم بين الامم الشرقية كافة واستعمال الملوك لها وهم مظنة الاتصال بالله تعالى حللها للرعية وحببها اليهم وقد انتشرت في الهندوس وهم مجوس الهند منذ إبتداء امرهم والظاهر انهم كانوا كالماديين والاشوريين والبابليين والفرس لا حدَّ لهم في ما يمكنهم التزوّج به من النساء وان براهمة « الصف الاول » الى يومنا هذا باح لهم من تعدد الزوجات ما تشتهي نفوسهم

وانتشرت هذه العادة ايضاً في بني اسرائيل قبل ظهور موسى وهو رضي بها من غير ان يضع حدًّا لها الاَّ ان التلمود في الاعصر المتأخرة علق العدد على كفاءة الرجل ومع ان الربانيين وهم احبار اليهود نصحوا للناس بان لا يتزوَّجوا باكثر من اربع فقد خالفهم القراءون في ذلك ولم يجوزوا وضع حد ما ·

ودين الفرس الاقدمين يكافيء الرجل على تعدد زوجاته وقد انحطت هذه العادة عند الفينيقيين والسوريين الاقدمين الى الخروج عن الاطوار البشريه وبلغت عند التراسيين والليديين والبلاسجيين الذين نزلوا القارة الاوروبية وغربي آسيا مالم تبلغه عند غيرهم وكانت المرأة عند الاثينيين وهم ارقى الشعوب الخالية متاعاً يُباع ويشرى ويورث ويوصى به بعد الموت · وابيح لهم من التعدد ما شاؤا ·

اما رومية فان الاحوال الخاصة التي بنيت عليها ادارتها منعت تعدد الزوجات غالبًا· ومهما يكن من صحة ما ورد من اغتصاب الصابنيات فان وجود هذا الخبر في الاساطير الرومانية يدل على الاسباب التي دخلت في سن الشرائع الرومانية الخاصة بالزواج · اما في الاقطار المجاورة وخصوصاً عند الاترسكانيين فان تعدد الزوجات كان من العادات الممتاز اصحابها · ومجاورة الرومانيين لغيرهم من الامم سكان ايطاليا احقابًا متوالية وحروبهم

(١) معربة عن الانكليزية من كتاب « روح الاسلام » للامير علي العالم الهندي الشهير

وانتصاراتهم قروناً عديدة مع ما ينشأ عن ذلك من عادات البذخ والترف كل ذلك كان منه اخيراً ان الارتباط الاخلاقي في الزواج اصبح شبيهاً بالالفاظ المرددة ليس الاّ

واذا كان تعدد الزوجات ممنوعاً في صريح القانون الروماني فان السيدات الرومانيات بعد الغلبة على قرطاجنة تطالت نفوسهن للانتفاع من منافع جمهورية حرة ضخمة كالجمهورية الرومانية فلم يروهن غير العاشقين واصبح الزواج حينئذٍ تسرياً مختلطاً . وتشير حرية النساء وضعف ارتباطهن بالرجال وكثرة تغيير الزوجات وافراغهن على الغير — الى انتشار تعدد الزوجات تحت اسم مستعار .

وفي غضون ذلك ابتدأت تعاليم النصرانية الاولى تنتشر على شطوط الجليل وتنير العالم الروماني كله . وتأثير الاسينيين الظاهر في تعاليم المسيح وما يضاف اليه من الاعتقاد بقرب الساعة كل ذلك حمل نبي الناصرة على الحط من قدر الزواج عموماً وان لم يمنعه صراحة

وهكذا بقي حال تعداد الزوجات حتى منعه يستيانس الا ان هذا المنع القانوني لم يغير شيئاً في آداب الامة وبقي حال تعدد الزوجات كما كان عليه حتى مجته اذواق اهل القرون المتأخرة وكانت الزوجات ما عدا الزوجة الاولى تئن تحت اعباء ثقيلة لا حقوق لهن ولا ضامن بل كن عبيد اوهام ازواجهن وتصوراتهم واولادهن لا يورثون بل كانوا يدعون نغولاً ويعاملون معاملة المتشردين ولم يكن هذا النوع من الزواج محصوراً في الطبقة العالية فقط لان خدمة الدين كثيراً ما نسوا عهد الرهبانية وارتبطوا بغير واحدة من النساء سواء كان ارتباطاً مشروعاً او غير مشروع

ومن المحققات التاريخية التي لا تقبل الشك ان تعدد الزوجات لم يستنكر الاّ في الاعصر المتأخرة . والظاهر ان القديس اغسطينس نفسه لم يرَ فيه سقوطاً في الآداب او اثماً وحرجاً بل صرح ان تعدد الزوجات لا يعد جريمة لان قوانين البلاد تبيحه . واننا نرى المصلحين الجرمانيين وهم في عصر متأخر كالعصر السادس عشر اباحوا الزواج مثنى وثلاث لاسباب العقر او ما اشبهه

ويقول بعض الباحثين وهم لا يرون اثماً في تعدد الزوجات ان المسيح لم يصرح بمنع هذه العادة ويذهبون الى ان الاقتصار على زوجة واحدة هو من العوائد الداخلة على النصرانية من الجرمانيين او اليونانيين والرومانيين . اما الاحتمال الثاني فهو يخالف الحقائق التاريخية مخالفة ظاهرة ولا يجدر بالذكر .

واما الاحتمال الاول وهو القول بالاصل الجرماني فانه يتوقف على شهادة ضعيفة لواحد او اثنين من الرومانيين الذين هم اكذب الناس في شهادات ينتفعون من التلاعب بها

ولو فرضنا صحة شهادة تاستس فبماذا نعلل تعدد الزوجات بين سراة الجرمانيين حتى في القرن التاسع عشر ؟

ومهما يكن من عوائد الرومانيين في العصور الاولى فمن الواضح ان تعدد الزوجات في اواخر ايام الجمهورية وابتداء الامبراطورية كان سنة مقررة او على الاقل لم يحسب مخالفاً للقانون . والامر الصادر بمنع نشر تعدد الزوجات يشير الى وجوده واستعماله ونجاح هذا الامر «البريتوري» في اصلاح الخلل ودفع الضرر يظهر لمن طالع جواب الامبراطور هونوريس والامبراطور اركاديس في اواخر القرن الرابع وعرف سلوك قسطنطين وابنه الذين كانت لهما زوجات متعددة . وان الامبراطور فالينتيان الثاني اذن علناً لافراد رعيته ان يتخذوا من الزوجات ما شاؤا . اما الكنيسة في تلك الاعصر فلا نرى في تاريخها ما يدل على ان الاساقفة او رؤساء الكنيسة استاؤوا او اظهروا اقل اعتراض على هذا القانون بل اننا نرى ملوك رومية كانوا على العكس وتزوَّجوا بعدة نساء وكذلك عامة الناس لم يقصروا عنهم فقلدوهم .

وهكذا بقي حال الشرائع الرومانية حتى ايام يستيانس حين تجمعت حكمة ثلاثة عشر قرناً من قرون النشوء في تدبير المعيشة فسنت تلك الشرائع الجديدة التي لم يكن للنصرانية فيها اثر يذكر واعظم مشيري يستيانس كان ملحداً وثنياً . على ان منع تعدد الزوجات في قوانين يستيانس لم ينجح في ابطالها وايقاف اميال العصر . وهذا القانون يدل على ترق في الفكر واختص تأثيره ببعض الافراد ارباب العقل واما العامة فكان عندهم حبراً على ورق

اما في مقاطعات غربي اوروبا فاختلاط البرابرة بالسكان الاصليين وامتزاج آدابهم بآدابهم حط من علاقة الرجل بالمرأة . ولا ينكر ان بعض القوانين البربرية سعى في اصلاح تعدد الزوجات الا ان المثال اقوى من الكلام فكان اعتياد الملوك هذه العادة قدوة للعامة لا يقوى عليها النظام حتى ان خدمة الدين والرهبانية الدائمة مما يستحب لهم حبا بطاعة الكنيسة قد رووا انفسهم من عادة تعدد الزوجات بحصولهم على رخصة بسيطة من المطارنة او غيرهم من رؤساء الدين

واعظم خطاء ارتكبه كتاب النصارى اعتقادهم ان النبي العربي تمتع بتعدد الزوجات او شرعه وما كان يقال قديماً من انه هو الذي احدث هذه العادة هو علامة على جهل القائلين به وقد ظهر فساده ورده الاعداء والاصدقاء . واما القول بان النبي انتحل هذه العادة او شرعها فلا يزال تقول به عامة النصرانية وكثير من خاصتها من اهل العلم ولكن لا رأي افسد من ذلك وان النبي لم يجد عادة تعدد الزوجات في امته فقط فقد وجدها

شائعة عند جميع الامم المجاورة حيث اتخذت بعض اقبح صورها . نعم ان المملكة النصرانية سعت في دفع هذا الضرر الا انها حاولت عبثًا فتعدد الزوجات بقي على ما كان عليه من غير وازع والمرأة البائسة ما عدا الزوجة الاولى بقيت تئن انينًا

وقد كانت بلاد فارس ايام النبي منبعث الفساد ولم يكن لها قانون للزواج معترف بهِ واذا فرضنا وجوده فانهُ كان مجهولاً منبوذًا . ولما لم يحدد الزندفستا عدد الزوجات التي يمكن التزوج بها أرخى الفرس لانفسهم عنان التمتع بزوجات متعددة شرعيات وسراري

وزواج المتعة كان مالوفًا عند الجاهليين واليهود مع عادة تعدد الزوجات فاثرت هذه التصورات الاخلاقية الدنيئة في الجزيرة العربية اسوأ تأثير .

حسنت الاصلاحات التي قام بها النبي العربي حال المرأة تحسينًا ظاهرًا ورفعت مقامها لان المرأة كانت في الجاهلية وعند اليهود من اهل الجزيرة العربية على احط ما يكون فكانت الفتاة اليهودية تعامل كالخادمة حتى في بيت ابيها وكان له ان يبيعها اذا كان مقلاً من المال ولاولاده من بعده ان يتصرفوا بها كيفما شاؤُا وهي لا ترث شيئًا من مال ابيها ان لم يمت ابتر لا ذكور لهُ وكانت تعدُّ المرأة عند الحضر من العرب مالاً وتحسب جزءًا صحيحًا من ثروة والدها اوزوجها والارملة تصبح بعد وفاة زوجها مما يرثه الاولاد لذلك كثيرًا ما تزوج الابناء بزوجات آبائهم من بعدهم وهو زواج حرمهُ الاسلام وسماه المسلمون زواج المقت . ومما استعمل في الجزيرة العربية من العادات السيئة ايضًا عادة تعدد الازواج استعملها اهل اليمن

وبلغ من بغض الجاهليين للنساء انهم كانوا يئدون بناتهم وهي عادة فظيعة كانت منتشرة بين قريش وكندة . وقد استقبحها النبي جدًا وانكرها بعبارات كالصواعق بل هي اشد وجعل لها ولعادة تقديم الاطفال للارباب اشد العقاب

اما المرأة في المملكتين الفارسية والبيزنطية فكانت منحطة جدًا وبعض اهل الطيش ممن دعاهم النصارى بعد زمن « قديسين » كان ديدنهم ان يحطوا من قدر المرأة ناسين ان الشر الذى رأوه فيها انما هو صورتهم المعكوسة . وعلى هذا الحال من الانحطاط العمراني والانحلال الادبي ونداء الناس ان الشرائع القديمة وجدت بعد وزنها بميزان التجربة ناقصة ادخل النبي اصلاحاته فجعل احترام المرأة من اركان دينه ودعى اتباعه ابنته « خاتون الجنة » حبًا بها واحترامًا لها وهي عندهم مثال لنوعها « وسيدتنا الزهراء » تمثل الاخلاق الفاضلة وعفة الازار في المرأة وهي اشرف كمال ادركه الانسان وقد خلفتها سلسلة من النساء طويلة كرمت هذا الجنس بفضائلها حتى قل من لم يسمع بالسيدة رابعة

و بالف من اضرابها . وقد منع النبي في شريعته عادة الزواج المشروط ومع انهُ اباح المتعة في اول الامر لكنهُ حرمها في السنة الثامنة من الهجرة (١) واعطى المرأة من الحقوق ما لم يكن لها من قبل وخولها امتيازات سوف نُقدر قدرها كما تقدَّم الزمن فساواها بالرجل كل المساواة من حيث استعمال القوى الشرعية و وضع لتعدد الزوجات حداً اعلى وشرط العدل بينهن ومما هو حري بالنظر ان الآية القرآنية التي تبيح التزوج باربع يتبعها ما يرجع العدد الى الحد الطبيعي والآية هي « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة »

والتشديد في هذا الشرط مع النظر الى معنى كلمة العدل في التعاليم القرآنية لم يخفَ على عقلاء الامة الاسلامية وليس المقصود من العدل المساواة في المسكن والملبس وغيرهما من الحاجات الاهلية بل المقصود منهُ ايضاً المساواة في المحبة والميل والتقدير ولما كان العدل التام في مسائل الشعور مما يستحيل كانت نتيجة الاباحة هي المنع وهذا لم يخف على بعض ائمة القرن الثالث و بعض ائمة المعتزلة في عصر المأمون فقد قالوا ان تعاليم القرآن تنتج اباحة التزوج بزوجة واحدة فقط . ومع ان اضطهاد المتوكل الطائش منع نشر مبادئهم فان الاعتقاد يسري في اركان البلاد الاسلامية الراقية بان تعدد الزوجات مخالف لروح الشريعة الغراء كما ينافي تقدم العلم والتمدن .

ومما يجب النظر اليه ان تعدد الزوجات ينشأ عن احوال خاصة ففي بعض الازمنة وفي انتقال الهيئة الاجتماعية من حال الى حال يكون من الضروريات الاساسية لحفظ المرأة من الهلاك . واذا صحت الاخبار والاحصائيات فاكثر الفظائع المنتشرة في منبعث المدنية الغربية ناشيء عن الحاجة الشديدة وقد اشار ابهك والسيدة دف غوردن الى ان تعدد الزوجات في الشرق هو في الغالب مما تؤدي اليه ضرورة الحال .

ولما تقدَّمت الافكار وتحوَّلت الاحوال ذهبت ضرورة تعدد الزوجات واصبح استعمالها اما مهجوراً مسكوتاً عنهُ او ممنوعاً صراحة . ولذلك اصبحت البلاد الاسلامية التي تغيرت فيها الاحوال الداعية الى تعدد الزوجات تعد هذه العادة ضرراً عمرانياً ومبدأ يخالف روح الاسلام على حين لابد من استعمال هذه العادة في البلاد التي لم تتغير فيها هذه الاحوال حيث لا توجد الوسائط المعاشية التي تعتمد عليها النساء في البلاد المتمدنة .

---

(١) لم تزل فرقة من الشيعة تبيح المتعة ولا نرى بداً مع احترامنا لمجتهدين اهل هذا الرأي من القول بان المتعة وضعت لمناسبات الوقت او لاميال الامراء الذين نشأ هؤلاء المجتهدون في ايامهم وفي كثير من اقوالهم اثر للاميال الشخصية

ولمعترض ان يقول ان الاباحة الكلامية تترك محلاً للتمتع المشبوه والتلذذ المستكره لذلك يكون ابطال تعدد الزوجات من الاعمال الشاقة ونحن نسلم بقوة هذا الاعتراض وهو حري بالفات انظار من يريد تخليص التعاليم الاسلامية من المذمة الملتصقة بها ويريد التقدم مع الزمن . ومما يجب ذكره ان مرونة الشرائع هي اعظم محك تعرف به قيمة تلك الشرائع ومنافعها وهي سرُّ القرآن وقيمته لانه تقبله ارقى الشعوب وهو يسد عوز احطها ولا يتعامى عن ضروريات الانسان المترقي بالطبع ولا ينسى ان في الارض اقواماً وجماعات يضر بها الاقتصار على زوجة واحدة ضرراً شديداً . اما القيام بابطال تعدد الزوجات فليس من الصعوبة بالمكان الذي يتوهمه بعضهم . والمصيبة التي اصابت المسلمين وهي اصل ماهم عليه اليوم منعهم الاجتهاد وتمسكهم بالتقليد .

وليس بالبعيد يوم يرجع فيه الفقهاء الى كلام النبي في حل مسألتهم وهي هل يقلدون النبي ام يقلدون الفقهاء الذين استعملوا اسمه الكريم في اغراضهم او اغراض الامراء الذين عاشوا في اكنافهم . وقد مرت اوروبا في مثل هذه الطريق وكان الاولى بها ان تراقب نهضة الاسلام واصلاحه بالصبر والحنو لا ان تسلقه بالسنة حداد . ومتى تم التخلص من شرك الافكار القديمة يصير من السهل على مشترعي البلاد الاسلامية نسخ تعدد الزوجات الا ان سداداً كهذا لا يتأتى الا بعد ترقٍ عام في ادراك الحقائق واحاطة بروح الاسلام . وان موافقة التعاليم الاسلامية لكل درجة من درجات الترقي تدل على حكمة المعلم . وليس تعدد الزوجات بين اقوام متدنية وله من الشروط ما وضعه النبي مما يؤسف له وهو على الاقل خير من عادة تعدد الازواج وخير من حياة ليس فيها وازع ادبي . وكلما انتشر العلم وكثر التهذيب قدرت اضرار تعدد الزوجات قدرها وصار الناس اكثر علماً بوسائط منعها . ولا نقول الان ان مسلمي الهند استفادوا كثيراً من اختلاطهم بالبراهمة الذين يحل في مذهبهم الفجور جهاراً بل نقول ان هؤلاء المسلمين فسدت اخلاقهم وانحطت تصوراتهم التي من شأنها رفعة الانسان وتشريفه ونقاء قلبه وانتشرت طبقة الهتري Hetairai بينهم كما هي بين جيرانهم الوثنيين ومع ذلك فثمة دلائل محسوسة تحيي فينا ميت الامل بان النور الالهي الذي اضاء البلاد العربية في القرن السابع سوف يضيء قلوبهم ويخرجهم من ظلماتهم . وقد ادى المعتزليَّ اجتهاده الى الاقتصار على زوجة واحدة لان الشريعة تمنعه من ارتباط ثان في خلال وجود ارتباط سابق . والخلاصة ان الزواج في عرف المعتزلة هو « ان يكون ارتباطاً اختيارياً حتى آخر رمق من الحياة بين رجل واحدٍ وامرأة واحدة وهو اليوم حد الاقتصار على زوجة واحدة» .

وقد سرى كره تعدد الزوجات وصار من المسلمات العمرانية ان لم يكن من المسلمات الاخلاقية وهو مع كثير من العوامل الخارجيه يقتلع هذه العادة من بين الهنود المسلمين حتى صار من المعتاد بينهم ان يضعوا في عقد الزواج جملة تمنع الزوج صراحة من حق التزوج بثانية ما دامت الاولى موجودة . وفي كل مئة منهم اليوم خمسة وتسعون مقتصرون على زوجة واحدة وهذا اما لاقتناعهم بفائدة ذلك او لاضطرارهم اليه . وتستقبح عادة تعدد الزوجات بين الطبقات المهذبة العالمة بتاريخ اسلافها والقادرة على مقابلته بتاريخ بقية الامم اما في بلاد فارس فقسم صغير من السكان يتمتع بهذه العادة المشكوك بلذتها (١) والمأمول ان يقوم قريباً جماعة من حكماء المسلمين يفتون بان تعدد الزوجات كالرق مكروه في شريعة الاسلام .

ولنرجع الآن الى موضوع زواج النبي المتعدد وهو يظهر لكثيرين ممن يجهلون الحقيقة او يتجاهلون موضع انتقاد ومحل لوم . ومنتقدوه من النصارى يذهبون الى انه باتخاذه زوجات متعددة ميز نفسه بما لم يجوزهُ الشرع فاظهر ضعفاً في الاخلاق يصعب اتفاقه مع النبوّة . الاّ ان التعمق في التاريخ وتقدير الحقائق بدلاً من ان يبرهن ان النبي كان مفرطاً في الشهوات يدل دلالة صريحة على انهُ كان يفادي بالعزيز في سبيل الغير باتخاذه بحسب شرع امته عدة زوجات فقيرات وسد حاجتهن وهو فقير لا مال له ولا عقار . واننا اذا درسنا عواطفه درساً مدققاً ونظرنا اليها من الجهة الانسانية يظهر لنا تخرص المعترضين عليه . ولما تزوَّج خديجة كان في الخامسة والعشرين من العمر وكانت هي اسن منهُ كثيراً وقد قضيا سوية نحو ربع قرن رافلين في اثواب السعادة والاخلاص وكانت كل هذه المدة رفيقه الوحيد ومساعده الامين على تخفيف ما كان يصيبهُ من اذى قريش واضطهادهم وعند حلول اجلها كان في الحادية والخمسين ولا يمكن لاعدائهِ ان ينكروا انهم لا يرون في حياته كل هذه المدة ثلمة في اخلاقهِ او نقطة سوداء في صحيفته البيضاء . وهو لم يتزوّج بغيرها في حياتها على ان الرأي العام في عشيرتهِ يجوّز لهُ ذلك لو شاء .

وعند رجوعه من الطائف بعد بضعة اشهر من وفاتها وهو ضعيف مضطهد تزوَّج بسودة ارملة السكران وهو ممن كان اسلم وهاجر الى بلاد الحبشة فراراً بدينهِ و بنفسهِ من قريش وقد توفي في منفاه وابقى من بعده امرأته في اشد البؤس والشقاء . وعوائد البلاد لا تمكنهُ من مساعدة هذه المسكينة ان لم يتزوَّج بها لذلك نرى ان مبادئ الانسانية والشفقة تحتم عليه اتخاذها زوجاً لهُ على انهُ كان حينئذٍ في اضيق الحالات

(١) اثنان في المئة فقط بحسب احصاء مكركز

وكان عبدالله بن عثمان بن ابي قحافة المعروف بعد ذلك في التاريخ (بأبي بكر) من انق الاتباع واشدهم تعلقاً بالنبي واسبقهم للاسلام وهو اشبه بعلي بن ابي طالب من حيث حبه للنبي وكانت له ابنة صغيرة اسمها عائشة فكان جل قصده ان يمكن علاقته بالنبي بتزويجه ابنته وكانت حينئذٍ في السابعة من العمر الا ان عوائد البلاد تسمح بمثل هذا الزواج وبعد الالحاح صارت تلك الآنسة الصغيرة في مصاف الزوجات الطاهرات ·

وبعد مدة من وصول المهاجرين الى المدينة حدثت مسألة تدل على حال المعيشة العربية في ذاك الزمن وكل من عرف العرب وعرف انهم اهل أنفة وحرب واثآر يتيسر له ان يدرك سر هذه الحادثة وهي ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني كانت له ابنة اسمها حفصة فقدت زوجها في غزوة بدر وكانت صعبة المراس حادة المزاج كابيها لذلك كان يتجنبها الصحابة و يكرهون التزوج بها فكان ذلك كاللوم والتوبيخ عند ابيها وليدفع عن نفسه ذلك عرضها زوجة على ابي بكر فابى ثم على عثمان فابى ايضاً فذهب مغضباً الى النبي ليشكو اليه مالحقه من العار فكان لا بد من ارضائه وتسكين غضبه بحل هذه المعضلة الاان ابابكر وعثمان يستحيل عليهما احتمالها والصبر على خلقها · وربما نعد اليوم هذا النزاع واسبابه الواهية من المضحكات لكنه كان كافياً في ذلك الزمن لاشعال نار الفتنة بين المؤمنين وهم في اول امرهم فتدارك النبي ذلك وسكن غضب عمر بتزوجه ابنته وهكذا ارضى اصحابه واصلح ذات البين

ومن زوجاته هند ام سلمة وام حبيبة وزينب ام المساكين وهن ايضاً كن ارامل ذهبت عداوة قريش بمن يعيلهن وامتنع ذوو قرابتهن عن مساعدتهن اولم يكونوا اكفاء قادرين

وكان النبي زوّج صديقه ومولاه زيداً سيدة اسمها زينب تنتسب لبيتين من اشرف بيوت العرب فلفخرها بنسبها وربما بجمالها(١) ايضاً كانت تغتاظ من زواجها بمولى من الموالي وربما زاد في الطين بلة تكرار زينب في حال مناسبة كلمات كان قالها النبي وقد زار زيداً ورآها مكشوفة الوجه وهي (سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب) — جملة يقولها اليوم كل مسلم يرى صورة جميلة — وكانت زينب كثيراً ماتكرر امام زوجها هذه الكلمات التي قيلت في حالة الاعجاب الطبيعية لتريه ان جمالها اعجب الناس حتى النبي ·

ولما عيل صبر زوجها زيد عزم اخيراً ان يطلقها فذهب الى النبي ليظهر له ذلك فقال له النبي (مالك ارابك منها شيء ؟) قال (لا والله ما رابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت الا خيراً) فقال له النبي (امسك عليك زوجك واتق الله) الا ان زيداً لم يطع الامر الشريف فطلقها فاغتاظ النبي من عمله خصوصاً وهو الذي خطبها عليه وزوّجه بها

(١) «المقتبس» اكثر هذه الروايات لم تثبت في كتب السيرة النبوية المعتمدة

وبعد نجاح زينب في الخلاص من عصمة زيد قامت تلح في طلب التزوج بالنبي ولم ترجع حتى تشرفت بان تكون في عداد زوجاته .

وللنبي امرأة اخرى تدعى جويرية ابنة الحارث سيد بني المصطلق كان اسرها المسلمون في غزوة لاخماد ثورة قامت بها عشيرتها ورضي منها من اسرها ان تفتدي نفسها بفدية تقدمها له فسألت النبي هذا المال فاعطاها اياه حالاً فاعترافاً بفضله عليها وشكراً له عرضت نفسها عليه فرضيها زوجة وحالما عرف المسلمون هذا الارتباط الجديد قالوا فيما بينهم ان بني المصطلق صاروا من ذوي قرابة النبي فيجب علينا ان نكرمهم ونعاملهم بما هم اهله وهكذا عفوا عن الاسرى حتى بارك هذا الزواج السعيد مئة اسرة أُطلقت من الوثاق . وكانت صفية اليهودية ممن أسره المسلمون في غزوة خيبر فاعتقها النبي وكرمها بالتزوج بها

ومن زوجاته ميمونة وهي من ذوي قرابته تزوجها في مكة وكانت فوق الخمسين من العمر . وهذا الزواج إكسب الاسلام رجلين مشهورين هما ابن عباس وخالد بن الوليد قائد قريش في وقعة أحد وقاهر الروم

وهكذا كان حال زواج النبي ومن الممكن انه تزوَّج بعض الاحيان ليرزق ولداً لانه لم يكن من الآلهة وربما شعر بالميل الطبيعي الى ترك وارث من بعده وقد يكون احب التخلص من اللقب الذي لقبه بهِ اعداؤه ولكن اذا نظرنا الى الحقائق كما هي نرى ان هذا الزواج المتعدد نشأ عنهُ من المنافع زيادة على ما ذكرنا ميل لائتلاف القبائل المتعادية واجتماع كلمتها . ومما يجب ذكره ان عادة الاخذ بالثأر كانت شائعة في الجاهلية وهي التي اضعفت القبائل ولم يكن اذ ذاك بيت ليس له ثارات او عليه ثارات تقتل فيها الرجال وتستحيي النساء . ولما قام موسى وجد هذه العادة شائعة في قومه ايضاً (كما تشيع في الأمم اذا كانت على درجة من العمران مخصوصة) ولما لم ينجح في ابطالها اباحها الا ان النبي محمداً كان اشد ادراكاً للدواء الذي يجب استعماله فربط القبائل المتنازعة بعضها ببعض كما ربطها بنفسه برباط الزواج وعند حلول اجل البعثة وقف على عرفات وصرح بابطال هذه العادة الجاهلية .

الاّ ان خبث اعداء يجورون في احكامهم ويتعصبون لاوهامهم شوه عواطف حملت محمداً على تعدد زوجات كن ارامل ومستضعفات لولاه لنبا بهن المربع ولجفت قلوبهن من حرارة الجوع على ان هذه العواطف اباحها الانبياء السابقون . وربما عد الغربيون اليوم عادة تعدد الزوجات شرّاً محضاً وليست هي بالمحرمة فقط بل نتيجة شره وفساد وكأني بهم قد نسوا ان هذه العوائد كلها هي نتيجة المحيط وابنة الحاجة وان كبار الانبياء من اليهود وهم

مثال الكمال في المذاهب السامية اجازوا تعدد الزوجات واستعملوه الى حدّ يعد في نظر المعاصرين نهاية الفساد ·

والغالب ان يقال ان الواجب على النبي ان لا يخضع لاي ضرورة تضطره الى مدح عادة سيئة كهذه او لاباحتها وان الواجب عليه تحريمها بتاتًا فالمسيح غض الطرف عنها ولم يتعرض لها · لكن من امعن النظر يرى ان هذه العادة مثل كثير غيرها من العوائد ليست شرّاً محضًا والشر كلمة نسبية لانهُ قد تكون عادة من العادات مباحة في اول الامر تقبلها مبادىء الافراد والجماعات الا ان تقدمًا في افكار الامة وتغيرًا في احوالها ربما يجعل هذه العادة مضرة حتى تمنعها الحكومة بعد حين · اما ان الافكار تترقى فهو من المسلمات واما ان العوائد والاعمال تتوقف على ترقي الافكار وانها تكون حسنة او سيئة بحسب الاحوال (وروح العصر) فهي حقيقة يجهلها اهل الافكار السطحية كثيرًا

بيروت عبدالرحمن شهبندر

الكنى والالقاب

جري الاصطلاح في الاسماء على تقسيمها الى علم وهو ما علق على شيء بعينه غير متناول ما اشبهه ولقب وهو ما اشعر بمدح او ذم وكنية وهو ما صدر باب او ام ·

وقد ولع العرب بالكنى والالقاب ولعًا غريبًا حتى صاروا يكنون الطفل والعقيم بل الوحش والطير بل الجماد والمعاني كما ستراه

من اعظم مقاصد الكنى في الاناسي خشية مبادرة اللقب السيء على لسان عدوّ او ماجن فيلصق بالمرء لصوق الجرثومة في المنبت الوبي، وفي اثر (بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلبهم الالقاب) · ومن مقاصدها فيها تعظيم المكني وتوقيره فقد فطرت الانفس على كراهة خطابها باسمها ومشافهتها به · واما في غير الاناسي فلقصد التوسع في باب الاعلام والتفنن في الاوضاع والازدياد من المعاني · ولم تك كناهم تخلو عن نكتة وسر في وضعها اي ملاحظة معنى بازائه يكون الوضع كما قالوا في ابي لهب كني به لجماله لان اللهبة البياض الناصع واوثر في التنزيل الكريم اما لشهرته به او للتعريض بكونه جهنميًا وكما قالوا للضبع ام رسم لانها ترسم الطريق لا تفارقه وام المثوى لصاحبة المنزل والامثلة يطول تعدادها ويسهل تعرف اسرارها من معاجم اللغة المطولة

وما برحت الكنى والالقاب آخذة في الاعلام دورًا مهمًا في الجاهلية والاسلام سيما

في قرونه الوسطى فقد نسيت بسببها اعلام كثير من الاعلام لغلبتها عليها ولقد رأيت من يخفى عليه مثلاً اسم الامام ابي يوسف او القاضي ابي الطيب ونحوهما ممن اشتهر بكنيته فنسي اسمه لذا سنح لي ان ابين قاعدة للمتقدمين في نوع من الكنى والالقاب تنكشف بها معرفة الاعلام مما اصطلح عليه اولئك وجرى عليه المؤرخون

فمن الكنى ابواسحق كنية لمن اسمه ابراهيم تأسيًا باسمي الخليل وابنه عليهما السلام ابوابراهيم لمن اسمه اسماعيل · ابوالحرث لليث وارسلان · ابوالحسن لعلي · ابوداود لسليمان · ابوالدر لياقوت · ابوزكريا ليحيى · ابوسليمان لداود · ابوالشكر لايوب · ابوالصبر له ايضًا ابوالطيب لطاهر · ابوالعباس لاحمد وخضر · ابوعلي للحسن والحسين · ابوعمران لموسى · ابوالفضل لجعفر وللربيع وليحيى · ابوالفتح لنصر · ابوالقاسم لعلي ومحمود · ابومحمد لعبدالله ابو محفوظ لمعروف · ابوالمعالي لعبدالملك · ابومروان له ايضًا · ابوالمسك لكافور · ابوالميمون لمبارك · ابوالمنصور لظافر · ابوالوقت لعبدالاول · ابوهريرة لعبدالرحمن · ابو يحيى لزكريا · ابو يوسف ليعقوب ·

ومن الالقاب للمتأخرين · سيف الدين لغازي · شمس الدين لمحمد · شهاب الدين لاحمد· صلاح الدين ليوسف · عماد الدين لاسماعيل ·

هذا ما غلب من الكنى والالقاب واشتهر في تلك الاسماء وقد يكون لها كنى والقاب اخرى · وقد يكون للمرء عدة كنى كما تراه في قولهم ذوالكنى وقد يشتق للمرء كنية من معنى اسمه او اشارته او حاله (ومنه ابوالطيب) لمن اسمه طاهر لما بين الطيب والطهر من التناسب وكذا (ابوالسرور) لمن اسمه عيد · وابوالجود للسخي · وابوالمطاع للامير · وابوالغارات للمجاهد · وذوالقرنين لعظيم الملك · وقد لا يكون لشيء من ذلك كما حدث في عهد منح الالقاب المضافة لذوي السيطرة من اجيال والمضافة للدين وقد اشار للثاني الاديب الخليع عبدالرحمن المسجف الملقب ببدر الدين من رجال فوات الوفيات (مدفون في بستانه بدمشق قرب المزة وامام قبره المحجر قبة يجري عندها نهر تظن اهل القرى هنالك انه من الاولياء وليس تحت القبة مزار) في قوله

قالوا تلقب بدر الدين مفتخرًا نجل الجنوبي من قد زين الامثا
فقلت لا تعجبوا منه فذا لقب وقف على كل نحس والدليل انا

وقد يكنى الرجل باكبر اولاده او باشهرهم او باحبهم اليه وقد يكنى بابن اخيه كما كنيت السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بام عبدالله ابن اختها وقد يكنى الرجل بما يقوم عليه ويعرف به كأبي الرجال لمن تربى عنده النجباء مجازًا ولمن له عدة اولاد حقيقة وربما

ظهر فيه من اليمن والخير كأبي البركات وقد وضع كثير من الالقاب والكنى علماً برأسه في العصور الاخيرة كبهاء الدين وصلاح الدين وابي الخير وابي بكر ولا حجر في ذلك الا ان القرون الاولى كان لاسمائها نوع نظام سهل بهِ وضع نظام بازائها لالقابها وكناها مع ما شف عن ادب مع الائمة الاعلام فان من رعاية الكبير وقدره قدره وضع لقب له يعرف به . نعم لكل عصر مظهر ولكل دور طور ولكن باب الادب مع الاعلام لا يغلق على الدوام

قلنا بلغ من شغف العرب بالكنى ان وضعتها للطير والوحش والجماد والمعاني لما ملئت بهِ اسفار اللغة من ذلك فمن ذلك ابو الحباحب لدويبة تظهر ليلاً صغيرة يخيل انها نار . وابوالحصين للثعلب . وابوجعدة للذئب . وابو براقش لطائر فيه الوان . وابوفراس للاسد وابوحفص له ايضاً . وابوقبيس لجبل بمكة . وابو الابيض للبن . وابوالاثقال (الحملات) للبغل . وابوالاخضر للريحان . وابوالاصفر للخبيص . وابوايوب للجمل . وابو بحير للتيس وابوحماد للديك . وابوحميد للدب . وابوحيان للفهد . وابو خداش للسنور . وابوصابر للحمار . وابوشجاع للفرس . وابو طالب له ايضاً . وابو طامر للبرغوث . وابوعاصم للزنبور وابو العوام للسمك .

ومن المعاني ابومالك للهرم . ابوسعد له ايضاً . ابو مرحب للظل . ابو زيد للكبر . ابو عمرة للفقر وسوء الحال والجوع . قيل لاعرابي اتعرف ابا عمرة قال كيف لا وهو متربع في كبدي .

ومن الامهات ام القرى لمكة المكرمة . ام قشعم للمنية . ام الرأس لاعلى الهامة . ام الدماغ لجلدة الرأس . ام جابر للخبز . ام سويد للاست . ام الهدير للشقشقة . ام الطعام للمعدة . ام النجوم للثريا . ام خداش للهرة . ام شبل للبوة

وقد الف في معرفة الكنى عدة مؤلفات منها كتاب ابي العباس الاحول ولم يتقدمهُ احد في هذا الفن والف ابن السكيت كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمؤآخى ولابن الاثير كتاب سماه المرصع . وعني المحدثون بهذا الفن وصنفوا فيه ايضاً منهم الامام ابن المديني ثم الامام مسلم ثم النسائي ثم الحاكم ابواحمد — غير صاحب المستدرك على الصحيحين — ثم ابن مندة والدولابي . وكذا صنف غير واحد من الحفاظ في معرفة الالقاب كالشيرازي وابي الفضل الفلكي وابي الوليد الدباغ وابي الفرج بن الجوزي وآخرهم الحافظ ابن حجر . وليت واحداً منهم مُثل للطبع ويالله ماسي من العلوم واسفارها . وللمحدثين تقسيم غريب في باب الكنى اوصلها بعضهم الى تسعة

(١) من سمي بالكنية ولا اسم له غيرها كابي بكر بن عبد الرحمن احد الفقهاء السبعة بالمدينة

(٢) من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم كأبي مويهبة مولى النبي صلوات الله عليه

(٣) من لقب بكنيته وله غيرها اسم وكنية كأبي تراب علي رضي الله عنه اسماً وابي الحسن كنيةً

(٤) من له كنيتان او اكثر كنصور الفراوي ابي بكر وابي الفتح وابي القاسم

(٥) من اختلف في كنيته كأسامة رضي الله عنه ابي زيد وقيل ابو محمد وقيل غيرها

(٦) من عرفت كنيته واختلف في اسمه كأبي بصرة قيل هو حميل (بالحاء مصغرا) وقيل جميل (بالجيم مكبرًا) وكأبي هريرة قال القطب الحلبي اجتمع في اسمه واسم ابيه نحو اربعين قولاً واصحها عبدالرحمن بن صخر

(٧) من اختلف فيهما كسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حكي في اسمه وكنيته اثنان وعشرون قولاً

(٨) من عرف بالاثنين كأبي عبدالله سفيان الثوري ونحوه مما لم يختلف فيهما

(٩) من اشتهر بها مع العلم باسمه كأبي ادريس الخولاني عائذ الله

دمشق احد قراء المقتبس

تأثير العقائد والمقاصد في الاخلاق

إن العلماء الذين وضعوا الكتب المطولة والمختصرة في تهذيب الاخلاق لم ينظروا الى هذا البحث الدقيق الا من عرض فلا يعثر لهم على كلام يكشف القناع عن حقيقته ويجمع اطرافه وانما ذلك لان الحوادث والاحوال لم تتجه بهم الى الدخول من هذا الباب ولقد رأيت العصر يستصرخ الحراص على انتظام الاحوال ويتقاضى الكتاب القائمين على هداية الناشئة الى سبيل النهضة الادبية ان يقبلوا عليه اقبال المغرم بالدنيا على استخراج الكنوز المدفونة وان يبذلوا الجهد في اظهار ماخفي من اسراره ويستنفدوا الوسع في اباحة ماحجب من ذخائره

ولما رأيت ان الكلام فيه من جلائل الخدم التي يسع المنشيء ان يقوم بها لاهل العصر هزني الغرام بهذه المحمدة ان اتوفر ليلة على انشاء مقالة اكلف المقتبس ان يحملها الى قرائه المنبثين في الآفاق مع ما يحمل اليهم من ازاهره العاطرة وثماره الطيبة الناضجة آملاً ان تلاقي عند الشبان الادباء والناشئة النجباء ما يلاقي الزائر الكريم من المشاشة واكرام الوفادة في منازل الكرام وبيوت الكبراء وذلك بان يكرموها بالمطالعة وتدقيق النظر فيما يترتب عليها من النتائج المفيدة بل من الادوية الناجعة في شفاء ادواء الاخلاق اذا اندفعت النفوس لاتباعها واحبت الجري عليها ·

وكان عبدالله بن عثمان بن ابي قحافة المعروف بعد ذلك في التاريخ (بأبي بكر) من اتق الاتباع واشدهم تعلقاً بالنبي واسبقهم للاسلام وهو اشبه بعلي بن ابي طالب من حيث حبه للنبي وكانت له ابنة صغيرة اسمها عائشة فكان جل قصده ان يمكن علاقته بالنبي بتزويجه ابنته وكانت حينئذٍ في السابعة من العمر الا ان عوائد البلاد تسمح بمثل هذا الزواج وبعد الالحاح صارت تلك الآنسة الصغيرة في مصاف الزوجات الطاهرات .

وبعد مدة من وصول المهاجرين الى المدينة حدثت مسألة تدل على حال المعيشة العربية في ذاك الزمن وكل من عرف العرب وعرف انهم اهل أنفة وحرب وآثار يتيسر له ان يدرك سر هذه الحادثة وهي ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني كانت له ابنة اسمها حفصة فقدت زوجها في غزوة بدر وكانت صعبة المراس حادة المزاج كابيها لذلك كان يتجنبها الصحابة و يكرهون التزوج بها فكان ذلك كاللوم والتوبيخ عند ابيها وليدفع عن نفسه ذلك عرضها زوجة على ابي بكر فابى ثم على عثمان فابى ايضاً فذهب مغضباً الى النبي ليشكو اليه ما لحقه من العار فكان لابد من ارضائه وتسكين غضبه بحل هذه المعضلة الاان ابابكر وعثمان يستحيل عليهما احتمالها والصبر على خلقها . وربما نعد اليوم هذا النزاع واسبابه الواهية من المضحكات لكنه كان كافياً في ذلك الزمن لاشعال نار الفتنة بين المؤمنين وهم في اول امرهم فتدارك النبي ذلك وسكن غضب عمر بتزوجه ابنته وهكذا ارضى اصحابه واصلح ذات البين

ومن زوجاته هند ام سلمة وام حبيبة وزينب ام المساكين وهن ايضاً كن ارامل ذهبت عداوة قريش بمن يعيلهن وامتنع ذوو قرابتهن عن مساعدتهن اولم يكونوا اكفاء قادرين

وكان النبي زوّج صديقه ومولاه زيداً سيدة اسمها زينب تنتسب لبيتين من اشرف بيوت العرب فلفخرها بنسبها وربما بجمالها(١) ايضاً كانت تغتاظ من زواجها بمولى من الموالي وربما زاد في الطين بلة تكرار زينب في حال مناسبة كلمات كان قالها النبي وقد زار زيداً ورآها مكشوفة الوجه وهي (سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب) — جملة يقولها اليوم كل مسلم يرى صورة جميلة —وكانت زينب كثيراً ماتكرر امام زوجها هذه الكلمات التي قيلت في حالة الاعجاب الطبيعية لتريه ان جمالها اعجب الناس حتى النبي .

ولما عيل صبر زوجها زيد عزم اخيراً ان يطلقها فذهب الى النبي ليظهر له ذلك فقال له النبي (مالك ارابك منها شيء ؟) قال (لا والله ما رابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت الا خيراً) فقال له النبي (امسك عليك زوجك واتق الله) الا ان زيداً لم يطع الامر الشريف فطلقها فاغتاظ النبي من عمله خصوصاً وهو الذي خطبها عليه وزوّجه بها

(١) «المقتبس» اكثر هذه الروايات لم تثبت في كتب السيرة النبوية المعتمدة

وبعد نجاح زينب في الخلاص من عصمة زيد قامت تلح في طلب التزوج بالنبي ولم ترجع حتى تشرفت بان تكون في عداد زوجاته .

وللنبي امرأة اخرى تدعى جويرية ابنة الحارث سيد بني المصطلق كان اسرها المسلمون في غزوة لاخماد ثورة قامت بها عشيرتها ورضي منها من اسرها ان تفتدي نفسها بفدية تقدمها له فسألت النبي هذا المال فاعطاها اياه حالاً فاعترافاً بفضله عليها وشكراً له عرضت نفسها عليه فرضيها زوجة وحالما عرف المسلمون هذا الارتباط الجديد قالوا فيما بينهم ان بني المصطلق صاروا من ذوي قرابة النبي فيجب علينا ان نكرمهم ونعاملهم بما هم اهله وهكذا عفوا عن الاسرى حتى بارك هذا الزواج السعيد مئة اسرة أُطلقت من الوثاق . وكانت صفية اليهودية ممن أسره المسلمون في غزوة خيبر فاعتقها النبي وكرمها بالتزوج بها

ومن زوجاته ميمونة وهي من ذوي قرابته تزوجها في مكة وكانت فوق الخمسين من العمر . وهذا الزواج إكسب الاسلام رجلين مشهورين هما ابن عباس وخالد بن الوليد قائد قريش في وقعة أحد وقاهر الروم

وهكذا كان حال زواج النبي ومن الممكن انه تزوج بعض الاحيان ليرزق ولداً لانه لم يكن من الآلهة وربما شعر بالميل الطبيعي الى ترك وارث من بعده وقد يكون احب التخلص من اللقب الذي لقبه بهِ اعداؤه ولكن اذا نظرنا الى الحقائق كما هي نرى ان هذا الزواج المتعدد نشأ عنهُ من المنافع زيادة على ما ذكرنا ميل لائتلاف القبائل المتعادية واجتماع كلمتها . ومما يجب ذكره ان عادة الاخذ بالثأر كانت شائعة في الجاهلية وهي التي اضعفت القبائل ولم يكن اذ ذاك بيت ليس له ثارات او عليه ثارات تقتل فيها الرجال وتستحيي النساء . ولما قام موسى وجد هذه العادة شائعة في قومه ايضاً (كما تشيع في الأمم اذا كانت على درجة من العمران مخصوصة) ولما لم ينجح في ابطالها اباحها الا ان النبي محمداً كان اشد ادراكاً للدواء الذي يجب استعماله فربط القبائل المتنازعة بعضها ببعض كما ربطها بنفسه برباط الزواج وعند حلول اجل البعثة وقف على عرفات وصرح بابطال هذه العادة الجاهلية .

الا ان خبث اعداء يجورون في احكامهم ويتعصبون لاوهامهم شوه عواطف حملت محمداً على تعدد زوجات كن ارامل ومستضعفات لولاه لنبا بهن المربع ولجفت قلوبهن من حرارة الجوع على ان هذه العواطف اباحها الانبياء السابقون . وربما عد الغربيون اليوم عادة تعدد الزوجات شراً محضاً وليست هي بالمحرمة فقط بل نتيجة شره وفساد وكأني بهم قد نسوا ان هذه العوائد كلها هي نتيجة المحيط وابنة الحاجة وان كبار الانبياء من اليهود وهم

مثال الكمال في المذاهب السامية اجازوا تعدد الزوجات واستعملوه الى حدّ يعد في نظر المعاصرين نهاية الفساد ·

والغالب ان يقال ان الواجب على النبي ان لا يخضع لاي ضرورة تضطره الى مدح عادة سيئة كهذه او لاباحتها وان الواجب عليه تحريمها بتاتاً فالمسيح غض الطرف عنها ولم يتعرض لها · لكن من امعن النظر يرى ان هذه العادة مثل كثير غيرها من العوائد ليست شرّاً محضاً والشر كلمة نسبية لانهُ قد تكون عادة من العادات مباحة في اول الامر تقبلها مبادىء الافراد والجماعات الا ان تقدماً في افكار الامة وتغيراً في احوالها ربما يجعل هذه العادة مضرة حتى تمنعها الحكومة بعد حين · اما ان الافكار تترقى فهو من المسلمات واما ان العوائد والاعمال تتوقف على ترقي الافكار وانها تكون حسنة او سيئة بحسب الاحوال (وروح العصر) فهي حقيقة يجهلها اهل الافكار السطحية كثيراً

بيروت عبدالرحمن شهبندر

الكنى والالقاب

جرى الاصطلاح في الاسماء على تقسيمها الى علم وهو ما علق على شيء بعينه غير متناول ما اشبهه ولقب وهو ما اشعر بمدح او ذم وكنية وهو ما صدر باب او ام

وقد ولع العرب بالكنى والالقاب ولعاً غريباً حتى صاروا يكنون الطفل والعقيم بل الوحش والطير بل الجماد والمعاني كما ستراه

من اعظم مقاصد الكنى في الاناسي خشية مبادرة اللقب السيء على لسان عدوّ او ماجن فيلصق بالمرء لصوق الجرثومة في المنبت الوبي، وفي اثر (بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلبهم الالقاب) · ومن مقاصدها فيها تعظيم المكني وتوقيره فقد فطرت الانفس على كراهة خطابها باسمها ومشافهتها به · واما في غير الاناسي فلقصد التوسع في باب الاعلام والتفنن في الاوضاع والازدياد من المعاني · ولم تك كناهم تخلو عن نكتة وسر في وضعها اي ملاحظة معنى بازائه يكون الوضع كما قالوا في ابي لهب كني به لجماله لان اللهبة البياض الناصع واوثر في التنزيل الكريم اما لشهرته به او للتعريض بكونه جهنمياً وكما قالوا للضبع ام رسم لانها ترسم الطريق لا تفارقه وام المثوى لصاحبة المنزل والامثلة يطول تعدادها ويسهل تعرف اسرارها من معاجم اللغة المطولة

وما برحت الكنى والالقاب آخذة في الاعلام دوراً مهماً في الجاهلية والاسلام سيما

في قرونه الوسطى فقد نسيت بسببها اعلام كثير من الاعلام لغلبتها عليها ولقد رأيت من يخفى عليه مثلاً اسم الامام ابي يوسف او القاضي ابي الطيب ونحوهما ممن اشتهر بكنيته فنسي اسمه لذا سنح لي ان ابين قاعدة للمتقدمين في نوع من الكنى والالقاب تنكشف بها معرفة الاعلام مما اصطلح عليه اولئك وجرى عليه المؤرخون

فمن الكنى ابواسحق كنية لمن اسمه ابراهيم تأسيًا باسمي الخليل وابنه عليهما السلام ابوابراهيم لمن اسمه اسماعيل · ابوالحرث لليث وارسلان · ابوالحسن لعلي · ابوداود لسليمان · ابوالدرّ لياقوت · ابوزكريا ليحيى · ابوسليمان لداود · ابوالشكر لايوب · ابوالصبر له ايضًا ابوالطيب لطاهر · ابوالعباس لاحمد وخضر · ابوعلي للحسن والحسين · ابوعمران لموسى · ابوالفضل لجعفر وللربيع وليحيى · ابوالفتح لنصر · ابوالقاسم لعليّ ومحمود · ابومحمد لعبدالله ابومحفوظ لمعروف · ابوالمعالي لعبدالملك · ابومروان له ايضًا · ابوالمسك لكافور · ابوالميمون لمبارك · ابوالمنصور لظافر · ابوالوقت لعبدالاوّل · ابوهريرة لعبدالرحمن · ابويحيى لزكريا · ابويوسف ليعقوب ·

ومن الالقاب للمتأخرين · سيف الدين لغازي · شمس الدين لمحمد · شهاب الدين لاحمد· صلاح الدين ليوسف · عماد الدين لاسماعيل ·

هذا ما غلب من الكنى والالقاب واشتهر في تلك الاسماء وقد يكون لها كنى والقاب اخرى · وقد يكون للمرء عدة كنى كما تراه في قولهم ذوالكنى وقد يشتق للمرء كنية من معنى اسمه او اشارته او حاله (ومنه ابوالطيب) لمن اسمه طاهر لما بين الطيب والطهر من التناسب وكذا (ابوالسرور) لمن اسمه عيد · وابوالجود للسخيّ · وابوالمطاع للامير · وابوالغارات للمجاهد · وذوالقرنين لعظيم الملك · وقد لا يكون لشيء من ذلك كما حدث في عهد منح الالقاب المضافة لذوي السيطرة من اجيال والمضافة للدين وقد اشار للثاني الاديب الخليع عبدالرحمن المسجف الملقب ببدر الدين من رجال فوات الوفيات (مدفون في بستانه بدمشق قرب المزة وامام قبره المحجر قبة يجري عندها نهر تظن اهل القرى هنالك انه من الاولياء وليس تحت القبة مزار) في قوله

قالوا تلقب بدر الدين مفتخرًا نجل الجنوبيّ من قد زيّن الامنا

فقلت لا تعجبوا منه فذا لقب وقف على كل نحس والدليل انا

وقد يكنى الرجل باكبر اولاده او باشهرهم او باحبهم اليه وقد يكنى بابن اخيه كما كنيت السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بام عبدالله ابن اختها وقد يكنى الرجل بما يقوم عليه و يعرف به كأبي الرجال لمن تربى عنده النجباء مجازًا ولمن له عدة اولاد حقيقة وربما

ظهر فيه من اليمن والخير كأبي البركات وقد وضع كثير من الالقاب والكنى علماً برأسه في العصور الاخيرة كبهاء الدين وصلاح الدين وابي الخير وابي بكر ولا حجر في ذلك الا ان القرون الاولى كان لاسمائها نوع نظام سهل بهِ وضع نظام بازائها لالقابها وكناها مع ما شف عن ادب مع الائمة الاعلام فان من رعاية الكبير وقدره قدره وضع لقب له يعرف به . نعم لكل عصر مظهر ولكل دور طور ولكن باب الادب مع الاعلام لا يغلق على الدوام

قلنا بلغ من شغف العرب بالكنى ان وضعتها للطير والوحش والجماد والمعاني لما ملئت بهِ اسفار اللغة من ذلك فمن ذلك ابو الحباحب لدويبة تظهر ليلاً صغيرة يخيل انها نار . وابو الحصين للثعلب . وابوجعدة للذئب . وابو براقش لطائر فيه الوان . وابوفراس للاسد وابوحفص له ايضاً . وابوقبيس لجبل بمكة . وابو الابيض للبن . وابوالاثقال (الحملات) للبغل . وابوالاخضر للريحان . وابوالاصفر للخبيص . وابوايوب للجمل . وابو بحير للتيس وابوحماد للديك . وابوحميد للدب . وابوحيان للفهد . وابو خداش للسنور . وابوصابر للحمار . وابوشجاع للفرس . وابو طالب له ايضاً . وابو طامر للبرغوث . وابوعاصم للزنبور وابو العوام للسمك .

ومن المعاني ابومالك للهرم . ابوسعد له ايضاً . ابو مرحب للظل . ابو زيد للكبر . ابو عمرة للفقر وسوء الحال والجوع . قيل لاعرابي اتعرف ابا عمرة قال كيف لا وهو متربع في كبدي .

ومن الامهات ام القرى لمكة المكرمة . ام قشعم للمنية . ام الرأس لاعلى الهامة . ام الدماغ لجلدة الرأس . ام جابر للخبز . ام سويد للاست . ام الهدير للشقشقة . ام الطعام للمعدة . ام النجوم للثريا . ام خداش للهرة . ام شبل للبوة

وقد الف في معرفة الكنى عدة مؤلفات منها كتاب ابي العباس الاحول ولم يتقدمه احد في هذا الفن والف ابن السكيت كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمؤآخى ولابن الاثير كتاب سماه المرصع . وعني المحدثون بهذا الفن وصنفوا فيه ايضاً منهم الامام ابن المديني ثم الامام مسلم ثم النسائي ثم الحاكم ابواحمد — غير صاحب المستدرك على الصحيحين — ثم ابن مندة والدولابي . وكذا صنف غير واحد من الحفاظ في معرفة الالقاب كالشيرازي وابي الفضل الفلكي وابي الوليد الدباغ وابي الفرج بن الجوزي وآخرهم الحافظ ابن حجر . وليت واحداً منهم مُثل للطبع ويالله ماسي من العلوم واسفارها . وللمحدثين تقسيم غريب في باب الكنى اوصلها بعضهم الى تسعة

(١) من سمي بالكنية ولا اسم له غيرها كابي بكر بن عبد الرحمن احد الفقهاء السبعة بالمدينة

(٢) من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم كأبي مويهبة مولى النبي صلوات الله عليه

(٣) من لقب بكنيته وله غيرها اسم وكنية كأبي تراب علي رضي الله عنه اسماوابي الحسن كنيةً

(٤) من له كنيتان او اكثر كمنصور الفراوي ابي بكر وابي الفتح وابي القاسم

(٥) من اختلف في كنيته كأسامة رضي الله عنهُ ابي زيد وقيل ابو محمد وقيل غيرهما

(٦) من عرفت كنيته واختلف في اسمه كأبي بصرة قيل هو حميل (بالحاء مصغرا) وقيل جميل (بالجيم مكبرًا) وكأبي هريرة قال القطب الحلبي اجتمع في اسمه واسم ابيه نحو اربعين قولاً واصحها عبدالرحمن بن صخر

(٧) من اختلف فيهما كسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حكي في اسمه وكنيته اثنان وعشرون قولاً

(٨) من عرف بالاثنين كأبي عبدالله سفيان الثوري ونحوه مما لم يختلف فيهما

(٩) من اشتهر بها مع العلم باسمه كأبي ادريس الخولاني عائذ الله

دمشق — احد قراء المقتبس

تأثير العقائد والمقاصد في الاخلاق

إن العلماء الذين وضعوا الكتب المطولة والمختصرة في تهذيب الاخلاق لم ينظروا الى هذا البحث الدقيق الا من عُرض فلا يُعثر لهم على كلام يكشف القناع عن حقيقته ويجمع اطرافه وانما ذلك لان الحوادث والاحوال لم تتجه بهم الى الدخول من هذا الباب ولقد رأيت العصر يستصرخ الحراص على انتظام الاحوال ويتقاضى الكتاب القائمين على هداية الناشئة الى سبيل النهضة الادبية ان يقبلوا عليه اقبال المغرم بالدنيا على استخراج الكنوز المدفونة وان يبذلوا الجهد في اظهار ما خفي من اسراره ويستنفدوا الوسع في اباحة ما حجب من ذخائره

ولما رأيت ان الكلام فيه من جلائل الخدم التي يسع المنشيء ان يقوم بها لاهل العصر هزني الغرام بهذه المحمدة ان اتوفر ليلة على انشاء مقالة اكلف المقتبس ان يحملها الى قرائه المنبثين في الآفاق مع ما يحمل اليهم من ازاهره العاطرة وثماره الطيبة الناضجة آملاً ان تلاقي عند الشبان الادباء والناشئة النجباء ما يلاقي الزائر الكريم من المشاشة واكرام الوفادة في منازل الكرام وبيوت الكبراء وذلك بان يكرموها بالمطالعة وتدقيق النظر فيما يترتب عليها من النتائج المفيدة بل من الادوية الناجعة في شفاء ادواء الاخلاق اذا اندفعت النفوس لاتباعها واحبت الجري عليها .

تعريف الخلق

الخلق بضم فسكون والخليقة والفطرة والطبع والطبيعة والغريزة وما هو في معناها صفة باطنية تشبه الصورة الظاهرة فالكرم الذي طبعت عليه نفس زيد خلق يشبه ما ترى من الجمال في محياه والشجاعة التي فطرت عليها نفس عمرو بمنزلة ما ترى من طول قامته وامتلاء اعضائه . وقد اختلف اصحاب الحكمة الخلقية في قبول الاخلاق للتغيير فمن قائل ان الاخلاق لا تقبل التغيير الا متى صار الذئب حملاً والجمل برغوثاً ودليلهم ان الخلق الباطن مثل الصورة الظاهرة وهذه لا تقبل التغيير فهو كذلك لا يقبل التغيير ومن قائل ان الاخلاق تقبل التغيير فمن طبع على الشح تصيره بعض الاحوال اكرم من حاتم ومن فطر على الجبن فقد يقوم في خياله ما يحبب اليه الموت حتى ان الصورة الظاهرة في الانسان تتغير تبعاً لحالة النفس كما يرى في وجه الغضوب والمنفعل والمسرور والكمد والخائف والمطمئن والخالي القلب والمهموم والا فاين هيئة من يتوقع العزل عن منصب عال من هيئة من يبشر بالارتقاء اليه واين صورة من يرزأ ظهيره من صورة من يلقى نصيره وهل من فرَّ من بيته وقد تداعت جدرانه كمن دخل صرحه وقد كمل تجديده وتزويقه فاذا علمت ذلك تبينت ان الرأي انما هو رأي القائل بقبول الاخلاق للتغيير والا فمن اين تعلم الدب الرقص واي فائدة للشرائع ان لم تحدث تغييراً في الطبائع وتبدلاً في الغرائز .

فان كنت تريد ان تتعرف تصاريف الطبائع واحوالها فلا بدَّ لك من امرين الاول ان تراقب ذلك في الناس وفي نفسك . والثاني ان تنظر الى ما يولده اختلاف العقائد وتبدل المقاصد في النفس البشرية حتى ينقلب الراغب زاهداً والزاهد راغباً والشجاع جباناً والجبان شجاعاً .

تأثير العقائد

العقائد مبادي تقرر في ذهن صاحبها انه يسعد بطاعتها ويشقى بعصيانها وانه يهلك اذا خالفها وينجو ان اتبعها وترسم على لوح قلبه ان حفظها يكفل له خاتمة سعيدة وآخرة حميدة وان نبذها يدفعه الى عاقبة شؤم ونهاية عذاب فهذه العقائد باطلها وحقها سواء من حيث التأثير في نفس المعتقد فمن استحكمت العقيدة في روحه هان عليه كل عزيز وغال في سبيلها فحلو له المرّ وتطيب له المكاره حتى اذا دعته الى فراق الحياة لبى دعاءها فهذه اقاصيص الشهداء واحاديث الاولياء تبسط امامك من آثار العقائد الحية في الصدور ما تريك افانينه ان الاهواء البشرية امام خواضع طوائع لتلك الاعتقاد المتسلط على النفس وكم لك في سير الرسل الكرام من خطيب صادع بان لا سطوة في الكون على النفس الا دون سطوة العقائد . واذا ذكرت القوم الذين كانوا يجيزون بنيهم في النار اكراماً لتمثال مولوك

الذي اتخذوه معبوداً يلجأون اليه . والهنود الاولى يرمون باولادهم في النهر . او اخطرت على بالك الشيوخ والعجائز الذين يأتون من اقاصي الارض الى اورشليم تبركاً بزيارة قبر المسيح غير مبالين بما يقاسون من مشاق السفر ومكاره الغربة مع ما يستلزمهُ بعد الشقة من وفرة النفقة قطعت ان لاسيد للنفس البشرية الا وسيادتهُ دون سيادة الاعتقاد .

تأثير المقاصد

واذا راقبت الناس عوامهم وخواصهم رأيتهم الا قليلاً منهم يجورون على عقولهم ويغالطون حسهم ويكذبون عيونهم في سبيل مقاصد تحيك في نفوسهم فاذا كلفت انفسهم بشيء او مقتته يخال من يسمع كلامهم فيه انهم قد فارقوا البابهم او ان البابهم قد فارقتهم فان احب احدهم بلدة جعل الحسن مقصوراً عليها وقال سعادة الحياة لا تعرف الا تحت جوها والتنزه لا يطيب الا في كرومها وبساتينها وان ألم الظماء لا ينفى الا بورد مائها وان كرم الخلال لا يتعدى سكانها والتبحر في العلم لم يعهد الا لعلمائها وان الفصاحة لم تظهر بدائعها ولم تبدُ روائعها الا على السنة خطبائها وشعرائها وان رئاسة الصنائع قد انتهت اليها وان الجود لم يضرب خيامهُ الا في ارضها وبالجملة فانها المخصوصة من بين بلاد الله كلها بانها مجتمع المحاسن الطبيعية والصناعية وانها الحرية بان تستبد بمجد التفوق على كل بلدة في الارض واذا كره بلدة قال نسيمها يحمل نسم الامراض (١) وثمارها تورث الاسقام وحرها يذيب الاجسام واهلها خبثاء لئام وعلماؤها اقل من صغار الطلاب علماً وخطباؤها اقل الناس عقلاً واضعفهم تصوّراً ليس لهم من مقتضيات الخطابة الا الجراءة على الكلام في المحافل فاذا سمع ذو لب من خطبهم اشتهى الصمم واحب البكم وتعجب ممن يبيع الخرز بسعر الدرر وينادي على النحاس كما ينادي على الذهب بل استغرب امر من يعرض القطن ويقول هذا حرير ثم يشتري منهُ القطن حريراً والنحاس ذهباً .

واعلم ان تساوي البلدتين هواءً وماءً وادباً وعلماً وتجارةً وزراعةً عند جميع الناس لا يردعهُ عن قصر المحاسن عليها دون الاخرى اذا كان لهُ من وراء مدحها غاية كما لا يردعه عن سلب كل حسن عن البلدة الأخرى وهكذا يفعل بهم الكلف والمقت في سائر الاشياء وانك لترى اثر هذا الامر في تلاميذ المدارس فقد يقوى قصد احدهم تارة فتشتد رغبتهُ ويكثر تحصيله وقد يضعف تارة فتضعف رغبته في الطلب ويقل تحصيله وقد نرى في الطلبة من رسخ في نفسهِ فضل العلم فذلك لا يعتريه في طلبهِ ملل ولا يأخذه ضجر ولا يستطيل زمان التحصيل وان طال ويحسب الكتب مغاوص اللؤلؤ ومعادن الذهب .

---

(١) اردت بنسم الامراض الميكروبات

الخلاصة

فصارى القول ان من اراد حمل الناس على محمدة فلا مندوحة له ان يزرع في نفوسهم بزور الانتفاع بها واكتساب الفائدة بتحصيلها حتى اذا تمكن تصوُّر ذلك في اذهانهم اقبلوا عليها اقبال الناس لهذا العهد على ما يجدُّ من الازياء (المود) وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من اراد الاقتدار على الترغيب وبلوغ الارب فليقفُ آثار مخترعي الازياء فهؤُلاء هم أئمته العظام وشرَّاحهُ الكرام وكل ما في كتب الخطباء من التنبيهات لا يعدل بجزء مما يجري على السنتهم او يصوَّر في دفاتر ازيائهم فهؤُلاء قد عرفوا الطباع البشرية وخبروا الاهواء الانسانية وقبضوا على مفاتيح القلوب وعرفوا طرق الوصول الى امتلاكها فمثلهم مثل واعظ كلف ان ينهى النساء عن اتيان المعابد بالزينة والروائح الطيبة فقال قد شكا اليَّ واعظ البلدة انكن تأتين المعبد متطيبات وعلى روُوسكن انواع الزينة وانهُ طال مانهي عن ذلك فزادكن النهي تمادياً في الامر فاجبتهُ ان لا حق لك في ذلك . فتعجب واستغرب وقال ما السبب قلت الا وان الادب يقضي على كل من تعلم ان رائحة فمها خبيثة ان تتعطر وتتزين حتى لا تؤذي جاراتها فما سمعت النساء هذا الكلام حتى دفقت كل واحدة تنزل ما على رأسها من انواع الزينة حذر ان يظن ان رائحة فمها خبيثة ومن ثم هجرن التزين والتخلق والتعطر واقتصرن على الذهاب الى المعبد بالاثواب النظيفة فقط .

فلولم يكن هذا الواعظ فطناً ذا علم بما ركب في الطباع لذهب كلامهُ بلافائدة كما ذهب كلام واعظ البلدة من قبل .

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

الميكروب

الميكروب اصغر ما خلق في عالم الاحياء جرماً وجسماً واعظمها قوَّة وفعلاً . كان اوَّلاً يعيش ويتنفس على سطح المعمور منسابا بين بقية المخلوقات دأبهُ دأب كل حي من ايجاد القوت والمكافحة للحياة والبقاء . ذلك انه لا يترك جامداً يحتوي على بعض ما يصلح لغذائه الاَّ ويحلله مبدلاً حاله تبديلاً او يمحوهُ فيجعله اثراً بعد عين وليس في الارض حيٌ من حيوان ونبات الاَّ وهو يتصدى لهُ منازعاً اياه قوته وحياته . على انهُ في ذلك يخدم بانواع منه عالم الحيوان ويقوم بوظيفة عظيمة الخطر كتحويل المواد الجامدة الى غذاء يعيش به غيره وكاصلاح انفس المأكولات والمشروبات للانسان بواسطة الاختمار وبانواع اخرى منه

يكون مفسدًا ومخربًا · فان اكثر آفات الزروع وضربات الاشجار وامراض الحيوانات والبشر يكون الميكروب مسببها والفاعل الوحيد فيها · فهولنا في الحياة رفيق غير مفارق ومجاور جابر او جائر ·

وعلى هذه السنة مرت السنون والاجيال والانسان تناله من الميكروب الضربات والنكبات ويتجرع السموم بصبر جميل من دون ان تتجلى له يد الجائر بل لم يخطر له ببال او خيال بان هناك عدوًا خفيًا يحمل الى الاحياء داء دويًا ·

وذلك بالنظر الى الحيوان والانسان خاصة · اما اذا انعمنا النظر وسما بنا الفكر ونظرنا في وظيفة الميكروب على وجه البسيطة نظرًا عامًا بعد ان نكون قد اختبرنا وتوغلنا في الاحاطة بمنافع كل من انواعه واحدة فواحدة تحار عقولنا لا محالة من حكمة مبدع الكون الذي جعل اصغر مخلوقاته واخفها يقوم باعظم وظيفةٍ وخدمةٍ في العالم · وناهيك بتحول جثث الموتى مثلا الى تراب وهذا الى ما يصلح لتغذية النباتات وغيرها وكذلك اصلاح مياه البحور والانهر من ازدياد الاملاح والاوساخ فيها التي تنافي حينئذٍ وجود الاسماك والحياة مطلقًا يتوقف كله على الميكروب · فلولاه لما حصل التعديل والموازنة بين الجامد والحي وتعطلت بينهما الدورة الطبيعية فتعذر خلود بل وجود عالم الاحياء · والميكروب في فعله ذلك انما يسعى لنفسه ويطلب الغذاء لحفظ حياته وخلود نسله ·

آراء الاقدمين في تولد بعض الحيوانات من دون والدٍ

لم يعرف الميكروب الا اناس قلائل من القدماء عرفوه بالظن والحدس فكانوا يخبطون خبط عشواء في امر تولد الذباب والحشرات والدقيق من كل حيوان ونبات · وما كان ذلك عن نقص في ادراكهم بل لانهم لم يدخلوا المسألة من بابها ولقلة اطلاعهم فيها وقلة ما لديهم من الآلات والوسائط التي ساعدت المتأخرين على حلها · فيجدر بنا قبل ان نبحث عن هذه ان نذكر بعض آراء الاقدمين في تولد بعض الحيوانات والنباتات من دون والدٍ

قيل ان ارسطو كتب في بعض مادون كل جسم يابس ابتلَّ وكل مبتل منه جفَّ يولد الحيوانات الدقيقة · و ينسبون اليه أيضًا الزعم بان الديدان التي تظهر على بعض البقول في مزارعها لا تتكون الاّ من تعفن الاقذار والاوساخ وتخمرها اعني السرجين الذي تُصلح به الحقول والسماد الذي يخصب التربة · وكذلك تتكون البراغيث في التراب · وقرر الشاعر ڤرجيل بانه قد يتولد النحل من امعاء ثور جافة · وقال فلوطرخس بان ارض مصر الكثيرة المستنقعات تتولد فيها الفيران والجرذان من دون والد ·

وفي القرن السابع عشر قال «فان هلمونتس» بان الروائح الكريهة التي تنبعث من قعر

المستنقعات تتولد منها الضفادع والبزاق والعلق وبعض الحشائش الى غير ذلك من الحشرات والذباب التي يشاهد فيها وكان على يقين في قوله فيزعم انه اذا اخذ جرة وملأها قمحاً وسد فمها بخلق قميص وسخ لم يمر على ذلك القمح اكثر من واحد وعشرين يوماً حتى يتحول الى فيران . وهذه يكون منها ذكور واناث تتزاوج وتتكاثر . ومن هذا القبيل كيفية تولد العقارب من الحبق فان العالم المذكور كان يشير على من اراد التجربة ان يأخذ آجرة ينقر في احدى جوانبها حفرة يملأها بمسحوق نبات الحبق ثم يأخذ آجرة اخرى يضمها الى الثانية مغطيا بها حفرة الحبق فلا يلبث هذا مدة حتى يتحول الى عقارب حقيقية . وقيل ان بزر السماق يتحول الى قراد الكلاب ودودة القز بزرها نباتي الى غير ذلك من الآراء الواهية التي لم تبن على ملاحظات حقيقية . وهو مما يستغرب حقيقة من رجال كانوا افراد زمانهم على حين هم من السذاجة والجهل على جانب و يتعرضون لحل اعظم المسائل الطبيعية كالتولد والحياة بنوع من القول لا يقبله العقل السليم

وكان ريدي الايطالي اول عالم فتح باب الملاحظات المدققة في مسألة تولد الديدان من والد وذلك سنة ١٦٣٨ فانه قال بان الدود الذي يشاهد في اللحوم الفاسدة يتولد من بييضات يلقيها الذباب الذي يقف عليها . فاذا غطي اللحم حين قطعه بنسيج رقيق يمنع عنه الذباب فلا يعود يتولد فيه دود البتة . نعم ان هذا الرأي صحيح ولكن ريدي المشار اليه لم يتمكن من اقناع جمهور العلماء ولم يظفر بشرف الاكتشاف . لان الفضل ليس لمن عرف الحقيقة بل لمن اكتشف احسن اسلوب واعظم واسطة لاثباتها واقناع العموم بها اقناعاً منطقياً حسياً . فلم ينتج ادنى منفعة للعلم من هذا الاكتشاف ولم يتصد او يتحزب له احد بل دامت المجادلات في مسألة التولد الذاتي نحو مائتي سنة وهي في طور الحدس ولم تتقدم اكثر مما فعل ريدي

تغلب رأي التولد الطبيعي او الحيوي

عند ما اخترعت النظارة المعروفة بالمكروسكوب اي نظارة الاجرام الدقيقة وسميت عندنا بالمجهر فتحت طريقاً جديدة للبحث في مسألة التولد المذكور وللحكم فيها حاسماً من بعد التحقق بالنظر والعيان فجرى التخالف والجدال بين القائلين بتولد الدقيق من الحيوان من دون والد او طرائياً والذين لا يقبلون الا بالتولد الحيوي الطبيعي مطلقاً . فادتهم خاتمة التجارب والتدقيق الى ساحة الحق فاتفقت الكلمة في القول بان كل حي من حي او كل بيضة من بيضة . فمن بعد اختراع المجهر طرحت المسألة هكذا : هل التولد الذاتي ممكن ومن اين تتولد الديدان والذباب وبقية الحشرات والدقيق من الحيوان .

فقال العالم الانكليزي : ان الرأي المشهور بان الديدان والذباب حتى الفيران

والعقارب وغيرها قابل تولدها من ذاتها طرائياً في المواد الآلية الخامرة قد تبين غلطهُ واضمحلَّ على انهُ من انحلال تلك المواد وفسادها تتولد حقيقة الوف من الحيوانات الدقيقة التي لا ترى الا بالمجهر . فلا يقتضي ان ننكر او نشك في هذه الحقيقة من اجل غلطنا وجهلنا في تلك .

ثم قام « بفون » الشهير وتحزب لنادهام المذكور وحامى عن آرائه فتغلب وقتئذ على الحيويين لانه لم يكن بينهم كفوءٌ لمقاومته . وفي سنة ١٨٣٨ اكتشف اهرنبرغ نوعاً من الحييوانات في الماء والتراب لا ترى الا بالمكرسكوب ما سماه بالانفروار وهي خلايا متفرقة ومنفردة عن بعضها كل منها قائم بذاته ولهُ جميع الخواص الحيوية اعني الاغتذاء والنمو والتولد . ومن بعده بثمان سنوات سنة ١٨٣٧ اظهر « شوان » الالماني « وكانيارد لاتور » الفرنسوي كل من قبله ومن دون تعاطٍ بينهما ولكن الاوَّل اسبق — بان الاختمار الذي يحصل حيث توجد المواد الآلية هو فعل حيوي مختص بالخلايا او الحييوانات الدقيقة البسيطة التي سميت بالميكروب فهو اعني الاختمار لا يحصل الاَّ بها ملازم لها ومتوقف عليها وعلى الاكسيجين الذي يكون بمنزلة الغذاء للخلايا . فذاع هذا الاكتشاف وصار قاعدة عليها بني رأي الحيويين وطرحت القضية هكذا : هل ان الاختمار والتعفن وبعض الامراض تفعلها الخلايا فعلاً حيوياً ناتجاً عن اغتذائها بشيء مما تتركب منهُ المواد القابلة الاختمار .

فاثبت شوان احد المكتشفين المذكورين بان جميع المواد المختمرة لا تخلو ابداً من الاجرام والخلايا الحية . ولدى الامتحان صادق عليه اكثر العلماء . واما المعارضون فانهم لما لم يروا سبيلاً الى انكار الواقع سلموا بالقضية ولكنهم حاولوا وجود اختمار من دون الخلايا عند ما زاحمتهم النتيجة كما سنبينهُ

دمشق سليمان غزالة

علوّ الهمة

ابى الله ان يسمو الى قنن المجد … ويعطي زمام الفخر الاّ فتى الجدّ
فتىً لا يبالي بالنوائب والنوى … ولو طوّحته في حزون من الجهد
فتى ان يكن بالشرق امسى مقامه … وفي الغرب مقباس بغاه على البعد
واطلق للشوق العنان فاوجفت … صوافنه في السهل والغور والنجد
تجوب الفيافي معنقات كأنها … قطار بجار هاج من سورة الحقد
فسار يباري الريح يبغي عدوّه … وفي قلبه نار الضغينة في وقد

***

فلما رأى عجز الجياد وهاجه … لواعج في الاحشاء من قبس الوجد
دعا قائد الشمس ائتدوا رم زورقًا … اليّ فآتيها ورهطي او وحدي
فهذي الجياد الصافنات أكلها … سراها على الآكام والحزن والوهد
لعلي اقضي ما اروم من المنى … فارجع كالسيف الجراز الى الغمد

***

كذا فليكن همّ الرجال وحزمهم … والاّ فموت او رجوع الى المهد
فليس ينال المجد الاّ بهمة … اشدّ مضاء من شبا الصارم الهندي
ومن لم يروّ النفس من آجن المنى … ويقذف بها في هوّة الجهد والكدّ
فما هو يومًا للمعالي بصاحب … ولا مالكاً ما عاش ناصية المجد
ولا نائلاً من دهره ما يرومه … ولا لحياض المكرمات بذي ورد
وما المجد الاّ همة ان تمثلت … تزلزلت الافلاك منثورة العقد
فلا تبغ ان ترقى الى ذروة العلى … ولم تركب الاهوال نصّاً على وخد
فترجع عنها كاسف البال مخفقًا … تمرّ بك الاطيار نحسًا بلا سعد
وهل يخطب الحسناء من ليس قادرًا … على مهرها ماذاك من عادة الجعد
فمن شاء ان يولى السعادة فلتكن … له الهمة القعساء رائدة القصد
ويتخذ التقوى شعارًا ومذهبًا … الى مورد الرضوان والمسرح الرغد
فمن يجعل التقوى صوى لفعاله … فما هو يومًا بالمزيغ عن الرشد
ومن عدم التقوى اناخت بصدره … كوارث اشجان اشد من الصلد
وليس التقى ثوبًا تقادم عهده … وما لبسه زهدًا يعدّ من الزهد

ولا ان يُرى بين المصلين ساجداً ومذهبه الاضرار دأب الفتى الوغد
ولكنها التقوى فؤاد مطهر سليم من الآفات اشهى من الرند
به قد رعى سرح الوئام و بددت كتائبه سرح الشقاق عن الورد
فان رمت ان تحيى برغد من المنى بدنياك والاخرى مطيراً من الرفد
بجدّ لخيرٍ واجهد النفس حقبة من الدهر تبلغ منتهى شعف الحمد

بيروت مصطفى سليم الغلاييني

اليونان

معربة من كتاب تاريخ الحضارة

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد — ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧٠٠٠ كيلو متر مربع) لا تكاد مساحتها تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الاهوية وما يتخللها من الجبال و ينقسمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في اخلاق ساكنيه . وتقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً مثله و يقوم الصخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورنت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من الترعة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنهُ حصن احاطت بهِ سلاسل عالية وعرة مثلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الجزر على طول الشاطيء وما هي الا جبال مغمورة يبرز رأسها فوق الماء . وتقلُّ في هذه الارض ذات الوهاد والنجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها ونصفه جاف و بين صخور الجبال الجرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض غابات واشجار سرو وغار ونخيل وكروم غرست في مواضع من التلال ولكن قلما اتت بغلات جيدة او بمراعي خصيبة . فبلاد هذا شأنها من طبيعتها ينشأ ابناؤها هم متسوقة قدودهم قوية اجسادهم قانعة نفوسهم .

البحر — تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرتغال وشواطئها تكاد تقرب من شواطيء اسبانيا بكثرتها ينساب فيها البحر من عدّة خلجان ووقائع (١) وتخاريم . ومن العادة ان يحيط باليمّ صخور تتقدّم او جزر تتقارب يتألف منها مرفأ طبيعي . وهذا

(١) في القاموس الوقيعة نقرة في جبل او سهل يستنقع فيها الماء جمعه وِقاع ووقائع .

البحر اشبه ببحيرة لامدّ فيها ولا جزر ولذلك سلمت شواطئه من الضرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كئيباً وهو في العادة هادي، صاف ولونه كالبنفسج كما يقول هوميروس ولا اكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفراً قصيراً . ولقد تهب ريح الشمال صبيحة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آثينة نحو آسيا وتقذفها ريح الجنوب في المساء الى المرفاء والجزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سكون بحرهم باعث على ركوبه واجتيازه فاصبح اليونان من ثم بحارة وتجاراً وسياحاً ولصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر و بلاد الكلدان وآسيا واختراعاتها .

هواؤها — لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آثينة لا يحدث الاّ في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات منذ شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يُرى على بضعة فراسخ في القلعة المطلة على آثينة ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصية مستورة بالضباب كما هو الحال عندنا معاشر الفرنسيس بل انها تحل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بجمالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء يبسم حواليه فمن نزهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراصير ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب بالشباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستصحاب الراح وشربه على النغمات والاغاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاذ اليونان وما هي الا ملاذ جيل من الناس فقير مقتصد فتيّ لا يعرف الهرم ابداً .

بساطة العيشة اليونانية — لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يشقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقتضيه البلاد غذاء غزيراً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفنة من الزيتون وسمك السردين و يلبس نعلاً وقميصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكشوف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع اللصوص عن دخولها بثقب حائطها ولا له من الاثاث غير فراش وبعض لحف وبضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران خالية من الزينة مبيضة بالجير « الكلس » ولا يأوي الى الدار الاّ آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان — كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الضيقة النطاق من

الجنس الآري انسباء الهنود والفرس جاؤا مثلهم من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراصير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للشك في اصلهم . وكان اليونان الاول كسائر الآريين يقتاتون باللبن ولحوم القطعان و يسيرون مدججين بأسلحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينقسمون قبائل وفصائل تحت إمرة بطاركتهم .

اساطيرهم — جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم علم بمنشإ اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا بشيء من اخبارهم واعمالهم فيها . وان حفظ ذكر الحادثات الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكتابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الاَّ حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين ثم اتخذوا بعدُ طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اولمبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة الفترة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص مشوبة بحكايات يتعذر الالمام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آثينة ان الملك الاوَّل المدعو سكروبس كان نصفه ملكا ونصفه حية وذكروا في ثيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فينيقية للبحث عن اخت اوروبا التي خطفها ثور وكان قبل تنيناً وزرع اضراسه فنبتت منها مقاتلة ومنهم تناسلت الاسرات الشريفة في ثيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتفاً من العاج للاستعاضة عن كتفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونها و يتناقلونها وظل ابناء يونان يذكرونها الى ما بعد و يثبتون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الربوبية مثل ابطالهم برسي و بيليروفون وهيرا كليس وتيزي ومينوس وكاستورس و بولوكس وميليا كرس وادينس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنوَّرة منهم اتخذوا هذه التقاليد حقائق لا نزاع فيها الاَّ قليلا . تلقوها على نحو ما تؤخذ الحادثات التاريخية اخبار الحرب بين ابني اديبس ملك ثيبة وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب جزة الكبش التي قام بحراثتها ثوران لهما ارجل من فلز تقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بياناً وتفصيلا فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة غنية ذات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة

المتحكمة على شاطىء القارة الآسياوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبى هيلانة حليلة منيلاس ملك اسبارطة فاتفق اغاممنون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة جيشاً يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشر سنين اذ كان الرب زيوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر بالويتهم. ولقد اشترك مقاتلة اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجرّ جثته حول المدينة. قاتل اشيل بسلاح الهي وهبته اياهُ امهُ ربة البحر ثم هلك بسهم اصابهُ في عقبه. حتى اذا يئس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوّة عمدوا الى الحيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً ضخم الجثة من خشب اختبأ فيه زعماء الجيش فاخذ الطرواديون هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القوّاد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فحرقت طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء.

ولما قفل زعماء اليونان من غزاتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذفت الانواء بفريق منهم الى شواطىء بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الزعماء جربزة ودهاء واطولهم يداً في كيد المكايد ان قضى عشر سنين تتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الغرق برأسه.

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاخبار الثابتة. فزعم القوم ان غاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة. وقد خطر للمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاقتضى لهُ ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر متراً في اعمق طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الابنية بصندوق مليء بالحلي من ذهب سماهُ كنز بريام. وكان ثمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل ربة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس ثمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً.

ميسينيا — ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اغاممنون الذى كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودفن بالقرب من قصره. ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت

مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الفخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وثخنها خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الجبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها · ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة عزم ان يبحث عن قبر اغاممنون في ميسينا وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب حتى وصل الى الصخر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعمائة سفيقة« ورقة ذهب» وزهاء مائتي سيف وخنجر مع نصال مموهة بالذهب والفضة · وكان على وجوه بعض الجثث برقع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا ·

ومنذ ذاك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه خزف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من ذلك بانه كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق · م) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات غنى متوسط وتيسر لهم به ان يكنزوا الكنوز ويستصنعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني ·

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوذيسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة · هاتان القصيدتان هما اللتان اذاعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة · وقد حفظتا قروناً دون ان يكتبا فكان المغنون الذين ألفوا الترحل يستظهرون ابياتاً طويلة منهما وينشدونها في الاعياد · وفي القرن السادس امر احد امراء آثينة واسمه بيزيسترات ان تجمع القصيدتان وتكتبا فاصبحتا بعد وما زالتا ابداً اجمل الآداب اليونانية المعجبة المطربة · يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ايونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمثلونه على صفة شيخ ضرير فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف نسبته اليها تدعي كل منها انها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً بدون مناقشة فيه · وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وابان بعض تناقض في هاتين القصيدتين اداه ان

يجزم بانهما ليسنا من نظم شاعر واحد ولكنهما كتاب مؤلف من مقاطيع لشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم بين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او عدمهِ وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جدًّا وربما كانت من القرن التاسع . الفت الالياذة في آسيا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احداهما بحروب طروادة وثانيتهما بحوادث اشيل اما الاوذيسة فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمت من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نوغل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة . واشعار هوميروس اقدم مستند بشأنهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس باسم قبائلهم الاصلية ويظهر انهم كما وصفهم قد نجحوا منذ غادروا آسيا فعرفوا حرث الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوباً صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجلس شيوخ ودار ندوة وقد فاخر اليونان بحكومتهم واحتقروا الشعوب النازلة بقربهم لانهم كانوا دونهم فدعوهم البرابرة . ولقد صرح عولس بخشونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون نساءهم واولادهم بالذات ولا يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجشم اخطاره ويزعمون ان الغول سكن جزيرة صقلية .

المترجمات وحكم المترجم فيها

يتوقف النقل من لغة غربية الى لغة شرقية على امور منها احاطة المترجم بالموضوع احاطة تامة ومنها تمكنه من اللغتين او من اللغة التي يترجم اليها اكثر من اللغة التي ينقل عنها وقد جرت عادة النقلة والمترجمين في هذا اللسان قديمًا وحديثًا ان ينقلوا بالمعاني كما ينقلون بالالفاظ (١) والنقل بالمعنى اعذب واسلس لان المترجم ينشيء جمله على مناحيه ويؤلف كلامه بحسب تسلسل افكاره والترجمة باللفظ اي نقل كل كلمة بما يرادفها في اللغة المنقول اليها هي من اشق الاعمال وقلما يجيد فيها الا افراد . ولذلك رأينا اكثر الناقلين يختارون طريقة النقل بالمعنى ولكن المرء يضطر في بعض الموضوعات الى النقل بالحرف الواحد خصوصًا اذا كان المنقول عنه عالمًا كبيرًا او صاحب رأي ونحلة يحب الناقل ان يطلع من ينقل اليهم على فكر المنقول عنه على علاته بدون زيادة فيه او نقص منهُ مخافة ان يصدق عليه المثل الطلياني القائل (ان المترجم خائن) واي خيانة اكبر من نقل اقوال صاحب نزعة او مذهب محرفة مهزعة وان ينسب اليه مالم يقله او ينقص من اقواله ما لهُ بذكره مأرب وربما لا تتسدد مرامي كلامه الا بتلك الجمل او المعاني التي لا يحفل المترجم بنقلها ولا يتعنى بتصويرها .

من اجل هذا ترى اهل الامانة من المعانين لصناعة القلم قد يحتفظون بما يكتب غيرهم وينقلونهُ لمجرد الاطلاع ولو ادى بهم الى الخروج عن سنن البلاغة وخالف ما في اعتقادهم فكل ما يأتي بهِ المترجم والحالة هذه لا يورده وهو مسئول عن مكانه من الصحة . ولو قصد الناقل ولا سيما في الصحف الدورية العلمية او اليومية السياسية ان يملق على كل فكر ينقله عن غيره او يحذف كل جملة لا توافق ماوقع في نفسه لضاع الغرض المقصود والوقت الثمين . واذا فعل فيكون كمن يحاول ان يحيل كل فكر الى فكره وان يعبث باكثر المقاصد بنسجها على طريقته ويقضي على القاريء اذ ذاك ان يسمع نغمة واحدة تملها اذنه مهما كانت جيدة التوقيع والتلحين

ومن ثم ترجمت الى العربية في زمن الخلفاء الذين كان لهم ولوع بالعلوم مؤلفات كثيرة كان الغرض من نقلها مجرد معرفة آراء اربابها ككتب النحل والملل والسحر والطلاسم وماشاكلها ولا يلتفت الى ما يراه كثير من الاغمار من ان كل ناقل مأخوذ بتبعة ما ينقل فان هذا مما لا يقول به احد من اهل العلم . ولقد رأينا كثيرًا من فحول العلماء ألفوا في الملل والنحل وذكروا رأي كل فريق مشفوعًا بادلته ولم يتصدوا لنقد ذلك مع مباينتهم له اعتمادًا على ان لرد تلك الشبه كتبًا خاصة يرجع اليها من يعنى بذلك .

(١) المقتبس ج ١ ص ٥٥٨ وص ٦١٦

سير العلم

تربية الازهار

كان اخترع احد الباحثين في كوبنهاغ طريقة لتربية الازهار بواسطة المواد المخدّرة فتناول اختراعه هذا جماعة من ارباب الزراعة في فرنسا واكملوه وطريقتهم ان توضع النباتات وهي جافة على طبقة من الرمل الناشف في صندوق يمكن اغلاقهُ اغلاقاً محكماً ويعلق على غشاء الصندوق اناء يلقى فيهِ الاثير من ثقب ليسد بسرعة وكلما تبخر الاثير ينزل الى اسفل الصندوق ويغشي النباتات الموجودة فيه وبعد ٤٨ ساعة ترفع النباتات وتجعل في بيت آخر في هواء بليل وتربى كالعادة فتزهر اكامها وازهارها بسرعة اكثر من سرعة النباتات التي لا تربى على هذه الصورة ويكون شكلها اجمل . فانك ترى البجلة (ليلك) المحضر على هذه الصفة يزهر ويورق في ثلاثة عشر يوماً على حين يقتضي لزرعه المعتاد سبعون يوماً ولا يأتي مثله وهكذا قل في سائر الازهار .

اعارة الكتب

منذ سبع سنين انشأ جماعة من الالمان في برلين خزانة كتب وغرفة للقراءة وهي تعير الكتب ليأخذها القارىء الى بيته ومحل عمله فكان مجموع مااعارتهُ في السنة الماضية ثمانين الف مجلد استعار اكثرها الرجال وكان عدد القارئات واحدة في كل خمسة وعشرين مستعيرًا ونصف ارباب الاستعارة عملة وربعهم من المستخدمين على اختلاف الطبقات وثلثا الكتب المعارة ادبية ونحو ربعها علمية ولم يفقد من هذه الكتب سوى تسعة . قالت المجلة الافرنسية ومن الغريب ان هذه المكتبة تستجلب ٥٢٩ جريدة ومجلة لفائدة قرائها على انك لا ترى في مكتبة الامة بباريز سوى خمسين من نوعها .

الطالبات في انكلترا

أُنشئت سنة ١٨٦٨ في كلية كمبردج في انكلترا مجالس يجتمع فيها النساء خاصة ليستمعن ما يلقى فيها من اصناف العلوم واذ تكاثر عدد المستمعات قضت الحال بان ينشأ لهن بيوت يأوون اليها وكان حضورهن اولاً على سبيل التسلية والشغف فاصبحن الآن كالرجال يتعلمن ويزاحمنهم في الحضور الى تلك المدارس وصفوفها ويشتغلن في مكتبتها التي فيها اربعمائة الف مجلد وهي ثالث مكتبة في انكلترا بفخامتها واصبح القسم الخاص بهن من هذه الكلية الآن ينقسم الى ثلاث جمعيات الاولى دينية والثانية ادبية والثالثة سياسية واعضاؤها من

البنات وقد وصفت احدى المجلات صورة اجتماعهن ومناقشاتهن وما يصرفن فيه اوقاتهن من مفيد الاعمال والرياضات كالرقص والسباق والالعاب المحللة وتمرين بعضهن على استعمال مضخات الحريق الحين بعد الآخر حتى اذا كبرن وصرن ربات بيوت وحدث ان داهمت النار بيتاً لهن يستطعن اطفاء الحريق من ايسر السبل

الصحة في يابان

قال رئيس اطباء الجيش الياباني في تقرير له ان يابان بلغت ارقى درجات التقدم فان ثمانمائة الف جندي الذين عادوا مؤخرا الى بلادهم من ديار الحرب قد جرى تطهيرهم على الاصول الصحية فكان الجندي ينزع ثيابه كلها ويضعها في كيس ويستحم في خابية مملوءة بالماء الحار ثم يلبس قميصاً ويمشي قليلاً في الشمس ريثما تدخل البسته في المستحم الخاص بها وكذلك تطهر اسلحته بامرار بخار فورمول عليها وقد طهرت حتى الخواتم التي يلبسها الجنود واعطوا اوراقاً مالية جديدة بدل الاوراق التي كانوا يقبضونها زمن الحرب مشاهرات لهم · وقد دامت هذه العملية ٧٥ دقيقة لكل جندي وبهذا لم يجلب الجيش الياباني معه الى بلاده امراضاً وبيلة واوبئة فاشرة كان يأتي بها الجنود معهم من ديار الحرب ايام كانت الامم لا تعتقد بالجراثيم والنسم

حياة العميان الطبيعية

الف احد علماء براغ كتاباً مهماً درس فيه احوال العميان وحواسهم فقال ان حاستي اللمس والسمع تفيدان العميان فائدة كلية لا كما كان يظن على وجه عام وليس ذلك لان هاتين الحاستين قويتان فيهما بل لانهم يحسنون استعمالها والانتفاع بهما وحاسة الشم تهديهم لامور لا يهتدون اليها باللمس اما حاسة الذوق فيهم فلا تختلف عما هي عليه عند المبصرين وللاعمى حاسة سادسة وهي شعوره بالمصاعب والحوائل وهي حاسة مؤلفة من السمع واللمس وهو ذو ذاكرة قوية لانهُ يقضي عليه ان يمرن نفسه منذ صغره على حفظ ما ينقل اليه ولا يزال يستظهر ما يسمعهُ في ليلهِ ونهارهِ وهذا التمرين الدائم لذاكرتهِ يمكنهُ من اتقان الموسيقى · وقد ترى ذاكرته في الغالب من اعجب الذاكرات في البشر ·

الصدأ

تبين من الكشف الاخير ان الصدأ يفعل فعلاً شديدا لم يكن من قبل معهوداً ففي انكلترا يخرب في اليوم ثمانية عشر طناً على طول خط حديدي واحد وفي اميركا يأتي بضرر اكثر من ذلك على السكك الحديدية وقد كانوا يعالجون الصدأ بطلاء الحديد ولكن

الباحثين الآن بحثوا في طريقة تقي الحديد من الصدإ فلا تفعل فيه المياه ولا غيرها من الرطوبات وقد وفقوا الى اتقانها .

الصلع

اختلفت الآراء في الصلع فقال بعضهم بانهُ حملة طفيلية معدية وقال غيرهم انهُ نتيجة بعض امراض واوجاع وارتأى آخرون بانهُ نتيجة السهر في اجهاد العقل بامور صعبة وعاقبة من عواقب الهموم والاضطرابات . وقد تبين لاحد اساتذة مدرسة الطب في دتروا من ولاية مشيغان الاميركية بان الصلع يحدث من فساد استنشاق الهواء ولا يمكن التخلص منهُ الاّ باحسان استنشاق الهواء الجيد فان الهواء الفاسد في الرئتين اذا لم يستنشق كما ينبغي يسري كما يسري السم في الدم ولا تكون تغذية بصلات الشعر الا قليلة او فاسدة . وقد جرب الدكتور المشار اليه هذه القضية في أُلوف من الاشخاص فثبت لهُ رأْيه بالاختبار وقد جرب ان ينشق هواءً نقيًا لجماعة من الصلع او المعرضين لهُ فبعد اسبوع من استنشاقهم له من اعلى الصدر نشطت بصلات الشعر واخذت تنمو ولم تات على هذه العمليه عشرة اسابيع حتى صارت لهم شعور اثيثة . قالت المجلة التي نقلت هذا الخبر انهُ انشق الكلاب والدجاج والحمام هواءً فاسدًا ففقدت ريشها وشعرها .

اندية الانكليز

زار احد المفكرين اندية لندن فكتب عنها مقالة ضافية في احدى مجلاتها كانت في الحقيقة وصف الحياة الانكليزية واختلاف تغييراتها المتتابعة فما قالهُ : الاندية مرآة صادقة تقرأْ فيها عنوان القلب والابدال الذي طرأَ على الهيئة الاجتماعية والاخلاق على توالي القرون ولطالما مرت فيها اجيال من الناس ذكروها فذكرتهم واقدم اندية لندرا النادي البحري الملوكي أُسس سنة ١٦٧٤ وانشيءَ غيره في النصف الاوَّل من القرن السادس عشر وأُسس نادي طرف الغار سنة ١٨٠٥ الى غير ذلك من الاندية التي كان ولا يزال يختلف اليها العالم والمفكر والموظف والسياسي والبحري واهل جميع الطبقات .

بلاد الزنج

كتب المسيو لوسين بوفا فى مجلة العالم الاسلامي بحثًا وصف فيه سكان البلاد الساحلية من افريقية الشرقية ولغتهم وعاداتهم وذكر لمعة من تاريخهم وجغرافيتهم فما قالهُ ان الشاطيء الشرقي من افريقية كان معروفًا عند الملاحين الفينيقيين واليونانيين في البحر الاحمر وان قد كانت لهُ صلات تجارية مع الخليج الفارسي وعمان والشاطيء الغربي من الهند قبل الهجرة

بزمان وقد ذكر بطليموس الجغرافي في القرن الثاني للميلاد جزءاً من البلاد في جنوبي الحبشة سماه « زانجير » ثم دعي الزنوج النازحون منها بالزنج وهم يختلفون عن بقية الشعوب الافريقية كالنوبيين والحبش بشفاههم المقلصة وانوفهم المفلطحة ثم كثر ذكرهم في تاريخ الاسلام في القرن الثاني بعد ان انتشر الاسلام بينهم ولم تكن العلائق بين بلاد الزنج والممالك الاسلامية مقصورة على جلب الرقيق منها بل انه كان من تأثيرها دخول الاسلام اليهم ولم يكن انتحال العرب للاسلام ليغير شيئاً من نوع الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين بلاد الزنج قبل البعثة المحمدية فدخل الاسلام اليهم على يد حمزة اخي الخليفة عبد الملك سنة ٨٦ واستنتج الكاتب بان عمان والخليج الفارسي كان لهما شأن عظيم في الاستعمار الاسلامي منذ القديم قال وقد تعاقبت الاسماء الكثيرة على هذه البلاد ومنذ عهد ابن بطوطة اخذ يزول عنها اسم بلاد الزنج ففي شماليها شاطئ الصومال ثم السواحل وتعاقب الحكم عليها الترك فالبرتغال فجماعة من اهلها مثل سلاطين مسقط وزنجبار وسنة ١٨٩٠ تقاسمت كل من انكلترا والمانيا هذه البلاد فاخذت الاولى الساحل الشمالي والثانية الجنوبي فصارت زنجبار والجزائر الملاصقة لها في منطقة نفوذ انكلترا . ويقدر نفوس هذه البلاد بزهاء مليون وخمسمائة الف نسمة منهم مليون واربعمائة الف من الوثنيين والباقون عرب وايرانيون وزنوج واوروبيون وقد اصبحت اللغة الساحلية مزيجاً من العربية والفارسية وبعض الالفاظ الافرنجية واصل لغتهم لغة البانتو وقد ارجعها الباحثون في اللغات الى تقاسيم كثيرة فقالوا انها ١٦٨ لغة و٥٥ لهجة واللغة الساحلية مستعملة بين المسلمين خاصة بحيث اصبحت لغة التجارة في افريقية الشرقية والوسطى . وختم هذا الفصل بقوله ان جوهانستون قال منذ عشر سنين ان اللغة العربية تضمحل في داخلية بلاد الزنج من زامبيز الى النيل الابيض وان اللغة الساحلية تقوم مقامها وذكر لهم عادات لا تختلف عن اكثر عادات المسلمين في معظم البلاد ولا سيما البادية منها .

مداواة المسلولين

في احدى مجلات كوبنهاغ بحث في معاملة المانيا والدانيمرك للمسلولين قال فيه كاتبه ان الالمان في مقدمة الامم التي انشأت المستشفيات الكثيرة لمحاربة هذا الداء وتليها الدانيمرك . ويقيم المسلولون في المصاح بالدانيمرك من عشرة اشهر الى اثني عشر شهراً اما في المانيا فيقيمون ثلاثة اشهر ولكن المصابين بهذا الداء في الدانيمرك يشتغلون في المصاح او المستشفيات اشغالاً يستطيعونها وتدفع حكومة تلك البلاد ثلاثة ارباع النفقات التي تنفقها هذه المستشفيات والربع الآخر تدفعه العمالات والولايات .

علم الجراثيم

كان من نتيجة البحث عن الجراثيم في الممالك الغربية ان احدث فيها خوفاً من عاديتها على اختلاف انواعها وسرى من ذلك الى بلاد الشرق عدوى التخوف منها كما هو الآن في الغرب . وما برح الاطباء يحذرون الناس من اخطار الميكروب على اختلاف انواعه والحق معهم في ذلك فمن الضرورة تحذير الخلق من الاخطار التي تلحقهم من قلة العناية الصحية فاذا انتشر مرض الجدري لا بدَّ للطبيب من ان ينصح باعادة التلقيح ولكن ينبغي ان يلاحظ ان المسافة تختلف بين ما يقال له احتياط وما يقال له خوف فالاعتدال مطلوب على كل حال وانا لنرى ارباب المزاج العصبي يعيشون الآن في هلع دائم على حين كان الواجب عليهم ان يكتفوا بالحذر والاحتياط فبعضهم يقول ابتعدوا عن التقبيل وعقموا اللبن وغيره من المشروبات مخافة ان ينقل جراثيم السل الى متناولها وان يبتعد المرء عن مصافحة غيره لئلا يأخذ الجراثيم التي تكون نازلة على الجلد ويوصون ان لا ينزل المرء في سياحته في احدى الفنادق لئلا يأخذ جراثيم مرض ينتقل اليه بواسطة الفراش واللحاف وعلى من اضطر ان يركب القطار ان لا يمس المخدات والمتكآت والستائر . وقد كثر التخوف من الميكروب حتى قام احدهم في نيويورك واخترع آلة صغيرة وهي عبارة عن انبوب صغير يحمله المرء تحت طرف ثيابه ويملأه بسائل مطهر فتمر بالعروة عقدة تناط بالانبوب الصغير فتتألف منها آلة مبخرة فاذا تنهد المرء قليلاً يبدأ التبخر فيستعمل المرء هذه الآلة على هذه الصورة كلما اجتمع في الشارع مع شخص كما يستعملها لتبخير كل ستار او قطار او دثار او شعار او جدار يشتبه في امره . قالت المجلة الباريزية ولا يبعد ان يأتي يوم يبني فيه المهندسون بيوتاً ومساكن تكون بمأمن من الجراثيم الضارة وقد بدأ القوم في اميركا يجربون تجربات من هذا القبيل بانشاء غرف كلها من الزجاج ولا ينبغي الاستهزاء بهذه الفكرة فان الطلبات متوالية في ذلك .

مطبوعات ومخطوطات

دائرة المعارف الاسلامية

ستصدر عما قريب دائرة المعارف الاسلامية التي الفها الاستاذ هوتسما من اساتذة كلية ليدن بمعاونة جماعة من علماء المشرقيات مثل هوار وفولرس و برتولد وزترتستين وهورروفيس و بكير ومارسي و باسي وغيرهم من الهولانديين والفرنسويين والالمانيين والنمسويين والسويديين وقد ذيلت كل مقالة بتوقيع كاتبها على عادة الاوروبيين في موسوعات العلوم عندهم وقرأنا في مجلات العلوم الشرقية ثناءً كثيراً على هذا العمل النافع وتدقيق كتابها في المسائل التاريخية والاجتماعية الاسلامية . وانا نعرف بعض من اشتركوا في تأليف هذه الدائرة النافعة وهم متمكنون من آداب العرب وتاريخهم مطلعون على ماضي الاسلام وحاضره وما منهم الا من طاف كثيراً في اقطار المسلمين وعاشر اهلها واطلع على احوالها . فلاجرم ان يجيء مما تخطه انامهلم مثال التحقيق وانموذج الروية والبعد عن الغرض .

عرب سورية قبل الاسلام

المسيو دوسو عالم من اهل الاخصاء في تاريخ سورية عرفناه منذ بضع سنين ايام رحلته الاخيرة الى بلاد الصفا وهو يكاد اليوم يكون حجة بلغة الصفا وتاريخها . وكتابة الصفا لم تكن معروفة قبل خمسين سنة فحلها جماعة من علماء المشرقيات وانتهت الرياسة فيها لصديقنا دوسو . واللغة الصفوية هي اللغة العربية واهل الصفا هم اول النازحين الى سورية وان جاء بعدهم بعض القبائل الا ان تاريخ اولئك قد عرف اكثر من غيرهم من اهل سورية الراحلين بما اكتشف من آثارهم ومصانعهم ونقوشهم المزبورة على الاحجار وقد كان عدد ما عثر عليه ١٧٥٠ كتابة اكتشف نصفها المسيو دوسو والمسيو ماكر وهي مهمة من حيث الحياة الاجتماعية لامة بدوية رحالة وقد نشر هذه الآونة كتاباً في عرب سورية قبل الاسلام ومما قاله فيه انه ينبغي تصحيح الافكار الشائعة والاغلاط التي يقع فيها بعضهم بشأن العرب فان العرب ليست على اطلاقها من اهل الجزيرة العربية بل ان سكانها الرحالة في الجنوب من اصول اخرى و ينبغي ان يطلق اسم العرب على سكان اواسط جزيرة العرب وشماليها وعلى القبائل الرحالة التي تطوف بادية الشام لان هذه البلاد عربية صرفة والتنقل كل سنة يأتي هذه البلاد بقبائل من نجد وكل قبيلة تعقد مع القبائل الرحالة الاخرى عهوداً يسمونها « خوة » وتقضي بينها الربيع . والتنقل قديم يرد عهده الى اوائل التاريخ

المسيحي . قال ان الصفا غير قابلة للسكنى لانها ذات براكين ولكن في جوارها بلاداً تسكن خصيبة ذات مياه قال فيها ياقوت الحموي انها اصل البلاد الصفوية . وقال ان اللغة الصفوية هي احدى اللهجات العربية وليست فينيقية . وذكر ان الآثار التي عثر عليها ليست ذات شأن من حيث علاقتها بالدين لان المسلمين عفوا آثار الجاهلية الاولى فلم يبقوا منها اثراً وقال ان الصفويين كانوا يذكرون اسم « الجلالة » قبل الاسلام وقبل ان يختلطوا بالرومانيين وان العرب لم تفتح تلك البلاد عفوا بل ان اختلاطهم بالأمم المجاورة قبل الاسلام هيأ لهم سبل الفتح وان الرومانيين لم يحاولوا ان يصدوا عرب البادية عن التنقل بل كانوا يعاملونهم بسلام لئلا تكدر كأس الراحة .

ديوان حافظ

محمد حافظ افندي ابراهيم من اعاظم شعرائنا الافراد نبغ في البلاغة فاستولى على غاياتها وله نمط خاص به في الانسجام وجودة التصوير في الموضوعات التي ينظم فيها معظم قصائده على حين لا يقع منها لغيره الا الابيات الفذة النادرة فشعر حافظ هو الذي تقرأ فيه روح العصر . شعرٌ شعر شاعره بحركة العقول والاجتماع فنظم فيه وابدع . ومن اعظم حسنات حافظ في شعره انه ينقحه ويشذبه فلا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً . فان نظم في شهر قصيدة ينظمها غيره في يوم ولكن قصيدة الشهر تبقى وتخلد ويتناقلها الناس ويستظهرونها وقصيدة اليوم تذهب بذهابه . وقد نشر الآن الجزء الثاني من ديوانه في ١٣٦ صفحة صغيرة الجرم ولكنها كبيرة النفع ومعظم ما فيه قصائد اجتماعية في شؤون عامة تهم الامة قال على لسان اللغة العربية .

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني	عقمت فلم اجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم اجد لعرائسي	رجالاً واكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدر كامن	فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني	ومنكم وان عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني	اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزاً ومنعة	وكم عز اقوام بعز لغات
اتوا اهلهم بالمعجزات تفنناً	فياليتكم تأتون بالكلمات

ايطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بحر الجزيرة اعظماً يعز عليها ان تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق حياءً بتلك الاعظم النخرات
ارى كل يوم بالجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة
واسمع للكتاب في مصر ضجة فاعلم ان الصائحين نعاتي
ايهجرني قومي عفى الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الافاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فاما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي
واما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرك لم يقس بممات

وقال من قصيدة في غلاء الاسعار

ايها المصلحون اصلحتم الار ض وبتم عن النفوس نياما
اصلحوا انفساً اضر بها الفقـ ـر واحيا بموتها الآثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ ـدّ ولا ان تواصل الاقداما
تؤثر الموت في ربى النيل جوعاً وترى العار ان تعاف المقاما
ورجال الشآم في كرة الارض يبارون في المسير الغماما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا موقع النيرين خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طلب العيـ ـش ويبرون للنضال سهاما
وبنو مصر في حمى النيل صرعى يرقبون القضاء عاماً فعاما
ايها النيل كيف تمسي عطاشاً في بلاد رويت فيها الاناما
يرد الواغل الغريب فيروى وبنوك الكرام تشكو الأواما
ان لين الطباع اورثنا الذ ل واغرى بنا الجناة الطغاما
ان طيب المناخ جرّ علينا في سبيل الحياة ذاك الزحاما

حياة الزوجين

هو كتاب ادبي اجتماعي يشتمل على آداب حياة الزوجين وما يجب على كل منهما نحو

صاحبهِ وعلى ما تضمنته اسفار الحكماء واحكام العلماء وقد بحث فيهِ مؤلفه عبداللطيف افندي مصطفى في حالة البيوت والزواج المشروع المعقول ووصف اختلال احوال الخطبة والتربية والعادات السافلة بعبارات تشف عن ادب وقد درس الموضوع في مظان كثيرة فجاء مفيداً يشهد لمؤلفهِ بالفضل ويرجى منهُ عموم النفع

الدروس التهذيبية

عرب احمد افندي فوزي هذا الكتاب المفيد عن اللغة الانكليزية وهو على اسلوب في التأليف لم يؤلف في العربية يأتي بتراجم العظماء والعلماء باسلوب حكاية ويستطرد الى ذكر اعمالهم واختراعاتهم بحيث يتطلع القارئ الى ما تنطوي عليه القصة فيتعلم الافكار الصحيحة والحوادث التاريخية ويلمُّ بسير المشاهير واحوال الاجتماع والآداب بدون ان يتعب او يملّ كما وقع لهُ في فصول الكتاب الجليلة مثل ضبط النفس وحياة معتدلة والمثابرة والشجاعة والاعتماد على النفس والتبصر والنظام والتواضع والصدق في العمل والحرية في القول والبحث عن الحق واختلاف الآراء وغيرها. الكتاب موضوع لاطفال تختلف سنهم بين العاشرة والرابعة عشرة ونرى انهُ يفيد الكبار من الرجال والنساء وحبذا لو حذا حذو معربهِ كل من يعرف احدى اللغات الاوروبيه فينقل الى العربية كتاباً او كتابين في حياتهِ في ضروب العلم والادب زكاة عن علمه وحباً بنفع لغته وامته . والكتاب في ٣٥٠ صفحة صغيرة مطبوع طبعاً جيداً وثمنه فرنك واحد ويطلب من المكاتب الشهيرة فنحث على اقتنائه

مجلة الازهر

اصدر محمود بك زكي مجلة بهذا الاسم وهي علمية دينية ادبية تهذيبية تاريخية تبحث في المسائل العلمية وتدافع عن حق الازهر وعلمائهِ وتصدر مرة في كل اسبوعين وتحرر تحت ملاحظة بعض اكابر علماء الازهر وقيمة اشتراكها ثمانون قرشاً وللازهريين وطلبة العلم بار بعين وقد استبشرنا بهذه المجلة فلعل الازهريين يتمرنون بعد الآن على الكتابة والتأليف فان مدرسة فيها اثنا عشر الف طالب حرية بان تصدر باسمها مجلة تدوّن فيها آراء اهلها واميالهم وزبدة علومهم واذا كان في هذه المجلة الآن بعض امور تؤخذ عليها فان كثرة المران على العمل تجوده مع الزمن وما قط جاء عمل تاماً من يوم البداءة به فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها طول البقاء

فجائع البائسين

(تابع ما قبله)

— كنت وعدتني واخلفت وعدك وهيهات ان تثبت عليه

— اما قنعت وعذرتيني ؟

واخذت تفكر مترددة ان تكلفه بالطلاق المشؤوم الذي لا تود ان تسمع ذكره وهي تخاف ان لا يقبل فتخجل او يطلقها حباً بها وهو لا يريد ثم قالت يستحيل ان اكون زوجة ثانية واجتمع باعدى عدواتي او اتصوّر ان لي عدوّة في حياتي ولذلك ارجوك ان تعذرني اذا ابيت ان اجيبك الى سؤالك

— فان كان المانع لقبولك وجود شهيرة فهي طالقة ثلاثاً فكوني على ثقة من ان اجتماعي بها مرة اخرى ضرب من المحال

— ما كان بودي ان تطلقها ولكنهُ سبق منك فاعدك بالقبول وقد عفوت عنك وسامحتك بما بدر منك ونسيت كل خطيئاتك

— اشكر لطفك واحسانك ولم يبق امامنا من العقبات سوى قبول ابيك او اقناعه

— سأجد اليه وسيلة تضطره الى اجابة الطلب . وهنا تعانقا وتفارقا على امل اللقاء واخذ سعيد يفكر بالسعادة و يؤمل بقربها وهيهات ! هيهات ! لان السعادة الحقيقية مفقودة وقد يظن المرء انه سعيد بالنسبة للشقي او يتظاهر بالسعادة :

(تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد) ولكن الاماني تجعل الانسان يعيش في خيال السعادة فهذا سعيد ولد بالامل وعاش بالامل وسيعيش بالامل وصار يسبح في بحور الخيال واخذ يؤثر البقاء في فراشه على الذهاب الى احد من سمر ليفكر فيما ستصير اليه حاله . فبينما هو يفكر في خيالاته اتاهُ خبر وفاة ابنه مع احد اقارب زوجته فطلب هذا منه ان يرسل يجهزه للدفن ولم يكن سعيد رأى ابنه فحدثته نفسه ان يرى صورته ولو كان ميتاً ليلتذ بالبكاء عليه و يقول انه كان لي ابن فارسل وطلب ذلك فوعدهُ الرسول وذهب فاخبر شهيرة وامها بما اراد فغضبتا ونادتا بالويل والثبور قائلتين ان هذا لا سبيل اليه وامرعتا بتجهيز الطفل وحمل الى الجبانة فاتى سعيد فوقف قرب الباب المشؤوم وارسل خادمه ليطرق الباب فصاحت النساء وشتمنه ولعنت الولد واباه ودعتا الله ان يلحق الاب بالابن فادرك من ذلك الصياح ان الميت ارسل الى الجبانة وسأل الجيران فاخبروه انه أُخرج وصلي عليه ثم اخذوه ليواروه التراب فذهب الى المدفن فلم يجد سوى حملة الميت راجعين فسألهم عنهُ فقالوا انهُ

دفن واجره على الله فاخذهُ البكاء واسف اسفًا عظيماً . وبينا هو يكفكف عبراته اتاهُ طغمة الشحاذين فاحاطوا بهِ فمنهم من كان يقول « اسمعونا الفاتحة الى روح الميت » ومنهم من تسرع في تلاوة حزب من القرآن ومنهم من كان يقول « اعطنا من مال الله وتصدق عن روح ابنك » فما وسعه الا ان شتمهم وكدرهم وطاردهم ولكنهم ثبتوا واستعملوا القحة سلاحهم اذ اعتات نفوسهم السب والشتم واعطى خادمه ريالاً وامره بان يصرفه قطعاً صغيرة ويوزعه عليهم على السوية تخلصاً من سلاطتهم والحافهم فتركوه ولحقوا الخادم وكادوا يضربونهُ فرمى الريال وفرَّ امامهم يعدو مسرعًا فانقضوا جميعهم على الريال وانتشبوا يترامون بعضهم فوق بعض فجرح احدهم وراح ينتقم من رجل بريء فقابله وانتصر له آخر وعلا الصياح فاتى الشرطي واخذ يضربهم بسوطهِ ففرَّ بعضهم وقبض على الآخر فساقهم الى المخفر واخذ الخادم فلم يتركهم حتى اخذ منهم ما يرضي خاطره .

طغمة الشحاذين في كل بلدة ضروب واشكال واكثرهم عددًا وارقاهم في الشحاذة والتفنن في الالحاح والالحاف « كلاليب » دمشق فلهم هناك رئيس يحكم على اعوانٍ لهُ من كل حي من احياء المدينة ومن وظيفة الاعوان اخبار الرئيس في اسرع وقت بموت ميت وتوزيع صدقة وهذا يعلم جميعهم فما هو الا ان يصطفوا حول جدار بيت الميت قبل المعزين ينتظرون خروج النعش ليمشوا حولهُ مهللين مكبرين بانغام خاصة بهم فيمدون الكلام ويفخمون باشداقهم ويخرجون السنتهم . وللرئيس اجرة الاخبار يتقاضاها من كل فرد منهم حتى اذا دفن الميت يهجمون على اهله و يطلبون منهم اجرة التهليل والتكبير كأنهم دعوهم وقاولوهم على اجرة معلومة وقد يسمعونهم الفاظًا فظة و يحملونهم منة كأن يقولون لا يليق بمن ورث مبالغ من المال ان لا يتصدق عن روح مورثه كأنهم شركاء الوارث في ميراثهِ فيزيدونهُ غمًّا الى غمه

ولما رجع سعيد من الجبانة وفكر بانهُ خلص من اجرة الحضانة وحيل بينهُ وبين زوجهِ قوي امله وشكر ربه على ما ازال عنهُ من الغمة وذهب الى زيارة الباشا على حسب عادته واخبرهُ بما وقع لهُ فاسف هذا لهُ ورقَّ لحالهِ وشعر بلزوم حمايته لأنهُ هو وليّ نعمته ولامهُ على التأهل بهذهِ الزوجة ثم قال لهُ : ينبغي لك ان تفتش على زوجة توافقك

— لا يخفى على سعادة الباشا ان رفيقي اخو زوجتي هو الذي غشني بأختهِ وكان سيدي الباشا حينئذٍ متغيبًا عن بيروت فلو كان هنا ما تزوَّجت الاَّ بعد استشارتهِ والآن اسعى في سبيل الزواج ولكني عزمت على ترك هذه المسألة لرأي مولاي

— سأفكر لك بزوجة حسنة وآمر الخانم لتبحث لك عن امرأة تليق بك .

فشكر فضله وقبل يده وبعد ان مكث هنيهة في حضرته استأذن بالانصراف الى داره

٧

ظلت جميلة وحيدة في المنزل واخذت تفكر وتقول الى متى وانا في حرمان من الزواج ؟ لست براهبة ولا يحظر علي التأهل وما يخيل لي اني اجد احسن واوفق من سعيد وحبي له شديد ولا اود ان اقترن بغيره فمن يطيق ان يمنعني من اتخاذه رفيقاً لي ؟ اذا كان اعتقاد ابي بالمناصب والمواقع وهو لا يعلم انه لا تمييز بين البشر بالفضائل ومكارم الاخلاق فارادته لا تمنعني عن ذلك ولست لامره طائعة على ان الشرع الشريف منحني حرية الزواج بعد البلوغ وها انا اذا بلغت سن الرشد وطاعة الاب الذي ينكر الحقائق بضعف عقله وقلة علمه غير واجبة عندي اذا كان اولاده اعلم منه بمصالحهم واعقل منه وامثل في تدبير وصياتهم وانا اعلم من ابي ولا شك بمن يصلح لي ولكن الادب والكمال يضطرانه الى ان يرضى بزواجي ومن الحزم والعقل ان اسوقه الى ما اتمناه ولكن كيف اصل الى ذلك ؟ واخذت تفكر في وسيلة تحمل اباها على ان يهم بزواجها من سعيد فجلست يوماً مع امها وذكرت سعيداً وما ساءه من امرأته وصارت تمدح مكارم اخلاقه وتعظم مستقبله بعين أمها وتمنى له زوجة ترتاح اليها نفسه وتطيب وكانت امها تصدق ما تقوله حتى حمستها فقالت : اذا كان يريد الزواج فانا سأسعى له ·

فجاسرت حينئذ جميلة وقالت لو كان لي فكر بالزواج لما تزوجت سواه · وقصدت بهذه العبارة استطلاع طلع رأي أمها فقالت هذه نعم وانا أوافقك على افكارك ولكني ما زلت استغرب امتناعك عن الزواج وقد فات اوانه وانقطعت الرغبات فيك فالام وانت على تصوراتك الغريبة ؟

—اتدرين متى ارضى بالزواج ؟ متى وفقت لكفوء يقوم بضروراتي ويعرف قدري ولا يتزوجني الا من اجل فضيلتي وانت تعلمين ان الذين طلبوني حتى الآن لم يقصدوا مني الا الانتساب لأبي ولا يخفى عليك ان الذي يطلبني من اجل ابي عند ما يتوفى والدي يهملني ولعله يطلقني او يتزوج مرة أخرى ويتركني حزينة ابد الدهر ·

— ما زلت تلقين هذه المشكلات فمن اين لنا ان نأتيك بمن يوافقك على ما تنزع اليه نفسك ؟

— قد يوجد ولكنه لا يجسر احد على طلبي لعلمه اني ارد طلبه وهذا يصعب عليه ان يرد خائباً لعزة نفسه وشرف طبعه وكرم اخلاقه ·

— هل تعلمين فتى بهذه الاخلاق ؟

— وانت تعلمينه

— من هو ؟

— سعيد

— لا اشك بمكارم اخلاقهِ وعزة نفسه ولكنهُ غير كفوء لك من حيث الشرف لان اباك باشا وابوه كان جنديًا وعائلته غير معروفة بين الناس والعجب العجاب رضاك بهِ زوجًا

— لا محل للعجب هنا لان مكارم اخلاقهِ تقوم مقام شرف عائلته والشاعر يقول

لا تقــل اصلي وفصلي ابدًا   انما اصل الفتى ما قد حصل

واذا كان فقر عائلته يمنعك عن القبول فليس الفقر عيبًا للمرء وشيئًا ولا الغنى شرفًا للانسان. وخلاصة الامر كوني على يقين من اني اذا قصدت الزواج لا اتزوَّج غيره لانه هو وفق مرغوبي

— فهمت الآن ان لهُ في قلبك مكانًا والحب اراك اياهُ موافقًا على اني لا اطيق ان اذمه لاني لا اجد فيه من العيوب سوى فقره وانحطاط منزلة أُسرتهِ .

— قلت لك ان الفقر ليس بعيب واما انحطاط مكانته فمكارم اخلاقه تشفع بها ومع هذا كله فانهُ سيتولى منصبًا عاليًا يبلغ به مبالغ الاشراف وينال راتبًا عظيماً يصيره في زمرة المنعمين المترفين .

— فان كنت ترغبين فيه زوجًا لك فصرحي بكلامك ولا حاجة الى براهينك .

— ... سكوت واطراق في الارض

— فلو رضيت بهِ لكِ وشايعتكِ على فكركِ فهل تتصوَّرين ان الباشا يرضى بذلك وهو غرس نعمتهِ وزيدي على ذلك ان لهُ زوجة اخرى

— انت قادرة على اقناع الباشا وارضائهِ واما زوجة سعيد فليس فيها كبير امر لاني على ثقة من انه يطلقها من اجل ابي

— من اين لي ان اقنع الباشا ليرضي بذلك ؟

— انت تعلمين كيف تفعلين

— دعيني الآن ريثما اجد فرصة مناسبة استرق فكر ابيك واعلم ان كان يمكن لك ذلك ام لا

***

وبعد ما خرج سعيد من منزل الباشا دخل هذا الى دائرة الحريم واخذ يظهر اسفه ويقول لا حول ولا قوَّة الاَّ بالله . فسألته الخانم عن السبب فاخبرها بما جرى لسعيد وابنهِ فبكت لحاله واسفت عليه ثم قال لها : اني تعهدت لهُ بان أُزوّجهُ وان ارسلك لتفتشي لهُ على امرأَة توافقهُ . فتجاسرت الخانم عندئذٍ وقالت : ان كنت تودّ ان تحميه وتريحهُ زوّجهُ بابنتك فهو غرس نعمتك وقد نشأ بفضلك وفي ظلك وما هو في الحقيقة الا ابنك ولعلنا نتخذهُ ولدًا فيكون لنا عونًا وسندًا

— لا انكر مزاياه واحبه كولدي ومنزلته عندي منزلة جميلة ولكن امتناع جميلة وكلام الناس يحولان دون ذلك على اني لست ممن يعدون الفقر انحطاطاً ومزرياً بالشرف ولا استنكف من مصاهرته لان مكاني وشرفي يكفيانه

— كلام الناس ليس مما يحفل بهِ العاقل في مثل هذا المقام لان العاقل البصير من لا يبالي بكلام لا طائل تحته وقد يكفيهِ رضا الاخيار والاخيار لا يرون الفقر وجهل مكانة العائلة منافياً لمكارم الاخلاق وهم يرجحون الفضائل على كل مزية والمدح ما كان من الاخيار والذم ما كان منهم ولعل جميلة ترضى به لان امتناعها ناشيءٌ عن عدم وجود قرين يوافقها على انها تمدح سعيداً في كل حين وتقرّ له بالفضل

— وانا لا ابالي بكلام العامة ولا بكلام من انحطت افكارهم ولكن اذا رضيت انا بذلك فهل جميلة ترضى بهِ

— فلنسألها — اذهبي واسأليها

***

دخلت على جميلة واخبرتها بما جرى بينها و بين ابيها ففرحت وقالت لامها يجب علينا ان نحتاط لئلا يفهم فيغضب وانت تعلمين حاله اذا اخذه الغضب .

— اصبت بما فكرت . فماذا نعمل ؟

— اذهبي وقولي له ان جميلة لا تخالف امرك ولكنها تلتمس منك مهلة تفكر في هذه المسألة الحيوية التي تحتاج الى امعان وزيادة استبصار

— ها انذا ذاهبة وذهبت . فدخلت على الباشا واخذت تمدح جميلة على ترويها وعقلها وكمالها ثم قالت : انها لا تخالف ارادتك وهي طوع امرك فيما تقضيه عليها ولكنها تلتمس منك مهلة يومين لتفكر في امرها ثم تخبرنا سلباً او ايجاباً

— اخاف ان تصر على عنادها وانا اود ان ازوجها في حياتي لتفرح بها فقولي لها اني امهلتها يومين فذهبت وخبرتها ففرحت بنيل المراد و بشرت سعيداً بواسطة خادمتها ففرح هذا وظن ان السعادة العظمى لاحظته عيونها واخذ يفسرها و يقلبها على وجوه آملاً ان تكون تلك السعادة مكافأة لما عاناه من قبل وصار يسبح في ظلمات الخيال وصرت لا تراه الا ضاحكاً مسروراً يقول تارة سأرتاح من اجرة الدار واسكن منزلاً عالياً واركب عربة خاصة وارتقي بمعونة الباشا واخلص من هم صرف الراتب على تدبير المنزل واقتصد راتبي واوفي ديني فاكون حينئذٍ سعيداً ثم اخذ يفكر فيما يفعل بالذي سيتراكم من مشاهراته فقرر ان يشتري اوراق يانصيب المصرف العقاري وتحويلات سكة حديد الروملي واصبح في

امان من كسب اعظم المبالغ ورأى ان يشتري خيلاً ليقيم على تربيتها فيبيعها بما تيسر من الليرات ويشتري دكاناً ثم مخزناً ثم ضيعة فيصير من الاغنياء ويستغني عن الاستخدام وعن معاناة شرور العالم ويكتفي بان يصير عضواً في احد المجالس وطوراً يقول ان هذه السعادة ليست شيئاً في الحقيقة بجانب اقتراني بجميلة لان السعادة العظمى هي اقتران زوجة بزوج يوافقها في الخلق والخلق ويقوم بما يفرض عليه لتقوم هي بما يفرض عليها من اعمال الحياة وبمثل هذه الخيالات كانت تمر ايامه ولياليه فصار لا يفكر الا في السعادة ونسي كل ما عاناه من قبل بل وتناسى ما وقع له شأن الانسان يتذكر السعادة في الشقاء وينسى الشقاء في الاقبال وكان يرقب وصول ذلك اليوم السعيد الذى سيعقد به له على حبيبته جميلة ·

ولما مضى اليومان اجابت بالقبول وفوَّضت الامر لابيها ففرح هذا وارسل يستدعي سعيداً فأتى هذا مسرعاً لانه كان عالماً بالامر فقطع الطرق وما شعر الا وهو امام المنزل وكان من عادته ان يأتي ماشياً على رجليه فأتى هذه المرة في العربة واستأذن عليه فدخل الى ردهة الباشا فقبل يده وجلس امامه فقال له الباشا يابني انت تعلم انى ربيتك كولد لي واحبك بمثابة ابنتي جميلة والآن اريد ان اجعلك ابناً حقيقياً وافرح بك فهلا تطيع امري ؟

— سيدي العبد غرس نعمائك وان كنت عشت او اصبح لي شأن فذلك بفضلك واحسانك فمقامك اعظم من مقام ابي عندي ان كان ابي الذي توفي والدي بالجسم فانت ابي بالفكر ابي بالعلم ابي بالادب ابي بالسعادة ابي بكل شيء قال الله تعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) والعبد يقرّ ويعترف بانه ليس في وسعهِ شكر النعم الجسام التي اولانيها مولاي فليس لي الاَّ ان اطيعه في كل ما يصدر من سعادتك فمرْ بما تريد وانا عبدك المطيع ·

— بارك الله بكرم اخلاقك ووفقك وجعلك من اسعد الناس واعلم يابني اني على غاية من الاسف لما عانيته من العذاب فى زواجك وانا ربيتك حتى بلغت ما بلغت مما اقرّ عيني بهِ كلما نظرت اليك وسمعت عنك فاحب ان اصل ما بدأته معك لتترحم عليَّ بعد موتي وتكون وليًا على عائلتي التي ستصبح بعدي بدون رجل يتولى شؤونها وهذا لا يتم الاَّ بزواجك من ابنتي جميلة فاعرضها عليك اذا لم يكن لك مانع

— لا مانع لي يمنعني عن نيل النعم فالعبد رهين الامر في كل حين فمرْ بما تريد فلا تجدني الاَّ عبداً مطيعاً

— حفظك الله وسنعقد لك عليها هذا الاسبوع ان شاء الله السميع العليم

— اطال الله عمر مولاي

ثم شكر فضله وقبل يده وذهب ودخل الباشا واطلع امرأته على مادار بينه وبين سعيد

وهذه اخبرت جميلة ففرحت وايقنت بنيل المراد . و بعد اربعة ايام دعي عمال الولاية والامراء والوجهاء والعلماء الى دار الباشا المشار اليه ووكل سعيد احد أحباب الباشا فعقد العقد وعين العرس بعد شهر من تاريخ العقد .

***

غدا سعيد يرقب يوم العرس بفروغ صبر ولما آن الوقت استعد للسرور فدعا رفقاءه ليشاركوه بفرحه وحبوره وما علم بما اخفاهُ لهُ الدهر الخؤون وقد نامت عينه عنهُ الى حين فادخله الباشا تلك الليلة على جميلة واوصاها بعضها ببعض ودعا لهما بالتوفيق .

فلما دخل بها وخلت به اخذت تداعبه قائلةً : لو كنت خالياً من اوهامك الغريبة وحفظات العهد لنلت ما نلته الآن وما كنت وقعت فيما وقعت ولكن خلق الانسان عجولاً على اني ما زلت اعجب منكم معشر الشرقيين فمهما كبر عقلكم وارتقى فكركم ودرستم العلوم والفنون لا تزالون مقيدين بالاوهام الباطلة ولقد ترى الواحد منكم ينتقد الخرافات و يعيب اوهام غيره و يرتكبها غير مختار وذلك بما تعلمه من امهِ الجاهلة في طفوليته يرضع لبان الخرافات مع لبن أمه ولا يخطر ببالك ايها الحبيب اني اقصد بانتقادي هذا مدح الجنس اللطيف فانا عالمة ان وجود فتاة مرتقية الفكر سليمة العقل خالصة من الاوهام والخرافات في بلادنا قد اصبح ضرباً من المحال وذلك ان المدارس التي أُسست لتثقيف عقول البنات لا تعلمهن الاَّ مبادىء العلوم والفنون ضعيفة ضئيلة لا تكاد تسد الحاجة وقد لا توجد مهذبات مدربات في المدارس يهذبن الفتيات و يدربنهن على الفضائل وحب الكمال الاَّ ما ندر ومما يؤسفني ان ارى ان اهم درس يدرس في المدارس تعليم لغة من اللغات لاننا لا نزال نعدُّ التكلم او العلم باحدى اللغات دليلاً على الفضل والكمال واغرب من هذا كله ما نراه من انهماك المعلمات في تعليم البنات التفصيل على الزي « المودة » وزركشة الفساطين فالمعلمات يغرسن حب الازياء في عقول النساء وهن غير مباليات بتثقيف عقول الفتيات ولذلك نرى الفتاة تخرج من المدرسة على آخر طرز واحسن زي من الزينة والتبرج وقد تتكلم بلغة من اللغات فتكون حينئذٍ بلغت منتهى العلوم والآداب بزعمها وزعم اهلها . ولا يخفى عليك ان التي دأبها التزين واللباس وتجديد الازياء لا تجد في وقتها متسعاً لتعليم ابنها وتهذيبه ولذلك اصبحت المرأة علتنا الاجتماعية ومقياسنا متى ارتقت ارتقينا واذا هوت هوينا معها فلا تقوم لنا قائمة الاَّ بتهذيب المرأة التي اذا هزت بيدها اليمنى سرير ابنها هزت باليسرى الدنيا بامرها والرجل العظيم لا يأتي الاَّ من عظيمة سبقته وهي أُمه ولله درُّ من قال (الطفل صحيفة بيضاء وامه تنقشها كما تشاء) ولعلنا نرى يوماً يكثر بهِ نصراء المرأة الضعيفة فيعلمون حقائق الامور

و يعنون بتهذيب بناتهم ويخدمون بذلك بني نوعهم . واما نحن فاننا نربي ابناءنا كما نشاء ونجعلهم مثال الكمال ونثقف عقولهم ونعدهم للهيئة الاجتماعية خدمة يقومون بواجباتهم نحو بني الانسان والحيوان .

= لقد اعجبني خطابك البديع الذي اعرب عما في ضميري ولكن مالي اراك مرتدية على آخر زي؟ اما كان اللائق بك ان تبتدئي بنفسك وتهجري الازياء وتنزعي عنك هذه الجوهرات الثقيلة التي استغرب كيف تطيقين حملها على انه كان يكفيك رداء جميل قليل الزركشة في شكل بسيط حسن يقبله الذوق السليم .

= كان يجب علي ان ابتدأ بنفسي ولكنني خفت من ان توجه سهام اللوم نحوي واصير عرضة لافواه الناس وربما جلب ذلك على والدي كلام المتكلمين لحطوا من قدره

= اليس من العقل ان لا تبالي بكلام الجاهلات اللواتي لا يميزن بين الحسن والقبيح وانت لست من اللواتي يتزين ليلة العرس ليغرن ازواجهن حتى يملكن قلبهم فانت ملكت فؤادي منذ كنت طفلاً ومكانك لا يزيده لباسك وتبرجك شيئاً في عيني ولا تنقصه بساطة ردائك و ياليتك كنت جعلت البساطة زياً بين الناس لانه ينظر اليك والنساء يقلدنك ولكن كما قلت ان الانسان مهما ارتقى لا يزال مقيداً بقيود الاوهام . واما عدم تصبري وخيانتي لعهدك فهذا امر مقدر والمقدر محتوم والاشياء مرهونة باوقاتها ولا يستطيع بشر ان يفر من القدر ولذلك لا ارى محلاً للوم

= ان هذه العبارات عبارات العجزة الذين اذا اخطأوا واساءوا رجعوا بخطأهم على القدر وشكوا من الدهر واذا احسنوا منوا وافتخروا .

= دعينا من الفلسفة والكلام فلنطرب بالحان المغنيات ونترنم بآلات الطرب لان هذه الساعة ساعة طرب وهي الليلة الوحيدة التي لا تتكرر في حياتنا والايام بيننا سنتجاذب اطراف الحديث ونبيع بعضنا بعضاً من الحكم والحقائق ما نشاء

وثاني يوم العرس عهد الباشا الى سعيد بان يتصرف بمنزله كما يشاء ووكل اليه اشغاله الخاصة وصار يتصرف بالصدق والاستقامة واقتصد كثيراً من النفقات وغدا هو المرجع ومن كان له حاجة عند الباشا كان يأتيه فيلتمسها منه وهو يحسن معاملة الناس حتى استجلب قلوبهم وكان يساعد المغدور و يسعى في استحصال حق المظلوم من الظالم . وتكلم مع الباشا على ان يسعى في ترقية وظيفته فوعده بذلك ففرح وقوي امله بالسعادة وصار يوفر رواتبه و يوفي ديونه حتى اشترى سندات البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي واشترى حصانين ليربيهما واخذ خياله يتسع وآماله تكبر فنسي شقاءه فهو يأكل ويشرب وينام ولا يدفع بارة و يتنزه بعربة الباشا ولا يصرف الا القليل فتخلص من الطلب ومن الدين

المقتبس

الجزء السادس من المجلد الثاني

جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ الموافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧

الهجرة الى مصر

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي

دحا الله الارض ليعيش عليها البشر و يتناسلوا فيها فيعمروها و يحيوا مواتها و يسيطروا على المخلوقات كلها فالارض هي المنزل العام يجلس اهله في اي ناحية منهُ احبوها و راقتهم و ينتقلون في بقاعها واصقاعها و وهادها ونجادها وسهلها وحزنها و بحرها و برها على حسب ما تقضي احوال الصحة وطبائع الاجسام وخواص النفوس .

فقد هاجر الفينيقيون قديماً واقاموا قرطجنة وعمروها وغيرها من شواطئ البحر الرومي وهاجر النوط من جرمانيا الى جنوبي اوربا وداهموا المملكة الرومانية وهاجر الروم من بلادهم الى شواطيء البحر المتوسط وجزره وشواطيء البحر الاسود بلاده وعمروها. وكثير من الامم امثالهم غادروا مساقط رؤوسهم واتخذوا لهم بلاداً ثانية استعمروها .

وهاجرت في العهد الحديث امم كثيرة واهمُّ هجرة وقعت هجرة الاوربيين الى اميركا عمروها بجنسهم الابيض بعد ان كانت خربة بالجنس الاسود . وكذلك هجرة الهولانديين الى جنوبي افريقية وهجرة الروس الى سيبيريا وهجرة القافقاسيين والجراكسة الى البلاد العثمانية وهجرة الاسرائيليين من بلاد روسيا وهجرة المسلمين الروسيين الى اميركا وغيرهم.

وللعرب حظ وافر من الهجرة والتنقل في الجاهلية والاسلام بل ان الهجرة من طبيعة جزيرتهم يعمدون اليها طلباً للكلأ والمراعي او للاتجار بنتائج مواشيهم وحاصلاتها . واول هجرة في الاسلام كانت هجرة عشرة من الصحابة واربع نسوة وقيل اكثر امرهم الرسول

بالهجرة الى الحبشة لما رأى ما يصيبهم من البلاء قائلاً لو خرجتم الى ارض الحبشة فان فيها ملكاً لا يظلم احد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما انتم فيه فخرجوا ثم عادوا بعد سنين . وهكذا هاجرت العرب الى فارس ومصر والشام وافريقية والاندلس والسند وكشغر لما فتحت . ولولا اقدامهم على الهجرة ما رأينا الاسلام منتشراً في قلب آسيا وافريقية .

ولا نزال الى اليوم نشهد اثراً من آثار حب العرب للهجرة وقد زادها اليوم قرب المواصلات وسهولة السفر . نرى اهل حضرموت في جنوبي الجزيرة يهاجرون الى حيدر آباد الدكن الهندية فيكون معظم جيش البلاد منهم ونراهم يهاجرون الى جاوة فيكثر فيها سوادهم ويغتني بعض افرادهم . ونرى النجديين يهاجرون الى الهند في التجارة ثم يستوطنونها ويصبحون فيها اصحاب كلمة ونفوذ . ونشهد السوريين يهاجرون الى اميركا وافريقية يترتاشون ويتأثلون .

وانهيال السوري على هذا القطر خاصة قديم جداً يصعب تعيين زمنه لاتصاله ببلاد الشام براً وبحراً ولم تكن القوافل في الاسلام تنقطع في البر كما ان المراكب لم تكن تنقطع عن السفر في البحر ولم تبرح بلاد الشام مصيف مصر واحداهما مكملة لعمران جارتها . وقد وصف ابن فضل الله العمري في التعريف بالمصطلح الشريف طريق القوافل بين القطرين كما عقد القلقشندي في صبح الاعشى فصلاً في مراكب الثلج الواصل من البلاد الشامية الى الملوك بالديار المصرية . ومصر ما برحت كما وصفها ابن خلدون في القرن الثامن (بستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر) .

نعم هي محشر الامم ولا سيما الامم المجاورة لها من البر او المناوحة لها من سيف البحر . وذلك لان عمرانها طبيعي مستبحر في معظم ادوارها فلا عجب اذا كانت مهاجر الامم من عرب وعجم قبل ان تكون نقطة الاتصال بين قارات اوربا وافريقية وآسيا بفتح ترعة السويس فما بالك بعد ان تم لها ذلك .

فمصر والحالة هذه مقصودة من اقطار الارض اكثر مما يقصد اهلها سائر الاقطار والامة التي تكثر في الغالب خيرات بلادها لا يهون عليها مغادرتها . وطلب الحاجيات هو الباعث الاقوى على المهاجرة فاذا كفيها المرء يصاب بالوناء وضعف العزائم .

وما فتيء السوريون والروم والترك والمغاربة مذ كانت حكوماتهم تتغلب على مصر ينزلون بلاد النيل . فالروم حكموها زمناً طويلاً وكذلك الترك والعرب والجراكسة فكان من هذه العناصر ان نزلتها بكثرة واصبح اكثرهم فيها عمالاً وحكاماً وقضاة ورؤساء جند وعلماء وارباب صنائع وتجارة ولم تكثر هجرة الاوربيين اليها الا عقيب الاحتلال الفرنسوي عند

ما بدأ الفرنسيس والطليان والمجر وغيرهم من امم الغرب يهبطون اليها وقد كثر سوادهم على عهد الخديوي اسماعيل لانه فتح امامهم طرق الهجرة واحسن معاملتهم ووفر لهم المغانم وطرق الكسب .

ولما قبض رجال الاحتلال من الانكليز على ازمة الاعمال اخذ الناس يفدون على مصر من كل فج عميق حتى انك لتجد فيها الآن من جميع الشعوب واللغات اناساً اسسوا فيها الاعمال التجارية والزراعية والمالية والعلمية وكثير منهم اغتنوا من خيراتها بفضل كدهم . وقد قدرت ثروة السوريين فيها بخمسين مليون جنيه اي بعشر ثروة القطر وهكذا سائر الامم ولا سيما الروم والطليان والفرنسيس فان فيها من هذه الاجناس أُلوفاً اغتنوا من خيراتها واتخذوها دار هجرتهم ووطناً ثانياً لهم . وحال مصر اليوم مع المهاجرين اليها يختلف عن حالها مع امثالهم في القرن الماضي لان ثقة الأُمم تزداد بها الحين بعد الآخر ولان الاساس الذي قامت عليه حضارتها اليوم اساس مالي زراعي . خصوصاً وقد ظهرت الآن نتائج ما تعب القابضون على ازمة سياستها سنين في تأسيسه واشتهر ذلك عند الخاص والعام في الاقطار النائية بما يتصل بهم من اخبارها واخبار من يغتنون من المهاجرين اليها ممن توفرت لديهم رؤوس اموال او كانوا من ارباب العقل والعمل فكانت مصر ميداناً لظهور آثارها . وربما لا يذكر الناس الاَّ من نجحوا وقلما يذكرون من اخفقوا . عادة في البشر ولعلها من موجبات اقدامهم على الكسب والكدح في هذه الدار .

ولقد ساعد على كثرة الهجرة اليها حال بعض البلاد المجاورة لها من حيث اجتماعها ومادتها . فترى سكان جنوبي ايطاليا القاحلة يهاجرون اليها اكثر من القاطنين في الشمال منها لان شمالي ايطاليا مخصب واهلها مكتفون بما تجود به عليهم ارضهم وسماؤهم . وكذلك تكثر اليها هجرة سكان جزائر البحر الرومي ولا سيما بلاد اليونان الجديبة واهل سواحل الشام وجبالها .

هذه مصر من حيث هي مهاجر الامم فهي دولية كما يقول الساسة او مشتركة بين اجناس واديان شتى . والتاريخ يشهد انها كانت رحبة الصدر بالوافدين عليها في كل العصور للين عريكة اهلها ولم يحدث هذا التمييز بين سكانها الاَّ عندما اراد مهاجرو الافرنجة ان يستطيلوا على اهلها فاحدثوا لهم ما يقال له « الامتيازات الاجنبية » التي تخوّلهم من الحقوق ما ليس للوطني مثله ُ ثم كثر توارد الاخلاط عليها ولم يكن الوافدون اليها على غرار واحد بل كان منهم المنوّرون العالمون وهم افراد . ومنهم المتعلمون المهذبون وهم اكثر . ومنهم العامة الأميون وهم السواد الاعظم . ومعظمهم طلاب رزق وسوقة نازعوا ابن البلاد وربما غلبوه لان من جاء في طلب غرض يحتالُ للوصول اليه . والغريب في الغالب يكون اجرأ وانشط من الاصيل لان الغربة في ذاتها امارة من امارات النشاط

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

والامثلة كثيرة في هذا الباب من القديم والحديث فليس للوافد ما للقاعد من الخمول والاتكال ويكفي ان في لندرا لهذا العهد وهي مهد الصناعات والارتقاء زهاء مائتي الف رجل من رجال الالمان استولوا على اعمالها المالية واستأثروا بها دون ابن البلاد المتعلم المنور الذي لا يقل عنه في مواهبه هذا في عاصمة انكلترا فما الحال بمصر واكثر الوافدين اليها هم من الشعوب القوية ومن اهل البلاد الباردة التي تبعث النشاط في قلوب ابنائها واجسامهم وعقولهم فيتخذون عدتهم استعدادهم وكدهم رأس مالهم وعتادهم وذخرهم قصدهم واقتصادهم على حين قد اتت علي الوطني ازمان من الفوضى ضعفت بها قواه فاصبح لا يقوى على العمل الا اذا عوده زمناً ولقنه بالتعليم والتربية وقد فاجأته الثروة والحرية مفاجأة بهرته وحيرته ثم ان ابن البلاد في الغالب لا يسف الى المكاسب التي يتنازل اليها الغريب فالاول يدل بأرومته ويعتز بأمته والثاني يذل في سد حاجته ونيل بغيته .

ولما رأت الحكومة المصرية على عهد الوزارة الرياضية ان الوطني يكاد يفنى في الدخيل سنت لائحة صعبت فيها على النازل في مصر اسباب الحصول على حقوق الوطني الا بعد مقامه خمس عشرة سنة واشعاره الحكومة بعزمه على تغيير جنسيته قبل حلول الوقت المعين بخمس سنين فكانت هذه اللائحة غريبة في بابها منعت بعض الطراء على القطر من ولوج باب الاستخدام في دواوين الحكومة وحظرت عليهم تعاطي الاعمال الادارية والسياسية الا انها صرفت وجهتهم الى اتخاذ الاعمال التجارية والزراعية والمالية والعلمية الحرة فافلحوا اكثر مما لو كانوا حصروا وكدهم في الوظائف الاتكالية ولم تحق عليهم كلمة « مصر للمصريين » . ومن هنا نشأ بغض كثير من المصريين للغرباء . كان السبب في ذلك اولاً منافسة هؤلاء لابناء البلاد في احتياز الوظائف وساعد عليها ما ألقته بعض الجرائد المسموعة الكلمة من عبارات التفرقة وهناك اسباب اخرى قواها ارباب الاهواء والغايات فانتقلت بالتقليد الى العامة ومن نحا منحاهم من الخاصة .

وليست الشكوى التي يشكوها بعض الوطنيين من الوافدين في محلها كلها لان من اغتنى بكده او بطرق غير شريفة فانما غنمه له وغرمه عليه . ولو تسنى لابن البلاد ان يعمل عمله ما تأخر . ويا ليت خاصة هذه البلاد يسعون الى نزع هذه الاوهام من عقول العامة حتى لا يبغضوا غيرهم بسبب وبلا سبب ويمتزج بعضهم مع بعض لتجعل بودقة مصر ذاك الدخيل الى المعدن الذي تريد ان يكونوا كلهم عليه . فقد ثبت ان هذه البودقة المصرية احالت اليها فيما مضى التركي والجركسي والكردي والحجازي واليماني والعراقي والشامي .

والمغربي والسوداني والرومي والفارسي فاتى منهم بعد مقامهم قليلاً في هذا الوادي مصريون يغارون على مصلحة مصر وكثير منهم نفعوها وخدموها بعقولهم وايديهم اكثر من خدمة ابنائها لها تحت اسم مصريين ٠

وما قط كانت بقعة من الارض معلومة الحدود والمساحة وقفاً على جنس خاص من البشر لا ينازعها فيه منازع تسرح وتمرح فيها ما شاءت ٠ فالارض ارض الله والناس عباد الله وما احلى بيت البحتري في هذا المعنى

ولا تقل أمم شتى ولا فرقٌ فالارض من تربة والناس من رجل

وكل من نظر في نهوض الأمم لا يعتم ان يرى بان كل امة ربيت على كره غيرها وتجافت عن الاختلاط به وحسن الانتفاع منه تجني من الخسارة اكثر من الربح ٠ ولقد كانت بغداد من اكبر امثلة التسامح في البلاد الاسلامية رفعت مقام الغريب واحسنت الاستفادة منه فكان يعد بغدادياً كل من دخل بغداد ٠ تساوى في ذلك عجميها وديلميها وعربيها وتركيها ونسطوريها ورومها ومجوسيها ومسلمها فجمع العدل من شملهم وآخت الراحة بينهم وعد سواء في النسبة اليها من نزلها اليوم ومن نزلها منذ قرن وقد اعان على تكوين هذا المزيج انتفاء الجنسية في الاسلام ورفق المسلمين باهل ذمتهم ولولا ذلك ما قامت تلك الحضارة التي نسبت للمسلمين العرب مع ان اثرهم فيها اقل من اثر غيرهم من الاجناس والاديان ٠ ولكن العمل مشترك وهو منسوب لصاحب البيت كالجنود يشقون في الحرب ثم ينسب النصر لقائدهم ٠

وانا لا نزال نقول ان من حظ مصر ان تكون البلاد المجاورة لها محتاجة اليها حتى اشبهت فاس في القرون الوسطى لما تواترعيث العرب على القيروان واضطربت قرطبة باختلاف بني امية بعد موت محمد بن ابي عامر وابنه فرحل من قرطبة ومن القيروان من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فنزل اكثرهم مدينة فاس قال صاحب المعجب في الثلث الاوّل من المئة السابعة ان فاس اليوم على غاية الحضارة واهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم وما زلت اسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب وبحق ما قالوا ذلك وقال ان القيروان كانت منذ الفتح الى ان خربها الاعراب دار العلم بالمغرب اليها ينسب اكابر علمائه واليها كانت رحلة اهله في طلب العلم فلما استولى عليها الخراب تفرق اهلها في كل وجه فمنهم من قصد مصر ومنهم من قصد صقلية والاندلس وقصدت منهم طائفة عظيمة اقصى المغرب فنزلوا مدينة فاس ٠

قصدوا فاس كما قصد الاندلسيون بلاد مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام لما تأذن

الله بانقراض دولتهم فعدوا من اهلها بل كما رحل الايطالي والالماني والاسباني والانكليزي والفرنسوي الى اميركا لما ضاقت سبل الرزق في وجوههم فعدوا اميركيين وانشأوا يخدمون اميركا اكثر من خدمتهم لبلادهم حتى اذا تناسلوا فيها جاء اولادهم اميركيين صرفاً . وكلما ارتقت الأمم تتطاول الى ادماج غيرها في مجموعها والأمم الافرنجية اليوم اكثر تسمحاً في هذا المعنى من الأمم الشرقية كما يظهر بالاستقراء .

قال ابن حزم الاندلسي : ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة (رض) صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة (رض) وانما سكن عليّ الكوفة خمسة اعوام واشهراً (قال ابن حجر صوابه اربعة اعوام) وقد بقي ٥٨ عاماً واشهراً بمكة والمدينة شرفها الله تعالى وكذلك ايضاً اكثر اعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدأوا بعمران بن حصين وانس ابن مالك وهشام بن عامر وابي بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي وفي المكيين عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به

فضل العربية

كتب مستشار معارف مصر فصلاً سلخ فيه اللغة العربية من مزاياها نشر في آخر تقرير عميد الاحتلال عن السنة الماضية قال فيه : ان تعليم العلوم بالانكليزية في المدارس الاميرية بمصر لا مناص منه الآن لعدم وجود الكتب اللازمة والاساتذة الاكفاء ولان اللغة العربية فقيرة في تركيب الجمل العلمية وبالنظر لجمودها والتباس تراكيبها لا تستطيع ان تكون لسان حال العلم والتدريس وانه ليس فيها شيء من روح الادبيات الحديثة وان احسن الترجمات لا تتوصل الى نقل فكر المؤلف الا مشوهاً اذا ارادت نظارة المعارف ان تعتمد على ما يترجم من اصناف العلوم الى العربية وقد وقع كلامه موقعاً سيئاً في نفوس العارفين بخصائص العربية ولما كان اكثر ما كتبه مما له دخل بسياسة هذا القطر رأينا ان ننقل للقراء زبدة ما ساجلناه به ثم نردف ذلك بفصل في فضل اللغة (١) لاحد علماء المئة الخامسة ·

فقد قلنا ان لغة في معاجمها المطبوعة ثمانون الف مادة وكل مادة يشتق منها عشر الفاظ هي بلا شك من اللغات الواسعة وقد وسعت العلوم في العصر الذي لم تكن تعتبر فيه لغة علم اي في عهد المأمون العباسي وبعده فنقلت اليها علوم الفرس واليونان والرومان والهند في وقت كانت لغة بدوية فكيف لا يتسع صدرها لهذه العلوم الآن وهي لغة علم منذ الف سنة هذا مع ان بعض العلوم من اختراع العرب كالجبر مثلاً فانهم وضعوا قواعده ودوّنوا كتبه ونقله الاوربيون عن العرب فاللغة التي اخترع بها ودوّن بها ودرس بها لا تضيق عنه اليوم وهي هي وهو هو · ولا تزال العلوم الرياضية هي اياها منذ اول نشأتها وان زادت بعض نظريات او تمرينات فالكتب المؤلفة كافلة لتدريسها اما العلوم الطبيعية فان ما يدرس في المدارس لا يتجاوز ما وضع له من الكتب بالعربية في القرن الماضي وتسهل زيادة ما زاد منها وتعريب ما يصدر منها الحين بعد الآخر في بلاد الغرب · واستشهدنا له بقول احد رجال الفرنسيس الذي نصح للمصريين ان يحتفظوا بلغتهم ويتعلموا احدى اللغات الاجنبية معها كما فعل المجر والتشك والبولونيون ولا غنية للانسان الآن عن تعلم عدة لغات اجنبية هذا فضلاً عن لغة واحدة كالانكليزية او الافرنسية او الالمانية ·

---

(١) نشرنا في جريدة المؤيد ثلاث مقالات في هذا المعنى وقد استخرج هذا الفصل من كتاب سرّ الفصاحة لابي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري

اما الفصل في فضل العربية فها هو بنصه : اللغة عبارة عما يتواضع القوم بينهم به من الكلام او يكون توقيفاً يقال في لغة العرب ان السيف القاطع حسام اي تواضعوا على ان سموه هذا الاسم وتجمع لغة على لُغَات ولُغِين ولُغُون وقد قيل في اشتقاقها انها مشتقة من قولهم لغيت بالشيء اذا اولعت به واغريت به وقيل بل هي مشتقة من اللغو وهو النطق ومنه قولهم سمعت لواغي الناس اي اصواتهم ولغوت اي تكلمت واصلها على هذا لغوة على مثال فُعلة (الى ان يقول في فضيلة اللغة العربية ومزيتها) : فاما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية فلا خفاء بميزتها على جميع اللغات وفضلها اما السعة فالامر فيها واضح · ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الاسماء للمسمى الواحد على ان اللغة الرومية بالضد فان الاسم الواحد وجد فيها للمسميات المختلفة كثيراً وقد كان بعض اللغويين حصر اسماء الاسد في لغة العرب فكانت اوراقاً عدة · وهي مع هذهِ السعة والكثرة اخصر اللغات في ايصال المعاني في النقل اليها يبين ذلك انه ليس كلام ينقل الى لغة العرب الاّ ويجيء الثاني اخصر من الاوَّل مع سلامة المعاني وبقائها على حالها وهذه بلا شك فضيلة مشهورة وميزة كبيرة لان الغرض في الكلام ووضع اللغات بيان المعاني وكشفها واذا كانت لغة تفصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار والاقتصار فهي اولى بالاستعمال وافضل مما يحتاج فيه الى الاسهاب والاطالة · وقد خبرني ابوداود المطران وهو عارف باللغتين العربية والسريانية انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السرياني قبحت واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسناً · وهذا الذي ذكره صحيح يخبر به اهل كل لغة عن لغتهم مع العربية · وقد حكي ان بعض ملوك الروم واظنه نيقفور سأل عن شعر المتنبي فأنشد له

كأن العيس كانت فوق جفني · مناخات فلما ثرن سالا ·

وفسر له بالرومية فلم يعجبه وقال كلاماً معناه ما اكذب هذا الرجل كيف يمكن ان يكون جمل على عين انسان · وما احسب ان العلة فيما ذكرته غير النقل الى اللغة العربية ومنها وتباين ذلك الا ان لغتنا فيها من الاستعارات والالفاظ الحسنة الموضوعة ماليس مثله في غيرها من اللغات فاذا نقلت لم يجد الناقل ما يتوصل به الى نقل تلك الالفاظ المستعارة بعينها وهي على هيئتها لتعذر مثلها في اللغة التي ينقل اليها والمعاني لا تتغير فنقلها ممكن من تبديل وكان ما ينقل من العربية فتغير حسنه لهذه العلة وما ينقل اليها يمكن الزيادة على طلاوته لان ناقله يجد ما يعبر به في العربية افضل مما يريد وابلغ مما يحاول وهذا وجه يمكن ذكر مثله ويجب ان يتأمل وينظر فيه لاني لا اعرف لغة سوى العربية انما ذهبت اليه ظناً

وجدساً . وقد تُصرف في هذه اللغة مالم اظنه تصرف في غيرها من اللغات فلم توجد الاً طيعةً عذبة في كل ما استعملت فيه نظماً ونثرًا وهي الى الآن لا تقف على غاية في ذلك ولا تصل الى نهاية كما قال ابو تمام في هذا المعنى * اذا انجلت سحائب منه اعقبت بسحائب * وقد بينت فضلها وما فيها من الاختصار في العبارة عن المعاني وذكرت وجه التفصيل بالاختصار مما لا شبهة فيه . فاما السعة فالامر فيها ايضاً واضح لان الناظم والناثر اذا حظر عليه موضع ايراد لفظة وكانت اللغة التي ينسج منها ذات الفاظ كثيرة تقع موقع تلك اللفظة في المعنى اخذ ما يليق بالموضع من غير عنت ولا مشقة . وهذا غير ممكن لولا السعة في كثرة الاسماء للمسمى الواحد وتلك فائدة حاصلة بلا خلاف على انه ربما عرض في وضع الاسماء المشتركة فائدة في بعض المواضع مثل ان يحتاج الناطق الى كلام يؤثر ان يكني فيه ولا يصرح فيقول لفظة و يوهم بها معنى قد قصد غيره وهذا وان قل الداعي اليه الاً في اليسير من المواضع فلم تُجعل اللغة العربية خالية منه بل فيها اسماء مشتركة كقولهم عين وما اشبهها . وهاهنا لها فضيلة اخرى وهي ان الواضع لها ان كانت مواضعة تجنب في الاكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج وما اشبه ذلك واعتمد مثل هذا في الحركات ايضاً فلم يأت الاً بالسهل الممكن دون الوعر المتعب ومتى تأملت الالفاظ المهملة لم تجد العلة في اهمالها الا هذا المعنى وليس غيرها من اللغات كذلك كلغة الارمن والزنج وغيرهم

ومما يدل على فضل هذه اللغة العربية وتقدمها على جميع اللغات ان اربابها واصحابها وهم العرب الذين لا امة من الامم تنازعهم فضائلهم ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم وان كانوا تواضعوا على هذه اللغة فلم تكن نتيج اذهانهم الصقيلة وخواطرهم العجيبة الاً شيئًا خليقاً بالشرف وامرا جديرًا بالتقدم وان كان توفيقاً من الله تعالى لهم ومنة منّ بها عليهم اه

وقال ابن حزم(١) : لا ننكر اصطلاح الناس على احداث لغات شتى بعد ان كانت لغة واحدة وقفوا عليها بها علموا ماهية الاشياء وكيفياتها وحدودها ولا ندري اي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها اولاً الا اننا نقطع على انها اتم اللغات كلها وابينها عبارة واقلها اشكالاً واشدها اختصارًا واكثرها وقوع اسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر او عرض لقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها فهذا التأكيد يرفع الاشكال ويقطع الشغب فيما قلناه وقد قال قوم هي السريانية وقال قوم هي العبرانية

(١) منقولة من كتاب الإحكام في اصول الأحكام وهو من المخطوطات المحفوظة في خزانة كتب السيد احمد بك الحسيني

وقال قوم هي العربية والله اعلم الاّ ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ومن الخراساني اذا رام نغمتهما ونحن نجد من سمع لغة اهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة وهكذا في كثير من البلاد فانه بمجاورة اهل البلدة لاخرى يتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلاً وهو في البعد عن اصل تلك الكلمة كانها لغة اخرى ولا فرق فتجدهم يقولون في العنب العينب وفي السوط اسطوط وفي ثلاثة دنانير ثلثدا واذا تعرب البربري فاراد ان يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقي ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمد اذا اراد ان يقول محمد ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ايقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبدل ألفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وانها لغة واحدة في الاصل واذ قد تيقنا ذلك فالسريانية اصل للعربية وللعبرانية معًا والمستفيض ان اول من تكلم بهذه العربية اسمعيل عليه السلام فهي لغة ولده والعبرانية لغة اسحق ولغة ولده والسريانية بلا شك هي كانت لغة ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بنقل الاستفاضة الموجب لصحة العلم والسريانيه اصل لهما وقد قال قوم ان اليونانية ابسط اللغات ولعل هذا انما هو الآن فان اللغة يسقط اكثرها وتبطل بسقوط دولة اهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم او بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم فانما يقيد لغة الامة وعلومها واخبارها قوّة دولتها ونشاط اهلها وفراغهم واما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم ونسيان انسابهم واخبارهم وبيود علومهم هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة ولدولة السريانيين مذ ذهبت وبادت آلاف من الاعوام في اقل منها ينسى جميع اللغة فكيف تفلت اكثرها والله اعلم .

اصل لفظ كعبة ومكة وكربلاء

نشر احد المكاتبين في بعض المجلات العلمية ما صورته :

سألتكم عن اصل كعبة ومكة فاجبتم ان الاسم كعبة محرف من الكلمة كابلا (كذا) التي معناها مسجد . فارى انكم مصيبون (كذا) لان كلمة كابلا كانت تطلق على بعض المعابدالمسيحية ككعبة نجران . وبعد البحث وجدت ان الكلمة كابلا مشتقة من كار بالا اي العمل الصلوي (كذا) وكاربلا كانت اسم (كذا . يريد اسماً) لمعبد عظيم وهو مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ . والمذكور في تواريخ الشرق عن النبي تموز هو انهُ وُلد في مدينة الاهواز وهجر الاهواز الى كربلاء وهناك قتل هو وبنوهُ وانصارُهُ وبعد قتلهِ آمنت بهِ قبائل تلك النواحي وبنت على قبرهِ قبة عظيمة وكانوا يأتون من جميع النواحي لاجل زيارتهِ . وكانوا في هذه الزيارات ينشدون المراثي ويلبسون الثياب السوداء ويبكون عليهِ . وغالبًا لا تكون هذه الزيارات الاَّ في شهر تموز . أما اتباعهُ فقليلون الآن البعض منهم في سوك شيخ (؟) والآخر في البصرة . واسمهم الآن الصابئون واكثر عملهم في الصياغة ولا يزالون للآن يجرون شعائرهم الدينية بالتطواف حول كربلاء ولبس الثياب السوداء وانشاد المراثي . ويظن بعض الشيعيين انهم يبكون على الحسين رضي الله عنه . وذلك من الاتفاقات الغريبة . اي ان يكون مشهد الامام الحسين هو ذات مشهد تموز اه وقد تبين لي ان الكاتب المذكور قد اخطأ المرمى فاقول :

١ً لا يمكن ان تكون لفظة كعبة مأخوذة من كابلاً (capella) لان هذا الحرف بهذا المعنى حديث الوضع بالافرنجية بالنسبة الى مثله في العربية .

٢ً ان بين اللفظتين كعبة وكابلاً بونًا عظيماً

٣ً ان كابلاً فرنساوية الوضع لا لاتينيتهُ . ومن تلك اللغة نقلت الى هذهِ . والحال لا يمكن ان يعقل امر اخذ العرب لفظة عن محدثي الفرنسيس .

٤ً ولو فرضنا ان اللاتينية سبقت الفرنساوية في هذا المعنى فالعرب لم يأخذوا عن اللاتين لفظة تتعلق بامور الديانة . الاَّ ما حدث منها في هذه العصور الاخيرة .

٥ً واما ان كلمة كابلاً اطلقت على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران . فالتاريخ يخالف هذا التأكيد الزائغ عن الغرض . واما ان كابلاً مشتقة من كار بالا فهذا امر يخالف كل معقول ومنقول . لان كار بالا فارسية وكابلاً فرنساوية او لاتينية على رأي خصمنا ونصارى الفرس لم يعيروا الافرنج لفظة واحدة دينية لتكون هذه اللفظة الثانية . اما كابلاً فمشتقة

من cappa وهي الحبرية او الغفارة ويراد بها ثوب يشتمل به الكاهن كالرداء عند القيام بشعائر الدين والظاهر ان اسم الكابلا وهي المصلى مأخوذ عند الافرنج من غفارة او حبرية وضعت في مصلى وتلك الحبرية كانت لاحد القديسين بمنزلة الذخيرة فسمي المصلى بها · هذا الذي ذهب اليه لتره وهو ارجح من كلام مكاتب تلك المجلة

اما ان كابلاً لا يراد به المسجد ولا سيما كعبة نجران فلأنَّ المصلى او الكابلاً لا يكون فيه الاَّ مذبح واحد واكثر ما يكون لأهل بيت او قصر خاص · ولا يمكن ان يقال فيه القدَّاس الاَّ بإذن أُسقف الابرشية والكعبة معبد عامٌ · وتفسير كار بالا بالعمل الصلوي غريب فلفظة «كار» فارسية ومعناها العمل او الشغل «و بالا» يعني الاعلى فيكون محصل المعنى : «العمل الاعلى» لا العمل الصلويّ ·

اما كون كار بالامشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ فالمذكور في هذا الموطن ان «هناك كانت نساء جالسات يبكين على تموز» ولم يقل صاحب السفر الكريم انهُ نبي · والمشهور عن تموز انهُ من معبودات اهل فينيقية وكان يسمى ايضاً «أدونيس» ومن الاخبار الشائعة عنهُ انهُ قتل وهو شاب في قرية غينة من الاصقاع المذكورة فناحت عليه امه الزهرة او عشتاروت · وهذه هي خرافة لا حقيقة لها وانما كانوا يرمزون بها الى الشمس وتقلباتها من حالة النور الى الظلام في بعض فصول السنة · فكانوا اذا قدم الخريف يحتفلون باعياد يدعونها «جنازة ادونيس» · راجع المشرق ٢ : ٥٩٨ و٧٠٢ الخ · فقول المكاتب ان تموز وُلد في مدينة الاهواز فليس لهُ من الحقيقة ادنى نصيب واما انهُ قتل هو وبنوهُ وانصارُهُ في كربلاء فحديث خرافة لا ذكر لذلك في تواريخ الشرق · والمكاتب لم يذكر اسم هذه التواريخ ولا اصحابها الذين نطقوا بها

واما قولهُ : (واتباعهُ قليلون اليوم · · · واسمهم اليوم الصابئون) · فليس لهذا المعبود اتباع في بلاد العراق · والمتعبدون لهُ كانوا في فينيقية لا غير · وحكاية قتلهِ موضوعة فكيف يقال بعد هذا انهُ دفن هو واتباعهُ في كربلاء · والصابئون لا يعبدون تموز قط · وهم لا يوجدون في سوق الشيوخ (لا سوك شيخ) ولا في البصرة بل كانوا هناك في سابق الزمان وهم الآن في الناصرية والعمارة وما جاورهما من القرى الصغيرة · والصابئون لا يترددون الى كربلاء ابداً ولا يبكون احداً في مواطنهم ·

وعندي ان كربلاء منحوتة من كلمتين اشوريتين وهما : (كَرَبَ) و (إيلا) ومعنى الكرب : الحرَم وايلا : الاٍله · فيكون محصل المعنى : حرَم الله او حرَم الاٍله · لاٍلهٍ كان لهم هناك وهذا يدل على ان هذا الموضع كان في سابق الزمن حرَماً لاٍلهٍ من آلهة

الاشوريين او الكلدانيين او ما ضاهاهم من أمم تلك البلاد المنقرضة الممحوقة · ووجود الأحرام (جمع حرَم) عند تلك القرون امر مشهور لا يحتاج الى تنبيه الافكار اليه · وعليه فكانت كربلاء في سابق العهد إما بمنزلة الحرم لاحد آلهتهم · واما انهُ كان فيهِ محراب او هيكل يعبد فيه · لان لفظة (حرَم) عند الاشوريين (وكذا عند الكوشيين والحبش) تعني كلا الامرين يعني الحرَم والمحراب ·

والظاهر ان (الكرَب) مبدلة من لفظة (الحرَم) او هذه من تلك · فقال بعضهم فيه (الحرَب) على لغة مازن اي ممن يبدل الميم باء كما قالوا : البوباه والموماة · والصرم والصرب ورجل بجباج ومجماج الخ · ومن بقايا الحرب بالعربية المحراب وهو بمعناها او يكاد · ولا جرم ان (الكرب) بمعنى (الحرم) كان معروفاً عند بادية بائدة العرب ثم اميتت اللفظة بعد ان وُلد من عقبها لفظ محراب فعاش الى يومنا هذا بعد ان قتل ذاك · ولما صارت الكلمة بلفظ الحرب تلقاها عرب آخرون من مجاوري الاشوريين او تلقى الاشوريون اللفظة عن العرب او لما اختلط الاشوريون بالعرب وكان يصعب على الاشوريين النطق بالحاء اذ هي غير موجودة في لسانهم ابدلوها بالكاف وفي بعض الاحيان بالخاء فانتقلت اللفظة من صورة (حرَب) الى صورة (كرَب) · بل ان بعض العرب كانت تبدل ايضاً الحاء كافاً · فقد قالوا الحثحِثُ والكثكِثُ · وأكثر النخل وأحثر والكابي والحابي ·

ووقوع حرفين مبدلين في الكلمة الواحدة غير منكر عند العرب فقد قالوا : السبِتُ والشبِثُ وأَغَنَّك ولعلك وفلان منسرِحٌ من انكرم ومنسلخٌ · الى آخر ما هناك وعندنا غير هذه الامثلة تربي على المئات ·

واما من ذهب الى ان كربلاء منحوتة من (كرْب) و (بلاء) فمن الاقوال السخيفة الواهنة التي لا تحتاج الى اظهار ما فيها من بعد التأويل واسم الموضع معروف قبل وجود العرب فيه · فتأمل ·

واسخف من هذا كله قول من قال ان كربلاء سميت بهذا الاسم اخذاً من الكربلة مصدر كربل · وكربل الشيء خلطهُ لان ترابها مخلوط برمل · وقيل من كربل الحنطة غربلها لان ثراها يشبه ان يكون مغربلاً وقيل من كربل الرجل : مشى في الطين وكربل فلان : خاض في الماء وذلك ان الامطار اذا كثرت في كربلاء لا يوجد للرجل وسيلة سوى المشي في الطين او الخوض في الماء · وفي كل ذلك من التعسف في التأويل ما يكفينا مؤونة الخوض في تفنيد هذه الاقاويل · فاحفظه

واما اصل لفظة الكعبة فعندي انهُ عربيٌّ محضٌ لان الكعبة عندهم الغرفة وكل بيت

مربع وهذا يشير الى اصل وضع الكعبة في سابق العهد . هذا فضلاً عن ان مادة (ك ع ب) تدل على التجمع والامتلاء ومنهُ كعبت الجارية نهد ثديها . وكعب فلانٌ الاناء : ملأَهُ . وهذا يشير الى ان هذا البيت كان يجتمع اليه الناس من كل حدب وصوب والظاهر ان هذا الاصل الثلاثي من ارومة ثنائية الحرف يعين : (ك ب) ومنه : كب الشيء : ثقل (ويثقل عند تجمع جواهره او دقائقه) والغزل : جعله كبباً . والكباب : الكثير من الابل والغنم والتراب والطين اللازب والثرى وما تجعد من الرمل . والكبة الجماعة من الخيل والجزوهق من الغزل والابل العظيمة والتقيل ... الى آخر المادة فان معنى التجمع لا يزال معقوداً بناصيتها

وقل مثل هذا القول اذا ابدلت الكاف حرفاً يقاربها ويكثر التبادل بينهما . يعني (ق ب) تقول : قب النبات : يبس (واليبس لا يخلو من تجمع في اجزائه) والقبُّ : الرئيس والملك والخليفة (اي الذي تجتمع عندهُ الناس لغرضٍ من الاغراض) الى آخر ما هناك من مثل القبة . وهو بناء سقفه مستدير مقعر معقود الحجارة على هيئة الخيمة ...

وكذلك اذا اقحمت العين بين القاف والباء فانهُ ينهض ناهضٌ بين يديك هو القعب والقعبة . وقعبَ الحافر كان مقبباً كالقعب . والقعب : القدح الضخم الجافي (الذي يجمع السوائل) والقعبة : شبه حقة المرأة (تجمع فيها ادواتها) والقعبة : النقرة في الجبل (يجتمع فيها الماء) والقعيب : العدد الكثير (المجتمع بعضهُ الى بعض) ... الخ

واذا استقريت مبدلات الحرفين وما يقحم بينهما لا تقع الاَّ على مثل ما مرَّ بك . وهذا كله يدل على ان الكعبة من اصل عربي محض معناه التجمع لتجمع الناس فيها كما تجمع دقائق السوائل ونحوها في الاناء . ولقد اتخذ العرب والعجم في السابق وفي هذه الازمان معنى لفظ الاناء وما جاء من هذا القبيل لمعنى محل التجمع فهكذا قالوا في معنى الكنيس والكنيسة وهكذا قالوا في بعض الالفاظ التي تدل على السفن

ولا تظن ان مادة (ك ب . او : ق ب . او : ك ع ب . او : ق ع ب) خاصة بالعربية بل قد وردت ايضاً بهذا المعنى في اليونانية . فان اهل هذه اللغة يقولون (قنبي) كما تقول العرب : قنب وذلك في بعض معانيها . وقالت اليونان (كوبي) كما قالت العرب : (كوب) وقالت اليونان (قوبس) كما قالت العرب : كعب وكعبة ومكعب

ومن ثم فاذا اراد بعضهم ان تكون الكعبة من اصل اعجمي فلا تكون الاَّ من احد هذه الالفاظ اليونانية الثلاثة المذكورة الا اننا نقول ونقول دائماً انها عربية العمومة والخؤولة

اما لفظة (مكة) فالذي يظهر لنا في اصلها انها اثورية من (مكا) ومعناهُ (البيت) من باب التغليب . كما ان الكعبة معناها : البيت المربع . ووجود الاثوريين في بلاد

العرب امرٌ لا شبهة فيه . والدلائل كثيرة بهذا الخصوص نكتفي بايراد واحدٍ منها وهو قول عليّ حينما سأله اعرابي عن اصل قريش : (اننا نبط من كوثى) وقد اتفق اغلب المفسرين واثبتهم قدماً في العلم ان المراد بكوثى هنا هي كوثى العراق وسكانها كانوا اشوريين فانتقال الاشوريين والكلدانيين الى مكة في سابق الزمن امرٌ لا ينكر ولا سيما بعد الاكتشافات العادية التي حسرت اللثام عن اسرار جمة كانت خفية عن عيون الانام . وربك اعلم بحوادث الايام والاقوام .

بغداد — احد قراء المقتبس

بني الارض

بني الارض هل من سامع فابثه ... حديث بصير بالحقيقة عالمِ
جُبلنا على حب الحياة وانها ... مخيفة احلام اطافت بحالمِ
سعى الناس والاقدار مخبوءة لهم ... وناموا وما ليل الخطوب بنائمِ
جرت سفن الايام مشحونةً بنا ... على بحر عيش بالردى متلاطمِ

***

تأملت في الاحياء طرًا فلم اجد ... بهم باسما الا على الف واجمِ
ورب سعيد واحد تم سعده ... بالف شقيّ في المعيشة راغمِ
وما المرء الاّ دوحة في تنوفةٍ ... مايّحة اغصانها بالسمائمِ
لها ورق قد جفّ إلاّ اقله ... وعيدانها بين النيوب العواجمِ
ولا بدّ ان تجتث يوما جذورها ... وتقلعها احدى الرياح الهواجمِ

***

ارى العمر مهما ازداد يزداد نقصه ... اذ انحن في نقص من العمر دائمِ
ولولا انهدام في بناء جسومنا ... لما احتيج في تعميرها للمطاعمِ
لحا الله بأساء الحياة كأننا ... نكبل من حاجاتها بالاداهمِ
نروح كما نغدو نجاهد دونها ... امورًا دعتنا لارتكاب الجرائمِ
فلو كنت في هذا الوجود مخيرًا ... وفي عدمي لاخترته غير نادمِ

***

هل الموت الا سالك وحياتنا ... اليه سبيل مستبين المعالمِ

وما زال هذا الدهر غضبان آخذاً   على الناس من سيف المنون بقائم
تبصر تجد هذي البسيطة منزلاً   كثير اليتامى عامراً بالمآتم
وليس الذي آسى له فقد هالكٍ   ولكن ضياع المفجعات الكرائم
ارامل تستذري الدموع وحولها   يتامى كافراخ القطا والحمائم
وكائن ترى مخدومةً في جلالها   سعت حيث ابكاها الردى سعي خادم
فليت المنايا حين قوضن بيتها   بدأن بها من قبل هدم الدعائم

***

ارى الخير في الاحياء ومض سحابة   بدا خلباً والشر ضربة لازم
اذا ما رأينا واحداً قام بانياً   هناك رأينا خلفه الف هادم
وما جاء فيهم عادل يستميلهم   الى الحق الا صده الف ظالم
جهلت لجهل الناس حكمة خالقٍ   على الخلق طراً بالتعاسة حاكم
وغاية جهدي انني قد علمته   حكيماً تعالى عن ركوب المظالم

***

دأبت لنفسي في الحياة كأنني   من العيش ملقى في شدوق الضراغم
يخاصمني منها على غير طائل   اناس فابدي الصفح غير مخاصم
واقنع بالقوت الزهيد لطيبه   حذار وقوعي في خبيث المطاعم
واترك ما قد تشتهي النفس نيله   لما تشتهيه قلة في دراهمي
وكم ليَ في بغداد من ذي عداوةٍ   وما انا في شيء عليه بجارم
اذا جئت بالقلب السليم يجيئني   بقلب له من كثرة الحقد وارم

بغداد   معروف الرصافي

الامم بأفرادها (١)

آن للسوريين عامة ولا سيما المتهذبين منهم والمتعلمين ان يعلموا جميع الوسائل التي رقت الأمم في الادبيات والماديات ويعرفوا كيفية التذرع بها الى مجاراة الغير في الرقي وان ما بلغهُ الناس في هذا العصر من العلوم والمعارف وما ادركوه من الآداب والفضائل وما استنارت به اذهانهم وارتقت عقولهم واتسعت مداركهم وهذب اخلاقهم وما بلغوه من التفنن والمهارة والاتقان في الزراعة والصناعة والتجارة وما اعتمدوا عليه من القوانين في السياسة والرئاسة والقضاء والادارة وما احرزوه من اسباب التمدن والعمران وما اتوه من جليل الاعمال وعظيم الحسنات ليس جميعه نتيجة الاتفاق وابن الرفاهية والكسل وانما هو ابن العمل والاجتهاد والتعب والعرق ابن الدرس والبحث والاستقراء والاختبار ابن الافراد والنابغين فما نراه اليوم من ترقي المعاصرين وتمتعهم بوسائل التقدم والنجاح انما اتى على يد تلاميذ خمسة وسبعين قرناً حسب رواية التوراة واكثر من ذلك على رأي العلماء الطبيعيين والمؤرخين وما مر بهم من الادوار كاف لتعليمهم والاخذ بأيديهم الى هذا المقام

فقد توالى على الجنس البشري ازمان كانت بين الشدة والرخاء والبؤس والنعيم واحاطت بابنائهِ المضرات والمنافع احاطة الهالة بالقمر واكتنفتهم العبر من جميع الجهات فكانوا تارة يعتبرون بها فينتفعون واخرى يتلاهون عنها فيفوتهم النفع ويتضررون . وعلى هذا المنوال كانوا يتراوحون في التقدم والتأخر والصعود والهبوط وكانت تتفاوت مراكز الأمم في مراتب العمران تفاوتاً عظيماً لم يزل بيناً صريحاً حتى الآن غنياً عن الدليل والبرهان . وذلك لعدم اعتدادها بالاسباب والمسببات والمقدمات والنتائج بنسبة واحدة

موضوع خطابي -- الامم بأفرادها — واريد بالافراد النوابغ والشاذين الممتازين والمتفردين باعمالهم وما تيهم مجددين مخترعين مبتكرين واعني المحررين من رق العادات المستقلين في الاعتقادات الذين لا يكتفون بتحصيل الرزق والاهتمام بالاكل والشرب واللباس وما اشبه من شؤونهم الخاصة فقط ولا يقلدون التافه المبتذل من الموضوعات والشؤون ولا تصدهم العقبات وتثنيهم المعاكسات الذين يخلدون ذكرهم بفعالهم ويعد الواحد منهم بمقام الالوف والملايين

هؤلاء هم الافراد الذين اعنيهم بكلامي الآن وهم الذين يجمعون شتات الأمم ويؤلفونها

---

(١) من خطاب لجرجي افندي نقولا باز تلاه في حفلة جمعية الاعتدال في غرف القراءة في بيروت يوم الاربعاء ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٧ م

او يقسمونها و يبعثرونها · يشيدون اركان مجدها و يرفعون اعلام عزها او يزعزعون دعائمها ويهدمون اسوارها · يقيمونها او يقعدونها · يغنونها او يفقرونها · يقوونها او يضعفونها · يقدمونها او يؤخرونها · يعزونها او يذلونها · ينشطونها او يخملونها · وبعبارة واحدة يؤثرون فيها حسب اميالهم ومبادئهم وغاياتهم · وهم نافع قلما يضر وضار قلما ينفع ومتوسط بين النفع والضرّ اي مفيد ومؤذ معاً · فالاوّل من هبات الله للخلق والثاني من تلاميذ ابليس والثالث من الجبلتين بدليل ما نراه من التباين والتناقض والاختلاف في نتائج اعمالهم الخاصة والعامة مما يؤيد القول بان الامم بافرادها والافراد بتربيتهم وتعليمهم

صفحات التاريخ شهود عدول تبرهن على تأثير الافراد في الأمم وتوضح مالهم فيها من المآثر والاعمال بنسبة استعدادهم وقواهم ونقر بانها شاكرة لهم ممتنة او ناقمة منهم حاقدة عليهم ولا ننكر انها تنادي على رؤوس الاشهاد انها مدينة لهم بما تتمتع به من الحسنات او تصيح وتتأوّه وتئن وتتنهد مما حملوها عليه ورغبوها فيه وعودوها اياه من السيئات · وقلما ذكر التاريخ غير الافراد في كل جيل ومصر وامة ودولة · وقلما عدد غير مناقبهم ونوّه بغير فعالهم لما لهم من التأثير في الأمم

فمهما اشتغل العاديون اي العامة وكدوا واجتهدوا مهما قلدوا وتشبهوا ومهروا واتقنوا مهما تعددوا وتكاثروا وتناظروا وتزاحموا فلا يؤثرون في ذويهم تأثير الافراد في الخير او في الشر ولا يرقون صنائعهم وفنونهم ترقية الافراد لها ولو مرَّ عليهم قرون برمتها ومهما بلغ عديد الامة في اي مكان وزمان كانت مهما ساعدتها طبيعة البلاد ودرت عليها اخلاف الرزق والثروة مهما سعت في سبل العمران ورغبت في نيل الادبيات والماديات لا قيام لها الاّ بافراد يحثونها على النهوض والثبات ويرشدونها الى اقوم السبل ويتولون زعامتها ويقودونها في سبل الخير العام باخلاص وبراعة وتفنن

ويختلف تأثير الافراد باختلاف مراكزهم في هيئة الاجتماع ويتباين بتباينها فكلما علا مركز الفرد ازداد تأثيره واشتد نفعه او ضره · والويل لامة لا تعبأ بافرادها ولا تعمل على تنشيط النافعين منهم ومعاونتهم وترقيتهم جهدها فانها لا محالة خاسرة لان ترقي الفرد لا يتوقف على سعيه الشخصي واعتماده على نفسه فقط واقتحامه المصاعب واجتيازه العقبات بل ان ارتقاءه مناط بالاحوال المحيطة به ولها تأثير فيه لا ينكره غير المكابر · وللأمم يد طولى في ايجاد الافراد كما ان للافراد يداً اطول في ايجاد الامم

وحيثما عرفت قيم الافراد وجلت اقدارهم فنشطوا وأُخذ بايديهم ووثق بهم وركن اليهم تعددوا وافادوا لان الوسائل المعاونة لهم تسهل سبل نجاحهم فيبلغ معظمهم او كلهم

مبلغ النفع الحقيقي بدلاً من بلوغ الربع او الثلث او النصف فقط . اي فرد يستطيع اليوم اشغال العالم بما شغله به الاسكندر وتيمورلنك ونابليون وامثالهم قديماً . في مكنة كل مستعد ان يصير اعظم من روسو وباستور وبرتلو ولكنه يندر جداً او يستحيل ان يوجد نيرون ثان على الارض اليوم او فيما بعد وما ذلك إلا لأن الامم امست قادرة على تكييف افرادها بما تبثه فيها الافراد من المبادىء والآراء وبامكانها جعلهم فضلاء مجردين الى النفع ولو باكراه . والفرق عظيم بين الفرد المفيد المخلص الغيري وبين المضر المرائي الاناني . ذاك يسعد امته وهذا يشقيها والامم الحية تتطلب السعادة من جميع ابوابها بكل ما فيها من القوى

سطوة الافراد عظيمة على العقول وليس هذا بمستغرب فان من طبائع الناس تقليد كبارهم ونوابغهم كلٌّ حسب مهنته وحرفته وميله فالغني يقتدي بالاغنى منه والعالم بالاكثر علماً والاديب بالاوفر ادباً والفاضل بالافضل وهلم جرا

كلّ ما نتمتع به الامم من الحسنات قد جنته بواسطة الافراد . العلم والادب المعرفة والفضيلة الثروة والرفاهية المجد والشهرة جميع ذلك من نتائج اتعابهم وتفردهم . ارتقى الطب بافراد لا يعدون جزءاً من مليون من الاطباء الذين نشأوا في الارض محققين ودجالين والناهضون يعدون على الاصابع وهم ابيوقراط وهرفي وجنر وتروسو وبريتونو وباستور وباهرنغ ويرسن وكوخ ورو . والكيمياء قد تنكر نفسها ولا تنكر فضل لافوازيه وبرتلو . والزراعة لايمكنها نسيان النتائج الآتية من تجارب السرجون لوز ورفيقه الدكتور غلبرت . والفلسفة مقرة بخدم ارسطو وابن رشد وتوما واوغسطينوس وديكارت وباكون وكانت وسبنسر والاجتماعيات تردد بالشكر والامتنان ذكر فولتير وروسو وسيمون وتولستوي . والشعر يترنم باميروس ودانت والمتنبي وشكسبير وهوكو وكل فن مقر بافضال افراده عليه وتأثيرهم فيه . ولا عجب اذا غير الفرد من حالات امته او حرفته ما لا يغيره الالوف والملايين من العاديين .

هدم باكون وديكارت اسوار الفلسفة القديمة واسسا الحديثة واوضح دروين مذهب النشوء والارتقاء . وعلم مكس ملر الاوربيين والمشارقة كثيراً مما لم يكونوا يعلمونه من تاريخ لغاتهم ومعتقداتهم . وبطرس الاكبر الروسي وكرمويل الانكليزي وفرنكلين الاميركي وبسمارك الالماني والميكادو الياباني الحالي وامثالهم كثيرون ممن قد نهضوا ببلادهم بتفردهم دع عنك المصلحين والمشرعين كما ان كثيرين من الافراد قد اساءوا الى اممهم اساآت قلما يغفرها لهم التاريخ ككارلوس الثاني عشر ملك الاسوجيين ونابليون الثالث امبراطور الفرنسيس واشباههما . كولمبوس ومجلان وفاسكودي غاما اغنوا العالم باكتشافاتهم أدباً ومادة . فكتور هوكو وكمال بك غيرا طرائق الانشاء في الفرنسية والتركية . بهرام مالاباري واحمد

خان افادا الهنود اكثر مما استفادوه من انفسهم وهم عشرات الملايين · بوكر واشنطون يعمل على ترقية السود اعمالاً لم يأت بمثلها ملايين منهم · فانديك و بلس والبستانيون واليازجيان افادونا اكثر مما استفدنا من مجموعنا برمته

عرف الغربيون ان الامم بافرادها فنشطوا الافراد وعززوهم ورفعوا اقدارهم ولم يضنوا بعزيز وغال في هذا السبيل · واول ما وجهوا انظارهم اليه تكثير الوسائل العامة التي يسهل وصول الافراد اليها واستخدامها في ما يقدمهم و يرقيهم فاكثروا المدارس وجعلوا التعليم الزامياً وانشأوا المكاتب للمطالعة واسسوا المنتديات للمباحثة غير جاهلين ان وجود الافراد غير متوقف على كل هذه الامور وانما حجتهم تسهيل الوسائل لظهورهم ومعاونتهم على الاستفادة والافادة اذلا يعلم غير الله من اي فئة ينبغ الافراد في كل حين من الفقراء ام من الاواسط ام من الاغنياء · ولكن الرأي المعول عليه ان الافراد كثيراً ما يرون نور الوجود في الاكواخ والبيوت المتوسطة لا في القصور والمنازل الفخيمة · وبهذا نتضح غاية انشاء المدارس المجانية والمكاتب والمنتديات العمومية · ولم نعدم نحن في بلادنا افاضل منا ومن محبينا ادركوا هذا الامر الجليل فعملوا على ايجاده وتعزيزه

كثير من الناس لا يعبأون بغرف القراءة ولا يرون فيها غير التسلية وصرف اوقات الفراغ على انها ما نشئت لغرض اسمى واعم ولا يقتصر نفعها على استمالة الشبان عن القهاوي والحانات وترقية عقولهم بالمطالعة وتهذيب نفوسهم بها بل هي مورد عذب للافراد يستفيدون منها ما يضن به الدهر عليهم · واذا لم يكن لها غير هذا النفع لكفاها فضلاً وفخراً

الميكروب

تولده وعلة الاختمار

انقسم العلماء نظريًا بناءً على اكتشافات « شوان » السابق بيانها في علة الاختمار الى ثلاثة اقسام . اولهم القائلون ان الاختمار عارض يطرأ على بعض الجوامد في احوال مخصوصة لا ينتج ولا ينوقف حصوله على الخلايا او الميكروب التي لا يكون لها فعل او مدخل في الاختمار اذا وجدت في شيء من تلك المواد بل تصادف احيانًا فيها لانها تتكون منها بنوع عارضي طاريء بلا علة ولا والد . وسمي اهل هذا المذهب (اصحاب التولد الذاتي او الطرآني)

والقسم الثاني وهم القائلون ان الاختمار فعل حيوي قائم بالخلايا وملازم لحياتها واغتذائها وهي تنمو وتتكاثر وتتخلد طبيعيًا بالتناسل وهؤلاء هم (الحيويون) .

والقسم الثالث هم الذين ينسبون الاختمار الى فعل كيماوي . وكان الرأي الاول مرجحًا ومقبولاً عند الجميع لما لم يكن قائمًا على اساس وقاعدة علمية وليس في تعليلاته النظرية ما يشفي غليل المنتقد المتوغل و يقنع النبيه المتبصر كأن يقوم الحين بعد الآخر من يخطيء القائلين به و يحاول اكتشاف سبب حقيقي وتعليل تركن اليه العقول و يقبله الحدس السليم . وكان كثيرون قد وقعوا على الحدس وقرروا وجود سبب خفي عن الابصار يكون علة الاختمار والامراض ولكنهم كانوا قاصرين عن اثباته ببرهان تسند قضاياه على الادراك حسيًا ومنطقيًا .

ففي سنة ١٧٧٦ حاول (سبلّنزاني) الايطالي اثبات وجود الخلايا و بيان تولدها وفعلها في الاختمار مستندًا على التجارب فاخذ بعض السوائل الاختمارية ووضعها في اكواب من الزجاج احكم سدّها ثم غلاها في الماء قاصدًا اتلاف ما فيها من الخلايا او الميكروب ومنع دخول الهواء اليها بعد الغليان فنجحت تجربته تلك . لان بعض الاكواب دامت معقمة لم يفسد ما فيها ولم يتخمر . وذاع خبرها فبنيت عليها كيفية حفظ بعض المأكولات من الفساد بوضعها في علب تغطى ويحكم سدّها ليمتنع دخول الهواء اليها .

ان نجاح هذا المسعى وان لم يكن غير كاف لاقناع الكافة فقد كفاه فضلاً ادخاله الشك على المذهب القديم وفتحه بابًا للدخول علميًا وعمليًا في الموضوع .

و بعد ذلك قام كثيرون وتفرغوا للبحث والتوغل في المسألة وخصوا انفسهم لها و بذلوا النفس والنفيس في استقصاء الحقيقة فتركوا المناقشات النظرية والحدسية واقتصروا على التجربة والعمل واذ كانت سوق العلوم وقتئذٍ رائجة ناجحة لم يتركوا واسطة املوا منها بعض النجاح

لاي علم او فن نسبت ولم يستعينوا بها في البحث عن الحقيقة . وافضل الوسائط والآلات لم خدمةً هو كما سبق القول المجهر الذي كان وقتئذٍ قد أُتقنت صناعته واستكملت فتوصلوا به الى رؤية أدقّ الميكروب عيناً وعياناً .

ولما كان مجرد وجود الاجرام الحية في مادة مختمرة او متعفنة لا يكفي للتصديق بانها المسبب الوحيد لذلك اقتضى ان يتبين ايضاً بالتجربة بان ظواهر الاختمار لا يمكن حصولها في مادة ما جردت من تلك الاجرام وحجبت عنها . وعليه فانهم كانوا يصنعون المواد التي يقصدون التجربة عليها في زجاجات فيغلونها في الماء لكي تموت بالحرارة الاجرام الحية من السائل والزجاجة وذلك اما بسد الزجاجات اثناء الغليان او بتعرية الهواء الداخل اليها من الاجرام الحية .

قلت فيما سبق ان هذا الامتحان كان سبق اليه وجرب منذ سنين عديدة . فكان العالم مثلاً قد اختبر بانه يقي من الفساد جميع المواد التي كان يغليها ثم يغمرها في الزيت الذي يحجرها عن الهواء او انه كان ينقي و يصفي الهواء من اجرامه بالحوامض قبل ان يمس تلك المواد المغلية .

وفي سنة ١٨٣٧ اعاد شوان المومأ اليه تلك التجارب عينها وكان زيادة على ذلك اذا اهلك الاجرام الموجودة في الهواء بامراره في انبوب حام قبل وصوله الى المواد المعروفة للتجربة لم تفسد . ان تنقية الهواء من الاجرام الحية سواء كانت بوسائط كيماوية او بحرارة النار لم تغير تركيبه الطبيعي . على ان المخالفين للرأي الحيوي تشبثوا بها محتجين بان الهواء بتلك الوسائط يطرأ عليه تبدلات جوهرية فلا يعود صالحاً للحياة . فرداً لهذا الاعتراض عاود شريدر وفوندش سنة ١٨٥٤ تلك التجارب ولكنهما جعلا ذلك في زجاجات ذوات عنق او انبوب طويل منحنٍ على زاوية قائمة . والغرض من ذلك هو تسريح البخار والهواء الخارج من الزجاجة عند الغليان و بعد تصفية الداخل اليها بقطعة قطن مندوف نقيّ توضع في فوهة الانبوب فصحت التجربة وافحم المعترضون . ولكن حاول بوشه في سنة ١٨٥٨ ايضاً اثبات حدوث الاختمار من دون هواء ومن بعد تعقيم المواد المجرب عليها . فاخذ زجاجة ملأها ماء فوضعها على النار تغلي ريثما تهلك الجراثيم منها و يطرد الهواء ثم اخذ الزجاجة وسدّ فمها سداً محكماً فكبه في اناء مملوءٍ زئبقاً . فبعد ان برد الماء في الزجاجة ادخل اليها من تحت الزئبق كمية من الاكسجين وبضعة غرامات من حشيش يابس معقم بالبخار فما لبث الماء ان فسد والزجاجة في الزئبق لم يدخلها الهواء فاستنتج المعلم المومأ اليه بان هذه قد حصلت من ذاتها ولم تأت لا من المواد التي كانت قد عقمت ولا من الهواء الذي لم يدخل الزجاجة . فردّ عليه باستور بان جراثيم الخلايا التي ظهرت بماء الزجاجة انما وصلت اليه بواسطة الزئبق الذي لم يعقم قبل التجربة وكان في اثنائه معرضاً للهواء تتساقط عليه الجراثيم المنثورة في الهباء

ثم اخذ باستور بالاتفاق مع شفرويل في اعادة جميع التجارب التي تثبت رأي الحيويين وذلك باسلوب جلي بسيط تراه العيون وتدركه العقول فصنعوا زجاجة ذات عنق كالانبوب طولها نحو متر واحد او اكثر منحنية على زاوية قائمة عند اصلها وذات تعرُّجات كثيرة اشبه بالحية الزاحفة تنتهي فوهتها منحنية نحو الارض . والغرض من ذلك ان الهواء الداخل الى الزجاجة بمروره في الانبوب يترك في تعرُّجاته جميع ما يحمله من الهباء حتى يتنقى اذا وصل الى داخل الزجاجة واختلط بالسائل . فيكون بهذه الواسطة غنياً عن جميع الوسائل التي اتخذها المجربون من قبل لتنقية الهواء فكانت هذه حقيقة التجربة الاخيرة لانها اكدت جميع ما قبلها وقطعت قول كل معترضٍ . وناهيك بان باستور لم يكن يكتفي بتجاربه العديدة على ملاحظة زجاجةٍ واحدةٍ بل انهُ كان كل مرَّة يعدُّ عدة من الزجاجات كلها على صفات وشروطٍ واحدةٍ لا اختلاف بينها البتة . فكان يعقم الزجاجات وما فيها ويتركها في مكان خاص تصلح درجة حرارته لحدوث الاختمار فلم يظهر ذلك في شيء منها . فكان يكسر انبوب زجاجة من اصله ليثبت بان الهواء اذا دخل زجاجة من تلك الزجاجات من دون ان يتنقى بالانبوب يفسد السائل فلم يلبث ان يختمر ما فيها ولاثبات تنقية الهواء بمروره بالانبوب تاركاً هباءه والجراثيم الحية في تعرجاته كان يحني زجاجة نحو انبوبها ليجزئ السائل فيه حتى يصل الى حدٍ ما منه فيعود يرجعه اليها . فكان السائل يختلط ببعض الجراثيم المتساقطة في الانبوب فيختمر لا محالة . واذا ادخل جزءاً يسيراً من مادة خميرية في زجاجة كان يختمر ما فيها . وقصارى القول فان الزجاجات المعقمة كانت تبقى كذلك ابداً ما لم يدخل اليها عمداً للاختبار بعض جراثيم الاختمار . فاشتهرت تلك التجارب وعرفت قواعدها وشروطها في العالمين حتى صارت دستور العمل لحفظ المأكولات والمشروبات ووقايتها من الفساد وسميت باسم واضعها ومكتشفها باستور . وعند ما كثر المجربون واختلفت مآربهم ودرجة معلوماتهم في فن الميكروب تهاون بعضهم في الدقة واستكمال الشروط التي لا بدَّ منها للنجاح حبطت بعض تجاربهم فاعتمدوا على القواعد الموضوعة وغالطوها وادعوا بانهم اتخذوا جميع الوسائط المقررة فلم يتمكنوا من منع الفساد والاختمار ولما كان ذلك نتيجة خطأهم وقلة دقتهم وقصر باعهم فاعتراضاتهم لم تزعزع القواعد التي تقرر حكمها ابداً .

جراثيم الميكروب او صئبانه

لم يفتر باستور من تحصين اكتشافاته واستكمال الفوائد والشروط للاحتراز فيها من الفشل . من ذلك انه عند ما اطلع بان بعض الميكروب لم تهلكه حرارة الماء التي تغلي والقدر مكشوفة بل كان يبقى بعضه حيًا من بعد الغليان اما على الزجاجات او فيها فيفسده

اخذ يسخنها والزجاجات الى درجة ١١٠° — ١٢٥° من الحرارة في القدر المعروفة باسم مخترعها بابن ·

وعرف «شريدر» ايضاً ذلك فصار اما ان يسخن المواد الآلية بالقدر المذكورة او يتركها تغلي على العادة القديمة بضع ساعات · ولا يخفى ان من الميكروب الذي لم تمته حرارة الماء الغالي هي جراثيمه او صئبانه · واكتشف باستور سنة ١٨٦٥ جراثيم او بيضات ونسجها صئباناً لكل من انواع الميكروب تخلفها هي فيتكوّن منها النسل ·

واشهر من توغل في البحث عنها المعلم كوخ الالماني ونشر فيه كتاباً سنة ١٨٧٦ واظهر بان جميع الميكروب وهو في إبان نشوئه ونموه يهلكه الماء الغالي بل اقل حرارة من درجتها انما جراثيمها تحتمل بطراً شديد الأجاج واظهر ايضاً بان الحرارة الرطبة انجع منها يابسة لاهلاك تلك الجراثيم فجعل بعض انواعها في حمام جاف درجة حرارته ١٢٠° مدّة اربع ساعات فلم تهلك ولكن تم ذلك بمدة ساعتين فى حمام درجة حرارته ١٤٠° واما الحرارة الرطبة اعني في حمام فيه بخار الماء فمئة درجة من الحرارة تكفي غالباً لاهلاكها تماماً بمدة قصيرة · ولاجل الحصول على الامنية التامة في ذلك علمنا كوخ بان نكرر عملية التسخين في حمام البخار المذكورة بضع دفعات بين بعضها عدة ساعات ريثما يبرد السائل · فالجراثيم التي لم تهلكها الحرارة تنتعش وتنمو حينئذٍ فقبل ان يدرك وقت تخليفها صئباناً وضع السائل من جديد في حمام البخار فيهلك الميكروب الناشئ فيه · فاذا اعيد ذلك مرة اخرى او اكثر تحوّل الصئبان كلها الى خلايا ناضجة فتهلك ويحصل كذلك التعقيم التام ·

دمشق سليمان غزالة

اليونان

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا فيها في القرن السابع اي في العصر الذي اخذ اهل العلم يعرفون عنهم شيئًا يوثق به. وقدحفظ كثير من هذه الشعوب ذكرى نزولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة في تلك البلاد . جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت شمل غيرهم امام المغيرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعواء والرحلات كانت من القدم بحيث لم تصلنا اخبارها مسطورة ونقلت وشاع ذكرها تقليدًا ويقولون انها كانت في القرن الثاني عشر (اي بعد اخذ طروادة بثمانين سنة) ولاعبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائط يحسبون بها في ذلك العهد المتطاول على ان هذا التاريخ أخذ قضية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .

دعي اقدم سكان يونان بالبيلاسج (ولعل معناه القدماء) ولم يعرف عنهم شيء ولا فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان ولا يعلم ايضًا كيف ابدل اسم بيلاسج بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضًا ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت أثرًا من آثار فاتحيها وغزاتها . فقد جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناؤط اليوم» وهاجموا سهل بينيه الفسيح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجمين عصابة من الفرسان الاشراف وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يزرعون ويحرثون ليس الاً . وقد رحل الى وادي سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ردح من الدهر خرج الدوريون من جبال البند واجتازوا برزخ كورنت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وغنيت رباعه وبقاعه مثل لاكونيا ومسينيا وارغوليديا وسيكيونيا وكورنت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوهم الهيراكليديين (اي نسل المعبود هيراكليس) ليغلبوا رعاياهم الثائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدوريون الى زراع واهل فلاحة

واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايليديا في الغرب . وانهال الاشيانيون ممن ابت نفوسهم الخضوع على شاطىء شبه جزيرة المورة

الشمالي وطردوا منها الايونيين واسسوا الاثنتي عشرة مدينة الآشيانية فلجأ الايونيون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الاثينيون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الآخر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعدُ ذاك الشاطئ بعينه . واحتل الدوريون جزيرة اقريطش (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الجنوبية .

الدوريون — يراد بالدوريين نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطيء بلاد اليونان الجنوبية المعروف ببلاد المورة ويذكر هؤلاء المخبرون ان ملوكاً من اسبارطة من نسل البطل هيراكليس قد طردهم رعاياهم فجاؤا يبحثون عنهم في جبالهم فتبع الدوريون اخلاف هذا البطل حباً به ونصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلاً من الناس اشتهر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وشظف العيش وحياة الفقر والفاقة فترى رجالهم ونساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدوريون امة حربية دعاها الاضطرار الى ان تكون ابداً على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعد اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالغرباء ولا تقليدهم في منازع اخلاقهم .

الايونيون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وشاطيء آسيا بالامة الايونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدوريين جنس من البحارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشارقة اعرق منهم في الحضارة واقتبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صبغتهم اليونانية لامتزاجهم بالآسياويين ولانهم نحوا نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش الترف يمضغون الكلام ويرققونه ويلبسون ثياباً ضافية الاذيال على مثال المشارقة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدوريين والايونيين هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . فاقليم اسبارطة للدوريين واقليم اثينية للايونيين وليس السواد الاعظم من اليونان دوريين ولا ايونيين ويعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايوليين واكرنانيين وفوسيديين وبيوسيين من اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشانيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون

باسم الهيلانيين الذين عرفوا بهِ منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما نجهل نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم طوارىء من اهل المدن انشؤا بلدانًا في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك الصغيرة اليونانية في جميع جزائر الارخبيل وعلى جميع شاطىء آسيا الصغرى واقريطش وقبرص وفي كل مااحاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقريم على طول البلاد العثمانية في اوربا (المعروفة اذ ذاك بتراسيا) وعلى شاطىء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى شواطىء فرنسا واسبانيا

اخلاق هذه المستعمرات — يبدأُ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات اشتقت من كل المدن ونتجت عن كل جنس دوريًا كان او ايونيًا او ابوليًا . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة تارة وفي بلاد مأهولة اخرى أُسست حينًا بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان وانشأها بحارة او تجار او منفيون او متشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها باصلها بخلق عام وانها نشأَت دفعة واحدة بمقتضى قواعد ثابتة . وما كان الطوارىء او المستعمرون من اليونان يحلون في بلد واحدًا بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضًا فيقيمون لهم مساكن تصبح بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطوارىء من الاوربيين في اميركا اليوم بل كان الطوارىء منهم يسافرون قضهم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فتؤسس البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يُعدُّ احتفالاً دينيًا فيخط المؤسس لها سورًا مقدسًا ويجعل بيتًا مباركًا يوقد فيه نارًا مقدسة

تقاليد المستعمرات — يتضح مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد الغال (فرنسا اليوم) اوكسينس احد اهالي مدينة فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء الغاليين الى عرس ابنته ومن عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأسًا تقدمها لرجل تختاره من الجماعة فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فظهر للقوم ان هذا العمل كان بالهام من السماء

(١) جاء هذا الفصل متأخرًا عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاخيرة

اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الزعيم الغالي الا ان زوج اوكسينس من ابنته وسمح له بان يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسى ان الجيش الفارسي يحاصر مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً تقلّ عيالهم واثقالهم واصنامهم وحليّ معابدهم وغادروا بلادهم ماخرين في سفنهم واقسموا عند منصرفهم ان لا يردوا اليها الا اذا عامت على وجه الماء الحديدة المحماة التي القوها في البحر . وقد نكث كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العباب بعد العباب حتى وصلوا الى مرسيليا بعدان تجشموا اهوالاً كثيرة . واسس الايونيون مدينة ميلت تاركين نساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فذبحوا الرجال وتزوَّجوا بنسائهم وبناتهم قسراً . ويقال ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يناديتهم بيا ازواجنا . عادة بقيت قروناً يعمل بها عند نساء ميلت . اما مستعمرة برقة في افريقية فقد أسست بامر صريح من المعبود ابولون ووحي منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الذين أمروا بذلك يحاذرون من نزول بلد مجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكانت جزيرتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الجزيرة عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء الذين انفذوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قضوا عامين في احدى الجزر وقد خانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا ابد الدهر مدينة برقة فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المستعمرات — من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل مكان تنزله ولا تخضع لأم القرى التي انفصلت عنها بتة . وهكذا بلغت الحال بان كان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع واخصب وسكان اوفر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلثمائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيشت جيشاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وفاقت سيراكوزه في صقلية وميلت في آسيا بقوتهما مملكتي اسبارطة وآثينية وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكبرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون اوفر عدداً في البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رجال تلك المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وطاليس وفيثاغورس وهيراقليطس ودموقريطس وانفيدكلس وارسطوطاليس وارخميدس وتيوكريتس وغيرهم

المدن — ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي نزلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير خاف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية متقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كثير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن جارتها برأس من البحر او بجدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واذا احصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة الينا فان ايتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفًا ومزارع . ومن العادة ان يكون ما يعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفأ او بضع قرى مبعثرة في الفلاة حول قلعة فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها اومرفأ المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة ألوف من الناس واعظمها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثمائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون أمة برأسها ولا انفكوا من التقاتل والتقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ شطوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناء نبعة واحدة ويمتازون عن سائر الامم التي يدعونها البرابرة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب — اعتقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللانهاية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادقه والارض سلمه ورتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوّة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوّة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اذ لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عددًا عديدًا من هذه الآلهة فكانوا وثنيين على هذا النحو .

نسبة الشهوات البشرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصوّر اليونانيين وسعة خيالهم مثلت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كائنًا حيًا في ابهى المظاهر من الصور البشرية وكانوا يتمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة بهية المحيا وعند ما كان عولس او تيليماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان ربًا من الارباب . وقد صور هوميروس البطل آشيل صورة

(١) في الطبعة الاخيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

جيش . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس واتينيه كانا يقودان الجيش وكلاهما متشح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اذ البشراقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشرًا يلبسون ثيابًا ولهم قصور واجساد كاجسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الالم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشر هو ما يدعى « انتروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميثولوجيا — للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لانهم ناس كالآدميين فامهم ربة واخوتهم ارباب واولادهم ارباب غيرهم او ناس هم نصف ارباب . وتدعى انساب هذه الارباب تيوغونيا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واخبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب ابولون مثلا ولد في جزيرة ديلوس وكانت لجأت اليها امه لاتون وقتل غيلانًا كان قد خرب تلك البلاد في سفح جبل البارناس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية اخبار تعزوها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تتألف الميثولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون — بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً كوائن طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البشر وقوى الطبيعة فقد كانت النایاد فتاة جميلة ونبعًا منبجسًا في آن واحد . وتخيل هوميروس الشاعر ان نهر جزيرة الزانت هو رب وقال فيه (لقد تدفق نهر الزانت على البطل آشيل وهو يزيد غيظًا ويرغي حنقًا ويخر طافحًا بالزبد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب زيوس ينزل المطر ويرسل الرعد . وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او شمس لا السماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتًا للسماء التي تظله والارض التي تقله والنهر الذي يعله . فمن ثم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب البحر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارضها وبحرها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس ربًا لاثينة زيوس بعينه وربما كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم اتينيه او ربان تحت اسم ابولون. ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفًا من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا غابة غبياء ولا اكمة شماء الا وهي مؤلهة (١) ولها صفة لا يشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيرًا لا يعبده الا ناس من اهل الجوار وما مزاره غير مغارة في الصخر .

(١) يقول الشاعر ازيودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

الارباب الكبيرة — وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنبثة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والبحر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مزار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي اشترك اهل يونان كافة في التقرب اليها فانك لو احصيتها لا تكاد تصل في عدها الى العشرين . ومن سوء عاداتنا معاشر الافرنج ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لاتينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المشتري) = هيرا (جونون) = اتينيه (منرفا) = ابولون = ارتيمس = (ديان) = هرميس (عطارد) = هيفزتوس (فولكين) = هيستيا (فيستا) اريس (المريخ) = افروديت (الزهرة) = بوزيدون (نبتون) انفيتيريت = بروته = كرونوس (زحل) = ريهيا (سيبيل) = ديميتير (سيريس) = برسيفونه (بروزربين) = هاديس (بلوتون) = ديونيزوس (باخوس) . وهذه الزمرة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعابد على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات .

خصائص الارباب — لكل من هذه الارباب هيئته وهندامه وادواته المدعوة خصائص هكذا تصورها المؤمنون من ابناء يونان وهكذا مثلها النقاشون منهم . ولكل خلقه المعروف به بين عابديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامره . فالرب اتينه مثلاً هو على صورة عذراء ذات عينين براقتين مثلث قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها خوذة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاختراع وعلى جانب من الهيبة والشراسة .

ومثل هيفيزتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج قبيح الهيئة وزعموا انه ينزل الصاعقة . وان الربة ارتيمس كانت عذراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة وهي تطوف الغابات تتصيد مع زمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما هرميس الذى قناوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاماكن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموتى ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . وللرب اليوناني ابداً عدة وظائف في الغالب هي في نظرنا متخالفة غير ان اليونان تخيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً

الاولمب وزيوس — كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لا تسير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للتعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم

وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في شمالي اليونان جبلاً ذا قمم مكسوة بالثلج لم يصعد اليه بشر واسمه الاولمب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بما يتراكم عليها من الضباب توهم اليونان ان الارباب يعقدون جلساتهم فيجتمعون مستنيرين بنور سماوي يتفاوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المشتري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب الذي يؤلف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ مهاب ذي لحية بيضاء جالس على عرش من ذهب وهو الذي اختص بالزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها تخضع له فاذا بدرت من احدها بادرة المقاومة في امر يتهددها زيوس واليك ما ذكره هوميروس على لسانه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاشر الارباب ذكوراً كنتم او اناثاً ولو بذلتم الجهد كلكم لا تجرون زيوس الى الارض وهو الملك الآمر وعلى العكس اذا اردت ان اجذب السلسلة الي فاني اجاذب الي الارض والبحر ثم اعلقه بقمة الاولمب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوباً ما دمت اعلى منزلة من الارباب والبشر »

آداب الميثولوجيا اليونانية — وهم اليونان ان معظم اربابهم من القسوة والسفك والخداع والسفاهة على جانب فاخترعوا لهم اخباراً سفيهة واعمالاً نابية عن طور اللياقة ، فكان هرميس بزعمهم لصاً واشتهرت افروديت بغنجها وخفرها واريس بقسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا ينفكون عن اضطهاد من تساهل في تقديم الضحايا لهم . ولما أعجبت نيوبي ملكة ثيبة بكثرة أسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب ابولون يصمي اولادها بالسهام ويمزقهم كل ممزق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تتمالك من رؤية انسان بلغ غايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب غضب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربة للغضب والانتقام سموها نيميزيس ويذكرون لذا قصصاً كالآتية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد الارباب اذ غدا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالقاه في اليم لئلا تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس ذات يوم سمكة عظيمة وجد خاتمه في جوفها فكان ذلك بنظره شؤماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . فحوصر بعد في مدينته وأخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحظ من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميثولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقوا على الشعراء الذين نشروا هذه الحكايات وذكر احد تلاميذ فيثاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر مصلوبة في شجرة وروح ازيودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لهما على اهانتهما الارباب

وقال كسينوفان ان هوميروس وازيودس قد نسبا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون عاراً بين البشر وشناراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا بعقولها وكان يزيد على ذلك قوله : لو كان للبقر والاسود ايدٍ واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولجعلت الخيل للارباب اجساداً كالخيل والبقر. والناس يذهبون الى ان للارباب احساساً وصوتاً وجسداً . هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل بمكان اذ قد جعل اليونان الأُول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذاك العهد سفاكين غدارين حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في اخلاقهم ينشأ اخلافهم متبرمين من هذه المبادي، كلها عازفين عنها ولكن تاريخ الارباب واخلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة اخذها اهل الاجيال الحديثة ولم يجرأوا على تغيير ارباب اجدادهم الفظة السفيهة بغيرها

بعض تباريح

« المعنى مأخوذ عن شاعر اميركاني »

حمامةَ هذا الفجر ويحك رفرفي ... لتلتقطي حب النجوم وطيري
لعل الصبا تندى على القلب ندوة ... تُنفسُ وجدي اوتبلُّ زفيري
فلي في الصبا شكوى ولي في الصبا هوى ... وبعض تباريح وبعض امور
تحرك نفسي كلما هفهفت وما ... تظن بانفاس وشعلة نور
فيامن لنفس كل شيء يهيجها ... الى اثرٍ من لوعة وسرور
تلاقى اليها الحب من كل مذهب ... كما استهدفت فيه لكل مصير
فكيف انثنت تلق الهوى او شعاعه ... لحاظاً والفاظاً ونور ثغور
كثيرٌ على نفسي همومي وحسبها ... على عَنت الايام حملُ ضميري
تخالجني بالرغم يأس مبرّحٌ ... سواءٌ عسيري بعده ويسيري
وما انا مردود الى الرأي بعد ما ... تحكم طبعي واستمر مريري (١)
شجينا وباتوا قد خلت مهجاتهم ... على أُفق بادي الصفاء منير
وما في اكتئاب العشق حزن وانما ... لمعنى يُرى في اللحظ بعض فتور

طنطا ... مصطفى صادق الرافعي

(١) يقول الرجل استمر مريري اذا استحكم امره عليه وأَلفه

سير العلم

آثار رومانية

كان احد علماء الآثار من الطليان اكتشف منذ بضع سنين في فياساكرا من جبال مدينة رومية مدافن قديمة جدًّا يرد عهدها الى ما قبل تأسيس رومية بقرون فاهتز لذلك العلماء والمؤرخون اذ ثبت لهم ان ما وجد في تلك المدافن من الخزف والحلي والتعاويذ وضروب الزينة التي زينت بها العظام هو مما يدل على ان هناك عنصرًا وتمدنًا يخالف العنصر الروماني وتمدنه . وقد عثر الآن في جبال بلاتين اي في تلك البقعة عينها على مدافن اخرى قديمة جدًّا تثبت ما كان ذهب اليه ذاك العالم الاثري وهي قبور على شكل آبار مثل قبور الفوروم وربما كان المدفون فيها اناس من سكان تلك البلاد الأصليين وما زال الحفر متتابعًا .

اميركا والفينيقيون

ما برح علماء الآثار يبحثون عمن سكن اميركا قبل القرون الوسطى قائلين انها عرفت قبل مكتشفها خريستوف كولمبس بنحو خمسة وعشرين قرنًا لان الآثار التي وجدت في كثير من انحائها كالهياكل والاواني النحاسية والكتابات العبرانية تدل على انه سكنها ناس من العبرانيين او الفينيقيين والارجح انهم فينيقيون لان جميع الهياكل كانت ابوابها متجهة الى الشرق خاصة بعبادة الشمس على نحو الهياكل الفينيقية ووجد فيها صور بعض الحيوانات الكاسرة والداجنة منها ما عهد عند الفينيقيين ومنها ما اثرت عبادته عن قدماء المصريين ومعظم تلك العاديات اشبه بهياكل سورية وجنوبي اوربا وشمالي افريقية وغيرها من البلاد التي نزلها الفينيقيون واقاموا فيها متاجرهم فاستنتج من ذلك علماء الآثار ورجحوا ان الفينيقيين نزلوا اميركا كما نزلوا ايرلاندا في اقصى الشمال الغربي من اوربا وان اهل اميركا قبل الاكتشاف كانوا يعرفون ما عند الفينيقيين من الصنائع والدين واللغة وكلما ظهرت عاديات جديدة تجلت حقائق كثيرة وثبتت ثبوتًا لا مجال للشك فيه .

المنازل المهلكة

وضعت «المجلة» مقالة وصفت فيها المنازل الفقيرة في باريز بدأت فيها بما جاء في المثل الفارسي القديم « يدخل الطبيب احيانًا الى الدار المحرومة من الهواء والشمس »وقالت ان الامراض المعدية ولا سيما السل لا تنتشر الا في الامكنة الندية التي لا تضربها اشعة الشمس وان جراثيم هذا المرض تعيش اسابيع بل اشهرًا في الظلام فاذا اقام امرو ضعيف

الجسم مستعد لهذا المرض الخبيث في غرفة معرضة للشمس يسلم من هذا المرض وعلى العكس تسرع اليه جراثيمه اذا جلس في مكان رطب لاشمس فيه ولا هواء ينفذ اليه حتى قال بعضهم ان السل هو من امراض الظلمة وقد اجمع اطباء الامم الباحثين في هذا الداء العياء على ان السبب الرئيسي في انتشاره فقدان النور والشمس من اكواخ الفقراء التي يحشر اليها العيال والاطفال وقالوا لا يكفي ان تكون غرفة النوم وردهة الاستقبال وغرفة الطعام معرضة للشمس بل انه لا بد من ان يكون المطبخ وكل مكان في البيت معرضاً لها ايضاً ولاجل السكنى في بيت ذي ثلاث طبقات ينبغي ان يكون قائماً على شارع عرضه من ١٥ الى ٢٠ متراً بحيث يغدو الهواء والشمس فيه وتروح . وقال كاتب المقالة انه يؤخذ من الاحصاء الذي جرى مدة عشر سنين في مساكن باريز وهي ٨٠ الف مسكن انه قضي بالسل ١٠١٤٩٦ شخصاً في ٢٣١٢٤ مسكناً منها ٥٢٦٣ مسكناً وقع فيها ٣٨ في المئة من مجموع من قضوا بالسل وثبت ان ٣٥٨ مسكناً من هذه المساكن كان فيها ٢٦٢٨ غرفة مسكونة لا هواء فيها ولا نور بالمرة وان ٨٢٠ مسكناً ينبغي ان تهدم حالاً لانها منبعث هذا الداء العقام . وقد قامت عدة جمعيات في فرنسا تدعو الى تطهير البيوت واختيار اماكن صحية للعمل والنوم والراحة في الليل والنهار . وفي المانيا مجالس بلدية تعطي التعليمات الصحية الكافية لكل مستأجر يريد ان يتخذ له مسكناً وتذكر له حسنات المسكن الذي يختاره وسيئاته لئلا يصاب وأسرته بمرض عششت فيه جراثيمه وكذلك ترى في كثير من المدن مجالسها البلدية عارفة بالبيوت الملوثة والبيوت السليمة لتتوفر على محاربة جراثيم السل الرئوي . وفي مقالة ثانية ان السل يمكن شفاؤه اذا تدورك امره وانه ثبت ان الفقراء هم اكثر الناس عرضة له ففي المانيا يموت به ١١٠ آلاف نسمة منهم ٨٠ الفاً من الطبقات العاملة التي يقل دخلها عن الفي مارك في السنة

عادة الافيون

تعاقب اليابان متعاطي الافيون بالاشغال الشاقة وتختلف مدة ذلك باختلاف استهتاره واسترساله وقد اصدرت الصين في العهد الاخير امراً تقضي فيه على جميع بيوت الافيون العامة ان تصفي اشغالها وتقفل ابوابها واعطتها مهلة لذلك عشر سنين ولكن عادة الافيون التي يطاردها اهل الشرق الاقصى التي نشأت بينهم اصبح اهل اوربا يتساهلون معها بحيث يجري تداول الافيون جهاراً في العواصم والحكومات غافلة عن متعاطيها الذين اعتادوها في رحلاتهم الى الشرق مثل بعض الانكليز والفرنسيس وقد ارتأى احد اطباء الفرنسيس ان خير ما يعالج به متعاطي هذا المخدر ان يسجن في دار خاصة بامثاله ويقطع عنه الافيون دفعة

واحدة ففي الاسبوع الاول يشكو كثيرًا ثم يخف ألمه لفقد ما كان ألفه وتسمم به دمه لا كما يعامل الذين يستخدمون المورفين اذا أُريد منعهم من تعاطيه بالتدرج معهم في نزع عادته منهم وهو يرى ان الافيون كالاوبئة ينبغي مكافحتها بشدة زائدة وانه خطر اجتماعي لا يقل عن خطر المسكرات يعود باعظم المضار على الجنس كما يعود على الشخص وعلى المجتمع كما على الأسرة .

الرعاد الجديد

اخترع احد رجال الانكليز رعادًا جديدًا يقطع في الدقيقة ١٢٠٠ متر وهي اعظم سرعة بلغتها السفن البخارية حتى الآن وسيحدث عنه تبديل في الملاحة الحربية وتتضاعف به قوة الغوَّاصات .

ذرور اللحى

اخترع احد الانكليز ذرورًا للحى تستغني به بعد الآن عن استعمال المواسي في حلقها وهو يجعل معجونًا يمد على اللحية فتزول بالحال ولا يحتاج صاحبها إلاَّ الى غسلها بعد ذلك وقد جرب هذا الاختراع ونجح ويؤكدون انهُ من خير ما عرف من نوعه حتى الآن .

تأثير الشعراء

قالت بعض المجلات العلمية ان الشعراء في بعض ادوار الامم هم الذين ينشئون لغة بلادهم وعنهم تنبعث وبهم تهتدي فاللغة الالمانية الادبية الحقيقية نشأت من عهد كيتي وقد جعل دانتي الطلياني لهجة طوسكانيا لغة لايطاليا عامة وقد تبين لاحد الباحثين ان اشعار هوميروس اليوناني هي التي احكمت اللهجة الآتية في بلاد اليونان .

الطلبة في فرنسا

نشرت نظارة المعارف العامة في فرنسا احصاء بطلاب الكليات والمدارس الجامعة في هذه السنة فكانوا ٢٨ الفًا منهم ٢٣٠٠ انثى ونحو ٣٥٠٠ غير وطني ونصف هؤلاء الطلبة يتعلمون الحقوق بينهم نحو مئة طالبة وطلاب الطب اقل من طلاب الحقوق فيهم نحو الف طالبة وفي كلية باريز نصف طلاب فرنسا ثم تجيء كلية ليون وتولوز وبوردو

موت الاطفال

ينقص معدل الوفيات من الاطفال في معظم البلاد المتمدنة ولا سيما في المانيا وانكلترا ففي كل مئة طفل في المانيا يبلغ ٧٥ منهم السنة الاولى من اعمارهم . اما فرنسا فان ٨٧ في المئة يبلغون هذه السن .

عقل امبراطورة

امبراطورة اليابان من اعقل نساء الارض واكثر الملكات والامبراطورات عناية بالمسائل النسائية فهي محسنة كريمة تصرف القسم الاعظم من وقتها في الاختلاف الى المستشفيات والمدارس وقد انشأت للبنات كثيراً من المستشفيات الخاصة بهن وهي التي اسست منذ سنة ١٨٧٤ اول مدرسة لتخريج المعلمات في طوكيو اذ انها علمت بان المرأة اليابانية ينبغي لها ان تعضد زوجها في عمله لاصلاح حال اليابان ·

سكر الفاكهة

يوصي علماء الصحة باستعمال السكر لمن يصرفون كثيراً من قوام العضلية ليعوضهم عما فقدوه وقد رأوا الآن ان استعمال سكر القصب يهيج الغشاء المخاطي المعدي كما ظهر من تجارب كثيرة في الجند الالماني وانه يفضل استعمال السكر المصنوع من الثمار ·

التآليف في أوربا

يؤخذ من الاحصاآت الاخيرة انه ظهر في المانيا في السنة الماضية ضعفا ما ظهر في فرنسا من المصنفات الادبية وانه كان حظ ايطاليا من ذلك حظ فرنسا تقريباً اما انكلترا فصدر فيها نصف ماصدر في فرنسا · وقد صدر في سنة ١٩٠١ نحو ٢٥ الف مصنف في المانيا و١١٠٠٠ في فرنسا ومثلها في ايطاليا و٦٠٠٠ في انكلترا · فكم تأليف صدر باللغة العربية ياترى لغه نحو مئتين وخمسين مليوناً من المسلمين ولغة يقدر المتكلمون بها في افريقية وغربي آسيا بنحو ستين مليوناً ·

الترجمة باليابانية

اكد احد علماء اليابان ان الترجمة من اللغات الاوربية الى اللغة اليابانية صعبة جداً ويصعب نقل جميع صور الالفاظ والمعاني كما يسهل نقل العلوم من لغة اوربية الى لغة مثلها ولولم يكن في اللغة المنقول اليها نفس المفردات والاوضاع الموجودة في اللغة المنقول عنها وقال ان اللغة اليابانية اليوم عائقة عن ادخال اساليب الارتقاء الاوروبي وان لغة يابان غنية وفيها من الالفاظ والاساليب في الشعر ما لا يوجد مثله في لغة سواها والصعوبة في ذلك ان فيها لغة للكتابة ولغة للتكلم فهي من جهة ترسم التصورات ومن جهة تنطق بها فمن المتعذر والحالة هذه رسم التصورات في مفردات مفهومة فما دامت الالفاظ تحول دون الترجمة الصحيحة يصعب ان تكون يابان في تمدنها كاهل اوربا كما تحب وترضى

صحة العيون

اثبت الدكتور كوليك مدير التربية الطبيعية في مدارس نيويورك بما قام به من التجارب العديدة ان لاضطراب النظر تأثيرًا يلحق بالصحة واستنتج ان اجهاد العيون يضر بمجموع تركيب الانسان وقال ان العلماء هاكسلي وكارلايل وواتبير كان سبب هلاكهم سوء حالة عيونهم . ولا يزال هذا المرض يتزايد بتزايد الحالة الاجتماعية . ومعلوم ان عيون الحضري اعظم من عيون البدوي لما تتعرض له الاولى من القراءة والتحديق في الامور الدقيقة او الحروف السوداء على الورق على حين ان الثاني لا يقرأ ولا يكتب ولا يتعب نظره لانه يسرح بصره في الابعاد في هواء مطلق بدون ان يهيج اعصاب النظر واثبت الدكتور المشار اليه ان كثيرًا من الامراض كالاوجاع الطبيعية والشقيقة وآلام المعدة مسببة من القراءة فلا تداوى الا بوضع المناظير على العيون . ومعظم الناس لا يحتاطون في قراءتهم ويجهلون بانه ينبغي ابدًا اجتناب القراءة او العمل وهم على وضع يدخل النور الى عيونهم مباشرة على حين ان يؤبؤ العين يتطلب نورًا معكوسًا . ومن رأيه ان من يعنى بعينيه تجود صحته وغسلهما بالماء البارد حسن واحسن منه عدم تعريضهما لما يضرهما .

اكتشاف القطب

ستسافر هذه السنة بعثتان لاكتشاف القطب الشمالي علاوة على البعثتين اللتين سافرتا اليه فالبعثة الاولى برئاسة رجل دانيمركي تتولى البحث عما اذا لم يكن ارض غير معروفة في شمال الاسكا والثانية بزعامة امير من امراء الفرنسيس وهي ستتم ابحاث القبطان ايريشين في غروانلاند وترسم صورة جزء من الشاطيء الشمال الشرقي من هذه الجزيرة . كما تسافر في هذا الصيف بعثة علمية الى القطب الجنوبي من طريق المحيط الهندي حتى تصل الى ارض فيكتوريا ومنها تنزل من السفن وتستعمل طريقة اخرى للنقل وربما استعمل الاتوموبيل في هذه الرحلة . وكان الرحالة روس وصل الى عرض ٧٨ في القرن الماضي واعلن انه يستحيل ان يتقدم المرء الى الامام ولكن الرحالة سكوت اكتشف سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٣ بان وراء سد الثلج الذي منع روس من التقدم بقعة يمكن الوصول اليها على مراكب بلا عجل فبلغ بذلك درجة ٨٢ ودعا ذلك المكان باسم ادوارد السابع .

نور غير الشمس

الاسيتلين مادة من المواد التي تستعمل في انارة المصابيح . وقد ارتأى احدهم في اميركا بانه يمكن الاستغناء بها عن نور الشمس في زراعة النباتات ويمكن بواسطتها الحصول على توت افرنجي جيد لطيف قبل موسمه بخمسة عشر يومًا

مطبوعات ومخطوطات

مجموع متون اصولية

لا يوجد فن من الفنون يتسع فيه مجال النظر مثل فن اصول الفقه ولذلك عني به اهل العلم وألفت فيه كتب كثيرة ومن غرائب هذا الفن انه يتيسر ان تجمع اهمّ مسائله في ورقة او في ورقات ويمكن التوسع فيه حتى يكتب فيه في عشرة آلاف ورقة وهو كغيره من الفنون قد وقعت فيه كتب في غاية الجودة وكتب دون ذلك الا ان اكثر الكتب الجيدة كاد يفقد اثرها ومنها رسالة الامام الشافعي وهو اوّل من جمع مسائل هذا الفن. وأكثر ما عُني به المتأخرون كتب في غاية الايجاز تعد عبارتها من قبيل الالغاز فكان المبتدئ يبتدئ بها مع انها لم توضع له البتة فحدث من ذلك انه هجر هذا الفن حتى ان كثيراً من الحواضر لا يوجد بها من له المام به. ولقد حاول بعض افاضل العلماء ان يبحثوا عن كتب جعلت للمبتدئ حتى اذا قرأها اولاً هان عليه الامر فيما بعد. ومن اعظم من قام بهذا الامر الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق فقد انتخب اولاً اربع رسائل من احسن رسائل هذا الفن وكتب عليها حواشي نافعة بحيث تكشف الغطاء في كثير من المواضع ولم يكفه ما فعل اولاً حتى اتبعها ثانياً برسائل اربع في مذاهب الائمة الاربعة وحشاها كذلك. وقد وصلنا هذا المجموع وهو مشتمل على مختصر المنار لزيد الدين الحلبي الحنفي المتوفى سنة ٨٠٨ والورقات لامام الحرمين ضياء الدين الجوني الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨ ومختصر تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤ وقواعد الاصول لصفي الدين البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩ طبعت هذه الرسائل على نفقة محمد افندي هاشم الكتبي وتطلب من مكتبته في دمشق وهي في زهاء ١٥٠ صفحة متوسطة القطع.

البريد المصري

اتانا تقرير مصلحة البريد المصري عن سنة ١٩٠٦ فاستفدنا منه اموراً كثيرة تدل على حياة القطر منها انهُ بلغ عدد المراسلات التي اصدرتها ادارة البريد في السنة الماضية ٥٨٠٠٠٠٠٠ رسالة وكانت في السنة التي قبلها ٥٠٧٧٠٠٠٠ رسالة فتكون الزيادة ١٤ في المئة. وكانت الزيادة عامة لجميع انواع المراسلات المتبادلة في القطر مع البلدان الخارجية ولا سيما المراسلات المسجلة داخل القطر اذ زادت ٧٠ في المئة والسبب الاكبر في ذلك تخفيض رسوم التسجيل داخل القطر من اوّل يناير سنة ١٩٠٦ من ١٠ الى ٥ مليمات عن كل مراسلة. وبلغ ما صدر بواسطة البريد من حوالات وصرر نقود داخل القطر ٢٣٣٥٨٠٠٠ ج. م مقابل ٢٢٨٨٠٠٠٠ في سنة ١٩٠٥ وبلغ عدد الحوالات التي تبودلت

مع الجهات الخارجية ١٩٧٥٠٠ حوالة بمبلغ ٧٩٦٩٠٠ ج ٠ م وبلغ عدد الطرود المرسلة ٨٥١٠٠٠ طرد مقابل ٧٥١ الفاً في السنة التي قبلها وتقدم عدد الطرود المحول عليها من ٧٧ الفاً سنة ١٩٠٥ الى ٨٥٨٠٠ سنة ١٩٠٦ واحدث في القطر ١٦٨ جهة للبريد فصارت ادارات البرد فيه ١٢٤٩ وزاد عدد مودعي النقود في صندوق التوفير فكان ٥٩٠٨٥ شخصاً منهم ٤٣٨٧٧ وطنيون و١٥٢٠٧ اجانب وكان عددهم سنة ١٩٠٥ ٣١٤١١ من الوطنيين و١٢٠١٣ من الاجانب فمعدل الزيادة ٤٠ في المئة وأنشئت فروع جديدة لصندوق التوفير في ٢١ مكتباً في تلك السنة فاصبحت فروعه ١٤٣ وانشئت صناديق توفير للاحداث فبلغ عدد الموفرين فيه منهم ٤٢٢٥ وبلغت ايرادات ديوان البريد ٢٣٧٠٩٧ ج ٠ م وكانت في السنة التي قبلها ٢١٥٩١٧ وبلغت المصروفات ١٨٥٠٧٦ ج ٠ م وكانت ١٤٩٦٥٦ في سنة ١٩٠٥ فيكون مقدار زيادة الايرادات على المصروفات ٥١٩٢١ ج ٠ م فزادت بذلك وارداتها اكثر من الضعف في مدة العشرين سنة الماضية على ما ادخل في خلال هذه المدة من تخفيض الرسوم على المراسلات بفضل انتباه مصلح هذه المصلحة يوسف سابا باشا ٠

الانسانية

هي المجلة العلمية التهذيبية الفكاهية الدينية الادبية التي تصدر في غزة كل شهر لصاحبها الشيخ ابراهيم الدباغ كان اصدر منها خمسة اجزاء وتوقف مدة عن اصدارها وامامنا الآن الجزء السادس من سنتها الاولى وفيه كلمة افتتاح لطيفة الاسلوب فيها تصريح محزن بكساد بضاعة الاقلام ومقالة « اعتدل في الانسانية » لعبدالقادر افندي المغربي ومقالة « مناحي المنشئين » للسيد حسين وصفي رضا وغير ذلك من المقالات والشذرات الفكاهية والادبية التي تدل على سلامة ذوق كاتبها وادبه وفضل مؤازريه وانصاره فنرجو للانسانية الانتشار في جميع الاقطار وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشاً اميرياً في السنة و٣٠ قرشاً لطلبة العلم وهو قدر زهيد اذا قيس بفوائدها ٠

السند

هي رسالة للمحامي بك ابراهيم خلف اللبناني فيها اهم الملاحظات في احكام السند والسفتجة والحوالة وصور كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاآت ومعاملة دائرة الاجراء وتعليمات محرري المقاولات وقانون الافلاس وغير ذلك من المسائل التي تهم من يجب الاطلاع على المسائل العدلية في البلاد العثمانية ولا سيما العربية منها وان شئت فقل اللبنانية وقد الحقها بجدول بأسماء قرى لبنان مرتب على حروف المعجم مع الاشارة الى القصبة والمديرية والقضاء التابعة لها كما الحق بها متن الرحبية في الفرائض لابي عبدالله محمد الرحبي المعروف بابن المتقنة

المترجم

Le Traducteur, à La Chaux-de-fonds (Suisse)

المترجم مجلة نصف شهرية لدرس اللغتين الالمانية والافرنسية تصدر في سو يسرا وفيها كل جملة وترجمتهامقابلها عمود افرنسي وعمود الماني وموادها عبارة عن قصص وحكم وامثلة عملية وادبية وفي كل جزء منها جانب عظيم من الكلمات التي يسهل استخدامها وقد وافتنا الاجزاء العشرة التي صدرت منها وتصفحناها كلها . وهي في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها اربعة فرنكات وخمسة سانتيمات فنحث عشاق هاتين اللغتين على اقتنائها ولاسيما الالمانية فان العارفين بها بيننا قلائل جداً فلو تعلم احدهم مبادىء قراءتها وكتابتها لسهل عليه احكامها بواسطة هذه المجلة .

وصايا الطبيب

من كتاب الاصول لعلي بن رضوان المتوفى سنة ثلث وخمسين واربعمائة .

الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال (الاولى) ان يكون تام الخلق صحيح الاعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلاً ذكوراً خير الطبع

(الثانية) ان يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب

(الثالثة) ان يكون كتوماً لاسرار المرضى لا يبوح بشيء من امراضهم

(الرابعة) ان تكون رغبته في ابراء المرض اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء

(الخامسة) ان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس

(السادسة) ان يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من امور النساء والاموال التي شاهدها في منازل الاغنياء فضلاً عن ان يتعرض لشيء منها

(السابعة) ان يكون مأموناً ثقة على الارواح والاموال لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ولا دواء يعالج الاجنة يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه اه

فجائع البائسين

« تابع ما قبله »

٨

بعد ما قبرت شهيرة ابنها انشأت تفكر فيما يؤول اليه امرُها لانها ادركت انقطاع اجرة الحضانة وزوال العلاقة التي كانت تربطها بسعيد ولم يبق بينهما غير عقد الزوجية فادركت ايضاً ان استصدار الحكم عليه بمائة ليرة يمنعه عن الطلاق اذا ارادت ان يطلقها فما وجدت انفع من الرجوع اليه والرضا به وكان بلغها انه يسعي في زواج غيرها فاعربت لامها عما يخالج ضميرها وقالت لها انها تود الرجوع الى زوجها قبل ان يقترن بغيرها فآخذتها على افكارها وطمنتها بقولها : انه لا يقدر على الزواج لان الناس علموا بما جرى بينكما فيخافون على بناتهم من ان يصرن الى ماصار اليه امرك . ثم قالت : وليس كل الناس مثلنا قليلي العقل والبصيرة .

— ماذا جرى لي حتى يمتنع الناس عن تزويجه بناتهم اما كنت انت السبب في تنافرنا ونحن كنا راضين من بعضنا وكان الصفاء ملازمنا والهناء يرافقنا فانت التي كدرت صفاءنا بتصوراتك الدنيئة فلو كنت تركتينا وشأننا لما حدث شيء بيننا ولكن طمعك الذي ادّى بنا الى الفراق وبعث فينا روح الشقاق فاسألك بابيك ماذا تبغين مني ؟ ألست بالغة سن الرشد والكمال ؟ فلماذا لا تتركينني حرة في اعمالي اتصرف بها كما اشاء ؟ فان كان قصدك قتلي وهلاكي فبئست الامهات اللواتي تبدلن سعادة بناتهن بالشقاء واني لا ادرك غرضك من افتراقنا مع اننا كنا على وئام وسلام يحسدنا عليهما من سمع بما قامت عليه قواعد ائتلافنا

— مالي اراك اليوم تشتاقين الى زوجك الذي هو مطية العار فلا عاش الرجال ؟

— لم ار سبة بانتسابي اليه اما انت التي سعيت في زواجي به ؟ وهل كان مجهول الاحوال لديك ولدى اخي الذي رافقه ثماني سنين وانا على علم من انه لا يزال كما كان عليه من قبل وما يخيل لي ان اجد مثله بين الناس فهل رأيت ام سمعت برجل يعامل امرأته بالمساواة ويسعى فيما يرضيها بكل ما امكنه في هذه البلاد ؟ من لي برجل يعاملني هذه المعاملة الحسنة ؟ على اني اعجب من اعمالك مع اصهارك . الست انت التي كنت سبباً في طلاق أختي حتى اصبحت محرومة من الزواج ؟ وهي لا تزال في كدر واسف على زوجها مع اني اعلم ويعلم كل انسان ان الامهات تحب اصهارهن اكثر من ابنائهن وانت على العكس

تبغضينهم فتنفرينهم من بذاتك حتى تحرميهن منهم ٠ اما سمعت قول بديعة التي طلبت اختي الصغيرة انها اعجبتها وودت تزويجها بابنها ولكنها خافت على ابنها منك فها انت قد اشتهرت بين الناس بسوء الخلق ورديء الطباع

— لقد تجاوزت حدك ياشهيرة فانت لاتزالين في سن الطفولية لاتميزين الصالح من الطالح وانا أخطأت بقبول سعيد زوجاً لك ولكني سأجتهد في التكفير عن خطئي واصلاحه فلا تأسفين على هذا الرجل الدنيء الاصل الفقير الحال وايقني بانه عندما يثبت طلاقك ازوجك وتعيشين معه عيشة لا يشوبها كدر ولا يتخللها شقاء ٠ او تحسبين اننا في قحط من الرجال ؟

— اما تتقين الله في سعيك لاثبات طلاق لا اصل له وهب انك وفقت الى اثباته بشهادة شهود الزور والبهتان وحكم القاضي بتفريقنا واعطاني اعلاماً شرعياً باني مطلقة فهل يكون الطلاق موافقاً لحقيقة الشرع الشريف

— لا ! ولكن نكون اخذنا لك مائة ليرة ٠

— فاذا كنت لاازال على عصمته كيف يتسنى لي ان اتزوج بغيره

— تتزوجين باعلام الحاكم وحكم الحاكم امر مقضي يعمل به ويقوم مقام الطلاق ٠

— في اي ديانة واي شريعة وجدت هذا الجواز وهذا الحكم المعقول او تحسبين اني لااخاف الله تعالى بانتقالي الى عصمة رجل وانا على عصمة غيره فاذا كان طمعك بالمائة ليرة التي تودين اخذها زوراً وبهتاناً فلا حاجة لي بها ولا اود ان اعصي الخالق طمعاً في حطام الدنيا أو نسيت ان من يغنمون الدراهم بطرق غير مشروعة لا يصرفونها الا على امراضهم ويدفعونها ثمن ادوية واجرة اطباء وهم يقضون آخر ايام حياتهم في اتعس الاحوال وقد يتمنون الموت فلا يجدونه واذا تزوج زوجي وهجرني هجراً طويلاً كيف تصير حالي فهل لي حينئذ سوى البكاء والنحيب حتى تستولى عليّ الامراض وارزح في فراش الاسقام والعلل فاموت شهيدة سوء تصرفك

— انت تظنين انه يتزوج ويطيق هجرك ٠ ستارين انه متى يئس من الزواج يتوسط من يرجعك اليه ويدخل تحت حكمنا فنتصرف به كما نشاء

— انت تحسبين انه لا يتمكن من الزواج واذا شعرت بانه سيوفق لأن كثرة البنات وبقاءهن من غير زواج وفساد هذا العصر يدعو العقلاء للتساهل في زواج بناتهم وانا على يقين من انه سيهجرني فاما ان اموت واما ان ارجع اليه من هذا النشوز فاكون تحت سيطرة امرأته الجديدة فان مت تكونين انت الجانية عليّ وان رجعت اليه تكونين سبب بؤسي وشقائي بعد ما كنت سعيدة

لقد فهمت انك تودين الرجوع اليه قاتل الله بنات هذا العصر اللواتي لا يطقن الهجر ساعة
— فليخطر ببالك ما تشائين فاني اعزهُ واحب الرجوع اليه قبل ان يتزوج
ثم قامت وتركت أمها ودخلت حجرتها واغلقت الباب عليها واخذت تبكي وتندب حظها وتلوم نفسها على اطاعة امها

مضت على هذه المحاورة هنيهة وجيزة فدخلت على شهيرة احدى صويحباتها التي كانت تتنسم الاخبار عن زوجها وتأتيها بها فقالت لها اتدرين ماذا جرى؟ قالت : لا
— ان سعيداً عقد لهُ على جميلة خانم ابنة علي باشا فصاحت قائلة : آه. واغمي عليها. فندمت هذه على اخبارها ثم اتت بالماء والعطريات ورشت على وجهها وجعلت تفرك يديها وتدلكها حتى تنبهت فاخذت تبكي وتلعن امها التي سببت لها هذه النقمة وتفكر فيما حلَّ بها فايقنت انها ستفارقه ابد الدهر وانه سيحتفظ بعد الآن بود جميلة خانم ولا يسأل عنها وقد دخلت امها فاخبرتها بواقعة الحال وقالت لها : كنت تظنين انه لا يتزوج فها هو قد اقترن باحسن ابنة في بلدنا فانقطع املي بلقائه واظن انه لا يعالجني ولا يأخذني اليه الا اذا رقت زوجته لحالي فاكون تحت امرها وارادتها فهذه نتيجة اعمالك القبيحة

فأدركت امها خطأها وأخذت تلطفها بالكلام وتعدها بالآمال ثم دعت ابنها رفيقًا وعزموا على اقامة دعوى الطلاق مرة ثانية واتوا بشهود غير الاولين وعينوا يوم الجلسة يوم عرسه لينغصوه وظنوا انهم يوفقون الى اخذ الحكم عليه فيكون يوم عرسه يوم نحسه ولم يدر في خلدهم ان يوم عرس المرء في غالب الاحوال يكون يومًا مباركاً ولا يخطر ببال العروسين سوى السعادة ففرح بما اتوه ولم يتنغص وايقن انه سينتصر عليهم لانهم حضروا الدعوى في يوم كان عنده اشرف الايام واحسن يوم وصاله ونيل آماله فذهب رحيب الصدر عالي الهمة ودخل المحكمة فأقيمت الدعوى وضبطت الافادات فشهد الشهود بما تعلموا لا بما علموا فجرح شهادتهم واقام البراهين فانتصر عليهم واخذ الحكم مرة ثانية بوجود الزواج وعاد رابحًا ورجعوا خائبين وكان ما كان. فاستولى الكدر على شهيرة واعتراها الارق ولازمها الحزن والبكاء فنحل جسمها وتبدلت الوانها وضعفت قواها فسطت جراثيم السل على كرياتها البيضاء فعطل جهاز التنفس وخرب الرئتين فمنع تطهير الدم من الحامض الكاربونيك فتبدلت حمرة خدها بالاصفرار وأخذت وطأة المرض تزداد عليها يومًا فيومًا فماتت شهيدة ضعف الارادة وسوء التصرف ولم أخوها خطأه ولكنه حمل الذنب على سعيد وعزم على الانتقام منه بدلاً من أمه الجانية. ولما بلغ سعيداً موت شهيرة أسف لها وحزن عليها وبكى بكاء دعا الى كدر جميلة ولكن اعتذر لها واقسم الأيمان على ان بكاءه كان من قبيل الاسف على ما عانته من العذاب والشقاء.

٩

ولما تخلص سعيد من كل منغص ايقن انه لم يبق عنده شك ولا شبهة في السعادة التي كان يسعى اليها فاتسعت آماله وصار لا يفكر الا في السعادة وصار لا يرى الا ضاحكاً مسروراً وقد نسي ما اتى عليه من قبل وظن انه خلق سعيداً وعاش سعيداً وسيموت سعيداً ولكن فاته قول الشاعر :

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وذلك ان سعيداً بينا كان راكباً عربته يتجول بها على ساحل البحر في رأس بيروت ويتطلع الى الاوانس اللواتي تتزين لتسحر الالباب وتطغي الشباب ممن يسابقونهن في الزينة والتبرج وسرعة الانتقال من زي الى آخر وهما فريقان بين ساحر ومسحور وعاشق ومعشوق او عاشق محروم وعجوز تفكر في ايام صباها يوم كان الشبان يلتفون من حولها متسابقين في استجلاب قلبها وكان صاحبنا يأسف لذلك العاشق المحروم ويضحك من تلك العجوز الشمطاء التي صبغت شعرها وبيضت وجهها بالذرور ولوّنت خدودها بالصباغ الاحمر لترجع فتاة « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر » ويلوم تلك الغادة الدعجاء التي زين الخالق جمالها بعيون نجل تكاد تفتت الاكباد على ما شوهت به نور وجهها من الذرور لتجعله ابيض ولو تركته على طبيعته لكان اجمل وقد تؤثر فيها شدة حرارة بيروت فيكللها العرق ويرسم خطوطاً في غضون خدها المبيض بالبزموت فتشعر بذلك او تنبهها رفيقتها فتخرج منديلا من جيبها مليء بالذرور فتمسح وجهها كأنها تمسح العرق .

ويضحك من الشبان الذين حرمهم الله من نعمة الجمال عند ما يراهم يرفعون سبلاتهم وشواربهم وينزلون طرابيشهم ليستعطفوا قلوب الغادات وربما التفتت اليهم واحدة من قبيل الصدقة والاحسان فيظن ذلك انه اعجبها بطوره وجماله .

ويزداد ضحكه عند ما يرى ذلك الشاب الذي اذا رأى سيدة احنت رأسها لحفرة في الارض رفعت العربة فكان الانحناء اضطرارياً يظن ان ذلك كان منها للسلام عليه فيحني رأسه فتضحك من جهله ويحسب ذلك تبسما والتفاتاً ويذكر حينئذٍ قول شوقي

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ويقول لرفيقه لم يبق بيني وبينها الا الكلام والكلام يجر مابعده . ويعجب لذلك الفتى الذي لو رأى الآنسة تصلح شعرها بيدها او ترفع غرتها عن جبينها لظن ذلك سلاماً له ووضع يده على رأسه كأنه يرد السلام بدون ان يشعر به احد خوفاً على مكانتها وهي لا تبالي به ولا تنظر اليه .

ويبكي اسفاً على المومسات اللواتي خرجن يقلدن كبيرات العقائل بلبسهن ليجلبن قلوب

الشبان ويعشن بتمزيق ثوب عفتهن ونقدهن بدلها دراهم معدودة على انهن يظهرن المحبة لمن لا يطقن ان يراه ولذلك لا يجدر بالعاقل ان ينظر اليهن بعين الكبر والغرور ويهينهن من اجل بيع شرفهن وعفتهن لمن يردنه اولا يردنه فلو نحص عن الاسباب التي ساقتهن الى ادنى المتاجر لما تأخر عن العذر ووجه سهام الملام نحو غيرهن

ومما كان يأسف له سعيد ما يراه من الشبان الذين لو رأيتهم ونظرت الى لباسهم لحسبتهم من ابناء اغنى الأسر في بيروت على انهم لا يملكون سوى راتبهم الذي لا يتجاوز ثلاث ليرات يأخذونها من الاستخدام في مخزن او متجر ولا يجدون حرجاً في التشبه بالاغنياء وتراهم ابداً شاكين باكين من قلة الدراهم وقد يتخيلون السعادة ولكنهم لا يجدون لها اثراً الا في اميركا فيهاجرون اليها وقد يموت الكثير منهم من الجوع او يرجعون ملومين مدحورين

بينا كان سعيد يفكر في الهيئة الاجتماعية ويتأمل هذا المعرض البديع اتاه الخادم مسرعاً فقال له ان سعادة الباشا اتى من سفره وهو مريض مرضاً شديداً فذعر لهذا الخبر ورجع الى المنزل مسرعاً وكان الاطباء اتوا ومرضوه فلازم فراشه واخذ سعيد يستقبل العواد ولكن المرض اخذ في الازدياد حتى قضى الباشا وانتقل الى رحمة الله فجهزه وواراه التراب واحتفل بما تمَّ احتفال الابن البار بوالده الفقيد . وهنا انكسفت شمس آمال سعيد وخاف من رجوعه الى البؤس والشقاء لان الباشا كان مستقيم المبدإ فلم يترك لوارثيه سوى الدين واثاث البيت . وحسب صاحبنا الراتب الذي ستناله حماته زوجة الباشا فبلغ ألفي قرش فاطمأن بعض الاطمئنان وادرك انه لا يزال في عيشة راضية وكانت حملت منه جميلة فصار يفكر في ولده وصار البحث بينه وبينها على ابنهما الذي سيصرفان في تربيته مزيد العناية ليأتي منه انموذج الكمال ومثال الادب وبعلمانه حقائق العلوم في طفوليته ليشب على حب العلم ويتعرى من كل خرافة وقررا تلقينه تراجم احوال اعاظم الرجال وافهامهم وحقائق الكائنات وانشاء يربآن به عن سماع القصص والحكايات المشوبة بالاكاذيب والعجائب ولما قرب وقت الوضع اخذ سعيد يستجلب الكتب المدونة في تربية الاطفال فيقرؤها هو وامرأته ويعينان الخطة التي يجريان عليها في تربية ثمرة غرامهما حتى وضعت له انثى حسنة الخلق اشبه به من امها فسمياها (خبيرة) لعلها تكون مبشرة بالخير وفرحا بها كثيراً ولكنه لم تمض عليهم هنيهة من الزمان حتى فاجأتهما وفاة الخانم الكبيرة وانقطع الراتب فاصبحت الأسرة حملاً على سعيد ولم يبق لها من ايراد سوى راتبه وهو الف قرش فصرف ما جمعه واقتصده وباع الحصانين لعجزه عن القيام بنفقتهما ورجع الى عالم الاقتصاد والادارة ومع هذا كله كان يعلل النفس بطهارة بيته من الادناس ويرى نفسه في راحة من كل عناء .

١٠

في يوم سكنت نأمة القيظ وهب ريح الصبا اعترى صدر سعيد ضيق ساقه الى التنزه فبحث عن صديق له ليذهب معه الى قرية من القرى النزهة واذ لم يوفق الى صاحب يرافقه ذهب برأسه واخبر جميلة بذهابه وكان خرج على حصان استأجره فبينما هو يجد في المسير فاجاءه رجل كان يعرفه من اقارب رفيق فسلم عليه كأنه اخ حميم ثم سأله عن سفره فاجابه بما قصد فطلب رفقته فقبله وشكر له فضله وقال انه كان يود ان يجد له رفيقاً يتسلى معه فنعمت الصدفة ثم اخذا يقطعان الطريق رويداً رويداً وكان الحديث بينهما عن شهيرة فصار ذلك الرفيق يؤاخذ سعيداً وينسب اليه القصور وهذا يعتذر ويرجع بالذنب الى امها والى رفيق فما كان من هذا الخبيث الا ان اخرج غدارته واطلق الرصاص عليه قائلاً خذها جزاء عملك بشهيرة فاصاب قلبه فوقع في الارض يقول : آه قتلتني يا خائن . وكانت هذه العبارة آخر كلامه ثم ذهب ذلك اللعين الى مدير الناحية واخبره بانه حدث قتل في المحل الفلاني ففرح المدير لذلك بمجيء الرزق ولكنه لم يكن عنده من انفار الدرك احد لانهم ذهبوا الى القرى يستنشقون اخبار الوقوعات التي حدثت بين الاهالي لانهم اصبحوا بفضل مديرهم يرضون بغدر يقع بينهم واعتداء بعضهم على الآخر لانه لا يستنكف من اخذ الدراهم من الشاكي والمشتكى عليه واصبح من اصابه حيف من جاره يغضي على القذى ويحتمل مصابه بالصبر فانقطعت عنه الواردات فجعل يرسل الدرك والجواسيس ليستطلعوا طلع الوقائع ويأتي باصحاب الحقوق ويدعوهم الى اقامة القضايا فينكرون ذلك وهو بين مطمن لهم على حقوقهم ومهدد ان لم يقيموا الدعوى فارسل يستدعي انفار الدرك واخذ يجمع من مرَّ على القتيل وتكلم معه او رآه او سمع به ويحبس من يشاء ويضرب من يشاء ويترك من يدفع له فدية النجاة وكان معظم مساعيه في جمع الدراهم لا في اثبات الجرم ولكن اعتراف الجاني بانه كان اخرج غدارته ليراها سعيد فخرجت الخرطوشة من نفسها خطأ وكان سمع (لا علم لانه كان أُمياً لا يقرأ ولا يكتب) ان المخطيء ينجو من العقاب فلم يسعه الا القاء القبض عليه وارساله الى حاضرة الولاية مع محضر التحقيق . ونقل سعيد الى داره مضرجاً بدمه فلما طرق الباب خرجت الخادمة وفتحت الباب فوجدت سيدها قتيلاً محمولاً في محفة فصاحت ووقعت على الارض مغمى عليها فسمعت سيدتها صيحتها وشعرت باضطراب وارتعدت فرائصها فهمت لتذهب فما تمكنت لانحلال قواها ولكنها جسرت نفسها فسعت ترى ماذا جرى فوجدت رفيقها محمولاً على الاكتاف في لون اصفر والدم خضب وجهه وفمه وصبغ لباسه ولا حركة به فسقطت على الارض لا حراك بها . وكان الجيران دخلوا البيت فاخذوا ينبهون

جميلة من غشيتها وادخلوا القتيل غرفته ووضعوه على فراشه وبدأ البكاء والنحيب وكان الناس هناك نساء ورجالاً يبكون دماً على هذا الفتى البائس الذي لم يسمع عنه الا الفضائل وما عرف الا بالكمال واللطف وحسن الخلق ولين العريكة واتى طبيب البلدية والمستنطق ومعاون المدعي العمومي وعاينوه وامروا بغسله ودفنه فغسلوه وكفنوه وحملوه على الاعناق ليواروه ترابه . ولبؤسه حتى يوم مماته لم يكن في المدينة من اصدقائه احد غير فتى قام بواجباته نحوه ومما ذكر ذلك الصديق انه رأى خيرية ابنة سعيد على يد الخادم تضحك وتقول (باه باه نوئو دح نو نو ؟) كأنها عرفت ان اباها نام نومة ابدية وعلمت ان الكفن لباساً جديداً وانه دخل في حياة جديدة وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء فلسان حالها يهنئه على خلاصه من البؤس والشقاء وكأنها تقول : انت ذهبت وتركتني انا وامي وعمي وجدتي في عذاب أليم فهنيئاً لك وبؤساً لنا واسفاً علينا . قال الصديق لما تمثل لي ما حل بهذه الأسرة التعسة ورأيت ابتسامة تلك الفتاة زاد تأثري وبكائي من مشاهدة هذه الفاجعة المدهشة .

فهذا سعيد ولد بائساً فسعد بالام وعاش شقياً فسعد بالخيال والآمال ومات تعساً فسعد بالخلاص من العناء والشقاء فرحمة الله على روحه الطاهرة .

***

اخذت العدلية تنظر في القضية فما وجدت باوراق المدير ما يدل على ثبوت الجرم فشرعت بالتحقيقات وثبت لديها وجود عداوة وضغائن وعلمت بان الفعل نتج عن قصد كما ادعت زوجة سعيد ان القاتل الحقيقي هو رفيق وذلك انتصاراً لأخته التي قتلها هو وامه بسوء تصرفه ولكن نتيجة المحاكمة كان الحكم فيها باكثرية الآراء على القاتل بالحبس ثلاث سنوات . والله يقتص من عباده باعمالهم وهو العليم الحكيم اه

المقتبس

الجزء السابع من المجلد الثاني

رجب سنة ١٣٢٥ الموافق أغسطس (آب) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

جبرائيل مونو (١)

كان ثلاثة من سراة الناس في السابع من تموز «يوليو» سنة ١٨٠٧ مجتمعين حول منصة سترت بنسيج الدمقس الاخضر في مدينة تيلسيت من اعمال بروسيا وقد اتشحوا بالخرما تقتضيه الكبرياء والفخفخة من الالبسة المذهبة وتقلدوا الاوسمة البراقة.

هؤلاء الرجال هم المسيو شارل دوتاليران وزير خارجية نابوليون الاول امبراطور

(١) معربة عن فصل من كتاب (المصنفون والمصنفات — حياة وكتابات) لاستاذنا شعيب بك من مفكري الشبان الساميين واحد اساتذة مدرسة الحقوق بالقسطنطينية وهو كتاب في تراجم مشاهير المتأخرين من صدور المغاربة مثل هيبولت تن ومونو هذا وصديقه ارنست لافيس وغستاف فلوبر ونيبور ورانك وممسن. وليس في التركية فيما أحسب كتاب انفع من هذا في الفلسفة الحاضرة والعلوم الاجتماعية وقد كتب المؤلف هذا الفصل في ١٦ ايلول «سبتمبر» سنه ١٣١٥ رومية معتمداً فيه على مؤلفات مونو نفسه وهي :

الالمان والفرنسويون Allemands et Français, 1 vol. مطالعات انتقادية على تاريخ أسرة المروفنجيين Etudes critiques sur les sources de l'histoire mérovinigienne اساتذة التاريخ Les maîtres de l'histoire «Renan, Taine, Michelet». الصور والتذكارات Portraits et souvenirs. المجلة التاريخية Revue historique.

فرنسا والبرنس اسكندر كوراكين مستشار القيصر الخاص واحد اعضاء مجلس الشورى ومن اشراف الروس والبرنس لوبانوف الفريق في الجند الروسي ٠

دعي أُولئك الثلاثة الى قاعة المذاكرات بواسطة موظف خاص حسب ما تقتضيه « قواعد التشريفات » التي يُظن انها ابدية ليوقعوا على العهدة التي بدأَت مادتها الاولى بهذه الجملة : « سيدوم السلام والوئام بين نابوليون بونابرت امبراطور فرنسا وملك ايطاليا وبين قيصر الروسيين اجمعين منذ اول يوم يتم فيه التصديق على هذه العهدة من الجانبين » فذهبت هذه المعاهدة ببروسيا والبروسيين الى اقصى دركات اليأْس حتى كأَنما كانت نذيرة بانقراضهم وتأْذن سلطانهم او ان ذلك الوفاق الفرنسوي الروسي بناء يقام على انقاض حكومة هذه البلاد ...

بينا كان مندوبو هاتين الدولتين المتحالفتين يجوبون الارض مسرعين ليبشروا الشعوب الاوربية باشراق افق السياسة عن ازمنة جديدة اذا باستاذ بروسيّ لا ينظر اليه امراء السياسة والحرب الاَّ بعين الازدراء يفكر في اسباب فلسفية يسد بها ثلمات القنابل والمعاهدات التي خرَّبت وطنه فاخذ يعقد المؤْتمرات ويخطب افراد قومه بان يرجع كل الى قوَّته ويعمد الى ادراع بأْسه ويسعى في انهاض بلاده قدر طاقته ٠

هذا هو فيختي الذي اتخذه البروسيون استاذًا في جامعة برلين لما رأَوا من ذلاقة لسانه وصدق بيانه وسداد جنانه ٠ وكان فيختي يرجو في خطبه ان يرى شعوب الجرمان وحكوماته متحدة ليكون لها من اتحادها قوَّة ٠ تلك الامة التي برهنت في حرب السبعين على انها عملت بنصائح فيختي كما ينبغي للأُمم المغلوبة ان تعمل بنصح رجالها اذا كانت الدعوة الى الاتحاد روح نصحهم ٠

***

مضى على معاهدة تيلسيت اربعة وستون عامًا ثم عادت تلك المنصة الاخضر غطاؤُها واجتمع حولها في عاشر مايو سنة ١٨٧١ في مدينة فرانكفورت من اعمال المانيا ايضًا اربعة مندوبين كانت المفاوضات بينهم ذات صخب وهياج تارة وممزوجة باستهزاء مشئوم طورًا ٠

من المندوبين رجل قوي الحجة شديد البأْس يدعى بسمارك وهو الرجل الذي لم يكن يعبأْ براسم التشريفات ولا يهتم بما اعتادت السياسة ان تكنه في مثل هذه المواقف وكان اذا بحث امامه عن التقارير التي وضعتها الساسة في هذا الباب فك ازرار ملابسه وانشأَ يستغرب في الضحك كثيرًا قائلاً « ان هذه كلها اشبه بما ينشر في رفرف الصحف اليومية من الروايات فبينا يحسب الانسان ان سيكون من وراء وقائعها حادث اذا به يصبح في خيال » ثم انه يعد

رجليه بحذائهما العسكري و يطلب الجعة ليشرب في حضرة المسيو دارنيم الحرج الصدر من حربة بسمارك وامام المسيو دجولار الذي خجل من هذه الاعمال والمسيو جول فادر الناهل الحائر .

هذا هو بسمارك فلاح براندنبورج الذي انتهى الى رئاسة الوزارة الالمانية قد اضطر المسيو جول فادر والمسيو جولار الى ان وقعوا على عهدة تقضي بانفصال ولايتين من ولايات الفرنسيس وادخالها في سمط البلاد الالمانية .

وهنا ذكر الفرنسيس — وقد اصبح كل شيء عندهم قرين الانحلال قريب الاضمحلال — ما كان من امر الاستاذ فيخته وتأثير خطبه في الدعوة الى الاتحاد ومواعظه الاجتماعية وراحوا يرون مداواة جرحي وطنهم بالادوية الفكرية وترياق الاخلاق على ماشاهدوامن همز الساسة وغمزهم واستخفافهم . ذلك لان رجال العلم كانوا على يقين من ان نصر الامبراطور غليوم المؤزر لم يكن من رصاص البنادق فقط بل ان تربية الالمان الفكرية عملت يومئذ مالم تعمله افواه المدافع . من اجل ذلك اخذ الفرنسيس يبحثون عن مذهب نافع في التربية يذهبون اليه لينهضوا بامتهم و بلادهم حتى تضارع بلاد جيرانهم .

وفي مقدمة من فادوا بانفسهم في سبيل سعادة فرنسا وسلامتها الموسيو جبرائيل مونو الذي رأى الناس من اعماله ما جعله اليق العلماء بهذه الوظيفة المقدسة .

***

تلقى جبرائل العلم مع لافيس ورامبو ودوروي وفيدال دولابلانش واجستن فيلا في صف واحد من مدرسة دار المعلمين وكان يتطالّ ببصره الى ما وراء الافق باحثًا عن مكان يلجأ اليه للتحقيق والتتبع ثم انجذب دفعة واحدة بما فطر عليه من الاستعداد نحو المانيا تلك الارض التي اجمع هو واصدقاؤه واساتذته على انها الوطن الثاني للذين يحيون ليفكروا و يدأبوا فكانت حجرة عمله في زقاق (اولم) تردد دائمًا اصداء نغمات وادي الب ووادي اردر

ولا غرابة اذا ذهبوا هذا المذهب في حين ان بلاد الالمان هي المسيطرة بتحقيقاتها العلمية على جميع الشبان العاملين الاذكياء الباحثين عن الحقيقة في تلك الديار وهي ملجأ المتخرجين في مدرسة دار المعلمين الفرنسوية من آراء الفلسفة القديمة .

يسير علم اللغات نحو التكمل والنشوء في بافيرا وسكسونيا و بومرانيا بجميع فروعه حتى اصبح افاضل فرنسا مدينين لكليات ليبسيك و بون وهاله وغوتنغن . والى لارنست رنان ان يضع كتابه « حياة المسيح » لولا ابحاث استراوس في اصول اللغات وهذا غاستون بوفاسيه احد اعضاء المجمع العلمي الفرنسي يعترف بانه تلميذ مومسن المؤرخ الالماني وهؤلاء فوكار وجورج

فرنسا والبرنس اسكندر كوراكين مستشار القيصر الخاص واحد اعضاء مجلس الشورى ومن اشراف الروس والبرنس لوبانوف الفريق في الجند الروسي ·

دعي أولئك الثلاثة الى قاعة المذاكرات بواسطة موظف خاص حسب ما تقتضيه «قواعد التشريفات» التي يظن انها ابدية ليوقعوا على العهدة التي بدأت مادتها الاولى بهذه الجملة : «سيدوم السلام والوئام بين نابوليون بونابرت امبراطور فرنسا وملك ايطاليا وبين قيصر الروسيين اجمعين منذ اول يوم يتم فيه التصديق على هذه العهدة من الجانبين» فذهبت هذه المعاهدة ببروسيا والبروسيين الى اقصى دركات اليأس حتى كأنما كانت نذيرة بانقراضهم وتأذن سلطانهم او ان ذلك الوفاق الفرنسوي الروسي بناء يقام على انقاض حكومة هذه البلاد . . .

بينا كان مندوبو هاتين الدولتين المتحالفتين يجوبون الارض مسرعين ليبشروا الشعوب الاوربية باشراق افق السياسة عن ازمنة جديدة اذا باستاذ بروسي لا ينظر اليه امراء السياسة والحرب الا بعين الازدراء يفكر في اسباب فلسفية يسد بها ثلمات القنابل والمعاهدات التي خربت وطنه فاخذ يعقد المؤتمرات ويخطب افراد قومه بان يرجع كل الى قوته ويعمد الى ادراع بأسه ويسعى في انهاض بلاده قدر طاقته ·

هذا هو فيختي الذي اتخذه البروسيون استاذاً في جامعة برلين لما رأوا من ذلاقة لسانه وصدق بيانه وسداد جنانه · وكان فيختي يرجو في خطبه ان يرى شعوب الجرمان وحكوماته متحدة ليكون لها من اتحادها قوة · تلك الامة التي برهنت في حرب السبعين على انها عملت بنصائح فيختي كما ينبغي للأمم المغلوبة ان تعمل بنصح رجالها اذا كانت الدعوة الى الاتحاد روح نصحهم ·

***

مضى على معاهدة تيلسيت اربعة وستون عاماً ثم عادت تلك المنصة الاخضر غطاؤها واجتمع حولها في عاشر مايو سنة ١٨٧١ في مدينة فرانكفورت من اعمال المانيا ايضاً اربعة مندوبين كانت المفاوضات بينهم ذات صخب وهياج تارة وممزوجة باستهزاء مشئوم طوراً ·

من المندوبين رجل قوي الحجة شديد البأس يدعى بسمارك وهو الرجل الذي لم يكن يعبأ بمراسم التشريفات ولا يهتم بما اعتادت السياسة ان تكنه في مثل هذه المواقف وكان اذا بحث امامه عن التقارير التي وضعتها الساسة في هذا الباب فك ازرار ملابسه وانشأ يستغرب في الضحك كثيراً قائلاً « ان هذه كلها اشبه بما ينشر في رفرف الصحف اليومية من الروايات فبينا يحسب الانسان ان سيكون من وراء وقائعها حادث اذا به يمضي في خيال » ثم انه يعد

رجليه بحذائهما العسكري و يطلب الجعة ليشرب في حضرة المسيو دارنيم الحرج الصدر من حربة بسمارك وامام المسيو دجولار الذي خجل من هذه الاعمال والمسيو جول فادر الناهل الحائر ·

هذا هو بسمارك فلاح براندنبورج الذي انتهى الى رئاسة الوزارة الالمانية قد اضطر المسيو جول فادر والمسيو جولار الى ان وقعوا على عهدة تقضي بانفصال ولايتين من ولايات الفرنسيس وادخالها في سمط البلاد الالمانية ·

وهنا ذكر الفرنسيس — وقد اصبح كل شيء عندهم قرين الانحلال قريب الاضمحلال — ما كان من امر الاستاذ فيخته وتأثير خطبه في الدعوة الى الاتحاد ومواعظه الاجتماعية وراحوا يرون مداواة جرحي وطنهم بالادوية الفكرية وترياق الاخلاق على ما شاهدوا من همز الساسة وغمزهم واستخفافهم · ذلك لان رجال العلم كانوا على يقين من ان نصر الامبراطور غليوم المؤزر لم يكن من رصاص البنادق فقط بل ان تربية الالمان الفكرية عملت يومئذ ما لم تعمله افواه المدافع · من اجل ذلك اخذ الفرنسيس يبحثون عن مذهب نافع في التربية يذهبون اليه لينهضوا بامتهم و بلادهم حتى تضارع بلاد جيرانهم ·

وفي مقدمة من فادوا بانفسهم في سبيل سعادة فرنسا وسلامتها الموسيو جبرائيل مونو الذي رأى الناس من اعماله ما جعله اليق العلماء بهذه الوظيفة المقدسة ·

***

تلقى جبرائيل العلم مع لافيس ورامبو ودورري وفيدال دولا بلانش واجستن فيلا في صف واحد من مدرسة دار المعلمين وكان يتطاول ببصره الى ما وراء الافق باحثاً عن مكان يلجأ اليه للتحقيق والتتبع ثم انجذب دفعة واحدة بما فطر عليه من الاستعداد نحو المانيا تلك الارض التي اجمع هو واصدقاؤه واساتذته على انها الوطن الثاني للذين يحيون ليفكروا و يدأبوا فكانت حجرة عمله في زقاق (اولم) تردد دائماً اصداء نغمات وادي البو ووادي اردر

ولا غرابة اذا ذهبوا هذا المذهب في حين ان بلاد الالمان هي المسيطرة بتحقيقاتها العلمية على جميع الشبان العاملين الاذكياء الباحثين عن الحقيقة في تلك الديار وهي ملجأ المتخرجين في مدرسة دار المعلمين الفرنسوية من آراء الفلسفة القديمة ·

يسير علم اللغات نحو التكمل والنشوء في بافيرا وسكسونيا و بومرانيا بجميع فروعه حتى اصبح افاضل فرنسا مدينين لكليات ليبسيك و بون وهاله وغوتنغن · والى لا رنست رنان ان يضع كتابه « حياة المسيح » لولا ابحاث استراوس في اصول اللغات وهذا غاستون بوفاسيه احد اعضاء المجمع العلمي الفرنسي يعترف بانه تلميذ مومسن المؤرخ الالماني وهؤلاء فوكار وجورج

برو وميكائيل بريال والبردومن قد بنوا مؤلفاتهم كلها على افكار علماء المانيا شاكرين وكذلك القصصيون في فرنسا قد ساروا وفي مقدمتهم غاستون باري تحت لواء الاستاذ ديبز الشهير

مرت على المسيو مونو في دار الاستاذ وايج أمام كلية غوتنغن ليال حفل وطابها بالفوائد الجمة وهنا كان يلتقي الاستاذ على مونو وعشرة من رفاقه مباحث حافلة وخطابات ممتعة في نقد التاريخ وفلسفته حتى قال مونو : « كانت هذه الدروس تبث في افكارنا انتظاماً ووضوحاً وكنا نخرج متلذذين بما نشعر به من حب العلم والحقيقة وابداء صفحة الوجوه لها » . كان وايج ذا فطرة ملكية تلائم علمه الواسع ولطالما كان يقول « ان تلاميذي هم اجود مصنفاتي وقد بذلت جهدي في تربية افكارهم اكثر من اجتهادي في التأليف واظنني نجحت . ذلك لان كتبي ستذهب بها الايام الى زوايا النسيان ولكن اسمي ستتناقله العصور بعضها عن بعض ما دامت اعمال تلاميذي ومباحثهم العلمية باقية » .

فبمثل آراء هذا الاستاذ الفاضل تهذب الالمان واحسوا بوجوب الانتقام من الفرنسيس وبمثل هذا التهذيب تمثلت كوائن بسمارك وحركته السياسية .

وبينا كان جبرائيل مونو متطوّعاً في خدمة جرحى حرب السبعين تحت قيادة المارشال ماكماهون والجنرال اورل بالادي الفرنسويين حدث ان صادف اكابر لغويي الجرمان في لباس افراد الجند البروسي فدهش لذلك ووقف امامهم ذاهلاً معجباً .

ما امحت اماني الفرنسيس في البراز الاخير من هذه الحرب المشؤومة حتى ذكر مونو — الذي كان يسعى بين جثث جرحى الحرب يائساً مضطرباً — انه مؤرخ واخذ يؤلف كتابه (الالمان والفرنسيس) ناقلاً فيه مشاهداته منذ بلغ مدينة (ركور) من اعمال اللورين الى ذهاب نابوليون الثالث وفي هذا الكتاب طبق مونو نظرياته الفلسفية التي كان يعلمها تلاميذه . وانك لتقرأ من خلال سطوره اسلوباً مشبعاً بالجد والتؤدة براءً من كل طعن او تعريض دالاً على ان مونو من المؤرخين الذين يرون ان التصريح بالحقيقة كيفما كانت انفع الطرق واسماها . من اجل ذلك كان الكتاب من اثمن ما كتبه المعاصرون عن هذه الحرب . وان اسباب غلب الفرنسيس يتمثل امام انظار القارىء في كل صفحة من صفحاته حتى كانت حرية وجدان المؤلف وصدق لهجته المعزز بالآراء العلمية سبباً لنحت أسلته على السن مدعي الوطنية الغارقين في لجج الخيال .

ومما فطر عليه المترجم به استيلاؤه على غايات التواضع فلا يريد ان يصفق له ولا أن يستحسن عمله مكتفياً بتسليم ما اهتم بجمعه من الخزائن الى فريق خاص غير طالب لقاء ذلك شهرة او سمعة وان المصغي الى مونو ليحار من اصوله المتينة وتبحره الواسع وتدربه

القويم مع قلة اهتمامه بالخطابيات. واذا وجد في المجالس التي ترجح التؤدة والسكون انصت حتى اذا سنحت له — والقوم في اثناء المناقشة والحوار — سانحة تلألأت جبهته المفكرة وابرقت عيناه من وراء نظارتيه الذهبيتين وترك قلمه ومذكرته واخذ يلقي على السامعين ما يظهر له بعواطف شديدة ولسان مبين. وانك لترى الجهل واللهو والعيون الساهية قد انتبهت كلها مغلوبة لما فتح امامها من اعماق مناظر الماضي الفسيح.

وبعد فان تأثيرات مؤرخنا الفاضل في التدريس لا تظهر كل الظهور من مؤلفاته لا من تعليمه في دار المعلمين ولا من كتاباته في المجلة التاريخية التي تولى ادارتها اكثر ايام حياته بل من محاوراته الخاصة مع تلاميذه ورفاقه في التحرير ومع اصدقائه وقد خاطبه صديقه ارنست لافيس في خطبة القاها يوم احتفال احدى الكليات قائلاً: (انك لتلقي بنفسك الى التهلكة لتخلص غيرك منها ولا تمنع نصائحك ومعونتك عن احد وانك لتسرع الى مكاتبة المشتغلين بالبحث عن الحقيقة وسلامة البشر مهما كانت نحلتهم وقوميتهم).

ومن نتائج ابحاث مونو المثمرة في المانيا اجتهاده في تفهيم جميع تلاميذ المدارس معنى (التعاون والاتحاد). وخلاصة الفكر الاساسي الذي يذهب اليه هو واصدقاؤه: (ان الفرنسيس مستحقون لما نزل بساحتهم من البلايا كما ان الالمان اهل لما نالوه من النصر وما علينا الآن الا ان نسعى الى اقتطاف ثمرات هذا الدرس المفيد فانها نافعة لنا ولا تكون الصدمات الاجتماعية وخيمة الا على اصحاب الغفلة والخمول.

ولقد عرفنا عملنا منذ الآن ونحن مضطرون لدفع جميع ما يتهدد جامعتنا والسلم العام من الحوادث. وان الغالبين قد اخذوا المقاطعتين من ارضنا والخمسة مليارات من اموالنا وما علينا الا ان نقتبس من فضائلهم لقاء ذلك)

وبعد فان من الابطال الذين القوا بانفسهم الى ساحة البراز في مسألة دريفوس الاجتماعية من اجل الحقيقة والعدل هو المسيو مونو ايضاً فانه اجتهد في هذا الدرس العام ان يعلم الانسان ان من واجباته ان يفادي بنفسه في نصرة الحق ولكنه لم يسلم بدفاعه هذا من تعريض المعرضين وسهام المستخفين اولئك الذين رأى ان ليس من اهانة لهم غير (السكوت).

القسطنطينية   محب الدين الخطيب

روزفلت وحرب اميركا

الاجتماعية والاقتصادية

من راجع تاريخ الامة الاميركية وراقب نشوءها ونموّها وسيرها السريع في مضمار العمران والفلاح ووقف على خدمها للجنس البشري لا يستغرب اذا قلت ان هذه هي ارض الميعاد وان شعبها هو شعب الله المختار — شعب الله المختار لا ليأكل العسل ويشرب اللبن ويتمتع بالطيبات ويتنعم بالخيرات فقط بل شعب الله الذي اختاره ليحمل للعالمين نبراس الحرية والانصاف وليمد يد الاخاء للبائس في كل قطر ويغيث المحتاج في كل مصر ولتكون بلاده ملجأ للمظلوم والتعس ويجد فيها طالب الحرية والاستقلال الشخصي والتقدم والارتقاء ما يؤهله لنيل مبتغاه . وليس معنى ذلك ان البلاد بلغت حدّ الكمال او انها حلت جميع مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية او انها استراحت من الاتعاب فالقت رأسها على مسند الرغد والنعيم وانقطعت عن الجد والعمل الى التلذذ بالخيرات لان البلاد الحية كالفرد الحي لا تطلب الراحة ولا ترتاح الى الهدوء والسكينة بل تقوى بركوب الاهوال ومصارعة الصعاب

لأميركا مشاكل عديدة تظهر عسرة الحل لمن لا يعرف نشاط هذا الشعب واقدامه . كأن الله عز جلاله يبتغي بقاء هذا الشعب فيقيم لهُ من ابنائه رجالاً يدفعون عنه الاخطار كلما تهددت البلاد المشاكل وسطت عليها الازمات . أرسل وشنطن القائد الباسل فحل بيده ربقة الاجنبي ثم لما اوشكت البلاد ان تنقسم على نفسها بعث « لنكن » فبدد عوامل الانقسام وربط اجزاء البلاد بعضها ببعض حتى صارت كما كانت قبل حربها الاهلية تحت علم واحد تسعى الى غاية واحدة وتدفعها الى السعي نفس القوى والآمال .

واليوم اذ تفاقم شرّ حربها الاقتصادية وبلغ اعتساف ملوك المال الحد الذي لا يطاق اقام الله بطل الامة (ثيودور روزفلت) ليدافع عن حقوق الشعب ويؤيد سلطة القانون ويعاقب المجرمين سواء كانوا من ارباب الملايين او من الذين دأبهم السعي لهد اركان المجتمع الانساني الحاملين الراية الحمراء الذين لا يحترمون الشرائع ولا يعبأون بنظام الهيئة الاجتماعية .

ان سياسة هذا الباسل منذ ابتدأ في معاركة المسائل الاجتماعية ومحاربة الاختلال والفساد في الاحكام بتضمنها قوله : (ان حربتي لا تعرف اخاً)

فهذه الحربة التي لا تعرف الصديق اذا اعتدى على الحق هي التي جمعت حواليه قلوب الامة وألقت الرعب في قلوب اهل الشرّ والفساد . روزفلت رئيس البلاد اليوم وقائد

الحزب الجمهوري كان من اتباع هذا الحزب منذ انجز دروسه في كلية هارفرد ودخل ميدان الحياة غير ان هذا لا يمنعه من رؤية العيوب التي إنتطخ بها بعض رجال حزبه ·

ما تعين رئيس شرطة مدينة نيويورك حتى شهر سيف الحرب على اعداء الفضيلة والامن والآداب ولم تعرف حريته اخًا او صديقًا فتضايق كثيرون من اتباعه وخاف الجمهوريون عاقبة هذه الصرامة فحسبوا ان هذا التدقيق يكثر اعداء حزبهم ويقوي جيوش اضدادهم فهرعوا اليه وقالوا لقد تجاوزت حد الاعتدال والحكمة في تنفيذك القانون فبعض هذه الشرائع مضر بالمدنية اذا صار تنفيذها حسب منطوقها الحرفي · فاجابهم اني مسئول عن تنفيذ الشرائع كما اجدها فان تكن غير موافقة فليبادر المشرعون الى تغييرها ·

ولما انتخبته ولاية نيويورك حاكمها كانت اشد حملاته على الفاسدين من رجال حزبه فشعر يومئذٍ بنفوذ اهل المال وتأثيرهم في نواب الشعب واشترائهم الامتيازات بالاموال وادرك ان هذا هو الخطر الذي يسرع بالحكومات النيابية الديمقراطية الى الفساد والانحلال فتألمت نفسه الحرة لا سيما وان اكثر اصحاب الاعمال والاموال هم من حزبه ·

لما شبت الحرب الاسبانية استقال من منصبه وكان مستشار وزارة البحرية وتطوع لمقاتلة الاسبان فقاد فرقةً من الخيالة المتطوعين وقد سطر التاريخ له البسالة والشجاعة في موقعة (سان جوان) وملكته شجاعته قلوب مواطنيه ·

فلما اجتمع زعماء الحزب الجمهوري في فيلادلفيا سنة ١٩٠٠ م لترشيح رجلين للرئاسة ولنيابة الرئاسة كان روزفلت يومئذٍ (اسد الشعب) فظن كثير من الكتاب ورجال السياسة ان مجلس الامة سيرشح روزفلت للرئاسة ولكن رؤساء الحزب وقد عرفوا استقلال وجدانه وقوة ارادته سعوا الى ابعاده عن الرئاسة فاشار الداهية بلات مدير الحزب الجمهوري في نيويورك ان يرشحوا روزفلت لنيابة الرئاسة املاً ان يقلده ذلك المنصب القليل الخطر من حيث القوة والنفوذ فيرضون بذلك الشعب الذي يحب روزفلت ثم يضعون في منصب الرئاسة رجلاً يصغي الى اقوالهم ولا يحارب مصالحهم وكان ما كان من ترشيح مكنلي للرئاسة وروزفلت لنيابة الرئاسة وفوز الاثنين في ذلك المعترك على زعماء الحزب الديمقراطي الا ان الله بعث لمقاصد سامية فوضويًا اثيماً ليطعن الطيب القلب وليم مكنلي تلك الطعنة التي ارسلت روحه الى العالم الثاني فارتقى روزفلت الى كرسي الرئاسة فبلعت قلوب ملوك المال وقالوا في سرهم خلا الجو لروزفلت فانه سيقيم علينا الحرب التي كنا نخشاها وخاف الشعب ايضًا من ان تغيير السياسة فجأة يضر بالاحوال فيوقف حركة الاعمال وتصاب الاشغال بكساد عظيم · غير ان روزفلت ابى ان يجلب الاضطراب الى البلاد فتعهد للشعب انه

سيسير في سياسته على الخطة التي رسمها مكنلي فهدأ روع ارباب المصانع ورؤساء الشركات الكبيرة واصحاب السكك الحديدية وبقيت البلاد تتمتع بالنجاح والفلاح . ولما انتهت مدة رئاسته الاولى سنة ١٩٠٤ م رشحه الجمهوريون ثانية للرئاسة لان صوت الشعب لم يقبل بشخص آخر . وما خمدت نيران تلك المعركة السياسية حتى انجلت عن فوز روزفلت على خصمه باركر فوزًا باهرًا لم يسبق له مثيل في تاريخ الامة .

ما استلم روزفلت ازمة الرئاسة للمرة الثانية حتى جرّد سيفه لمقاتلة كل من اعتدى على شرائع البلاد لا يرهب في حربه سطوة عدو ولا يراعي حرمة صديق . او كما قال ان حربي لا تعرف اخًا .

ارتقت البلاد وتقدمت وزادت ثروتها في السنين الاخيرة زيادة يصعب على العقل ان يدركها فليس من دولة بين دول المتقدمين او المتأخرين ادركت ما ادركت اميركا من التقدم . تجارتها سبقت كل تجارة ومصانعها ومعاملها لا مثيل لها في الارض . زراعتها تدر الخير على البلاد كالسيل الجارف . خطوطها الحديدية لو مدت في خط واحد لبلغ طول ذلك الخط اكثر من المسافة بين الارض والقمر . صادراتها واواردتها السنوية تزيد على الثلاثة آلاف مليون ريال وهذه ليست الا سبعة بالمائة من تجارتها الداخلية وفيها من اصحاب المال من يزيد ايراد الواحد منهم على ايراد بعض دول الارض . تكاثر المال فزادت قوة الماديات واصبح تأثير الريال خطرًا على المطامع والغايات في بلاد الحق والحرية والمساواة

اخذ المتموّلون يؤلفون الشركات الكبرى ولا همّ لهم الا الكسب وان تكن طرق تأسيسها مخالفة لشرائع البلاد ونظاماتها ومغايرة للصدق والشهامة والحق .

اختلت الآداب في الاشغال الكبيرة فصار من الهين على بعض ملوك المال ان يشتروا الامتيازات من مجالس التشريع ومنتديات الولايات كأن تلك الامتيازات سلع تجارية تباع وتشرى بالمال . ثقلت وطأة هؤلاء الملوك الذين اخذوا يحتكرون الحاجيات والكماليات فصرخ الشعب صراخ المظلوم في ارض الحرية سمع صراخه الاسد الباسل ثيودور روزفلت فحمل على العدوّ الحملة بعد الحملة وها هو الآن لا يزال في ساحة الوغى يرميه اعداؤه وهم اعداء الشعب بسهام العدوان والبغضاء فيبددها ترسه المتين متحطمة مكسرة لانه يدافع عن الحق ولان الشعب والله يشدان ازره في حربه الشريفة

اتفق سرًا ملوك السكك الحديدية (هريمن) و (هل) و (مورغن) وغيرهم على جعل شركات الخطوط الحديدية التي تربط شيكاغو ومدن الولايات المتوسطة بالشاطيء الباسيفيكي شركة واحدة .

قصدوا من ذلك الاتفاق قتل المناظرة ليتيسر لهم الاستبداد في اجور الشحن والسفر ضموا بذلك الاتفاق شركة (الباسيفكي الشمالية) وشركة (الباسيفيكي المتحدة) وشركات اخرى صغيرة دعوها شركة التأمين الشمالية . وما انتشر امر هذا الاتفاق حتى شكا اهل الغرب وتذمروا من استبداد ملوك الخطوط الحديدية . ورفعوا شكواهم الى ستة من حكام الولايات الغربية فلم يستطع هؤلاء ان يردوا المعتدين عن سيرهم السيء وعبثهم بالقانون فعرضوا على الرئيس الحالة فاوعز روزفلت الى المدعي العمومي ان يستقريء امر الشركة الجديدة فبحث المستر نوكس سرًّا فوجد ان الشركة العظمى قد تعدت حدود القانون . فلم يتأخر روزفلت يومًا واحدًا عن اقامة الدعوى على هؤلاء الملوك الماليين فحاكمتهم الحكومة امام مجلس القضاء فوجدتهم معتدين فاجبرتهم على فض الاتفاق ولم يكن بالحسبان ان الحكومة تقدم على مقاتلة شركة اموالها تعد بمئات الملايين ولكن حكومة رئيسها روزفلت لا ترهب (مورغن) ولا تهاب (هريمن) ولا تخشى (روكفلر) ولا (هيل).

لما طلب روزفلت رؤساء الشركة التي اشرت اليها للمحاكمة هرع (مورغن) العظيم الى وشنطن فدخل القصر الابيض وهو عالم ان لخصمه حرية لا تعرف اخًا . فقال مورغن : يلزم ايها الرئيس ان نجتمع معًا ونتفق على امر . يجب ان نحل المسألة بالمسالمة .

فاجابه الرئيس اخاف يامستر مورغن ان لا تكون حتى الآن عارفًا منصبي . انا هنا لانفذ شرائع الولايات المتحدة .

— لكن نحن يامستر روزفلت لم نخالف القانون اذًا لماذا تخاف من الاذى ؟

— نعم ولكن يجب ان نتساهل ايها الرئيس

— لا تساهل في تنفيذ القانون

فآب مورغن ملك المال في اميركا الذي يرعب (وال ستريت) — شارع الصيارفة في نيويورك — لاقل حركة او لفظة منه تكسوه الخيبة ويرافقه الفشل . وبعد ان عاد مورغن خائبًا الى نيويورك ذهب الى وشنطن غيره من رؤساء السكك الحديدية ممن لهم علاقة بالشركة الكبرى قال احدهم : كان من الضروري ياحضرة الرئيس ان تخبرنا قبل ان ترفع علينا الدعوى امام المحاكم

فاجابه روزفلت بقوله لماذا ؟

— لان اقامة الدعوى بغتة اسقطت اسهم السكك الحديدية فكان يجب ان تفيدنا عن عزمك رحمة بالارامل والايتام الذين يملكون اسهمًا في هذه الشركات

فاجابه المدعي العام هل اخبرتم الارامل والايتام لما احتكرتم اسهم شركة الباسيفيكي الشمالية ؟

وعندئذٍ تكلم الرئيس بلغة لم يسمعها قبلاً هؤلاء الاغنياء فقال : ان الحكومة لا تعلن المجرم عند ما تعتقد انه ارتكب جريمة بل توقفه ثم تخبره عن الجريمة التي ارتكبها . لماذا تطلبون من الحكومة ان تعلن المجرم اذا كان غنياً ولا تعلنه اذا كان فقيراً ؟ وهكذا انتصر روزفلت خادم الشعب الاميركي وخاب هريمن ملك السكك الحديدية الذي يستولي على خطوط تزيد قيمتها على الف ومائتي مليون ريال .

والذي يسعى اليه روزفلت هو ان يضع كل شركات السكك الحديدية تحت مراقبة الحكومة في وشنطن المراقبة الرسمية و يعتقد ان هذه الشركات متى علمت ان عين الحكومة ترى كل مخبآتها وتعلم بكل افعالها فلا تجسر على الاعمال المخالفة للشرائع على ان بعض رجال السياسة يخشى من ان تزيد هذه المراقبة في سلطة الحكومة الزيادة التي ربما تعود بالاخطار على المبادىء الديمقراطية وهؤلاء الساسة يطلبون هذا الحق — حق المراقبة الرسمية الفعالة على السكك الحديدية للولايات المختلفة . اما براين زعيم الحزب الديمقراطي فيرى ان اعتساف شركات الخطوط الحديدية لا تكون عاقبته السيطرة ومراقبة حكومة وشنطن على الخطوط الحديدية فقط بل الاستيلاء التام ايضاً على جميع سكك البلاد . ولكن روزفلت لا يرى الآن دافعاً الى هذا التطرف في محاربة هذه الشركات الهائلة . وال ستريت يكره روزفلت الكره الشديد لانه لا يستطيع ان يلين ارادته الحديدية .

اتفقت شركات اللحم تحت ادارة شركة واحدة فصارت تشتري المواشي من الفلاحين بالاثمان التي تعينها وتبيع اللحوم بالاسعار التي تلائمها وعدا ذلك فانها كانت تبيع اللحوم غير الصالحة للصحة فحاربها الرئيس فقهرها امام المحاكم ثم حمل مجلسي الشيوخ والنواب على سن قانون يعين رقباء من قبل الحكومة يفحصون كل ما يذبح من المواشي وكل ما تقدده الشركات من اللحوم فمن يخالف القانون يعاقب حتى ان الحكومة صارت تجبر هذه الشركات على وضع ختم المراقبة على كل ما تبيعه .

اختلت نظامات السكك الحديدية وفسدت آداب مديريها فصار وايحابون بالامتيازات التي يعطونها لارباب المتاجر والمصانع يطلبون من زيد التاجر الغني رسوماً اقل من عمرو المتوسط الحال فاذا كان عمرو الفقير او المتوسط الحال مناظراً لزيد الغني في بلد واحد يعجز عن مناظرته لانه يدفع رسوماً باهظة لاستجلاب بضائعه من مصادرها على حين يستجلبها زيد باجور زهيدة فسنت الحكومة قانوناً يقتضي بموجبه ان تكون الاجور واحدة للغني الكبير والتاجر الفقير . ولكن التجار الكبار واصحاب السكك الحديدية لجأوا الى حيلة يدوسون بها القانون ولا يكونون بها تحت سلطته وبذلك اعني « نظام الترجيع » Rebate System اي ان شركة الخط الحديدي تأخذ

نفس الاجور من كل التجار الذين يشحنون بضائعهم على خطوطها ولكنها ترجع سرّاً الى من تشاء مبالغ يتفقون عليها قبل الشحن . فالفقير والمتوسط الحال شكيا امرهما الى الحكومة فسنت النظام ضد الارجاع Anti Rebate Law ولكن الشركات الكبرى استمرت على مخالفة القانون فاقام عليها روزفلت حرباً عواناً . ومن هذه الشركات شركة الزيت العظيمة التي يرأسها روكفلر اغنى اغنياء العالم وشركة السكر وغيرها . والحرب اليوم قائمة في المحاكم بين الحكومة وبين شركة الزيت الشهيرة وقد اقامت الحكومة الادلة الراسخة على ذنوب هذه الشركة ولا شك انها ستلقى جزاء آثامها العديدة ويقال انها ستدفع من الغرامات لا اقل من ثلاثين مليون ريال فنتأمل .

حمل الطمع بعض الشركات التي تجهز الاطعمة المقددة على الالتجاء الى الغش والفساد فتكاثرت اضرار هذه الاطعمة حتى لم يعد يثق الانسان بسلامة نوع من هذه الانواع استخدموا الكيمياء فصاروا يخلطون المركبات الكيماوية بالاطعمة لكي يطول حفظها في علب الصفيح «التنك» او الزجاج بل تعدوا هذا الحد فصاروا يركبون المواد المختلفة ويقلدون الاطعمة الطبيعية كالعسل والدبس والقهوة وما شاكل ذلك حتى لم يعد يعرف الناس بعض الاحيان هل هم يأكلون اطعمة مركبة في معامل كيماوية ام مستخرجة من خيرات الارض . عقد النية روزفلت ان يضع حدّاً لهذا الغش والفساد فسعى بكل قواه حتى حمل مجلسي الشيوخ والنواب على سن قانون (الطعام النقي) وفاز بسعيه على الرغم مما انفقته هذه الشركات من الاموال وما بذلته من المساعي . ومن يغش الطعام الآن يعاقب اشد المعاقبة

ومما يزيد جهاد روزفلت شرفاً في محاربة ملوك المال المفسدين ان هذا المحارب ابن عائلة غنية وصاحب ثروة طائلة فحربه ليست حرب رجل اشتراكي المباديء او حرب رجل يروم نقض بنيان الهيئة الاجتماعية انما هي حرب رجل تتألم نفسه من الاعتساف والرشوة والفساد والاختلال سواء صدرت هذه المساويء من هرميين ملاك السكك الحديدية او من اصغر عامل في احقر معمل في البلاد .

فالكل في اعتقاده متساوون امام القانون من يعصي الشريعة او يدوس النظام يجب ان يلقى العقاب سواء كان من اصحاب المعامل او من العمال . فروكفلر يعرف انه يلقى من روزفلت اذا زار القصر الابيض الاكرام والرقة ولكنه يعرف ايضاً ان جون متشل رئيس جمعيات الفعلة في المناجم يلقى نفسها المعاملة وقد سأله مرّة احد اصدقائه وهو على القطار في كليفورنيا « اي رسالة تحب ان احمل منك الى جمعيات العمال المتحدين » فاجابه روزفلت قل لهم اني ساعامل بالعدل والانصاف الفعلة المتحدين في جمعيات منظمة وسأعامل بنفس

العدل والانصاف الفعلة الذين لا ينتسبون الى جمعيات منظمة وسأُعامل بنفس العدل والانصاف ارباب المال والاملاك . الجميع سواء امام الشريعة

لما احتفل نادي كرد ايرن في وشنطن في العام العابر احتفاله السنوي وكان من المدعوين روزفلت وسفراء الدول واكبر رجال الاعمال والاشغال في البلاد خطب روزفلت خطاباً صريحاً لا يزال صداه يرن في آذان من سمعه . ومن جملة ما قال وقد وجه مقاله وقتئذٍ الى كبار المتموّلين الحاضرين ما معناه « انا لست عدوّ المال او المتموّلين. انا لست عدوّ الارزاق . انا اعظم صديق للمال المجموع طبقاً للشريعة والنظام . انا اخلص صديق ومدافع عن الاملاك . اذا اردتم ان تُحرس املاككم من الرعاع الذين يعتدون على القانون فعلموهم انتم كيف تكون المحافظة على القانون .

الغني المعتدي على القانون اكثر مسئولية من المعتدي الفقير . اذا رمتم سلامة الاملاك والامان على الارزاق فحافظوا انتم على النظام واحترموا الشريعة والاّ فاني احذركم من الرعاع . الرعاع . الرعاع » .

صيارفة « وال ستريت » يسمونه (روزفلت الفضولي) و « يوجين دس الفوضوي » يدعوه (روزفلت المجرم) و « الدكتور داي » رئيس كلية سيدكيوز الجامعة يسميه (الفوضوي) وبعض اعدائهِ يدعونه (المحارب) . (المهيج) . (الساعي الى القلاقل الاقتصادية) . (الذي لا يجد لذة بغير الحرب والخصام) ولكن الشعب الذي يتكوَّن منهُ الرأي العام — تلك القوَّة الفعالة في البلاد الديمقراطية يحبه ويجله ويثق به . اعداؤُه يرون في سياسته خطراً على البلاد اما الشعب فانهُ يحثه على القبول ان يرضى بترشيحه للرئاسة سنة ١٩٠٨ لكن روزفلت يرفض الرفض الصريح لانه لا يحب ان يخالف النظام غير المكتوب الذي لا يستصوب انتخاب رجل لرئاسة البلاد ثلاث مرات . جورج وشنطن محرر اميركا هو اوّل من رفض الانتخاب المرة الثالثة وقد مشى الرؤساء بعده على هذه الخطة الحميدة والمقصود منها ان لا تبقى القوَّة طويلاً في قبضة رجل واحد لئلا يميل الى حب الاستبداد والاستئثار بالاحكام .

لم يقم رئيس بعد وشنطن احبهُ الشعب في حياته كما يحب ثيودور روزفلت ففيه تتمثل اسمى آمال الشعب الاميركي وارقى عواطفه . فمن اخلاقه الشجاعة وحرّية الوجدان ومحبة الانصاف والعدل والميل الى مساعدة المظلوم البائس وحب الجد والخدمة والاقدام على عظائم الامور بصبر وثبات فهو اشرف ممثل لصفات الامة فلذلك هامت به القلوب وتعلقت به الافئدة . يتهمه اعداؤُه بمحبة الحرب والقتال والميل الى سفك الدماء . ولكن الشعب يعلم

انهُ هو الوحيد بين عظماء الارض وملوكها الذي اوقف افظع حروب الاعصر الحديثة — الحرب الروسية اليابانية — وحقن دماء بني البشر التي كانت تجري كالانهر في اودية مانشوريا ولذلك يدعونه واضع السلام ولا يستغربون ان وهبته دولة نروج مدالية نوبل التي لا تهبها الاَّ لمن يخدم السلام اكبر الخدم .

ينسب اليه اعداؤُه الكبرياء وحب السلطة ولكن الشعب يعلم انه يرى الفضيلة ويكرمها اينما وجدها فلذلك اضاف في القصر الابيض الزنجي الاسود بوكروشنطن لانهُ يعلم ان بوكروشنطن الزنجي رجل فاضل يخدم شعبه ويرقي حالتهم ويساعد بذلك اميركا على حل اكبر مشاكلها مشكل الزنوج .

اعداء روزفلت يتهمونه بتحريك الاضطرابات الاقتصادية ولكن الشعب لا ينسى ان روزفلت هو الذي اطفأ نار تلك الحرب الاقتصادية التي قامت بين اصحاب مناجم الفحم والعمال المعتصبين وانقذ البلاد من اخطار ثورة عظيمة عند ما تعاظم الخلاف بين ارباب المال والعمال في المناجم وتوقف عن العمل لااقل من نصف مليون عامل . ولقد ارتفعت اثمان الفحم في بعض الاماكن الى حدّ لا يطاق وفي اماكن اخرى لم يقدر الناس ان يشتروا الفحم بابهظ الاثمان لعدم وجوده عند مادخل الشتاء ببرده وثلجه والخلاف لم يزل مستحكماً فضاقت النفوس وتهيجت الخواطر وخاف العقلاء من شر يحدث وسعى كثيرون ان يرجعوا الحالة الى سابق عهدها ولكن اصحاب المناجم ابوا ان يسلموا بواحد من مطالب المعتصبين . عندئذٍ عزم روزفلت على حسم الخلاف فامتل سيف الغيرة متخذًا من قوَّة الرأي ترسًا يرد بهِ كيد اصحاب المناجم الذين جاهروا في اوّل الامر ان ليس لروزفلت حق بالمداخلة . فنداخل روزفلت على الرغم من اعتراضاتهم واجبرهم ان يعرضوا المشكل على مجلس تحكيم يتألف اعضاؤُه من رجال اشتهروا بالنزاهة والعدالة والمعرفة .

تألف مجلس التحكيم ونظر في الخلاف فوجد ان الحق مع العمال فابدى حكمه فخضع الفريقان وانتهى ذلك الخلاف العظيم ونجت البلاد من شرور ذلك الاعتصاب .

ولا يسمح المقام ان اذكر اكثر مما ذكرت من حسنات هذا الرجل العظيم وخدمه للشعب الاميركي خصوصًا والعالم عمومًا . ولا سيما في هذه الحرب الاقتصادية التي يسعر نارها ويكفيه فخرًا انه بث في الناشئة الاميركية روحًا ظهر تأثيرها في كل ولاية ومدينة في اميركا — روح احترام القانون وكره الاختلال والفساد فهو الذي في جهاده وحياته واقواله وكتاباته يفسر لتبان البلاد كلمة « نجاح » بمعنى جديد او قديم ولكن كاد ينزع من الاذهان فالنجاح الذي يبشر به روزفلت هو النجاح الحقيقي الذي لا يشتريه المرء بالمفاداة بمبادئه وفضائله

بل الذي يقوي المبادىء السامية ويكثر الفضائل · المال خير الا اذا كان الحصول عليه لا يتيسر بغير العبث بالشرائع وقتل الوجدان فاذ ذاك يصير شرا ما يتهدد الفرد والامة

وخلاصة القول ان الخوف على فناء البلدان والممالك واضمحلال الشعوب وتأخرها لا يجب ان يكون من حدوث الاختلال والشرور فهذه ملازمة للعمران حتى يبلغ درجة الكمال انما الخوف كل الخوف متى استحكم الفساد ولا من يستأصله متى ضرب الشر اطنابه وليس من يجرد عليه سلاح الحرب والمقاومة فكيف نخاف على حياة امة لا يظهر فيها فساد حتى تجد من يقاتله بغيرة وثبات كيف نخاف على مستقبل هذا الشعب الاميركي ومثال اسمى صفاته هو ثيودور روزفلت الذي اذا نادى ودعا الشعب لمساعدته في خدمة الحق ومحاربة الاثم · سمع الناس نداءه لانهم احياء فقاموا يعضدونه في جهاده · وعلى الجملة فان الحرب قائمة بين الحق والباطل وان الآمال عظيمة بفوز الحق والعدالة اذ لم يرَ الى الآن ان قائد لحق روزفلت خاب في موقعة منذ بدأ في حربه الشريفة لتأييد النظام والعدل ·

ولله درّ جون مورلي السياسي الاميركي الشهير الذي قال بعد ان زار الولايات المتحدة منذ عهد قريب رأيت في اميركا مظهرين عظيمين للطبيعة شلالات نياغرا وثيودور روزفلت

بروفيدنس (الولايات المتحدة) شحادة شحادة

اليونان

ابطالهم

البطل — البطل في بلاد اليونان رجل معروف يغدو بعد موته روحاً ذات سلطان ولا تتم له الربوبية بل ينال منها نصفها فمن ثم لا يسكن الابطال في الاولمب في سماء الارباب ولا يدبرون شؤون العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية يغيثون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم · ولذا عبدهم اليونان عبادتهم للارباب واستغاثوا بهم وتضرعوا اليهم · وما من مدينة او قبيلة او أُسرة الا ولها بطل خاص بها وهو عبارة عن اشباح متخيلة تحميها فتعبدها وتتقدم اليها بانواع القربات ·

ضروب الابطال — ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من الاعيان مثل اشيل واوليس واغامنون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل هيراكليس وادبب · وليس بعضهم إلاَّ اسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعوس

غير ان عبدَتهم ينظرون اليهم نظرهم الى اشخاص قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاعيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل ليونيداس وليزاندر وكانا من القوّاد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان . وكان الزعيم الذي يقود الطواريء ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً ويتقرَّبون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياديس الآثيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبراز يداس الاسبارطي الذى قتل في دفاعه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اذ اعتبره السكان مؤسساً لبلادهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الجوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعتقد فكانت مدينة سيسيون تعبد البطل ادراتس فاقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يفلح في طرد ادراتس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك السيسونيين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد ذاك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى ثيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من ألدّ اعداء ادراتس قتل له صهره واخاه . ثم جعل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدّم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المغتاظ يركن الى الفرار .

مداخلة الابطال — للابطال قوّة الاهية فني وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشرّ كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيزيشور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على نحو ما ورد في الاساطير) فكف بصره للحال حتى اذا رجع عن كلامهِ عاد بصيراً . ويزعمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء باديء بدء ثم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلدٍ تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من غارة الاعداء . وقد زعم الجند الآثيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب ماراثون تيزيه بطل آثينة ومؤسسها وقد تدجج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان اجاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال تيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهروهم) وفي احدى روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) بينا كان اديب مشرفاً على الموت زاره ملك آثينة وملك ثيبة واراده كلاهما على الرضا بترك جثته تدفن في ارضهما ليكون بطلاً حامياً لها فاجاب طلبهما في ان يدفن في بلاد الآثينيين وقال لملوكهم : اني لا اكون بعد موتي خالياً من النفع في هذا القطر بل اكون ركناً ركيناً لا تقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمته ويرهب بأس هذا الشيخ ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب — كان الارباب والابطال على ما لهما من الحول والطول ينشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يشاءون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء إلباً ومن العقل ان يكونوا واياه يداً واحدة . ولقد ذهب القوم الى انهم كانوا اشبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا عُني بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في النذور هو من التقوى التي بها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو الشقاء الذي به تثل عروش الممالك وتندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الفروسية ان الارباب لا يرضون عمن يفزعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في بحبوحة النجاح . فالديانة كانت بادىء بدء عهداً وميثاقاً فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب وينال من لدنهم مقابلة ذلك منافع ومغانم قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرقت من اجلك ثيراناً سمينة منذ زمن طويل فاقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام غضبك اعدائي »

الاعياد العظيمة — زعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر ولذلك عُنوا بالقيام بكل ما يُسترضى به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخمراً وحلواء وفاكهة ولحماً وينشئون لهم قصوراً ويحتفلون اكراماً لهم باعياد اذ كانت تلك المعبودات ارباباً سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احتفالاً دينياً يضرب في خلاله عن الاعمال وتأخذ الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن ثم كان اليوناني يُسرُّ بهذه الاعياد ويحتفل بها اجلالاً لاربابه ومعبوداته لا قياماً باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نشيد قديم اكراماً للمعبود ابولون أن الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعنتهم المعهودة وغنائهم ورقصهم .

الالعاب الاحتفالية — نشأت الالعاب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعظاماً للارباب فكان لكل مدينة ضرب من ضروبها تكرم بها معبوداتها وما كانت في العادة تقبل لمشاركتها بها غير ابناء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعاب يشترك بها جماع ابناء يونان ويحضرونها وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعاب الاربعة العظيمة واخص تلك الالعاب العاب اولمبيا . يحتفل بها كل اربع سنين اكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة فيأتي دهماء اليونان من اطراف البلاد تغص بهم الملاعب والمشاهد ويأخذون في تقديم الضحايا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب ثم يتبارى القوم في الاعمال الآتية : عدو على الاقدام حول الملعب . قتال يعرف عندهم بالبانتاتل لانه كان عبارة عن خمسة العاب فيقفز المتبارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويقذفون الى بعدٍ بطارة من معدن ويرمون الحراب ويتقاتلون بالايدي والابدان . ثم ملاكمة بجمع الاكف يتقاتلون فيها واذرعهم مستورة بسيور من جلد . ومسابقة عجلات كانت تجري في الميدان والعجلات خفيفة يجرها اربعة جياد ويتصدر القضاة في الالعاب بالبستهم القرمزية وقد تتوجوا باكاليل الغار فينادي المنادي بعد القتال باسم الظافر واسم بلده على رؤوس الاشهاد ويكافأ بتاج من الزيتون جزاء ما وفق له ويستقبله مواطنوه استقبال الظافر الفاتح وربما خرقوا خرقاً في حائط ليمروا به منه فيقبل ثقله مركبة تجرها اربعة من الجياد لابساً القرمزي والشعب كله يخفره . كان يعد هذا النصر الذي نعده اليوم من اعمال المصارعين في المحال العامة من احسن الاعمال واولاها على ذاك العهد يحتفل بها اعظم الشعراء ولم يكن هم بيندار اشهر شعراء الاغاني القدماء غير نظم المقاطيع في سباق المركبات . ويروى ان احدهم واسمه دياكوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توّجا فحملاه على اعين القوم حمل الظافرين فلما شاهد الشعب ان امثال تلك السعادة عظيمة جداً بالاضافة الى الميت ناداه : مت يادياكوراس اذ ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فضاق ذرع دياكوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر ابناء يونان ان رؤية ولديه وا كفهما قوية شثنة وسوقهما سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يعجبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المصارعين من احسن الجند في الحروب التي يتقاتلون فيها جسداً لجسد .

الفأل — كان اليونان يرجون من آلهتهم اعمالاً كبيرة لقاء تلك الواجبات والاعياد والاحتفالات فكانت المعبودات تحمي عبدتها وتسبغ عليهم برود العافية والغنى والنصر وتقيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون نزولها ترسل علامة من لدنها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالفأل · قال هيرودتس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تمتحن ببعض الخطوب يتقدَّمها على ذلك علامة في العادة · ولقد تفاءل اهل شيو (صاقز ؟) تفاؤلاً دلهم على ما ينالهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتى بعثوا بهم الى دلفيس يترنمون و ينشدون سوى فتيين وهلك سائرهم بالوباء · وعلى ذاك العهد انقض سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا يتعلمون القراءة فلم ينجُ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين · هذه هي الامارات التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان تنذرهم وتبشرهم · ولقد كان اليونانيون يرون الاحلام والطيور التي ترفرف في السماء واحشاء الحيوانات التي ينقربون بها لاربابهم بل وكل ما يقع نظرهم عليه من الزلزال والكسوف الى عطاسة يعطسها المرء — يرون كل هذه الامور الطبيعية امارات الهية فيها سعادتهم وشقاؤهم ففي حملة صقلية بينا كان نيسياس القائد الاثيني يركب جيشه المنهزم في السفن اوقفه خسوف القمر فظن ان الارباب بعثت بهذه العجيبة تنذر الاثينيين ان لا يتموا ما بدأوا به من الاعمال الحربية فاضطرَّ نيسياس الى الانتظار سبعة وعشرين يوماً وهو يقدم القرابين تسكيناً لغضب الارباب ، فسدَّ الاعداء في هذه الفترة ميناء المدينة وحطموا اسطولها و بددوا شمل جيشها · ولم يرَ الاثينيون لما بلغهم هذا النبأ سوى امر واحد نجوا من اجله نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف ان اختفاء القمر بالنظر الى جيش منهزم علامة حسنة · وفي غضون العودة المعروفة بعودة العشرة آلاف خطب القائد كسينوفون في جنده فلما انتهى الى هذه العبارة : « لنا الامل الوطيد ان نرجع وانجد اليفنا بمعونة الارباب » عطس احد الاجناد على الاثر فاخذ الجيش يصلي و يضرع الى الرب على ان بعث لهم هذا الفأل فهتف كسينوفون : الا فلننذر بتقديم ضحايا لزيوس اذ بعث الينا ما نتفاءل به بينا نحن نتفاوض في سلامتنا ·

هاتف الغيب — كان الرب في الاحايين يجيب سؤل من يدعوه و يستشيره من المؤمنين لا باشارة صماء بل على لسان احد الملهمين من علية الناس فيأتي القوم مزار رب ينشدون اجوبة يتلقونها ونصائح يستنصحون بها وهذا هو معنى الهاتف بالغيب · وانك لترى في اماكن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا جملة صالحة من الهاتفين بالغيب واشهرهم في دودون من بلاد ابيروس ودلفيس في سفح جبل البارناس فكان الرب زيوس في دودون يجيب دعوة المضطرين بدوي اشجار البلوط المقدسة والرب ابولون كان المستنصح في دلفيس وكان يسري في مغارة من معبده من شق التراب مجرى نسيم ظن اليونان ان الرب بعث به لانهُ ما استنشقه انسان الا وخرف وجنَّ ولذا وضعوا أثفية على شق الارض وهي عبارة عن امرأة (بيسيا) فتجلس على تلك الأثفية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو الاَّ ان يأخذها شيء من البحران العصبي حتى تبدأ تصرخ اصوات ونتفوّه بكلمات منقطعة فيتلقاها منها كهنة يجلسون حولها فينظمونها شعرًا و يقصونها على من جاء يستنصح فكان هتاف الغيب من بيسيا هذه مشوّشاً ملتبساً . ولما سألها كريزوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حربًا اجابته بقولها (ان كريزوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوّضت اركانها ولكنها كانت مملكة كريزوس . وكان للاسبارطيين ثقة عظمى بالبيسيا ولم يكونوا يسيرون حملاتهم دون استشارتها وقد اقتدى بهم سائر اليونانيين وهكذا اصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا — أُلف اثنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حبًا بحماية قبر دلفيس فكان يجتمع نوّاب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد ابولون وللنظر فيما اذا كان المعبد يُخشى عليه من مدّ يد الاذى لانه كان فيه ثروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان ينهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعلن عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وخرق سياج المقدّسات فأُخذت سيرا وهدمت من اساسها و بيع سكانها بيع الرقيق واصبحت ارضها كأَن لم تغن بالامس .

ومع هذا فلا ينبغي ان يذهب ذاهب الى ان مجمع الامفكتيون اشبه في وقت من الاوقات مجلسًا يونانيًا . بلى انهُ لم يعنَ الاَّ بمعبد ابولون لا بالشؤُون السياسية وما قط ضرب على ايدي شعوب الامفكتيون حتى لا يثيروا بينهم دواعي الشقاق فالهاتف الغيبي والامفكتيونيا في دلفيس كان لهما من السطوة حظ اوفر من سطوة الهاتفين والامفكتونيين ولكنهُ ما ضم قط اشتات اليونانيين وجعلهم امة قائمة برأسها

اسبارطة

شعبها

لاكونيا — لما هاجم اهل الجبال من الدوريين شبه جزيرة المورة نزلت اعظم عصابة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا وادٍ ضيق يشقه نهر عظيم يعرف بالاوروناس يحيط بهما جبلان عظيمان غطيت قممهما بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ايتها الارض الغنية التربة المخصبة الرباع المتعذر استنباتها واستثمارها ايتها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكئيبة في منظرها المنيعة على غزوات المهاجمين » وقد عاش الدوريون من الاسبارطيين في هذه البلاد الحصينة بين ظهراني سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا إنقسم سكان لاكونيا الى ثلاث طبقات وهم الميلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الميلوتيون — سكنت هذه الطبقة من السكان اكواخاً منتشرة في الفلاة واقاموا على حرث الارض وزراعتها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض خلفاً عن سلف عاملين لمالكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من غلاتهم . ولطالما احتقرهم الاسبارطيون وحاذروا بأسهم واساءوا معاملتهم واضطروهم الى لبس ثياب غليظة وضربوهم بلا داع ليذكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا ابناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الميلوتيين « بحمير موقورة تكبو وتنوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون — سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وألفوا الاسفار البحرية واتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يديرون شؤون مزارعهم بيد انهم كانوا يؤدون ضريبة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين — ابغض الميلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسينوفون لم يكن لاحدهم عند ما تكلم في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو تسنى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . زلزلت اسبارطة ذات يوم وكادت تتداعى اركانها فما كان باسرع من البرق حتى انهال الميلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناجين من الهلاك . ثم انتقض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . ولقد أمر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الميلوتيين في معسكراتهم ان ينتقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدوهم ان يعتقوهم وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها اشجعهم نفوساً واجرأهم على ابداء نواجذ الثورة فانتخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد متوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية ثم ادخلهم الاسبارطيون في خبر كان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الميلوتيين ومئة وعشرون الفاً من البيريكيين واقتضى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذ اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيشاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اشوه يعرضونه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيشهم مؤلفاً الا من ارباب القوّة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم و يربون مع اقرانهم كأنهم اولاد جماعة فيروحون عارية اقدامهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاء و ينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الباردة من نهر الاوروتاس ويقللون من الطعام ويزدردون كثيراً واطعمتهم غليظة ليعتادوا ان لا يملأوا معدهم · ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم · وكثيراً ما يريدونهم على التطاعن بالارجل والاكف · و يساطون في عيد ارتيميس حتى تسيل دماؤهم امام هيكلة و ربما مات بعضهم متأثراً من الضرب على انهم فلما يستغيثون فيرون الشرف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريبهم على ان يقتتلوا ويحتملوا العذاب والالم · وكثيراً ما يمنعون عنهم الطعام بتاتاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً · وكان من احد اولاد الاسبارطيين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وخبأه تحت ثوبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب ينهشه على افتضاح امره واظهار فعلته · وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التخلص في الحروب فيسيرون غاضين ابصارهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة كأنما على رؤوسهم الطير امام الهياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام و يطيعوا كل من يلقونهم وذلك لكي يخضعوهم للنظام ·

البنات — اما سائر اليونانيين فيحجبن بناتهم في البيوت ويشغلنهم بحياكة الصوف · اراد الاسبارطيون ان يقووا اجسام نسائهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء من الاولاد فمن ثم كانوا يربون البنين على غرار البنات الاّ قليلاً · ولقد كانوا يتمرنون في رياضاتهم على الركض والقفز ورمي الأطر والطعن بالحراب · وقد وصف شاعر ألعاباً كانت فيها البنات كالمهارى مسترسلة شعورهن والغبار ثائر وراءهن وقد اشتهر من امرهن انهن كنّ اصح نساء يونان واشجعهن ·

التهذيب — حياة الرجال منظمة ايضاً كحياة الجند اذ قضت الحال ان لا تنثني عزائمهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جندياً و يظل كذلك الى الستين · فكانت الازياء وساعة القيام والمنام والطعام والرياضات محددة معروفة بنظامات كما هو الحال في ثكنة الجند اليوم · فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب . فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح و يروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه وذراعيه وكتفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يحرث ارضاً فهو جندي وليس عليه ان يحيد عن مهمته بمعاطاة اي عمل كان ، وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام زمراً زمراً ولا يخرجون من بلادهم الا باذن وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام — قاسى هؤلاء المحاربون شظف العيش فكانت سحناتهم صفيقة تقرأ فيها العجب والخيلاء وكانوا يختزلون الكلام اختزالاً . وهذا ما يسمى بالكلام الموجز وبالافرنجية (لا كونيك نسبة لمقاطعة لا كونيا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعث الى حامية على خطر من مباغتة العدو لها برسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) وقد اخطر ملك الفرس جيشاً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذه » ولما استولى لزاندر على آثينة لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آثينة » .

الموسيقى والرقص — كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حربية بجيش . حمل الاسبارطيون معهم ضرباً من الموسيقى خاصة بهم كانت على جانب عظيم من الوقار والحماسة والكراهة في الاسماع وهي من ضروب الموسيقى العسكرية ، فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوغى على نغمات المزمار و يسيرون على الايقاع ؛ ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لجند فيرقص الراقصون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين و يتابعون عامة حركات القتال و يشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحراب .

بأس النساء — عرف النساء بتحميس الرجال على القتال واشتهرت آثار شجاعتهن في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قتلت امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الزحف قائلة « ان نهر الاوروتاس لا يجري ليشرب منه الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا قالت ليس هذا ما اسألكم عنه فهلا كتب النصر لاسبارطة فلما اجيبت بالايجاب قالت اذاً فلنحمد الآلهة ولنشكر لهم » .

الترتيبات

الملوك والمجلس = للاسبارطيين اولاً كما لسائر ابناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار ندوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من نسل المعبود هيراكليس يشرفون و يكرمون ولهم حق التصدر في المواضع الاولى في المآدب ويقدم لهم من الطعام ما يكفي اثنين واذا مات احدهم يلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادنى حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال الغنية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يجدد انتخابهم كل عام و يناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ و يقررون ماينبغي باتفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات و يطلعونهم على ما تم من القرار و يطلبون اليهم ان يصدقوعليه اماالامةفانهاتستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي عُلمت الخضوع وان لا تعانداصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة أسرات حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة بلاد مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المرؤوسين ولم يكن لهم شيء من الحكم البتة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احتفظ الاسبارطيون باخلاقهم الجبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل انهم انصرفوا كلهم الى الحروب وحذقوا علم الكر والفر ايما حذق وغدوا من المقننين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعملين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انتظام فيمتطي الزعماء صهوات الخيول او عجلات خفيفة و يتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعونهم مشاة وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قدداً وليس في وسعهم ان يكونوا يداً واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات ثم الى مذابح . اما في اسبارطة فللمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعاً يغطي النصف الاعلى والخوذة تقي الرأس والمسامي (الطاقات) تقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الجسد . اما وسائل هجومهم فسيف قصير ورمح طويل . ويسمى المسلح على هذه الصورة باسم ايبوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وشراذم على مثال ترتيب جيوشنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات و يبلغ رجاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأتى للقائد العام ان يوحد حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي نراها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب .

مصاف الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأخذون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى جحافل ومصافًا ويقدم الملك وهو قائد الجيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا تفاءلوا باحشاء الذبيحة تفاؤلاً حسنًا يبدأ جماعة من الجند يرددون لحنًا وعندئذٍ تهتز صفوفهم فيباغتون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونغمات المزمار والرمح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراصة فينكسون اعلامه بمجموعهم ووثوبهم ويهزمونه ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسنى لكل جندي ان يحمي اخاه مادام سير الجيش كتفًا الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص يتعذر على العدوّ ان يجد الى خرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كثيفة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيش مشوش وقلما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقتدوا جميعهم بالاسبارطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حيثما حلوا مدججين بالسلاح وقاتلوا جحافل وكتائب متراصة .

الرياضة الجسمية = اقتضى تدريب رجال خفاف اقوياء لتتسنى مهاجمة العدوّ في مثل تلك الصفوف وتنكيس اعلامه لاوّل وقعة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن ثم رتب الاسبارطيون الرياضات البدنية واقتدى بهم سائر اليونانيين فاصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكثر اعمالها اعتبارًا ما يكلل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برابرة الغول او البحر الاسود وثبت انها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مربعة عظيمة تحيط بها اروقة او دهاليز وهي في الاغلب على مقربة من نبع وله حمامات وقاعات للتمرين . فيحضر السكان الى ذاك المكان للنزهة والمحادثة فهو اشبه بنادٍ وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الإطار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الجسد لتقوية العضلات والجلد وينغمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالزيت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون = معظم الاسبارطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لإباء ومروءة فلا يعتمون ان يصبحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم خوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل ثورًا على كتفيه ويوقف عجلة وهي راكضة بان يمسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيرًا ما يقومون بقيادة الزحوف وبهذا صح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسبارطيين = تعلم الاسبارطيون من اليونانيين الترؤض والقتال وجاءمنهم

مصارعون اقوياء اشداء وجند منظم وعرفوا بهذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتخاذ الاسبارطيين زعماءهم . قال خطيب آثيني وكان هذا الامر بحجة صحيحة واستحقاق تام .

أ ألكني ياضياء

أ جدَّك يا كواكب لا تُرينا بيانًا منك يخبرنا اليقينا
كأنَّ العالم العلويَّ سِفرٌ نطالعه ولسنا مفصحينا
نحاول منه اعراب المعاني بتأويل فنرجع معجمينا
كواكبُ في المجرة عائمات حكت في بحر فسحتها السفينا
سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا
شموس في السماء علت وجلت فظنوا في حقيقتها الظنونا
سوابح في الفضاء لها شؤون ولما يعلموا تلك الشؤونا
وما ارتجفت بجنح الليل إلاَّ لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلَّ لها بهذا الجوِّ شأنًا سوى ما نحن فيه مرجمونا
تلوح على الدجى متلألئات فتبهج في تلألؤها العيونا
وأنى يدرك الرائي مداها وان ألقى لها نظرًا شفونا
تود الغانيات اذا رأتها لو انتظمت لها عقدًا ثمينا
تقلده على اللبات منها وتطرح الدمالج والبرينا

***

أ ألكني ياضياء الى الدراري رسالة مسهر فيها الجفونا
لعلك راجع منها جوابًا يزيل عماية المتحيرينا
فقل اني تحير فيك فكري كذاك تحير المتفكرونا
فيا أمَّ النجوم وانت أمٌّ ايولد فيك كالارض البنونا
وهل فيك الحياة لها وجود فيمكن للردى بك ان يكونا
وهل بك مثل هذي الارض ارض وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقًا وخلقًا هناك فيأكلون ويشربونا

وهل هم في الديانة من خلاف نصارى او يهود ومسلمونا
وهل طابت حياة بنيك عيشاً ففوق الارض نحن معذبونا
وهل حسبت بك الايام حتى تألف من تعاقبها السنونا
وهل بالموت نحن اذا خرجنا عن الاجساد نحوك مرتقونا
فنبقى عندك الارواح منا تصان فلا ترى جنفاً وهونا
فاحبب بالمنون اذاً واحبب بها ان كان سلمك المنونا

***

ابيني ما وراءك يادراري فنحن نخاله بعداً شطونا
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً فهل ابعاده بك ينتهينا
وصغرك ابتعادك فيه حتى اليك استشرف المتشوفونا
فهل كان ابتعادك من دلالٍ علينا ام بعدت لتخدعينا
خوالد في فضائك انت ام قد يحل بك الفناء فتذهبينا
وقالوا ما لعدتك انتهاء فهل صدقوا او ارتكبوا المجونا
وقالوا الارض بنتك غير مين فهل ابناء بنتك يصدقونا
وقالوا ان والدك المفدى اثير في الفضاء أبى السكونا
ترصدك الانام وما اتانا بعلم كيانك المترصدونا
(فهرشل) ما شفى منا غليلاً ولا (غاليل) انبأنا اليقينا
و(كبلر) قد هدى او كاد لما ابانك يا نجوم تجاذبينا
الى كم نحن نلبس فيك لبساً ومن جراك ندرع الظنونا
لعل النجم في احدى الليالي سيبعث للورى نوراً مبيناً
تقوم له الهواتف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

بغداد معروف الرصافي

خرائب مدينة بمبي

كان اسم بمبي يطلق في القرون الخالية على مدينة انشأها الرومان في سفح جبل يزوف (في ايطاليا اليوم) مدينة توفرت فيها دواعي الهناء فاحبها عظماء البلاد واصحاب الوظائف العليا فكانت مباءتهم في تلك الجنة . شادوا قصوراً يختلفون اليها في الاحايين ليسرُّوا عن انفسهم الهموم ويجددوا ما فقدوا من قواهم في مشاغل السياسة .

ومما كان يزيد جمال تلك المدينة انهم كانوا يزينون جدران بيوتها ومنازلها بانواع النقوش الملوّنة بالالوان السبعة المعروفة وفي آخر كل من الشوارع كان نبع يجلس بجانبه المرء وامامه الحدائق الغناء يشرف على بحر الروم وتتجلى له المناظر البديعة فيخال انه في جنان السماء ويتمنى لو يبقى هناك ابد الدهر . الى هنالك كان الناس يتقاطرون فرادى وازواجاً فيفرج المكروب كربته ويتناسى المنكوب نكبته ويزيد عدد المتنزهين يوم تروق السماء فيجتمعون على تباين المشرب وقد تحلى بعضهم بالملابس الارجوانية وجلس الآخر على مقاعد الرخام يستظلون بالمظال وامامهم الموائد الفاخرة وقد وضعوا عليها الخمور والثمار وزينوها بالزهور والانوار فكان البيت في تلك المدينة يبدو كقصر صغير والقصر لا يقل في فخامته عن قصور هذا الزمان او هياكل اسلافنا الاولين .

كانت مساكن عظماء الرومان في بمبي مثال الرونق والجمال ونموذج الابهة والكمال يفد على احد تلك القصور زائر فيجتاز المدخل المزين بالعمد الكثيرة ثم يأتي الردهة العظمى التي كان صاحب المنزل يستقبل الضيوف فيها بالحفاوة والاكرام ويصغي الى شكاوي المظلومين ويسمع مصانعات المنافقين وفيها كان يودع ماله يضعه في صناديق الحديد ويكل امره الى رب المنزل . ثم يفضي المتفرج الى غرفة اخرى قد دفت ارضها بالفسيفساء وزخرفت حيطانها بالنقوش وانواع الصور ورصعت بالفصوص الذهبية والياقوت وسائر انواع المعادن الثمينة وفيها كانوا يحفظون سجلات الأسر واخبارها لاول امرهم وكان في المنزل غرف متعددة مهيأة لتناول الغذاء وحجر للنوم مزوّقة مزخرفة وغرف اخرى تجعل فيها العاديات والاحجار الكريمة .

ثم ينتهي المتفرج الى غرفة واسعة اعدت لمحاكمة المذنبين وهذه تفضل سائر الغرف لانها كانت تطل على حديقة وفيها جميع انواع المبهجات فمن ثمر يفتن النواظر بالوانه المتفاوتة ومن ينابيع تنبعث مياهها الى كل صوب وتلطف الهواء ينشا عنها اصوات تشنف الآذان ومن اوان خزفية زرعت فيها زهور نادرة الوجود والى جانب هذه وضع بعض انصاب الرجال العظماء

وكانت النقوش على حوائط القصر تمثل بعض المشاهد في اساطير اليونان كالاستيلاء على اوروبا ووقعة لامازون وكثير من هذه المناظر لا يزال محفوظاً في متحف نابولي المشهور. وصوّروا على باب القصر صورة كلب وكتبوا في اسفلها احترز من الكلب اشارة الى أُسطورة من اساطيرهم . وكانت تلف عمد المحكمة باكاليل صنعت من الزهور تبدل كل صباح. والموائد كان يعمل اكثرها من شجر الليمون الحامض وتزين بالنقوش العربية وكانوا يهتمون جدًّا بالاسرَّة فيصنعونها من النحاس والذهب والجوهر ويضعون فيها المساند الكثيفة ويزوّقونها بشغل الابرة الذي لم يفقهم فيه احد .

وكان صاحب القصر اذا أدب مأدبة لاهل الوجاهة والمكانة لا يألو جهده في تجهيز كل ما من شأنه ابهاج الزائرين فيجلس الضيوف على مقاعد الردهة متكئين على المساند ثم يغسلون ايديهم في الاواني الفضية وينشفونها بالمناشف الملوّنة بصباغ الارجوان ثم يتناولون الاطعمة ويأكلون الفواكه الموضوعة في اوعية ذهبية . وكانوا يأتون في اشد ايام الحر بالثلج ويستعملونه على الاخونة لتبريد الماء وانعاش الجسم .

وكان من يديرون كؤوس الخمر على الحضور في خلال المأدبة يقدمون لهم من افخر خمور الدنيا وفريق آخر من الخدم يرقصون لاطراب الزائرين واصحاب الغناء يوقعون الالحان ويغنون شيئًا من اغاني هورس او انقريون واذا انتهت الوليمة تنبعث المياه العطرة بغتة من قساطل لا ترى فتؤرج كل ما تحويه الردهة وتنتعش نفوس الجماعة ثم تبرز موائد اخرى وقد فرشت عليها صنوف الطعام فتعيد قابلية الضيوف ويأكلون ما لذ لهم اكله ثم تختفي هذه الموائد وتبرز بدلاً منها موائد اخرى يلعب عليها بعض اعضاء مجلس الاعيان والقناصل والحكام بالنرد فيخسرون الممالك او المقاطعات بهذه اللعبة او يربحون . هذا الفساد طرأ على أمة الرومان في ابتداء هبوطها . ويعقب هذه المشاهد مشهد الرقص يقوم به زمرة من الفتيات يدهشن الناظرين بما يأتينه من التفنن في ضروب الرقص الغريب ويغنين من الاغاني ما يسبي القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس .

هكذا كانت احوال بمبي في اواخر القرن الاول بعد الميلاد يؤمها المتنزهون من اطراف البلاد ويفضلونها على منازه الدنيا . طرأت عليها نازلة جائحة في الثالث والعشرين من شهر اغسطس عام تسعة وسبعين والناس فيها منغمسون في الملاهي دهمتهم طوارق الحدثان وثار بركان يزوف في ظهيرة ذلك النهار وطفق يقذف الرماد والحمم من جوف الارض ويدفعها الى المدينة فطبق الدخان كل ناحية . دخان كثيف اسود كالقار احال صفاء المكان ظلمة مدلهمة فعقبه انين وعويل وشتائم المنكوبين بعضهم بعضًا في ساعة اضاع فيها الاخ

اخته والعروس عروسه والزوج زوجته والام ولدها في آن تعذر على الانام ان ينظروا من الموجودات سوى لمعان كان يلمع من قمة البركان .

فمادت الارض بسكانها وتزعزعت القصور من اركانها وبدأت المنازل تهدّم واصحابها يستجيرون ولا مجير فيرحم والبحر يتراجع عن اليابسة كأنه ارتعد فرقًا من ثوران بركان يزوف وهيجانه وكثف الهواء بما انقذف اليه من الغبار ثم تراكمت كل هذه المقذوفات وحملت الى المدينة فطمرتها ابد الدهر ومحتها من هذا الوجود .

ادرك اهلها الموت وهم منغمسون في لذائذ الحياة فهلك الضيوف في ردهات القصور وربات الحجال في الخدور والجند في ثكنهم والسجناء في محابسهم ومطابقهم والارقاء بقرب الينابيع حيث كانوا يتنزهون واصحاب التجارة وهم يبيعون السلع في مخازنهم وطلبة العلم وهم بين المحابر والدفاتر وحاول بعضهم الهرب فقادهم العميان الذين تعوّدوا السير في حالك الظلمات فبغتهم البوار وانقلب الناس من المدن المجاورة الى بمبي بعد تلك النازلة ببضعة ايام فلم يلفوا هنالك سوى بقعة مغطاة بالرماد وفي الاعماق طمر ألوف من البشر ورقدوا رقادًا لم يعقبه قيام . طمروا فطمرت معهم لذائذهم وعفت من بعدهم آثار مدينتهم وتقوّضت معالمها

وقد تسنى لها في القرن الثامن عشر اشخاص تمحضوا لدراسة الآثار فطفقوا ينقبون في تلك البقعة وبعد ان تكبدوا المشاق وجدوا المدينة في الحالة التي طمرت بها فبعض المنازل لم يزل ثابتًا وبعض النقوش لا تزال ظاهرة وهياكل الموتى موجودة في الاماكن التي ادرك الموت اصحابها فيها منذ عهد سحيق فالسجين لم يزل مغلولاً بالاغلال والعروس لابسة سلاسل الذهب والاساور والشحيح قابضًا على درهمه والكهنة مختبئين في اجواف تماثيل اربابهم المجوفة ليخدعوا اتباعهم الى آخر ماهنالك من المناظر المدهشة والمشاهد المذهلة

هذه آثار دولة الرومان التي خفق نسرها في كل جوّ وعقدت رايتها في كل ارض فكأنك في درسك آثار بمبي تستطلع اخبار الرومان ايام كانوا في اعلى ذرى رقيهم وسيطرتهم وتجلى لك مظاهر حضارتهم منذ ظهورهم مضافة اليها مظاهر التمدن اليوناني التي نقلها الرومان عن اليونان والمظاهر التي اقتبسها هؤلاء عن أمم المشرق التي كان لها في القدم الكعب الاعلى في العمران وقد انقرضت كأنها لم تكن تلك سنة الكون تغير دائم تصدق على جميع العوالم ولا تزال تفعل في هذه الموجودات حتى ترجع بها الى العدم كما كان الحال في غابر الازمان .

يافا

خليل الخوري

قصيدة مجهولة للسموأل

نشرت بعض المجلات والجرائد العربية منذ بضعة اشهر قصيدة نسبها الناشر الاوّل لها وهو الاستاذ مرجليوث الانكليزي الى السموأل الشهير ثم وجدت منها نسخة ثانية في الموصل اصح رواية من الاولى . ثم وجدت منها نسخة ثالثة اصح رواية من السابقتين وجدت في بغداد . وذلك بينا انا ابحث في كتبي على احد شعراء بغداد في القرن المنصرم ورد ذكره في مخطوطٍ نفيس عندي فعثرت على قصيدة السموأل ولما انعمت النظر فيها وجدتها قليلة الضرائر الشعرية والاغلاط النحوية وألفيتها تختلف الرواية عن النسختين المذكورتين فجئت اتحف بها قراء المقتبس واصفًا لهم المخطوط مع بعض الانتقاد لهذه المنظومة .

وردت القصيدة في الصفحة ٢٧٤ من مخطوطنا وقد ترجمت بهذا العنوان . «هذه القصيدة للسموأل من بني قريظة لا للسموأل من بني غسان» . واليك الآن نصها مع الضبط المشكول بكل تدقيق وامانة :

الا ايها الضيف الذي عاب سادتي ... ألا اسمع جوابي لست عنك بغافل
ألا اسمع لفخرٍ يترك القلب مولهاً ... وينشب نارًا في الضلوع الدواخلِ
فأحصي مزايا سادةٍ بشواهدٍ ... قد اختارهم رحمانهم للدلائل
قد اختارهم عقماً عواقر للورى ... ومن ثَمَّ ولاَّهم سِنامَ القبائل
من النار والقربان والمحن التي ... لها استسلموا حب العلا المتكامل
فهذا خليلٌ صير النارُ حولهُ ... رَياحين جنات الغصون الذوابل
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكبشهِ ... يَراهُ بديهاً لا نِتاج الثياتل
وهذا رئيس مجتبيً ثمَّ صفوهُ ... وسماهُ اسرائيلَ بِكرَ الاوائل
ومن نسله السامي ابوالفضل يوسف الـ ... ـذي اشبع الاسباط قمح السنابل
وصار بمصر بعد فرعون امرهُ ... بتعبير احلام لحلِّ المشاكل
ومن بعد أحقاب نسوا ما اتى لهم ... من الخير والنصر العظيم الفواضل
ألسنا بني مصر المنكلة التي ... لنا ضربت مصرٌ بعشر مناكل
ألسنا بني البحر المفرّق والتي ... لنا غرّق الفرعون يومَ التجامل
واخرجهُ المبدي الى الشعب كي يرى ... اعاجيبه مع جوده المتواصل
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها ... من الذهب الابريز فوق الحمائل
ألسنا بني القدس الذي نصبت لهم ... غمامٌ تقيهم في جميع المراحل

من الشمس والامطار كانت صيانة تجـير نواديهم نزولَ الغوائل
ألسنا بني السلوى مع المن والذي لهم فجر الصوّان عذبُ المناهل
على عدد الاسباط تجري عيونها فراتًا زلالاً طعمهُ غير حائل
وقد مكثوا في البرّ عمرًا مجدّدًا يغذيهم العالي بخير المآكل
فلم يبلَ ثوب من لباس عليهم ولم يحوجوا للنعل كلَّ المنازل
وارسل نورًا كالعمود امامهم ينير الدجى كالصبح غير مزايل
السنا بني الطور المقدَّس والذي تدخدخ للجبار يوم الزلازل
ومن هيبة الرحمان دُكّ تذللاً فشرّفه البادي على كل طائل
وناجي عليـهِ عبدَهُ وكليمهُ فقدّسنا للرب يومَ التباهل اه

فمن قابل بين هذه الرواية والروايتين الأُوليين يحكم ان هذه اصح من تينك . وان هذه نقلت عن اصل اصدق روايةً من النسختين اللتين أُخذت عنهما الروايتان الافرنجية والموصلية . يظهرُ ذلك من مقابلة بعض الالفاظ مثلاً قد ورد في القصيدتين الاوليين هذا البيت :

فهذا خليلٌ صير الناس حوله رياحين جنات الغصون الذوابل

فهذا لا معنى لهُ وهو محرَّف والاصح ما في نسختنا اي « صير النارُ حوله » وورد ايضاً قوله في النسختين : « بتعبير تدبير لحل المشاكل » والتدبير لا يعبر وانما تعبر الرؤى والاحلام ومنه ما انشده المبرد في الكامل لبعض الاعراب :

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا

وعليه فروايتنا اصح ايضاً في هذا البيت وقول النسختين :

من الشمس والامطار كانت صيانة تجيز عساكرهم لهوف الغوائل

فهذا مكسور البيت فضلاً عن اضطراب معناه في قوله « لهوف الغوائل » والاصح ما جاء في روايتنا « تجيرُ (بالراء المهملة) نواديهم نزول الغوائل » لان الغوائل تنزل بالمرء وبهذا المبنى والمعنى ورد اغلب كلام العرب كما هو مشهور وجاء في النسختين :

وارسل نورًا كالعمود امامهم ينير الرجا كالصبح غير مزائل

فهذا البيت لا يخلو من المعنى . لكن من لا يرى ان هذا البيت مصحف الرواية وان الصحيح « ينير الدجى » بالدال المهملة لا بالراء كما يتضح للقارىء لادنى تأمل

واما البيت الاوّل على رواية النسختين فلا يخلو من معنى بقوله : « الا ايها الصنف » لكن نوع التصحيف فيه بادٍ لكل ذي عينين والاصح : « أَلا ايها الضيف » اما ناظم هذه القصيدة فلا نظن قط انها للسموأل بن عادياء فاين هذا الشعر من قوله :

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل ٠٠ الخ

ففي هذا النظم من محكم المبنى ومتانة المعنى ما لا يرى له اثرٌ في هذه القصيدة ولعل سبب وهم الناس في نسبتها الى السموأل بن عادياء توافق في اسم ناظم آخر عرف باسم السموأل لان هذا الاسم يوافق شموئيل وشموئيل او شميل ورد لا لوف من اليهود ففي نسبتها الى واحدٍ من بني قريظة امكان لان هؤلاء محقوا بعد الاسلام بقليل اما لانهم دانوا بالاسلام او لانهم هجروا وطنهم ولحقوا باخوانهم خارج بلاد العرب فلم يصل الينا من شعرهم الا النزر القليل وعلى كلٍ فليس هذا من نظمهم او نظم بعضهم لان « تعبير النصرانية الحديث » ظاهر من خلال النظم يشف عن حداثة وضعه لان ورود كي وكيما في الشعر الجاهلي قليل ونادر وهاتان اللفظتان قد وردتا تباعاً في هذين البيتين :

واخرجه المبدي الى الشعب كي يرى اعاجيبه مع جوده المتواصل
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها من الذهب الابريز فوق الحمائل

ثم انظر الى قوله :

الا اسمع لفخر يترك القلب مولهاً وينشب ناراً في الضلوع الدواخل

فهل من ضلوع تكون خوارج حتى تنشب النار في الدواخل منها ٠ فلا غروَ ان في هذا التعبير لغوا وتكلفاً لا يأتيهما واحد من اهل الجاهلية ولو اردنا ان نقبل الروايتين الاولين فلا يمكننا الا ان نضرب بهذا النظم عرض الحائط اذ فيهما من الاغلاط الفظيعة ما لا يرتكبه اضعف طلبة المدارس في يومنا هذا فكيف يعزى الى ناظم بليغ كالسموأل ابن عادياء الغساني ٠

ومما يشهد ان يداً غريبة تصرفت بهذه الابيات البيت الاخير الذي ورد في القصيدة الموصلية ولم يرد في الرواية الافرنجية ولا في الرواية البغدادية وهو هذا :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

فما معنى « سلام التكامل » ثم اننا اذا اقررنا بنسبة هذه الابيات الى السموأل المشهور وهو يهودي قحٌ كما تشهد عليه جميع كتب العرب فلا يمكن ان يقول مثل هذا الكلام وكذلك اذا نسبناه الى يهودي آخر ٠ فلا جرم ان ناظم هذا البيت الاخير مسيحي النحلة (١) لاقراره بمجيء المسيح (٢) لانه زاد هذا البيت بدون ان ينظر الى تسلسل التشابيه والرموز فجاء به تهجماً بدون ادنى مراعاة لما ورد قبله (٣) لو قيل لنا ان السموأل بن عادياء كان من غسان وغسان كانت كلها نصارى قلنا ان دعوى ان السموأل كان مسيحياً فجميع مؤرخي العرب وكتبتهم وادباؤهم فضلاً عن ان غسان لم تكن كلها على النصرانية مخالفون لها فقد

كان فيهم من يعبد الاصنام ومن اوثانهم مناة . قال ياقوت في معجمه : هذا اسم صنم في جهة البحر مما يلي قديدًا بالمشلل على سبعة اميال من المدينة . وكانت الازد وغسان يهللون له ويحجون اليه وكان اول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي ... اه . ومنهم من كان على دين دهاء العرب كسطيح بن ذئب الكاهن المشهور فلم يكن نصرانيًا البتة . وقد جاء في تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧ — (وكانت تلبية غسان عند وقوفها امام صنمها لبيك رب غسان راجلها والفرسان) اه وقال في ص ٢٩٨ (وتهوَّد قوم من غسان) . وقال في ص ٢٩٩ وتنصر ... غسان وهذا كلام يدل على ان النصرانية واليهودية كانتا في غسان لاالنصرانية وحدها وقال الطبري في تاريخه ١ : ١٧٦ (وكان الحارث بن ابي شمر الغساني نذر سيفين كانا له لبيت الصنم يقال لاحدهما رسوب وللآخر مخزم) اه فهذا نص صريح على انه كان وثنيًا مشركًا وكل من وقف على النسختين السابقتين وعلى نسختنا يعرف بنفسه ما في نسبة هذه القصيدة الى السموأل من الشطط . اما اسم مخطوطنا فهو « نيل السعود في ترجمة الوزير داود » كتب سنة ١٢٣٢ وعدد صفحاته المكتوبة والبيضاء ٣١٤ وطول الصفحة ٢١ سنتمترًا في عرض ١٣ وهو مصحف بجلد احمر ومؤطر بخطين احمرين مزدوجين وفي الوسط خطان متآزيان على بعد سنتمتر واحد والقرطاس المخطوط من النوع المسمى بالترمذي المشهور عند العامة بالترمة . وتبتدي الصفحة الثالثة بقصيدة لناظمها الملا جواد البصير يمدح بها والي بغداد والبصرة وشهرزور داود باشا ثم تليها عدة قصائد في مديحه ايضًا بخط حسن وهي لعدة شعراء عراقيين مجهولين اليوم ولا نعرفهم الا مما بقي مدوّنًا من قريضهم في هذه المجموعة وهذا وحده كاف لان يعرفك منزلة هذا الديوان النفيس اذ بواسطته نعرف عدّة شعراء عراقيين من بصريين وحلبيين وبغداديين وغيرهم .

وقد بلغت عدّة القصائد في مديح الوزير ستًا وسبعين ثم يتلوها قصائد أُخرى مختارة من نظم الاقدمين والمولدين ومعاصري الكاتب ثم يتلو ذلك منتخبات من كتب الحديث والادب والاقوال المأثورة المشهورة مختلفة الموضوعات والاغراض وكلها من انيق النثر والنظم ومما يزري ضياء حسنه ببهاء النجم واغلب ما جاء في هذا الديوان لم اعثر عليه في الكتب المطبوعة . جمعه مؤلفه من عدة كتب مخطوطة عزيزة المنال . ومما فيه ابواب في الاحاديات والثنائيات والثلاثيات ثم ديوان مرتب القوافي على حروف المعجم لعدة شعراء وكلها قصائد غراء آخر قصيدة منها دالية لابن حجة . ومن غريب ما في هذا الديوان بيت شعر لبديع الزمان الهمذاني وهو يقرأ من احد عشر وجهًا . وهو من اعجب ما جاء في هذا الصدر ونحن نورده هنا لما فيه من الغرابة . ودونك اياه بنصه ومواقع الحبر الاحمر منه .

(كفى)نا بأنا في زمان مذمم يذاد عن الحق المبين ويدفع
(حزنًا) أنا نزور معاشرًا فنهمل فيما بينهم ونضيع
(اني) اقول مقالة فيمنعني منها اللئيم ويقمع
(بدار) اراذل قلوبهم غيظًا عليَّ تقطع
(مذلة) وليس بها حرّ من الناس ينفع
(ارى) كل من فيها عن الحق يدفع
(الذل) فيها دائمًا ليس يقطع
(من) ارجائها يتنوَّع
(أ) كنافها يتسرع
(ملاكها) ينفزع
(يتوقع)

وفي الوجه ٢٩٧ من هذا الديوان صور لبعض الرسائل التي دارت بين خان الحويزة ورستم اغا بشأن معركة البصرة سنة ١١٥٦ وهي من الآثار التاريخية التي يحرص عليها الباحث كل الحرص لانها لا توجد في غير هذا الكتاب النفيس وتقع في اربع قوائم ونيف مشتبكة السطور محبوكة الحروف وفي الصفحة ٣١٣ قصيدة للسيد عبد الغفار الموصلي مكتوبة بقلمه على ورقة طيارة فاخذها جامع الديوان وقطعها قطعًا محكمًا يناسب شكل الصفحة محافظة على خط الناظم وهو من مشاهير شعراء القرن الماضي . وهذه القصيدة هي الدرة الثمينة لانها هي وحدها محفوظة بخطه فلا يحفظ من خطه غيرها وبها يختم الكتاب وليس في صفحة من صفحاته ذكر اسم جامعه .

بغداد ش ١٠

صحف منسية

كتاب الاشربة — لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

قال العتبي شعرًا ذكر فيه كثيرًا من مقابح السكر : (بسيط)

دع النبيذ تكن عدلاً وان كثرت ‌ ‌ فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
هوالمشيد(١) باسرار (٢) الرجال فما ‌ ‌ يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظلَّ يشهرها (٣) ‌ ‌ من دونها تستر (٤) الابواب والكلل
اضحت كنار على علياء موقدة ‌ ‌ ما يستسر (٥) لها سهل ولا جبل
والعقل علق (٦) مصون لو يباع لقد ‌ ‌ الفيت ’بياعه يعطون (٧) ما سألوا
فاعجب لقوم (٨) مناهم في عقولهم ‌ ‌ ان يذهبوها بعلٍّ بعده نهل
قد عقدت لخمار (٩) السكر السنهم ‌ ‌ عن الصواب ولم يصبح بها علل
وازرت (١٠) بسنات النوم اعينهم ‌ ‌ كأنَّ احداقها حول وما حولوا
تخال رائحهم من بعد غدوته ‌ ‌ حبلى اضرَّ بها في مشيها الحبل
فان تكلم لم يقصد لحاجته (١١) ‌ ‌ وان مشى قلت مجنون به خبل

قالوا وانما قيل لمشارب الرجل نديمه من الندامة لان معاقر الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه فقيل لمن شاربه نادمه لانه فعل مثل فعله والمفاعلة تكون من اثنين كما تقول ضاربه وشاتمه ثم اشتق من ذلك نديم كما يقال جالسه وهو جليس وقاعده فهو قعيد ويدل على هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة : فيها انهار من عسل مصفى وانهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة . وحدَّثنا عبد المنعم عن ابيه عن وهب بن منبه انه قرأ (١٢) فيما قرأ (١٢) من الكتب ان الله تعالى لما لعن ابليس واخرجه من الجنة قال : يارب لعنتني وجعلتني شيطانًا رجيمًا وانزلت الكتب وبعثت الرسل فما رسلي ؟ قال : رسلك الكهنة . قال : فما كتابي ؟ قال : الوشم . قال : فما حديثي ؟ قال : حديثك الكذب . قال : فما قراءتي ؟ قال : قراءتك الشعر . قال : فما مؤذني ؟

---

(١) في الاصل المسيد (٢) في العقد اخبار (٣) في الاصل يسبرها (٤) في الاصل ستر (٥) في العقد يستسن (٦) في العقد عقل (٧) في العقد اضعاف (٨) في العقد بقوم (٩) في العقد بخمار (١٠) في العقد وزررت (١١) في النص بحاجته (١٢) في الاصل قرى

قال : موٌذنك المزامير . قال : فما مسجدي ؟ قال : مسجدك السوق . قال : فمابيتي ؟ قال : بيتك الحمام . قال : فما طعامي ؟ قال : طعامك كل ما لم يذكر اسمي عليه . قال : فما شرابي ؟ قال : شرابك كل مسكر . قال : فما مصائدي ؟ قال : مصائدك النساء .

وكتب عمر بن عبدالعزيز الى عدي بن ارطاة (١) حين تتابعت الاخبار عليه وتتابع الناس في الاشربة المسكرة على التأويل : اما بعد فانه قد كان من امر هذا الشراب امر ساءت فيه رغبة الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام وهم يقولون شربنا شراباً لا بأس به وان شراباً حمل الناس على هذا لبأس شديد واثم عظيم وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من اشربة كثيرة ليس في الانفس منها حاجة : الماء العذب واللبن والعسل والسويق واشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب في اسقية الادم التي لا زفت فيها فانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الظروف المزفتة وعن الدنان والجرار وكان يقول : كل مسكر حرام . فاستغنوا بما احل الله عما حرم فانه من شرب بعد تقدمنا اليه اوجعناه عقوبة ومن استخفى فالله اشد بأساً واشد تنكيلا . (٢)

وحدثني القطعي عن الحجاج عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن : قال اذا دخلت على اخيك فكل ما اطعمك واشرب مما سقاك . قال : يا ابا سعيد انهم ينتبذون في الجرّ فقال : اوَ يفعلون ؟ ما كنت ارى ان احداً يفعله بعد كتاب عمر بن عبدالعزيز — يعني هذا الكتاب . قال وقد شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم اصدقاؤك (٣) ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وماغلت دنانك حتى تنزف وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك قال الشاعر (طويل)

اری كل قوم يحفظون حريمهم — وليس لاصحاب النبيذ حريم
اذا جئتهم حيوك الفاً ورحبوا — وان غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهمو ما دارت الكأس بينهم — وكلهمو رث الوصال (٤) سؤوم
فهذا ثباتي لم اقل بجهالة — ولكنني بالفاسقين عليم

وقال آخر (طويل)

بلوت النبيذيين في كل بلدة — فليس لاصحاب النبيذ حفاظ
اذا اخذوها ثمّ اغنوك بالمنى — وان فقدوها فالوجوه غلاظ

(١) عامله على البصرة وارضها (٢) لم اقف على خبر في كتب الطبري وابن الاثير لهذه الرسالة التي اتى صاحب العقد على نصها مع تغيير طفيف في ألفاظها (٣) في الاصل صديقك (٤) في العقد الحبال . وقدّم صاحب العقد هذا البيت على البيت السالف

مواعيدهم ريح لمن يعدونه بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان اذا ما الليل القى رواقه وقد اخذوها فالبطون كظاظ
براع (١) اذا ما كان يوم كريهة وأُسدٌ اذا أُكل الثريد فظاظ

وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله . قال المأمون لقوم : يانطف الخمار ومرابع الصؤور (٢) واشباه الخول(٣) وقال مسلم (٤) بن قتيبة : ان آل فلان اعلاج اوباش لئام غدر شرابون بانقع ثم هذا يعد في نفسه نطفة خمار في رحم طاحد (٥) وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة وسقوط المرتبة وتلف النفس فان الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته وادخله موضع انسه فيزين له الكأس غمزة القينة والعبث بالخادم والتعرض لحرمة وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء افشاء السرّ والقدح في الملك والتعرض للحرم . وقد بلغك من ذلك ما لا احتاج الى ذكره وقديماً بلي المعاقرون بمثل هذا من جرائر الكأس . وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة بن العبد لندامته فبين هو يوماً معه يشرب اشرفت اخته عليهما فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال (هزج)

ألا (يا) أيها الظبي الذي يرق شنفاه
ولولا الملك القاعـ ـد قد الثمني فاه

سمعه عمرو بن هند فكتب له كتاباً الى عامله بالبحرين واوهمه انه امر له فيه بجائزة وامر العامل بقتله فلما ورد على العامل سقاه من الراح حتى اثمله ثم فصد اكحله حتى نزف فمات فقبره هناك مشهور يشرب عنده الاحداث و يصبون فضل كؤوسهم عليه .

وروي ان رجلاً من طي نزل به رجل من شيبان يقال له المكاء فذبح له الطائي شاة وسقاه من الخمر فلما سكر الطائي قال للشيباني هلمَّ افاخرك اطيء اكرم ام شيبان ؟ فقال له الشيباني : حديث حسن ومنادمة كريمة احب الينا من الفخار . فقال الطائي : لا والله ما مدَّ رجل يداً اطول من يدي ! ومدَّ يده . فقال له الشيباني : اما والله لئن اعدتها لاخضبنها من كوعها ! فاعاد فضربه الشيباني فقتله فقال ابو زيد في ذلك لبني شيبان (خفيف)

خبرتنا الركبان ان قد فخرتم وفرحتم بضربة المكاء
ولعمري لعارها كان ادنى لكم من تقى وحق وفاء
ظلَّ ضيفاً اخوكم لاخينا في صبوح ونعمة وشواء
ثم لما رآه رابت به الخمـ ـر والا تريبه بانقاء

---

(١) البراع بفتح الباء هو الجبان (٢) في العقد ومرابع الطنبور (٣) في الاصل الحؤولة وفي العقد الحؤلة (٤) في الاصل سلم (٥) لعلها طامس

لم يهب حرمة النديم وحفت   بالقوم بالسوأة السوآء

قال : وربما طمس الخمار على العقل وربما ذهب بالبيان وغير الخلقة فعظم انف الرجل وحمرّ وترهل . قال جرير في الاخطل (كامل)

وشربت بعد ابي ظهير وابنه   سكر الدنان كأنَّ انفك دمل

شبهه بالدمل لحمرته وورمه . وقال آخر في حماد الرواية (كامل)

نعم الفتى لو كان يعرف ربه (١)   ويقيم وقت صلوته حماد

هدلت مشافره الدنان فانفه   مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه   فبياضه يوم الحساب سواد

قالوا : ومن شَرَبة النبيذ الشطارُ والخلعاء والمجان فحملهم الكأس على المجون ويحملهم المجون على ركوب الكبائر معلنين واتيان الفواحش مجاهرين ويرون اتم ذلك لذة اظهره وانقصه مسرَّة استره فقال قائلهم (طويل)

فبح باسم ما تأتي ودعني من الكنى   فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال ايضاً (وافر)

جريت مع الصبا طلق الجموح   وهان عليَّ مأثور القبيح

وربما كفروا بالله مجوناً وكذبوا الرسل وجحدوا بالنشور والبعث في حال شربهم . قال الوليد (رمل)

قربا مني خليلي   عبدلا دون الشعار

واسقياني وابن حرب   واسترانا بالازار

فلقد ايقنت اني   غير مبعوث لنار

سأروض الناس حتى   يركبوا دين الحمار

واتركا من طلب الجـ   ـنة يسعى في خسار

وهذا الشعر مما استحل الناس به دمه . وقال روح المعروف بابن همام (خفيف)

اسقني يا أسامه   من رحيق مدامه

اسقنيها فاني   كافر بالقيامه

وهو القائل : وانما الموت بيضة العقر

وقال ابو نواس (٢) . (وافر)

---

(١) في العقد وجهد (٢) شاعت نسبة هذين البيتين لابي العلاء المعري مع انهما قد سطرا في الصحف قبل ان يولد بمدة

تعلل بالمني اذ انت حي وبعد الموت من لبن وخمر
حيـاة ثم موت ثم بعث . حديث خرافة يا ام عمرو

وهو القائل ايضًا (خفيف)

فدعاني وما ألذُّ واهوى واقذفاني في بحر يوم الحساب

وهو القائل ايضًا يصف الخمر (رمل)

عنقت في الدَّنّ حتى هي في رقـة دين

وحدَّثنا دعبل الشاعر انه اجتمع هو ومسلم وابو الشيص وابونواس في مجلس لهم فقال لهم ابونواس : ان مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأْت كل امريء منكم باحسن ما قال فلينشدناه فانشد ابوالشيص (كامل)

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متـأخر عنـه ولا متقدَّم
اجد الملامة في هواك لذيذة حبًا لذكرك فليلمني اللوَّم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي طائعـًا يا من يهون عليك ممن يكرم

قال فجعل ابونواس يعجب من حسن الشعر حتى ما يكاد يقضي عجبه وانشد مسلم ابياتًا من شعره الذي يقول فيه (بسيط)

موفٍ على مهج في يوم ذي رهج كأنهُ اجل يسعى الى امل

قال : فقال لى ابونواس هات يا ابا علي وكأنني بك وقد جئتنا بأم القلادة (كامل)

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقلت : كأنك كنت في نفسي ثم سألوه ان ينشدهم فانشدهم (بسيط)

لا تبك ليلى ولا تطرب (١) الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

فلما بلغ الى قوله

تسقيك من عينها خمرًا ومن يدها خمرًا فمالك من سكرين من بد

قاموا فسجدوا له فقال: افعلتموها اعجمية لا كلمتكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا . ثم قال: تسعة ايام في هجرة الاخوان كثير وفي هجرة بعض يوم استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة . ثم التفت الينا فقال : علمتم ان رجلاً عتب على اخ له في المودة فكتب اليه المعتوب عليه: ان ايام العمر اقل من ان تحتمل الهجر (٢)

(١) في الاصل تضطرب (٢) وهنا في الاصل ما نصه : قال ناسخ الكتاب : خطر ببالي بيت من الشعر لبعض المحدثين يلائم هذا المعنى و يطابقه ويجانسه و يوافقه فاثبته لا متعمدًا للزيادة والنقصان اعوذ بالله وانما استحسنته فوصفته واستملحته فوضعته وهو قوله :

فهذه جرائر السكر قد ذكرنا منها ما حضرنا وهي اكثر من ان نحيط بها . قالوا : وشاهدنا على ان السكر والخمر شيء واحد من اللغة ان الخمر ما خمر (١) والمسكر يخمر فاسم الخمر يلزمه ووجدناهم يقولون لمن اعتقب الصداع وغلث النفس والارعاش من شرب الخمر مخمور وبه خمار ويقولون لمن اصابه مثل ذلك من المسكر الذي يسمونه نبيذًا مخمور وبه خمار والخمار مأخوذ من الخمر وهو اسم للداء الذي يصيب منها والادواء كثير تأتي على فعال نحو كباد لوجع الكبد والقلاب لوجع القلب والصفار والصداع والبوال والعطاس ولم نسمعهم يقولون لمن اصابه ذلك منبوذ ولا به نباذ . . فهذا ما للمغلظين فيه من القول والحجج . ونذكر ما للمطلقين له من الحجج والقول

حجج المحلين لما دون السكر

قال المطلقون : انما حرمت الخمر التي اجمع الناس على صفتها وكيفيتها بعينها وما سوى ذلك كائنًا ما كان فهو نبيذ ما دون المسكر (٢) منه حلال فسووا بين النقيع والطبيخ والحديث والعتيق والتمر والزبيب والمفرد والخليطين والسهل والشديد وما اتخذ من عصير العنب اذا ذهب منه الثلثان — لانه جاء في الحديث ان الثلثين حظ الشيطان — ورد عليه الماء واحتجوا بحديث ابن عباس : حدثنا زيد بن اخزم قال حدثنا ابوداود عن شعبة عن مسعر ابن كدام عن ابي عون الثقفي عن عبدالله بن شداد عن ابن عباس انه قال : « حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر (٣) من كل شراب » . وبحديث رواه يحيى بن اليماني عن الثوري عن منصور عن خالد بن سعد عن ابي مسعود الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف في البيت فأتي نبيذ من السقاية فشمه فقطب فدعا بذنوب من

العمر اقصر مدة من ان يصرم بالعتاب

رجع الحديث الى متصله وعاد الى منفصله اه فطرحنا هذا الاسهاب الذي لا نعهد نسبته لابن قتيبة والعياذ بالله !

(١) هذا اشتقاق يدل على بطلان مذهب النحويين والا فكيف يقال « ان الخمر ما خمر » (يعني ما اسكر) وهل تعرف تأثير الخمر قبل ان تعرف الخمر ؟ غير ان الخمر ما كانت تعرفها العرب فتلقتها واسمها من سكان الشام والعراق وهي تسمى بالسريانية حَمرَى (للونها) ولا فرق في اللغات السامية بين الحاء والخاء الا ان الخاء حديثة ولا تلتقي في العبرانية والسريانية وهذا يهديك الى ان تعرف ان علم الاشتقاق علم تاريخي اكثر مما هو لغوي .

(٢) في الاصل السكر (٣) في الاصل السكر

ماء زمزم فصب عليه فشرب فقال له رجل آخر امرٌ هو يارسول الله ؟ قال : لا · وحديث رواه عبدالرحمن بن سليمان عن يزيد بن ابي زياد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ وهو راكب معه محجن كلما مرَّ بالحجر استلمه بالمحجن حتى اذا قضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم اتى السقاية فقال : اسقوني من هذا فقال له العباس : الا نسقيك مما نصنع في البيوت ؟ قال : لا ولكن اسقوني مما يشرب الناس · فأُتي بقدح من نبيذ فذاقه فقطب فقال : هلموا فصبوا فيه ماءً ثم قال : زد فيه ! مرتين او ثلاثًا (١) ثم قال : اذا صنع « احد منكم هكذا » (٢) فاصنعوا به هكذا · وبحديث يرويه وكيع عن ابن ابي خالد عن قرة العجلي عن عبد الملك بن اخي القعقاع بن شور عن ابن عمر انه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتي بقدح فيه شراب فقربه الى فيه ثم رده فقال بعض جلسائه احرامٌ هو يارسول الله ؟ فقال ردوه · فرده ثم دعا بماءٍفصبهعليهثمشرب وقال : انظروا هذه الاشربة اذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء · وبحديث رواهعبدالله ابن الفضل عن ابي غالب الضبيعي حابس بن محمد عن ابن جرير عن عطاء ان عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب فإني اجد في بطني غمزا · فأُتيبشربة من السقاية فشربها ثم قال : اخرى · فأُتي بها ثم ثالثةفشرب منها ثم دعا بسجل — وربما قال : بذنوب — فشجَّ الاناء بالماء حتى فاض نواحيه ثم قال : عباد الله كل شراب استخرج ماؤُه بمائه فهو حرام لا تشربوه وكل شراب استخرج ماؤُه بغير مائه فهو حلٌّ اشربوه · مع احاديث كثيرة واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وما اسكر الفرَق منه فملءُ الكف منه حرام · فان هذا منسوخ نسخه (٣) شربه الصلب (٤) يوم حجة الوداع · قالوا : ومن الدليل على ذلك انه كان نهى وفد عبدالقيس عن شرب المسكر ثم وفدوا اليه بعد فرآهم مصفرة الوانهم سيئة حالهم فسألهم عن قصتهم فاعلموه ان ذلك لائتمارهم بما امرهم به من ترك شرابهم فأذن لهم في شربه · وبأن ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدتم (٥) وشهدت التحليل وغبتم وبأنه كان يشرب الصلب من نبيذ التمر (٦) حتى كثرت الروايات به (٧) عنه وشهرت واذيعت فاتبعه عليه التابعون الكوفيون وجعلوه اعظم حججهم · قال بعض الشعراء (بسيط)

من ذا يحرم ماء المزن خالطه   في جوف خابية ماء العناقيد

---

(١) في الاصل ثلاث (٢) في الاصل اذا صنع هذا فاصنعوا به هكذا (٣) في الاصل نسخ (٤) في العقد للصلب (٥) نص العقد (٦) كذا عن العقد وفي الاصل من النبيذ الجر (٧) كذا عن العقد

انى لاكره تشديد الرواة لنا فيه (١) و يعجبني قول ابن مسعود

وانما عنى الطلاوهو ما طبخ من عصير العنب حتى يذهب ثلثاه و يردعليه الماء وكان كثير من الكوفيين يشربونه . وحدثني محمد بن خالد بن خداش عن مسلم (٢) بن قتيبة . قال: حدثنا حمزة الزيات قال : رأيت الحكم يشرب طلا جعلت اعجب من رقته وكان يهدى لابراهيم بختج (٣) خاثر فكان نبيذه و يلقى فيه العطر و بأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب و يقول يقطع هذا اللحم في بطوننا وشرب نبيذاً كاد يصير خلاً وماء التمر وماء الزبيب لا يكاد ان يكون خلاً حتى يكون نبيذاً ثم يدخلها شيء من الفساد من غير ان يصير خلاً لان كاد في كلام العرب همّ ان يفعل ولم يفعل وقد قال قوم انه شرب خلاً والخل لا يسمى نبيذاً ولا يسمى شراباً لانه ليس مما يشرب ومن ذا شرب الخل من الناس للذة او منفعة فيشربه عمر ؟ وقال الشعبي شرب اعرابي من إداوة عمر فانتشى فحده عمر وانما حده على السكر لا على الشرب ودخل على قوم يشربون و يوقدون في الاخصاص فقال لهم : نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم و نهيتكم عن الايقاد في الاخصاص (٤) فاوقدتم . وهمّ بتأديبهم فقالوا مهلا : ياامير المؤمنين نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت . فقال: هاتان بهاتين . وانصرف عنهم . وانما نهاهم عن المعاقرة وهي ادمان الشرب . حتى يسكروا ولم ينههم عن الشرب . واصل المعاقرة من عقر الحوض وهو مقام الشاربة وكذلك قال الاشج (٥) لبنيه : لا تبسروا ولا تجروا ولا تعاقروا فتسكروا ولو كان ما شربوا عنده خمراً لحدّهم كما حد ابنه في الخمر . و بلغه عن عامله (٦) بدستميسان انه قال (طويل)

الا هل اتى الحسناء ان خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم

---

(١) كذا عن العقد وفي الاصل فيها (٢) في الاصل سالم وسبق تصليحنا لسلم (٣) البختج الخمر المطبوخة من الفارسي بخته مطبوخ (٤) الظاهر اتقاء من الحريق يدل هذا على ان بيوت المدينة في عهد عمر كانت بعضها بالاحجار او الآجر و بعضها اخصاص . (٥) الاشج لقب عمر بن عبدالعزيز الاموي و يطلق على غيره (٦) عامل عمر بن الخطاب على ميسان هو النعمان بن عدي بن نضلة كان من مهاجرة الحبشة ولاه عليها لما فتحت واراد النعمان امرأته الحسناء معه على الخروج الى ميسان فابت عليه فكتب اليها الابيات المروية ههنا فبلغ ذلك عمر فكتب اليه

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو . اما بعد فقد بلغني قولك

لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا في الجوسق المتهدم

اذا شئت غنتني دهاقين قرية وصناجة تحدو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم (١)

فقال انه والله ليسوءني ذلك ووالله لا عملت لي عملاً ! وعزله . قالوا : فانما انكر عليه الندام وشربه بالكبير والصنج والرقص وشغله باللهو عما يشغله اليه ولو كان ما شرب عنده خمراً لحده

سير العلم

التغذية بالفاكهة

كاد اكلة الفاكهة ينازعون بمذهبهم في الغرب اكلة البقول فهم يعتمدون على الفواكه والثمار ويحرجون كل الحرج في استعمال غذاء غيرها وقد نشر المسيو كولير بحثاً في هذا الشأن اثبت فيه ان الاكتفاء بالثمار يكفي البنية الانسانية . قالت المجلة المنقول عنها ومعلوم ان الامر في التغذية معلق على كمية الكالوري الموجودة في الطعام فان المرء الذي يتغذى تغذية حسنة يحتاج على اوسط تعديل الى ١١٠ غرامات من الالبومين و٦٠ غراماً من الدهن و٤٢٢ غراماً من هيدرات الكربون والى ٢٠٠٠ من الكالوري . ويرى الباحث المشار اليه ان الاغتذاء بالثمار يقوم مقام هذه المواد المغذية فالثمار ذات البزور والنوى والحب والثمار الناشفة والمائية والسكرية على العموم والثمار ذات الدقيق (كالبلوط والكستانة) والزيتية كلها نافعة واختلاف انواعها يعوض عن اختلاف الاطعمة والثمار الحامضة تفتح

وايم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك . فلما قدم عليه سأله فقال : والله ما كان من ذلك شيء وما كان الا فضل من شعر وجدته وما شربتها قط فقال عمر اظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً ابدا «عن ياقوت في ميسان» كورتان متصلتان بين واسط والبصرة

(١) الابيات مشهورة رواها ابن هشام وابن دريد والجواليقي والقزويني والدميري والبلاذري وصاحب الحماسة والمبرد وصاحب العقد الفريد وهذه رواياتهم فيها تختلف : الا ابلغ العقد والبيت كله لم يأت في نصنا ورقاصة (ابن هشام وابن دريد) تشدو (العقد) وتجبو (ابن دريد) وتجدو «البلاذري» على كل ميسم «العقد» على حرف ميسم «بعضهم»

القابلية وما في تلك الثمار من المائية يقوم مقام المياه المعدنية ولم تعلم الى الآن تأثيرات الثمار في مداواة الامراض اللهم الا العنب فقد ثبت نفعه في كثير منها وكيف كانت الحال فان الاعتدال في تناول الثمار نافع والمرء اذا اقتصر على الاجاص والتفاح يأمن الجراثيم والعدوى من كثير من الامراض .

ورق جديد

لم يكن ينتفع بسوق « جمع ساق » القطن انتفاعاً يذكر من قبل وقد اكتشفت الآن طريقة لتحليلها والانتفاع بها كالانتفاع بجملها فاستخرج ورق منها كالورق الذي يستخرج من القطن نفسه ومن لحاء الشجر . وقد فرح اهل العلم بهذا الاكتشاف لما ان الورق مهدد بارتفاع الاسعار لان الولايات المتحدة وكندا اخذتا تتشددان في منع قطع الغابات فلا يتيسر بعد مدة الانتفاع بلحائها الذي كان يستخدم في صنع الورق ويقدرون ان سوق شجيرات القطن تبلغ من عشرة الى اثني عشر مليون طن في العالم كل سنة ولعله يكون من وراء ذلك رخص الورق الذي يكون اعون على نشر العلم كما كانت الطباعة بعد النسخ .

السعال في المعابد

من دخل المعابد والمساجد في ساعات الوعظ والخطب وقد غصت بالمستمعين لا يلبث ان يسمع شخصاً يسعل حتى يتابعه غيره كأنما عداه وكثيراً ما شوهدان بعض الخطباء والوعاظ اضطروا الى السكوت ريثما يفرغ الحضور من سعالهم وهذه العدوى التي تصيب المصلين والمستمعين كالتثاؤب الذي يعرو ركاب الحوافل والسكك الحديدية . وقد بحث احد علماء الاميركان في علة هذا السعال فرأى ان الضغط اذا اشتدّ على الاذن من كثرة الكلام يؤثر في الحنجرة فيكون منه السعال الاّ ان الباحثين لم يقنعهم هذا التعليل وظلوا ينكرونه ويتابعون النظر في علته .

مركبات كهربائية

ستنشأ قريباً مركبات كهربائية من مدينة بال الى مدينة هونغ في المانيا بدون قضبان حديد ولا تختلف عرباتها في الداخل عن عربات الترامواي المعروفة وستكون قوتها ناشئة من سلك هوائي كما هو الحال في عجلات مهندسي السكك الحديدية .

الحديد في العالم

قدر ما استخرج من الحديد سنة ١٩٠٦ : ٥٨٩٧٥٠٠٠ طن منها ٢٥٥٠٠٠٠٠ من الولايات المتحدة و ١٢٤٩٠٠٠٠ من المانيا و ١٠٤٥٠٠٠٠ من انكلترا و ٣٢٢٧٠٠٠

من فرنسا و ٢٣٤٠٠٠٠ من البلجيك و ٦٢٨٠٠٠ من كندا و ٥٣٤٠٠٠٠ من الممالك الاخرى وقد كان ما استخرج في العالم سنة ١٨٧٠ — ١٢ مليون طن وما استخرج سنة ١٨٨٠ ١٨ مليون طن وسنة ١٨٩٠ — ٢٧ مليون طن ٠

علائم السل

اختلفت الافكار في معرفة هذا المرض لاول ما يصيب صاحبه وقد اكتشف الدكتور بيركي من فينا طريقة بسيطة لمعرفة المصاب بهذا الداء وذلك بشق الجلد شقاً سطحياً صغيراً وفركه بسدادة مغطسة ببضع نقط من مصل كوخ المضاد للسل فاذا لم يكن المرء مصاباً بهذا المرض يلتحم الشق بدون ان يصاب بشيء واذا كان به مرض تخرج على سطح الجلد دملة صغيرة تصير بعد بضعة ايام بثرة تشبه بثرة التطعيم ٠ وقد جرب هذا الاكتشاف في البقر المسلول فظهرت صحته ٠

إدبار الكتاب

يشكو كتاب الانكليز منذ حين من عدم اقبال الناس على ما يكتبون اقبالهم عليه قديماً وقالوا ان تأثير المؤلفين آخذ في التناقص وقد نسبوا ذلك لانتشار الادبيات العامية في الناس حيناً بعد آخر فأفسد الذوق العام ولكن النقاد يرون ان الذنب على الكتاب فانهم اذا لم يجدوا من يستحسن مكتوبهم فذلك اما لانهم تسفلوا في كتاباتهم او انهم رفعوها بحيث علت عن مفهوم القراء ثم ان الشعراء والقصصيين انشأوا يحيدون عن الحياة العادية الطبيعية وراحوا يتشبثون باذيال الجمال في مسطورهم فخرجوا بذلك عن مطلق الادب الى مطلق التفنن وقد كان الاقبال يتم لكارلايل واميرسون وروسكين وجورج اليوت قديماً لان من الناس من وافقوهم ومنهم من خالفوهم اما المؤلفون المحدثون فلم يتبعوا تلك الطريقة ولذلك آن ان يتكلم العلماء لغة تدخل الآذان بلا استئذان وتفعل في القلوب الفعل المطلوب ٠

تبادل التعليم

نمت جمعية تبادل الاطفال والشبان من امم مختلفة نمواً عده بعض علماء الاجتماع الخطوة الاولى نحو السلام العام ٠ ويرجع الفضل في اصل تأسيس هذه الجمعية للاستاذ توني ماتيو من اهل باريز فانه رأى ان اختلاط اطفال امة بامة اخرى مما ينزع العداوات من الصدور ويقرب بين الاجناس المختلفة فقد ارسلت جمعيته لاول عهد تأسيسها منذ اربع سنين ٢٥ ولداً افرنسياً يتلقون العلم في البلدان الاجنبية وزاد عدد من ارسلتهم في

السنة الماضية الى ١١٦ طفلاً وقد ذهب اربعة اخماسهم الى المانيا ليعودوا منها وقدأُشربت قلوبهم محبة اقرانهم واترابهم الذين يدرسون واياهم في مدارسها حتى اذا شبوا وشابوا يعملون على ما فيه نفع الامتين ٠

التعليم في الريف

ابتاعت مدينة اركاشون في فرنسا ٣٤ فداناً في غابة على ضفة البحر تبني بها مدرسة تجهيزية يدخلها من يريدون من الاولاد ان يتعلموا فى هواء نقي لا تشوبه شوائب المدن ومفاسدها ٠ قالت المجلة التي عربنا عنها : وانشاء هذه المدرسة هو في الحقيقة بدء عهد في تطبيق مبدإٍ تأسيس المدارس في الفلاة التي يرجى ان يكثر عددها في ارجاء فرنسا الاربعة

الهواء والعاملات

عرف أُناس من اهل الاحسان في مدينة كبري الفرنسوية بان الهواء للابدان خير دواء فاسسوا جمعية لارسال النساء والفتيات ممن يحتجن الى الراحة والاستمتاع بالهواء الطلق الى الخلاء واخذوا يرسلون جماعات منهن الى جبال سافوا ولا تدفع الواحدة ثمن طعامها وايوائها في اليوم سوى فرشين وهو مما لا يصعب على النساء العاملات ان يدفعنه ٠

الزمنى والشواذ

فتحت في احدي مدارس باريس صفوف خاصة بالاولاد الزمنى وشواذ الخلق اذ تبين ان في فرنسا ١٢٠ الف طفل وفتى كانوا يحرمون من التعلم لعاهات طرأَت على اجسامهم فجعلتهم من شواذ الخلق وانهم اذا لم يكن لهم صفوف خاصة بهم يحرمون من نعمة العلم ٠

الاسنان الصناعية

كان اطباء الاسنان قبلاً يتولون صنع الاسنان الصناعية بانفسهم لتجيء متناسبة مع الاسنان الطبيعية الباقية محفوظة في شكلها وحجمها اما الآن فقد تولت المعامل ذلك فاخذت تصنع بمئات الالوف ما يلائم كل انسان من الاضراس والثنايا والانياب فخفت بذلك مؤُونة التعب على اطباء الاسنان واعظم معمل للاسنان الصناعية في العالم معمل فيلادلفيا فانه يرسل في السنة الى اقطار الولايات المتحدة وسائر انحاء العالم من اسنانه بالملايين وقد عهد الى النساء خاصة في صنع الاسنان فيدربن على عملها منذ نعومة اظفارهن واجورهن حسنة ولكن تعلم صناعتهن صعب ولا سيما فيما يتعلق بوضع الالوان ٠

نبات الاحجار الكريمة

ذكرت احدى المجلات العلمية ان من خصائص نباتات جزائر الفيلبين ان يوجد فيها احجار كريمة ومن جملة النباتات التي يستخرج منها ذلك نوع من الخيزران يعرف بالراباسهير ففيه ضرب من الحجارة الثمينة يشبه الاحجار المعروفة ولكنه اغلى منها قيمة لانه اندر وليس في جميع جذوع هذا النبات احجار بل انك قد تبحث في أُلوف منها حتى تظفر بذاك الحجر ولونه وردي يضرب الى الخضرة ويوجد منه في بعض انواع النارجيل في سيلان ولا يكون كبيرًا في العادة بل هو صغير يختلف حجمه من حجم رأس دبوس الى حجم الحمصة . وفي بعض المتاحف باوروبا بضعة احجار من هذا النوع وهي تفاخر بها وتحرص عليها كما تحرص حكومة الفيلبين الآن على استخراج امثالها من الخيزور .

واقية من البرد

معلوم ان بعضهم يعمد الى اطلاق مدفع او بندقية اوقذيفة لوقاية اشجاره ومزروعاته من البرَد وقد ادعى احدهم الآن انه اخترع مناطيد صغيرة تشبه المناطيد المستعملة في رصد الاحداث الجوية للتحليق في الجوّ واطلاق قذائف منها ذكر صورة استعمالها ولا يزال الامل قويًا في نتيجة هذا الاختراع ولعله يكون منه ما ينفع كما نفع الشاري « قضيب الصاعقة » في اتقاء الصواعق .

بريد كهربائي

شَرعوا في برلين ينشئون طريقًا كهربائيًا تحت الارض لتربط مكاتب البريد بمحطات السكك الحديد مباشرة فيمد بين المحطات الى المكاتب مجاز ضيق عرضه ٥٠ سنتيمترًا وعلوه متر ونصف تسير فيه قاطرات كهربائية صغيرة لحمل البريد فيها من ست الى سبع قطارات بحيث لا يتعذر عليها ان تجتاز الخطوط المستديرة . وستطلى جوانب هذا المجاز بالملاط منعًا للرطوبة . وبهذه الطريقة يرسل البريد بسرعة زائدة وعلى وجه مضمون اكثر مما كان يرسل

الارمن في اميركا

كتبت مجلة المجلات الانكليزية مقالة ذكرت فيها ما بلغه الارمن من الارتقاء في الولايات المتحدة بفضل كدهم واقدامهم فقالت انهم اتخذوها ميدانًا لمضائهم واعمالهم وقد افلحوا بحيث اصبح في وسعهم ان يرسلوا الى اخوانهم في البلاد العثمانية مسانهة خمسمائة الف فرنك اعانة لهم وفي الولايات المتحدة خمس جرائد اسبوعية تصدر بالارمنية وخمسة وخمسون رجلاً منهم يدعون الى دينهم وفي كلية يال الجامعة خمسون تلميذًا منهم يتعلمون العلوم على اختلاف

ضروبها وقد نزل الارمن في معظم تلك البلاد فهم في كليفرنيا يعنون بزراعة الاشجار المثمرة وفي نيويورك يتعاطون اعمال اليد على اختلاف انواعها ·

نفقات التعليم

قدروا انه بلغ مجموع النفقات على التعليم العام في ميزانية انكلترا عشرة في المئة وستة في المئة في فرنسا والمانيا واثنين في المئة في روسيا قال احد الروسيين واذا اسقطنا من نفقات التعليم في روسيا ما يصرف منها على التعليم العالي والثانوي لا يبقى الا ستة بالالف يصرف على التعليم الابتدائي وليس في روسيا سوى مائتي الف مدرسة لتعليم الفلاحين وهي بادارة الرهبان وذلك عدا المدارس الوزارية القليلة وهناك مدارس تابعة لنظارة الداخلية او الحربية خاصة باولاد الممتازين وكل هذه المدارس تكلف الامة مائة ونصفاً في المئة من مجموع الميزانية وفي روسيا مئة مليون من الرجال والنساء لا يقرأون ولا يكتبون وقد طلب الى الندوة الروسية ان تزيد ميزانية المعارف سبعة ملايين روبل

المجرمات

ذكرت احدى المجلات اللندنية ان عدد المجرمين في فرنسا هو اربعة اضعاف عدد المجرمات · وان نسبه المجرمين الى المجرمات في الولايات المتحدة كنسبة ١ الى ١٢ اما في انكلترا فان المجرمات كثيرات ولا سيما اللائي يرتكبن الجرائم الكبرى وسبب ذلك قلة الاعتدال وتعاطي المسكرات فقد بلغ عدد الاحكام الصادرة على النساء في انكلترا سنة ١٨٧٨ م ٥٤٣٤٨ حكماً من اجل تعاطيهن المسكر فارتفع سنة ١٩٠٤ الى ٦٠٢١١ حكماً وحكم على كثيرات لانهن ضربن سكة زائفة ·

المطالبات بحق الانتخاب

قالت المجلة ان المطالبات بحقوقهن في الانتخابات من النساء — كما ينتخب الرجال — يعملن في المانيا والسويد ونروج والدانيمرك وايطاليا على نحو ما يعمل بنات جنسهن في بريطانيا وان فرنسا متقهقرة في هذا المعنى وليس فيها منتخبات وقد الفت الجمعيات النسائية الكثيرة تحالفاً عاماً يجمع بين المطالبات بهذا الحق على اختلاف الدول وذلك بزعامة عقيلة اميركية اسمها كات وللنساء الهولانديات المطالبات بهذا الحق مجلة شهرية لهذا الغرض

المقتبس

الجزء الثامن من المجلد الثاني

شعبان سنة ١٣٢٥ الموافق سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

تولستوي

ما خلت كل امة وكل عصر عن وجود مصلح او مجدد يقوم بين قومه بالوعظ والارشاد ويأخذ بيدها في مهيع السداد . تساوت في ذلك الامم المنحطة والناهضة قديمها وحديثها شرقيها وغربيها . وتولستوي هو رجل روسيا اليوم ومجدد حياتها الاجتماعية سعى الى الاصلاح فاثرت حكمته في عقول مئات ممن استعدت نفوسهم لقبول الخير فما عتموا ان بثوا افكاره في مئات وأُشربت القلوب محبته واكبرت الامم دعوته . ولا يزال على ما اصاب بلاده من رفع وخفض يمتع النظر بما يجري في القرب والبعد فهو اليوم في التاسعة والسبعين من عمره قتل الدهر علماً ومخر الايام فهماً فكانت جملة ما استفاده من علم وتجارب وماورثه من آبائه من مال وضياع وقفاً على افادة امته وما ينهضها من عثرتها .

من العادة ان يترجم كبار العلماء انفسهم في كل امة . وقد طلب من الحكيم الروسي احد اصدقائه منذ مدة ان يوافيه بترجمة حياته او يدله على طريقة يتسنى له بها ان يجمع موادها فكتب اليه شيئاً من احواله صبياً ويافعاً وذكر له بيته ومنشأه وهما اساس في تربية ملكات الرجال . قال ما نعربه عن احدى المجلات الافرنجية : فكرت في اجابة طلبتك فرايتني في تيهاء من الحيرة يتنازعني عاملان عامل شر وعامل اشر منه . واعني بالاول اعجاب المرء بنفسه والاغضاء عما اتاه من المفاسد في حياته واريد بالثاني الانطلاق في الحرية

المفرطة السفيهة وايراد مظالم الحياة باسرها . ان اخلصت في وصف نذالتي وغفلتي ومفاسدي وانطلقت في فكري وتجوزت في ابدائه على نحو ما انطلق الفيلسوف روسو في هذا المعنى يأتي من ذلك كتاب او مقال يخلب الالباب . ويقول الناس اليكم هذا الرجل الذي يعلي كثيرون مقامه هاهو انظروا اليه اي نذل كان . فهل نلام نحن ضعاف الفطرة من البشر اذا كنا انذالاً مثله واني لا انكر عند ما بدأت اذكر حياتي وقد تمثلت امامي غفلتي ولؤمي وذهبت بي الهواجس كل مذهب ورحت اقول في نفسي انا ذاك الرجل الذي يطريني كثيرون على ما بي من شقاء وبلاهة . ولك ان تفسر قولي هذا باني اكثر احتيالاً من غيري—اقول لك هذا القول بحرية ولا اقوله لأجمل به انشائي . من اجل هذا عمدت الى تسطير ترجمتي لاني رأيت من اللازم اللازب ان اظهر للملاإ لؤم حياتي بأسره الى ان تنبهت من غفلتي وان اذكر محاسنها بعد انتباهي .

ذكرت بادىء بدء الحسنات في حياتي ولكنني لما فكرت في الحوادث المكررة التي انتابتني في غضونها رأيت ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن كلها كذباً لم تكن مكتوبة باخلاص لاني مثلت فيها المناحي الحسنة واسدلت حجاب السكوت على المناحي السيئة وعند ما فكرت في كتابة الحقيقة على بابها دون ان اكتم منها شيئاً من السيئات التي تخللت حياتي ذعرت بما ذكرت مما يكون لهذه الترجمة من التأثير في الاذهان وفي خلال ذلك مرضت وعاودني الفكر خلال هذه العطلة التي ساقني اليها حكم الاضطرار وبقي يتردد في خاطري ذكرى ولكنها كانت مفزعة . وكنت اشعر بحدة لا توصف بما قاله بوشكين الشاعر في قصيدته « الذكرى » .

ذاقت نفسي عذاب الجحيم لما ذكرت لؤم حياتي الماضية ولم اعد أفارق تلك الذكرى بتة فانها سممت حياتي وكدرت سربي وشربي . جرت العادة ان يأسف الناس على نسيان ما جرى لهم بعد موتهم فيا ما اسعد ذلك من حال . وليت شعري اي اوصاب كانت تنالني في هذه الحياة لو ذكرت كل ما تعذب به وجداني وكل ما ارتكبته من اثم في حياتي السالفة ومن ذكر الخير كان عليه ان يذكر الشر . فياسعدي ان نسيت ذكرى ما شقيت به بعد موتي فلا يبقى من ذات نفسي غير الوجدان ذاك الوجدان الذي يمثل الخير والشر والصغير والكبير والسلبي والايجابي .

نعم اذا غربت الذكرى عن الذهن عدَّ ذلك نعمة كبرى وما دامت تتردد في الخاطر لا يتأتى ان يعيش المرء مسروراً ولكن اذا غابت صورتها ندخل ميدان الحياة وصحيفتنا بيضاء نقية فيكتب عليها ما جدَّ لنا من الخير والشر .

وبعد فلم تكن حياتي كلها منحطة المقام في خبثها بل كان منها عشرون سنة كذلك ومعلوم ايضاً ان حياتي في ذاك الدور لم تكن شرّاً دائماً كما تمثلت في عيني في غضون مرضي اذ قد تنبهت في اثناء ذلك اميال نحو الخير لم تطل كثيراً بل اطفئت شعلتها للحال بما دهمني من الشهوات التي لم يضبطها عنان .

على ان اشتغال الفكر على هذا النحو في خلال مرضي دلني دلالة صريحة على ان ترجمة الانسان نفسه على ما تكتب في العادة التراجم اذا أغضيت فيها عن نذالتي وجريمتي في حياتي تكون ولا جرم كذباً وان خير الاساليب التي يتوخاها الكاتب في ترجمته ان ينطق بالحقيقة على جليتها . وامثال هذه التراجم هي التي تمثل الحقيقة على بابها للقارىء وان اورثت كاتبها الخجل .

فلما ذكرت ماضي حياتي على هذا النحو اي ذكرت ما اتيت من خير وما تم على يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة باسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب وخصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهج الشعري واعني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفساد الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينبذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الادبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي ما في الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابغي سواه ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة .

وارى كتابة حياتي على هذا النحو انفع من هذر بدر من القلم في اثني عشر مجلداً من مصنفاتي وتناولها الناس في عهدنا ونسبوا اليها من التأثير ما لا تستحقه .

كانت جدتي ابنة الامير نقولا ايفانوفيش غورتشاكوف الاعمى وكان غنياً تأثل وارتاش وجمع من حطام الدنيا شيئاً كثيراً . وكل ما اتصوره فيها انها كانت قليلة التعلم كثيرة الذكاء وكانت مثل كثيرات من ابناء وطنها على ذاك العهد تحسن الفرنسوية اكثر من الروسية وكان تعليمها عبارة عن معرفة هذه اللغة فقط فدللها والداها اولاً ثم زوّجها وكانت عنواناً على الأسرة باجمعها لانها كانت بكرها وموضوع احترامهم اجمعين . وكان

جدي على ما ظهر لي ايضاً على شاكلة جدتي محدود المعرفة ولكنه كان من اللطف والانس على جانب وقد ادى به الكرم الى الاسراف الذي بلغ حد الحمق . وكان يثق ويخلص وكانت داره في مقاطعة بيليف في بوليانى ميدان الولائم وتمثيل الروايات والمراقص والمآدب ويضاف الى ما يقتضي ذلك من النفقات ولوع جدي بالمقامرة على ضعف معرفته فيها مع ما كان مُني به من اقراض كل من يقصده دراهم ما كان يرجعها اليه . هذا الى الاعمال الكثيرة التي باشرها فانتهت كلها بخراب بيته وافلاسه حتى اباع املاك زوجه واضطر الى التوظف فصار للحال والياً لقازان . ذكروا لي ان جدي لم يكن يقبل الرشى ما خلا رشوات من عملة الالكحول وهي الرشوة التي ما كانت تستنكر اذ ذاك في كل ناحية من انحاء الامبراطورية الروسية ولكن قيل لي ان جدتي كانت تقبل الرشوة بدون اطلاع جدي وهكذا دامت الحال حتى زوّجت ابنتها الثانية في قازان والبكر في بطرسبرج من احد الاشراف وبعد ان قضى زوجها نحبه سكنت جدتي لدى والدي في اياسنيا بوليانا وهناك ادركتها شيخة عجوزة وكانت تحب والدي واولاده وتتلهى بنا كما تتلهى بخالاتي . وظهرانها لم تكن تحب والدتي لانها كانت تجدها دون قدر والدي وتحسدها على حب والدي لها . واذكر من جدتي سياحتنا معها الى موسكو واهم ما يخالج فكري من ذلك ثلاثة مشاهد . المشهد الاوّل عند ما كانت جدتي تغسل يديها بالصابون فتخرج منها فقاقيع كنت أُدهش وأُسر بمرآها واذكر يديها البيضاوين ووجهها الناصع الباسم . والمشهد الثاني ايام كنا نذهب الى غابة البندق ونجنيه في صحبة مؤدبنا وكانت جدتي تصحبنا في عجلتها والخادم يجر اليها الاغصان الميلاء لتقطف بندقها وتضعه في كيس امامها واذكر قوّة معلمنا في جره الاغصان الكبيرة من ادواح البندق وتلك الظلال الوارفة والحر الشديد وسط الغابة والهواء البليل في الظل وتناوح اشجار الغاب وروائحها وكيف تأكل الفتيات اللاتي كن معنا البندق على طراوته فلا نبقي منه ولا نذر وغلأ به جيوبنا واردان ثيابنا وعجلتنا . وكنت يخيل لي ان تلك الفقاقيع لا يتيسر احداثها الا على يد جدتي وذاك الريح البليل في غابة البندق لا يهب الا اذا رافقتنا اليها جدتي . والمنظر الثالث وهو اعظمها واعني به (ليون ستيبانيش) الاعمى القصاص الذي كان في بيتنا من بقايا مجد جدي الغابر يسكن دارنا ولا عمل له الا سرد الاقاصيص في الليل وذلك لان عماه كان يساعده على حفظ الحكايات بالفاظها بمجرد تلاوتها عليه مرتين وكان يتلو على مسامع الحضور حكاية قمر الزمان المعروفة في قصة الف ليلة وليلة وكنت اقترب من القصاص استمع اليه ولكنني ما كنت افهم شيئاً مما يقول ثم انام ولا اعود احس بما يجري في دارنا الى الغد .

وما اعرفه عن جدي والد امي انه بعد ان صار قائداً عاماً على عهد الامبراطورة كاترينا عزل دفعة واحدة عن منصبه لانه لم يرض ان يتزوَّج ابنة اخت المشير بوتمكين نديم كاترينا الثانية فنحاه عن وظيفته لانه رفض الزواج منها لاسباب عرفها فيها ردًّا غير جميل . ولما نحي عن منصبه تزوَّج بفتاة من اهل الصون رزق منها ابنة . وكان جدي هذا مشهوراً بجبروته وانه من الرؤساء البغاة . بيد اني لم ينقل لي شيء عن قسوته ولا عن عقوباته المعتادة في عهده واظن ان ذلك كان يقع منه على التحقيق لكنه لم يجسر احد حاشيته وفلاحيه ان يطلعني على ذلك مع الحاحي في السؤال وذلك تشريفاً لقدره واعظاماً لحكمته فلم اكن اسمع عنه غير عبارات الثناء على بعد غوره وسداد نظره واعتداده بفلاحيه وندامه على كثرتهم . وقد أسس بناية عظيمة لخدمته وكان لا يقصر عنايته على اطعامهم فقط بل يُعنى بكسوتهم احسن كسوة وبادخال السرور على قلوبهم وكان يقيم لهم الالعاب المختلفة في ايام الاعياد والمواسم . وكان اتباعه وخاصته آمنين بما لهُ من النفوذ من ظلم الظالمين من الحاكمين فمن ثم كان جدي في جميع اعماله يميل الى المتانة والراحة والاحسان والظرف يعشق الطرب والموسيقى ويجلس الى سماعها من والدتي في اماكن اعدها لذلك في حديقة الدار

لا اتذكر والدتي قط فقد كنت ابن سنة ونصف لما قضت نحبها فانا لا اتمثلها اصلاً ولا اعرف شيئًا يدلني علي جسم انسان بل اعرفها بالروح وكل ما بلغني من امرها كان حسناً جميلاً . سأَلت اهلي عنها فحدثوني باطيب الحديث لا لكونها امي بل لانه كان فيها صفات عالية من الخير والاحسان . وكنت اجدني في طفوليتي بين ظهراني قوم حفهم الصلاح والفضل ارى ذلك خاصة فيهم من والدي الى سائق عجلتي كما يرى اصفياء القلوب غالبًا كل حسن في الناس ولا تُمثل لهم الا الصفات الطاهرة . وعندي ان ما تمثل لي فيمن نشأت بينهم من الصفات كان الى الصحة اقرب . ولذلك أُعجبت به في صغري .

لم تكن والدتي من الجمال بحيث تسبي الالباب بل كانت على جانب من الذكاء بالنسبة لعصرها فكانت تحسن الروسية قراءة وكتابة خلافاً لمعاصراتها اذ ذاك وتعرف الفرنسوية والالمانية والانكليزية والايطالية ولها ميل الى الفنون وتجيد الضرب على البيانو . ولقد ذكر لي عشيراتها بانها كانت تحسن القاء الحكايات فتستدعي اعجاب الحضور وترتجل الكلام ارتجالاً وكانت تمتاز بكظم غيظها على ما روى لي الخدام . فاذا عرض لها ما يهيجها يحمر وجهها وربما بكت على ما نقلت لي وصيفتها ولكنها ما قط فاهت بكلمة قبيحة اذ انها لم تكن تعرف من الفاظ الهجر ولا كلمة .

لدي رسائل كتبتها والدتي الى والدي والى خالاتي وجريدة تصف فيها سلوك اخي

البكر (نيكولانكا) الذي كان عمره ست سنين عند ما توفيت وكان اشبه منا كلنا بصورتها . وكانت هي وابنها على ما استنتجت ذلك من كتاباتها ولحظت ذلك من اخي وعلمته علم اليقين عدم الاحتفال بآراء الغير والاتضاع بحيث كانا يحاولان ان يكتما فوائد التعليم والذكاء والفضيلة التي امتازا بها دون سائر القوم ويخجلان مما تحليا به من الصفات حتى قال احدهم في اخي انه كان بريئاً من العيوب اللازمة ليعد صاحبها من كبار الكتاب ولقد شاهدت ذات يوم احد الاغنياء الساقطين وهو حارس والي الولاية وكان يصطاد معه اخذ يهزأ به امامي واذكر كيف ان اخي لما حدجني ببصره مسروراً رأى في هذه الاهانة مسرة عظمى . ومثل هذا الخلق كان في والدتي وكانت في اخلاقها ارقى من والدي واسرته اللهم الا (تاتيانا الكسندرا اركولسكي) التي قضيت معها نصف حياتي وكانت امرأة مشهورة باخلاقها المهذبة . ولم يكن اخي وامي ممن يقولان الا خيراً عن الناس وكنت ارى شقيقي اذا كان له ما يقال في سيرة احد ان يبتسم ويبدي حسن الخلق وكذلك كانت امي كما فهمت من رسائلها .

وكنت قرأت في حياة احد القديسين قطعة من كلامه تأثرت بها نفسي . ذلك ان راهباً كان معروفاً عند الناس بكثرة خطاياه فرآه رئيسه ذات ليلة في عداد الاخيار يسرح ويمرح في اعلى عليين فسأله عن امره فقيل له انه لم يغتب احداً في حياته . قلت فان كان في الآخرة جزاء يشبه هذا فوالدتي واخي لا شك احرزا هذا الجزاء .

وامتازت والدتي عن محيطها بحرية وجدانها وسذاجة لهجتها في رسائلها فكان القوم اذ ذاك يغالون في اظهار احساساتهم . عادة لهم كانت مألوفة غير مستنكرة فيقول القريب لقريب يكتب اليه انت منقطع القرين واني عبدك وانت بهجة حياتي وكلما كانت التبجيلات في الاخوانيات قليلة دل ذلك على قلة اخلاص الكاتب للمكتوب اليه . وقد شهدت هذه العادة في رسائل والدتي ولكنها كانت معتدلة في اظهارها وعباراتها تدل على الاعتدال والاخلاص . قيل لي ان والدتي كانت تحبني حباً جماً وتدعوني بنياميني الصغير وقد كانت غنية وكان والدي نشيطاً بهجاً واسع الصيت والصلات واظن ان والدتي كانت تحب والدي لانه والد بنيها وزوجها ولم تكن تحبه حب العاشق المستهام وكان حبها لخطيبها الاول الذي اختطفته المنية حب الفتيات الذي لا يشعرن به الا مرة واحدة وان ما اعلمه علم يقين هو ان امي كانت تحب ثلاثة حباً حقيقياً وهم خطيبها الاول والآنسة اينيسش الفرنسوية احدى صويحباتها وابنها البكر وكانت تنشيء له جريدة يومية تسطر له فيها ما يقترفه من الذنوب وتعيدها على مسامعه ثانية وفي هذه الجريدة ذكر لرغبتها الشديدة في تربيته ما امكن وهناك دليل

على انها كانت ضعيفة في هذا المعنى لا تدري ما تعمله . مثال ذلك انها كانت تؤنبه عند ما يشتد فيه الشعور والاحساس فيبكي مثلاً عند ما يشاهد الحيوانات تتألم امامه لان على المرء برأيها ان يكون قاسي القلب وكانت تعاتبه على الصغائر كأن يقول لجدته اشكرك عوضاً عن ان يقول لها اسعد الله صباحك ومساءك . وأكدت لي خالتي ان امي كانت تحبني واني كنت احد من يحبه قلبها وخلفت والدتي خمسة اولاد كانت آخرهم ابنة ماتت في نفاسها . وظلت مع والدي تسع سنين كانت ايام سعد ورخاء فكانت على علو منزلتها ولطافة اخلاقها وآدابها تحب من حولها ويحبونها وكانت اميل الى العزلة تصرف وقتها باولادها ومطالعة الروايات امام جدتي في الليل بصوت عال والاشتغال بمطالعات نافعة مثل كتاب «اميل» للفيلسوف روسو والمذاكرة فيما قرأته ويقضين شيئاً من الوقت في الضرب على آلة طرب ثم يتدارسن اللغة الايطالية ويتنزه وترى اعمال البيت .

لبعض الأسرات اوقات من الصفاء لا يزعجها موت احدهم ولا مرض بعض افرادهم فيعيشون سعداء وهذا الدور صادفته والدتي الى حين وفاتها فكان والدي يدخل البهجة على قلوب اهل البيت بما يتوفر على ذكره من الاضاحيك الملهية والاحاديث المسلية .

هذا ما عرفته من مطالعة المفكرات والرسائل عن والدتي وحياتي في بيتنا على ذاك العهد في الطفولية وهاءنذا وصلت الى وقت أُلم فيه بما اذكره بنفسي فارويه مقروناً باشخاصه واماكنه . اما والدي فقد كان عمره سنة ١٨١٢ سبع عشرة سنة وانخرط في سلك الجيش على كثرة توسل اهله به ليرجع عما قصد له وخوفهم عليه وكان اذ ذاك احد انسبائنا قائد الجيش العامل فعينه له حاجباً واشترك في حرب سنة ١٨١٣ — ١٨١٤ واسره الفرنسيس ولم يخلص من الاسر الا سنة ١٨١٥ عند ما دخل جيشنا باريز

بلغ العشرين من عمره ولم يكن على شيء من العفاف حتى ان اهله زوّجوه بخادمة وكان عمره ست عشرة سنة تفادياً من ان تسوء صحته على نحو ما كان القوم يذهبون اليه اذ ذاك فولد له منها ابن دعوه ميشانكا عاش في حياة والدي عيشة حسنة ثم ساءت حاله فكان كثيراً ما يلجأ الينا لنعينه واني لاذكر شعور التعجب الغريب الذي شعرت به عند ما امسى اخي هذا شحاذاً يستوكف الاكف وهو شبيه في خلقته بابي بل اشدنا به شبهاً ثم يجيء ويطلب منا ان نحسن اليه بشيء من المال ويسر بما ندفعه اليه من عشرة روبلات او خمسة عشر . ثم تنحى والدي عن الخدمة ونال راتب العزل ولحق بجدي في قازان وكان حاكمها وبعد قليل ذهب جدي الى سبيله واصبح والدي رب أسرته مع جدتي المعتادة على البذخ والديون مثقلة كاهل بيتنا وعندئذٍ تزوّج ابي بوالدتي على ما نحو شرحته آنفاً من امرها .

كان والدي دمويًا ربعة القوام مقبول الوجه كئيب النظر يعنى بامور زراعته ولم يكن معروفًا بالقسوة بل كان الى الضعف اقرب بحيث اني لم اسمع انه كان يضرب فلاحيه على اجسادهم على نحو العادة المتبعة في هذه الديار على انه لم يبلغني انه كان في بيتنا اثر لهذه العقوبات الا بعد موته. وحدث ما شئت ان تحدث عن مبلغ استغرابي يوم كنت آتيًا من نزهة لي مع مؤدبي وسأل احدنا وكيلنا وكان معه سائس الخيل عن المكان الذي يقصده فقال لهُ انه ذاهب الى الانبار ليضرب السائس على بدنه ورحت من ساعتي اسأل خالتي عن سر ذلك وكانت هي تكره العقوبة بالضرب فلامتني على اني لم اوقف ذاك الوكيل عن عمله ولكن بعد ان سبق السيف العذل.

كان ابي مصروفًا بجملته الى الزراعة وفض القضايا التي خلفها لهُ والده وكان يذهب الى الصيد ويحب المطالعة كثيرًا وقد اقتنى مكتبة فيها كتب آداب الفرنسيس وبعض كتب العلم وآلى على نفسه ان لا يبتاع كتابًا جديدًا حتى يأتي على ما لديه من الاسفار ويطالعها برمتها ولم يكن به ميل الى العلوم. بيد انه كان في علمه يعادل المتعلمين من اهل عصره ولا يصح ان يسمى من الاحرار في دهره بل كان يكره تغيير شيء من حاله فلا يخضع للكبراء ولا يزور الموظفين بل ولا يزورنا واحد منهم لما كان بينه وبين اهل الحكم في ذاك الوقت من التباين الضمني في المباديء والغايات

واني لاذكر والدي وهو جالس على ديوانه يدخن بغليونه واذكر صيوده واذكر ايامه واجتماعنا به وتحفيظي شيئًا من شعر بوشكين وكيف أُعجب بتلاوتي له. نعم اذكر رحلاته وغدواته وروحاته واذكر ما كان يفيضه عليَّ من حسناته واحسانه واذكر حبه وحبي ذلك الذي شعرت به بعد موته اكثر من شعوري به من قبل. وهنا استطرد الى ذكر شيء مما علق بذهني من امور طفوليتي اذكرها وانا لا اتثبت بعضها حقيقية كانت او خياليه. ولقد كنت في القماط واريد ان افلت يدي ولا استطيع ذلك واصرخ وابكي وصوتي كان منكرًا حتى في عيني ولكن ما كنت اتمالك نفسي من البكاء وارى احدهم في قربي يحنو عليَّ ولا اذكر شخصه وارى ذلك كأنه ظلم او يكاد يكون ظلمًا ولكني اذكر انهما كانا اثنتين وكان صوتي يؤثر فيهما فكانتا تسمعان صوتي ولكنهما لا تنقذاني مما اشكو منه ثم اصرخ بشدة ايضًا فيريان انه من اللازم ان اكون مقيدًا في قماطي وانا ارى انه ليس كذلك واريد ان اثبت لهما ذلك واصرخ صوتًا حادًا كانت نفسي تنكره ولكن لم اكن اتمالك منه واشعر بالظلم والقسوة لا من الناس فقط بل من الاقدار اذ كنت اشهد الناس يرثون لحالي وكنت اشفق على نفسي ولا اعرف ذلك ما هو ولن اعرفه. هل كان قماطي عند ما كنت بعد رضيعًا واحاول ان اخرج ذراعي من القماط او القماط عند ما كانت سني تزيد على سنة.

وعلى الجملة فقد كان ذلك من المؤكد اول تأثر بل اشده شهدته في حياتي ولا اذكر صوتي وآلامي فقط بل اذكر مزاجي واختلاف تأثراتي . اطلب الحرية وهي لا يتضرر بها انسان وانا على حاجتي الى القوة ضعيف وهم الاقوياء وكذلك اذكر عند ما كانوا يغطسونني في القادوس وقد جعلت فيه رائحة زكية جديدة يمسحون بها جسمي واستلذ جلوسي في القادوس وهو صقيل لطيف والماء فاتر خفيف ويد مربيتي تروح وتجيء تدلك بدني . وهاتان الذكريان هما اللتان اذكرهما منذ ولدت الى الثالثة من عمري بل اني الى الخامسة لا اكاد اذكر السماء ولا الشمس ولا الورق ولا العشب . بحيث ساغ لي ان اقول اني عشت عيش البهيم ايام كنت اتعلم وانظر وانصت واحاول ان اتكلم وانام وارضع واضحك واسر والدتي في ذاك العهد حصلت ما اعيش به الآن حصلت به في مدة وجيزة باقصى ما يمكن من الكثرة بحيث اني لم استطع ان ازد واحداً في المئة على هذه المعرفة . ليس بيني وبين ابن الخامسة سوى قدم كما انه ليس بين الوليد الى ابن الخامسة سوى مسافة لا تصدق وليس بين الجنين والوليد سوى هوَّة وليس بين العدم والجنين سوى شيء صعب تعليله ومعرفته . وهنا يقال ان الوقت والسبب هما صور من الفكر وان معنى الحياة خارج عن تلك الصور بيد ان حياتنا كلها ليست سوى الخضوع المتواتر لهذه الصور او الخلاص منها .

اما تذكاراتي القصية فانها ترجع الى السنة الرابعة او الخامسة من عمري وكلها قليلة لا تتعدى حد البيت والعيش المنزلي . وما انس لا انس في طفوليتي وانا على سريري فرح مبتهج ووصيفتي او اللائي عهد اليهن تربيتي تقص عليَّ قصة ايرميفنا (كما تخوف عامة النساء في الشرق الادنى الاولاد بالعفريت والبعبع) فكانت تنقبض نفسي لسماعها واتبدل البهجة بالفزع والفرح بالترح واذكر شقيقتي بجانبي واذكر مؤدبنا الالماني تيودور ايفانوفيتش وان لم اكن في تلك السن تحت وصايته واذكر دارنا وانها كانت شاهقة واذكر ما القاه فيها من النساء وربما كن من الغسالات وكيف كنت اقفز ويقفز معنا مؤدبنا ولكن قفزة خفيفة .

هذا ما يتردد في خاطري من ذكرى الحوادث التي طرأت عليَّ قبل الخامسة اما بعدها فان ما اذكره ولا انساه هو اخذهم بيدي الى المؤدب ايفانوفيتش واستعاضتي عن اللعب والقفز وغيرهما بالدراسة وتبدبل ما كنت الفته بعادات اخرى ومنازع جديدة . وهنا ذكر الحكيم خالته تاتيانا الكسندروفنا وما اثرته باعماله في حياته وكانت من النساء المتهذبات فعلمته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم

الولايات المتحدة

يقسم تاريخ الولايات المتحدة الى خمسة ادوار : الاول دور السكان الاصليين وهم الهنود والثاني دور السفر والاكتشاف وهو من سنة ٩٨٦ م الى سنة ١٦٠٧ م والثالث دور الاستعمار وهو من سنة ١٦٠٧ م الى سنة ١٧٧٥ م والرابع دور الثورة من اجل الاستقلال وهو من سنة ١٧٧٥ م الى سنة ١٧٨٩ م والخامس دور الجمهورية وهو من سنة ١٧٨٩ م الى سنة ١٩٠٧ م ·

اكتشف خريستفورس كولمبس اميركا سنة ١٤٩٢ ب · م فاخذ بعض الاوروبيين بادي بدء يهاجرون اليها بقصد امتلاك ديارها وجمع لجينها ونضارها · ولما ذاع صيت هذه الديار في اقطار اوروبا واشتهر امر غناها واتساع بقاعها وخصب اراضيها وغباوة هنودها اخذ يتقاطر اليها الاوربيون زرافات وجماعات وذلك من سنة ١٦٠٧ م فصاعداً

وكانت الامة الانكليزيه اكثر الامم الاوربية اهتماماً بالمهاجرة الى اميركا · ثم لما كثر عدد الاوربيين فيها اغتصبوا املاكاً واسعة من الهنود واشتروا بعضها باثمان بخسة واستوطنوا بعض مقاطعات الولايات المتحدة ·

وفي ١٨ نيسان سنة ١٧٧٥ م اعلن الاميركيون الحرب على بريطانيا العظمى · وفي ٧ حزيران سنة ١٧٧٦ نهضوا لطلب الاستقلال من سلطة تلك الدولة لاستبدادها بهم وتضييقها على املاكهم حينئذٍ فنابعوا الحرب · وبعد سبع سنين جرت فيها الدماء انهاراً استقلوا في ٤ تموز سنة ١٧٨٣ م

ويرجع معظم الفضل لذلك الى ريكارد هنري لي وتامس جفرسن من فرجينيا ويوحنا ادامس من ماسشوست وبنيامين فرنكلن من بنسلفانيا وروجر شيرمان من كننكت وروبرت لنكستن من نيويورك فهم الستة المشهورون الذين اجتمعوا في ١١ حزيران سنة ١٧٧٦ م وقد قرروا ان ينزعوا ربقة الاستبداد عن رقاب الشعب

وسنة ١٧٨٩ م جدد الاميركيون المعاهدة بعضهم مع بعض ودوَّنوا فيها نظامات وشرائع في مدينة فيلادلفيا · وكان عدد الولايات التي دخلت في المعاهدة اذ ذاك ثلاث عشرة ولاية وهي نيوهمبشير وفرمونت ومسشوست ونيويورك وكننكت ونيوجرسي و بنسلفانيا ودالوار ورودايلند ومريلاند وفرجينيا وكرولينا الشمالية والجنوبية

وفي ٤ حزيران سنة ١٨١٢ م اعلنت الولايات المتحدة الحرب ايضاً على بريطانيا العظمى وكان ذلك في عهد ماديسن الرئيس الرابع للولايات وكانت نتيجة تلك الحرب ازدياد العمران وتعزيز قوَّة السكان ·

وفي ٢٦ نيسان سنة ١٨٤٥ م اخذت الولايات المتحدة تحارب الاسبان فاظهر الاميركيون قوّة الاتحاد والاستقلال ولم تزدهم تلك الحرب الا مجداً وعزاً وقوّة وعمراناً . ونشأت الحرب المذكورة في عهد بولك الرئيس الثاني عشر للبلاد .

وفي ١٢ نيسان سنة ١٨٦١ بدأ حرب تحرير العبيد بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة وانتهت في ٩ نيسان سنة ١٨٦٥ م وكان رئيس البلاد اذ ذاك ابراهيم لنكن الشهير

وسنة ١٨٩٨ م حاربت الولايات المتحدة اسبانيا وفازت عليها ووسعت دائرة نفوذها واشتدّ ساعدها وذاعت سطوتها واتسع نطاق بقاعها وارتفع شأن تمدنها وعمرانها وكان ذلك في عهد مكنلي الرئيس الخامس والعشرين للبلاد

***

اول رجل عظيم رأس الجمهورية الاميركية هو جورج واشنطن . ولد في ٢٢ شباط سنة ١٧٣٢ م في وست فرجينيا وشب على الآداب الرائعة والهمة الرافعة والمبادىء النافعة وفي ٣٠ نيسان عام ١٧٨٩ م رأس الولايات المتحدة وظل في منصبه الخطير ٨ سنوات وقضى نحبه في ١٢ كانون الاول سنة ١٧٩٧ م . واقل ما يقال عنه انه كان رجلاً فاضلاً ورئيساً عاملاً غير مدافع رقى بلاده الى درجة سامية تحسد عليها . والشعب الاميركي يجله كثيراً ويعيد له كل سنة ويدعوه اب الامة

وتولى اريكة الرئاسة بعد واشنطن يوحنا ادامس . ولد في برينتري من اعمال ماسشوست في ١٩ تشرين الاوّل عام ١٧٣٥ م وانتخب رئيساً للولايات المتحدة في ٤ آذار سنة ١٧٩٧ م واتم مدة الرئاسة التي هي اربع سنوات . وقد نمت البلاد في ايامه وانتهت مدّته بختام القرن الثامن عشر

وخلف الرئيس ادامس تامس جفرسن احد الستة الاشخاص المصلحين الذين مرّ ذكرهم وهو الرئيس الثالث . ولد في البيمارلي من اعمال فرجينيا في ٢ نيسان عام ١٧٤٣ م وانتخب رئيساً للبلاد في غرّة القرن التاسع عشر سنة ١٨٠١ م ورأسها دورين اي ثماني سنوات وكان غيوراً على الاصلاح ومصلحة الوطن والامة كفوءاً للقيام بالعظائم والامة الاميركية تحسبه من اعظم المصلحين وافضل رؤساء البلاد توفي في ٤ تموز سنة ١٨٤٦ م

وقام بعد جفرسن جيمس ماديسن وهو الرئيس الرابع ولد في كن جورجيا من اعمال فرجينيا في ١٦ آذار عام ١٧٥١ م وتوفي في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٣٦ م في مونتيلر من اعمال فرجينيا . كان ماديسن ناظر الداخلية في عهد الرئيس جفرسن وفي ٤ آذار عام ١٨٠٩ م انتخب رئيساً للولايات المتحدة ورأسها مرتين وللرئيس ماديسن افضال على الجمهورية

يذكرها الاميركيون ويغالون بها وقام بعد جفرسن جيمس منرو وهو الرئيس الخامس ولد في ٢٩ نيسان سنة ١٧٥٨ م في ويستمورلاند من اعمال فرجينيا ومات في ٤ تموز عام ١٨٣١ وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨١٧ م ورأس البلاد مدتين اى ٨ سنوات · ومونرو وهو الرئيس المشهور بشريعته التي سنها وهي « ان اميركا للاميركيين » وقد افادت هذه الشريعة الجمهورية الاميركية فوائد عظيمة · وكان مونرو احد المتصفين بالغيرة والمروءة والشهامة وخدمة الدولة والامة خدمة صادقة ·

وخلف مونرو يوحنا كوينكي ادامس وهو الرئيس السادس · ولد في شهر تموز عام ١٧٦٧ وقضى نحبه في ٢٣ كانون الثاني عام ١٨٤٨ م وكان من اقدر رجال الجمهورية في السياسة الخارجية والداخلية · تولى نظارة الداخلية في عهد الرئيس مونرو وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٢٥ م وبعد ان اكمل مدته عين نائباً لولاية ماسشوست في واشنطن العاصمة

وقام بعد يوحنا ادامس اندراوس جاكسن وهو الرئيس السابع · ولد في اكسم من اعمال سالثلنت في ٥ آذار عام ١٧٦٧ م وتوفي في ٨ حزيران عام ١٨٤٥ م وانتخب للرئاسة عام ١٨٢٩ م ورأس البلاد مدتين وكان ديمقراطياً

وخلف جكسن مارتن يورن وهوالرئيس الثامن ولد في كندر هوك من اعمال نيويورك عام ١٧٨٢ م ومات في عام ١٨٦٢ م · كان عضواً في مجلس الاعيان في نيويورك ونائباً للرئيس جكسن ٤ سنوات وفي ٤ آذار عام ١٨٣٧ م انتخبه الحزب الديمقراطي رئيساً للبلاد وكانت مدته اربعة اعوام ·

وقام بعده وليم هنري هرسن وهو الرئيس التاسع والبطل الشهير · ولد في بيركلي من اعمال فرجينيا سنة ١٧٧٣ م وانتخب للرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤١ م وكانت مدته شهراً واحداً وذلك بسبب وفاته ·

واقيم بعده يوحنا تيلر وهو الرئيس العاشر · ولد في مدينة تشارلس من اعمال فرجينيا في ٢٩ آذار عام ١٧٩٠ وتوفي في ١٧ كانون الثاني عام ١٨٦٢ م · وانتخب للرئاسة في ٤ نيسان سنة ١٨٣٧ م وكانت مدته اربع سنوات الا ثلاثين يوماً ·

وخلف الرئيس تيلر نوكس بولك · ولد في كرولينا الشمالية عام ١٧٩٥ م ومات في تانسي عام ١٨٤٩ م · وولي رئاسة البلاد في ٤ آذار عام ١٨٤٥ م وكانت مدته اربعة اعوام وهو الرئيس الحادي عشر للبلاد ·

وقام بعد بولك زكريا تيلر · ولد في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٧٨٤ م وقضي نحبه في ٩ تموز عام ١٨٥٠ م وتولى كرسي الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٤٩ م وكانت مدته اربعة

شهور واربعة ايام . ومما يذكر عنه انه كان محبباً الى النفوس وذا شهرة عظيمة حازها بدربته وحنكته وبسالته التي ابداها ايام كان القائد العام في حرب الولايات المتحدة مع المكسيك وهو الرئيس الثاني عشر .

وظهر بعد تيلر ميلارد فيلمور وهو الرئيس الثالث عشر . ولد في كيفو نيورك في ٧ كانون الثاني عام ١٨٠٠ م ومات في ٨ آذار عام ١٨٧٤ م في بفلو نيورك . وانتخب للرئاسة في ٨ ايار سنة ١٨٤٩ وكانت مدته ثلاثة اعوام وثلاثة اشهر و٢٧ يوماً

وخلف فيلمور فرنكلن بايري وهو الرئيس الرابع عشر . ولد في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٨٠٤ م وقضى نحبه في ٨ تشرين الاول في نيوهمشير عام ١٧٦٩ م وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار سنة ١٨٥٣ م وكانت مدته اربع سنوات . وفي اثناء رئاسته فتحت ابواب التجارة للولايات المتحدة في مملكة يابان وكان بايري ديمقراطياً

وقام بعد الرئيس بايري جيمس بوتشانن رئيساً على الولايات وهو الرئيس الخامس عشر ولد في ١٢ نيسان عام ١٧٩١ م في بلدة الرئيس فرنكلن من اعمال بنسلفانيا . وتوفي في اول حزيران سنة ١٨٦٢ م . كان الرئيس بوتشانن قبل ان يتولى رئاسة البلاد ناظر الداخلية في عهد رئاسة بولك وانتخب رئيساً للبلاد في ٤ آذار عام ١٨٥٧ م وكانت مدته اربع سنوات وكان ديمقراطياً

اما ابراهيم لنكن فقد ولد في ١٢ شباط سنه ١٨٠٩ م في ولاية كنتكي وقتل في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ م وذلك في اول عهد رئاسته للمدة الثانية وانتخب رئيساً للولايات في ٤ آذار عام ١٨٦١ م وكانت مدّته اربع سنوات و٤٢ يوماً وهو الرئيس السادس عشر المشهور بفضائله والمحبوب جدّاً من شعبه . وتحتفل الامة الاميركية في مولده سنويّاً اعتباراً لخدمه الجليلة في سبيل الانسانية والوطنية وتقديراً لمقامه السامي في قلوب الاميركيين خصوصاً وعالم الحضارة عموماً

والرئيس السابع عشر هو اندراوس جنسن . ولد في كرولينا الشمالية عام ١٨٠٨ ومات في ٣١ تموز عام ١٨٧٥ وتولى الرئاسة في ١٥ نيسان سنة ١٨٦٥ وكانت مدته ثلاثة اعوام وعشرة اشهر و١٥ يوماً

والرئيس الثامن عشر يوليس غرانت . ولد في ولاية اهايو في ١٧ نيسان عام ١٨٢٢ ومات في ميفرور من اعمال نيويورك في ٢٣ تموز عام ١٨٨٥ تولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٦٩ وكانت مدّته ثماني سنوات

والرئيس التاسع عشر هو ارثر فورد هايس . ولد في اهايو عام ١٨١٧ وكان من

اشراف البلاد واكابر اغنيائها . رأس البلاد في ٥ آذار عام ١٨٧٧ وذلك بعد ان تقلب في وظائف سامية كثيرة وكانت مدته ٤ اعوام

والرئيس العشرون هو جيمس غارفيلد . ولد في ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٣١ في كويهفو اهايو واطلق عليه الرصاص في ٢ تموز عام ١٨٨١ ومات من جراء ذلك في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ وتولى الرئاسة في ٤ آذار عام ١٨٨١ وكانت مدته نحو خمسة اشهر

والرئيس الحادي والعشرون هو تشستر ارثور . ولد في فرنكلن من اعمال فرمونت في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٣٠ وحاز شهادة محام سنة ١٨٥٠ ثم انتخب نائباً للرئاسة عام ١٨٨٠ ثم تولاها في ١٩ ايلول عام ١٨٨١ بداعي اغتيال الرئيس غارفيلد وكانت مدته ثلاثة اعوام و٧ اشهر الاّ يومين

والرئيس الثاني والعشرون هو غروفيلد كليفلند . ولد في كالداوي من اعمال نيوجرسي في آذار عام ١٨٣٧ وبعدان تعلم قبل في مجمع العلماء في نيويورك ثم درس الشريعة في بفلونيورد عام ١٨٥٥ م ونال الشهادة عام ١٨٥٩ م ثم نصب مدعياً عاماً لبفلو عام ١٨٦٣ م ثم مأموراً للاحكام عام ١٨٦٩ م ثم حاكماً على مدينة بفلو عام ١٨٧١ وسنة ١٨٨٣ اقيم حاكماً على مدينة نيويورك وسنة ١٨٨٤ م انتخب رئيساً للولايات وكانت مدته ٤ اعوام وكان ديمقراطياً .

والرئيس الثالث والعشرون هو هاريسن وكانت مدته من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٢ والرابع والعشرون هو كليفلند المتقدم الذكر وكانت مدته من سنة ١٨٩٢ م الى سنة ١٨٩٦ م والخامس والعشرون هو مكنلي وكانت مدته من سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٩٠١ م والسادس والعشرون هو ثيودور روزفلت الرئيس الحالي

***

ما برحت الولايات المتحدة بعد استقلالها في حاجة ماسة الى من يعمر ديارها ويحرث اراضيها ويستغل خيراتها ويستخرج معادنها ويساعدها على تنظيم مدنيتها وتوسيع نطاق عمرانها وترقيها في مراقي الارتقاء ففتحت حكوماتها ابواب المهاجرة لجميع الامم على اختلاف هيئاتها ولغاتها . فوافاها الاوروبي من انكلترا وجرمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج واليونان وبرتغال وسويسرا وهولاندا والبلجيك ويمها الآسياوي من الصين واليابان والهند والبلاد العثمانية وجاءها الافريقي من ديار النيل ومراكش والسودان . ومما يلي يعلم القارئ نمو سكان الولايات المتحدة وعمرانها الغريبين .

عدد سكان الولايات المتحدة

عام	١٧٩٠	٣٩٢٩٢١٤
«	١٨٠٠	٥٣٠٨٤٨٣
«	١٨١٠	٧٢٣٩٨٨١
«	١٨٢٠	٩٦٣٨٤٥٣
«	١٨٣٠	١٢٨٦٦٠٢٠
«	١٨٤٠	١٧٠٦٩٤٥٣
«	١٨٥٠	٢٣١٩١٨٧٦
«	١٨٦٠	٣١٤٤٣٣٢١
«	١٨٧٠	٣٨٥٥٨٣٧١
«	١٨٨٠	٥٠١٥٥٧٨٣
«	١٨٩٠	٥٢٦٢٢٢٥٠
«	١٩٠٠	٧٥٩٩٤٥٧٥
«	١٩٠٧	

اما عدد الولايات المتحدة فكان سنة ١٧٨٩ م ثلاث عشرة ولاية واليوم صارت ٤٨ ولاية . وتقع سبع عشرة ولاية في الجهة الشرقية على الاوقيانس الاتلانتيكي وهي نيويورك ونيوجرسي ونيوهمشير ورود ايلند وماين و بنسلفانيا و كولمبيا وكنتكت وفرمونت ومشوست ومريلاند وفرجينيا و كرولينا الشمالية والجنوبية وجيورجيا ودولار

وخمس ولايات تقع على بحر المكسيك وهي تكسس ولوزيانا ومسيسبي والاباماوفلوريدو وسبع عشرة ولاية تقع في وسط البلاد وهي ايلنيين ومتشغن وويسكنسن وانديانا واهايو وايوي ونبراسكا وميسوري واوكوتا الشمالية والجنوبية وكنسس واركنسس وكنتكي وتنسي ومينسوتا وفرجينيا الغربية

واحدى عشرة ولاية غربية تقع على الاوقيانس الباسيفيكي وهي كليفرنيا واوريكون ونيفادا و يوتاه ومونتانا وايدهو واوشنطن و كولوريدو ونيومكسيكو وارزونا ووايوما

ولا يزال باب المهاجرة الى الولايات المتحدة مفتوحاً لجميع الشعوب ما خلا الصينيين فان حكومة الولايات سنت شريعة لمنع دخولهم الى بلادها سنة ١٨٨٤ م . وفي ٢٨ شباط سنة ١٩٠٧ م صادق المجلس التشريعي في ولاية كليفرنيا على لائحة تمنع الاجنبي من التملك في تلك الولاية . هذا اذا لم يكن متجنساً بالجنسية الاميركية . وغاية المجلس القصوى منع

اليابانيين والصينيين من دخول كليفرنيا والتملك فيها فهم لا يستطيعون التجنس بالجنسية الاميركية . ويظهر من تشديد حكومة العم سام على المهاجرين في هذا العهد الاخير انه لا بد من ايصاد باب المهاجرة في وجه الاسياويين ان لم يكن عاجلاً فآجلاً .

ودعوى حكومة العم سام ان الشعب الآسياوي سواء كان من الصين ام اليابان ام الدولة العلية فهو لا ينفع البلاد . فما يرمي اليه الآسياوي هو جمع المال وانفاذه الى وطنه خل عنك انه ربما ضاقت الولايات على رحبها باهاليها بعد مضي قرن . ومن جدول عدد سكان الولايات الآنف يتبين ان زيادة السكان بلغت في مدة ١١٧ سنة نحو اثنين وثمانين مليوناً من النفوس فاذا استمرت الزيادة على هذا المعدل فلا شك ان حكومة واشنطن تضطر الى اقفال باب المهاجرة وربما قفلته قبل انقضاء تلك المدة .

***

مما تقدم يعلم المطالع ان النصر كان حليف الولايات المتحدة في الخمس حروب التي ذكرتها وان نمو السكان والعمران كان أليفها وانها اي الولايات صارت في مدة ١٣٢ سنة في طليعة الممالك المتمدنة بالقوَّة والسطوة والجاه والثروة بل المدنية والحضارة والعمران وهذا لعمري من بعض الادلة على نشاط الشعب الاميركي واتحاده وارتقاء شخصيات افراده وعلى بذله ومروءته وشهامته وغيرته وصدق وطنيته وعلى سهر حكوماته على مصلحة البلاد والانام وقيامها بواجباتها نحو امتها ووطنها خير قيام

فانعم بكل امة تحذو حذو الامة الاميركية وتقفو اثر مصلحيها العظام ورؤسائها الكرام وانعم بكل دولة تسهر على مصلحة رعاياها وتبذل ما في وسعها لاسعادها وانهاضها . وما احرى الشعوب الآسياوية المنحطة ان تقتدي بنهضة الامة الاميركية وتنهض بذلك الشرق الهازل النازل فتخلد لملوكها وحكامها طيب الذكر ولبلادها ولها الشكر والفخر

اوماها نبراسكا «الولايات المتحدة» يوسف جرجس زخم

الكنى والالقاب

رأيت بحثاً في الكني والالقاب لاحد قراء المقتبس ذكر فيه القاعدة المصطلح عليها في الكنى كقولهم ابو اسحق لمن اسمه ابرهيم وابو ابرهيم لمن اسمه اسماعيل وابو داود لمن اسمه سليمان وابو محمد لمن اسمه عبدالله وابو العباس لمن اسمه احمد وهلم جرا وذكر ايضاًمن شغف العرب بالكنى وضعها اياها للطير والوحش بل للجماد والمعاني مثل قولهم ابو الحصين للثعلب وابوطامر للبرغوث وابوصابر للحمار وقولهم ايضاً من باب المعاني للهرم ابو مالك وللفقر ابوعمرة الى آخر ما ورد في ذلك البحث

ولما كان يجمل بالبحث الجميل ان يحيط باطراف الموضوع بحيث لا يترك منه شاردة ولا تهمل فيه فائدة فقد قصدت ان اضم اليه اصطلاح اهالي جبل لبنان بل واكثر البلاد التي تجاوره في امر الكنى فانه قد يختلف عن الاصطلاح الاول فانهم يقولون هكذا :

ابو ملحم لمن اسمه ابراهيم وقد يقولون له ابوخليل وابوداود لمن اسمه ملحم وابوسليمان لمن اسمه داود وابوعلي لمن اسمه سليمان وقد يقال ابومحمد وابوشاهين لمن اسمه محمد وقد يقال ابوسليمان و يقال ابوقاسم وابوعلم الدين لمن اسمه قاسم وابوحسين لمن اسمه علي و يقال ايضاً ابوخطار وابونجم لمن اسمه خطار وابواحمد لمن اسمه شاهين وابومحمد لمن اسمه اسماعيل وابو يوسف لمن اسمه امين وابوعلي لمن اسمه احمد وابوعباس لمن اسمه حسين هذا اشهر كناه وقد يقال ابو قاسم وابومحمد لمن اسمه مصطفى وابومرعي لمن اسمه حسن وابوحسن لمن اسمه عبدالله و يقال ايضاً ابوزين الدين وابوحسين لمن اسمه يوسف ولمن اسمه محمود ايضاً واما الاسماء المضافة الى الدين مثل نصر الدين وزين الدين و بدر الدين فاكثرها ابومحمد ومنها يكنى بابي يوسف مثل عز الدين وعلم الدين و بابي داود مثل حسام الدين

و يقولون ايضاً ابوناصيف الياس وابوعساف جرجس وابوشبل ناصيف وابوقبلان اسعد وابومنصور حنا وغير ذلك

ومن كناهم للوحش ابوفارس للنمر · ومن الكنى الجمادية ما ينسب الى قرية عين دارة وهو قولهم للجوز ابوحسن طقطق وللتين المطبوخ بالدبس ابونجم الدين محني ذقنه وللابريق ابو يوسف علم الدين ولذلك قالوا اذا حضر ابونجم الدين محني ذقنه قام يرقص ابو يوسف علم الدين اي اذا حضر التين المطبوخ بالدبس فلا بدّ من دوران الابريق للشرب وهذا يحاكي اصطلاح القدماء الذي ذكره كاتب بحث الكنى والالقاب من جهة تكنية الجوامد ومما اهمله مكاتبكم من الكني الحيوانية ابوجخادب للحرباء وابوالحسل وابوالحسيل للضب

وابوعسلة وابو مذقة للذئب وابوسلمان لضرب من الجعلان وابوالابد للنسر وابو روح للهدهد وابو الاخذ للباشق وابوالاخطل للبرذون وابوالاشعب للبازي وابوالاشيم وابوحسان للعقاب وابوثقل للضبع وابوجاعرة للغداف من الغربان وابو حكيم للذباب ومثله ابوجعفر وابو برائل للديك وابو زيد للعقعق وابوالجراح وابوحذر للغراب ومثلها ابوزاجر وابو جهينة للدب وابوالجيش للشاهين وابوحاتم للكلب ومثله ابوخالد وابودغفل للفيل وابوالحسن للطاوس وابو الحسين للغزال وابو راشد للقرد وابو زرعة للخنزير وابو العرمض للجاموس وابوعكرمة للحمام وابو نعيم للكركي وابو يعقوب للعصفور وابو زفير للاوز وابوزياد الحمار مثل ابوصابر وابو طالب الفرس مثل ابي شجاع وغير ذلك

ومن المعاني ابومالك للسغب وابودراس للفرج وابوجابر للخبز ويقال له ايضاً تسمية بدون تكنية جابر بن حبة وابوعاصم للسويق وابو الابيض للبن وكما كثرت اسماء الاسد فقد كثرت كناه فيقال له عدا ابا الحارث ابو الابطال وابو الاخياس وابو شبل وابولبد وابو ليث وابوالعباس وابوالنحس وابورزاح وابوحفص وابوالوليد وابوالهيصم وابومحراب وابوالتامور وابوالحذر وابومحطم وللنمر جملة كنى منها ابوخلعة وابوالخطاب وابوجهل وابورقاش وابواسود وابوالابرد

ولا ندخل الآن في الامهات والابناء والبنات والاخوة والاخوات والاذواء والذوات فانه يطول بذلك الشرح وانما نقول على وجه الاجمال ان اتساع هذا الباب في اللغة العربية هو من جملة الدلائل على ثروة اللغة وفخامتها و بلاغة عبارتها وان الكنى خصوصاً ما أُطلق على الجمادات والمجرَّدات مما يدل على شدَّة تخيل الناطقين بها وانزالهم الصامت منزلة الناطق وتجسيمهم المجرَّد الى حد ان يتمثل ولا يخفى ان ابلغ البلاغة هو ما قوى لك الخيال ومثل لك صورة المعنى حتى كأنك تراها بالعين وتلمسها بالكف فالبليغ اذا اجزل خيل لك المعنى جسماً واذا اراد الرقة هلهل لديك المادة حتى حسبتها هباء او ظننتها وهماً وان اطلاق الكنى حتى في الجوامد والمعاني واجراءها مجرى ما به الحياة لما يجسم المعاني و يحرك الجوامد عند من كان يشعر بالبلاغة

بيروت (ش)

سوء المنقلب

بغدادُ حسبك رقدة وثبات ... أوَ ما تمضّك هذه النكبات
وَلعت بك الاحداث حتى اصبحت ... ادواءُ خطبك ما لهن أُساة
قَلَب الزمان اليك ظهر مجنه ... أفكان عندك للزمان تِرات
ومن العجائب ان يمسك ضرّه ... من حيث ينفع لو رعتك رُعاة
اذ من ديالة والفرات ودجلة ... أمست تحل باهلك الكُرُبات
ان الحياة لفي ثلاثة انهر ... تجري وارضك حولهن موات
قد ضل اهلك رشدهم وهل اهتدى ... قوم اجاهلهم هم السرَوات
قوم اضاعوا مجدهم وتفرّقوا ... فتراهم جمعًا وهم اشتات
لقد استهانوا العيش حتى اهملوا ... سعيًا مغبة تركه الاعنات
ياصابرين على الامور تسومهم ... خسفًا على حين الرجال أُباة
لا تهملوا الضرر اليسير فانه ... ان دام ضاقت دونه الفلوات
فالنار تلهب من سقوط شرارةٍ ... والماء تجمع سيله القطرات
لا تستنيموا للزمان توكلاً ... فالدهر نزاء له وثبات
فالى متى تستهلكون حياتكم ... فوضى وفيكم غفلةٌ وأناة
تالله ان فعالكم بخلافه ... نزل الكتاب وجاءت الآيات
أفتزعمون بان ترك السعي في ... هذي الحياة توكلٌ وتقاة
ان صح نقلكم بذاك فبينوا ... او قام عندكم الدليل فهاتوا
لم تلق عندكم الحياة كرامة ... في حالة فكأنكم اموات
شقيت بكم لما شقيتم ارضكم ... فلها بكم ولكم بها ثمرات
وجهلتم النهج السويّ الى العلى ... فترادفت منكم بها العثرات
بالعلم تنتظم البلاد فانه ... لرقيّ كل مدينة مرقاة
ان البلاد اذا تخاذل اهلها ... كانت منافعها هي الآفات
تلك الرصافة والمياه تحفها ... والكرخ قد ماجت به الأزمات
سالت مياه الواديين جوارفًا ... فطفحن والاسداد مؤتكلات
فتهاجم الماآن من ضفتيهما ... فتناطحا وتوالت ا[illegible]بات
حتى اذا اتصل الفرات بدجلة ... وتساوت الوَهَدات والرَبوات

زحفت جيوش السيل حتى اصبحت بالكرخ نازلة لها ضوضاة
فسقت بيوت الكرخ شر مقيء منها فقاءت اهلها الآيات
واستنقعت منها المياه فطحلبت بالمكث ترغو تحتها الحمآت
حتى استحال الكرخ مشهد ابؤس تبكي به الفتيان والفتيات
طرقاته مسدودة ودياره مهدومة وعراصه قذرات
يا كرخ عزّ على المروءة انه لجج المياه عليك مزدحمات
فلئن اماتتك السيول فانما امواجهن عليك ملتطمات
من مبلغ المنصور عن بغداده خبرًا تفيض لمثله العبرات
امست تناديه وتندب اربعًا طمست رسوم جمالها الهبوات
وتقول يا لابي الخلائف لو ترى اركان مجدي وهي منهدمات
لغدوت تنكرني وتبرح قائلاً بتعجب ما هذه الخربات
اين البروج بنيتهن مشيدةً اين القصور علت بها الشرفات
اين الجنان بحيث تجري تحتها الانهار يانعة بها الثمرات
اترى ابو الامناء يعلم بعده بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلة يا للرزية دجلة بعد الرشيد ولا الفرات فرات
كان الفرات يمدّ دجلة ماؤه بجداول تسقى بها الجنات
اذ بين دجلة والفرات مصانع تفترّ عن شنب بها السنوات
يا نهر عيسى اين منك موارد عذبت واين رياضك الخضلات
ماذا دهى نهر الرُفيل من البلى حيث المجاري منه مندرسات
اذ قصر عيسى كان عند مصبه وعليه منه اطلت الغرفات
ام اين بركة زُلزُل وزلالها السلسال تسرح حوله الظبيات
يا نهر طابق لا عدمتك منهلاً اين الصراة تحفها الروضات
ام اين كرخايا تمد مياهه نهر الدجاج فتكثر الغلات
ام اين نهر الملك حيث تسلسلت فيه المياه وهن مطردات
قد كان تزدرع الحبوب بارضه فتسح فيه بفيضها البركات
ام اين نهر بطاطيا تأتيه من نهر الدجيل مياهه المجراة
وله فروع اصلهن لشار ع الكبش الجاري منه منتهيات
تنمو الزروع بسقيه فغلاله كل العراق ببعضها يقتات

لهفي على نهر المعلى اذ غدت لا تستبين جنانه النضرات
نهر هو الفردوس تدخل منه في قصر الخلافة شعبة وقناة
كالسيف منصلتاً تضاحك وجهه الانوار وهي عليه ملتمعات
اذ نهر بين عند كلواذى به ملد الغصون تهزها النسمات
وبقربه من نهر بوق دارة تنفي الهموم مروجها الخضرات
يا قصر باب التبر كنت مقرّناً والنفي يصدر منك والاثبات
ايام تطلعك العدالة شمسها وترف فوقك للهدى رايات
ايام تبصرك الحضارة في العلى بدراً عليك من الثنا هالات
ايام تنشدك العلوم نشيدها فتعود منك على العلوم صلات
ايام تقصدك الافاضل بالرجا فتفيض منك لهم جداً وهبات
ايام يأتيك الشكيّ بامره فيروح عنك وما لديه شكاة
تمضي الشهور عليك وهي انيسة وتمرّ باسمةً بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فاصبحت آثار عزك وهي منطمسات
قد ضيعت بغداد سابق عزّها وغدت تجيش بصدرها الحسرات
كم قد سقاها السيل من انهارها ضرّاً وهن منافع وحياة
واليوم قلت بجانبيها ارّخوا دفق السيول فماجت الأزمات

بغداد

معروف الرصافي

اليونان

آثينة

الشعب الآثيني

اتيكيا — فاخر الآثينيون لسكناهم ابداً بلاداً واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالزيزان . وقد اجتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقلما دعتهم اتيكيا الى قتالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية ناتئة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة بقطع رخامها وبعسل نحلها جرادة مرداء بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة قاحلة لا تروى (لجفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتغذية امة كبيرة .

آثينة — على فرسخ من البحر في اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منتصبة وقد أنشئت آثينة في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فانها كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكيا ينفرقون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها بنفسها ولها ملك فجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آثينة فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالهم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته و يزرع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربابًا واحدة وهي آثينة معبودة آثينة وخضعوا باجمعهم لملك واحد .

ثورات آثينة — قد رجعت آثينة فنزعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجهل هذا التاريخ كل الجهل اذ لم يبلغنا عن ذاك الوقت اقل كتابة نستند اليها . و يروى ان الآثينيين عاشوا قرونًا في شقاق يضطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم و يبيع الدائنون مدينيهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآثينيون حبًا بتوطيد الراحة الى صولون احد حكمائهم ان يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولاً تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المديونين ان يوفوا ما عليهم من اهون سبب . ثانيًا جعل الفلاحين ملاكًا للاراضي التي يزرعونها ومن ذاك الحين صار في اتيكيا كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثًا قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى على كل منهم ان يؤدي الضرائب و يقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآثينيون بعد صولون الى بيزيستراس احد ابنائهم العالمين العارفين ثم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠ .

اصلاح كليستين — استفاد كليستين احد زعماء الاحزاب من هذه الاضطرابات فقام بثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من الغرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجارًا يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفإ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من ثم في تلك المقاطعة شعبان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيرا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاختلاط باختلاف سحناتهم فيشبه اهل اتيكيا سائر اليونانيين و يشبه اهل بيرا الآسياويين . وهكذا زاد الشعب الآثيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة ونشاطًا حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آثينة تأليفها الاخير فكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الا وهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن ثمت رجل مهما بلغ من الفقر المدقع الا و يملك مولى، اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والعجن وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . و يعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يشتغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما تنتجه ايديهم و يأتي ثمرة اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكان عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصناع عبيداً وارقاء . يعيشون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليهم جسماً ومادة ، ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك و ربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم ؛ ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرمهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نشأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقروا بما يعملون ، وقد امتدح عدة خطباء آثينيين هذه العادة وعدوها ضرباً من ضروب الحذق لاخذ شهادة صحيحة ، قال الخطيب ايزيه ان التعذيب احسن واسطة لنيل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعاً فيها فاياك ان تعمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العبدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الذين يدعون الميتيكيين (اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آثينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراء في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط أسراتهم آثينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يشتركوا في الحكومة ولا ان يتزوجوا وطنية ولا ان يقتنوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اشخاصهم ولهم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان يتخذوا لهم زعيماً ومولى يمثلهم امام القضاء . وكان في آثينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار

الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني اووطنية ليكون وطنياً آثينياً ومتى بلغ الفتى الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً فيقف امام جموع الشعب و يدفع اليه السلاح الذي يقضى عليه حمله و يقسم يميناً فيقول : أقسم انني لا أهين هذا السلاح المقدس ولا أغادر موقفي في صفوف الاعداء وان اخضع للحكام والقوانين وأشرف دين وطني ، فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً و يقضى عليه بعدُ ان يخدم في الجندية الى من الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة و ربما رضي

الشعب الآثيني بجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعاً في المكرمة العظيمة · فيوافق المجلس علي قبول الغريب وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة ثانية وذلك في انتخاب سري · والشعب الآثيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا رضي الاعضاء القدماء بقبوله على انهم لا يقبلون غير ابنائهم ·

المجلس — يلقب الآثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومة الشعب) وليس هذا الشعب ما نعني به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وخلصاء الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفاً الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها · ولهؤلاء الجماعة سلطة مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آثينة فان مجلسهم يلتئم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضة والاقتراع · يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البينكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجر ذات درجات ويقعد الحكام بازائهم على مصطبة ويفتتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يتناقش فيها المجلس قائلاً من منكم يشرع في الكلام اولاً · ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك · وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون ·

المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ الثلاثين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقاً كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة · وفي كثير من القضايا يلتئم فرقتان او ثلاث فرق من الحكام فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً او ألفاً وخمسمائة قاض ولم يكن للآثينيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين · فيتمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما خطبة تزيد على وقت حدّد بساعة دقاقة مائية · ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصاة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على خصمه يحكم عليه ويجرّم ·

الحكام — كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من البحث والى حكام ينفذون ما يقرره ويتألف المجلس من خمسمائة وطني تصيبهم القرعة حولاً كاملاً · واذ كثر عدد الحكام خص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته وثلاثون لادارة الشؤون المالية وستون منهم يعهد اليهم خطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق و بياعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها ·

منعة هذه الحكومة — لم تكن السلطة في آثينة في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتتعادل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فانهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكيم ٨
سقراط لاحد اهالي آثينة المنورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « ياهذا ممن تخاف ؟ امن القصارين ام من السكافين او المعمارين او الحراثين ام من السوقة والمرتزقين فمن هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالمجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واجوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين سانتيماً من سكتنا وهو القدر الذي يتأتى لرجل ان يعيش به في ذاك العصر . من اجل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وجلسوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتفاً الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضويون من الشعب — لما كانت تفصل المسائل برمتها في المجلس او المحاكم بالمناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكينة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل بنصائحهم وتعهد اليهم في السفارات وان تعينهم قواداً اوزعماء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضويين « او زعماء العصاة » . اما حزب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهزلية في صورة شيخ سخيف فقال : انت غبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتغتبط بالسعادة متى خطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاحد نزاع الآفاق : انت ياهذا شقي فظ غليظ وصوتك شديد وفي بلاغتك من القحه وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آثينة .

الحياة المنزلية

اخترع الآثينيون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآثيني كالموظف والجندي في ايامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة يصرف ايام حياته في اشهار الحرب والحكم على الشعب يقضي ايامه في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي محال الرياضة او في السوق وكان له ابداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

الاولاد — يحق للوالد عند ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت

طريحًا اذا لم يلتقطه احد ابناء السبيل و يربيه ليجعله مولى له · وانت ترى ان آثينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية · والبنات كن يُنبذن في العراء ويُطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء المزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على جانب · فان قبل الوالد الولد يعد من الأسرة و يترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوّجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآثيني الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيرًا ما يكون المعلم من طبقة الموالي الاان والد الطفل جعله في حل من ضرب ابنه · وهذه كانت عادة عامة في القديم · ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب وانشاد الاشعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على نغمات المزمار ثم يأخذ في تعلم الالعاب الرياضية وهذه غاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من ابناء الآثينيين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوهم اليونانيون اهل الصلاح والجمال · اما الفتاة فتظل بالقرب من امها لا تتعلم شيئًا · ويذهبون الى انه يكفي الابنة الآثينية ان تحسن الخضوع وتتشبث باهداب الطاعة · وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآثينيين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطًا في شأن زوجه قال : لم تكد تبلغ الخامسة عشرة حتى تزوّجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع شيئًا على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثيابًا ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخادمات · ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته اجابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شيء ؟ فلطالما قالت لي أمي ان شأني الخاص بي ان اكون عاقلة · فمعنى كون المرأة عاقلة ان تخضع وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية ·

الزواج — تتزوَّج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شابًا من أسرة قريبة او رجلاً طاعنًا في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابدًا ان يكون وطنيًا آثينيًا وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أُخذ رأيها في معنى زواجها · ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا جدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطة التي يسلكها مع بناته فانهن متى صلحن للزواج يجعلهن من المال شيئًا كثيرًا ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويزوجهن بهن

النساء — كان في داخل كل بيت آثيني مسكن منعزل خاص بالنساء يدعى الحرم

ولا يختلف الى هذا المسكن غير الزوج والانسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويحباتها واماثها تراقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف ليحكنه وهي تشغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب ازيس : حقاً انه لم يكن لاحد ان يجرأ على الغداء عند امرأة مزوجة فان النساء المزوجات لا يخرجن لتناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تخالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المهذبات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيتزوج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل لتقوم بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرء حليلة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس برضاه وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابداً للنساء في آثينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضيع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آخذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشارقة وكان المصاف بينهم لاول الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية مأهولة فطمع قورش ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستنجد بالاسبارطيين وقد اشتهروا بانهم اجرأ ابناء اليونان وانذروا بذلك قورش فاجابهم بقوله : انني ما خشيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدنهم ليخدع بعضهم بعضاً بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فغلب ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا ذاك الخاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوروبا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسل الآثينيون عشرين سفينة على الايونيين العصاة فدخل جندهم في ليديا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . فانتقم دارا عن ذلك بان خرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يمثل لديه ضابط في كل مأدبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآثينيين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب تراباً وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع بلاده لسلطة الخاقان الاعظم فاوجس معظم اليونانيين خيفة واستسلموا خاضعين

باخعين فطرح الاسبارطيون المندوبين من الفرس في بئر قائلين لهم ان يأخذوا منها ماء وترابًا يحملونها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين — ان التباين بين هذين العالمين المتجاربين قد اشار اليه هيرودتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديمارات احد المنفيين من الاسبارطيين فقال هذا : اتجاسر ان أؤكد لك ان الاسبارطيين يعلنون عليك حربًا حتى ولو انحاز سائر ابناء يونان كافة الى حزبك ولو لم يبلغ جيشهم الف رجل . فاجاب كسيركيس ضاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حربًا على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاخشى ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فان الخوف يحمسهم و يزيد نفوسهم مضاء فيزحفون بضرب السياط على جيوش اكثر منهم حصًا وعددًا . واذ انهم احرار لا علاقة لهم باحد فليس لهم من الشجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديمارات ان ليس الاسبارطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسدًا لجسد حتى اذا انضموا بعضهم الى بعض صاروا جيشًا برأسه ومن اشجع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احرارًا في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلهم حاكم مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيرًا و يرهبون بأسه اكثر من رهبة رعاياك لك . يطيعونه والقانون يأمرهم ان يثبتوا في مصافهم ابدًا الى ان يغلبوا او يموتوا — اليك حال هذين الحزبين احدهما مع الآخر فترى من جهة عددًا عديدًا من الرعايا تضمهم القوة بزعامة رئيس ذي هوى وشهوات . ومن جهة ثانية جمهوريات صغرى محاربة يحكم ابناؤها انفسهم بانفسهم بقوانين يحتفظون بها و يرعونها .

الحرب المادية الاولى — نشبت حربان ماديتان كانت الاولى بمثابة حملة على آثينة فارسل دارا ستمائة سفينة أنزلت جيشًا فارسيًا في سهل ماراثون الصغير على سبع ساعات من آثينة . ولقد كان دين الاسبارطيين يحظر عليهم ان يسيروا قبل ان يكون الهلال بدرًا وكان القمر اذ ذاك في الربع الاول فقضي على الآثينيين ان يحاربوا وحدهم فجاء عشرة آلاف من الوطنيين مسلحين سلاح الابطال واقاموا لهم معسكرًا امام صفوف الفرس بقيادة عشرة قواد يتناوبها كل منهم يومًا حتى اذا كانت نوبة القيادة لملتيادس عبى جيشه للحرب فهاجم الآثينيون صفوف الاعداء على صفوف مشتبكة فلما رآهم الفرس اقتربوا منهم ولم يجعلوا في مقدمتهم فرسانًا ولا دارعين فظنوهم جنوا واضاعوا رشدهم . وهذه هي المرة الاولى التي جسر فيها اليونان على اقتحام صفوف الفرس في حرب منظمة . فطفق الآثينيون يحملون على

جناحي الجيش ويمزقونه كل ممزق ثم رجعوا الى القلب وحملوا الفرس على الهزيمة نحو البحر واضطروهم الى معاودة ركوب البحر وكان من نصرة اليونان في حرب ماراثون ان انقذتهم واطارت صيتهم في ارض يونان كلها (٤٩٠)

حرب مادي الثانية — نشبت الحرب بعد عشر سنين بغارة لجمع كسيركيس بن دارا شعوب بلاده كلهم ويقال ان جيشه البري بلغ مليونًا وسبعمائة الف مقاتل مؤلفًا من ماديين وفرس لابسين قمصانًا ذات اكمام مسلحين بدروع من حديد واتراس واقواس وسهام ومن اشوريين يلبسون دروعًا من كتان مسلحين بدبابيس محددة الرؤوس ومن هنود يلبسون ثيابًا قطنية يحملون اقواسًا ونبالاً من خيزران ومن زنوج يلبسون جلد النمور ومن قبائل رحالة ليس لهم سلاح الا ما كان من حبل ذي أنشوطة ومن فريجيين مسلحين بحراب قصيرة واتراس صغيرة ومن ليديين مجهزين على الطريقة اليونانية ومن تراكسيين يحملون حرابًا ومُدى وقد شغل تعداد صفات هذا الجيش عشرين فصلاً في تاريخ هيرودتس . وكان هؤلاء المحاربون يجرون وراءهم جموعًا توازي الجموع المدربة على القتال من خدمة للجيش وموالي من النساء وكثير من البغال والخيل والجمال والعجلات المشحونة بالاثقال ولقد اجتاز هؤلاء الاخلاط هيلسبون على جسر قائم من مراكب في ربيع سنة ٤٨١ وظلوا يتابعون سيرهم سبعة ايام بلياليها تحت ضرب السياط ثم اجتازوا تراكسيا وساروا على بلاد يونان يجرون بالقوة وراءهم من يصادفونه من الشعوب فكان الاسطول الفارسي وهو مؤلف من الف ومائتي سفينة حربية يمشي على شواطيء تراكسيا مجتازًا ترعة جبل اتوس الذي خرقه كسيركيس عمدًا . فدخل الرعب في قلوب اليونانيين وخضع معظمهم لخاقان الفرس فضموا جندهم الى الجيش الفارسي . وراح الآثينيون يستشيرون هاتف دلفيس فاجابهم اولاً ان آثينة تخرب ويكون عاليها سافلها حتى اذا تضرعوا اليه ان يجيبهم بجواب يبعث على الطمأنينة رد عليهم بقوله : ان زيوس يمنح بالاس (حامية آثينة) جدارًا من خشب لا يتأتى الاستيلاء عليه وحده وانكم لتجدون فيه سلامتكم انتم وبنوكم . ولقد حث العرافون الذين طلبوا اليهم ان يفسروا كلام هذا الهاتف جماعة الآثينيين على مغادرة اتيكيا وان يذهبوا ليستوطنوا مكانًا آخر . وفسر تمستوكلس جدار الخشب بالمراكب. فقضت الحال اذًا ان يرجعوا على الاسطول ويحاربوا الفرس في البحر.

واذ قد عزم اهل آثينة واسبارطة على المقاومة اخذوا يجثون في تأليف عصابة من اليونان للحكم على الفرس فاجترأت بعض المدن على الدخول في هذه العصبة وانضموا تحت قيادة اسبارطة ولما نشبت اربع حروب في عام واحد قرروا القتال فسحق الفرس ليونيداس

ملك اسبارطة في الترمو بيل وكان معسكرًا لسد فم احد المضايق وضرب الاسطول اليوناني الاسطول الفارسي في سلامينة وكان هذا مجتمعًا في خليج يزحم بعضه بعضًا (٤٨٠) و بدد ابطال اليونان في بلاتيه الجيش الفارسي الذي بقي في بلاد اليونان ولم ينج من ثلثمائة الف رجل سوى اربعين الفًا ونزل في ذاك اليوم جيش يوناني في ميكال على شاطيء آسيا وهزم الفرس (٤٧٩) وهكذا غلب اليونان الخاقان الاعظم صاحب فارس ٠

صحف منسية

كتاب الاشربة — لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتور كي

احد علماء المشرقيات

وحدثني محمد بن داود عن نصير عن سنان عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار وسئل عن النبيذ فقال : انظر ثمن التمر من اين هو ٠ اراد مالك انه يجب على المستفتي عن النبيذ حلال هو ام حرام ان يتنزه عما لا اختلاف فيه من اكتساب الحرام الذي هو ثمن التمر ثم يسأل بعد ذلك عن النبيذ المختلف فيه ٠ قالوا : فلو كان عند خمر ما توقف هذا التوقف(١) ٠ وقد يحتمل ان يكون اراد : إن كان ثمن التمر حلالاً كان النبيذ الذي اتخذ منه حلالاً وان كان ثمن التمر حرامًا كان النبيذ الذي اتخذ منه حرامًا ٠ فان كان ذهب هذا المذهب فالخبز واللباس والادام على هذا (٢) السبيل عنده تحل ان طابت المكسبة وتحرم ان خبثت ٠ وعوتب شعيب (٣) بن يزيد في النبيذ فقال : اما انا فلا ادعه حتى يكون شر عملي ٠ يريد انه قد يأتي ما هو اشرّ من شربه وان الواجب على من اراد اصلاح نفسه والانتقال الى طهارة التوبة ان يبدأ بالاخبث فالاخبث من عمله والاعظم فالاعظم من ذنوبه فينزع عنه فاما ان يدع التزوّج بالاماء لما كره منه وهو يزني او يترك الشرب في آنية الذهب لما نهي عنه من ذلك وهو يشرب الخمر في العساس فهذا من السخف وافراط الجهل وقال ابو العالية الرياحي اشرب النبيذ ولا تمزز والتمزز ان يشرب قليلاً قليلاً وهو مثل التمزز ٠ واراد ابو العالية ان يشربه دفعة واحدة للري ولا يناقل الاقداح و يتابعها ليسكر وقيل لمحمد بن واسع : اتشرب النبيذ ? قال نعم ٠ قيل : وكيف تشربه ? قال على غدائي

(١) في الاصل توقيف (٢) في الاصل هذه (٣) في العقد سعيد بن زيد

وعشائي وعند ظمائي . قيل فما تركت منه ؟ قال التكاءة ومحادثة الرجال. (١) قال المأمون اشرب النبيذ ما استبشعته فاذا سهل فاتركه . فاراد انه يسهل علي شاربه اذا اخذ سيف الاسكار . وقيل لسعيد بن سالم (٢) : انشرب النبيذ ؟ قال لا . وقيل لم ؟ قال تركت كثيره لله وقليله للناس . حدثني محمد بن عبيد عن ابراهيم بن ابي بكر بن عياش . قال : صام عمي الحسن بن عياش خمسين حولاً متتابعة فكان لا يفطر في السنة الا خمسة ايام كان ابي يصنع ايام التشريق طعاماً بكثرة وتجودة و يدعو الفقهاء ومشائخنا فيتغدون مع ابي و يسقيهم او قال من اراد منهم النبيذ الصلب ؟ وكان سفيان الثوري يشرب النبيذ الصلب الذي تحمر منه وجنتاه واحتجوا من (جهة) (٣) النظر بان الاشياء كلها حلال الا ما حرمه الله . قالوا فلا نزيل يقين الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم اكثر الفرق ؟ واهل الكوفة جميعاً علي التحليل لا يختلفون . حدثني اسحق بن راهويه قال سمعت وكيعاً يقول : النبيذ احل من الماء ولم يكن احد من الكوفيين يحرمه غير ابن ادريس وكان بذلك عندنا معيباً . وقيل لابن ادريس : من خيار اهل الكوفة ؟ فقال هؤلاء الذين يشربون النبيذ . قيل : و كيف ذلك وهم يشربون من يحرم عندك ؟ فقال : ذلك مبلغهم من العلم . وقال لنا اسحق : عيب وكيع بقوله : هو احل من الماء لانه ان كان حلالاً فهو بمنزلة الماء فكيف جعله احل منه ؟ ونحن نقول انه ليس يلحق وكيعاً في هذا الموضوع عيب ولا يرجع عليه منه عتب لان كلمته خرجت مخرج كلام العرب في مبالغتهم في الوصف واستقصائهم بالمدح والذم يقولون هو اشهر من الصبح واسرع من البرق وابعد من النجم . وليس ذلك بكذب لان السامع له يعرف مذهب القائل فيه وكلهم متواطئون عليه كذلك قوله هو احل من الماء يريد المبالغة في وصفه بالتحليل . وانما عاب اهل الكوفة ابن ادريس بمخالفته اهل بلده وتغليظه ما ترخصوا فيه . وحدثني محمد بن عبدالله عن ابراهيم ابن ابي بكر بن عياش قال : قلت لابن المبارك : من اين جئت بهذا القول في كراهتك النبيذ ومخالفتك المشائخ واهل المصر ؟ فقال : هو شيء اخترته لنفسي . قلت : فنعيب من شربه ؟ قال لا . قلت (انت) (٤) وما اخترت لنفسك ! وقال عاصم بن ابي النجو : لقد ادركت قوماً يجعلون هذا الليل جملاً يشربون النبيذ و يلبسون المعصفر فهؤلاء اهل الكوفة واكثر اهل البصرة علي مثل مذهبهم . وكان عبدالله بن داود يقول : ما هو عندي وماء البركة (٥) الا سواء . وقال القطعي : قال لي عبدالله بن داود : لا بأس ان يشربه الرجل علي اثر

---

(١) في العقد الاخوان (٢) في العقد ابن اسلم (٣) عن العقد (٤) عن العقد (٥) في العقد ماء الفرات

الطعام كما يشرب الماء . وقال : اكره ادارة القدح واكره نقيع الزبيب واكره المعتق واكره نبيذ السقاية . وقال : من ادار القدح لم تجز شهادته . قالوا : وكان كثيراً من الحجاز بين يترخص فيه حتى غلط فيه مالك وحدّ في الرائحة والرائحة قد تلتبس وتشتبه بغيرها وكيف يخرق ظهور المسلمين على الظهور وظهر المسلم حمىً لا يباح الا بيقين وقد يأكل الرجل الكمثرى والتفاح والسفرجل ويشرب المشبه (١) النبيذ فيوجد منه رائحة النبيذ وكان الاقيشر (٢) أُخذ وقد شرب وأُستنكه فوجدوا منه رائحة نبيذ ظاهرة فقال (طويل)

يقولون لي انكه قد شربت مدامة فقلت لهم لا بل اكلت سفرجلا

وقالوا : وجدنا الناس ثلاثة اصناف اصحاب الرأي وهم جميعاً مجمعون على تحليله ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وكل من سلك سبيلهم واصحاب الحديث واكثرهم على التحليل . واصحاب الكلام وهم ايضاً على ذلك وكيف نزيل يقين التحليل بطائفة من الناس ؟ قالوا : ومثل النبيذ مثل نهر طالوت . حدّثني شبابة (٣) قال : حدّثنا غسان بن ابي الصلاح (٤) الكوفي عن ابي سلمة يحيي بن دينار عن ابي المطهر الوراق قال : بينما زيد بن علي على بغلة له (٥) بصر برجل من اصحابه محجل (٦) الازار على قميصه ردع من زعفران فقال له مَهيم (٧) فقال له يا ابن رسول الله اني اعرست وقد احببت ان تكرمني بدخول منزلي . فثنى رجله ونزل فاخذ صاحب المنزل بيده فأدخله منزله واقعده على الحجلة فما استكبر ذلك واتي بطعام . وبلغ الشيعة مكانه فازدحموا على مائدته فطعم وطعم القوم ثم انه عطش واستسقى فأُتى بعس فيه نبيذ فكرع فيه ثم قطب ثم دعا بماء فكسره ثم شرب وناولني وكنت عن يمينه فشربت وناولت الذي عن يميني ودار العس على القوم جميعاً فقلت له : يا ابن رسول الله حدثنا بحديث سمعته من آبائك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبيذ قال : حدّثني ابي عن جدّي عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : تنزل امتي منازل بني اسرائيل حَذوَ القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو ان رجلاً من بني اسرائيل نكحت نساؤها في الاسواق لكان في امتي من يفعل ذلك . الا وان الله ابتلى بني اسرائيل بنهر طالوت احل منه الغرفة وحرّم منه الري الا وان الله جعل فيكم النبيذ احلّ منه الريّ وحرم منه السكر . وقالوا :

(١) لا نقط في الاصل على الشين ولا تحت الباء (٢) هو المغيرة بن الاسود بن وهب احد بني اسد بن خزيمة بن مدركة وهو من اتراب الفرزدق (٣) في العقد شبابة (٤) في العقد صباح (٥) زاد في العقد في بعض ازقة الكوفة (٦) كذا في الاصل (٧) قال ابو عبيدة مهيم كلمة يمانية معناه ما امرك وما الذي ارى بك ونحو هذا من الكلام . الجوهري مهيم كلمة يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك (لسان العرب)

لم يحرم الله شيئًا الا وقد جعل منه عوضًا في مثل معناه فلو كان النبيذ خمرًا ما كان العوض من الخمر وانما خلق الله الاقوات والثمرات قدرًا لحاجة الناس اليها فلو كان النبيذ خمرًا ما كان يصنع بالتمر والزبيب والدوشاب (١) واشباه ذلك مما لو ترك الناس اتخاذ الشراب منه لبار وفضل اكثره من مأكل الناس وحاجتهم وقالوا : والله لا يحرّم شيئًا الاّ لعلة الاستعباد ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للانبياء والامم فقد شربها نوح عليه السلام حين خرج من السفينة واغترس الحبلة (٢) حتى سكر منها وبدت فخذه وشربها لوط وشربها عيسى عليه السلام ليلة رُفع وشربها المسلمون في صدر الاسلام. وقالوا: واما قولهم ان الخمر ما خمر والمسكر مخمر فهو خمر مثله فان الاشياء قد تتشا كل في بعض المعاني فيسمى بعضها بعلة فيه وهي في آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر الا ترى ان اللبن يخمر بروبة تلقى فيه ويترك حتى يروب ولا يسمى اللبن خمرًا وان خمير العجين يسمى خميرًا ولا يسمى هو ولا ما خمر به من العجين خمرًا (٣) وان نقيع التمر (يسمى) سكرًا لاسكاره (٤) ولا يسمى غيره سكرًا وان كان يسكر وهذا اكثر في كلام العرب من ان نحيط به. وقالوا: واما قولهم للرجل مخمور وبه خمار اذا اصابه الصداع والارعاش عقب الشراب فان ذلك قد يقال لمن اصابه مثله في النبيذ فيقال : به خمار ولا يقال : به نُباذ فان الخمر اسم قديم وكانت الجاهلية تعرفه وتلفظ به من الخمر والنبيذ محدث اسلامي لم تكن العرب في الجاهلية تعرفه وكان شَرَبَة النبيذ من السلف لا يبلغون السكر ولا يقاربونه فيصيبهم عليه ما كان يصيب شربة الخمر من الخمار وانما كانوا ينالون منه اليسير على الغداء والعشاء ثم خلف من بعدهم خلف يشربون الخمر ولم يتهيبوا من المسكر فقيل : بهم خمار على ما سبق من الاسم المتقدم ولو كان الله حين احلّ النبيذ احلّ منه السكر الذي يكون منه الخمار وكان شَرَبَةُ النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فاصابهم ذلك للزمنا ان يقال به نباذ او لا يقال فيجب ما ذهبوا اليه. وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر. قال الاقيشر وكان مغرمًا بالشراب (طويل)

وصهباء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنعر (٥) بها ساعة قدرُ
اتاني بها يحيي وقد نمت نومة ... وقد غارت الشعرى وقد خفق النسر
فقلت اصطبحها او لغيري فاهدها ... فما انا بعد الشيب ويلك (٦) والخمر (٧)

(١) فارسي هو عسل التمر والدوشابي هو النبيذ المتخذ منه (٢) كذا في الاصل اعترس الحبلة بلا نقط (٣) في الاصل خميرًا (٤) في الاصل: وان نقيع التمر سكار الاسكارة صححناه على العقد (٥) في كتاب الشعر والشعراء لم تنفر وفي العقد لم تغلى (٦) في الاصل زبك (٧) هذه الابيات في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وبعدها بيتان جاء ايضًا في العقد وهما

فاعلمك ان الخمر هي التي لم تغل بها القدور . وقال ابو زيد في الوليد بن عقبة حين عزله عثمان عن الكوفة بشهادة اهلها عليه بشرب الخمر (خفيف)

قولهم شربك الحرام وقد كا   ن شراب سوى الحرام حلال

يريد انهم زعموا انك تشرب الخمر وقد كان هناك شراب حلال من النبيذ ويروى

* وقد كان حلالاً سوى الحرام فالوا *

يريد كان شراب من النبيذ حلال فالوا عنه وقذفوك بشرب الخمر . ولم نحتج بابي زبيد وهو نصراني لانا رأينا حجة في تحليل او تحريم وانما اردنا انه اعتذر له الى عثمان والى الناس بهذا القول ولم يكن ليعتذر الاَّ بما لا ينكر الناس . قال جميل بن معمر (١)(خفيف)

فظللنا بنعمة واتكأنا   وشربنا الحلال من قلله

اتكأنا — طعمنا . ومنه قول الله تعالى . (واعتدت لهن متكا (٢) وشربنا الحلال يعني النبيذ والقلل جمع قلة وهي جرار يكون فيها النبيذ . قال الشاعر (طويل)

وقد كان يسقى من قلال وَحنتم

ولما دُخل على الوليد ليقتل قال لهم : ما تنكرون مني ؟ الم افعل ؟ وجعل يعدد احسانه اليهم . قالوا : ننكر منك شرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك . فقال : قد جعل الله فيما احلَّ سعة عما تذكرون . وقال : (طويل)

دعوا لي سليمى والنبيذ وقينة   وكأساً ألا حسبي بذلك مالا

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم   ثباتاً يساوي ما حييت عقالا

اذا ما صفا عيشي برملة عالج(٣)   وعانقت سلمى لا اريد بدالا(٤)

افما تراه حين اعتذر فرق بين الخمر والنبيذ وقال : قد جعل الله لي فيما احلَّ من النبيذ

اذا المرء وفى الاربعين ولم يكن   له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي اتى   وان جرَّ ارسان الحياة له الدهر

وبعدها : وكان له (الاقيشر) جار صالح يقال له يحيى فقال : يافاسق انا اتيتك بها ؟ فقال : سبحان الله ما اكثر يحيى في الناس ! (١) هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري احد عشاق العرب المشهورين صاحبته بثينة عاش في ايام معاوية(٢) سورة يوسف آية ٣١ (٣) رملة عالج او رمل عالج ارض تحيط باكثر ارض العرب تصل الى الدهناء (اي ما بين اليمامة والبصره) وما يلي وادي القرى وتيماء من الحجاز (عن معجم البكري بتصرف) (٤) جاءت هذه الابيات في العقد اولها مؤخر وثانيها مقدم وبدل الثالث :

اباالملك ارجو ان اخلد فيكم   الا رب ملك قد ازيل فزالا

سعة عن شرب الخمر وفيما احل من النساء سعة عن نكاح الامهات · وكان ابوالهندي الشاعر مغرماً بالخمر فعاتبته ابنته على ذلك ووعظته فاعلمها انه غير صابر وانه ان تركه اعتل فقالت له : اشرب نبيذ التمر فشرِبه ثم عاد الى الخمر وقال : (طويل)

أأشرب تمرًا ابنفخ البطن مننًا واتركها صهباء طيبة النشر

وقال بعض الاشراف وكان ركبه الدين وخفت حاله (وافر)

ان يك ياجناح عليَّ دين فعمران بن موسى يستدين
تلم بنا الخصاصة ثم تعفي على اقتارنا حسب ودين
فما يعدمك لا يعدمك منا نبيذ التمر واللحم السمين

اما تراه وصف نفسه بالحسب والدين ثم ذكر انه لا يترك اقامة اللحم ونبيذ التمر لاضيافه ولو كان نبيذ التمر حراماً ما وصف نفسه بالحسب والدين ثم قرن ذلك بشرب الخمر · واراد عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وقال يحيى بن نوفل اليماني (١) (وافر)

ويغتبقان الشراب الذي يحل به الجلد للجالد
شراب يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد

يريد انهما يغتبقان الخمر الذي يوجب شربه الحد ثم تنبه فقال يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد فهذا يدل على ان غيره لا يكره له ولا يوجب الحدّ · وفهر اليهود هو موضع مدارسهم الذي يجتمعون فيه ومنه حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رأى قوماً يصلون قد سدلوا ثيابهم فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم ·

وهذا ابو نواس شاهد الناس على شيء فقال · (رمل)

يا ابنة القوم اصبحينا ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عوده الما ء فأجري الخمر فينا
انما نشرب منها فاعلمي ذاك يقينا
كل ما كان حلالا لشراب الصالحينا

قال : واما قولهم الخمر رجس فقد صدقوا في اللفظ وغلطوا في المعنى ان كان ارادوا انها نتن لان الخمر ليست مننة ولا قذرة الا بالتحريم فانه اوجب النفور منها · قال الاخطل وذكر الخمر (بسيط)

كأنما المسك نهبًا بين ارحلنا مما تضوّع من ناجودها الجاري (٢)

---

(١) شاعر كان الحجاج بن يوسف يجري عليه الرزق وقد تقدمت له ابيات في هذا الكتاب (٢) في العقد

كأنما المسك رهنًا بين ارحلنا وقد تضوّع من ناجوده الجادي

وقال آخر . (كامل)

فتنفست في البيت اذ مزجت كتنفس الريحان في الانف

مطبوعات ومخطوطات

الدليل في موارد اعالي النيل

ألف هذا الكتاب السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية في مصر وعربه ابراهيم مصوّر بك رئيس الترجمة في هذه النظارة . وقد جمع فاوعى في وصف كل ماله علاقة بالنيلين الابيض والازرق من منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية حتى بلاد السودان . صرف المؤلف سنين في الرحلة الى تلك البلاد ووصف احوالها الطبيعية والجيولوجية وامدته الحكومة بالنفقات الطائلة التي لا تقوى عليها الا الدول العظمى وساعده في مهمته بعض رجال الري والعلماء المخصين في هذا الفن فجاء ما كتب دليلاً على جودة البحث والاستقراء . والكتاب في ٦٣٦ صفحة كبيرة من اجود الطبع والورق وفيه ماعدا المحققات وذكر ما يمكن القيام به في المستقبل من الاعمال في سبيل زيادة الانتفاع بمياه النيل رسوم شمسية في الاماكن والجبال والجداول والانهار التي يمر بها هذا النيل وهي ٤٦ رسماً متقناً . ومن تلاه بالامعان الذي يستحقه يدرك عناية الافرنج في اشباع مصنفاتهم وصرف اقصى الهمة الى تحسينها واتقانها و يدرك مبلغ اهتمام المترجم بنقل هذا الكتاب الفني الذي يهم العربية نقل امثاله من اللغات الافرنجية .

هذا السفر المفيد شاهد عدل على اتساع صدر العربية لترجمة عامة العلوم والفنون بلغة بليغة لا تشوبها شائبة العجمة وتنطبق على الاصل المنقول عنه ولا نغالي اذا قلنا ان لغة الدليل هي من اصح الانشاء بلاغة وتحريرًا فان كان ابن النيل لا يجد مندوحة من تناول هذا الكتاب ليعرف سر ماء يرويه فان ابن غير هذا الوادي يجب عليه ان يتناوله ليتخذه انموذجاً في التعريب الصحيح كما يستفيد منه الفوائد العلمية والفنية التي تكثر في كل صفحة من صفحاته . ولو نُقل كل شهر الى هذا اللسان كتاب استوفى شروط التأليف على الصورة التي ذكرناها في فرع من فروع العلم التي لا عهد بها للعربية لما اتت عليها بضع سنين الا وهي تحاكي ارقى اللغات العلمية الاوربية .

ومن تصفح كتاب الدليل ممن عانى صناعة التعريب يتجلى له ما عاناه معربه في نقله

وخصوصاً بعض المصطلحات التي عمد الى بحر اللغة واغترف منه الفاظاً عربية قابل بها المفردات الافرنجية وهي تربو على مئة لفظة ومعظمها مما لم يدر على السن الكتاب والمعربين ·

تاريخ الاستاذ الامام

هو اسم تاريخ فقيد الشرق الشيخ محمد عبده جمعه له مريده السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر في ثلاث مجلدات كبيرة الاوّل في سيرته وهو لا يزال تحت الطبع والثاني في منشآته وهو يحتوي على بعض رسائله ومقالاته التي نشرت في الجرائد والمجلات ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ورسائله الى العلماء والأدباء وحكمه المنثورة وهو في ٥٦٠ صفحة من قطع الثمن وقد قدم له مؤلفه مقدمة بين فيها منزلة المرحوم المفتي من العلم والعمل ثم اخذ في نقل بعض ما خطته يراعته في خلال حياته على اختلاف اطوارها ومن تلاه يدرك قدر الفقيد العزيز · والجزء الثالث وهو في ٤٢٨ صفحة من قطع الثمن ايضاً يحتوي على تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج من التعازي ومراثي الشعراء وفيه شيء كثير من ذكر العواطف يدل على مكانة من وضع التاريخ له في قلوب مريديه واحبابه على اختلاف الامصار والافكار وفي هذا الجزء مثال من شعر العصر ونثره في موضوع واحد وهو الرثاء وتقييد المناقب والآثار ·

وثمن الجزء الثاني خمسة عشر قرشاً صحيحاً في مصر وأجرة البريد ثلاثة قروش وفي الخارج ستة فرنكات وثمن الجزء الثالث عشرة قروش صحيحة وثلاثة اجرة البريد واربعة فرنكات في سائر الاقطار ويباعان بمكتبة المنار في شارع درب الجماميز وهما من جيد الطبع والورق · فنثني الثناء الاطيب على حسن وفاء رصيفنا جامع هذا التاريخ وعلى ما بذله من الهمة العالية في وضعه وجودة تنسيقه حتى جاء كتاب ادب وحكمة وكنا نود الاقتباس منه لنفع القراء لولا معرفتنا بانه سينتشر انتشاراً عظيماً في عامة الاقطار والامصار ·

لوائح الانوار البهية

كتاب للشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي من اهل القرن الثاني عشر يتضمن شرح منظومته التي ضمنها امهات مسائل عقائد السلف وهو في مجلدين الاول في ٣٨٨ صفحة والثاني في ٤٨٨ صفحة طبعهما على نفقته طبعاً متقناً بعض الراغبين باتحاف الخلف بآثار السلف وذلك في مطبعة المنار وبملاحظة صاحبها الفاضل وقد وشحه بفهرست مرتب على الحروف يتيسر به الوقوف على محتويات الكتاب فنحث الاثريين على اقتنائه ونشكر لطابعه ومصححه عنايتهما ·

مؤلفات السيد البكري

سماحة السيد محمد توفيق البكري نقيب الاشراف هو من بيت مذكور بالشرف في مصر وهو معروف باشتغاله بالعلم والادب وقد طبع في هذه الايام خمسة كتب مهمة في بابها احدها سماه صهاريج اللؤلؤ وهو سفر وقع في ٣٨٨ صفحة بقطع الثمن جيد الطبع جمع فيه كثيرًا من نثره ونظمه الرائق وسلك فيه مسلكاً جديدًا في الوصف جمع الى فخامة اللفظ براعة المعنى وشرحه الشيخ احمد الشنقيطي والشيخ محمد المصري شرحًا ضافيًا . والثاني كتاب التعليم والارشاد جمعه بعض رجال الصوفية في عصرنا بامره وهو في ٦٦٧ صفحة وفيه ما لا يسع الصوفية جهله من المسائل . والثالث كتاب بيت السادة الوفائية تأليف سماحته واسمه يدل على مسماه ذكر فيه تراجم ما اشتهر من هذا البيت ومناقبهم . والرابع كتاب بيت الصديق تأليفه ايضًا نظم منثوره من اسفار عديدة استقصى فيه تاريخ هذا البيت الظاهر مكانه في الاسلام وهو في ٤١١ صفحة من قطع الثمن . والخامس كتاب المستقبل للاسلام وهو من قلم المؤلف ايضًا ذكر فيه ما يتعلق بهذا الشأن فنثني على همة المؤلف ونرجو ان يواصل اتحاف القراء بمثل ما اتحفهم به من هذه الآثار الرائعة .

مجموعة

هي مجموعة مشتملة على الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية وعلى كتاب الحيدة للامام عبدالعزيز الكناني وعلى عقيدة السلف لابن سهيل الصابوني وهذه الرسائل الثلاث مهمة في بابها ولا سيما رسالة الحيدة فانها صورة مناظرة جرت في حضرة امير المؤمنين المأمون في مسألة خلق القرآن بين عبدالعزيز الكناني و بشر المريسي وكان المأمون هوالحكم فابان عن فضل جم وانه كان يقصد بمسألة خلق القرآن التي شغلت بعض العلماء في آخر عهده تحقيق حقيقة علمية لا الانتصار لنفسه او لما وقع في ذهنه وهذه الرسالة اعظم مثال في الحرية العربية . طبعها الحاج مقبل الذكير وجعلها وقفاً لا يباع ولا يشرى بمعرفة فرج الله افندي زكي الكردي الكتبي المعروف في القاهرة فجاءت في ٢٠٤ صفحة جيدة الشكل

الجامعة الاسلامية واوربا

هي رسالة تأليف رفيق بك العظم صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام وغيره من المصنفات الاجتماعية بحث فيها بحثًا تاريخيًا في الجامعة الاسلامية وذكر فيها للمتعصبين من ساسة الاوروبيين تحاملهم على بلاد الاسلام بالبراهين التاريخية الدامغة ونصح فيها للشرقيين والغربيين نصيحة من خبر الامور الحاضرة وقاسها بالغابرة وهي ٥٨ صفحة جيدة الطبع والوضع

الانسان ابن التربية

كتاب ادبي اخلاقي انتقادي لجرجي افندي نقولا باز المعروف بمقالاته الاجتماعية والاخلاقية وفيه مباحث مفيدة مثل محاسن العصر ومساوىء الحضارة وسوء التربية والوالدين والتربية البيتية والاجتماعية وغير ذلك مما ينفع ارباب البيوت و يؤثر في عقول الناشئة وهو في مئة صفحة اهداه لرصيفنا صاحب الهلال جرجي افندي زيدان وصدره برسمه وطبعته جمعية شمس البر في بيروت وخصصت ريعه لاعمالها الادبية ٠

عبد القادر الجيلاني

هي نبذة في ترجمة هذا العالم نشرها بالعربية والانكليزية الاستاذ مرجليوث مدرس العربية في كلية اكسفورد جمعت فاوعت في هذا الباب وقد نشرت ملحقة في المجلة الآسياوية الانكليزية ٠

التقية في الاسلام

رسالة من قلم الاستاذ غولدسهير مدرس العربية في كلية بودابست كتبها بالالمانية ونشرت ملحقاً للمجلة الالمانية المشرقية اهدانا اياها مؤلفها عقيب ان اطلع على مقالة التقية في الجزء الثالث من هذه السنة وسنعود الى الاقتباس منها ما لم نحصل عليه من النقول

مقالات قصر الدوبارة

كتاب في ١١٠ صفحات طبعه عبدالله افندي حسين وصالح افندي شكري حوى مقالات كتبتها جريدة المؤيد في اللورد كرومر وسياسته وخطابه الوداعي ورد المؤيد عليه وغير ذلك مما له صلة بهذا البحث وقد احسن طابعاه في نشره على هذا الشكل الجميل فان هذه المقالات من خير ما خطته يراعة كاتب سياسي في معنى الدفاع عن امته وبلاده وهو يطلب من طابعيه في دار المؤيد ٠

لبنان في خمس سنين

هو كتاب وقائع في ١٤٠ صفحة شرح فيه كاتبه ما حدث من الحوادث والاخبار في جبل لبنان في عهده الاخير شرحاً ضافياً يستعان به في المستقبل على وضع تاريخ مفصل لهذا الجبل فجاء ما كتبه الكاتب اشبه بالاخبار اليومية لابن بدير في القرن الثاني عشر في دمشق والجبرتي في القرن الثالث عشر في مصر هذا مع سلاسة في التعبير وتلاعب بالالفاظ والمعاني يدل على بعد غور الكاتب وحسن بيانه

اطباق الذهب

لشرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربي الاصفهاني مائتا مقالة ومقالة في الحكم والمواعظ على طريقة السجع البديع شرحها الشيخ محمد منير المقدم في الازهر وضبطها بالشكل الكامل وطبعها طبعاً جيداً لجاءت في زهاء ١٥٠ صفحة صغيرة ٠

رواية الخادعين

هي احدى روايات احمد مدحت افندي الكاتب التركي عربها حقي بك العظم صاحب كتابي دفاع بلفنا وحرب اليونان وهي تمثل صورة من المدنية الاسلامية في القرن الاول نشرت ملحقة لجريدة الكلمة الحرة وتباع باربعة قروش في مكتبة القاهرة

الدقائق في الحقائق

« افكاري عن النفس والروح ثم القدرة الالهية والاديان تأليف يعقوب (افندي) جبرائيل مراد » وهو في ١٢٦ صفحة جيدة الورق ٠

نسمات الصباح

هذه نبذة من شعر حلمي افندي مصري صدرها بنبذة بالشعر والعرب وضمنها مقاطيع وتخاميس وقصائد عرب بعضها عن الافرنسية ونظم بعضها في اغراض عصرية لطيفة فجاءت في ٦٤ صفحة صغيرة ٠

اكاذيب السياسة

كراسة في الرد على خطبة اللورد كرومر التي القاها في حفلة وداعه التي اقيمت بامره في دار التمثيل الكبرى بالقاهرة مساء ٤ مايو سنة ١٩٠٧ تأليف « ابنة النيل » وهي فتاة مصرية لم تصرح باسمها وعدد صفحاتها ٧٨ صفحة صغيره

سير العلم

سكة حديد جديدة

اخترع مهندس ايرلاندي اسمه لوي برنان بعد ان صرف سنين طويلة في النظر والبحث طريقة جديدة لتسيير مركبات السكك الحديدية اذا سلمت له من كل وجه فانها تقلب اصول النقل المتبعة الآن في اقطار الارض واختراعه عبارة عن تطبيق ناموس الجيروسكوب (هي آلة اخترعها فوكول سنة ١٨٥٢ ليستدل بها على دوران الارض) على مركبات السكك الحديد بل على جميع المركبات كمركبات الاتوموبيل وغيرها . فالسكة الجديدة تسير اذاً على خط واحد فتوفر نفقات كثيرة وليس فيها ادنى خطر وتسير بالكهربائية لا بالبخار .

التصوير بالالوان

منذ اربعين سنة اخترعت طريقة التصوير بالالوان وما برحت تتعاور بالعناية لتبلغ كمالها وقد وفق رجل فرنساوي هذه الايام اسمه لوميير فاخترع طريقة جديدة اقتصادية لرسم الالوان الطبيعية كلها على اجمل وجه يتصوره العقل .

الانتفاع بالفطر

الميكولوجيا هي فرع من فروع علم النبات خاص بمعرفة انواع الفطر . وتقسم ضروب الفطر الى نوعين وهما النوع المريء الجيد والنوع السام الضار . ولما كان الفطر يكثر في تارار من اقليم الرون في فرنسا رأت جمعية تعليم العامة ان تنشيء لها في تارار مكتباً لمعرفة الجيد من هذا النبات من رديئه وكل من جنى فطراً واتى به ذاك المكتب بفحصه له و يعطيه ورقة باسمه فكان الفطر بذلك لاهالي ذاك الاقليم الجبلي منذ ثلاث سنين اعظم مورد لهم يقتاتون منه و يبيعون ما فضل منه وتساوت في معرفة جيده من رديئه الطفلة والشيخ الكبير ولم يعد احد يتسمم ببعض انواعه .

سم الغضب

ثبت للاستاذ غاتس من واشنطون ان للغضب الذي يثور في رؤوس الناس سماً كما ان للحزن سماً خاصاً به وللخوف كذلك . ذلك لان التغييرات الباطنية مهما كانت فجائية او زائلة يكون منها رد فعل على المجموع العصبي فنفس الشخص الغضبان او السوداوي يختلف بلونه عن نفس السوداوي الكئيب ولكي يثبت ذلك جعل بعضهم يتنفسون في أنبوب بُرّد بالجليد ليتحلل النفس المستنشق فيه فجاء منه سائل لا لون له عند ما كان المتنفس في الانبوب

ساكنًا غير مضطرب · وسائل اسفع اذا كان المستنشق غضوبًا وسائل اسود اذا كان حزينًا وسائل وردي اذا كان وجدانه يتألم · وقال ان نفس الغضب اذا سال على الطريقة التي ابتدعها يكون فيه كمية من القوة الحيوية ومواد كيماوية اذا ابتلعها المرء تورده حتفه وان هذا السم هو اشد سم عرفه العلم حتى الآن ·

كتب الارض

قدروا عدد المطبوعات الادبية في العالم بخمسين مليون مجلد · ولم يكن حتى الآن لغير خزائن الكتب العظمى قوائم مطبوعة بالكتب التي لديها فكان مما يهم المشتغلين بالامور العلمية وباعة الكتب ان ينظروا في المجلات التي تعنى بذكر الاسفار القديمة والحديثة · وقد جرت العادة في المانيا ان يرسل كل طابع الى مكتب العلوم الاجتماعية في برلين نسخة مما يطبع وان يرسل الطابعون مطبوعاتهم في انكلترا الى مكتب العلوم الطبيعية · وفي كلتا العاصمتين توضع فهارس كل سنة · وقد ارتأى احد علماء الالمان ان نضاف فهارس مكتبة الامة في باريز وهي ثالث مكتبة من مكاتب العالم بكثرة كتبها وتسقط منها المكررات وهكذا يعمل بالاحدى عشرة مكتبة من المكاتب الكبرى في العالم فيأتي من ذلك فهرس عام لجميع الاسفار في الارض ·

السيارات

صنعت الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦ — ٥٨ الف سيارة (اتوموبيل) وصنعت فرنسا ٥٥ الفًا وصنعت انكلترا ٢٧ الفًا وصنعت المانيا وايطاليا ٢٠ الفًا ·

التوفير

كان فيما مضى يمدح اهل الطبقة الوسطى في فرنسا لاقتصادهم ولكن ثبت ان الالمانيين من اهل طبقتهم اكثر منهم اقتصادًا فان ما وضع في صناديق التوفير في فرنسا في سنة ١٩٠٤ قد بلغ اربعة ملايين ونصفًا من الفرنكات وسكان فرنسا ٣٩ مليونًا على حين بلغ ما وضعه الالمانيون وعددهم ٣٧ مليونًا تسعة ملايين ونصفًا وقد زاد المودع في صناديق التوفير في فرنسا من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٤ مائتي مليون اما في بروسيا فقد بلغ مليارين من الفرنكات ·

غلاء الحاجيات

غلت اسعار الحاجيات في العالم المتمدن مع ان ما يستخرج سنويًا من الذهب قد بلغ ضعفي ما كان عليه منذ عشر سنين · ويؤخذ من احصاء التجارة العام ان تجارة العالم ارتفعت

من ٥٤ مليار فرنك سنة ١٨٦٧ الى ١٣٦ مليارًا سنة ١٩٠١ اي ان مجموع النقود المتعامل بها قد بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت في ٣٤ سنة على ان محصولات العالم لم ترتق ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ولا تنسب الزيادة لارتفاع اسعار البضائع بل لبخس اثمان الذهب لكثرة المستخرج منه .

عمال المخازن

كتب احد كبار البيوت التجارية التي تبيع بالجملة في شيكاغو نصيحة لمستخدميه وهي : لا تحتقر اصلاً زبونًا ولو كان رث الثياب . ولا تقلم اظافرك على ملاء من الناس واجعل في جيبك ابدًا قلم رصاص ولا تعره لاحد ولا ترتكب غلطة واحدة سبق لك ارتكابها

طواف العالم

آخر ما اهتدى اليه البشر من السرعة في الاسفار ان يقطع المرء الارض في خمسين يومًا بانفاق ١٤٦ جنيهًا فيسير السائح من باريز الى موسكو ففلاديفوستك فكوبه فيوكوهاما فسيتيل فنيويورك فشربورغ ففرنسا

اتقاء الغش

من احسن الطرق التي سارت عليها الولايات المتحدة في اتقاء الغش في الاعلانات انه اذا نشرت جريدة اعلانًا ضارًا تنذرها دار البريد بانها تحرمها من الامتيازات التي خصتها بها اذا ظلت تنشر هذا الاعلان وترجع جميع الرسائل الواردة باسم المعلن الى من صدرت عنهم وتكتب عليها « مزوّرة » وفي المانيا وروسيا يتداخل الاطباء في الامور الضارة بالصحة التي تنشر الجرائد عنها الاعلانات

التربية في يابان

كتب احد نبلاء يابان مقالة في احدى المجلات الانكليزية ذكر فيها ماتوفر الميكادو عليه من العناية منذ خمس وعشرين سنة لانهاض الآداب في بلاده . قال انه شرع سنة ١٨٨٠ بمنع بعض الكتب المدرسية والدساتير وفي سنة ١٨٩٠ جعل بناء التعليم على أسس جديدة وامر الامبراطور ان تكون مبادىء التربية مأخوذة عن تربية البيوت وعواطف المربين وعطفهم على من يربون وان يسعى كل امرىء الى توسيع مداركه العقلية بان يتأهل للدفاع عن المصلحة العامة

وصية عالم

ترك ادوارد دي هارتمان الفيلسوف العظيم كتاباً عظيما سينشر بعده في ثماني مجلدات وهو خلاصة الفلسفة كلها وشرح مبادئها وقد خص كل مجلد بفرع من فروعها كعلم النفس والعلوم الطبيعية والمادية والمباديء الاوَّلية والاخلاقية وهذه هي وصيته ·

معونة على العلم

كان احد محسني الفرنسيس المسيو كاهن وقف على كلية فرنسا الوفاً من الفرنكات لتصرفها كل سنة في اعانة بعض اهل العلم والادب يسيحون في الارض ليزدادوا علماً ويؤوبوا الى بلادهم لينفعوها بفضل علمهم وقد وقف الآن خمسة عشر الف فرنك تصرف لامرأتين او فتاتين كل سنة لتطوفا بها اوربا والولايات المتحدة واشترط ان تكونا معلمتين في المدارس الثانوية وان تكونا عارفتين بلغة اجنبية ·

عنصر الفقراء

كان الرأي الشائع ان اولاد الفقراء اصح اجساماً من اولاد الاغنياء وان هؤلاء دون اولئك بذكاء عقولهم وصحة احلامهم ولكن العالم نيسفورو احد اساتذة كلية لوزان في سويسرا بما احدثه من الفن الجديد وهو علم تعريف طبقات الفقراء قد اثبت ان اولاد الاغنياء ارقى فطرة وسحنة وعقلاً مما كانوا يوصفون به ففتح بذلك سبيلاً نافعاً في مستقبل الانسانية وكان بعمله الجديد القائم على البحث في احوال الفقراء لا البحث في الفقر اشبه بعلم البحث في الجانين لا البحث في الجنايات قال من بحث له في المجلة الافرنسية : ويعرف الاختلاف الظاهر في اشكال طبقات اهل السعة واهل الفاقة من الناس وما بينهما من الفروق التي تكاد تجعلها امتين متباينتين مع انهما يعيشان في ارض واحدة ويتكلمان بلغة واحدة بالبحث في اشكال الطبقات النازلة وتأثيراتها الطبيعية والفسيولوجية · قال توكفيل الكاتب السياسي الفرنسوي (١٨٠٥ — ١٨٥٩) : « تتألف أمم مختلفة كثيرة من طبقات المجتمع الواحد » وقالوا ان كل امة تنقسم الى امتين وهو قول صحيح لاننا لو بحثنا في حياة الفقير وحياة الغني لرأينا ان مبدأ التناقض بينهما على اتمه بيد ان هذا الرأي يعدُّ من غريب الآراء

قامات الفقراء من ارباب الاعسار اصغر من قامات الموسع عليهم من اهل اليسار · فطول بن الفقير في الرابعة عشرة من عمره متر وستة واربعون سنتيمتراً وطول ابن الغني في مثل

هذه السن متر ونصف وطول قامات الرجال الفقراء متر واربعة وستون سنتيمترًا في الغالب وطول الاغنياء في سنهم متر وثمانية وستون سنتيمترا ووزن جسم الموسرين من الاولاد وهم في الثالثة عشرة ٣٥ كيلو وزنة جسم ابن الفقير في مثل تلك السن ٣٢ كيلو · ومحيط رأس ابن الفقير في الحادية عشرة اصغر من محيط رأس ابن الغني فهو في الاول ٥٢٤ وفي الثاني ٥٣٣ وابن الغني وهو في سن العشرين ٩ر٥٥١ وابن الفقير ٠ر٥٤٧ وهكذا ارتفاع الجبهة وقوة الجمجمة والدماغ والجمجمة الداخلية وزاوية الوجه كلها في قياسها في الفقراء اصغر مما هي في الاغنياء وسعة الحنك في الفقراء اكثر مما هي في الاغنياء

واذا قيست قوة ابناء الفقراء بقوة ابناء الاغنياء بمقياس القوة (ديناموتر) نجد ابن الغني في السابعة يحمل عشرة كيلو على حين لا يقدر ابن الفقير ان يحمل اكثر من ثمانية · والفتاة من بنات اليسار تحمل ١٢ كيلو وهي في الثانية عشرة ومثلها من الفقيرات لا تقوى على حمل اكثر من ٧ كيلو · واولاد الاغنياء اقل صبرًا على التعب من اولاد الفقراء فقد دلت التجارب الكثيرة ان ابناء الاغنياء في الثانية عشرة من اعمارهم تنقص قوتهم من ١٩ الى ١٢ كيلو على حين ان اولاد الفقراء في مثل اعمارهم تنقص من ١٨ الى ٧ كيلو · وكذلك الصدر فانه في اولاد الموسرين اكثر سعة من ابناء المعسرين اللهم الا فيمن يعملون اعمالاً صناعية من ابناء الفقراء يكبر بها محيط صدورهم

وحركة النمو في اولاد الفقراء ابطأ مما هي في اولاد الاغنياء · وبنات الفقراء لا يبلغن الا بعد سنة او سنتين من السن التي يبلغ فيها امثالهن من بنات الاغنياء · واثبت كثير من الاطباء ان المولودين حديثًا من اولاد الفقراء اقل وزنًا من امثالهم من ابناء الاغنياء والام المستريحة تلد اولادًا اثقل وزنًا من الام المتعبة الى آخر يوم من حملها وليس لها غذاء جيد · ومن المؤثرات في صحة المولود سن الام وزمن بلوغها وتعاقب ولادتها وصحة حالتها وكل هذه الامور تؤثر في طول الطفل ووزنه ·

ويخطىء من يقول ان الجمال وتناسب الاعضاء موجودان في اولاد الفقراء لان الجمال والقوة والنشاط تابعة لسعة العيش ابدًا ولا سيما لحالة الام وان وجد جمال في ابناء الفقيرات وبناتهن فانه عرض زائل يذبل لاول نضارته واقل تعب ينالهم · وتكثر الاسقام والموت في الفقراء اكثر من كثرتها بين الاغنياء وذلك لان الفقير عرضة للامراض اكثر بالنظر تركيبه فلا يقوى على مقاومتها ولان معيشته شاقة · وخالف من يقول بان تشويه وجوه الفقراء وسحناتهم ناتج من تعاطيهم بعض الصنائع واثبت بان ذلك خلقي فيهم وان للفقر والانحطاط الطبيعي وما يلحق بذلك من التبدلات والاضطرابات في التغذية يدًا كبيرة

في التأثير في الطفل قبل ان يحيا . وتكلم على الاخلاق النفسية من الاحساس على اختلاف انواعه والعواطف الادبية والتأثرات والذكاء فقال انها في الفقراء اقل مما هي في الاغنياء واذ يتأخر ابن الفقير في نموه فهو لا يبلغ اشده بدون مساعدة شروط كثيرة من التعليم والمحيط المرتقي والرفاهية الطبيعية والاقتصادية وهو مما لا يحلم ان يراه من كانوا في ادنى سلم الاجتماع . ولئن نشأ من الطبقة النازلة اناس يكذبون هذه القضية كانوا من خيرة العقلاء والاذكياء ولكنهم قلائل جدًّا لان الاسباب الصحية والاقتصادية تؤثر في بنية الانسان وعواطفه وعقله ولا سيما في ذكائه ونبوغه وليس الذكاء والنبوغ مما يستفاد من المحيط بل هما خلقة في المرء . ومما لا ريب فيه انه كلما كثر في عنصرٍ الانحطاط العقلي والانحطاط المعاشي لا ينشأ وسطه الا اناس ضعيفة عقولهم منحطون عن غيرهم من اهل السعة .

بحث الباحثون في خصائص الشعوب والاجناس والقبائل ولم يبحثوا كثيرًا في خصائص الطبقات الاجتماعية في امة واحدة . وما الخصائص التي تميز طبقتين من طبقات شعب واحد غنية وفقيرة الا باكثر تباينًا حتى بين اهل البلد مما هي بين امة في القاصية وامة في الدانية وثبت للباحث بالبراهين المدققة ان الاختلاف في الولادة والموت وسن الزواج والامراض وغيرها بين الباريز بين الفقراء وبين اهل طبقتهم من سكان فينا اقل مما هو بين سكان مملكتي ايطاليا ونروج مثلاً وان الاختلاف يكثر بين طبقتي الفقراء والاغنياء من اهل البلد الواحد ولا يكثر على تلك النسبة بين شعبين متباينين بلغتيهما واصلهما بعيدين احدهما عن الآخر مئات من المراحل . والتمدن يبدو في الطبقات النازلة مهما ارتقت بلادهم كما يبدو عند الطبقات النازلة في البلاد المنحطة اي ان فقراء بلاد التمدن ينتشر فيهم الجهل ويقل النسل ويكثر الموت والجرائم كما هو الحال بين فقراء البلاد الساقطة . ولا يفوتنا النظر ان التمدن لا ينتشر في الآفاق المنوعة من ارض واحدة على معدل واحد بل انه يستنير كل الانارة في أفق ويظلم في آخر او يكون ذا نور ضئيل ورسم محيل . وهِمَ قوم ان الطوتمية وعبادة الظلام والحيوانات والاحجار والاشجار والمياه والنيران والظواهر الجوية والسحر وغيرها من انواع التعبد هي من خصائص الامم المتوحشة القديمة والحقيقة ان هذه العبادات لا تزال حية نامية بين الطبقات النازلة عند اكثر الامم عراقة في الحضارة على انك تجد مثل هذه العادات والاوهام والاخلاق شائعة ايضًا عند ارقى الطبقات المتحضرة لهذا العهد وذلك لان للاموات تأثيرًا شديدًا في نفوسنا وهي الحاكمة المتحكمة فينا ولكم يحاول المتمدن منا ان ينزع عنه ما كان الفه اسلافه من العادات والعبادات ومهما يبالغ ما اراد لا تحكام ذلك منه وغلبة العادة ولكن ذلك يقل في الطبقات العالية ويكثر في الطبقات النازلة

نقد المقتبس

كان معظم النقد الذي ورد على هذه المجلة في عامها الاول مقصوراً على الالفاظ والوضع اما نقد هذه السنة فاكثره على المعاني والمقاصد . وقد كتب الينا احد اهل العلم في القاهرة يقول : « كنت آليت على نفسك ان لا تتعرض في المقتبس للمباحث المتعلقة بالدين او السياسة لئلا يظهر منك ما يشتم منه رائحة التعصب لملة او دولة ثم رأيتك كأنك نسيت عهدك حتى نبهك احد ادباء بغداد على ذلك . وقد رأيتك عدت الى مثل ذلك فاكبرت الامر في مثل مسألة بسيطة لا توجب شدة ولا حدة كمسألة التقية ورحت تنحي فيها على الشيعة وان كان ما اوردته منقولاً عن غيرك حتى احرجت بذلك صدورنا دع عنك صدورهم . وكذلك فعلت في مسألة السموأل فانها مسألة طفيفة فما بالك اعظمت الامر فيها ولعلك تقول ان المقصد بذلك تنقيح البحث في التاريخ وهو من مباحث العلم على ان الاعتراض جاء من غيري فنشرته . اقول نعم كان الخطب سهلاً لو لم يكن في المقالة شدة . وصاحب المجلة مسئول عما يكتب في مجلته . والمأمول ان لا تعود الى مثل ذلك او تبين عذرك المقبول في هذا الشأن والسلام عليك »

هذا ما تناولناه بيد المنة لكاتبه وكنا نود ان نكتفي بنشره ونترك الحكم فيه للقراء كما فعلنا حتى الآن في جميع ما جاءنا من هذا القبيل لولا ان كثر مثل هذا النقد علينا وجاءنا شيء من نوعه من مصر والشام والعراق فاصبح السكوت عن الاجابة ضرباً من ضروب الاهمال . وبعد فالمجلة لا تزال جارية على الخطة التي رسمتها في اول جزء صدر من التمحض للعلم المحض والانطلاق في الفكر والتجوز في الاقتباس والنشر . وما يبدر منافياً بعض الموضوعات مما قد يحمله بعضهم على نزعة دينية او سياسية فانما يكون في الغالب من موازري المجلة الكرام او مما نقتبسه من غيرنا او يقع لنا بالعرض لا بالقصد ولا نبرىء النفس من الذهول في بعض الاحيان فالانسان محل النسيان .

ليس معنى نشرنا في السنة الماضية لمقالتين في حريق مكتبة الاسكندرية احداهما معربة عن التركية والاخرى عن الانكليزية مما يستدل منه على اننا نريد الغض من دين والرفع لآخر فالمسألة تاريخية صرفة تعاورتها الاقلام ولا تزال تتعاورها من اهل كل نحلة وجنس . وكذلك درجنا بحث « شعراء النصرانية في الجاهلية » وهو من المباحث التي لامنا بعضهم على القبول بنشرها ولو علم اللائمون بان الناقد والمنتقد عليه متحدان في النحلة والمشرب لخففوا من اللائمة . وهكذا قل في نشرنا مقالة التقية فانا لم نقصد الى الحط من فرقة معينة فيما كتبنا وعذرنا الى من تأملوا مما نقلناه في التقية عند الشيعة ان ليس لدينا كتاب من

كتب محققيهم ننقل عنه ما يتم به البحث · ولو تفضل اولئك الناقدون فوافونا بما أُثر عن اهل العلم من الشيعة لكانوا احسنوا صنعاً · وقد كان وعدنا احد افاضلهم ان يوافينا بما قاله علماؤهم ثم عاد فاعتذر بان شواغل شغلته عن ذلك اهمّ من هذه المسألة ·

ولا يفوتنا النظر بان تعلق العلوم بعضها ببعض يقضي علينا في الاحايين ان ندخل في مبحث اجتماعي او علمي شيئاً من مسائل الدين تتميماً للبحث كما وقع لنا في بحث التقية وما كان في وسعنا ان نصوّر للقارىء هذا الموضوع لولم نعمد الى كتب التفسير والكلام ونقتبس منها ماله اتصال بالبحث ·

اما قول المنتقد المشار اليه بان صاحب المجلة مسؤول عما ينشر ولا يعذر فكلام لا يخلو على اطلاقه من نظر · ذلك لانه لا يتيسر تقييد حرية المكاتبين اذا كانوا مخلصين فيما يكتبون مالم يتجاوز قلمهم الحد في التنكيت والتبكيت فان ذلك مما يلام فيه الكاتب والناشر على اننا كثيرًا ما نعدّل مثل هذه السقطات مالم نذهل او نجد الامر فيه غير جلل على انا قد اشرنا الى العذر في مثل ذلك في نبذة نشرناها منذ شهرين تحت عنوان المترجمات وحكم المترجم فيها · فهل فيما اوردناه مقنع ؟

***

اقترحنا منذ مدة على احد اصدقائنا ان يعرب لنا عن الانكليزية شيئاً من مقالات القاضي امير علي الهندي نظرًا لشهرة المؤلف في بلاد الانكليز فعرب لنا مقالة المرأة في الاسلام فنشرنا نصفها في الجزء الخامس من هذه السنة وقد وردت علينا من احد فضلاء سورية رسالة شديدة الوطأة ينقد فيها مقال القاضي الهندي وبنى نقده على امرين احدهما ضعف الاخبار التي نقلها وانها لا تعرف في كتب الثقات من علماء الاثر والثاني تعليله بعلل لا تعقل فان كثيرًا من علماء الاسلام بل وغيرهم من المحامين عنه قد اوردوا في ذلك عللاً محكمة فيها مقنع للناظر · ولما كان نشرها برمتها يوجب الدخول في تفصيل قضايا باين ما أُنشئت له المجلة من الابحاث رأينا ان نكتفي بالاشارة الى تلك الرسالة شاكرين للمنتقد عنايته منبهين على ان المنتقد عليه حسن النية فيما كتب وكثيرًا ما يكبو الجواد

المقتبس

الجزء التاسع من المجلد الثاني

رمضان سنة ١٣٢٥ الموافق اكتوبر (تشرين أول) سنة١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

ابن زيدون

اذا انتشرت الآداب والعلوم في أمة وكادت تعم افرادها كافة يأتي من بين اولئك المتعلمين الكثار صفوة من الرجال منهم ينشأ النوابغ لان ارتقاء العلوم في الخصوص يكون على نسبة ارتقائها في العموم . وصاحب الترجمة هو أحد افراد الاندلس المعدودين زكا اصله وسما عقله ورجح بيانه وانفتق لسانه وبعد صيته بين حملة رايات القريض وصوّاغ عقود الانشاء جمع الى تليد مجده طريفاً والى آدابه الوهبية آداباً كسبية وقد عُدَّ فى الطبقة العالية بين شعراء الاندلس ونال من المنثور حظاً كبيرًا فهو على التحقيق كما وصفه احد الادباء « بحتريّ المغرب » لحسن ديباجته وسهولة معانيه ومتانة تراكيبه تقرأ في منظومه العواطف في ابهى مظاهرها وتتجلى لك اغراضه في اسمى معانيها فشعره جعبة الادب البارع ودرج الذهب الرائع ومثال الظرف والرقة وعنوان الانسجام والاجادة حتى قال احدهم فيه: من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف كله

وصفه صاحب القلائد بقوله : زعيم الفئة القرطبية ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر بنظامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلده ابهى نحر لم يصرفه الا بين ريحان وراح ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وافراح ولا تعدى به الرؤساء والملوك ولا تروّى منه

الا حظوة كالشمس عند الملوك فشرف بضائعه وارهف بدائعه وروائعه وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها وحل من عينها مكان انسانها ·

وفي بعض المجاميع ان الوزير ابا بكر بن عمار وابا الوليد بن زيدون كانا في حسن الشعر فرسي رهان ورضيعي لبان وقد ذكر اكثر الأُدباء بالاندلس انهما اشعر اهل عصرهما هذا ما ذكره العماد الكاتب وذكر له القصيدة التي اولها * اما في نسيم الريح عرف يعرف * والرسالة التي كتبها لاستاذه ابن جهور يستعطفه بها وقد اعتقله لما سمع انه مال الى المعتضد عباد وذكر لابن عمار الرائية التي استوزره لسببها ابن عباد وهي ادر الزجاجة الخ ·

ولقد كان ابن زيدون آية في طلاقة لسانه كما كان غاية في حسن بيانه ويحكى ان ابنته توفيت وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما اعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدي :وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في اساليب الكلام وهو امر صعب الى الغاية واری انه اشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تهوين هذا الامر وعدم تهوينه ان واصل بن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فاذا اراد العدول عن لفظ فرس قال جواد او ساع او صافن او العدول عن رمح قال قناة او صعدة او يزني او غير ذلك او العدول عن لفظ صارم قال حسام او لهذم او غير ذلك واما ابن زيدون فاقول في حقه اقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه ان يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج في هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده ·

ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه اعقبت بسحاب

وقال ابن بسام في الذخيرة في ترجمة ذي الوزارتين الكاتب ابي الوليد ابن زيدون وصاحب الذخيرة خير من يصوّر الرجال ومناشئهم واحوالهم :

كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم· وخاتمة شعراء مخزوم· احد من جر الايام جرا · وفات الانام طرا · وصرف السلطان نفعاً وضرّا · ووسع البيان نظماً ونثرًا · الى ادب ليس للجدول تدفقه · ولا للبدر تألقه · وشعر ليس للسحر بيانه · ولا للنجوم الزهر اقترانه · وحظ من النثر غريب المباني · شعري الالفاظ والمعاني · اخبرني غير واحد من وزراء اشبيلية قال : لما خلص ابن عبد البر من يد عباد · خلوص الفرزدق من يد زياد · بقيت حضرته من اهل هذا الشان · اعرى من ظهر الافعوان · واخلى من صدر الجبان · فهمّ باستخلاف ابي محمد

ابن الباجي المشهور امره الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره فكان ابا الوليد غص بذلك وواطأ ابا محمد بن الجد على الاشارة بالاستغناء عما هنالك فكانت الكتب تنفذ من انشاء ابي الوليد الى شرق الاندلس فيقال : تأتي من اشبيلية كتب هي بالنظم اشبه منه بالنثر . وقد اجرى ذكره ابو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته فقال : ونوّه بفتى الادب وعميد الظرف الشاعر البديع الوصف ابي الوليد احمد بن زيدون ذي الأبوّة النبيهة بقرطبة والوسامة والدراية وحلاوة المنظوم والسلاطة وقوّة العارضة والافتنان في المعرفة وقدمه الى النظر على اهل الذمة لبعض الامور المعترضة وقصره بعد على مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء فاحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الملوك . قال ابو مروان وكان ابوالوليد من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في ايام الجماعة والفتنة وبرع ادبه وجاد شعره وعلا شانه وانطلق لسانه فذهب به العجب كل مذهب وهوّن عنده كل مطلب وكان علقه من عبدالله بن احمد احد حكام قرطبة ما اداه الى السجن فالقى نفسه يومئذ على ابي الوليد بن جهور في حياة والده ابي الحزم فشفع له وانتشله من نكبته وصيره في صنائعه ولما ولي الامر بعد والده نوّه به واسنى خطته وقدّمه في الذين اصطنع لدولته واوسع رايته وجاله كرامته ولم يقنعه ذلك فيما زعموا فاتفق ان عنّ له مطلب بحضرة ادريس الحسني بمالقة فاطال الثواء هنالك واقترب من ادريس وخف على نفسه واحضره مجالس أنسه فعتب عليه ابن جهور وصرفه في السفارة بينه وبين امراء الاندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة فاستقل بذلك بفضل ما أوتيه من العارضة بالنسب والجاه والمنفعة ولم يغنه ذلك عن التهافت في الترقي لبعد الهمة فهوى عما قليل الى عباد صاحب اشبيلية فهاجر عن وطنه اليه ونزل في كنفه وصار من خواصه وصحابته يجالسه في خلواته ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة وكان ذهابه لعباد سنة احدى واربعين واربعمائة .

قال ابو حسن : فاما سعة ذرعه وتدفق طبعه وغزارة بيانه ورقة حاشية لسانه فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد والرمل الذي لا يحصر ولا يعد اخبرني من لا ادفع خبره من وزراء إشبيلية قال : لعهدي بابي الوليد قائماً على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب احداً بمثل ما اجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه . وقد اخرجت من اشعاره التي هي حجول وغرر ونوادر اخباره التي هي مآثر وأثر ورسائله التي اخرست السنة الحفل (ما ستتلوه) . ثم ذكر له ما يتعلق بذلك في نحو خمسين صفحة ختمها بفصل يتعلق بذكر وفاته قال : ومما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزارتين فصل من تاريخ الشيخ ابي مروان

ابن حيان رأيت اثباته لنبل مساقه وحسن اتساقه يقول فيه :وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وستين واربعمائة سار الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد الى اشبيلية الحضرة الاثيرة لمطالعتها وتأنيس اهلها من وحشة خامرت عامتهم من اجل عدوان رجل منهم على يهودي زعم انه سب الشريعة فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه وحرك عليه العامة فقبض عليه صاحب المدينة عبد الله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في انكار حبسه كلام واكثار فخاطب السلطان بقرطبة بما كان منه ويستأمره في شأنه فعجل انفاذ ولده الحاجب سراج الدولة الى اشبيلية في جيش كثيف من نخبة غلمانه ووجوه رجاله لمشارفة القصة والاحتياط على العامة وانفذ معه ذا الوزارتين ابا الوليد بن زيدون احد الثلاثة كبري وزرائه المثناة وزارتهم مع الحاجب على بقية وعلك كان متألما منه ولم يعذره في التوقف من اجلها فمضى لطيته مسوقا الى منيته وخلف ولده ابا بكر النفذ الوزارة المرتسم بالكتابة وراءه سادا مكانه بالحضرة فأقر فيها اياما ثم أمر بالمسير وراء والده لامر كلفه فعجل بالانطلاق له فمضى غداة يوم السبت من ثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين نخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت على سواهم فتحدث الناس بنبو مكان الاديب ابن زيدون لدى السلطان وبما جرى من الحظيين لديه ابن مرتين وابن عمار في ابعاده وابعاد ابنه واحتوائهما على خاصة السلطان وتدبير دولته ولم يطل الامد بابن زيدون بعد لحاق ابنه به ووجدانه اياه متزيدا في مرضه نازحا عن ألآفه على جهد في استدعائها على انتهاء المدة وانتهاك القوة فاستقر به وجعه الى ان قضى نحبه وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين فدفن فيها مشهودا مفتقدا واحتوى تربها عليه فيابعد ما بين قبره وقبر ابنه لدينا رحمة الله عليهما .

ولقد اتصل خبر هلكه بعشيرته اهل قرطبة فتنازعوه وسيئوا لفقده وحزنوا عليه اذ كان منهم متعصبا لهم هاويا اليهم حدبا عليهم والبقاء لمن تفرد به وحده . وقد عزى اخوانه عنه امتداد بقاء فتاه الندب ابي بكر ولده بعده سادا ثلمه ساميا مسماه غائظا عداه عاظيا منتهاه مع شماخة ودماثة وحصافة ونزاهة ومعرفة ووفور حظ من ادب بلاغة وكتابة وشركة في التعاليم المعلية واشتداد في رعاية متقادمي الذمة لم يفقد اخوان ابيه معها الا عينه اه

اما شعره فمعروف سائر على الالسن . وقد افضنا في الكلام على ديوانه في غير هذا الموضع من هذا الجزء . واما نثره فقليل في الايدي لم يشتهر منه غير رسالتين مفردتين لم ينسج ناسج على منوالها احداها رسالته في التنكيت على احد وزراء عصره وهي التي شرحها الاديب المشهور ابن نباتة السعدي . والثانية رسالته التي كتبها وهو في الحبس يستعطف

بها امير مصره وقد شرحها صلاح الدين الصفدي(وطبع هذان الشرحان في الديار الاوربية) ومتى ساعدنا الوقت نشرناها لكثرة ما فيهما من التنميح للامور التاريخية التي يجدر بكل اديب الوقوف عليها وقد احببنا ان ننشر له بعض الرسائل التي ذكرها صاحب الذخيرة تقرأوها في باب الصحف المنسية ·

ثروة العرب

قد يظن من يطالع تاريخ الاسلام بدون ان يعمل نظره معمله ان ما يراه في تضاعيف سطوره من اخبار الثروة وطول ارقامها وتفاني الباحثين عنها والمتفانين في نيلها ضرباً من ضروب الغلو ساق اليه تسرع المؤلف او اختلاق منه ليجعل لمن يتكلم عنه وقعاً في النفوس ويحبب اليها مطالعة كتابه خصوصاً والبشر في كل دور من ادوارهم كادوا يجعلون الدينار معبودهم ·

ولم يرد احصاء الثروة الاسلامية في كتب الثقات ما كان كلام بعضهم عنها بحيث يصح نقله · فقد لقي الرسول عليه الصلاة والسلام ربه وحاله من الزهد في المال والرفاهية حاله واستن معظم اصحابه بسنته وكان من امر ابي بكر وعمر وعليّ من الزهد في المال ماشاع ذكره وظهر اثره وتحدث به السمار في الامصار · قال (١) معاوية وقد ذكر المال « اما ابو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده واما عمر فارادته الدنيا ولم يردها واما عثمان فاصاب منها واما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن » ·

على هذا النحو كان التأثل والارتياش راح الخليفة الاول واسباب الفتوح معدودة ولم يصل قواده الى اقصى جزيرة العرب ليفتحوا بلاداً عامرة كفارس ومصر والشام كانت خزانة الثروة والاموال بما كان فيها من حضارة قديمة وانما تهيأت الفتوحات وكثرت الغنائم ايام الخليفة الثاني ففتح الله للمسلمين تلك البلاد الغنية فعف عنها هو ومعظم اصحابه وكان يصادر من عماله من يجمع مالاً من غير حله · اما الخليفة الثالث فاخذ نصيباً من الدنيا هو وعماله وربما اغرق هؤلاء في نيلها بطرق لم تعهد زمن الخليفتين السالفين لان معظمهم من انسبائه

(١) اعتمدت في هذه الرسالة على مختصر تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وهو مخطوط كبير الحجم غزير الفائدة وقد جعلت عبارته وسط علامتين اما سائر هذه الاخبار فمرجعه كتب التاريخ ·

وخاصته لا يحاسبون فيما هم فاعلون حتى اذا جاء الخليفة الرابع اراد ارجاع الخلافة الى طورها اللائق وقتر على نفسه وعلى خاصته وذويه ولم يتسع له الوقت حتى تظهر فيها اخلاقه بالقول والفعل لاشتغاله بدفع غوائل الفتن .

جاء معاوية فانقلبت الخلافة الى ملك عضوض وبدأ يستكثر من المال فيعطيه الاديب والطبيب والخطيب والفقيه والكاتب والقائد والعامل ومن ماثلهم يجعلهم عدّته في توطيد الملك له ولذريته فكثرت الاموال وانتبأ المسلمون يقلدون الروم والفرس في السعي وراء المكاسب واختزان الاموال والناس على دين ملوكهم . ولم يكن الا قليل حتى ابدى عبدة الدرهم نواجذهم من غير نكير وكاد ينسى ما كان عليه اهل الصدر الاول الا قليلاً ففي حوادث سنة اثنتين وثلاثين « ان الدنيا اتسعت على الصحابة حتى كان الفرس يشترى بمائة الف وحتى كان البستان يباع بالمدينة باربعمائة الف وكانت المدينة عامرة كثيرة الخيرات والاموال والناس يجبي اليها خراج الممالك وهي دار الامارة وقبة الاسلام فبطر الناس بكثرة الاموال والخيل والنعم وفتحوا اقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا »

«وكان عبد الرحمن بن عوف الزهري احد الثمانية الذين سبقوا الخلق الى الاسلام تاجراً كثير الاموال بعد ان كان فقيراً باع مرة ارضاً له باربعين الف دينار فتصدق بها كلها وتصدق مرة بسبعمائة جمل باحمالها قدمت من الشام واعان في سبيل بخمسمائة فرس عربية» «ومات ابو طلحة الانصاري احد من شهد بدراً في سنة اربع وثلاثين وكان اكثر الانصار مالاً » . « وكان الزبير بن العوام ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم واحد العشرة كثير المتاجر والاموال قيل كان له الف مملوك يؤدون اليه الخراج فربما تصدق بذلك في مجلسه وقد خلف املاكاً أبيعت بنحو اربعين الف الف درهم وهذا لم يسمع بمثله قط » . «وكان طلحة بن عبيد التميمي احد العشرة من الاجواد يقال له طلحة الفياض وطلحة الجود ويقال انه فرق في يوم واحد سبعمائة الف ويروى ان اعرابياً من اقاربه قصده وتوسل اليه فوصله بثمانمائة الف درهم ويروى عن عمرو بن دينار عن مولى طلحة أن دَخْل طلحة كان كل يوم الف درهم ويقال انه خلف من المال الفي الف درهم ومائتي الف دينار وقال ابن الجوزي :خلف طلحة ثلاثمائة حمل ذهباً وروى ابن سعد باسناده قُوّمت اصول طلحة وعقاره بثلاثين الف الف درهم»

وخلف عمرو بن العاص نائب معاوية على مصر « اموالاً عظيمة من ذلك سبعون رقبة بعير مملوءة ذهباً وكان معاوية قد اطلق له خراج الديار المصرية ست سنين شارطه على ذلك لما اعانه على وقعة صفين» . جمع ابن العاص ما جمع لا من الخراج الذي كان يستأثر به وحده وانما من تلونه في اساليب استخراج المال من اهل مصر ولذا صادره عمر بن الخطاب

لما كان عاملاً له عليها . روى الديري في كتاب الحبس على التهمة عن ابي القاسم بن سلام في كتاب الاموال في اسناد له عن هشام بن ابي رقية وكان ممن افتتح مصر قال افتتحها عمرو ابن العاص فقال : من كان عنده مال فليأتنا به قال : فأتي بمال كثير قال : و بعد ذلك بعث الى عظيم اهل الصعيد فقال : المال فقال : ما عندي مال فسجنه قال : وكان عمرو يسأل من يدخل عليه هل تسمعونه يذكر احداً قالوا : نعم يذكر راهباً بالطور فبعث به مع رسول من قبله الى الراهب فأتي بقلة من نحاس مختومة برصاص فاذا فيها كتاب واذا فيه يابني ان اردتم مالكم فاحفروا تحت الفسقية فبعث عمرو الامناء الى الفسقية فحفروا فيها فاستخرجوا منها خمسين اردباً دنانير قال فضرب عنق القبطي وصلبه .

ومصر هي ام المدن الاسلامية بثروتها وتربتها ذهب كما وصفها احد حكامها ولم يزل امراؤها يستنزفون اموالها ففي سنة خمس وثمانين «مات متولي مصر والمغرب عبد العزيز بن مروان الاموي اخو الخليفة وقد ولي الديار المصرية عشرين سنة وخلف اموالاً لا تحصى» وسنة ٥١٥ مات بمصر الافضل امير الجيوش شاهنشاه احمد بن امير الجيوش بدر الارمني وكانت ولايته ثمانياً وعشرين سنة على الديار المصرية «واستولى الآمر على حواصله كلها ولم يسمع في الدنيا بمثلها كثرة كانت دوابه باثني عشر الف الف دينار وكان لبن المواشي التي له يغل في العام ثلاثين الف دينار واما ابن خلكان فنقل عن صاحب الدول المنقطعة قال : خلف الافضل وزير الديار المصرية وامير جيوشها ستمائة الف الف دينار ومائتين وخمسين اردب دراهم وخمسة وسبعين الف ثوب ديباج . »

وكانت اسباب الثروة في البلاد الشرقية كثيرة وخصوصاً لمن وَلِي شيئاً من امر الامة في دور الانحطاط وارتفاع المراقبة وفساد التربية فان المصادرات والرشوات وانواع الهدايا والقربات وقلة النفقات ورخص البياعات كانت كلها من الاسباب التي تهيء الامير متى رفع خوف الله من قلبه ان يكون صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة يسلبها أُلوفاً من الضعفاء لينعم بها باله وبال عياله واولاده من بعده . والا فكيف كان يتأتى للامراء ان يخلفوا الاموال الطائلة في خزائنهم ويسرفوا اسرافاً لا يكاد يصدق لولا صحة ما رواه المحققون من اهل النظر .

قيل ان جملة ما انفقه عبدالله محمد بن ابي يوسف احد ملوك الاندلس في سفرة لهُ مائة وعشرون حملاً ذهباً فكم كان في خزائنه يا ترى ؟ ولا يخفى على ذي بصر ان احوال العرب الاجتماعية لم تكن في الدرجة التي نتصوَّرها ولو حفظت لنا كتبهم وسجلاتهم من الضياع لكان حكمنا على مدنيتهم من هذا القبيل صحيحاً لا شوب فيه ولا تخليط ولا

شك انه كان للقوم عناية بالمال وطرق استثماره واخبار اصحابه عنايتهم بالشؤون التي قلما يخطر بالبال ان كتاب العرب دونوافيها وصنفوا · وما تعب يعانيه من يود الخوض في ذكر احوال العرب على جليتها الا ناتج من قلة الظفر بكل ما كتبوه وقد صام القوم عن العلوم الاجتماعية قرابة خمسمائة سنه لم يكن لهم فيها بعد ابن خلدون فيما احسب كتاب ولا رسالة يصح الرجوع اليها في المعضلات ·

***

رغب كثير من اهل الاسلام في الدنيا على اصولها ونشدوها من ابوابها وادخروا الاصفر والابيض بعرق الجبين والكدح المشروع والطرق المعقولة والارتياض والاستنفاض والصناعات والتجارات والزراعات · وان قلَّ من جمعوا المال من حله وانفقوه كذلك قلتهم في كل امة بحيث يتأتى للباحث في تراجم كبار الاغنياء في العالم ان يُرجع طبقاتهم الى ثلاث اما سارق بطرق تجارية او صناعية كما في الغرب اليوم او سارق برشوة ومظلمة كما في الشرق قديمًا وحديثًا او وارث ترك له اهله مالاً جنوه بتلك الاسباب وقليل منهم بالعمل واتخاذ اسباب الرزق · ولا يعقل ان يكسب المرء من حلال صرف و يسير على قانون مشروع او معقول و يتسنى له ان يكون من رجال الخزائن والصناديق ·

كان امام اهل مصر الليث بن سعد الفهمي المتوفى سنة ١٧٥ «من بحور العلم له حشمة وافرة وكان نظير ملك قيل كان دخل الليث في السنة ثمانين الف دينار وما وجبت عليه زكاة مال قط وكان نواب مصر من تحت اوامره» وسنة ٣٠٢ صادر المقتدر بالله العباسي حسين ابن الجصاص الجوهري وسجنه قال ابن الجوزي : واخذوا منه ماقيمته ستة عشر الف الف دينار قال بعضهم : رأيت ابن الجصاص يُقبن بين يديه بالقبان سبائك الذهب قال الكتبي في ذيل الوفيات : كان ابن الجصاص من اعيان التجار ذوي الثروة الواسعة ولما بويع لعبدالله ابن المعتز وانحل امره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر اختفى عند ابن الجصاص هذا فوشى به خادم صغير لابن الجصاص فصادره المقتدر على سته آلاف الف دينار قال ابن الجوزي: اخذوا منه ما مقداره ستة عشر الف الف دينار عينًا و ورقًا وقماشًا وخيلاً و بقي له بعد المصادرة شيء كثير الى الغاية من دور وقماش واموال و بضائع وضياع ·

قال ابن الجصاص في سبب ثروته : انه كان في دهليز ابي الجيش خمارويه بن احمد ابن طولون وكان وكيله في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون اليه وما كان يفارق الدهليز لاختصاصه به فخرجت اليه قهرمانة لهم في بعض الايام ومعها عقد جوهر فيه مائة حبة لم ير قبله ولا بعده انخر ولا احسن منه كل حبة منه تساوي مئة الف دينار عنده وقالت :يحتاج

ان يخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللعب وفي قلائده قال : فكدت اطير واخذتها وقد قلت السمع والطاعة وخرجت في الحال مسروراً وجمعت التجار ولم ازل اشتري كل ما قدرت عليه الى ان جمعت مائة حبة اشكالاً في النوع الذي طلبته واردته وجئت عشياً وقلت ان خرط هذا يحتاج الى انتظار وزمان وقد خرطت اليوم ما قدرنا عليه وهو هذا ودفعت اليها المجتمع وقلت الباقي يُخرط في ايام فقنعت بذلك واعجبها الحب فخرجت وما زلت اياماً في طلب الباقي حتى اجتمع فحملته اليها وقامت عليَّ المائة حبة بدون المائة الف درهم واخذت منهم جوهراً بمائتي الف الف دينار ثم لزمت دهليزهم واخذت لي غرفة كانت فيه فجعلتها مسكني وكان يلحقني من هذا اكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة وانتهيت الى ما استفاض خبره .

هكذا اغتنى ابن الجصاص المتوفى بعد العشرين والثلثمائة تقريباً وله اخبار ونوادر لا تصدر الا عن النوكى كان يتظاهر بها ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنوه على انفسهم اذا خلا بالخلفاء .

ومما يدل على مقدار الثروة الاسلامية النظر في مصادرات الملوك لامرائهم وقوادهم فقد صادر المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة خالد بن برمك «واخذ منه ثلاثة آلاف الف ثم رضي عنه» . «وسنة ٢١٩ غضب المعتصم على وزيره الفضل بن مروان واخذ منه عشرة آلاف الف دينار ونفاه» . «وفي سنة سبع غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد القاضي وصادره واخذ منه ستة عشر الف الف درهم» . «وفي سنة تسع عُزل القاضي القضاة يحيى بن اكثم وأُخذ منه مائة الف دينار» . «وكان الوزير ابن الفرات ذا جبروت وفتك وُزر مرات للعباسيين ثم صودر وقتل قيل كان دخله من ملكه في السنة الفي الف دينار وكان له من الخيل والمماليك والتجمل مالا يكون مثله لسلطان» . ولما جرت المحنة على الوزير ابي علي بن مقلة صاحب الخط المشهور في زمن الراضي بالله في سنة ٣٢٤ اخذ خطه بالف الف دينار «ومات ايتاخ التركي الامير مقدم جيوش الواثق سنة اربع وثلاثين ومائتين خافه المتوكل فقبض عليه وأُميت عطشاً واخذوا له الف الف دينار»

جاء في ذيل الدول وسنة ٧٥٣ قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد ما يزيد على الفي الف دينار ومن اواني الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ومن اللؤلؤ نحو اردبين ومن الحياصات الذهب ستة آلاف ومن القماش المفصل نحو الفين وستمائة قطعة وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتي بستان والف واربعمائة ساقية ومن الخيل والبغال الف ومن الجواري سبعمائة ومن

العبيد مائة ومن الطواشية سبعون الى غير ذلك . وكان دخل القاسم بن عبيدالله وزير المعتضدالعباسي من املاكه في السنة سبعمائة الف دينار «ومات سنة ٣٠١ امير جنديسابور على بن احمد الراسبي وخلف تركة عظيمة منها الف الف دينار والف فرس» . وخلف احمد ابن يونس الحراني من اطباء الاندلس ما قيمته ازيد من مائة الف دينار نال اكثرها من الطب . وكان ابوعبدالله بن الكتاني من اطباء الاندلس وفلاسفتها ذا ثروة وغنى واسع وفي عيون التواريخ (١) ان عبدالله بن محمد الاسدي المعروف بابن الاكفاني قاضي قضاة بغداد المتوفى سنة ٤٠٥ انفق على ما قيل مائة الف دينار على طلب العلم . وخلف خاسر الشاعر ايام الرشيد ستة وثلاثين الف دينار وليس هذا بعجيب على من نظم بيتين في مدح محمد بن زبيدة لما بايعه الرشيد فحشت فاه درًا باعه بعشرين الف دينار

وذكر ان السلطان سنجر بن ملكشاه المتوفى سنه ٥٥٢ — صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر الذي خُطب له بالعراقين واذربيجان واران وارمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة وضُربت السكة باسمه في الخافقين — اصطبح خمسة ايام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب فبلغ ما وهبه من العين ستمائة الف دينار غير ما انعم به من الخيل والخلع والاثاث وغير ذلك وقال خازنه اجتمع في خزائنه من الاموال مالم اسمع انه اجتمع في خزائن احد من الملوك الاكاسرة وقلت له يومًا حصل في خزائنك الف ثوب ديباج اطلس واحب ان تبصرها فسكت وظننت انه رضي بذلك فابرزت جميعها وقلت اما تنظر الى مالك اما تحمد الله تعالى على ما اعطاك وانعم عليك فحمد الله تعالى ثم قال يقبح بمثلي ان يقال مال الى المال وامر الامراء بالاذن في الدخول عليه ففرق عليهم الثياب الاطلس وانصرفوا واجتمع عنده من الجوهر الف وثلاثون رطلاً ولم يسمع عند احد من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه قاله ابن خلكان .

قال صاحب الدول : خلف الملك الافضل ستمائة الف الف دينار عينًا ومائتين وخمسين اردبًا دراهم نقد مصر وخمسة وسبعين الف ثوب ديباج اطلس وثلاثين راحلة احقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر الف دينار ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مسرود مذهب بلون من الالوان ايما احب منها لبسه وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دقّ تنيس ودمياط وخلف من الخيل والرقيق والبغال والمراكب والطيب والحلي والتجمل مالا يعلم

(١) هو للصلاح الكتبي صاحب ذيل وفيات الاعيان وجدت منه في مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق الجزء الاول والثالث والخامس والسادس والثاني عشر والثالث عشر

قدره الا الله تعالى وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والغنم والجواميس ما يستحي الانسان من ذكر عدده وبلغ ضمان البانها في سنة وفاته ثلاثين الف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم الجواري والنساء ·

ذكر الطبري في سنة ثلاث عشرة ومائتين ان المأمون ولى اخاه المعتصم الشام ومصر وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم واعطى كل واحد منهما ومن عبدالله بن طاهر اخمسمائة الف دينار وقيل انه لم يفرق في يوم واحد من المال مثل ذلك ·

وكان ابو محمد عبدالله بن احمد الطالبي المصري صاحب رباع وضياع ونعم ظاهرة وعبيد وحاشية كثير التنعم كان بدهليزه رجل يكسر اللوز كل يوم من اول النهار الى آخره برسم الحلوى التي ينفذها لاهل مصر من الاستاذ كافور الاخشيدي الى من دونه فمن الناس من كان يرسل له الحلوى كل يوم ومنهم كل جمعة ومنهم كل شهر وكان يرسل الى كافور في كل يومين جامين حلوى ورغيفاً في منديل مختوم قاله ابن خلكان · ودفع ابو محمد عبدالله ابن عبد الحكم والد ابي عبدالله محمد صاحب الامام الشافعي لهذا الامام عند قدومه الى مصر الف دينار من ماله واخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار وكان ابو محمد من ذوي الاموال والرباع وله جاه عظيم وقدر كبير

هذه امثلة مما عثرنا عليه تصوّر للقاريء حالة الثروة عند العرب بعض التصوير والله اعلم بالصواب

اليونان

سبب نصرة اليونان — لم تكن حرب مادي حرباً وطنية بين يونان وبرابرة بل كان يونان آسيا ونصف يونان اوروبا يقاتلون في الجيش الفارسي ولم يجسر كثيرون من ابناء جنسهم على ابداء اقل حركة · وكان الخاقان الاعظم ورعاياه هم الذين حاربوا اسبارطة وآثينة ومن حالفها في الحقيقة · فكان من خوارق العادات ان يغلب هذان الشعبان الصغيران ذاك الخليط العظيم من الفرس · وزعم اليونانيون ان الآلهة قاتلوا عنهم ومتى درست احوال الخصمين عن أمم يبطل عجبك · فقد كان الجيش الفارسي جسيماً فظن كسيركس على سذاجة قلبه ان النصر معقد اللواء بكثرة العدد بيد ان هذه الجموع كانت مرتبكة من نفسها ولم تدر من اين تأخذ ذخيرتها وتتقدم تقدماً بطيئاً ويضيق ذرعها من اول يوم الحرب حتى ان السفن المزدحمة كانت تغرز طرف مقدمها في السفن المحيطة بها

وتحطم لها مجاذيفها ثم ان في ذاك الجماء الغفير كما يقول هيرودتس كثيرًا من الناس وقليلاً من الجند . ولم يكن غير الفرس والماديين وهم خيرة الجيش يقاتلون بشدة اماغيرهم فلم يكونوا يزحفون الى العدو الا اذا انهالت السياط عليهم وقدجاؤوا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهمهم امرها ولا سلاح لديهم ولا نظام في مصافهم فهم لا يلبثون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تغيب اعين الحراس عنهم . ونقاتل الماديون والفرس وحدهم في بلاتيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس ثياباًطويلةوقدوقيت رؤوسهم بقلنسوة من لباد وحفظت اجسامهم اتراس من شجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومدية وحربة قصيرة جدًا ولم يكونوا يستطيعون القتال الا بعيدين ويقاتل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والمتحدون معهم بعقد المحالفة فكانوا على عكس ذلك تقيهم التروس العظيمة والخوذ ووقايات السوق ويسيرون جموعًا مشتبكة لا تقاوم يخرقون صفوف العدو بحرابهم الطويلة وما هو باسرع من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذبحة تباع فيها الارواح بيع السماح .

نتائج الحروب المادية — قادت اسبارطة الجيوش ولكن كما قال هيرودتس كانت آثينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مثالاً في المقاومة . فالفت اسطول سلامينة وقد استفادت آثينة من هذه النصرة اما المدن الايونية من الجزر وشاطيء آسيا جملة واحدة فقد ثارت ومردت والفت عصابة تبايعت فيها على الموت في سبيل الذود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب جبنية فلما لم يستطيعوا ان يديروا حرباً انصرفوا راجعين ادراجهم فاصبح الآثينيون اذ ذاك زعماء العصابة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقر رأيهم على متابعة حرب الخاقان الاعظم وتآمروا بينهم على تقديم سفن وبحاريين وان يؤدوا كل سنة قطيعة من المال قدرها ٤٦٠ تالانًا (اسي مليونًا وسبعمائة الف فرنك) وجعلت الخزانة بمدينة ديلوس في معبد ابولون معبود الايونيين وكان عهد الى آثينة ان تقود الجيوش وتجبي القطائع . وقد القى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحمى واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعًا بالعهود الى يوم تطفو هذه الحديدة على سطح الماء وذلك حبًا بتأكيد العهد وتفاديًا من نقض يمين الاخلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقفت وعقد اليونان — وكان النصر اليف الويتهم ابدًا — معاهدة سلمية او هدنة مع الخاقان الاعظم فابى الملك ان يعد يونان آسيا من رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستديس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤدي القطائع على حين ليس عليها ان تقاتل بعد فابى بعضها

ذلك حتى قبل ان أُطفئت نار الحرب . وزعمت آثينة ان المدن كانت أُخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدي ما يطلب اليها . حتى اذا وضعت الحرب اوزارها لم تُجدِ خزانة ديلوس فتيلاً ولذلك نقلها الآثينيون الى مدينتهم واستخدموها في ابتناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدون مايتقاضونه من الضرائب للخلاص من ايدي الفرس فمن ثم لم يكن لهم ما يطالبون به بتة ما دامت آثينة تدفع عنهم عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما غير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لآثينة وما عتموا ان امسوا رعاياها فزادت آثينة في قطائعهم واكرهت مواطنيهم على المثول امام المحاكم الآثينية بل قد انفذت بطوارئ من قبلها ليستعمروا جانباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت آثينة ام القرى تحكم زهاء ثلثمائة مدينة متفرقة في الجزر وشواطئ الارخبيل وتجبي قطيعة قدرها ستمائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آثينة على عهد الامبراطور بيركليس

بيركليس — كانت آثينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير امرها بيركليس احد ابناء الأسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير متبذل في شخصه ولم يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآثينيون يحترمونه ولا يجرون الا على نصائحه وهو معروف بانه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولذلك دخلوا تحت سيطرته وحكمه فادار سياسة آثينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطني الاولى على التحقيق

آثينة ومصالحها — كانت منازل القوم الخاصة في آثينة كما في معظم المدن اليونانية ضيقة واطئة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ازقة ضيقة منعطفة سيئة التبليط . وقد جعل الآثينيون عظمتهم في معالمهم العامة . فمنذ اخذوا يجبون من محالفيهم قطائع لتصرف في سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة ابنية جميلة فعمروا في ساحة احد الشوارع رواقاً مزيناً بالصور (الفيسيل) وانشأوا في المدينة دار تمثيل ومعبداً اكراماً لتيزيس احد العظام واوديون معهد الشعر والموسيقى وذلك للمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت اجمل المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائلة وهما معبدان (احدهما وهو البارتينون جعل قربى للمعبودة آثينة حامية مدينة آثينة) وهيكلاً ضخماً من القلز يمثل آثينة وسلماً من الآثار الجليلة يصل الى البروبيلي ورواق الرخام في آثينة . ومن ذاك العهد كانت آثينة اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آثينة — ومع ما خصت به آثينة من الصفات المشار اليها كانت ايضاً مدينة اهل الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم من اهل آثينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائفهم · لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آثينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قلَّ ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكيس ارباب المعارف في الصناعات وموادها بيد ان الآثينيين فاقوا غيرهم بحسن ذوقهم وصنع ايديهم وامتازوا بعقول مثقفة ورغبة في الطرف وآثار الظرف واللطف · ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكانة في تاريخ الحضارة فذلك لانها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة خدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمة صناعهم لها · فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آثينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية ·

الآداب

الخطباء — امتازت آثينة اولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً بلد الادب وحسن الالقا فبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطائع والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرعايا او يبرؤون فللخطباء السلطة وعلى الأمة ان تعمل بنصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم بادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب · وللخطباء نفوذ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عداتهم في سياستهم وربما اغتنوا لانهم ينالون من ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب · فقد اخذ اشيل مالاً من ملك مكدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس ·

ثم ان بعض الخطباء ينشئون خطباً ليلقيها غيرهم · ولا يسوغ لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل تقضي شريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات · فمن ثم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء يلتمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليتلوه امام المحكمة · ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحيها اليهم المخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء

---

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على ان يقصوا على المنابر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطابية فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصرخوا او يتحركوا وكان الملك بيركليس يخطب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب ردائه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكلل رأسه حسب العادة باوراق الشجر يزعم الشعب انه يتخذه ربًّا من ارباب الاولمبيا ولكن الخطباء الذين جاؤُا بعد ذلك طمعوا في اثارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الانشاء المتين يروحون في المنبر ويغدون منشدين متحركين . وما عمّت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما اخذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويضحكون من اسلوبه اذ لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مرن على الالقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار نديم الشعب وعزيزه . دبت الايام ودرجت الليالي وديموستين خطيب في امته . وقد سُئل بعد عن اول صفة في الخطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل ثانية فقال العمل ثم سئل ثالثة فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكماء — كان منذ قرون عند يونان آسيا خاصة اناس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلك والتاريخ الطبيعي اذ لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون — جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آثينة فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من التلاميذ انشؤُا يتقاضونهم أجور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدنهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئًا صحيحًا (مما كان قريبًا من الصواب في عهدهم) وليس في طاقته ان يعرف امرًا صدقًا كان او زورًا قال احدهم: لا وجود لامر ومتى وجد صعبت معرفته . ويدعى هؤُلاء المعلمون للتشكيك بالسفسطائيين . وقد خص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة — حاول سقراط احد شيوخ آثينة ان ينكر على السفسطائيين ويوقفهم عند حدهم على فقر حاله وبشاعة منظره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقيها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يخاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه بنفسه . وكان بحثه مع الفتيان خاصة

يعلمهم و ينصح لهم . ولم يكن يظهر سقراط انه شدا شيئاً من العلم بل كان يقول ان غاية علمي اني ادري بانني لا ادري . وود لو دعي فيلسوفاً اي محباً للحكمة لا حكيماً كسائر تلك الزمر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسئلة من مسائل العالم بل كان همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله : اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفضيلة . واذ انه كثيراً ما كان يخوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الآثينيون سفسطائياً. وفي سنة ٣٩٩ مَثل امام المحكمة متهماً بانه يتجافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويفسد على الشبان عقائدهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ ذاك سبعين سنة فانتصر له كسينوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سقراط زعيم المتحاورين فاعتبر من ذاك العهد اباً للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ — ٣٤٨) ولخص ارسطو تلميذ افلاطون (٣٨٤—٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعة افلاطون بالرواقيين وشيعة ارسطو بالمشائين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح و يغدو)

الموسيقيون — كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاشراف وقفة ذات معان واشارات . اذ كان القدماء يرقصون باجسادهم كلها و يختلف رقصهم كثيراً عن رقصنا وهو ضرب من التطواف الحماسي اواشبه برواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني ابداً مشفوعاً باغان تعظيما للارباب و يسمى جمهور الراقصين والمغنين جماعة الموسيقيين . وللمدن كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب جديرين بخدمته .

الروايات الفاجعات والهزليات — كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآثينة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديونيزوس اله الكرمة وكان بعض هذا الرقص متثاقلاً يمثل اعمال المعبود فيضرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر أُغنية ديونيزوس و يصور جوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون الغابات ثم يأخذون في تمثيل عيش ارباب أُخر وابطال قدماء . ثم خطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يجيء ممثل يلعب عليها عند ماينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانغامه . وهكذا تم المشهد ونقل الى المدينة بالقرب من شجر الحور الفارسي او مجتمع السوقة فنشأت من ذلك الروايات الفاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مضحكاً فينكر الراقصون وجوههم و يتغنون بمدائح الرب

ديونيزوس وقد شابوها باضاحيك يسلون بها الحضور او بتصوّرات هزلية في حوادث حدثت ذاك اليوم · وقد صنع في الجوق الهزلي ما صنع في الجوق المفجع من ادخال ممثلين ومحاورات ونقل المشهد الى آثينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية(الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمثل الى يوم الناس هذا ابطالاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات ببعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في المشهد فقد ظل جوق التخييل يرقص و يتغني وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجيء المتنكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة ·

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمة يسع ثلاثين الف متفرج وذلك ليحضر الآثينيون كافة هذه المشاهد · وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكشوفاً تحت السماء ومؤلفاً من درجات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقى حيث كان يطوف المنشدون وامام المشهد الذي تمثل فيه الرواية· ولا تقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اذ ذاك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوغ الغزالة و يمثلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتهي على ضوء المشاعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان المشهد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اشيل وسوفقلس واريبدس · وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة الفها اريستوفان الشاعر الهزلي ·

المقامات اللزومية

ما زال الزمان يرينا من آثار الاندلسيين كل سفر جليل و يكشف لنا عن عنايتهم بجميع العلوم ما يدل على عظيم اقتدارهم وسمو افكارهم لا سيما في العلوم الادبية التي هي عنوان رقة الشعور وصفاء الذوق فقد تفننوا في طرق الانشاء واساليب البلاغة بما لا يدخل تحت الحصر. اسعدني الحظ في الاستانة بالوقوف على المقامات اللزومية وهي عبارة عن خمسين مقامة في مكتبة (جامع لالهلي) للوزير الكاتب الامام ابي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرَقُسطي الاندلسي انشأها عند ما وقف على ما انشأه الرئيس ابو محمد الحريري بالبصرة و بناها على احسن اسلوب والتزم في نثرها ونظمها مالا يلزم وقد وجدت على ظهر الكتاب ما نصه (المقامات الخمسون) المحتوية على معاني الادب للوزير الكاتب الامام ابي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن ابراهيم التميمي المازني السرقسطي و يعرف بابن الاشتركوني ابو الطاهر . قال ابن الزبير : كان اديباً لغوياً شاعراً كاتباً معتمداً في الادب فرداً منقدماً في ذلك في وقته روى عن ابي علي الصفدي وابي محمد بن السيد وابن البادش وابن الاخضر واخذ عنه ابو العباس بن ضا قال : وعليه اعتمدت في تفسير كامل المبرد لرسوخه في اللغة العربية وله المقامات اللزومية الشهيرة وشعره كثير مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادي الاولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومن شعره

ومنعم الاعطاف معسول اللمى ما شئت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرت بليلة من وصله والصب غير الوصل لا يشفيه
انضجت وردة خده بتنفسي وظللت اشرب ماءها من فيه

وها انذا اذكر المقامة الاولى تفكهة للقراء ورجاء ان يطلع عليها من لهم عناية بنشر آثار السلف فيمثلها للطبع فيفيد و يستفيد وهي هذه :

المقامة الاولى القفرية

قال: حدثنا المنذر بن حمام قال: حدث السائب بن تمام قال: اني لفي بعض البلاد وقد اقويت من الطريف والتلاد استاف الارض واذرع الطول والعرض افتل الدهر في الذروة والغارب وارقب منه كل شارق وغارب قد افردني حتى الامل ونابذني حتى السعي والعمل عُبرسفار ونضو مهامه وقفار ولا صاحب على طول الاغتراب الا رقراق آل وسراب اذ دُفعتُ الى اباطح واجارع ومسارح ومشارع فاجلت الطرف في نَور وزهر واَحلت العيش على جدول اونهر واذا بثلة كالنجوم يترامون من الكؤس بالرجوم يتهللون طلاقة و يتبذلون

خلاقة قد نبذوا الوقار واستحلوا العقار واستنفذوا العين والعقار وعوضوا من المسك الدّن والقار تنم عن شمائلهم الرياض وتخجل من ايمانهم الحياض قد غفلوا عن العواقب ولم يشعروا بالزمان المراقب « يحيون بالريحان يوم السباسب » وينتمون الى اكرم المناصب والمناسب قد لفهم الشباب في بروده وروّاهم من سلسله وبروده ينتقلون جنيات اللمم ويجرون فضول الريط واللمم والكاس قد تمشت في المفاصل فما ترى غير مساعد او مواصل قد نزلوا من الارض وهادا وافترشوا الروض مهادا واذا امامهم شيخ رائع السبلات ضخم العبلات يصغون الى حديثه ويفتنون بقديمه وحديثه فهو يعللهم من خبره بطرف ويهدي اليهم منه اندى تحف وطرف يجيب اليهم البطاله فما يملون منه اسهاباً ولا اطاله فملت الى منتداهم وكنت الذي حياهم وفداهم فقالوا : كرم رائع ومجد ضائع ونضو هازل وضيف نازل وابتدر الشيخ فقال: خبر ذائع وحديث شائع وخب هازل وعودٌ بازل من اين ياأشعث ويااشعب كلا امريك اشد واصعب لقد اجترأت على الملوك وتخالت نظم السلوك وركبت المهالك وتوغلت المسالك هل عندك من معزية ياهذيل فانك ما شئت من عذيق او جذيل أنىّ وانت اخو الصعاليك سموت الى ذوي الرتب والماليك فقلت:مهلاً ايها الشيخ مهلاً وهلا مرحباً بك واهلاً ان ترني وقد نفد زادي وصفر مزادي وطفىء شهابي واخلق اهابي وخشن اديمي ونفرعني صاحبي ونديمي فلقد فننت الكواعب وذللت المصاعب وارضيت الآمال وتسوغت الآمال وبذلت الخطير ووصلت الشطير واكرمت النزيل ووهبت الجزيل وسحبت فضل الذيل وارسلت طرفي بين الخول والخيل وقدت الجياد ومتعت القياد ثم لم يكن الا ان تقلبت احوال وتعاقبت سنون واحوال ذهبت بالحديث والقديم واثرت في الصميم والاديم فبدلت من النعيم البوس ومن البشر القطوب والعبوس وعوضت من العذب المجاج بالملح الاجاج ومن الاعزاز بالاذلال ومن الاكثار بالاقلال فابتدر الشيخ يفديني بابنائه ويهديني بهنائه ويقول: انه لكما قال ومن اين لعاثر ان يقال انا اعرف آباءه واجداده وشهدت جموعه واعداده طالما ركب السرير ولبس الحرير وصبت اليه الكعاب وانقصفت دونه الكعاب وخضعت لجده الاملاك وكان به القوام والملاك لقد اطاعت الانداد واجابته الاعداد ودوخ البلدان فذل كلٌ له ودان فيالك من دهر لا يبقي على احد ولا يتقي على مستأنس وخد يعنى بالقريب والبعيد ويولع بالشقي والسعيد ومن حق ذلك الفضل ان توصل اسبابه وترفع قبابه ويصان مذاله ويحلى جيده وقذاله وانتم يابني الاكارم وذوي الهمم والمكارم رفوا للافاضل واعطفوا بالفواضل وارحموا عزيزاً ذلّ وكثيراً قلّ ومثرياً ادقع وحائماً على موردكم رقع فكل خلع ما عليه والقى بما عنده اليه وخلع عني تلك الاسمال وجاء بما شاء وشئت من كسوة ومال

فملأ اليمين والشمال واستقبل الجنوب والشمال ثم قال اللهم يارافع الاعدام وجامع الندام وعالم الخفيات وميسر الحفيات وملطف الاسباب ومؤلف الاحباب متعهم بالمسرات والحبرات والحفهم بالمروط والجبرات وافض عليهم جدواك و زحزح عنهم بلواك واحرسهم عن الغير ولا تجعلهم عظة الامثال والسير وارسل عليهم من سترك مديدا وخذ بهم من امرك سديدا وقال لي: خذها اليك . واذا كنت معك فلا عليك . فسرنا وقد اظل العشا وسقط عليه العشا يقودني زَعَم الى اسرته ويحادثني عن يسره وعسرته وجعل يومئ و يشير و يقول هناك العدد والعشير كل له خول وطاعه ولك عليَّ إمرة مطاعه فسرت حتى دنا بي الى خيام ومعشرٍ نيام فقال: امكث هاهنا قليلاً حتى اريك جليلاً واكشف لك من امري عجيباً واقودلك سابحاً او نجيباً تحلُّ من متن هذا في انيق وتسمو من ذروة ذاك على نيق ثم تتبوأ القصر المشيد وتخلف المأمون والرشيد فتخلل تلك الخيام وايقظ النيام فما شعرت الا بالقوم وقد اخذوني باللوم من المنتاب والطارق ولعله الخائن البارحة والسارق والا كف لا تكف واليمين تصفع والشمال لا ترفع ولا قول لي يسمع ولا انا في الحياة اطمع حتى طردوني عن حمام ورموابي الى مرماهم لا اقلب طرفاً ولا أقرر حرفاً والشيخ مع ذلك يرميني بسهامي ويعجب من صيبه وَجهامي ويذكرني بالعهد ويقول ما احوجك الى المهد ثم انصلت عني انصلاتا وولى انسراباً وانفلاتا وهو ينشد .

دعا بي الدهر لو تجيب ياحبذا السامع المجيب
كم تصحب الدهر بالاماني يغرك الطرف والنجيب
فخذ حديثاً عن الليالي فكل انبائها عجيب
من خادع الدهر والبرايا فذلك السيد النجيب
المجد فوز الفتى بحظ فما تميم وما تجيب
يارب خدن تركت يوماً وحظه الوجد والوجيب
مجدٌ لا في التراب يدعى منه سميع فلا يجيب

فعلمت انه الشيخ ابو حبيب فقلت مالداء كيده من طبيب

دمشق محمد علي

المرأة في الاسلام (١)

ومن اوضح اوصاف النصرانية في عصورها الاولى حطها من قدر الزواج فكانت تعد هذا الارتباط من الاحوال المنحطة وتحسب البنين جناية وشرًا وكانت الاديار والصوامع حجبت عن العالم اصح العقول فكان خدمة الدين اما ان يمنعوا من الزواج بتاتًا او لم يؤذن لهم ان يتزوّجوا غير مرة واحدة . وقد نشأ بعض هذا الانحراف عن التشبه بالمعلم نفسه و بعضه عن احوال متنوّعة حملت النصارى الاول على تنظيم سلكهم .

وشدة تعلق نبيّ الناصرة باهل المذهب الاسنى وانتظاره حلول الساعة في العاجل حين تنتهي جميع الارتباطات المدنية وانقضاء بعثته وهو في مقتبل العمر كلها امور تجلو لنا اسباب حطه من قدر الزواج وكيف انه « لم يجن على احد » واجتماعه بالتعمديين وهو اسني يرشدنا الى طرف من حياته القصيرة التي تثير العواطف وشدة بغض بولس للنساء مع ما يعضده من كلام المعلم قوى في الكنيسة الاعتقاد الاسني بان الارتباط الزوجي وهو اقدس العقود انما هو اثم يجب تجنبه ما امكن وكان يحسب المقصود من الزواج ايلاد الاولاد وقضاء الشهوة البهيمية ليس الا . ولا تزال عقود الزواج في اكثر الكنائس مصبوغة بهذه الصبغة الخالية الى يومنا هذا ولا يزال هذا التصوّر الدخيل على النصرانية يذهب بالناس حيث لا توجد العلوم الكونية الى ان الرجل الذي لم يدخل دنيا قط هو افضل كثيرًا ممن تدنس بالزواج . و يوجيس الهند المعفر بالرماد ونساك الشرق مسبلو الشعور واحبار بوذا هم من اهل التبتل وعندهم ان ادراك العلم لا يتم الا بحل الروابط الاهلية وان الوصول الى الازل لا يمكن الا بعيش التوحد وقد اخذت النصرانية الاعتقاد بالتبتل عن مشككي المشرق وزهاده . ومن الناس من اتخذ عصمة المسيح من « الاثم » برهانًا على ألوهيته ومنهم من اتخذها حجة على شدة فضله على غيره من المتشرعين وعندنا ان مقابلة فاسدة الاساس كهذه بين المسيح والنبي هي من الموهومات بتاتًا واساسها خطاء في تقدير المقاييس الاخلاقية . وان صح ان التبتل مما يجعل صاحبه كاملا فالمتصوفون والنساك والدراويش هم اذًا الكاملون والحياة الكاملة تكون حينئذ بترك الروابط الاهلية وان من المحقق ان نظرية مثل هذه لا تعد الا انحرافًا

---

(١) تابع المعرب في الجزء الخامس من كتاب روح الاسلام للقاضي امير علي الهندي ولا يسعنا هنا الا ان نكرر ما سبق لنا الالماع اليه من ان بعض ما ورد في هذه المقالة من الافكار والاحكام فيه نظر عند فئة من اهل العلم ولكن الامانة قضت بان ننشره بحرفه وعلى علاته حبّ الاطلاع (المقتبس)

عن الفطرة وما نتيجتها الا الدمار . اذاً لم يأتي هذا الحط من قدر النبي وهو الذي اكمل بعثة المسيح ألا نه تزوّج بغير واحدة وقد بينا الحكمة في زواجه المتعدد وسعينا على الاقل في بيان ان هذه الاعمال التي اتخذت للحط من قدره انما هي من باب ايثار الغير .

ولننظر الآن في امر زواجه بالنظر المطلق ولنسأل انفسنا لم تزوّج موسى بغير واحدة أكان في عمله هذا من اهل الفضيلة ام من اهل الرذيلة ؟ ولم تمتع داود بزواج لا حد لهُ ومكانته عند الله معلومة ؟ والجواب بسيط وهو ان لكل زمان مقياساً خاصاً ومعياراً مقدراً وما يوافق زمناً واحداً لا يوافق غيره . ومن الواجب ان لا نقيس الماضي بالحاضر . وان امثلة الفضيلة من اهل الكمال لا يخسرون شيئاً من عظمتهم اذا عملوا بمقتضى زمنهم وكانوا في عملهم امناء شرفاء . ايجوز ان ندعو المسيح طامعاً خيالياً يحاول العبث او ان ندعو موسى وداود شهوانيين يسفكان الدماء لان عقل الاول كان مفعماً بتخيلات ملكٍ منتظرٍ وسلوك الاثنين الاخيرين هو مما ينتقد في القرن التاسع عشر . اننا لو فعلنا ذلك لاخطأنا في كلا الحالين لأن اماني المسيح واعمال موسى وداود هي من الحقائق التاريخية التي مشت على مقتضى الزمن

ومن اوضح ميزات النبي انه وهو في اسمى حالاته لم يتعام عن الاحياء منتظراً جيلاً لم يولد بعد وهو يمثل في نموه نمو البشر . وان المسيح ومحمداً لم يقدرا على تغيير الجمعية البشرية دفعة او محو كل ترتيباتها السياسية الملية . وهو كالمسيح اكتفى ان يغير المقتضيات الحالية بزرع مبادىء تلاشي هذه المقتضيات متى حان الوقت المناسب ونضجت في قلوب اتباعه .

اما القول بان النبي ميز نفسه بمنافع حرمها على اتباعه فهو من الوهم الناشىء عن الجهل لان حد تعدد الزوجات لم يوضع الا في المدينة بعد الهجرة بسنين وما أُبيح لهُ كان عبئاً وضع قصداً على ذي وجدان يحاسب نفسه في اعمالها بدلاً من ان يكون لذة لكل متهتك . وحدث كل زواجه قبل نزول الحد ومما نزل مع هذا الوحي التحديدي وحي آخر نزع من النبي كل امتيازٍ فاصحابه أُبيح لهم اذا راعوا حدود الشرع زواج مثنى وثلاث ورباع وكان لهم ان يكرروا زواجهم بقوّة الطلاق الذي كان يكرهه اما هو فقد حرم عليه طلاق اية من زوجاته او ان يضيف اليهن زوجة اخرى . أيُعد هذا امتيازاً انتفاعياً ام عملاً انسانياً يراد به القيام باود من احتمى به وايثاره

وسبب موضوع الطلاق في الاسلام اغاليط وجدلاً الا انه مما لا شك فيه ان احكام الطلاق القرآنية هي اعدل من احكام الطلاق في سائر الكتب . وقد حسب حق الطلاق في الامم الخالية كافة نتيجة لازمة لسنة الزواج الا ان هذا الحق كان محصوراً في يد الجنس

الاقوى الا في النادر ولم تخوله الزوجة في حال من الاحوال · وان تقدم المدنية وترقي الافكار حسنا من حال المرأة بعض التحسين فالنساء ايضاً حصلن على نوع من هذا الحق الذي لم يقصرن في استعماله حتى صارت سهولة عقد الزواج وحله في الامبراطورية الرومانية من باب الاكتفاء باللفظ · وللزوج في شريعة العبرانيين ان يطلق زوجته لاي سبب بقبحها في عينيه · وكاد لا يوجد عندهم ما يحدد سلطته هذه وهواه ولم يجوّزوا للزوجة المطالبة بالطلاق بحال من الاحوال · وعدل الشمعيون عادة الطلاق بعد ذلك نوعاً من التعديل بوضع بعض الشروط الا ان الهلاليين حافظوا على الناموس وابقوه على صورته الاصلية · وعند ظهور النبي كانت سنة الهلاليين هذه هي الجارية بين يهود جزيرة العرب وكان الطلاق منتشرًا عندهم كما كان منتشرًا عند جيرانهم الوثنيين

اما الطلاق عند الاثينيين فكان بيد الرجل كما كان عند الاسرائيليين · وقد اباحت الاحكام الرومانية الطلاق منذ ابتدائها وكذلك الالواح الاثنا عشر · واذا صح ما يقوله المعجبون بالرومانيين من انهم لم يتمتعوا بهذه العادة الاَّ بعد ان مضى على تأسيس رومية خمسمائة سنة فليس ذلك من دواعي فضلهم على غيرهم لانه ابيح للزوج عندهم ان يقتل زوجته لاسباب معينة كالسم والخمر الخ ولم يجز للمرأة ان تطالب بالطلاق واذا التمست مفارقته فان تهورها يجعلها اهلاً للقصاص · الا ان كثرة الطلاق في الجمهورية اللاحقة كانت علامة ظاهرة على انحطاط الآداب وسبباً ونتيجة له في آن واحد

ذكرنا هاتين الامتين لانهما اشهر الامم الخالية ولان افكارهما اثرت في الافكار المعاصرة اشد التأثير · ولا ينكر ان صبغة احكام الطلاق عند الرومانيين صبغة ارتقائية ونتيجتها رفعة المرأة ومساواتها بالرجل وهذا ناشيء عن تقدم الافكار كما هو ناشيء عن غيره من الاسباب الخارجية ·

« وكلمة المسيح التي تتضمن امره في الطلاق مرنة تقبل اي تفسير تتطلبه حكمة المقنن » ولنا ان نقول ان المسيح لما قال « فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » لم يكن في تصوره الاَّ اقتلاع حطة الاخلاق وانه لم يفكر في نتائج كلامه ويدل الحكم الملحق القاضي بجعل الزنا السبب الوحيد لجواز الطلاق على تنبه المسيح لمقتضى الحال (١) الا ان حكمة المقننين التالين

(١) لم يذكر انجيلان من الاناجيل السبب الذي حمل المسيح على الاذن لتلاميذه بتطليق نسائهم (مرقص ١٠ — ١١ ولوقا ٢٦ — ١٨) واذا حسبنا الاخبار الواردة في هذين الانجيلين اصح مما يسمى بانجيل متى نقول حينئذ ان المسيح بينا كان يعلم آداباً سامية لم يقصد ان يعمل بكلامه حرفياً بل كان قصده اقتلاع جرثومة الكفر وفساد الاخلاق ليس الا · وظن سلدن ان المسيح قصد بجوابه المبهم تجنب ايلام الشمعيين والهلاليين

لم تقف عند التمسك الاعمى بحكم وضع في الغالب لجمعية في طفوليتها . ويمكن ان تحسب قاعدة المسيح مبدأ يدل على شعور سام لا ان تحسب نموذجًا في حكم الطلاق هو مما ترده الاصلاحات التي أضيفت الى هذه القاعدة في الاعصر التالية في البلاد النصرانية

ولم يقيد حق الطلاق في الجاهلية والجاهليون لم يراعوا في نسائهم عدلاً او شفقة الا ان النبي نظر الى هذه العادة بعين السوء وعد استعمالها مما يهز اركان الاجتماع وكثيرًا ما صرح بان لا شيء يرضي الله اكثر من عتق الرقاب ولا شيء يغضبه اكثر من الطلاق ولكن كان من المستحيل عليه اقتلاع هذه العادة بتاتًا من بين الأعراب وهم على ما كانوا عليه . فمن ثم تحتم عليه ان يهذب جمعية ساذجة على جانب عظيم من التوحش و يعدها الحالة اسمى حتى اذا حان الوقت ونضجت الافكار تنمو مبادئه وتزهر اخلاقه في قلوب البشر ولم تكن تلك العادة شرًا محضًا لذلك اباحها للرجل على شروط معلومة فاجاز للزوجين مددًا ثلاثًا يمكن لهما في غضونها اصلاح ذات البين فاذا لم يتم ذلك جرى الطلاق . ووضع قاعدة التوسط والحكم فيما اذا حدث نزاع بينهما . قال المسيو سريو وهو ممن لم يفضله احد في تحليل الاحكام الاسلامية : « اجيز الطلاق ولكن وضعت له رسوم تفصل الغاء طلاق مستعجل لم يترو فيه . ولكي يكون الطلاق مما لا يقبل الرجعة تلزم ثلاث طلقات متعاقبة يفصل ما بينها شهر واحد » .

ولقد احدثت اصلاحات النبي تغيرًا جديدًا في الشرائع المشرقية فهو وضع حداً للطلاق ومنح النساء حق المفارقة لاسباب معقولة وفي اواخر ايامه بلغ به الحال انه حرم الطلاق اذا لم يوجد حكم وقال « ان ابغض الحلال الى الله الطلاق » لانه يمنع السعادة ويضر في تربية البنين . لذلك نرى من اللازم ان لا نفسر اباحة الطلاق في القرآن التي لها صورة العادات الخالية الا بعبارات الشارع نفسه ومتي عرفنا امتزاج القانون والدين في الاسلام يسهل علينا فهم مقاصد الشارع في حكم الطلاق .

ومن المنتظر اختلاف المذاهب في اباحة الطلاق للزوج من غير مداخلة القاضي . وقسم منهم من الفقهاء يعد الطلاق الصادر عن الزوج محرمًا الا لضرورة كالزنا مثلاً وجماعة أخر واكثرهم من المعتزلة لا يبيحون الطلاق ما لم يجزه حاكم الشرع وهم يذهبون الى ان اباحة الطلاق تتوقف على حكم قاض عدل لا يميل مع احد الخصمين ويستندون في ذلك على كلام الشارع الذي ذكرناه وعلى قاعدته في وجوب انتخاب حكم لفصل الخلاف بين الزوجين ويذهب الاحناف والشافعيون والمالكيون واكثر الشيعة الى اباحة الطلاق لا لغير سبب وبعد ان اعترض صاحب « رد المحتار » على القائلين بتحريم الطلاق قال « واما الطلاق

فان الاصل فيه الحظر بمعني انه محظور الا لعارض يبيحه وهو معني قولهم الاصل فيه الحظر. ومع ان الفقهاء اتخذوا الاباحة الموقتة قاعدة دائمة وجهلوا كثيرًا من قواعد العدل التي وضعها الشارع فان الاحكام التي سنوها اعدل كثيرًا وارحم بالنساء من اكمل الشرائع الرومانية التي نمت في حجر الكنيسة. وجوّز الفقهاء للمرأة طلب الفراق لسوء الاستعمال وسوء المعيشة وغيرها من الاسباب لكنها اذا لم تأت بحجة مقبولة في طلبها هذا تخسر صداقها. وعلى كلٍ فمتى صدر الطلاق عن الزوج وجب عليه ان يعطيها صداقها الذي كانا عيناه وقت الزواج.

وتكرار نصح القرآن للزوجين ان لا يفترقا وتحريضه علي حسم المنازعات بالتسوية الشخصية يدلان علي احترام الشارع لعقد الزواج وفي سورة النساء « وان امرأة خافت من بعلها نشوزًا او اعراضًا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحًا والصلح خيرٌ وأُحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرًا . ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورًا رحيماً » (١)

وجاء فيها ايضاً « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيرا »

والاجانب اما انهم لم يدركوا احترام الزواج في الفقه الاسلامي اولم يقدروه قدره. جاء في الاشباه والنظائر وهو كتاب اسلامي مشهور ما خلاصته : ان الزواج سنة وضعت لحفظ الهيئة الاجتماعية ولكي يحفظ الناس انفسهم من الفحش ويخلصوا اعراضهم من الدنس وهو مقدس وضعه الله بامره لانه عبادة تحفظ البشر من اختلاط النسل ومتي عومل معاملة الشركات والاتفاقات يكون ارتباطاً دائماً بُني على اتفاق اثنين رجل وامرأة لم يكن بينهما ما يمنعها من اتفاق مشروع

وكثيرًا ما قيل ان النبي اباح لاتباعه التسري فضلاً عما اباحه لهم من الزوجات الاربع الشرعيات الا ان ذكر الحكم المختص بهذه المسألة يكفي لبيان بُعد ذلك عن روح الاسلام. جاء في سورة النساء « ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات . . . . ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم »

(١) هذه الآية ايضاً حجة على الذين يذهبون الى ان الشريعة تبيح تعدد الزوجات لمن يقابل بينها وبين « فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة »

وقد بنى الفقهاء اباحة التسري بالجواري على هذا الاساس الضعيف وعلى احوال خاصة حدثت في ابتداء ظهور الاسلام. وهذه المسألة مع مناقضتها لروح الشريعة سببت بعض الحملات الشديدة على الدين الاسلامي. والتسري هو ارتباط السيد بالأمة من غير جواز زواجي كان معروفًا عند العرب واليهود والنصارى وجميع الامم المجاورة ولم يحرمه النبي في اول الامر الا انه في اواخر ايامه منعه صراحة جاء في سورة المائدة « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان »

قابل القسم الاول من هذا الامر بتعصب الكنيسة التي منعت زواج النصراني بغير النصرانية وكثيرًا ما كان الحرق نصيب الكافر الذي يتزوّج النصرانية ومن هنا يظهر الفرق بين هذه القاعدة والقاعدة الاسلامية التي هي ترقٍ ظاهر في المعيشة والمدنية

اما تحريم زواج المسلمات بغير المسلمين فاسبابه مقتضيات سياسية حدثت في اول تأسيس الجمعية الاسلامية. وغير نكير ان كثيرًا من العادات التي اخذها المسلمون عن الجاهليين والتي بقيت ككثير من بقايا نشوء سالف مالت بالامم الاسلامية نحو الانحطاط ومن هذه العادات عادة الحجاب فقد كانت منتشرة بين الامم الخالية منذ اقدم العصور والجينكونيتس Gynaikonitis كانت من السنن المعروفة عند الاثينيين ونساؤهم كن محجوبات عن الانظار العامة كالفارسيات والهنديات اليوم والجينكونوفي Gynaikonowi هم مثل زملائهم من المشارقة حرس البيت يراقبون النساء بدقة شديدة. ونشأت من احتجاب المرأة بالطبع طبقة الهتري التي كان لبعض اعضائها اثر مهم في التاريخ الاثيني. ولولا المظهر الخارق للعادة التي ظهرت به الدولة البيزنطية والدول الاوروبية والاميركية لقلنا ان منشأ الطبقة البائسة التي تظهر في كل هيئة اجتماعية تقدمت ولو قليلاً في الصناعات المدنية والتي هي خطر على البشر وعار على المدنية هو انسحاب المرأة وحرمانها من حقها المشروع في تهذيب العقول وتمحيصها وترقية عواطفها. ومن خواص العقل البشري انه متى لم يدرك النقي يسمى في ادراك المشوب. وخير مثال لقولنا هذا في الازمنة الخالية البابليون والاترسكانيون والآثينيون والجاهليون من اهل مكة.

ومنشأ الفساد العمراني الذي ينسل الى كل قلب ويسمم دماء الامم المعاصرة هو انتشار عبادة المادة مغطاة بغشاء من الدين رقيق سواء كان نصرانيًا او اسلاميًا او غير ذلك. وقد تألم النبي منذ صباه من انتشار فساد الآداب المخيف بين اهل مكة واتخذ اقوى وسيلة

موافقة لاقتلاع جرثومته قال بسورث سمث : « ولقوانين النبي الشديدة في اول الامر ثم بالتنبه الادبي الذي حدث من هذه القوانين بعد ذلك نجح حتى يومنا هذا وكان نجاحه اشد من غيره في تخليص البلاد الاسلامية » حيث لم تطفح بالاجانب « من هؤلاء المتشردين الذين يعيشون بشقائهم وهم بوجودهم طبقة معروفة يخجلون كل فرد من الهيئة التي ينتمون اليها »

ومن المحقق ان سنة الحجاب لها منافع كثيرة في الهيئات الساذجة التي لم يستتب عمرانها بل ان الحجاب لا يستقبح بتاتاً في بلاد تختلف فيها طرق التهذيب وتتباين الاخلاق تبايناً كلياً ، وهي منتشرة اليوم بين اقوام يبعدون كثيراً عن التأثير الاسلامي الذي يظنه بعضهم السبب في حجاب المرأة في بلاد الهند وغيرها من البلاد الشرقية ففي بلاد كوريا بلغ حجاب المرأة درجة الهزء والسخرية وفي الصين وفي المستعمرات الاسبانية في جنوبي القارة الافريقية لا تزال عادة الستر محافظاً عليها ، ولما قام النبي كانت منتشرة بين الفرس وغيرهم من الامم المشرقية فادرك منافعها وربما استحب للنساء العزلة والتفرد لانتشار فساد الاخلاق بين جميع الطبقات ولكن لا يقال انه اراد ان يكون انفرادها على هذه الصورة الجامدة المعروفة اليوم او انه اذن بالحجاب او اوصى به هو مخالف لروح اصلاحه كل المخالفة وليس في القرآن ما يدل على ان الحجاب هو جزء من هذا الدين. جاء في سورة الاحزاب « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » . وفي سورة النور « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن الآية » .

ارشادات سهلة الفهم في وسط ذاك الاضطراب الذي كان النبي يسعى في اخراج الترتيب منه بهداية الله — ارشادات حكيمة يقصد منها نشر الحشمة والادب بين النساء وتحسين لباسهن وسلوكهن ووقايتهن من الاهانة . فمن الخطإ اذاً ان نعتقدن في الدين ما يثبت هذه العادة . ومما يفسر استحسان النبي العزلة للنساء تفسيراً ظاهراً تمتع افراد بيته تمتعاً لا مانع فيه ولا حجاب. وهذه عائشة ام المؤمنين وزوج النبي بعد وفاة خديجة دبرت الحملة على علي وهي قادت عساكرها في وقعة الجمل وكثيراً ما دخلت فاطمة ابنة النبي في مبحث الخلافة وان زينب سبط النبي واخت الحسين حمت ابن اخيها من الأمويين بعد كربلاء وصلابة اخلاقها هالت عبيدالله بن زياد القاسي ويزيد القليل الرحمة .

وكان انحطاط الاخلاق الذي اجتث اصول العمران في الجاهلية وعند الاسرائيليين

والمسيحيين في اشد الحاجة للاصلاح وبما لا شك فيه ان استحسان النبي العزلة للنساء قصد به استئصال جذور الفساد ومنع عادة تعدد الازواج المخيفة التي كانت شائعة في الجاهلية الى زمن البعثة ·

قال فن همر « ان الحريم بيت مقدس يُمنع منه الاجانب لا لأن النساء ليست حرية بالثقة بل لما البستهن العادات من ثياب التقديس وشدة احترام النساء في اعالي القارة الآسياوية والاوروبية (في البلاد الاسلامية) مما يظهر للعيان »

واتخاذ النساء مثالاً كمالياً ميزة طبيعية تمتاز بها ارقى الشعوب الا ان العجب القومي والتعصب الديني احدثا نظريتين متناقضتين لرفعة المرأة بين الطبقات المهذبة في البلاد النصرانية اليوم · احداهما ترجع هذه الرفعة لما يسمى عند النصارى بالماريولترى او تأليه العذراء وعبادتها والثانية للفروسية في القرون الوسطى المزعوم انها من نتائج المبادي التيوتونية اما من حيث النصرانية وعلاقتها بالنساء فكلما غضضنا الطرف واوجزنا في المقال نحسن لها لاننا نرى الكنيسة في العصور الاولى حينما كان دين القوم من جميع الطبقات عبادة ام المسيح جردت المرأة من اوصاف الفضيلة والبستها رداء من شتم وحرمان وكتب آباء الكنيسة الواحد تلو الآخر فصولاً طوالاً في قبح النساء وميلهن للشر وتأصلهن في الخبث · وقد مثل ترتليان افكار معاصريه في المرأة في كتاب يقول فيه « انها باب الشيطان وفاتحة الشجرة المعلقة تاركة الاوامر الالهية مهلكة الصورة الرحمانية وهي الانسان» ·وذكر كاتب اخر باستخفاف انه فتش عن العفة في النساء فلم يجد لها اثراً · ومثل كريزستوم وهو من كبار القديسين رأي الكنيسة في المرأة بقوله انها شر ضروري ومحنة طبيعية ومصيبة ملازمة وخطر مبين وسحر مميت وضرر مزين وقد حرمت الكنيسة على النساء القيام بالوظائف الدينية كلها الا ما كان منها وضيعاً ومنعتهن من حضور الجمعيات الخاصة والعامة ومن الذهاب الى الحفلات والاعياد وامرتهن ان يعتزلن الناس وان يصمتن و يطعن رجالهن وينصرفن الى النسج والغزل والطبخ وان يحتجبن من فروقهن الى اقدامهن ان خرجن من بيوتهن — هكذا كان حال المرأة ايام كانت الماريولتري سائدة بين الناس · وفي الايام التالية وفي المدة التي انقضت بين انقراض الدولة الغربية واستتباب العمران الاوروبي الحاضر وهي مدة وصفت بانها « زمن الاغتصاب والمداهنة والاستبداد والشهوة والعنف » حسنت النصرانية من حال المرأة بعض التحسين بادخال مسألة الاديار للرهبان والراهبات وهذا التحسين المشكوك فيه لا يصلح الا لعصر كان اختطاف المرأة فيه من الامور المعتادة وبلغ فساد الاخلاق فيه درجة لا توصف · ولم تكن الاديار معاهد الفضيلة ابداً وكذلك لم تكن الرهبانية اشد

حفاظ لطهارة الذيل والعفاف · وفي يومية ريكو المذكور فيها زياراته الدينية مايوضح خاصة حال الاخلاق ومقام المرأة في ابهى دور « من عصر الايمان » ولم يؤثر قيام الانجيليين شيئاً في احوال المرأة او في افكار المشرعين المختصة بها · والخلاصة ان المسيح اكرم المرأة اما اتباعه فحرموها من العدل والانسانية ·

والنظرية الثانية التي اشرنا اليها وهي الشائعة بين طبقة كتاب الروايات في اوروبا فهم يحسبون ان كل من قام في الاعصر المتوسطة هو بيرد او كريشتن · والمظنون ان عصر الفروسية يمتد من ابتداء القرن الثامن الى انتهاء القرن الرابع عشر « وهي المدة المعاصرة لحكم الامويين في الاندلس » · الا ان المرأة في هذه المدة وان احاطت بها هالة من الشعر والروايات فكثيراً ما كانت موضع الشر والاذى وكانت القوة والخداع اوصافاً مميزة للعصر الذهبي عصر الفروسية النصرانية · وكان اولند وآرثر حديث خرافة حتى التقى الغرب بمدنية الشرق · ولم تكن الفروسية ابنة المجاهل الاسكندناوية اوالحراج الجرمانية لان النبوة والفروسية كلتاهما من نتاج الصحراء ؛ فمن الصحراء قام موسى وعيسى ومحمد ومن الصحراء اتى عنترة وحمزة وعلي ·

وكانت المرأة عند الحضر من العرب وهم ممن انتحلوا المبادىء الشائعة بين السوريين والفرس والرومانيين على غاية من الانحطاط كما ذكرنا لكنها كان لها عند بعض الرُّحل حرية حسنة وتأثير قوي في احوال القبيلة قال برون « ولم تكن كاليونانية موضع البؤس والشقاء » فكانت ترافق الرجال الى الحرب وتبث فيهم روح الحماسة والنخوة وكان الكماة يخوضون عباب الحرب متغنين بمديح الاخت او الزوجة او المحبوبة وعندهم ان ما يكافىء به الحبيب هو خير مكافأة لهم عن صولتهم وبطشهم · وكانت الشجاعة والكرم خير خصال الرجال والعفة خير خصال النساء · وربما لو اصابت امرأة في القبيلة سُبة او لحقها عار استعرت لها لظى الحرب بين قبائل الجزيرة كلها · وما اسباب حروب الفجار التي استعرت نارها اربعين سنة حتى اطفأ النبي ثائرتها الا سُبة لحقت ابنة فتية في سوق عكاظ

وقد حول النبي عادة حسنة الى اعتقاد ثابت فاصبح احترام المرأة باباً من ابواب الاسلام ونرى في كثير من الاحوال التي تعكس لنا صورة عصره الساذج ان سننه تبعث على الشهامة والمروءة في معاملة المرأة اكثر من سنن سائر المعلمين السابقين ويختلف الاسلام كالنصرانية باختلاف الافراد والعصور لكن المروءة الخالصة كانت في الاجمال اكثر مصاحبة للاسلام منها لغيره ·

وكما كان بطل الاسلام وابن مؤسس حلف الفضول على أهبة لمحاربة اعداء الله بسيفه

ورمحه كذلك كان على اهبة للاخذ بناصر الضعيف والمظلوم ولم يعدم الداعي الملوّح المستجير سواء كان في سهول العراق او ما هو اقرب للجزيرة فارساً يأتي للاخذ بناصره وجبر كسره. وكانت اعمال هؤلاء الفرسان تدوّن في الاخبار وتنتقل من الخيمة الى القصور فتؤثر في صولة الاجيال التالية وان الخليفة التي من يده يوماً قدح الشراب في دار ضيافته لما بلغه ان فتاة عربية قالت وهي في اسر الرومانيين لم لا يأتي عبدالملك لتخليصي(١) وعاهد نفسه على ان لا يذوق شراباً او ماء حتى يخلص تلك الفتاة من الاسر فسار من وقته بجيش عرم على الرومانيين الانذال وما برّ بيمينه حتى ملكت تلك الفتاة امرها. وان احد الملوك المغوليين وهو الملك همايون بينما كان يسير الى كابل والافغانيون يطاردونه وصله سوار ملكة مؤاخية وهو علامة على الصداقة وطلب المساعدة فترك شؤونه الخاصة واعاد كرته وكسر اعداءها ثم عاد الى سيره السابق.

وسمي عنترة ابا الفروسية وكان عليّ مثالها الكمالي جمع الشهامة والشجاعة والكرم وكان نقي القلب رقيق الخصال عالماً لا يخاف ولا يوبخ فوضع امام الناس اشرف مثال لمتانة الاخلاق والشجاعة والمروءة وقد ظللت مبادئه — وهي صورة مبادئ معلمه — البلاد الاسلامية وكانت الروح المحرك المحيي لكثير من الاجيال التالية. وكان من امر الحروب الصليبية انها جمعت الغرب البربري بمدنية الشرق الاسلامي فنبهته الى عظمة المسلمين وترفهم. وكان تأثير مسلمي الاندلس خاصة في جيرانهم النصارى هو الباعث على ادخال الفروسية في الغرب ولم يكن التروبادور والتروفور الذين قاموا في جنوب فرنسا والمنسنجر الذين قاموا في البلاد الجرمانية والذين تغنوا في الحرب باناشيد العشق و الشهامة الا تلاميذ رومنسور قرطبة وغرناطة ومالقة وقد استمد بتررك وبكاشيو بل تاسو وتسوشر من الينبوع الاسلامي الا ان خشونة البرابرة الغربيين في عاداتهم وتصوراتهم كست الفروسية ثوباً خشناً.

وبقيت المرأة في الاعصر الاسلامية الاولى حتى سقوط الدولة العربية في المشرق تشغل مكاناً علياً كمكان المرأة المعاصرة فزبيدة امرأة الرشيد قامت بعمل عظيم في عصرها وتركت بحكمتها وادبها اسماً يفتخر به المتأخرون. وان حميدة امرأة الفاروق ادبت ابنها في غياب زوجها حتى صار من اشهر علماء عصره وكان اسمه ربيعة الرأي. وكانت سكينة ابنة الحسين وسبط علي اذكى اهل زمانها واكثرهم فضيلة وتهذيباً وقد سماها برون « سيدة سيدات زمانها » ووصفها بانها « اجملهن وارقهن واوضحهن اخلاقاً » وجمعت الى علمها حسن

(١) المشهور انه المعتصم

استماعها لحديث العلماء والصالحين · ولقد عرف نساء بيت النبوّة بعلمهن وفضيلتهن وتصلب اخلاقهن · وكانت بوران امرأة المأمون واخته ام الفضل امرأة الامام الثامن العلوي وابنته ام الحبيب كلهن مشهورات بالعلم · وقامت في القرن الخامس من الهجرة السيدة سكينة الملقبة بفخر النساء والقت دروساً عامة في مسجد بغداد الجامع موضوعها الادب والبيان والشعر ولها في تاريخ الاسلام شأن يساوي شأن اشهر العلماء · وماذا كان يصيبها يا ترى لو انها نشأت بين اخوان القديس سرل والجواب يظهر مما اصاب هيباتيا وكان من الممكن ان لا يمزقها اولئك المتحمسون ولكن من المحقق انها كانت تحرق كالساحرات وكانت ذات الهمة (المحرفة في اللغات الاوروبية الحازمة) قلب الاسد وصاحبة كثير من الوقائع تحارب مع اشهر الفرسان جنباً لجنب

وقد اعترف كل من لم يتعصب من الكتاب باصلاح المرأة الذي اتى به النبي · على ان المتعصبين لا يزال ديدنهم القول بان الاسلام حط من مقام المرأة — تهمة لا اكذب منها — وان تسعة عشر قرناً من قرون النشوء والترقي عملت مع ما اورثته مدنية سابقة واحوال مناسبة على جعل المرأة في اكثر البلاد النصرانية اعلى درجه من الرجل بالنظر الاجتماعي اي وَلّدت آداباً تعترف على الاقل بحق المرأة بالافضلية الاجتماعية · ولكن ما هو حقها الشرعي يا ترى حتى في اعظم البلاد النصرانية · وان المرأة المتزوّجة كانت في البلاد الانكليزية حتى في عصر متأخر جداً لا يعترف لها وحدها بحق من الحقوق دون زوجها · والآن اذا لم تبلغ المرأة المسلمة في مئة سنة آتية مقام اختها النصرانية الاجتماعي فثمة وقت كاف للحكم القاضي على الاسلام ورده · الا ان معلماً اتى في عصر لم تعترف فيه امة من الامم او دين من الاديان او جمعية من الجمعيات بحق للمرأة سواء كانت بكراً او متزوجة وعاش في بلاد تعد ولادة الابنة مصيبة ومع ذلك خول النساء حقوقاً لا تخولهن اياها الحكومات المتمدنة اليوم الا كرهاً — ان معلماً كبيراً مثل هذا حري بثناء الخلق واعترافهم له بالجميل ولو لم يفعل غير هذا لصدق في دعواه انه ارسل رحمة للعالمين · وان حقوق المرأة المسلمة كما هي مدونة في كتب الفقهاء لا تقل عن حقوق المرأة الاوروبية اليوم وانا لا نتعرض هنا لغير الضمانات التي تضمن حقوقها في الشريعة الاسلامية وهي ان المرأة ما دامت غير متزوّجة تبقى في بيت ابيها وما دامت دون سن البلوغ فابوها يسوسها ومتى بلغت اشدها فان الشريعة تمنحها بيدها ما يخصها من الحقوق من غير ان يشركها شريك في ذلك · ولها حصة معلومة في ميراث ابويها كاخواتها واذا اختلفت النسبة فذلك لاختلاف المقام · ولا يمكن اجبار البالغة على زواج واحد حتى السلطان في حال من

الاحوالى (١) ولا تخسر المتزوجة بزواجها حقوقها الخاصة وللزوجة على الزوج صداق مقدم فاذا لم يدفعه تحكم الشريعة لها بصداق يناسب درجتها . والزواج الاسلامي عمل مدني لا يحتاج الى قسيس او رسوم معلومة (٢) وان عقود الزواج الاسلامية لا تخول الرجل سلطة على الزوجة وراء ما عينته الشريعة له عليها ولا تعطيه حقاً من الحقوق بالتسلط على امتعتها او ثروتها . لحقوقها من حيث انها امّ لا يتوقف الاعتراف بها على وساوس القضاة المختلفي المشرب والتربية . وما كسبته بيدها لا يتمكن من اتلافه زوج مبذر وان زوجاً شرساً لا يقدر على الاساءة الى زوجته من غير عقاب وهي تدير امرها بيدها متى كانت بالغة من غير مداخلة زوجها او ابيها . وتداعي غرماءها في المجالس العلنية من غير ان تضطر الى الانضمام الى رفيق ثان او تحت اسم زوجها وبعد ماتترك بيت ابيها تبقى لها الحقوق التي يخولها الرجل . وان امتيازاتها من حيث انها ام وزوجة لا تضمنها المجاملات المتقلبة ولكن تضمنها الاحكام المسطرة في كتاب الشرع . ونقول اجمالاً انحالتها لا تقل عن حالة كثير من نساء الغرب ومن المحقق انها في كثير من الشؤون ارفع منهن مقاماً وتأخرها بالنسبة الى الغربيات ناتج عن قلة التهذيب بين الطبقات عامة لا عن شيء خاص في احكام الفقهاء .

بيروت عبدالرحمن شهبندر

الازمة المصرية

يقول علماء الاقتصاد ان لايجاد الثروة ثلاثة عوامل كبيرة لا غنية لاحدها عن الآخر وهي العمل والمادة ورأس المال . فينشأ العمل بنشر التعليم بين طبقات الامة وجعله عملياً ونظرياً ومتى توفرت الهمة على العمل توفرت المادة . ورأس المال اهم من العنصرين الاولين وبدونه لا يقوم مشروع . ولقد ساعد مصر في هذا الربع الاول من القرن الرابع عشر للهجرة تحسين طرق ريها بفضل مهندسين بارعين وطنيين واجانب وتنظيم طرق الجباية وانتشار الامن بعض الشيء في بلاد الاقاليم والحواضر الكبرى واصلاح احوال المحاكم وامن

(١) بقي ملوك الغرب يجبرون البنات على زواج رعاياهم قروناً عديدة بعد ما وضع الفقهاء تلك القاعدة .

(٢) ان العادات الوثنية التي اكتسبها مسلمو الهند والعادات الخالية التي كانت قبل الاسلام في سورية ومصر والتي لا تزال باقية ليست من الاسلام في شيء

الناس على ارواحهم واعراضهم واموالهم فكان من ذلك ان كثر العمل والمادة الاصلية موجودة في تربة البلاد وجودة مائها وهوائها وبقي رأس المال فحصل بعضه بقوّة العمل وحسن المعرفة بتصدير حاصلات البلاد الى الديار الاجنبية وجاءت على الاثر الشركات تحمل رؤوس اموالها العظيمة تتجر بها وتستثمر الاطيان والاراضي وتبني المصانع والمعامل القليلة وتضارب وتقرض وتمدّ ·

جاءت تلك الشركات واكثرها اوربية فرأت من سير البلاد نحو التقدم ما نشطها واعانها على ما تنشده استمتاعها بالامتيازات الاجنبية فضوعفت ثقتها باعمالها وثقة الناس بها وقد تساهلت الحكومة في الترخيص لها فتم لها ما ارادت من المغانم وبذرت عشرات الملايين من الجنيهات في وادي النيل تستعملها في كل ما رأت الربح فيه من الاعمال وكثر عددها حتى بلغت مائتين واربعين شركة بعد ان لم تكن منذ عشر سنين اكثر من خمسين شركة ولا يقلّ رأس مالها عن مائة مليون جنيه ·

هذه الشركات وتحسين صادرات البلاد واكثرها من القطن هي التي اتت مصر برأس مال عظيم ولما كثر المال في الايدي ارتفعت اسعار العقارات والمنقولات والاراضي · وقد كان لخزان اسوان يد طولى في زيادة الثروة وما عولت الحكومة عليه من تعليته ثانية بحيث يُقدَّر ان ما سيحيا به من الاراضي الموات بنحو تسعمائة وخمسين الف فدان فاذا كان ثمن الفدان الواحد خمسين جنيهاً فتكون قد زادت ثروة القطر من هذه التعلية وحدها نحو ثمانية واربعين مليون جنيه ·

وقد انصرفت معظم هذه الشركات الى ابتياع اراض زراعية وتمحضت لاصلاحها وبيعها من صغار الفلاحين بعد · وطفق بعضها يبتاع اراضي للبناء في ضواحي الحواضر كالقاهرة والاسكندرية فارتفعت بذلك اسعار الاراضي ولا سيما اراضي البناء لانها دخلت في دور المضاربة يضارب بها زيد فيربح فيأتي عمرو ليضارب بها ويبيعها بثمن اغلى حتى بيع الفدان الذي يؤجر بخمسة عشر جنيهاً في ظاهر القاهرة بزهاء ثلاثة آلاف جنيه ومعظم الاراضي التي أبيعت في سوق المضاربات لا تشتد حاجة الناس الى البناء فيها ولو بلغ سكان القاهرة ثلاثة ملايين نسمة فما بالك وهي لم تتجاوز السبعمائة الف ·

ولما رأى بعض الاهالي هذه الارباح راحوا يقلدون الغربيين في المضاربة مع قلة اختبارهم وعدم مرانهم على اعمالها هذا والمصارف تمد الناس في الاعتمادات وتملي لهم فتعطي صاحب الالف عشرة آلاف، وربما تثق بمن لا يوثق به : واغرق في هذه المضاربة كثير من الاروام والاسرائيليين والسوريين ممن هبطوا مصر ليغتنوا فيها في زمن قصير · وكان من

اثر تطوح البيوت المالية في امداد الناس بالمال وتطوح المزارعين والمضاربين في الاستلاف ان كثر التعامل بالربا وربما زاد معدله عن معدل الربح الصافي المتعامل به ودخل السوق المالية كثير من المحتالين المتلاعبين والسماسرة واحسنوا استخدام غفلة ابن البلاد ليربحوا بما يضره ويجر عليه الخراب في العواقب .

ولما تجاوزت المضاربات حدود المعقول ارادت البيوت المالية التي نشرت اموالها في القطر ان تتوقف قليلاً في فتح الاعتمادات لمصارف مصر فتوقفت هذه عن الاقراض بالطبع وهناك حدثت ازمة رنت في ارجاء العالم انتهت بخراب بيوت مئات كانوا اغتنوا بالوهم اذ استحقت عليهم اموال لا مناص لهم من ادائها في اوقاتها وقبضت المصارف ايديها عنهم ولم تقف الازمة عند حد المضاربات بل تجاوزت الزراعة والتجارة وصادف ذلك موسم وقوف دولاب الاعمال وهو يقف بالطبع في فصل الصيف في مصر فتأذى من تلك الهزة كثيرون كما كان انتفع بتلك الهبة كثيرون وبات الذي اغتنى في اقل مدة وقد صفرت كفه من الدراهم واضاع آخر ما ملك بالوهم من مال المضاربات غير المعقولة .

وزاد الحال اعضالاً توسع القوم في الاسراف وفساد الاخلاق والاغراق في تقليد المترفين من الغربيين وبطر الفلاح النعم ولم يحسن التقليد لان الثروة جاءته عفواً صفواً فدهش لها وبهرته زبارجها وزخارفها واطارت لبه فتوسع في شراء الاطيان ولا سيما ما كان منها للحكومة فقسمته وباعته بالاقساط فصح على الفلاح المصري ما قاله الفيلسوف جول سيمون في الفلاح الافرنسي من قوله : « من اعظم الخطوب التي تصيب المزارعين اقتراضهم المال بالربا ذلك ان الفلاح يحب الارض فيستدين لشراء قطعة منها فلا يلبث ان يصبح مثقلاً بالديون لانه لم يأخذ لنفسه الحيطة خصوصاً اذا اصابته سنة بجوائحها السماوية واتت على مزروعاته فاضرت به ضرراً لا يستطيع معه القيام بحاجات ارضه ومسكنه لقلة دراهمه . وفي اقراض المرابي للزارع على نسبة ارضه وعقاره نفع كبير للمرابي على انه ليس للمزارع الا وسيلة لا تبلغ الغرض ودواء يسكن الم حاجته تسكيناً موقتاً . وافضل الفلاحين من كانت اراضيه متناسبة مع مقدرته بحيث يتأتى له ان ينظر فيها نظراً بليغاً ويتعهدها في كل فصل من فصول السنة المرة بعد المرة والزراعة من اشد الشؤون في الاحتياج الى نظر القائم عليها اكثر من احتياج سائر الحرف واذا اتسعت اراضي الزارع وتناءت عنه فهو فلاح بالاسم وماحك جسمك مثل ظفرك .

« ومن كان له من المال والعلم ما يرغبه في الزراعة كأن يريد ان يجعل بالمال زراعة لا زراعة بالمال فليتخذ له مزارعاً يقوم مقامه ولو بعض القيام لئلا يخسر وتدعو خسارته الى

تثبيط عزائم جيرانه . الارض تستدعي رجلاً صنعته تعهدها واستنباتها كما ينبغي فارس للفرس وبطل لحمل السيف . واقصى ما تحتاجه الزراعة زارع منوّر وعامل خبير له من الارض ملكاً كانت ام ايجاراً ما يسمح له نشاطه بادارته ومتى زاد على ذلك فيكون صاحب مزارع ليس الا . واذا ضاقت عليه ارضه يتعذر عليه ان يقوم بما تقتضيه اياه من النفقات والتحسينات » .

هذا ما قاله سيمون ولكن الفلاح المصري لم يشكُ جائحة سماوية ولولم يكن النيل على وفائه معه وصادف انه خانه سنة او سنتين كما حدث ذلك في ادوار التاريخ الماضية لخرب معظم المزارعين المصريين ولا سيما الكبراء منهم ممن ابتاعوا اراضي ولم يروها وبقيت في ملكهم سنين وهم لا يعرفون موقعها فكيف لهم ان يتعهدوها ويحسنوا استنباتها واستثمارها .

وقد اضر بالبلاد ان رؤساء معظم الشركات والقائمين على المضاربات هم من شياطين الانس يعرفون من اين تؤكل الكتف لصيد الدرهم ولو بتطبيق اعمالهم على القانون صورةً واعان على حدوث ما حدث ان الحكومة حصرت وكدها في تنشيط البلاد في امورها المادية الصرفة بحسب ما اداها اليه اجتهادها ولم تعر ارتقاءها الادبي جزءاً من تلك العناية وذلك لانها كانت ولا تزال تقول ان حالة البلاد المالية اذا حسنت فالادبيات تجيء تبعاً لذلك ولكن الشرق يحتاج الى غير هذه السياسة الاقتصادية . يحتاج الى العمليات كما يحتاج الى الماديات والا فتبقى الثروة بيد الاجانب او معظمها وتجني البلاد الضرر العظيم لانها لا تعرف كيف تسير كما جرى للمصري في العهد الاخير . ولو كانت اسباب التربية والعلم منتشرة بين المصريين كانتشار الشؤون الزراعية ولو اخصبت العقول كما اخصبت التربة لما صارت الحال الى ما صارت اليه من الاسراف والتبذير .

قال احد كبار الماليين كان من الواجب لفت انظار القطر الى الامور الضرورية المطلقة النافعة من مثل تعلم الاقتصاد الشخصي ليكون منه الارتقاء الاقتصادي للبلاد كلها وانهيال الثروة عليها وانه تجب عناية الافراد وان لا يخاطروا بما يقتصدونه الا في مشاريع ذات فائدة مضمونة وان لا يعتمدوا في مواردهم على ما تحسن به عليهم المضاربات من الارباح . فحسنات المضاربات ليست ثابتة ولا سليمة . قال ولو تعلم المصريون هذا التعليم لكان لهم منه اعظم رادع عن المضاربة في الاراضي بحيث ارتفعت اسعارها بمال استقرض من الخارج بدون ان يكون متلائماً مع ايرادها والسبب في عدم وقوف الناس عند حد الاعتدال في مطالبهم وغرورهم بالثروة المجنية هو الجنون في المضاربة الذي ضم الى الارباح الحقيقية ارباحاً كاذبة وهمية فتبخرت في الحال كالماء او كالسراب وساعدها فقدان التربية المتينة العامة التي

لو نالت مصر قسطها منها لاستنارت العقول ووقفت البلاد على حقيقة سر الحياة الاقتصادية أُشربت معرفة جمع الثروة الحقيقية الثابتة وحسن التعقل في صرفها ٠

صحف منسية

نثر ابن زيدون

كتب ابن زيدون من قرطبة الى ابن مسلمة باشبيلية قبل تحوله اليها

ياسيدي وارفع عُددي ٠ واول الذخائر في عَددي ٠ واخطر علق ملأْت من اقتنائه يدي ٠ ومن ابقاه الله في عيشة باردة الظلال ٠ ونعمة سابغة الاذيال ٠ قد تناصر الثناء عليك ٠ وتوالى الحديث الحسن عنك ٠ حتى حللت محل الامانة ٠ وكنت موضع تقليد الوطر واثبات الطوية ٠ والله يمتعك بما حازه لك من الخير ٠ ووفره عليك من طيب الذكر ٠

في علمك اعزك الله ما تقتضيه العطلة من اظلام الخاطر وصداءِ النفس ويجنيه طول المقام من إخلاق الديباجة وارخاص القدر وقد رأَيت ان اجتني ثمرة من آداب اطلت الاعتناء بها ٠ واخلاق ادمت رياضة الانفس عليها ٠ ولما نخصت الملوك وجدت عميدهم الذي انسى السالف قبله ٠ ونقدم الراهق(؟) معه ٠ واتعب العابر بعده ٠ الحاجب فخر الدولة مولاي ٠ ومن اطال الله بقاءه ٠ وكبت اعداءه ٠ بما خصه الله به من سناء الهمم ٠ وشماخة الشيم ٠ وانتظام اسباب الرياسة ٠ وكمال آلات السياسة ٠ واجتماع المناقب التي افردته من النظراء ٠ واعلته عن مراتب الاكفاء ٠ فرأَيت قبل ان احمل لغيره نعمة ٠ واوسم ممن سواه بصنعة ٠ ان اعرض نفسي مملوكته عليه عرض من لا يؤهلها لاجازته الا بالاستجازة ولا يطمع لها في قبوله الا مع المسامحة ٠ فلو كنت الوليد بن عبيد براعة نظم ٠ وجعفر بن يحيى بلاغة نثر ٠ وابراهيم بن المهدي طيب مجالسة ٠ وامتاع مشاهدة ٠ ثم حضرت بساطه العالي لما كنت مع سعة احاديثه الا في جانب التقصير وتحت عهدة النقصان غير انه لا يعدم مني نجابة غرس اليد واصابة طريق المصنع من ولاية أُخلصها ٠ ونصيحة أَمحضها ٠ وشكر اجنيه الغض من زهراته ٠ وثناء أُهدي اليه العطر من نفحاته ٠ ففوضت اليك هذه السفارة ٠ واعتمدتك بتكليف النيابة ٠ لوجوه منها حظوتك لديه ٠ ومكانتك منه ٠ سوّغك الله الموهبة في ذلك وانهضك باعباء الشكر لها ومنها سرو مذهبك ٠ وكرم سجيتك ٠ وصحة مشاركتك لمن لم يستوجبها استيجابي ٠ ولا استدعاها بمثل اسبابي ٠ من تداني الجوار ٠ وتصافي السلف

والانتهاء الى آصرة الادب. فان وافقت السانحة الارادة لحظ أقبل . وعبد بلغ من سيده ما امّل. ولم اقل عمرك الله كما قيل في النجمين . بل قلت وقد يجمع الله الشتيتين. وان عاق حرمان عادته ان يعوق عن الظفر و يعترض دون الامل فأعلمه ايده الله اني في حال العطلة مع غيره والتصرف . و يومي الايطان والتطوف . كالمهتدي بالنجم حين عدم ذكاء ومتيمم الصعيد اذا لم يجد الماء .

فان اغشَ قوماً غيره او ازرهم فكالوحش يدنيه من الأنس المحل

والله يتولاه بالفسحة في عمره . والاعلاء لامره . و يصرف الاقدار مع ايثاره . و يصرف وجوه التوفيق الى اختياره . ولك ياسيدي في انتدابك كما ندبتك له ما للساعي المنجح من الشكر . او للمجتهد البالغ من العذر. وملاك الامر تقديم المراجعة للايجاب فاسكن اليه . والجواب فاعتمد عليه . وأهدي اليك ندى الغض الناضر من سلامي والارج العطر من تحيتي . اه

وله رسالة خاطب بها ابا مروان بن حيان المؤرخ المشهور قال في فصل منها وقد اهداه احمالاً من الزيت والبر في سنة محلة .

وللذي اسكن اليه من حسن قبولك . وجميل تأو يلك . اقابل بالحقير . واواجه بالتافه اليسير . و يعلم الله تعالى اني لو تاحفتك (قاسمتك ؟) عمري ما رأيت ان ذلك كفوء لقدرك . ولا وفاء ببرك . فكيف ما دونه فلك المنزلة التي لا تسامى . والجلالة التي لا توازى . وما شيء وان جل الا محتقر لك مستصغر عند محلك . و يصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وانت بمعاليك تتفضل بقبوله وتصل اجمل صلة بالتغاضي عن رتاحته . والاستجازة لنزارته . مقتضياً بذلك شكري وحمدي ومستبداً منهما بجميع ما عندي . اه

وقد راجعه ابن حيان برقعة يقول فيها : ان لفجأة المسرات الباعثة لآمال النفوس الحائمة صدمات تذهل الجنان وتعقل اللسان فمن فرح النفس ما يقتل ومن باهر الصنع ما يذهل . ولا كمثل ما فاجأتني به من فضلك المبتدر ميقانه علي وفاض من الازودة وخمود من المصابيح وضغطة من الظنون المخوفة لنكد السنا لم يشغلك عن جودك شاغل حتى قضيت نذرك فيَّ لاول وقته ولم ترض بعادتك المتكافئة لي بشأن الدين حتى تحملت عني ثقل القوت فطرقني قطار هديتك الفاجئة غداة اصبحت فيها منفضاً من الزاد مستوفزاً للارتياد فسكنت دهشاً فرحاً واستحال بياني بلها حتى نُوّلت كتابك الكريم . نظرت في لآليه فنالني به اهتزاز لذكرك وارتياح لقولك فجوزيت جزاء المحسنين بما ارحت من فكري لكشفك في اديم

يوم همّ عام مع انك قبلت شكري فلا فضل فيه لمقابلة معروفك الا بامحاض الدعاء لك في حراسة مهجتك ودوام نعمتك واستبصار الملك الاعلى عميد الورى مستكفيك في حسن رأيه فيك اعاذك من عين الكمال ووقاك طوارق الايام والليال وحفظ على زماننا ما فيك من كرم الخلال وانهضك بما التزمته من احناث من اقسم في عصرنا ان الجود عدم لا ينال بمنه ويمنه اه · وقد طوينا في هذه الرسالة بعض الفاظ لسقم النسخة المنقول عنها ·

شعر ابن زيدون

في دار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة خطية من ديوان بحتري المغرب ابن زيدون وقع في ١٠٧ ورقات صغيرة تغلب عليه الصحة في الغالب ولم يذكر فيه تاريخ ليعرف به الزمن الذي كتبت فيه وقد كتب في آخره مانصه : تم شعر ذي الوزارتين ابي الوليد احمد ابن زيدون وشعر الملكين والحمد لله وحده

وان خير ما يقرظ به ديوان صاحب قصيدة « اضحى التنائي بديلاً من تجافينا » التي بعث بها الى ولادة بنت المستكفي بالله ان يكتفى بنقل شذرات منه تدل على مبلغ ذاك الشعر من العراقة في الحضارة والرقة · وقد اتصل بنا ان اديباً من دمشق قد مثل هذا الديوان البديع للطبع او كاد ولا شك ان اصحاب القريض سيسرون بنشره بينهم ·

قال ابن زيدون يمدح ابا الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف وهي اول ديوانه

هذا الصباح على سُراك رقيبا ... فصلي بفرعك ليلك الغربيبا (١)
ولديك امثال النجوم قلائد ... الفت سماءك لبة وتريبا
لينب عن الجوزاء قرطك كلما ... جنحت تحت جناحها تغريبا
واذا الوشاح تعرضت اثناؤه ... طلعت ثريا لم تكن لتغيبا
ولطالما ابديت اذ حييتنا ... كفاً هي الكف الخضيب خضيبا
اظنينة دعوى البراءة شأنها ... انت العدو فلمْ دُعيت حبيبا
ما بال خدك لا يزال مضرجا ... بدم ولحظك لا يزال مريبا
لو شئت ما عذبت مهجة عاشق ... مستعذب في حبك التعذيبا

---

(١) قوله * فصلي بفرعك ليلك الغربيبا * من قول ابي الطيب

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فارت ليالي اربعا

وينظر اليه ايضاً قول المعري

يود ان ظلام الليل دام له ... وزيد فيه سواد القلب والبصر (ذخيرة)

ولزرته بل عدته ان الهوى مرض يكون له الوصال طبيبا
ما الهجر الاّ البين لولا انه لم يشحُ فاه به الغراب نعيبا
ولقد قضى فيك التجلد نحبه فثوى واعقب زفرة ونحيبا
وارى دموع العين ليس لفيضها غيض اذا ما القلب كان قليبا
مالي وللايام لجّ مع الصبى عدوانها فكسى العذار مشيبا

وقال مع تفاح اهداه الى الوزير الاجل محمد بن جهور

اتتك بلون الحبيب الخجل مخالط لون المحب الوجل
ثمار تضمن ادراكها هواءٌ احاط بها معتدل
تأتى لالطاف تدريجها فمن حر شمس الى برد ظل
الى ان تناهت شفاءَ العليل وانس المشوق ولهو الغزل
فلو تجمد الراح لم تعدُها وان هي ذابت فخمر تحل
لها منظر حسن في العيون لدنياك لكنه منتقل
وطعم يلذ لمن ذاقه كلذة ذكراك لو لم يُمل
وريا اذا نفحت خلتها تملي ثناك او تستهل
يمثل ملمسها للاكف لين زمانك او يمثل
صفوت فادللت في عرضها ومن يصف منه الهوى فليدل
قبولكها نعمة غضة وفضل بما قبله متصل
ولو كنت اهديت نفسي اخ تصرت على انها غاية المحتفل

وكتب الى الاديب ابي بكر مسلم بن احمد رسالة يتنصل بها

شحطنا وما للدار نأي ولا شحط وشط بمن نهوى المزار وما شطوا
اءاحبابنا الوت بحادث عهدنا حوادث لا عقد عليها ولا شرط
لعمركم ان الزمان الذي قضى بشت جميع الشمل منا لمشتط
واما الكرى مذ لم ازركم فهاجر زيارته غبٌّ والمامه فرط

الى ان يقول وهو مما ذكر له في القلائد

عدا سمعه عني واصغى الى عدى لهم في اديمي كلما استمكنوا عط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم مكامن اضغان اساودها رقط
يولونني عرض الكراهة والقلى وما دهرهم الا النفاسة والغبط
وقد وسموني بالتي لست اهلها ولم يُمن امثالي بامثالها قط

فورت فان قالوا الفرار ارابه فقد فرّ موسى حين همّ به القبط

وقال وهو السحر الحلال

ساحب اعدائي لانك منهم يامن يصح بمقلتيه و يسقم
اصبحت تسخطني فامنحك الرضى محضاً و تظلمني فلا اتظلم
يامن تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لوانني اشكو الى من يرحم

وله

سقى الغيث اطلال الاحبة بالحمى وحاك عليها ثوب وشي منمنما
واطلع فيها للازاهير انجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدما
اذ العيش غض والزمان غلام

اهيم بجبار يعز واخضع شذا المسك من اردانه يتضوّع
اذا جئت اشكوه الهوى ليس يسمع فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام

قضيب من الريحان اثمر بالبدر لواحظ عينيه ملين من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر والفاظه في النطق كاللؤلؤ النثر
و ريقته في الارتشاف مدام

سقى جنبات القصر صوب الغمائم وغنى على الاغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء دار الاكارم بلاد بها عقّ الشباب تمائمي
وانجبني قوم هناك كرام

فكم لي فيها من مساء واصباح بكل غزال مشرف الوجه وضاح
يقدم افواه الكؤوس بتفاح اذا طلعت في راحه انجم الراح
فانا لاعظام المدام قيام

و يوم لدى البنى (؟) في شاطيء النهر تدار علينا الراح في فتية زهر
وليس لنا فرش سوى يانع الزهر يدور بها عذب اللما اهيف الخصر
بفيه من الثغر الشنيب نظام

و يوم بحوحي (؟) الرصافة مبهج مررنا بروض الاقحوان المدبج
وقابلنا فيه نسيم البنفسج ولاح لنا ورد بخد مضرج
تراه امام النور وهو امام

واكرم بايام العفاف السوالف ولهو اثرناه بتلك المعاطف

بسود اثيث الشعر بيض السوالف اذا رفلوا في وشي تلك المطارف
فليس على خلع العذار ملام
وكم مشهد عند العقيق وجره قعدنا على حمر النبات وصفره
وظبي يساقينا سلافة خمره حكى جسدي في السقم رقة خصره
لواحظه عند الدنو سهام
فقل لزمان قد تولى نعيمه ورثت على مر الليالي رسومه
وكم رق فيه بالعشي نسيمه ولاحت لساري الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام

وله وقد قال فيها صاحب الذخيرة انه كتب بها من بطليوس ايام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه

يادمع صب ما شئت ان تصوبا ويافؤادي آن ان تذوبا
ان الرزايا اصبحت ضروبا لم ار لي في اهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا ندوبا في الغرب اذ رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا ادنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالافق المهدي الينا طيبا تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حر الكبد المشبوبا يامتبعاً إسآده التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا اما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا
اذا اتيت الوطن الحبيبا والجانب المستوضح العجيبا
والحاضر المنفسح الرحيبا فحي منه ما رأى الجنوبا
مصانع تجاذب القلوبا حيث الفت الرشأ الربيبا
مخالساً في وصله الرقيبا كم بات ليلي بدره الغريبا
لما انثنى في سكره قضيبا تشدو حمام حليه تطريبا
هصرته حلو الجنى رطيبا ارشف منه المبسم الشنيبا
حتى اذا ما اعتن لي مريبا شباب افق همَّ ان يشيبا
بادرت سعياً هل رأيت الذيبا (١) اهاجري ام موسعي تأنيبا

(١) اخذه من قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط وهذا

من لم أسغ من بعده مشروباً ما ضره لو قال لا تثريبا
ولا مـلام يلحق القلوبا فلا مـلام لحق المغلوبا
قـد طال ما تجرّم الذنوبا ولم يدع سيف العذر لي نصيبا
ان قرت العين بان اؤبا لم آلُ ان استرضي الغضوبا
حسبي ان احرم المغيبا قد ينفع المذنب ان يتوبا

وقال

ولما التقينا للوداع غدية وقد خفقت في ساحة القصر رايات
وقربت الجرد العتاق وصفقت طبول ولاحت للفراق علامات
بكينا دماً حتى كأن عيوننا بجري الدموع الحمر منها جراحات
وكنا نرجي الأوب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت علينا زيادات

مطبوعات ومخطوطات

المانيا الحديثة ونشوءها

صدر هذا الكتاب النفيس في الشهور الاخيرة باللغة الافرنسية من قلم المسيو هنري ليشتنبرجي من اساتذة كلية السوربون في باريز وهو في نحو اربعمائة صفحة تلونا في مسطوره آثار عظمة الامة الجرمانية وارتقائها في آدابها وعلومها وصنائعها واخلاقها واوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في خلال القرن التاسع عشر كل ذلك مكتوب بلسان الانصاف البحت اوحاه العلم الذي لا ينطق صاحبه من جانب القلب بعامل هوى النفس واملاه التمحيص الذي يتوفر عليه علماء الغرب اذا اخصوا في فن من الفنون وارادوا ان يضعوا فيه المصنفات الممتعة النافعة . وقد عددنا الظفر بهذا الكتاب نعمة لانا كنا نعرف درجة ارتقاء الالمان معرفة سطحية وذلك لان من اخلاق هذه الامة بل من اخلاق الامم السكسونية كالانكليز والاميركان ان لا يهمها التظاهر بعظمتها الحقيقية الا بعد ايراد الدلائل الحسية على ذلك وظهور نتائج الاعمال بالطبع .

ومما استفدناه منه ان الالمان لم يكتفوا بنزول بلادهم بل هم منتشرون في جميع بلاد اوربا ولا سيما فيما وراء تخومها من الجهات الاربع فقد كان سنة ١٩٠٠ في بلاد النمسا

التشبيه عند اهل النقد نوع من انواع الاشارة لانه اشار الى تشبيه لونه بلون الذئب بسبب شوبه بالماء الذي غلب على اللبن (الذخيرة)

٩١٧١٠٠٠ الماني اي ٣٦ في بالمائة من مجموع السكان يحيون فيها لغتهم وحضارتهم ونفوذهم وفي الاكثر في بوهيميا على كثرة مناضلة عنصر الصقالبة لهم · وعلى الرغم من معاكسة العنصر المجري للعنصر الجرماني لا يزال في بلاد المجر ٢١٣٥٠٠٠ الماني اي نحو ٣٣ في المئة من عامة السكان يحافظون على حالتهم وان شئت فقل بفلحون في الاعمال وينتشرون كما هم في اقليم كرواسياسلافونيا من ديار المجر فانهم زادوا فيها اربعة اضعاف ما كانوا في النصف الثاني من القرن الاخير · وعدد الالمان في شرق المانيا من ولايات البلطيق من اعمال روسيا نحو ربع مليون وهم العنصر المتمدن المتعلم الغني · وفي جنوبي المانيا اي في بلاد سويسرا الالمانية يتراجع عنصرهم قليلاً بالنسبة لعنصر الولش وفي غربي المانيا ٣٢ الفًا اي في هولاندا والبجيك الفلامندية و٦٨ الفًا في البجيك ولوكسمبرغ

وما عدا هؤلاء فان هناك ملايين من الالمانيين غادروا المانيا على ان يعودوا اليها او هاجروا منها هجرة قطعية فمنهم جنود يخدمون الاجانب ودعاة دين للكثلكة او البرتستانتية وروّاد في آسيا وافريقية يكتشفون المجاهل والمعالم ومهاجرون مدفوعون بعامل الفقر نزلوا وراء البحر المحيط اي في اميركا يبحثون عن الثروة وكل هؤلاء الالمان الذين طرحتهم النوى مطارحها والقتهم الاقدار في اطراف المعمور كلهم عنصر قوي في جسم القوة الجرمانية ذو شأن عظيم ·

قال المؤلف ومعلوم ان هجرة الالمان كانت متصلة بعد سنة ١٨٣٠ حتى انه يقدر عدد الالمانيين الذين غادروا المانيا في خلال القرن التاسع عشر بخمسة ملايين ومعظمهم بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ وهكذا أُسست منذ ذاك العهد مستعمرات المانية كثيرة واهمها مستعمرة الالمان في الولايات المتحدة ويقدر عدد الاميركيين الذين هم من اصل الماني بخمسة وعشرين مليونًا وبعشرة الى اثني عشر مليونًا نقرأ في جبهتهم المانيتهم وهم اما انهم يتكلمون بالالمانية اذ هم مولدون من آباء المان او انهم احتفظوا بعاداتهم وتهذيبهم بما قوى الرابطة بينهم وبين بلادهم الاصلية وكان هذا العدد الدثر من اعظم القوى الالمانية اذ لم يتشبه على ايسر وجه من نزل بين اظهرهم من الاميركان وينزع عنه اخلاقه وآداب جنسه في الجيل الثاني او الثالث واحيانًا في الجيل الاول

ويبلغ الالمان في اميركا الجنوبية نصف مليون نسمة وهم فيها اكثر احتفاظًا بلغتهم وآدابهم واغنياء من الطراز الاول وفي اوستراليا يتشبهون بالعنصر الانكليزي السكسوني لاول امرهم وعلى العكس في النازحين منهم الى الشرق من جهات الاملاك العثمانية والروسية كقافقاسيا وتركستان وسيبيريا من جهة وفلسطين من جهة اخرى فهم احتفظوا باصولهم ولغاتهم وهم على قاب قوسين من النجاح والتقدم وهكذا الحال في سائر البلاد التي نزلوها في

آسيا ولا سيما في المستعمرات الهولاندية وكذلك في افريقية ولا سيما في مستعمرة الرأس ويقدرون عدد الالمان في اوربا بستة وسبعين مليونًا ونصف يضاف اليهم نحو اثني عشر مليونًا منتشرين في اطراف القارات الاربع الاخرى منهم عشرة ملايين في الولايات المتحدة واربعمائة الف في اميركا الشمالية وخمسمائة الف في اميركا الجنوبية وثمانية عشر الفًا في اميركا الوسطى و٦٢٣ الفًا في افريقية و١١٠ آلاف في جزائر المحيط و٨٨ الفًا في آسيا. وسنعرب من هذا الكتاب بعض فصوله لفائدة القراء

محمد علي

هي قصة تاريخية غرامية تشتمل على سيرة محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية من اول نشأته حتى قبض على ازمة الحكومة المصرية عربها عن الانكليزية نسيب افندي المشعلاني المشهور في تعريب القصص والفكاهات ونشرتها مجلة الهلال الغراء ملحقًا لها تعويضًا لقرائها عن شهري الصيف وهما اللذان تحتجب فيهما هذه المجلة النافعة وقد جعلتها هدية لمن يؤدي قيمة الاشتراك من القراء لان مشتركي الجرائد والمجلات في الامة العربية لا يدفعون في الاغلب الا اذا حفزهم حافز ورغبهم مرغب كأن ما يتناولونه كل يوم او كل اسبوع او كل شهر من الافكار والابحاث لا يساوي وحده في نظرهم ان يقابل بثمن طفيف. وقد احسن رصيفنا صاحب الهلال بهذه القاعدة التي جرى عليها منذ سنين وفقنا الله واياه. والرواية عذبة العبارة جمة الحوادث والتفرعات الملذة وهي في زهاء ثلاثمائة صفحة من قطع الثمن فنحث عشاق الفكاهات على مطالعتها ونثني على ناقلها وناشرها بما يستحق فضلها

ديوان صريع الغواني

صريع الغواني او مسلم بن الوليد شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو الذي لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة واشهرهم ابو تمام الطائي وكان حسن النمط جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بابي نواس في هذا المعنى توفي سنة ٢٠٨ وقد كان طبع ديوانه في اوربا والهند واعاد طبعه الآن فئة من انصار الادب ببورسعيد فاحسنت ونعما فعلت وحبذا لو تتبعه بغيره من الكتب المطبوعة في اوربا وهي تعد كالمخطوطة في ديارنا لندرتها. قال مسلم في الحكم

شكا الزمان بما امضى به قدرا ان الزمان لمحمود على الابد
لن يبطئ الامر ما املت اوبته وان اعانك فيه رفق متئد
والدهر آخذ ما اعطى مكدر ما اصفى ومفسد ما اهوى له بيد

فلا يغرنك من دهر عطيته فليس يترك ما اعطى على احد

وقال من هذا النوع

كم رأينا من اناس هلكوا فبكى احبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم ودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الله عليهم وركا فاستداروا حيث دار الفلك

مرآة الزمان

جرت عادة كثير من طباع الغربيين ان يطبعوا بالزنكوغراف كثيرًا من الكتب القديمة الخطية لا سيما اذا كان خطها بديعًا يغلب عليه الضبط والصحة وفي ذلك فوائد لا تحصى لان المالك نسخة من كتاب اورسالة طبع على هذه الصورة كأنه ملك النسخة الاصلية الفريدة في بابها وربما طبع الكتاب بهذه الطريقة لا لما ذكر بل لصعوبة النسخ او الطبع على الطريقة المألوفة ومن ذلك ما فعله الدكتور ريكارد جوت استاذ العربية في جمعة شيكاغو فانه طبع في الايام الاخيرة الجزء الثامن من مرآة الزمان للعلامة يوسف سبط ابن الجوزي وهذا الجزء يحتوي على مهم الاحداث من سنة ٤٩٥ الى سنة ٦٥٤ هـ ولعل بعض الطابعين في المشرق يقتفون هذا الاثر وان كان يحتاج الى عناء وكلفة فان في دور الكتب هنا وعند كثير من المولعين بها كثيرًا من الكتب التي يجدر ان تطبع على هذه الطريقة لاعلى الطريقة الاخرى

الفضيلة والرذيلة

جورج اونه من مشاهير كتاب فرنسا المعاصرين له عشرات من المؤلفات في التمثيل والقصص وكلها منتشرة بين الفرنسيس وهو من الناقمين على ارباب المجد والمال ولذلك ترى معظم كتاباته تدور على هذا المحور · وقد عرب منشيء هذه المجلة في هذه الآونة رواية من سلسلة روايات له كثيرة سماها جهاد الحياة نشرتها مجلة مسامرات الشعب في ٢٦٧ صفحة منصفة القطع وسميت «الفضيلة والرذيلة» وهي تمثل رجلاً من اهل الادب والقريض اتصل بفتاة اديبة وامرأة متأدبة فحاول ان يحل من الاولى محلاً دفعته عنه بفضل ادبها وتربيتها مع ان امها كانت معروفة بالخلاعة والتبذل وحل من الثانية وهي غنية من ربات القصور محلاً لا يليق بمن كتب وصنف ان يحله فاخذت ترفع مقامه بين خاصتها وتبره ليصلح لها كتاباتها المنثورة والمنظومة لانها كانت مولعة بالشهرة الادبية ولما تستعد لها

على اصولها وقد تخلل ذلك كلام في النقد على ارباب الرفاهية والمجد وطلاب الشهرة الباطلة مثال من تغفل بعض ارباب المطابع والجرائدوالمجلات والمجامع العلمية في فرنسا مما تحتاج كل صفحة من صفحاته الى شرح طويل . وهذه الرواية تلذ مطالعتهاالخاصة اكثر من العامة وهي تطلب من مجلة مسامرات الشعب وثمنهاخمسة عشر قرشاً وتهدى لمن يشترك بالمجلة المذكورة

المجرم البريء

نشرت مجلة مسامرات الشعب القصصية هذه الرواية معربة بقلم كاتب هذه السطور ايضاً وهي رواية تلذ مطالعتهاجمهور الناس تمثل صورة من صور التهور في الغرام الحرام وعواقبه المدمرة وذلك ان صاحب معمل في باريز كان في حالة حسنة من دنياه يعيش في غبطة مع زوجته وفتاته فساقه الغرور الى الاتصال بامرأة احد كبار المحامين استلت منه آدابه وماله ثم جمعته الاقدار في حرب السبعين مع زوجها وكان يعرفه من قبل معرفة بسيطة فتصادقا على الرغم منه وانقذ كل منهما حياة صاحبه في بعض المواقع فعادصاحبه وقد قطعت ساقاه فلم ير صاحب المعمل ان يعود الى سالف عهده مع زوجة صاحبه بعد تلك الحقوق التي بينهما وراح يوبخ نفسه على ما قدمت يداه اما هي فكتمت الامر واخذت تدبر له مكيدة للانتقام منه بواسطة رجل كان قبض عليه صاحب المعمل في دار الحرب وهو يتجسس للعدو وسجنه ريثما ينفذ عليه حكم الاعدام ففرّ في الليل وعاد الى باريز وتعرّف الى تلك المرأة وكان مطلعاً من قبل على شيء ممايدور بينها وبينه قبل الحرب . وصادف ان وقع صاحب المعمل في ضائقة عقيب وقوف الحركة المالية في فرنسا وكان مديناً لرجل عجوز بمبلغ من المال فاراده ان ينظره الى ميسرة فالح هذا في تقاضي دينه فلم يسعه الا ان يدفع اليه ما اراد وعندها دمر ذاك الجاسوس الى دار الشيخ وذبحه واخذ اوراقه المالية التي كانت فيها إشارة الى انها صادرة عن صاحب المعمل ودفع القسم الاعظم منها الى عشيقة صاحب المعمل القديمة لتؤديها اليه وفاء عن مبلغ كانت اقترضته منه ايام اتصالها به فاخذها هذا فرحاً وصادف ان كانت دار صاحب المعمل في ضاحية باريز مناوحة لدار الشيخ القتيل الذي كان دائن الاول مديناً له وان صاحب المعمل تأخر ليلة القتل مضطرباً من الازمة المالية التي تهدده بالخراب وان زوجته وابنته رأتا شخصاً يشبه لمابه فظنتاانه هو الذي دخل دار ذاك الجار العجوز قبيل منتصف الليل واتفق وجود شبه في الصورة بين صاحب المعمل وبين الجاسوس القاتل ووقعت للابنة وامها امارات قوية تدل على ان صاحب المعمل هو القاتل لا محالة ولما استنطقتهما النيابة من الغد ظهر عليهما تردد لم يشك القضاة معه بان القاتل هو صاحب المعمل قتل غريمه بعد ان دفع اليه المبلغ كما علم من كتابين كان بعث بهما اليه قبل يومين من مقتله يهدده فيهما ضمناً ان لم يمهله في الدفع

ولما سجن صاحب المعمل بما قامت عليه من الامارات وهو ينادي بانه بريء تقدم صديقه في دار الحرب ذاك المحامي على عجزه ليتولى الدفاع عنه وفاء بحقوق الصداقة فابى ان يطلعه على سر قضيته ليحسن انقاذه من ايدي القضاء لكن صديقه المحامي عرف بان في المسألة سرًا له اتصال بامور نسائية. ابت مروءة صاحبه ان يبوح به اليه لانه ربما ادّى الى خراب بيت وتشتيت شمل أسرة عظيمة وبينا هو في المحكمة يدافع عنه يوم صدور الحكم عليه وقد ايقن الناس بانه كاد يؤثر بطلاقة لسانه في عقول القضاة فيبرؤن صاحبه او يحكمون عليه بعقوبة خفيفة جدًا أُلقيت اليه بطاقة فلما قرأها دهش وتلعثم ثم نقلوه الى غرفة وجاء الطبيب وقد فارق المحامي الحياة وعندها حكمت المحكمة على الذي تبين لها انه القاتل بالاشغال الشاقة مؤبدًا . وفي خلال ذلك هلكت امرأة صاحب المعمل حزنًا وخلفت ابنتها وهي في السابعة يتيمة عجية فكفلها خال ابيها وباع المعمل والمصيف وجميع ما يملكه ابن اخته ووفى ما كان عليه من الديون . اما صاحب المعمل فتمكن بعد سنة من الفرار من محبسه في خمسة من المجرمين السياسيين وانقلب الى نيويورك فقيرًا وقيرًا فدخل في احد المعامل وكان يحسن صناعة الحديد قوي العضل عارفًا بالميكانيكيات فظهرت كفاءته ووفق الى ان جمع مبلغًا من المال عاد به بعد سنتين الى فرنسا متخفيًا واخذ ابنته من خاله ورجع الى اميركا فزوده خاله بمبلغ من المال يستعين به على تربية ابنته وكان خاله عقيمًا فانشأ ذاك المحكوم عليه يتوسع في عمله وذهب الى كندا فاغتنى كثيرًا بفضل كده وعمله وسعة معارفه في الميكانيكيات والطبيعيات وعلم ابنته التعليم العالي وبدل اسمه واسم أُسرته وبعد ان قضى هناك نحو عشر سنين حدثته نفسه بالرجوع الى وطنه ليكشف سر قضيته ويعاد النظر فيها ليعرف من اين أتي فرجع واتخذ له دارًا في ظاهر باريز . ومن غريب المصادفات ان القصر الذي اكتراه كان بالقرب من مزرعة انتقلت بالارث الشرعي لزوجة صديقه الذي هلك في خلال الدفاع عنه او عشيقته القديمة وكانت اوت اليها بعد وفاة زوجها مع ولديها فاتصل اهل البيتين بواسطة ابنة صاحب المعمل وعقدت بينهما صلات التعارف وما زال الغني المحكوم عليه يبحث حتى توصل الى معرفة القاتل الحقيقي ودخل معه في شركة ثم بعث الى البورصة من قبله من سعى الى اسقاط اسهمها فافلس شريكه او كاد ولم يجد ملجأ الا شريكه صاحب المعمل فوعده باعطائه شيئًا من المال الا ان القاتل القديم اضمر ان يقتله وراح من الليل الى داره وكان نصب له تمثالاً من الخشب وضعه على المنضدة فشبه له وظنه هو فانشأ يضرب به بخنجره وكان صاحبنا كامنًا له مع اثنين من رجال الشرطة وقاضيين كان لهم يد في الحكم عليه سابقًا فامسكوه واعترف بفعلته وهو متلبس بالجريمة الا انه طعن نفسه في الحال بخنجره وسألوه اسئلة

فاعترف بانه هو قاتل ذاك الشيخ العجوز الذي كان صاحب المعمل مديناً له وان له شريكاً في قتله وحشرجت روحه فلم يسم ذاك الشريك وعندها صدر عفو الحكومة عن صاحب المعمل وعقد لابنته على احد ولدي صديقه المحامي وكان محامياً ايضاً وماتت في خلال ذلك امها اي عشيقة صاحب المعمل وقد اقرت بما جنته وسقطت من عيني ابنيها وراح الزوجان الجديدان تحالفهما السعادة بعد ان شقي ابواهما واماهما هذا الشقاء الذي قاد اليه الغرور وطيش الصبا والصبوة · وقد وقعت القصة في ثمانمائة صفحة صغيرة صدرت في اربعة اجزاء وهي تطلب من مكتبة المسامرات وثمنها ثمانية قروش وفيها كثير من الحوادث التي تلذ العامة وبعض الخاصة ·

سير العلم

حروب العالم

الف احد علماء الفرنسيس كتاباً جليلاً سماه ماضي الحرب ومستقبل السلم ذكر فيه ما احدثته الحروب من الويلات في القرن التاسع عشر قرن العلم والنور فقال ان القوانين حكمت في خلاله على عشرة آلاف مجرم بالاعدام في العالم على حين ان الحروب ازهقت ارواح خمسة عشر مليون شاب شجاع وعلى هذا فقد كفر مجرم واحد عن فعلته بالموت وقضى الفان من الابرياء في ميادين الوغى فكان الماضي حقاً مجزرة عقيمة واذا ظلت هذه المجازر تجري على مرأى ومسمع من العالم فان عارها تحمر منه الخدود وذكراها تقشعر منه الجلود · قال ومن ادعى بان فرنسا اذا سعت الى ابطال الحرب ولم تعد الى ما اتته من حوادث الجنون في اهراق الدماء على عهد فرنسيس الاول ولويس الرابع عشر ونابوليون الاول تسعى الى حتفها بظلفها فهو في غرور واذا فعلت فرنسا فانها بذلك تعمل على ما فيه مجدها واعلاء شأنها· قال واما اولئك الالوف من الضباط ومئات الالوف من العملة في دور الصناعات الذين يعملون الآن فانهم ينصرفون الى اعمال غير اعمالهم الآن فبدلاً من انشاء الدوارع الحربية ينشئون البواخر التجارية وبدلاً من صنع الخرطوش يعملون على استنبات الحنطة وقال ينبغي ان تكون معاهدات التحكيم اجبارية بين الامم وبذلك تمتنع الحروب من العالم ·

الدخان الضار

يحدث من دخان المعامل في المدن الصناعية الكبرى كلندن وباريز ما يضر بالسكان

والمكان فقد قدر الحامض الكبريتي الذي يتكون منها كل سنة في لندن وحدها بنصف مليون طن تدخل في رئة الناس فتقرضها كما تقرض الحجر الجيري والرخام «الدبش» والقرميد وتحيل هذه المواد الى سلفات الجير وتتفتت ويخشى منها على المصانع الكبيرة والمعاهد والمعابد . وقد جربوا عدة مواد للافاقة ضرر هذا الدخان ورأوا ان احسن واسطة طلي البنايات بمحلول الباريت لانه كالملاط يُحكم الربط بين اجزاء الحجارة فاسفرت تجربته عن تقوية الحجارة كأنها الآن خارجة من المقلع وكانت من قبل تتفتت باليد . ولكن اذا اغتبطت الجمادات بانها لا تتضرر بعد الآن بهذا الدخان فان الانسان والنبات ما زالا يتضرران منها والعلماء يبحثون عن طريق تقي منها البشر

اقزام جدد

صادف احد رجال البعثة الانكليزية التي عهد اليها صعود جبال القمر في خلال سياحتها في افريقية جيلا من الافريقيين الاقزام لم يكن معروفاً من قبل في بقعة كاد يظن انها امنع من جبهة الاسد تمتد من جنوبي بحيرة البرت ادوارد وهي جبلية ذات وهاد ونجاد وعقاب وشعاب وفيها فوهات بركانية خامدة وهذه الجبال مغطاة باشجار الخيزران الجيد وقد نزل اولئك الاقزام في ادغال هناك وهم يعيشون بشن الغارات على من في جوارهم ونهب السكان المنتشرين في الجبال . وهم اقصر قامات من اقزام الكونغو ولم يعرف العلماء الباحثون في اصول الامم عنهم شيئاً . فهم لا يعرفون الصنائع ولا الصيد ولا يحسنون غير السلب والنهب وعندهم خلايا يقتاتون بعسلها مع اللبن وقد اتى المكتشف معه الى اوربا باقزمين مثالاً من اولئك القزم المجهولين .

اللغة العربية

قال الدكتور براون احد اساتذة جامعة كامبردج في مأدبة اقامتها اللجنة المصرية في دار الندوة الانكليزية لجماعة المصريين : ان لغة مصر الآن تهبط وهي اللغة العربية الفصحى لان الازهر قد بقي في خلال هاتيك القرون المظلمة حصناً منيعاً للغة العربية والآداب الاسلامية . وقال : يقولون ان اللغة العربية غير صالحة للعلوم العصرية . يقولون هذا وهم لا يعرفون من اللغة العربية حرفاً واحداً . اللغة التي حفظت لنا فلسفة اليونان والرومان من الضياع . اللغة التي نقلت لنا آداب الفرس والهنود والقرون البائدة . اللغة التي كتبت بها جميع المؤلفات العلمية الثمينة كيف يمكن ان يقال انها لا توسع صدرها لتلقين مبادىء علوم عصرية ؟

ألفت الكتب في علم الجغرافيا وتخطيط البلدان على طريقة لم يؤلف مثلها وكتبهم العربية في التاريخ اوسع الكتب وادقها بل في نظري ان التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في اوربا وذكر ابن خلدون وابن الاثير والطبري والفخري وغيرهم ثم قال : وفي باب العلم والفلسفة والاخلاق نجد من المؤلفات ما لا يوجد له مثيل . ما ظنكم بجماعة من كبار اهل العلم يجتمعون في القرون التي كنا فيها في دور الهمجية والوحشية يؤلفون دائرة علوم اسمها « اخوان الصفاء » ونحن من الآن نفتخر بكتاب دائرة العلوم الانكليزية في القرن العشرين ونقول ان اللغة العربية لا تصلح لتلقين العلوم . هذا الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » قد جمع في مؤلف صغير خلاصة الآراء الدينية والفلسفية التي كانت تعتقد فيها الامم الغابرة والحاضرة وهذه دوائر العلوم العربية في مكاتب اسبانيا وفي مكاتب اوربا وكيفما كانت الحجة في عدم تعليم العلوم باللغة العربية في مصر فلا مراء مطلقاً في ان تعليم امة العلم بغير لغتها صدٌّ لها عن التقدم وعقبة كبرى في سبيل نهضتها بل اقول انه لا تعليم البتة لامة بغير لغتها .

ورق الخيزور

ذكرنا ما كان من اتخاذ بعضهم الورق من شجيرات الاريقي وما كان من اتخاذه من سوق القطن وعيدانه . وقد قرأنا في الاخبار العلمية الآن انهم اخذوا يصنعون الورق من الخيزور في برمانيا من اعمال الهند الصينية فمنحت حكومتها عدة امتيازات للانتفاع بالخيزران وقد كان الصينيون منذ الزمن الاطول يعرفون الياف الخيزور وانه يصنع به ورق وان لم يستعمل في الصناعة بالفعل ولكن احد الانكليز المقيمين في جزائر الجامايك عنَّ له هذا الخاطر فاخذ منذ عام ١٩٠٠ يضاعف الهمة في زرع الخيزران في ذاك الارخبيل ولكن اعماله لم تأت بفائدة لنزع اليافه من الصمغ الذي يلصقها بالجذوع وقد توصلوا الآن الى صنع ورق جميل جداً من الياف الخيزور وهو من الطراز الاول في الجودة والمتانة واخذت الحكومة الانكليزية في ذاك الصقع تنشط زراعة الخيزران لرخص اسعاره وجودة ورقه وسيعمل من اليافه بعد سبع سنين كل سنة عشرة آلاف طن وبعد خمس عشرة سنة عشرون الف طن فيأتي بارباح عظيمة .

البيض

قدم احد العارفين الى كلية باريز بحثاً في منافع بيض الدجاج وبيض الفسيخ «البطارخ» قابل فيه بين تغذية هذا البيض وتغذية اللحوم فقال ان البيض ولا سيما بيض الفسيخ تكثر

فيه مادة الالبومين اكثر من اللحم وانه من حسن الرأي الاعتماد على هذا البيض في التغذية على شرط ان لا يتعدى معدله من الجنسين من خمسين الى مائة غرام في اليوم وقال انه من حيث الثمن ارخص من اللحم وسالم من العيوب وفيه غذاء نافع فوسفوري

المطاط

كتب احدهم في مجلة المجلات الاميركية مقالاً تكلم فيه عن المطاط وذكر شيئاً من تاريخ معرفة الناس فوائده واكتشافهم الجهات التي تنمو فيها اشجاره واستخراجهم له قال: في المنطقة الحارة التي هي المنبت الحقيقي لاشجار المطاط نحو الثلاثمائة او الاربعمائة شجيرة وغرسة يخرج منها سائل يضرب لونه الى البياض فيه خواص المطاط واهم مورد له الآن وادي الامازون والكونغو ومن المحتمل الحصول عليه ايضاً في المستقبل من جزيرة سيلان ومستعمرة سنغافورة بكميات وافرة . وفي هذا الوقت تزرع ملايين من اشجاره بالهند مع انواع منها جديدة يُرجى ان يكون مطاطها رائجاً جداً في جميع الانحاء .

المطاط مادة تستخرج من لحاء الاشجار ولتلك المادة لون يشبه لون اللبن وهي في عرف علماء الكيمياء من قسم الجوامد التي تعرف بالمواد الغروية Colloids غير انهم يجهلون كل الجهل المنشأ الحقيقي لخاصتها الغروية . وقد وفق شارلس ماكنتوش عام ١٨٣٣ الى تذويب المطاط في البنزين وفي سنة ١٨٣٩ اكتشف شارلس جديير من نيويورك انه اذا مزجت كمية من المطاط مع اخرى تعادلها من الكبريت لم يكن الناتج ليتحلل اذا سلطت عليه حرارة خفيفة اوليزلج اذا كانت درجة الحرارة عالية . لم يكن المطاط في ذاك الوقت مستعملاً بكثرة في الولايات المتحدة اما اليوم فانها تستعمل زهاء نصف ما يستخرج من المطاط في الكرة الارضية و يصح ان نقول ان المطاط يكون غداً من الزم ضروريات الحياة واصبح عظيم الخطر والقدر وقد جاء وافياً بما كنا ننشده من متممات معينات التنقل . فلولاه لكان من المستحيل عمل مركبات السكك الحديد الهوائية (مركبات تسير على قضبان من حديد بواسطة الهواء المضغوط) ولولاه لما تمكنا من نقل الكهرباء وتسييرها في الاسلاك .

من الممكن للناس ان يستغنوا عن المطاط في صنع الاحذية والجوارب مثلاً ولكنهم لا يمكنهم ان يتخلوا عن استعماله — اذ لا يوجد ما يغني عنه — في عمل وسائل التنقل الجديدة كعربات السكك الحديدية والسيارات وفي المفاوضات بالكهرباء والانارة بها وكذلك يحتاج اليه في عمل الجراحات وفي الادوية و يبلغ مجموع ثمن ما يباع منه في انحاء العالم ١٦ مليون درهم انكليزي و زنة هذا المحصول ١٢٥ مليون رطل انكليزي والمدن التي فيها اكبر اسواق المطاط والتي يصدر منها الى سائر الامم هي : نيويورك وليفربول ولندرة

وانتورب وكمبرج ولشبونة والهافر ولا يزيد ما يؤخذ سنوياً من المطاط من الاشجار التي زرعت حديثاً عن مائة طن · والاشتغال بجمع المطاط في جهات الامازون والكونغو صعب جداً ولا يقدر على المعيشة والعمل هناك غير الوطنيين · وجميع الاحذية والنعال والملابس المصنوعة منه بالولايات المتحدة — ما عدا مدينة بوستن — تحتكرها شركة واحدة تدعى «شركة مطاط الولايات المتحدة» · ويفيدك ان تعلم انه يمكن اصلاح ما يخرب مما يصنع من المطاط اذا تقادم عليه العهد وارجاعه الى سابق حاله ·

السكك الحديدية

تكثر الاعشاب والجميم في ممر الخطوط الحديدية حتى تكاد تكون احياناً من عوائق القطارات وقد استعملت عدة ذرائع لاهلاكها فلم تأت بنتيجة وقد اخترعت الآن شركة سكك حديد المحيط الهادي في اميركا مركبة كهربائية ذات دواليب تحرق الاعشاب على طول الخط الحديدي فتزيل في النهار الواحد الحشيش والعشب من ثلاثين الى اربعين كيلومتراً وهذه المركبة تسير كما يسير القطار العادي واذا اجتازت مرتين او ثلاثاً في مكان فبشره بعدها بانه لا ينبت فيه عرق اخضر ·

اللبن النباتي

يستعمل هذا اللبن في الصين ويستعاض به في بعض الاحوال عن لبن البقر وهو يصنع من بزور الفاصوليا الزيتية Soja Hispida فتطبخ وتعصر جيداً بحيث يأتي منها نوع من العصيدة اذا حلت في الماء يكون منها مشروب يسمى اللبن النباتي ويصنع من جبن طري ويمكن حفظه بوضعه في الملح فيشبه جبن «الروكفور» وجبن العنز المعروف بالشيبيشو وجبن «الجرافيرا» ·

اللغات الاوربية

يقول احد علماء السكسونيين انه سيكون عدد المتكلمين باللغة الانكليزية في اواخر القرن العشرين ٦٥٠ مليوناً من البشر وعدد المتكلمين بالروسية ٢٣٥ مليوناً وعدد المتكلمين بالالمانية ٢١٥ وعدد المتكلمين بالافرنسية ٩٠ مليوناً وعدد المتكلمين بالايطالية ٧٩ مليوناً وبالاسبانية ٧٥ وقد اوقع بعض الفرنسيس الشك في هذا التخمين ·

قاموس المجمع العلمي

ذكروا ان عدد المفردات التي شرحها قاموس المجمع العلمي الفرنسوي اثنان وثلاثون الفاً فيها عشرون الفاً من اصل علمي او غريب · وقد قدروا عدد المفردات البسيطة

المستعملة بالافرنسية في الحاجيات اليومية باربعة آلاف كلمة . و يقول اللغوي ما كس مولر في كتابه علم اللغات ان غاية ما يستعمله المتعلم من الانكليز في شؤونه هو اربعة آلاف كلمة ايضاً . ونحن لا نظن ان المألوف من الالفاظ في معظم اللغات يتجاوز هذا القدر او اكثر منه بقليل مهما كانت اللغة متسعة .

أثر لارخميدس

عثر المؤرخ هبرج الدانيمركي مؤخراً على نسخة خطية كتبت على ورق صادر من مدينة القدس وهي عبارة عن رسالة في الحساب غير معروفة من ارخميدس اعظم مهندس يوناني وهذه الرسالة تكاد تصور حساب التكامل الذي عرف في العصور المتأخرة وبهذا الاكتشاف يكون ارخميدس اعظم رياضي قام في العالم .

التربية المتحدة

انشأ احدهم مجلة بالانكليزية في انكلترا سماها مجلة « كليتي اكسفورد وكمبردج » وهما اشهر مدارس انكلترا يتوخى فيها الجمع بين المدرستين ليتحدا في التعليم وقد كتب احدهم فيها مقالة بين طريقة الولايات المتحدة في توحيد التربية فقال انه لم يكن في اميركا سنة ١٨٧٠ —٧ر٣٠ في المئة من المدارس المختلطة من الصبيان والبنات وما بقي منها كان يختلف اليه الصبيان فقط . وفي سنة ١٨٩٨ اصبحت المدارس المشتركة ٧٠ في المائة من مجموع مدارسها وربما أُنشئت هناك كلية عظمى خاصة بالبنات فقط .

تنزيه المستخدمين

يتنافس كثير من المحال التجارية الكبرى في فرنسا في ارسال مستخدميهم لا سيما مستخدماتهم الى الضواحي والجبال خلال اشهر الصيف ليروّحن نفوسهن باجور طفيفة جداً وقد أُنشئت في باريز جمعيات لارسال الاولاد الى الجبال مدة القيظ ويمثل هذه الاعمال الافرادية تُحل المشاكل الاجتماعية احسن حل .

مدارس النساء

قالت المجلة يجدر بنا بمناسبة مرور السنة الخامسة والعشرين على تأسيس مدارس البنات العالية ان نقول ان في فرنسا ٥٦ مدرسة وسطى و٤٧ مدرسة عالية للبنات .

العاملات في فرنسا

في فرنسا ستة ملايين امرأة مستخدمة في الصناعة ومليون امرأة تخدم في البيوت والحوانيت

ومائة وخمسون الفًا انصرفن الى الاعمال الحرة ومئة الف في خدمة الحكومة في العاصمة والولايات ·

المهاجرون الى اميركا

يؤخذ من التقرير السنوي الذي نشره مكتب المهاجرين الى اميركا انه كان عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦ زهاء مليون نسمة ولم يهاجر اليها في سنة واحدة اكثر من هذا العدد حتى الآن ومعظم المهاجرين هم من الطليان فقد بلغوا ٢٨٧ الفًا ويليهم البولونيون والالمان واليابانيون والفرنسيس ·

المتعلمون في العالم

احصي احد اساتذة كلية كولومبيا الجامعة عدد الاولاد الذين يتعلمون في المدارس فكان عددهم ٢٣ في المئة من مجموع الامة في الولايات المتحدة و١٩ في المئة في المانيا و١٥ في انكلترا وفرنسا وثلاثة ونصفًا في المئة في روسيا وفي روسيا سبعة ملايين ولد ليس لهم مدرسة يتعلمون فيها

سياح الاميركان

تشاءمت صحف اميركا من كثرة اقبال الاميركان على السياحة في اوربا فقد زاد عددهم في هذه السنة زيادة عظيمة فقدر الراحلون منهم بمئة الف سائح فاذا كان معدل ما ينفقه الواحد منهم خمسة آلاف فرنك فيكون ما تخسره اميركا من ذلك خمسمائة مليون فرنك

الاحتكار في اميركا

بدأت الولايات المتحدة تدرك مضار الاحتكار فقد قدّر بان معامل السكر التي أغلقت بمنافسة كبار المحتكرين لها سنة ١٩٠٥ في تلك البلاد بلغت ثلثمائة معمل ومثل هذا العدد من المدابغ ومعامل الاحذية كما أغلق مائتا معمل للقطن وقد زادت اثمان هذه المصنوعات ثلث ما كانت عليه كما زاد المصنوع منها ثلاثين في المئة ·

ثروة اميركا

كتب احدهم في مجلة العالمين البارزية فصلاً في ثروة الولايات المتحدة قال فيه ان نجاحها في زراعتها هو بيت قصيد فلاحها فان صادراتها الزراعية بلغت اربعة مليارات فرنك وهي تزيد عن وارداتها الزراعة مليارًا وخمسمائة مليون · فالثروة الزراعية تساوي نصف ثروة الامة باسرها والزارع الاميركي يمثل ٣٥ في المئة من مجموع الشعب العامل او اكثر

رؤوس الاموال تصرف في الزراعة وما ينهضها وتصريف المياه والتنقل والمهاجرة وتسهيل المواصلات واسباب النقل . وما نظارة الزراعة في تلك البلاد العظيمة الا مستودع عظيم للبذور « التقاوي » على اختلاف انواعها توزعها على المدارس العامة او يوزعها نواب البلاد بايديهم على الفلاحين يناولونهم اياها باليمين كما يناولونهم بالشمال كراسة تطبع منها تلك النظارة ملايين من النسخ فيها كل ما ينفع الزارع في زراعته .

طعام الفرد

قالت مجلة العلم في القرن العشرين ان الاعتماد على البقول في الغذاء نافع على شرط ان يطبق على حاجة كل فرد ولا يكفي ان يحرم المرء نفسه من اللحم ويحشو معدته بالبقول الخضراء والموادالنشوية ولا ان يمتنع من تناولها بل ينبغي ان ينظر في ذلك الى القوى الهاضمة التي تختلف في كل انسان بحسب الشهوة والسن وثقل الجسم وغير ذلك فالفرد الذي يبلغ وزنه من ٦٥ الى ٧٠ كيلوغراماً مثلاً يكتفي بالفين او بالفين وخمسمائة جزء من الكالوري اذا اجاد مضغ الاطعمة تماماً .

قانون الامية

اقترح على الولايات المتحدة وضع قانون من شأنه ان لا يرخص بالدخول للعامي الامي من المهاجرين اليها فلا يدخل الولايات المتحدة الا من تعلم التعليم الابتدائي واذ كان اهل ايطاليا اكثر الامم هجرة الى اميركا فسيقضي عليهم ان يتعلموا كلهم ما يخرجهم عن الأمية لان قانون التعليم الاجباري لم يسرِ في ايطاليا الا في سنة ١٨٨٢ ومع هذا فقد دل الاحصاء الاخير ان على ٦٠ في المئة من اهالي اقليم كالابر وهي واقعة الى الجنوب الغربي من شبه جزيرة ايطاليا لا يعرفون ان يوقعوا على صك زواجهم وفي مقاطعة نابولي ٣٠ في المائة من المتزوجين ما برحوا أميين اما في رومية فان عدد الاميين ١٢ في المئة ونصف من هاجروا في السنة الماضية من ايطاليا لى اميركا أميون .

دائرة المعارف الالمانية

صدر الجزء الثامن من هذه الموسوعات التي دعوها « العلوم العصرية وانتشارها وغاياتها» التي ينشرها الاستاذ بولس هينبرغ تحت حماية امبراطور الالمان ويساعده في وضعها مئات من اهل الاخصاء في العلوم والفنون المنوعة ومن المقالات التي فيها ما يعد بين كبار اهل العلم من الآثار النادرة والكتابات الباهرة وهي كسائر دوائر المعارف على حروف المعجم ولكنها تقسم الى اربعة اقسام فالقسمين الاولين يتناولان البحث في العلوم العقلية كالدين والفلسفة والادب

والفنون الجميلة والحكومة والمجتمع والحقوق والاقتصاد السياسي والقسم الثالث مخصص للعلوم الطبيعية والقسم الرابع يبحث في العلوم الاصطلاحية وهو من اهم الاسفار التي ألفت في هذا القرن لانه خلاصة علوم البشر وزبدة ابحاث الالمان المعروفين بصبرهم وانكماشهم في خدمة المعارف ·

الجرذان

الجرذان من اشد المصائب على العالم ولم تعرف الى الآن واسطة لابادتها · نادت بذلك نظارة الزراعة في الولايات المتحدة وحق لها ان تنادي لان الجرذان قد قامت منذ قرون باضرار لا تحصى في اميركا وهي آمنة مطمئنة وراحت تنتقل الى العالم الجديد من العالم القديم وتتناسل وتتكاثر وكانت الاسباب المتخذة لابادتها عقيمة بلا جدوى · والجرذان ثلاثة انواع الاسود وهو المنتشر في اميركا منذ ثلاثة قرون والاسمر واصله من نروج وصل الى هناك منذ سنة ١٧٧٥ واثار حرباً عواناً على الاسود والنوع الثالث جرذ انتقل الى اميركا من مصر على البواخر التجارية وانتشر على الشواطيء ولا سيما في الجنوب وباض فيها وفرخ والجرذ الاسمر اشد هذه الانواع فتكاً واكثرها تخريباً ويقدرون ما تقضمه الجرذان في الولايات المتحدة كل سنة من الحبوب بما لا يقل عن نصف مليار فرنك وهو لا يكتفي بتناول الحبوب فقط بل يقرض الاقمشة والحرائر والامتعة ولا يتحامى قضم الاسلاك الكهربائية وكثيراً ما كان يحدث عن فعله حرائق · وقد قدرت الخسائر التي تنجم عن الحريق في السنة بخمسة وسبعين مليوناً من الفرنكات باميركا والجرذان هو السبب الاعظم في اكثرها · خل عنك سطو الجرذان على غيره من الحيوان الداجن والحمام والاطفال في سررهم · هذا وهو واسطة لنقل الجراثيم المعدية من بيت الى آخر ومن مدينة الى أخرى · والسبب في كثرته انه تناسل تناسلاً غريباً فتلد الفأرة في كل شهرين او ثلاثة من عشر الى اربع عشرة فأرة فلا تكاد ترى النور حتى تبدأ بقرض كل ما تراه وتشمه وقد حسبوا ان جرذاً واحداً في ثلاث سنين يلد منه ويولد له زهاء عشرين مليون جرذ يموت اكثرها ولكن ما يبقى منها كاف لان يقرض الطري واليابس · والحكومة الاميركية ساعية لابادة الجرذان ووضع نشرة بضاره وخبث آثاره وستشاركها الدول كلها في اعلان الحرب على تلك القراضة ·

الزجاج المغزول

اخترعوا زجاجاً ناعماً كالشعر له لونه وبعض نعومته ليستعاض به عن الشعر المستعار لان انكلترا منعت القرويات من بيع شعورهن من صناع الشعور المستعارة ليبيعوها من النساء الغنيات الصلعاء والزجاج المغزول يستعمل ايضاً للرجال الذين اصيبوا بفقد شعورهم

المقتبس

الجزء العاشر من المجلد الثاني

شوال سنة ١٣٢٥ الموافق نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

لسان الدين ابن الخطيب

٦٧٧ — ٧١٣

قلما يتأتى لعالم وَلي المناصب الرفيعة في الدول ان يبارك له في وقته فيجمع على أحسن وجه القيام باعبائها الى الاعمال العلمية . والامارة والعلم قلما يجتمعان وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . من اجل هذا رأينا مثل ابن حزم وابن الهيثم يزهدان في الوزارة بل يحتالان الى الخلاص من توليها علماً منهما بانها صارفة لهما عن التمحض لخدمة العلم والتوفر على التصنيف . وقلَّ في رجال هذه الامة من جمعوا بين المزيتين ولاية الاعمال وصرف اوقات الفراغ في التصنيف وتنمية ملكة العلم على ما كان شأن القاضي الفاضل ولسان الدين ابن الخطيب

فمترجمنا هذا هو احد مفاخر الاندلس ونوابغها علماً وعملاً لم تُلهه اعمال الوزارة عن النظر في علوم كانت هي السبيل في وصوله اليها وساعده زيادة على ما كان يحافظ عليه من اوقاته انه كان مبتلىً بالارق يسهر الليل الا اقله ولذلك قيل له ذو العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره . فلا عجب بعد هذا ان عدت مصنفاته بستين مصنفاً لو خلف بعضها عالم انقطع للعلم جملة لعدت غريبة في بابها فما بالك بابن الخطيب يتولى امور الناس والاندلس قد اشرفت على السقوط والفتن بين الامراء على ساق وقدم والدسائس عليه من كل جهة

يكتب ويفكر وقد ترجمه ابن خلدون فقال : اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل ابوعبدالله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما .

وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملأ الدولة بمدايحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته واثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤسًا بابي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن جياب سنة تسع واربعين وسبعمائة ولى السلطان ابوالحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات فجمع له بها أموالاً وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيًا بأبيه السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته . ثم هلك السلطان ابوالحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفًا له في أمره وتشاركا في الاستبداد معًا . ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرًا الى السلطان ابي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وانشد وهو قائم ابياتًا اهتز السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم اثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابوالقاسم الشريف : لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فارغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذنه السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند مامرّ بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على روية الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه اخباره
قسم زمانك عبرة او غبرة هـذا ثراه وهـذه آثاره

فكتب السلطان ابوسالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذًا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم أعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته واودعهم المطبق ثم غرَّبهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجوّ وغلب على هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمَّ السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التفويض عنهم .

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خُيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في لمة من فرسانه ومعه ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذ ندَّ بين يديه فخرج قائد الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز ملك العدوة قد اوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه بها بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار بقصد السلطان فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى بن ابي مدين سفيرًا الى الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الامن والتكرمة

ثم لغط المنافسون له في شأنه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدوا ما كان كامنًا في نفسه من سقطات دابته واحصاء عصابته وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضي ابو الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصمَّ لذلك وانف لذمته

ان تخفر وبجواره ان يردى وقال لهم : هلاً انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبدالعزيز سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قُبض على ابن الخطيب واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونُكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ ثم تُلَّ الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاؤوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم اصبح من الغد على شأفة قبره طريحاً وقد جُمعت له اعواد واضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته .

قال ابن خلدون : وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد . وكان عفا الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك .

بعدنا وان جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا ... غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدّلت ذا الحسام الظبا ... وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة ... فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـ ... ـب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت

قلت هي اهواء السياسة صيرت لسان الدين الى ما صيرته اليه وما عدوه عليه مما خالف به الشرع وجرى مع الفلسفة فانما هي حجة طالما كثر التوكؤ عليها منذ ضعف العلم في هذه

الامة ولو صح ما زعموا اما كان الاجدر بالامناء على الدين وهو في عهد عزه ان يغيروا عليه وينبذوه عن حمى سلطانهم لئلا يستشري افساده للعقائد بما نشره من المصنفات . والقليل الذي انتهى الينا مما خطه يمين لسان الدين يدل ولا جرم على حرية في الفكر لم يحاب معها ولم يداج ولعلها هي التي عدها اعداؤه له من الهنات قال في ترجمة الحاكم باديس بالاندلس في كتابه الاحاطة بعد ان وفاه حقه من الوصف وانه من الملوك الجبابرة فائل الرأي خليع الرسن : وقد ادال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف اخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للاوهام والانصياع للاضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . واليك كيف وصف في مكان آخر جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطريق قال : ان قومه خرجوا من وطنهم عند تغلب العدو على شرق الاندلس فنزلوا في ربض البيازين جوفي المدينة وارتاشوا وتأثلوا وبنوا المسجد العتيق واقاموا رسم الارادة يرون انهم تمسكوا من طريق الشيخ ابي احمد باثره فلا يغبون بيته ولا يقطعون اجتماعاً على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة وايثار ركعات ثم ذكر ثم ترجيع ابيات في طريق التصوف مما ينسب للحسين بن الحلاج وامثاله يعرفونها منهم مشيخة قوالون هم فحول الاجمة وصراديك (لعله صناديد) تلك القطيعة يهيجون بلابلهم فلا ينشبون ان يحمى وطيسهم ويخلط مرعيهم بالهمل فيرقصون رقصاً غير مساوق للايقاع الموزون دون المجال (؟) الغالية منهم بافراد كلمات من بعض المعقول ويكر بعضهم على بعض وقد خلعوا خشن ثيابهم ومرقعات قباطيهم ودرانيكهم (١) فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقاً وقوالهم يحركون فتورهم ويذمرون روحهم يخرجون بهم من قول الى آخر ويصلون الشيء بمثله فربما اخذت نوبة رقصهم بطرفي ليل التمام ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم ويحاجون بهم الى منازلهم وربما استدعاهم السلطان الى مصره محمضاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم . الى ان يقول فتسقط فيما بينهم بفلتة سماعه اي المزمار اخوة الطريق وهم اهل سذاجة وسلامة اولو اقتصاد في ملبس واقتيات بادنى بلغة ولهم في التعصب نزعة خارجية واعظمهم ما بين مكتسب متسبب وبين معالج مدره ومربع حياكة (؟) وبين اظهرهم من الذعرة والصعاليك كثير . والطرق الى الله تعالى على عدد انفاس الخلائق جعلنا الله مما قبل سعيه وارتضى ما عنده ويسره لليسرى .

---

(١) الدرنيك والدرنوك ضرب من الثياب والبسط جمع درانك ودرانيك والقباطي نوع من الثياب

وقد ترجم لسان الدين نفسه في آخر كتاب (١) الاحاطة ونقل عنه المقري في سبب نكبته ما يأتي ملخصاً : وخلفني يعني اباه عبدالله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولاً بالقبول مكنوفاً بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى بيدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه . ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى في اخوه المتغلب على الامر فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض عليّ فكان ذلك وتقبض عليّ ونكث ما ابرم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق وابرد الى ما ناء (؟) واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوّقت الذنوب امدّ الله تعالى بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها الحال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من المهوة

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطاً في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلاً رحباً وعيشاً خفضاً واقطاعاً جماً وجراية ما وراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدراً ثم اسعف قصدي في تهيوء الخلوة بمدينة سلا منوّه الصكوك مهنأ القرار منفقداً باللها والخلع مخوّل العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى ان ردّ الله تعالى على السلطان امير المسلمين ابي عبدالله بن امير المسلمين ابي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بعهد

---

(١) ان شئت التوسع في اخبار لسان الدين ومشايخه ونشأته وشعره ونثره فعليك بما كتبه المقري في القرن الحادي عشر من كتاب خصه به وسماه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب وهو في اربع مجلدات مشهور بين الادباء ومطبوع مرات

ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرًا ولا فسح في الترك مجالاً فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه رهينة ضده ونغص رهينة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه و زهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات :

قالوا لخدمته دعاك محمد فانفتها وزهدت في التنويه
فاجبتهم انا والمهيمن كاره في خدمة المولى محب فيه

لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدري للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعلق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان مؤازرته ابرُّ القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم رمى اليَّ بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا في وجوه شهواته تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيًا قصدي واعترف بقبول نصحي · الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية سخطة ارزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بادب · · ·

هذ ما قاساه لسان الدين من ضروب النعم والنقم فعدَّ فردًا في التقلب في نعمائه وغريبًا في بلوائه وقد اكتفينا آنفًا بنقل ما قاله فيه ابن خلدون صديقه وما قاله هو في شرح نكبته اوردناه بعبارتيهما الا قليلاً وان اورث هذه الترجمة تطويلاً وذلك لعلمنا بان انشاءهما مما ينبغي احتذاء مثاله وجزالة الفاظهما وجودة معانيهما مما يعزُّ نظيره ·

الميكروب

اعتراض اهل المذهبين الكيماوي والطرآئي على الحيويين

لم تزد الايام والتجارب مذهب الحيويين الا تحقيقًا وثبوتًا· فبعد ان تقرر بانهُ اذا مُنع اختلاط الميكروب بالمواد الآلية المفعمة لن تحصل فيها ظواهر الحياة والاختمار حتى يرتفع الحجر عنها فيحدث الاختلاط عمدًا كان ام سهوًا كان الاولى والاجدر ان نتقرر هذه

النتيجة بان الميكروب لا يمكن تكوّنه من ذاته طرآئياً بل يتولد من آخر مشابهٍ له جنسياً ولكن اهل الرأي الكيماوي اعترضوا بقولهم : ان جميع المواد القابلة للاختمار التي يعرّضها المجربون للحرارة تتغير تغيراً جوهرياً وتفقد الخميرة الكيماوية طبيعياً فيها فلم تعد تختمر . لانهم يزعمون بان الاختمار يحصل بواسطة خميرة كيماوية والحرارة تتلفها فيتعذر الاختمار . ومن ثم كانت تلك المواد عينها التي لم تعرض للحرارة تختمر لا محالة من دون الميكروب . وكذلك كان اصحاب اعراض التولد الذاتي القائلون بان الحرارة تغير المواد جوهرياً فيمتنع حصول الاختمار فيها وتولد الميكروب . هذا كان اصعب الاعتراضات حلاً لا جوهرياً لانه دعا الى ايجاد وسائط ومواد غيرالتي دارت عليها التجارب والامتحانات ومن دون التعقيم بالحرارة .

فمسّت الحاجة للحيويين بان يعيدوا جميع التجارب ولكن على موادٍ عقيمة طبيعياًوذلك كالدم والحليب والبول وعصير العنب الخ فان هذه المواد السائلةاذا أُخذت باحترازٍ ووضعت في الزجاجات ذوات الانبوب المذكورة في الفصل السابق من دون ان يختلط بها او يلامسها الهواء الخارجي كانت تفي بالمقصود حق الايفاء . لان تلك المواد عرضت للتجربة ودامت في الزجاجات عقيمة لم يمسها الفساد . وبعضها لم يزل ولن يزال باقياً الى ما شاء الله ذكراً نفيساً وشاهداً لتلك التجارب الشهيرة التي قطعت قول كل معترض معاندٍ

وجود الميكروب في الماء والهواء والتراب

اثبت الحيويون بان انواع الميكروب موجودة ومنتشرة في المسكونة لان الموادالصالحة للاختمار كلها تختمر لا محالة حيث وجدت اذا استوفت الشروط الملازمة للحياة ولم تُحجر عن الميكروب . وهذا دليل كاف وواضح على وجود الميكروب في كل مكان على سطح الارض ومع ذلك فان العلماء اجهدوا قرائحهم لاثبات وجوده عيناً وفعلاً فيما يحيط بنا ويجاورنا .

ففي سنة ١٨٣٨ ابتدأ اهرنبرغ بفحص الماء والغبار فوجد فيها من الخلايا ما سماه بالانفزوار ومعناه خلايا مائية وسماها بعضهم بالنقاعيات . واظهر من بعده بوسنه وتندال وباستور بان الهواء والماء والتراب وجميع ما يحيط بنا لا يخلو ابداً من الميكروب الذي يكون هباء في الريح وسابحاً في الماء وملتصقاً بالاواني وجميع ما يستعمل فينتشر بواسطتها ويتساقط حيث اتفق له . فالواقع منها على ما يليق به ويصلح لمعاشه وساعدته الاحوال والشروط التي لا بد منها للحياة لم يلبث ان تنتعش فيه الحياة فينمو ويتكاثر محوّلاً تلك المواد الى حال اخرى يقال لنوع منها اختمار وللآخر ختر فتعفن . . . . فالحواصل الآلية تكون اصلياً لا ميكروب فيها وهذا انما ينتقل اليها بواسطة خارجية .

في ان الميكروب هو سبب الاختمار

لم يترك خصوم الحيويين وسيلة املوا منها بعض الصواب في آرائهم ولم يتشبثوا بها · فمن بعد ان افحمهم برهان وجود الخلايا وتكونها بالتناسل الطبيعي ووجوب وجودها لحصول الاختمار في اي مادةٍ كانت على الاطلاق وكذلك وجودها وانتشارها على وجه البسيطة قام من ادّعى بان من ذلك كله لا ينتج بان الميكروب هو بنفسه السبب الوحيد الملازم للاختمار لانه لم يتبين باي نوع وكيف وما هي القوّة الكامنة فيه تؤثر بالمواد الجامدة فتبدلها من حالٍ الى اخرى ·

صرح «شوان» بادي، بدء بان زيادة ظواهر الاختمار وقلتها تلازم نموّ الخميرة وازديادها وقلتها وذلك لان الخلايا تأخذ من المواد الصالحة لها ما ينفعها في غذائها ونموّها وما لم تنتفع به يتكوّن منه الالكحول ·

وقال كثيرون بعد شوان بذلك المبدإ ودافعوا عنه جهدهم ولكنه لما لم يُسند الى تجارب وبينات تدركها الحواس لم يكن كافياً للاقناع وعندها قام ابن بجدتها بل عُذيقها المرَّجب وجُذيلها المحكك واعني به باستور واثبت سنة ١٨٥٧ اوّلاً ان الاختمار يلازم جوهريًا حياة الخميرة ونموّها وان ظواهره كلها تتوقف على فعل الخلايا التي تنمو وتنشأ باتخاذها غذاء الاجزاء التي تتركب منها المواد الصالحة للاختمار · ومن اجل ذلك فباقتياتها بالمادة السكرية مثلاً لا تتحول هذه جميعها الى الالكحول وحامض الكربونيك بل بجزءٍ منها نحو خمس في المائة تتكوّن الخلايا نفسها · فكانت من ثم اجزاء المواد الاختمارية هي غذاء الخميرة وهذه تصرف الجزء الاصغر من ذلك نموّها وتكاثرها والاكبر يتحوّل بالاغتذاء الى الالكحول وحامض الكربونيك · ولما كان في تركيب الخلايا يدخل ايضاً جزء من الازوت والاملاح المعدنية ظن باستور في اول الامر بانه لا بد من وجودها في المحلول المعدّ للاختمار لكي تنمو الخلايا وتحلل المادة السكرية · واطلع بعد ذلك على انه لا حاجة لذلك فان الخلايا يمكنها ان تنمو في المحلول السكري المحض بدون ازوت واملاح · على ان النموّ في هذه الحال يحصل اما من مادةٍ ازوتية مذخورة في الخلايا نفسها او ان الخلايا الفتية تستفيد فيه من بقايا اسلافها · واطلع ايضاً بانه اذا جعل الخميرة وحدها في الماء الخالي عن السكر تصلح تلك البقايا موقتاً لان تكون غذاء تاماً تعيش عليه هذه الخلايا الفتية وتحولها الى الالكحول وحامض الكربونيك · بمعنى انه يحصل هنالك الاختمار من دون سكر وفي سنة ١٨٦٠ اظهر باستور بان الاجزاء الآزوتية الداخلة في غذاء الخلايا ليس من الواجب ان تكون من المواد الزلالية فان الاملاح النشادرية تقوم مقامها في التغذية · والحاصل فان

المحلول المركب من جزء من الاملاح المذكورة والمعدنية ومن السكر يكون اصلح غذاء « ومادة » للاختمار الالكحولي . تحقق كثيرون بعد باستور ذلك عمليًا واثبتوا بان لا دخل للمواد الزلالية لحصول الاختمار ونشوء الخلايا بخلاف ما ادَّعاه وقتئذ الكيماوي الشهير ليبيج .

واما غاز الاكسيجين الذي يحتوي عليه الهواء وكان يظنه الاوَّلون السبب الوحيد للاختمار فقد اظهر باستور ان الخلايا تجتذبه من الهواء بكثرة وتقذف حامض الكربونيك كما تفعل بقية الحيوانات وجاء بعده شتزمبرغ فابان ذلك واثبته قائلاً بان نموّ الخلايا وتكاثرها يكون على نسبة ما تصرف من الاكسيجين فاتضح بذلك ايضًا بان الاختمار انما يتوقف على اغتذاء الخلايا وتنفسها الهواء لا على الاكسيجين . ولما كان باستور قد اظهر من بعد ذلك بان بعض الميكروب لا يحب الاكسيجين و يعيش بدونه و بدون الهواء سمى ذلك بالهوائي وهذا بغير الهوائي . وفي ذلك بحث طويل لا يساعدنا المجال على تفصيله . ان الاختمار هو فعل حيوي (فسيولوجي) وما عدا الادلة التي سبق بيانها الناتجة عن التجارب المختلفة واخصها تجارب شوان و باستور التي تثبت بان الاختمار فعل حيوي نذكر ايضًا شواهد تؤيد بان جميع الظواهر التي تُشاهد في الاختمار والتعفن وغيرها لا يمكن ان تكون الاّ فسيولوجية اعني افعالاً حيوية . ومن ذلك ان زيادة الاختمار وقلته تكون في نسبة نموّ الخلايا وتكاثرها في المحلول الاختماري وان ذلك يتوقف ايضًا على حصول الحرارة المعتدلة في المكان والمحلول وان المواد السامة التي توقف الافعال الحيوية في الحيوان والنبات او تخدرها كالكلوروفورم والاثير وغيرها ولو جزءاً زهيداً منها توقف ايضًا فعل الخلايا وتعطل الاختمار . وزد على ذلك ما عرف بالتحليل الكيماوي من ان الاختمار يبدل تبديلاً جوهريًا جميع المواد بنوع وكيفية لا يمكن حصولها الا بفاعل كيماوي له اعظم قوَّة وتأثير . ولما كان في المحلول الاختماري لا يدخل شيء من ذلك فالتبدل فيه لا يمكن ان يسند الاّ الى فعل حيوي .

انواع الميكروب وتفصيلها

عُرف من الميكروب انواع كثيرة مختلفة لكل منها شكل وخواص وطبائع وافعال تميزه عن غيره ولا تقوم الا به . فان ميكروب الاختمار الالكحولي مثلاً يختلف شكلا وفعلاً وطبيعة عن الخلي واللبني وغيرها وميكروب الكوليرا ليس ميكروب الطاعون . وكذلك بقية الامراض الميكروبية فان لكل منها نوعًا خاصًا يمتاز و يختلف بعضه عن بعض اختلاف الامراض . وقد عرض الاستاذ سديو في ١١ آذار سنة ١٨٧٨ على الجمعية العلمية الباريسية بان تسمى جميع دقائق الحيوان والنبات المحكي عنها بالميكروب ليكون لها اسم شامل

لانواعها . لان الاسماء كانت قد كثرت وقتئذٍ لاكتشاف اجناس وانواع مختلفة. لهذا صفات نباتية ولذاك حيوانية ولآخر بين بين حتى ان بعضهم اشار بان يسمى بعالم الدقائق الحية ليمتاز عن عالمي الحيوان والنبات توفيرًا لعناء التفصيل والتفريق ودفعًا للشذوذ عن القواعد المصطلح عليها لذلك العهد .

وفي بحثنا الآن عنها عامة لا يفيدنا جدول اسمائها لانه يبعدنا عن الموضوع ويشغلنا عن حكاية اكتشافها . ولما لم يكن من انواع الميكروب ما يوجد طبيعيًا وحده محضًا الا في النادر من دون ان يكون مختلطًا معه من نوع او انواع اخرى اقتضى أن يتوصل العلماء الى تفصيله وتفريقه عن بعضه . فباستور هو اول من بين وجوب ذلك واليه يعود الفضل في اكتشاف الواسطة وحل المشكل . فانه اخذ ذرَّةً من الهباء مثلاً ادخلها في زجاجة سائل معقم وخلطها به ثم اخذ من تلك الزجاجة نقطة خلطها في زجاجة ثانية فمن هذه نقطة في ثالثة وهلمَّ جرًّا الى العاشرة بل اكثر . وجعل الزجاجات كلها في محل واحد فصار من بعد ذلك اعني لدى ظهور الاختمار في واحدة منها يفحصها ليرى نوع الميكروب الذي فيها . ففي اغلب الاحيان كان ميكروب الزجاجات الاخيرة من جنس واحدٍ محض اذا اخذ منه وزرع في زجاجات معقمة لا يجني الاَّ من ذلك الميكروب جنسًا ونوعًا . وهذه الواسطة اعني تمييز الميكروب بعضه عن بعض واجتناء نوع محض منه صار عليهامدار علم الميكروب فتقدم ونجح واي نجاح .

ولا يخفى ما هنالك من الصعوبات وطول الانتظار وصرف الاموال الجزيلة مع طول الأناة والصبر فاخترع الاستاذ كوخ واسطةً عوضًا عن السابق بيانها صار عليهاالتعويل عند جمهور العلماء لانها قريبة المأخذ عاجلة النتيجة كفيلة بنجاحها وهي لا تكلف الا شيئًا قليلاً من المصاريف ولولاها لما توصل لاقتباس علم الميكروب الا الخاصة من المعلمين واغنيائهم .

الاعتراضات

كان اصحاب مذهب التولد الذاتي في باديء الامر هم الاكثرون ولهم الصوت الاعلى واليد الطولى والتصدر في المحافل العلمية فكانوا يعدون من خالفهم مبتدعًا ودخيلاً فيخذلونه بل يحرمون عليه حرية القول والعمل لا يضاح افكاره والدفاع عن آرائه وعند ما كثر الحيويون واشتهرت آراؤهم المبنية على نتائج التجارب التي يراها ويقبلها كل ذي عقل سليم ولا سيما عند ما ظهر باستور وانتشرت اعماله وانتصر له كثيرون من العلماء اضطرَّ اولئك الى البروز الى ميدان الجدال واذ لم تسعهم المكابرة واسكات الخصم ببينات دامغة املوا الانتصار عليه بمقاومته بسلاحه نفسه اعني بالتجربة والامتحان فاصابتهم سهامهم وسلموا للحق

واذعنواله ٠ لان اعتراضاتهم كانت اوهى من بيت العنكبوت : فمنهم من كان ادّعى انه وجد بالتجربة بعض الاختمار من دون ميكروب وآخرون استشهدوا لاثبات زعمهم بحدوث التعفن في جوف جثث الموتى وفساد بيض الدجاج مع بقاء قشرها سالماً ٠ وكذلك حدوث الاختمار اللبني والخلي على الرغم من منع اختلاط الميكروب بسائلها العقيم ٠ وادعى بعضهم بانهم حافظوا على الجبول بدقة واتقن مع ذلك ٠ وكذلك انهم نقوا مواد الاختمار بالترشيح والتصفية ولم تبق كلها سالمة ٠ وفي تلك الاحوال كلها كانوا اما يزعمون بانهم لم يجدوا اثراً للميكروب في جميع المواد التي أُعدت للتجربة فينسبون الاختمار والتعفن الى فعل كيماوي واما ان يقولوا بان الميكروب وجد في جميعها على كثرة احترازهم منه فيستنتج الطرآئيون حجة صريحة على صحة التولد الذاتي ٠ وقال بيشام ان التدرنات التي تشاهد في الحياة في بروتو بلاسم الخلايا التي يتركب منها جسم كل حي من نبات وحيوان تتحول الى ميكروب بعد المات

ان سخافة تلك الاعتراضات كلها بينة فلم تزعزع رأي الحيويين بل زادته متانة ورسوخاً وسبب ضلالهم وخبطهم هو عدم تصديقهم بوجود الميكروب فلم يعبؤا به ولم يتخذوا بحق وسائط التحرز من انسيابه فيما يجربونه سيما وانهم لم يريدوا التوغل في علم الميكروب الذي كان يومئذ صعب المنال وهم يستهينون به ٠

الاختمار الكيماوي

ذكرنا فيما سبق بان بعض العلماء كانوا يعتبرون الاختمار فعلاً كيماويًا فكان ليبيج وحزبه منذ سنة ١٨٢٩ يدعي بان الخميرة هي مادة كيماوية بتحللها يحصل تحول السكر الى الالكحول والحامض الكربونيك وحاولوا اثبات زعمهم ببينات مسندة كلها على مشابهة الاختمار بفعل بعض الاجسام وعناصرها كيماويًا ٠ فعجزوا وبدّل ليبيج سنة ١٨٧٠ مدعاه وزعم بان وجود الخلايا في الاختمار انما يكون ثانويًا فهي تحدث مادة خاصة تسبب الاختمار كيماويًا وهذا لا يتوقف على الخلايا بل على المادة التي تفرزها فلو امكننا اذاً باحدى الوسائط افراز تلك المادة لتوصلنا الى حصول الاختمار بها وحدها من دون الخلايا ٠ واستشهد بظواهر حيوية تضاهيها تشاهد في النبات والحيوان من الطبقة العليا وكذلك عند الانسان وهي حصول البيسين والتربسين والميوزين والدياستاز وغيرها ومنفعتها لا تختلف عن الاختمار قطعيًا فهي اذاً خميرة كيماوية ٠

ان الحيويين لم ينكروا وجود الخميرة الكيماوية ولكنهم لم يسلموا بان للنوعين فعلاً وتأثيرًا متشابهين حقيقة ٠ لان الخمير الكيماوي يؤثر ويفعل بمجرد الاختلاط والملامسة وفعله تحليلي اعني انه يفرق الاجزاء والعناصر بعضها عن بعض كفعل الحامض الكبريتي وغيره

بالاجسام وكميته لا تزيد بل تنقص في الاختمار ويقتضي له اكثر من ستين درجة ليؤثر الاثر الذي لا تعطله السموم الفسيولوجية . واما الخميرة الميكروبية فتحول وتبدل ماهية المواد تحويلاً جوهرياً وكميتها ليست بمحدودة فانها تجري حكمها مهما زادت او قلت وهي تزيد او تنقص على نسبة كثرة الاختمار او قلته . وفعلها يحصل بين ال ٢٥ و ٤٠ من درجة الحرارة و يتعطل تماماً اذا أضيف اليه شيء من السموم الفسيولوجية . فلا ملابسة اذاً بين الاثنين

واما في بعض المواقع التي يحدث فيها اختمار مختلط كيماوي وحيوي كما في التعفن فيجري الخميران حكمهما معاً فالكيماوي الناتج بعضه عن الميكروب يحلل بوجوده المواد فيتناولها الحيوي و يغتذي بها فيحولها ويبدل ماهيتها تبديلاً جوهرياً فاذا اردنا من ثم ان نوافق ليبيج ونقبل بان التحالل الطاريء على العناصر في الاختمار يحصل عن اختلاط او ممعمة عنصرية اشبه شيء بالخميرة وان هذه لا يمكن حصولها الاَّ بوجود الخلايا وحياتها واقتياتها فلا يعتبر حينئذ ليبيج معترضاً بل مؤيداً لرأي الحيويين .

وقصارى القول إن الحيويين بعد ان استمروا نحو خمسين سنة بين دفاع وهجوم ظفروا بجميع من عاداهم وعاندهم . وسلم بصحة آرائهم قابضو زمام العلم من جميع الامم والملل . فتوطدت بينهم دعائم السلام وعلائق الاتفاق ونشرت راية الاتحاد والتعاضد لمحاربة العدو المضرّ من انواع الميكروب بالاكتشاف على مكامنه وحركاته وختلاته وخزاته فيمزقون حبائله ويخلصون الجنس البشري بل عالم الاحياء اجمع من حملاته وصولاته ويكسرون حدته وشوكته ابداً .

دمشق

سليمان غزالة

اليونان

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت اجمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب فمتى ذُكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الاَّ الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصاً بقبول المؤمنين الذين يهرعون الى الصلاة فيها بل هو قصر ينزله الرب وتمثاله يمثله قصر تحفه الابهة والجلالة ولا يلجه جمهور المؤمنين بل يظلون خارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مزار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه

الا ما كان من كوى في الاعالي · وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلى بالثياب والحلي وكثيرًا ما يكون هيكلاً عظيماً · وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعدًا ويكاد يصل رأسه الى القمة ولذا قيل ان الرب لو تمثل قائمًا لخرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويجتاز من يروم دخوله ضربًا من الرواق مؤلفًا من صفوف من السواري · ووراء الغرفة غرفة ثانية معلقة فيها الاعلاق الثمينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها · وهكذا كان المعبد صوانًا وكنزًا ومتحفًا وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزار غشاء ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكثرت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية · ويدعى المعبد باسم السواري التي بني عليها · وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها يتألف الافريز · ويعلو المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مزدانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زمنًا وهم يأبون تصديق ذلك · وكان من الوهم العام ان لا بناء اليونان ذوقًا معتدلاً جدًا في نقش البناء · بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك ·

صنعة النقش اليوناني — يتراءى المعبد اليوناني بادىء بدء انه ساذج لا زينة فيه وما هو الاّ علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواجهة فتحتوي على شكل مربع تعلوه زاوية · فلا ترى لاوّل نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أمم تنكشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا خط واحد مستقيم في الحقيقة · فالسواري منتفخة نحو الوسط والخطوط القائمة منحنية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط · وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالتدقيق لاكتشاف الصنعة فيه · وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مثل هذا المجموع المتطابق

---

(١) كان في البارتينون احد معابد آثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس وخوذات وسيوف وحيات من ذهب ومنضدة من عاج وثمانية عشر فراشًا وجعاب من عاج ايضًا (للمؤلف)

من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر منحدرة وتوفير العناية بظواهر المناظر البعيدة · قال كاتب يوناني ان غاية النقاش ان يخترع طرقًا يسحر بها اعين الناس · ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باخلاص لانهم يعتقدون عملهم قربى من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنى بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المتانة بحيث يطول امد بقائها بعد لولم يعاجلها التخريب بشدة · ودام البارتينون الى القرن السابع عشر سليماً وانشق شطرين بانفجار مخزن من البارود كان بقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة · زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثرًا مخدوشًا مهدمًا متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاتها ان تلفت نظر من يراها ·

النقش — لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة · واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليزيب · فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواجهته والبنية المثلثة في اعلى البناء · ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتينيه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آثينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير · وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماثيل خاصة بعضها يمثل ربًا ويستخدم صنماً وبعضها يمثل مصارعًا ظافرًا في الالعاب الاحتفالية أُقيمت له هذه التماثيل جزاء نصرته ·

واقدم التماثيل اليونانية منحدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم غدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنق فيها اقل شرفًا وعظمة · وكان في يونان أُلوف من التماثيل اذ ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها غير خمسة عشر تمثالاً لم تعبث به الايدي · ولم تنقل الينا طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالا أُثرت عن عصر الانحطاط مثل تمثال ابولون في البلفيدير · ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أُضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصوَّر المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر اجمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاجسام في مظهر وقور شريف · وما اضاعوا الفرص كلما سنحت ليشهدوا اجمل الرجال في اجمل الهيآت من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها · وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري

ومن العادة ان يكون الرأس صغيرًا في تمثال يوناني والوجه ساكنًا كامدًا ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التخاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف — عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار لم يعتبر في يونان مساويًا لسائر الصناعات ولكن له منفعة عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان نقد حفظت بحالها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف خزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة وقد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدمى البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولادًا او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من المصورين مثل زوكسيس وفارانيوس وابيل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاصيص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا للوقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها تقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئًا

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت اتيكيا اقليمًا مجدبًا لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فتضطر الى جلب الحنطة والخمر والسمن والسمك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يعملون الثياب والخزف والسلاح والاثاث مما يباع خارج بلادهم . فمن ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفإ بيرا او تصدر منها وكانت أنشئت فيها ارصفة ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس بانها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيها حاصلات بلاد الشمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في مواني البحر الاسود وتراسيا الحنطة والخشب والجلود والعبيد وكانت آثينة تتجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من ضروب مختلفة فاقتضى لذلك صيارفة يبدلونها وكانوا يدعونهم «ترابيزيت» لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منضدة (ترابيزة) وكانوا كلهم تقريبًا من الغرباء الذين اصبحوا ميتيكيين ثم انهم كانوا اتخذا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيخزنون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بنحو (٣٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة الى آثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة · وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذاك الصقع من جهة وآثينة ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة · دامت سبعاً وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنشبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠ ·

كانت تلك الحروب مشوّشة يقتتل المحاربون فيها برّاً وبحراً يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انتظاماً فجعل مقاطعة اتيكيا قاعاً صفصفاً وكان اسطول الآثينيين اكثر استعداداً لخرب الشواطيء ولم يؤثر عن تلك الحروب الناشبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها · فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الآثينيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم ·

خضعت مدينة بلاتيه صلحاً وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قضاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى : يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في خلال الحرب بخدمة للاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلباً فيحكمون عليه بالاعدام · وقد بيع النساء كالاماء · عصت مدينة مدللي على الآثينيين فاعادوها الى طاعتهم ثم اجتمع الشعب الآثيني وبعد المشورة بينه قضى باعدام سكان مدللي نعم انه رجع من الغد عن رأيه وارسل باخرة ثانية تحمل العفو عن اولئك المنتقضين · بيد انه كان نفذ حكم الاعدام على زهاء الف من سكان مدللي · وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يخرب البيوت ويقطع الاشجار ويحرق الغلات ويقتل الحراثين · وبعد انتهاء الحرب يُجهز على الجرحى ويَعمد الى قتل الاسرى صبراً · واذا جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رجالها ونساؤها واولادها كما يباع العبيد · هكذا كانت اذ ذاك حقوق الحرب · وقد اوجزها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية قال: تنفض المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يذعن له · فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يجرون على مثالهم ·

الاستيلاء على آثينة — ولما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آثينة بعثت بجيشها الى صقلية لتفتح سيراكوس المحالفة لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيراكوس أسر الجيش الآثيني برمته وطفق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تتخذ حبوساً القوهم فيها سبعين يوماً متزاحمين متراصين لا وقاية تقيهم حرارة الشمس في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اشلاؤهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياً من الآثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكيا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليزاندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالاً من الفرس جهز به اسطولاً وطاف شواطيء آسيا واذ كان احلاف آثينة لا يقاتلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الآثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

أين مني ما أريد

اريد لو استتب لي الخلود ولكن اين مني ما أريد
على ان البقاء يطيل همي وما في ريثه ما استفيد
وليس بنافعي شيئاً بقائي وقد غصت باحبابي اللحود
ولكن كيف اقناعي لنفس تعلقها بدنياها شديد
أأصبر عن احبائي الأُولى قد ثووا اني اذاً رجل جليد
مشوا للموت من دار اقاموا معي فيها فاقفرت العهود
تثير ديارهم حزناً بقلبي وتوحشني التهائم والنجود
فان يكُ في الاسى رجل وحيد فاني ذلك الرجل الوحيد

***

يسير الى المقابر كل يوم اخٌ منها التراب به يزيد
ولو عاد الذي يمضي سلونا ولكن من ترحل لا يعود
وما هي حالة الشهداء فيها أأيقاظ هنالك ام رقود
لعمرك لا يرد الموت حصن ولا هذي العساكر والجنود

يبيد نعم يبيد المرء لكن عناصره تدوم ولا تبيد
يدور الشيء من صفة لأخرى ولكن منه لا يفنى الوجود
وجسم المرء تبنيه خلايا زمان حياتها فيه زهيد
اذا ما مات منها فيه قسمٌ يجيء مكانه قسمٌ جديد
و ينقطع التجدد حين يودي فلا يخضرّ بعد اليبس عود

***

الا ان الحياة اعز شيء نحبّ ولنها الخصم اللدود
شقاءٌ عمّ هذا الناس حتى تشكى الشيخ منه والوليد
وقالوا بعض من يحيا سعيد فمن هو ذلك الحي السعيد
انعكس حالة الشرق الليالي فتجتمع المعارف والجدود
لعمرك لا ينيل المجدَ مالٌ ولا خيلٌ ولا ابلٌ ترود
ولا ثوب على طرفيه وشيٌ ولا قصرٌ على تلّ مشيد
فان المجد في ادب غزير وان المجد في علم يفيد
وان المجدَ ذبٌ عن ضعيف تهضمه اخو الظلم العنيد

***

اداري الحاسدين رجاء ان لا يبالغ في مساءتيَ الحسود
يضرّ النفس منه او يقيها فتى يلج الحوادث او يحيد
واوقات الفتى اما نحوس تدور على المصائب او سعود
ليالٍ هن بالافراح بيضٌ واياَمٌ من الاحزان سود
كذاك الشعر فهو يكون اما رديئًا لا يطيب به النشيد
واما رائق الالفاظ يزهو فتحسب انه العقد الفريد
وذاك هو الذي ان انشدوه تزين منه للآداب جيد
اقول الشعر منقادًا اليه بطبعي وهو اكثره قصيد
فانظمه ولا ادري أأني مسيء حين انظم ام مجيد

***

اليك عن المجرّة لا تسلني وعن عدد العوالم كم يزيد
ولا عما وراء السحب فيها فذلك امر مطلبه بعيد
حدود تنتهي الافكار منا وما ان تنتهي تلك الحدود

وبين الفرقدين على اتصال تراه عيوننا بعد مديد
ألكني باضياء الى نجوم منوَّرة لها منها وقود
يراها من له لبٌّ شموسًا ويعمه عن حقائقها البليد
وجيءْ منها باخبارٍ الينا فانك بيننا نعم البريد
سترقى النفس طائرةً اليها اذا انفكت عن النفس القيود
لقد تعست هنا فاذا تعالت يكون نصيبها عيش رغيد

***

لعمرك قد تشابهت الليالي فما في عودها شيءٌ جديد
نهار خلفه يأتي نهار وليل كلما ولى يعود
ترى عيني بكف الموت قوسًا بها سهمٌ الى جهتي سديد
فياموت ارمني ان كنت ترمي فاني بالردى صب عميد
ولم ارَ منهلاً كالموت عذبًا على طرفيه تزدحم الورود
اقول لمن يهاب الموت جبنًا برغمك كائن ما لا تريد
ولكني اخلف عند موتي نساء حزنها بعدي شديد
فتلدم للجوى منها صدورٌ وتخمش في الاسى منها خدود
مرزأةٌ واخرى ذات نوح واخرى ما لا عينها جمود

بغداد ص ...

حكم مقتبسة عن الانكليزية

الكمال

البساطة هي غاية الكمال في صفات المرء واخلاقهِ وعبارتهِ
اقصد الكمال في كل شيء
الكمال لا ينال الاَّ مهلاً مع مرور الزمان
لا ينال الرجل كمالاً الا اذا كان له اصدقاء صادقون او اعداء الداء
اذا اقتلعنا من انفسنا رذيلةً واحدة في كل سنة شرعنا في سبيل الكمال
قياس الانسان القياس الاعلى

الكمال مكوَّن من صغار الامور وما الكمال بالامر الصغير

الرجاء

آمالنا تقصد كالبزاة الشامخة اغراضاً في مرتفعات الهواء

لا شيء يؤيد النفس بالاقدام والمخاطرة في كل ما تطلبه كالامل الوطيد

متى انحدرت غيوم العواصف كان المستقبل شديد الدجى لولا شروق الرجاء باشعته المبهجة في هذا العالم المظلم

اذا كان طبعك طبع الرجاء المتسع فذلك هو حصنك الوحيد المنيع الذي تحتمي به في هذا الوادي وادي الدموع

يستيقظ باكرًا من يوقظه الرجاء واذا رافقهُ في الطريق كان سيره حثيثًا

الطاعة

الطاعة واجبة على الذين لا يعلمون كيف يحكمون

الطاعة جيدة لا غنى عنها

وُلِدنا خاضعين لاحكام الله ومن اطاع الله كان حرًّا آمنًا مرتاحًا (سنكا الفيلسوف الروماني)

الاشرار يطيعون خيفةً والصالحون على حبٍّ (ارسطو)

من لا يقدر على الطاعة لا يقدر على الحرية او على السلطة ومن لا يكون ادنى في شيء لا يكون ارفع في شيء

انني اتعلم كل ساعة تعليماً من تعاليم الطاعة

السرور

من اسرَّ غيره كان ذلك سرورًا لنفسه

كن بهيجًا ما امكن لان السرور لا ينحصر فينا بل هو عامل عظيم في سرور غيرنا

الصديق البهيج كنهار منير يضيء كل ما حوله

لا سعادة ثابتة في الحياة الا لمن ينسى نفسه من اجل غيره

اذا كان الزحف نصيبي فازحف راضياً وان كان الطيران نصيبي فاطير نشيطاً ولكنني سأجهد كل الجهد ان لا اكون مغموماً

الرفيق البهيج كمركبة لمن قد تعب في الطريق

آمال الدنيا التي قد يشغل الناس قلوبهم بها تخيب او تنعم ولكنها كالثلج الذي يغطي وجه الارض ساعة او ساعتين ثم يزول (عمر الخيام)

شوق النفس الى الكمال

الشوق الى الكمال خفير قوي الى الفضيلة

كل انسان يتوق احياناً الى ما يجب عليه من معالي النفس

جزاء المرء الذي يشتاق الى اعلى ما تتصوره النفس هو انه لا ريب له فيها

كل ما على الارض اظلال لاشياء في السماء هي وحدها الباقية

لا ريب في ان التصورات العالية ثابتة الوجود

الكمال الذي يتخيله الانسان آفة لما عنده من نقص الكمال

التشوقات الخيالية بعيدة جدًّا عنا فلنرض بالسعي وبما يمكن من الدنو اليها

التأمل والتذكر

تذكر مراحم الله السابقة علاج دافع للقنوط في يوم الشدة

ما مضى فقد مضى الى الابد وهو مجموع مذخور ولكنه لم يبق لنا فكل كلمة نطقنا بها وكل خطوة نخطوها لا يمكن استرجاعها

اذا نظرنا الى ما مضى من الشدائد رأينا ان بعضها كان خيرًا عظيماً يفوق ما تحملناه من مشقتها

اذا تردد فيك العقل وارتاب فاذكر ما مضى واهتد به واذهب الى البيت الذي ولدت فيه وان كان قد وُلد الايمان هناك فردد ما كان يعتقده ابوك والصلاة التي كانت تصليها امك

التذكر مهما كان محزناً فهو افضل العلائق التي تصل حياة الدنيا بحياة الآخرة

العادة

العادة حبل ننسج منه خيطاً كل يوم الى ان يبلغ حجماً لا يمكن قطعه

ربِّ في نفسك عادة الانتباه الشديد الى كل امرٍ يعرض لك سواء كان في القراءة او المراقبة او الاصغاء الى التعليم

العادة افعل النواميس التي تعمل في الفطرة البشرية

تتكوَّن فينا العادات كما يتراكم الثلج بعضه فوق بعض

عادة النظر الى الاشياء بالسرور وتأمل الحياة بالامل تتربى فينا كغيرها من العادات

تتكوَّن العادات الحسنة باعمال العقل والمجاهدة الدائمة للتغلب على المحن

النصيب

كل امرىءٍ عامل على نصيب نفسه

اذا قرع النصيب بابنا فمن الخطإ ان لا نفتح له ونرحب به

دولاب النصيب يدور ابدًا ومن يستطيع ان يقول انني سأكون اليوم الى الاعلى ؟

بيروت

حنا ورتبات

السجن

سكنا ولم يسكن حراك التبدد — مواطن فيها اليوم امس من غد
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت — «لخولة اطلال ببرقة ثهمد»
بلاد اناخ الذل فيها بكلكل — على كل مفتول السبالين اصيد
معاهد عنها ضل سابق عزها — فهل هو من بعد الضلالة مهتد
احاطت بها الارزاء من كل جانب — الى ان محتها معهداً بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازياً — مطلاً عليها صائناً بالتهدد
وينقض احياناً عليها فتارةً — يروح وفي بعض الاحايين يغتدي
فيخطف اشلاء من القوم حيةً — ولم يقد المقتول منها ولم يد
ويرمي بها في قعر اظلم موحش — به اين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما ادراك ما السجن انه — جلاد البلايا في مضيق التجلد
بناء محيط بالتعاسة والشقا — لظلم بريء او عقوبة معتدي

***

زر السجن في بغداد زورة راحم — لتشهد للانكاد اجمع مشهد
محل به تهفو القلوب من الاسى — فان زرته فاربط على القلب باليد
مربع سور قد احاط بمثله — محيط باعلى منه شيد بقرمد
وقد وصلوا ما بين ثان وثالث — بعقود سقف بالصخور مشيد
وفي ثالث الاسوار تشجيك ساحة — تمور بتيار من الخسف مزبد
ومن وسط السور الشمالي تنتهي — اليها بمسدود الرتاجين موصد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت — مخاريق ضيم تخلط الجد بالدد
ثلاثون متراً في جدار يحيطها — بسمك زهاء العشر في الجو مصعد
تواصلت الاحزان في جنباتها — بحيث متى يبل الاسى يتجدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها — بخار اذا تمرر به الريح تفسد
هناك يود المرء لو قاء نفسه — واطلقها من اسر عيش منكد
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً — الى حجر قامت على كل مقعد
مقابر بالاحياء غصت لحودها — بخمس مئين انفس او بازيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى — فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن اذا صدر النهار دخلتها — كأنك في قطع من الليل اسود

فلو كان للعباد فيها اقامة لصلوا بها ظهرًا صلاة التهجد
يزور هبوب الريح الا فناءها فلم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الانفاس حتى كأنما على كل حيزوم صفائح جلمد
وحتى كأن القوم شدت رقابهم بحبل اختناق محكم الفتل محصد

***

بها كل مخطوم الخشام مذلل متى قيد مجرورًا الى الضيم ينقد
يبيت بها والهم ملء اهابه بليلة متبول الحشا غير مقصد
يميت بمكذوب العزاء نهاره ويحيي الليالي غير نوم مشرَّد
ينوء باعباء الهوان مقيدًا ويكفيه ان لو كان غير مقيد
وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم لحر الساحة المتوقد
فيرفع بعض من حصير ظلالة ويجلس فيها جلسة المتعبد
وليست تقيه الحر الا تعلة لنفس خلت من صبرها المتبدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظللا يعدونه رب الطراف الممدد
تراهم نهار الصيف سفعًا كأنهم اثافيّ اصلاها الطهاة بموقد
وجوه عليها للشحوب ملامح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقًا فلم يتميز مطلق عن مقيد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذله مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث مهما يزدد الحر تزدد
تدور رؤوس القوم من شم نتنها فمن يك منهم عادم الشم يحسد
تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدد
وتحسبهم دودًا يعيش بحمأة وما هو من دودٍ بها متولد

***

الا رب حرٍ شاهد الحكم جائرًا يقود بنا قود الذلول المعبد
فقال ولم يجهر ونحن بمنتدى به غير مأمون الوشاية ينتدي
على اي حكم ام لاية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فادنيت للنجوى فمي نحو سمعه وقلت لان العدل لم يتبغدد
رعى الله حيًا مستباحًا كأنه من الذعر اسراب النعام المطرد

وما صاحب البيت الحقير بناؤُه بافزع من رب البلاط الممرد
وما ذاك الاَّ انهم قد تخاذلوا ولم ينهضوا للخصم نهضة ُملبد
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم سوى نوحة مني بشعر مغرّد
وهل انا الا من اولئك ان مشوا مشيت وان يقعد اولئك اقعد
وكم رمت ايقاظاً فاعيا هبوبهم وكيف وعزم القوم شارد ُمرقد
نهوضاً نهوضاً ايها القوم للعلى لِتبنوا لكم بنيان مجد موطد
تقدّمنا قوم فابعد شوطهم وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا فاجحف بالغوْريّ والمنجد
افي كل يوم يزحف الدهر نحونا بجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كروب عظيمة ويارب خفف من عذاب مشدد

بغداد معروف الرصافي

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

وانما معنى قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس » (١) اي معصية والكفر والنفاق والمعاصي رجس يدلك على ذلك ان الازلام هي القداح فاي نتن لها ؟ وهذا مثل قوله : « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) اي نفاقاً الى نفاقهم ومثله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٣) وكيف يكون رجساً اي نتناً وهي في الجنة ؟ قال الله تعالى : « وانهار من خمر لذة للشاربين » (٤) فوصفها باللذاذة ولم يصف بذلك غيرها مما ذكر معها . وقال : « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » (٥) ولم يرد فيما يري اهل النظر ان الزنجبيل يلقى فيها وانما ارادوا انها تلذع اللسان

(١) من المائدة آية ٩٢ (٢) براءة آية ١٢٦ (٣) يونس آية ١٠٠ (٤) الصافات آية ٤٥ (٥) الانسان آية ١٧

كأنها مزجت بزنجبيل ٠ والشعراء تصف افواه النساء براح مزجت بالزنجبيل ٠ قال المسيب ابن علس (١) (كامل)

وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر

وقال الاعشى يشبهه بالزنجبيل والعسل : (متقارب)

كأن جنيًا من الزنجبيل بات بفيها وأريا مشورا

وقال الجعدي (طويل)

وبات فريق منهم وكأنما سقوناطفامن اذرعات مفلفلا

ولهذا يقول الشعراء للخمر مزّة للذعها اللسان ولا يريدون الحموضة وقال بعض اصحاب اللغة : انما مَزّة بفتح الميم اي فاضلة من قولك : هذا امز من هذا اي افضل وارفع ٠ وقال: « يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون »(٢)فنفى عن خمر الجنة عيوب خمر الدنيا وهو الصداع ونفاد الشراب وذهاب العقل والمال ونحو هذا قوله في فاكهة اهل الجنة « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (٣) فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لان فواكه الدنيا تأتي في وقت وتنقطع في وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن والعرب تسمي الخمر درياقة يريد انها شفاء كالدرياق ٠ قال ابن مقبل (٤) (متقارب)

سقتني بصهباء درياقة متى ما تلين عظامي تلن

وقال الله تعالى : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » (٥) فالاثم العذاب وكذلك الآثام قال : « ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (٦) اي عقابًا واما منافعها فكثيرة لا تحصى ٠ وانما تقع مضارها مع اكثار وتجاوز المقدار فاما الاقتصار فلم يكن اشاربها قبل التحريم فيها مضار ٠ فمن منافعها ما يصيبه الناس من اثمانها ولولم تعتصر الاعناب لبارت على اهلها ٠ ومن ذلك منفعتها الجسم لانها تدرُّ الدم وتقوي المنة (٧) وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أخذ منها بقدر الحاجة فاذا اخذ الافراط فكل شيء مع الافراط يضر ٠ وكانت الاوائل (٨) تقول : الخمر حبيبة الروح وكان رجل من قدماء الاطباء اذا دخل على عليل لم يرَ فيه موضعًا لسقي الدواء سقاه الخمر الريحانية الممزوجة بالماء ليلقي الروح بحبيبه ويبعث من النفس بالمسرة ما قد اسقطه الداء فان رأى العليل قد قوي قليلاً واحتمل بعض الدواء عالجه ٠ قالوا: ولذلك اشتق لها اسم

(١) من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الاعشى (٢) الواقعة آية ١٧ — ١٩ (٣) الواقعة آية ٣٦—٣٣ (٤) هو تميم بن ابي مقبل جاهلي اسلامي (٥) البقرة آية ٢١٦ (٦) الفرقان آية ٦٨ (٧) في العقد المعدة (٨) في العقد بنو وائل

من الروح فسميت راحاً واصل الراح والروح والرَّوح من موضع واحد الا انهم خالفوا بينها في البناء ليدل كل واحد منها على معناه ويقارب معانيها كتقارب اسمائها فالروح روح الاجسام والروح النفخ لانه ريح يخرج عن الروح والروح طيب النسيم والروح هي الريح الهابة . والراح على فعل واصله رَوح فقلبت واوه الفاً لما انفتحت وانفتح ما قبلها ثم اشتقوا الريحان من ذلك لرائحته وربما سموا الخمر روحاً قال النظام (بسيط)

مازلت آخذ روح الزق (١) في لطف   وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي   والزق (١) مطرح جسم بلا روح

وربما سموا الخمر دماً لانها تزيد في الدم والنفس تتصل بالدم . وكذلك قالوا : نفست المرأة اذا حاضت . وقالوا نفساء لسيلان الدم . قال مسلم (طويل)

خلطنا(٢) دماً من كرمة بدمائنا   فاظهر في الالوان منا الدمُ الدمُ

وحدثني الرياشي عن مورج عن سعد بن سماك عن ابيه عن عبيد راوية الاعشى قال : قلت للاعشى : اخبرني عن قولك (كامل)

ومدامة (٣) مما تعتق بابل   كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دماً . وقال ابن الطثرية (٤) (طويل)

ويوم كظل الرمح قصر طوله   دمُ الزق عنا واصطفاق المزاهر

وفي الخمر انها تسخي البخيل وتستخرج من اللئيم . قال عمرو بن كلثوم (٥) (وافر)

مشعشعة كأن الحص فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا

ترى اللحز الشحيح اذا امرت   عليه لماله فيها مهينا

قوله : سخينا من السخاء واراد بقوله اذا ما الماء خالطها لانها لا تمزج الا عند الشرب قال طرفة (رمل)

واذا ما شربوها وانتشوا   وهبوا كل جواد (٦) وطِمِر

ثم راحوا عبق المسك بهم   يلحقون الارض هداب الأُزُر

وقد عيب بهذا طرفة لانه مدحهم بالعطاء وهم نشاوى ولم يشرط لهم ذلك في صحواتهم كما قال عنترة (كامل)

---

(١) في العقد الدن (٢) في العقد مزجنا (٣) في العقد وسلافة (٤) هو يزيد بن عبيد ابن عمرو ابن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم (من كتاب من ينسب الى امه من الشعراء لابي جعفر محمد بن حبيب خط في الكتبخانة الخديوية مج ٢٢ ا ص ١٦٠) قتلته بنو حنيفة يوم الفلج فرثته اخته (الشعر والشعراء) (٥) هو المشهور بقتل عمرو بن هند الملك (٦) في العقد امون

واذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يُكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

والجيد في هذا المعنى قول زهير (طويل)

اخو ثقة لا يذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله

يريد انه يعطى اذا بخلت النفوس . وقال ابن ميادة (١) (بسيط)

ما ان ألح على الاخوان اسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
وما اخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب

وقال بعض المحدثين (طويل)

كساني قميصاً مرتين اذا انتشى وينزعه مني (٢) اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه (٣) وفي الصحو ترحات (٤) تشيب النواصيا
فياليت حظي من سروري وترحتي (٥) ومن جوده ان لا علي ولا ليا

وفي الخمر انها تشجع الجبان وتبعث الحصر العي وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك ؟ والترك وكثير من العجم يشربونها في الحرب وكانوا في الجاهلية ينالون منها يوم اللقاء وكذلك اصطبحها قوم من المسلمين يوم بدر قبل ان ينزل تحريمها وفي الخمر ان كل شارب يمل شرابه غير شرابها وان احداً لا يقدر يشرب منها فوق الري الا بالكره للنفس على القليل غير شارب الخمر وما اشبهها من المسكر . حدثني القطعي عن ابي داود قال حدثنا ابو بجرة عن الحسن قال: لو كان في شرابهم هذا خير لرووا منه وفي الخمر انها تزيد في الهمة والكبر وتهيج الانفة والاشر (٦) وسقى قوم اعرابياً كؤوساً ثم قالوا له: كيف تجدك ؟ قال اجدني امرّ (٧) واجدكم تحسنون (٨) الي وقال الاخطل (طويل)

اذا ما زياد علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل مني كأنني عليك اميرالمؤمنين امير (٩)

العلل بين النهل فلذلك قال ثلاث زجاجات لانها نهل وعللان قال المنخل (١٠)

---

(١) هو الرماح بن يزيد من بني ذبيان وهو ممن ينسب الى امه من الشعراء (٢) في العقد عني (٣) في العقد بقميصه (٤) في العقد روعات (٤ في العقد وفرحتي (٦) يعني الفرح والنشاط (٧) في الاصل اشرّ (٨) في الاصل تحببون (٩) لم اقع على هذه الابيات في ديوان الاخطل الذي طبعه الاب صالحاني ببيروت (١٠) هو المنخل بن عبيد بن عامر بن يشكر من اجمل العرب كان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر حتى قالوا ان ولديها منه (الشعر والشعراء)

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

وقال الاعشي (كامل)

ولقد شربت ثمانياً وثمانياً وثمان عشر واثنتين واربعا
من قهوة باتت ببابل صفوة تدع الفتى ملكاً يميل مصرّعا

وقال في الخمر انها تمد في الأمنية قال الاعشي (طويل)

لعمرك ان الراح ان كنت شاربا لمختلف آصالها وغداتها
لنا من صحاها خبث نفس وكابة وذكرى هموم ما تغب اداتها
وعند العشي طيب نفس ولذة ومال كثير عده نشواتها

وفي الخمر انها تطيب النفس وتذهب الهم وكانت ملوك العجم تجعلها مجمة للقلوب ومستراحاً من الشغل . قال اعرابي كان يشرب النبيذ ثم تركه وشرب اللبن (خفيف)

قد تركت النبيذ مذ كن عندي وتحسيت رسلهن مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطني ووجدت النبيذ كان صديقا
تعد النفس بالعشي مناها وتسل الهموم سلاً رقيقا

وذكر الهيثم بن عدي عن ابي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ان جبلة بن الايهم (١) قال لحسان : يا ابا الوليد اني مشغوف بالخمر فذمها لي فقال : (طويل)

لولا ثلاث هن في الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزف مثل الجنون ومصرع دني وان العقل ينأى فذهب

فقال : افسدتها فامدحها فقال :

لولا ثلاث هن في الكأس اصبحت كأفضل مال يستفاد ويطلب
امانيها والنفس يظهر طيبها على همها والحزن يسلى فيذهب

وفي الخمر ان كل شارب على شرابه يصبر عنه غير الخمر فان لها ضراوة لا يشبهها الا ضراوة اللحم . وكان عمر رضي الله عنه يقول اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وقالوا : اهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر . واهلك النساء الاصفران الذهب والزعفران

وقال الشاعر حين منع اهل الشام من شرب الخمر : (طويل)

الم تر ان الدهر يعبر بالفتى ولا يملك الانسان صرف المقادر

(١) حديث جبلة بن الايهم وارتداده عن الاسلام مشهور

صبرت ولم اجزع وقدمات اخوتي ‏ ‏ ‏ ‏ وما انا عن شرب الطلاء بصابر
رماها امير المؤمنين بحتفها ‏ ‏ ‏ ‏ فخلانها يبكون حول المعاصر

فهذه وما اشبهها منافعها في الجاهلية واما منافع الميسر فان اهل الثروه والاجواد من العرب كانوا في شدة البرد وجدب البلاد وكلب الزمان ييسرون اي يتقامرون بالقداح وهي عشرة اقداح على جزور يجزئونها على ثمانية وعشرين جزءًا وقد ذكرت هذا في كتاب الميسر وبينت كيف كانوا يفعلون فاذا قمر احدهم جعل اجزاء الجزور لذوي الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا وكانت العرب تمدح باخذ القداح ويعيب من لا ييسر وتسميه البرم قال متمم يرثي اخاه مالكاً : (طويل)

ولا برما تهدي النساء لعرسه ‏ ‏ ‏ ‏ اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

ولم اسمع احدًا من الاسلاميين ذكر انه قامر بالقداح فالخش الخاش القائل وهو الاخطل (وافر)

ولست بصائم رمضان طوعًا ‏ ‏ ‏ ‏ ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بقائم كالعير ادعو ‏ ‏ ‏ ‏ قُبيل الصبح حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً ‏ ‏ ‏ ‏ وآكل ما نفوز به قداحي (١)

قال : واما ذمهم شربة المسكر بقلة الوفاء وسوء العهد فاسوأ من ذلك اقدامهم على السكر وترك الصلوة وركوب الفواحش واعجب منه عقدهم على ان كل مسكر خمر محض لعلة الاسكار وهم يشربونه وعلمهم بان الله حرم المسكر وهم لا يبيتون الا عليه فاذا عوتبوا على شربه مع الاعتقاد انه خمر قالوا : لان نشربه ونحن نعلم انه ذنب نستغفر الله منه احب الينا من ان نشربه مستحلين له غير مستغفرين منه . وما ادري أمن الجرأة على الله اعجب ام من العلة . اما الجرأة على الله والاقدام على ما حرم في كتابه عندهم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح ذوات المحارم واما العلة فالطمع في المغفرة وهم مصرون لا ينصرم عنهم يوم جمعتهم الا عقدوا النية على الاجتماع في غده او بعد غده وانما يغفر الله بالاستغفار للمقلعين ويتقبل من المتقين وكيف ما جاهروا الله بالعصيان فيه وهم مستيقنون اسلم مما ركبوه وهم غارّون وماذا يقولون في رجل زنى وهو لا يعلم ان الله حرم الزنا وآخر زنى وهو يعلم ان الزنا من الكبائر التي تسخط الرب وتوجب النار ايهم اقرب الى السلامة واولى من الله بالعفو اوليس اهل العلم على ان الذي لا يعلم لا حدّ عليه من جلد وتعزير ولا رجم وان على الآخر حد البكر

(١) هذه الابيات تختلف عن الابيات الموجودة في ديوان الاخطل اختلافًا بينًا ولا شك ان هذه الرواية هي الصواب

ان كان بكرًا وحدّ المحصن ان كان محصنًا فهذه احكام الدنيا واما احكام الآخرة فلولا كراهة التألي على الله لقلنا في الذي ركب الفاحشة وهو لا يعلم ان الله حرمها معفو عنه . وقد روي ان رجلاً اقرّ بالزنا بأم مثواه فلما أُمر باقامة الحد عليه قال : ما علمت ان الله حرم ذلك فاستحلف ثم درىء عنه الحد . وكانت العلماء تنهى العوام عن كثرة السؤال وقالوا لان يؤتى الشيء على جهل به اسلم من ان يؤتى على علم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البرّ ما سكنت اليه القلوب واطمأنت اليه النفوس والاثم ما حاك في صدرك فكرهت ان تطلع عليه الناس .

تأتي البقية

التقية

لما قرأ احد كبار علماء دمشق ما كتبناه في التقية في الجزء الثالث من مجلد هذه السنة كتب الينا يقول : « ان مسألة جواز التقية قولاً وعملاً عند الصفرية الزيادة فيه نظر اذ المعلوم انها جائزة عندهم قولاً لا عملاً لان المذاهب فيها عند الخوارج ثلاثة عدم جوازها اصلاً عند الازارقة وجوازها قولاً وعملاً عند النجدات وجوازها قولاً لا عملاً عند الصفرية الزيادية » .

وقد عقد في كتاب مشارق العقول لعبدالله بن حميد السالمي العماني الاباضي فصل في التقية فقال :

اجز تقية بقول ان خلص　　من نيل ضرّ من به القول يخص
وامنعها في اتلاف نفس ان جنى　　والحلف في اتلاف مال ضمنا
ولم تجز تقية بالفعل　　كالحرق والغرق ومثل القتل
لكن جواز ما أبيح في الضرر　　كالاكل للميتة والدم اشتهر
ومكره جاء بما الحد يجب　　عليه في ان لا يحدّ نستحب

وقال ابن حزم في الملل والنحل: وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانًا لو سمع مظلومًا قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق و يأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه او موضع ماله فانه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا

عاصياً لله عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد أبيح الكذب في اظهار الكفر في التقية . ونقل الاستاذ غولدسير في رسالته التقية في الاسلام عن بعض علماء الشيعة : ان الله جعل هذه التوربة مما حفظ به شيعتنا ومحبينا . ونقل : مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له. ونقل من كتاب كشف القناع عن وجوه حجة الاجماع ان امير المؤمنين كان منذ قبض الله نبيه في حال تقية ومداراة ومدافعة لاستيلاء من استبد بالامر الخ ... ان التقية لم تفارقه ولم يجد منها بدًا في حال من الاحوال ولم يتمكن من تتبع احوال القوم وكان يقول لقضاته وقد سألوه بماذا نحكم فقال :احكموا بما كنتم تحكمون حتى يكون الناس على جماعة او اموت كما مات اصحابي .

هذا ما اتانا من النقول بعد طبع ذاك المبحث فالحقناه به تتمة له والغاية منه كما علمت تاريخية اجتماعية صرفة وذلك لان للتقية علاقة كبرى بمجتمعنا ونهضتنا

التعليم في المانيا

اعظم حسنة تسجل لالمانيا فصلها التعليم الديني عن التعليم الدنيوي بدون ان تمس احدهما بسوء وتعطي لاحدهما ما سلبته من الثاني ولذلك استقام امرها واصبحت مدرسة العالم فلم تغلُ في محاربة الدين كفرنسا ولم تبالغ في التعصب له كاسبانيا بل كانت بين بين واليك ما قاله صاحب كتاب المانيا الحديثة ونشوئها في كيفية فصلها للتعليمين على اسلوب حكيم قال ما ترجمته :

جاهدت المانيا في سبيل نشوئها المادي ولم تترك الجهاد في طريق ارتقائها العلمي واحداث تعليم وطني لبلادها تتعاوره الايدي بالاصلاح كل حين. ومن المحقق ان الحكومة الالمانية اخذت على نفسها في القرن الثامن عشر ان تنظم قواها الدفاعية والهجومية وان تنمي شعبها وثروتها وتسهر على امن رعاياها ورفاهيتهم المادية ولكنها لم تقف عند هذا الحد في القرن التاسع عشر بل ما كاد يطلع فجره حتى قام الفيلسوفان فيختي وهيجل يحققان الاماني بما انشآه من الاوضاع العلمية ويدلان الالمان على الطرق التي تبلغ بهم اقصى درجات الارتقاء . وما برح هذا الاعتقاد منذ نهض هذان العظيمان ينتشر ويقوى حتى ادى الى نتيجتين عظيمتين احداها تولي الحكومة لادارة التعليم بدل الكنيسة واخذها على عاتقها تنسيقه ومراقبته وتوفرها على نشره على اختلاف درجاته توفرًا لم يسبق له نظير وثانيتهما ان الامة انتظمت

حالها على التدريج فايقنت بما تُسأل عنه مع جميع افرادها ورأت ان من واجبها ان تحتفظ برأس مالها الانساني فتحمي المساكين والضعفاء خاصة وتدفع عنهم عوادي الهلاك واسواء الفساد الادبي وتمد اليهم يد المعونة في الازمات وتقيهم عوارض العجز والزمانة · وهكذا كان نجاح التعليم العام وتنظيم التضامن الاجتماعي اول ما بذلت الحكومة الالمانية عنايتها به ·

اخذت الحكومة اولاً بالتتابع تصبغ التعليم بصبغة عامية وتسلب من الكنيسة هذا الحق بعد ان كان في القرون الوسطى لها وحدها القول الفصل في شؤون التعليم · ففي اواخر القرون الوسطى سقطت الكليات تحت مراقبة الحكومة وبعد دخول عهد الاصلاح « قيام لوثيروس المصلح في النصرانية » سقطت في يدها المدارس الثانوية ايضاً · وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر جاء دور المدارس الابتدائية فآل امرها الى الحكومة تصرفها كما تشاء وتهوى · قبضت بيدها على ازمة التعليم واخذت في ادخال التغيير عليه · فقد كانت الكليات والمدارس اللاتينية فيما سبق ترى من اهم واجباتها ان تخرّج رهباناً ولاهوتيين فتعنى المدارس الابتدائية بنشر مبادىء الاعتقاد الديني بين الامة وتُعدّ الاطفال ليختلفوا بعدُ الى البيع ويحضروا وعظ يوم الاحد · بيد ان المدارس لم تلبث ان نزعت عنها الصفة الدينية فاصبحت مجامع علمية لا يتصدر فيها اللاهوتيون اليوم كما كانوا امس ولا يتصدر فيها الفلاسفة واللغويون كما كانوا في اوائل القرن التاسع عشر بل الصدارة فيها كل الصدارة لرجال العلم والاطباء ·

انتظمت المدرسة الالمانية على صورتها الحاضرة في اوائل القرن التاسع عشر وخلعت عنها اللباس الديني بل صبغته بصبغة الفكر الادبي المولد من الحضارة اليونانية التي ازهرت دراستها على ذاك العهد في المانيا وانشأت تعلم تعليماً من مجملات العلوم كعلم اللغات والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية · ثم نزعت يدها من يد الكنيسة بتحريض بستالوزى (١) واخذت تلقي في نفوس التلاميذ الاعتماد على النفس وحب العمل وتبث فيهم بحسب مطالب اللاهوت الادبي الذي قال به « كانت » الفيلسوف القول بحب الذات او بالشخصية الحرة المستقلة Conscienc de la personalité · ولئن كان التعليم العام نحو منتصف القرن الثامن عشر قد بقي على صبغته الدينية ولا سيما في البلاد التي تنتشر فيها الكثلكة فان

(١) حنا هنري بستالوزي (١٧٤٦ — ١٨٢٦) من كبار علماء التربية في الالمان نشر بين قومه مبادىء روسو الفيلسوف ودعا الى تعليم الالمان ولا سيما الفقراء منهم الصناعات والزراعة وعلم مئات من ابناء الطبقات البائسة في بيته وآواهم على قلة ذات يده · وله مصنفات كثيرة نفعت المانيا في نهضتها

المدرسة الابتدائية في القرن التاسع عشر اصبحت على التدريج مدرسة وطنية تشرب فيها قلوب الشبان محبة الوطن كأنها دين ثان . كل ذلك بفضل العناية التي صرفت لتعليم اللغة الالمانية وتاريخ المانيا .

ولا يزال للكنيسة الى اليوم تأثير مهم في المانيا ولا سيما في دائرة التعليم الابتدائي . وقد ظلت المدرسة على الجملة تقر بالايمان وتعترف به وما زالت تعلم تعليماً دينياً اعتقادياً . ومن العجب ان ترى ثمت مدارس كاثوليكية او برتستانتية او اصلاحية تعلم تحت حماية الحكومة حقائق دينية بادية التناقض وهي خاضعة في كثير من الاحوال للتفتيش الكنائسي . وقد ثبت ان الاصوات ما برحت تعلو بالشكوى من هذه الحالة فيشتكي المخالفون من الزام اولادهم بتعليم مناف لايمانهم او لمعتقدهم العلمي . حتى انك لترى في المعلمين كثيرين يقيمون الحجة على الاكراه في تعليم الدين بحسب قانون لا ينطبق على معتقداتهم الخاصة . وهناك حزب عظيم من القوم يطالب على الدوام بالاستكثار من المعاهد التي تقبل التلاميذ من كل المذاهب .

والظاهر ان المانيا لا تنوي الآن نزع النصرانية من المدرسة حتى ان ارباب الافكار الحرة وهم بعيدون عن كل معتقد لا يرون بان نزع الصبغة الدينية من التعليم في المانيا هو من الممكن او مما يرغب فيه وهم معتقدون بانه متى اصبحت المدرسة «كافرة» لا دين لها يحوّل قسم وافر من سكان البلاد ولا سيما من الكاثوليك وجوههم عن المدارس العامة وينظمون لابنائهم مدارس خاصة يتلقى فيها الاطفال التعليم الديني الذي يراه ذووهم ضرورياً لهم . على ان جمهوراً كبيراً من الالمان لا يرون «المدرسة الحرة» على الطريقة الفرنسوية من الانموذجات التي تحتذى والامثلة التي ينسج عليها .

يرى المسيو بولسان وهو من مشاهير المؤرخين في علم التربية ومن ارباب التأثير ان فرنسا الكاثوليكية ان رأت اضطرارها الى تأسيس مدرسة عامية حرة لتكون متشبعة بالروح الوطنية فان هذه الضرورة لم توجد لحسن الطالع عند الالمان لانهم اعتادوا مجاراة للنشوء الديني ان يوفقوا بين العلم والدين والمعرفة والايمان ولهم من التوراة اداة لا مثيل لها من التربية الادبية لا تغني عنها اجمل الشذرات المنتخبة من كتب الآداب العامة . اذاً فلا مانع يمنع الاساتذة من احتفاظهم بالتعليم الديني والتوراة وان يعدوا عقول النابتة الالمانية لتعليمها مبادىء النصرانية التاريخية مشذبة من صبغتها الدينية مقتصراً على ما فيها من لباب الآداب . اما انا فلا اعجب مما يذهب اليه العالم المشار اليه من هذا التوفيق اذا كان هو المقبول بين اهل الطبقة الوسطى في البلاد اكثر من المذهب المتطرف الذى ينبذ من

المدرسة كل تعليم ديني · فالتعليم العام على هذا الوجه يتحرر من قيوده كما انه يكون اكثر انصباغًا بالصبغة الديمقراطية ·

ولقد كان التعليم في المانيا باديء بدء مقصورًا على طائفة خاصة من الناس ثم صار تعليمًا اكليريكيًا في القرون الوسطى ثم عاليًا وارستوقراطيًا على عهد النهضة (سنة ١٤٥٣) الى القرن الثامن عشر ثم اصبح مدنيًا بامتزاجه بفلسفة انكار الوحي والانصباغ بصبغة الحضارة اليونانية فساغ بذلك لاهل الطبقة المتحضرة من الالمان ان يرأسوا الحركة العقلية · وفي القرن التاسع عشر اقتربت المانيا شيئًا فشيئًا مما كانت ترمي اليه من التهذيب الوطني الذي نادى به فيخته في خطبه للامة الالمانية ·

زالت الحواجز التي كانت تحول دون اصناف التعليم ولم تبق اللغة اللاتينية لغة اجبارية لكل من اراد التهذيب العالي ·وانتزع من المدرسة المدنية على التدريج ما كان لها سابقًا من صبغة مدرسة لاتينية وكان من النجاح الذي تم للمدارس الابتدائية او قرب بينها وبين المدارس الثانوية وان قلت على التوالي مسافة الخلاف بين الاساتذة الذين تخرجوا في المدارس الدينية وبين الاساتذة الذين تلقوا التعليم العلمي لا سيما وان التعليم على اختلاف درجاته اصبح يلبس ثوب العمل والحقائق · وكان تعليم الطبقات العالية في المجتمع الالماني في اواخر القرن الثامن عشر عبارة عن تحسين الذوق والادب تخلف هذا التعليم في اوائل القرن التاسع عشر التعليم الادبي · وقد رأينا النشوء نحو الفلسفة الحسية الذي تم بين الطبقات المستنيرة وكان من امر هذا النشوء بالطبع رد فعل في معاهد التعليم فغدا التعليم على اختلاف درجاته اكثر تشبعًا بالروح الادبية او الفلسفية واقل تمسكاً بالنظريات · وقامت بجانب المدرسة الادبية مدارس احدث من مدارس الفلسفة الحقيقية والحسية وزادت العناية بتعليم العلوم واللغات الحية فكانت وافية بحاجات اهل المدن الصناعية او التجارية ونشأت بالقرب من الكليات في كل مكان مجامع علمية ما زالت على ارتقاء ونماء · وهكذا اخذ يتداعى الحاجز القديم الذي كان قائمًا بين المتعلم في القديم العلوم الادبية واللغوية والأمي الذي لم يكن يعرف اللغات المدرسية وحل التهذيب الديمقراطي العام الذي لا يتطاول اليه كل امريء ولم يكن واحدًا للكل بل يحق لكل فرد ان يأخذ منه بقدر ما تسمح له قواه الطبيعية والعقلية محل التهذيب الادبي واللغوي الخاص بعلية القوم واهل الطبقة المستنيرة منهم ·

وعلى الجملة فقد عملت المانيا في خلال القرن الماضي بهمة لم تعرف الوناء في سبيل نشر العلم بين جميع ابنائها ولا شك ان حماستها في ميدان المدارس اختلفت صعودًا وهبوطًا في تلك الحقبة من الزمن · فكانت شديدة للغاية في خلال الثلث الاوّل من القرن الذي

وضعت فيه أسس تنظم التعليم العام من المدرسة الابتدائية الى الكليات ثم بردت في خلال الثلث الثاني من القرن خاصة فكانت حكومات المانيا على عهد الثورة بين سنتي ١٨٣٠ و١٨٧٠ يحذرن بل يعادين التعليم العام ولكنه عادت اليه حياته غداة الغلبة التي كتبت لبروسيا وتوطيد كلمة الامبراطورية . وقد جرى بين الناس جري المثل بان المعلم الالماني كان هو الظافر الحقيقي في معركتي سادوفا وسيدان وان غلبة المانيا اتتها في الحقيقة من سرّ تقدّمها في مضمار العلم والتهذيب. لاجرم انه بدرت اليوم بوادر الشك في فضيلة تأثير التعليم ولذلك تلاحظ في الاندية التي لها اتصال بالكليات اعراض التواني وتجد العقول في حالة تشبه الحالة التي دفعت بعض ارباب الافكار عندنا « الفرنسويين » ان يطالبوا باسقاط العلم و « تفليسه » فاثبتوا والسويداء متغلبة على عقولهم بان العلم الذي يرجى ان يكون منه كشف اسرار ما في الكون وان يأخذ بايدي الآخذين من مَعينه فيقودهم الى وجهة عامة و يسوق ارادتهم سوقًا لم يؤدّ قط الى حقائق قطعية مطلقة. بل كان من منافعه ان حلَّ بعض المعضلات حلاً قليلاً موقتًا لا يزال على الدهر موضع النظر والتنقيح . وكثير في الناس من شعروا دفعة واحدة بان قد انتهكت قواهم بما يقضي عليهم تعلمه من المعارف الكثيرة التي تؤهلهم الى الاحاطة بعض الشيء في دائرة من دوائر العلم ولذلك يئسوا او كادوا من هذه الحالة التي توشك ان تكون مستديمة لهذا النشوء الذي لا حدّ له وتستلزمه دواعي العلم . وربما ظهر اليوم ما كان يخالج افئدة الطبقة الخاصة وبعض اهل الطبقة الوسطى من سوء الظن بالمستقبل الذي استحكم منها حوالى منتصف القرن . وتتساءل الحكومة فيما اذا كانت لم تسرف في بث التعليم بين طبقات الامة وفيما اذا لم يكن التعليم نقمة لا نعمة على قسم عظيم من الامة وفيما اذا كان لا تتعذر ادارة شؤون امة نالت من التعليم شطره او نصفه . وقد ساعد القلق الذي سببه نجاح الاشتراكية على نشر هذه الشكوك بين الناس كانوا منذ عهد غير بعيد مقاومين كل المقاومة بل مقتنعين كل الاقتناع بانه من الفروض العينية على الحكومة ان تبذل العلم وتنشره بين جميع رعاياها .

وقد ظل الرأي المعتدل موقنًا على الجملة كما قال المسيو بولسان بانه لا تحرز المكانة العليا في الجهاد العام نحو التفوق والسلطة الا الامم التي تحسن ان تضمن لفتيانها تعليماً متيناً وتهذيباً راسخًا بما تنظمه من المدارس المتقنة وما تكوّنه من البيوت الناجحة من حيث شؤونها الاقتصادية والسالمة من شوائب المفاسد الاخلاقية

و يرى العارفون ان تأويل الارتقاء الذي فازت به المانيا اتى من اسراع الالمان قبل جميع الامم في وضع التعليم الاجباري قبل غيرهم ومن عنايتها بتخريج اساتذة عارفين ما امكن

في جميع فروع التعليم · ويستنتجون من ذلك بان جهل السواد الاعظم من الامة لا يتأتى ان يكون البتة ضماناً لراحة مملكة وبقائها وان الظاهر من مصلحة الحكومة الملوكية انها تطلب تفاني الحكومة في نشر التعليم وان المستقبل مضمون للامم التي تحسن اكثر من غيرها حل مشكلة التعليم الوطني ·

صحف منسية

وصف عاصمة الاندلس

قال لسان الدين بن الخطيب في «كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة» عند ما ألمّ باسم هذه المدينة ووضعها ووصفها الجغرافي ما نصه : وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين فجسوم اهلها بصحة الهواء صلبة وسحانهم خشنة وهضومهم قوية ونفوسهم لمكان الحر الغريزي جريئة وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة · وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرموتة وقدعوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الاندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من ايديكم » ومن ابدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابي بكر بن شبرين ·

رعى الله من غرناطة متبوا ... يسر كئيباً او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند مارأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به ... وماخير ثغر لا يكون برودا

وقال الرازي عند ذكر كورة البيرة: ان ارضها سقي غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار واكثرها ادواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة اشرف الكوَر نزلها جند دمشق ··· وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الارض طيباً ولا شرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق · وقال بعض المؤرخين بعد ان عدد نباتاتها ومعادنها : وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتار منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لا يشاركه فيها الا البلاد العراقية وخصها الافيح المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه

المذانب (مسيل الماء الى الارض) وتتخلله الانهار والجداول وتتزاحم فيه الغرف والجنات في ذرع اربعين ميلاً او نحوها تنبو العين فيها عن وجهه ...

وبعد ان فصل المؤلف كتابه الى فصول كثيرة واتى على ذكر ما آل اليه حال من ساكن المسلمين بغرناطة من النصارى وما ينسب لهذه الكورة من الاقاليم التي نزلتها العرب وما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات قال في احصاء بيوتها : وتذهب هذه الغروس المغروسة قبلة ثم يفيض تيارها الى غرب المدينة وقد كثرت بها الجبال الشاهقة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والاغوار الخائفة مكللة بالاعناب غاصة بالادواح متزاحمة بالبيوت والابراج بلغ الى هذا العهد عدها في ديوان الخرص الى ما يناهز اربعة عشر الفا نقلت ذلك من خط من يشار اليه في هذه الوضيعة ٠ وقال في فصل آخر : ويحيط بما خلف السور من المباني والجنات في سهل المدينة العقار الثمن العظيم الفائدة المتعاقب الغلة الذي لا يعزفه الحمام ولا يفارق الزرع من الارض البيضاء ينتهي ثمن المرجع منها العلي الى خمسة وعشرين دينارًا من الذهب العين لهذا العهد فيه مستخلص السلطان ما يضيق عنه نطاق القيمة ذرعًا وغبطة وانتظامًا يرجع الى دور ناجمة وبروج سامية وبيادر فسيحة ومصاب للحمائم والدواجن ماثلة منها في طوق البلد وحمى سورها جملة ... الى ان يقول بعد ذكر القرى والدساكر : ان اكثر هذه القرى امصار فيها ما يناهز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الايدي وتتوجه الوجوه ٠ وجملة المراجع العلية المرتفعة فيها في الازمنة في العام بتقريب ومعظمها السقيا الغبيط (اغبط النبات غطى الارض وكثف وتدانى كأنه من حبة واحدة) السمين الغالي ما ينيف على اثنين وستين الفًا وينضاف الى ذلك مراجع الاملاك السلطانية ومواضع احباس المساجد وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر فيكون المجموع باحتياط خمسمائة الف وستين الفًا والمستفاد فيها من الطعام المختلف المجلوب للجانب السلطاني ثلاثمائة الف قدح ويزيد ويشتمل سوادها وما وراءه من الارحاء الطاحنة بالماء ما ينيف على مائة وثلاثين رحى الحقها الله جناح الامنة ولا قطع عنها مادة الرحمة بفضله وكرمه ٠

وقال في وصف اخلاق اهل ذاك القطر وعاداتهم وملابسهم : فتبصرهم في المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة ٠ وذكر اصولهم وانسابهم وجندهم واسلحتهم ثم قال : واعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغنى بمدينتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيرًا من الاحداث كالخفافين ومثلهم واشار الى طعامهم وفواكههم وصرفهم (سكتهم) فقال ما نصه : وعادة اهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز الى الفحوص باولادهم وعيالهم معولين

في ذلك على شهامتهم واسلحتم على اكتاد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه . وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة واللجين في كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرذ ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة او اصالة معروفة موقرة

وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة الا ان الطول يندر فيهن وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنافس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في اشكال الحلي الى غاية نسأل الله ان يغض عنهن فيها عين الدهر ويكف كف الغدر ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وان يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته

وصف لسان الدين امة ملك قشتالة (Castille) فقال : وحال هذه الامة غريبة في الحماية الممزوجه بالوفاء والرقة والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية عادة العرب الاول واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال والزحف على الاقدام اميرهم ومأمورهم والجثو في الارض او الدفن في التراب والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ورماتهم قسيهم عربية جافية وكلهم في دروع ولا لجام عندهم والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب

مطبوعات ومخطوطات

الاحاطة في اخبار غرناطة

قلّ في كتب الادب والتاريخ ما ينتفع به مطالعه في امور كثيرة لقلة الجيد منها وذلك لان المصنفات كالبضائع فيها الجيد وفيها الرديء والمصنفين اصناف فقسم يؤلف وقد تمت ادواته وتشبع بما يود الخوض فيه فلا يكتب الا الثمين النافع وقسم بين ذلك وقسم يخلط ويخبط لا هوى له الا في ذكر اسمه وحشر نفسه في عداد المصنفين . وصاحب كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة هو من اهل الصنف الاول ما كتب كتاباً الا عن فكر وروية وناهيك بما يصدر من نفثات ابن الخطيب حسنة الاندلس ونابغة عصره بل كثير من العصور قبله وبعده .

وفقت شركة طبع الكتب العربية بمصر الى نشر الجزئين الاولين من هذا الكتاب واوقفت طبع الثالث لكثرة التحريف الذي وجدته فيه بحيث يتعذر على القاريء كشف وجه الحقيقة منه · ولئن وقع في هذين الجزئين اغلاط وتحريفات التبس بها الحق بالباطل وكانت العناية تقضي استثبات صحتها وارجاعها الى نصابها لو امكن فان هذا التهاون يغتفر في جانب تلك الذخيرة التي نبشوها ونشروها وهي ولا جرم من بعض ما يعمر به بناء الشعر والنثر ولسان الدين حجة فيهما قاطعة ·

وان لنا ريبة في كون هاته المجلدات الثلاث هي كل ما كتبه المؤلف في رجال عاصمته وعبارة صاحب نفح الطيب تساعد على هذا الشك · قال : ان كتاب الاحاطة هو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة اشد اعجابًا به من المغاربة واكثر لهجًا بذكره مع قلته في هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكي وسماه مركز الاحاطة في ادباء غرناطة وهو في مجلدين سنة ٧٩٣ وقد جعل كل اربعة اجزاء من الاصل في مجلد اذ هو في مجلدين ونسخة الاصل في ثمان مجلدات · وقف سلطان الاندلس نسخة منه على بعض مدارس غرناطة وكانت في اثني عشر سفرًا متقنة الخط والعمل وكان لسان الدين ارسل في حياته نسخة من الاحاطة الى مصر وقفها على اهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء قال المقري وقد رأيت المجلد الرابع منها وكان في ثمانية اجزاء ورأيت بظهر اول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء وعلمت ان المكتوب في الوقفية ثمان مجلدات لا اثني عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر اه

قلت وهذه العبارة كتبت بعد الالف · وكيفما كانت حال الكتاب كبرًا وصغرًا فقد أُخرج الى عالم المطبوعات نموذجات من نثر لسان الدين وشعره ونثر جماعة من اصحابه وشعرهم · ابتدأ الجزء الاول بوصف جغرافية الاندلس الطبيعية والسياسية ولا سيما عاصمتها بحيث يتراءى لك متى قرأته ان الكاتب عصري نشأ في حجر حضارة هذا القرن

للسان الدين نمط خاص به في الانشاء وتعبيرات لا تجدها لغيره من كتاب المغرب والمشرق تتمثل في كلامه روحًا عالية ولفظًا شفافًا ومعنى جزلاً · وما كان نسقه ليرضي كل الرضى لولم يكن يغوص على بدائع المعاني التي يمليها عليه اشمئزازه من محيطه ونقززه من خدمة دولته حتى كان يدعو ان يلطف الله بمن ابتلي بذلك وان يخلصه خلاصًا جميلاً · وكيف لا تدفعه حميته الى القول وقد استولى العدو في ايامه على معظم قواعد الاندلس مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية ولسان الدين يستصرخ وزعماء السلطة في لهوهم وغرورهم مسترسلون · ولئن خاطبهم « دون الجهر من القول لمكان التقية » فما نجا ممن يرميه بالزندقة

ايضاً في كتابه هذا لان لسان الدين املاه بلسان الانصاف والانطلاق فعزّ على نظرائه خروجه عن مألوف العادة في ذكر تراجم الناس حتى يُخيل اليك انهم كلهم كأسنان المشط في الاستواء ·

نقرأ الترجمة في الاحاطة وهو في تراجم الرجال الذين نشأوا فيها او مروا بها وبعبارة اخرى هو تاريخ الاندلس ورجالها فيتجلى لك المترجم به كأنك تراه وما اظن ان كتاب التراجم من الافرنج اليوم باقدر على وصف رجالهم من صاحبنا لسان الدين ولا عجب فهو اوروبيّ ايضاً غذي بتلك التربة المسكية والهواء الصافي والماء العذب وللبقاع تأثير في الطباع وما المرء الا نسخة ثانية من محيطه وبيته ·

ولم يقصر المؤلف كتابه على ذكر الملوك والرؤساء والفقهاء واهل الطرق كما هي عادة معظم المؤرخين بل ذكر كثيراً ممن غلبت عليهم المعارف الدنيوية مثل ابي القاسم اصبغ بن محمد (٤٢٦) احد مفاخر الاندلس قال وكان محققاً لعلم العدد والهندسة مقدماً في علم الهيئة والفلك والنجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وذكر تآليفه على عادته في اثبات حسنات المترجمين وسيئاتهم · ومثل ابي علي الصلعال حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) وكان فقيهاً اماماً في علم الحساب والهيئة اخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاظلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مع التزام السنة والوقوف عند حدّ العلماء في ذلك مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجعة وقته · ومثل ابي جعفر احمد بن حسن بن باصة السلمي الموقت بالمسجد الاعظم بغرناطة قال وكان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر والخبرة (؟) جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع بلغ في ذلك درجة عالية ونال غاية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات (١) والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في اثمانها اخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن · ومثل ابي العباس احمد ابن مفرج الاموي النباتي المشهور (٦٣٨) ومن ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدهم اكثر المؤرخين في صنف العلماء ·

وذكر شهيرات النساء في عصره مثل نزهون بنت القلاعي وام الحسن بنت القاضي

---

(١) في التاج : وفي حديث جابر فوضعته على حمارة من جريد هي ثلاثة اعواد يشد بعض اطرافها الى بعض ويخالف بين ارجلها تعلق عليها الاداوة ليبرد الماء وتسمى بالفارسية سهباي والحمائر ثلاث خشبات يوثقن ويجعل عليهن الوطب لئلا يقرضه الحرقوص واحدتها حمارة

وفقت شركة طبع الكتب العربية بمصر الى نشر الجزئين الاولين من هذا الكتاب واوقفت طبع الثالث لكثرة التحريف الذي وجدته فيه بحيث يتعذر على القاريء كشف وجه الحقيقة منه . ولئن وقع في هذين الجزئين اغلاط وتحريفات التبس بها الحق بالباطل وكانت العناية تقضي استثبات صحتها وارجاعها الى نصابها لو امكن فان هذا التهاون يغتفر في جانب تلك الذخيرة التي نبشوها ونشروها وهي ولا جرم من بعض ما يعمر به بناء الشعر والنثر ولسان الدين حجة فيهما قاطعة .

وان لنا ريبة في كون هاته المجلدات الثلاث هي كل ما كتبه المؤلف في رجال عاصمته وعبارة صاحب نفح الطيب تساعد على هذا الشك . قال : ان كتاب الاحاطة هو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة اشد اعجاباً به من المغاربة واكثر لهجًا بذكره مع قلته في هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكي وسماه مركز الاحاطة في ادباء غرناطة وهو في مجلدين سنة ٧٩٣ وقد جعل كل اربعة اجزاء من الاصل في مجلد اذ هو في مجلدين ونسخة الاصل في ثمان مجلدات . وقف سلطان الاندلس نسخة منه على بعض مدارس غرناطة وكانت في اثني عشر سفرًا متقنة الخط والعمل وكان لسان الدين ارسل في حياته نسخة من الاحاطة الى مصر وقفها على اهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء قال المقري وقد رأيت المجلد الرابع منها وكان في ثمانية اجزاء ورأيت بظهر اول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء وعلمت ان المكتوب في الوقفية ثمان مجلدات لا اثني عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر اه

قلت وهذه العبارة كتبت بعد الالف . وكيفما كانت حال الكتاب كبرًا وصغرًا فقد أُخرج الى عالم المطبوعات نموذجات من نثر لسان الدين وشعره ونثر جماعة من اصحابه وشعرهم . ابتدأ الجزء الاول بوصف جغرافية الاندلس الطبيعية والسياسية ولا سيما عاصمتها بحيث يتراءى لك متى قرأته ان الكاتب عصري نشأ في حجر حضارة هذا القرن

للسان الدين نمط خاص به في الانشاء وتعبيرات لا تجدها لغيره من كتاب المغرب والمشرق تتمثل في كلامه روحًا عالية ولفظًا شفافًا ومعنى جزلاً . وما كان نسقه ليرضي كل الرضى لولم يكن يغوص على بدائع المعاني التي يمليها عليه اشمئزازه من محيطه وتقززه من خدمة دولته حتى كان يدعو ان يلطف الله بمن ابتلي بذلك وان يخلصه خلاصًا جميلاً . وكيف لا تدفعه حميته الى القول وقد استولى العدو في ايامه على معظم قواعد الاندلس مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية ولسان الدين يستصرخ وزعماء السلطة في لهوهم وغرورهم مسترسلون . ولئن خاطبهم « دون الجهر من القول لمكان التقية » فما نجا ممن يرميه بالزندقة

ايضاً في كتابه هذا لان لسان الدين املاه بلسان الانصاف والانطلاق فعزَّ على نظرائه خروجه عن مألوف العادة في ذكر تراجم الناس حتى يُخيل اليك انهم كلهم كأَسنان المشط في الاستواء ·

نقرأُ الترجمة في الاحاطة وهو في تراجم الرجال الذين نشأُوا فيها او مروا بها وبعبارة اخرى هو تاريخ الاندلس ورجالها فيتجلى لك المترجم به كأَنك تراه وما اظن ان كتاب التراجم من الافرنج اليوم باقدر على وصف رجالهم من صاحبنا لسان الدين ولا عجب فهو اوروبي ايضاً غذي بتلك التربة المسكية والهواء الصافي والماء العذب وللبقاع تأثير في الطباع وما المرء الا نسخة ثانية من محيطه وبيته ·

ولم يقصر المؤَلف كتابه على ذكر الملوك والرؤَساء والفقهاء واهل الطرق كما هي عادة معظم المؤَرخين بل ذكر كثيراً ممن غلبت عليهم المعارف الدنيوية مثل ابي القاسم اصبغ بن محمد (٤٢٦) احد مفاخر الاندلس قال وكان محققاً لعلم العدد والهندسة مقدماً في علم الهيئة والفلك والنجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وذكر تآليفه على عادته في اثبات حسنات المترجمين وسيئاتهم · ومثل ابي علي الصعلعل حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) وكان فقيهاً اماماً في علم الحساب والهيئة اخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاظلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مع التزام السنة والوقوف عند حدّ العلماء في ذلك مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجعة وقته · ومثل ابي جعفر احمد بن حسن بن باصة السلمي الموقت بالمسجد الاعظم بغرناطة قال وكان نسيج وحده وفريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر والخبرة (؟) جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع بلغ في ذلك درجة عالية ونال غاية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات (١) والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في اثمانها اخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن · ومثل ابي العباس احمد ابن مفرج الاموي النباتي المشهور (٦٣٨) ومن ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدهم اكثر المؤَرخين في صنف العلماء ·

وذكر شهيرات النساء في عصره مثل نزهون بنت القلاعي وام الحسن بنت القاضي

(١) في التاج : وفي حديث جابر فوضعته على حمارة من جريد هي ثلاثة اعواد يشد بعض اطرافها الى بعض ويخالف بين ارجلها تعلق عليها الاداوة ليبرد الماء وتسمى بالفارسية سهباي والحمائر ثلاث خشبات يوثقن ويجعل عليهن الوطب لئلا يقرضه الحرقوص واحدتها حمارة

ابي جعفر الطنجالي وحمدة بنت زياد المكتبي وحفصة بنت الركوني وغيرهن من الادبيات وتجوز في ايراد بعض مجالسهن مع ادباء الاندلس وما كان في ذلك بأس في عصره . والكلام على الجزء الثاني لا يخرج عن حد الكلام على الجزء الاول وان كان في الثاني تطويل في بعض التراجم كاطالته في ترجمة ابي عبدالله محمد القرشي التلمساني فانه كتب تسعاً وعشرين صفحة بين شيوخه ونثره ونظمه ونكته مما اخرجه عن الصدد وكذلك ترجمة ابن زمرك احد اعيان ادباء الاندلس كتب فيه عشرين صفحة وقيل ان ابن زمرك كان يعد من جملة الساعين بنكبة ابن الخطيب . وقد يحمل المؤلف الحنق فيطلق عنان القلم في ترجمة الكبراء ايضاً كما وصف اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر السلطان الذي احتال على اخيه المتوثب على ملكه ومثل ما ترجم به محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج بن اسماعيل ابن نصر الرئيس المتوثب على الملك وعلى كرسي الامارة ووزراء دولته وكاتب سره وشيخ الغزاة على عهده . وقد عثرت فيه على الفاظ ما كان يخيل لي ان الاندلسيين سبقونا الى استعماله مثل طومارة للبطاقة وفي القاموس الطامور والطومار الصحيفة ج طوامير . ولفظة الممطر لما يعرفه الفرنسيس بالباردسو ذاك الرداء الطويل . واستعمل لفظة عائلة التي انكرها احد علماء اللغة المعاصرين فقال في ترجمة احدهم : عظيم الهشة مبذول البشر عظيم المشاركة قديم العائلة . ووردت لفظة يخت في الشعر الاندلسي وكنا نظنها من قبل انكليزية ففي قصيدة لمحمد بن جزي الكلبي

نعم لست ارضى عن زماني اواري مكاناً به السفن المواخر واليخت

الزجل وتاريخ الدول

للسان الدين بن الخطيب كتاب سماه رقم الحلل في نظم الدول طبع في تونس نظم فيه ملوك المسلمين من لدن صاحب الرسالة « ص » الى القرن الثامن كل دولة على حدتها نظماً رائعاً ليس فيه للتكلف شائبة وعلق على كل دولة شرحاً لطيفاً ضمنه ماساعد عليه الاختصار من اخبار الملوك واحوال امهم ووزرائهم . وفي هذا المختصر من الحقائق مالا يكاد يوجد الا في المطولات وخصوصاً في اخبار دول المغرب كبني الاغلب وملوك الشيعة من العبيديين بافريقية ومصر وبني امية بالاندلس وملوك الطوائف فيها ودولة المرابطين من لمتونة اهل اللثام والموحدين ودولة بني ابي حفص بافريقية وبني زيان بتلمسان وبني مرين وبني نصر وهاك نموذجاً منه في وصف ملك المأمون

وهو المليك العالم الحليم ساعده السعد بما يروم
من بعد ما كابد امر عمه وفرّج الله له من غمه

فقرّ بالمأمون ملك الامة ۞ بعد اضطراب دائم وغمه
واشرق السعد على الخلافة ۞ وانسدل الامن بلا مخافة
وكان حبرًا عالمًا حكيماً ۞ عدلاً تقيًا حازمًا حليماً
وثار ابراهيم نجل المهدي ۞ وناله قسرًا بغير عهد
فآثر العفو واغضى عن دمه ۞ منقبة شاهدة بكرمه
ومات في غزواته المعلومة ۞ كانت بها اعماله مختومة

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

هي رسالة طبعت حديثًا في فاس بمطبعة الدكتور احمد يمني افندي لمؤلفها لسان الدين ابن الخطيب جاءت في ٥٤ صفحة في اجمل حرف واجود ورق ولم تنقصها الا العناية بالتصحيح . وصف فيها المؤلف على طريقة السجع المنمق معظم بلاد المغرب والاندلس وصف منقيد بالسجع على طريقة السؤال والجواب فذكر جبل الفتح واسطبونة ومربلة وسهيل ومالقة وبلش وغمارش والمنقب وشلوبانة وبرجة ودلاية والمرية وبطرنش وبيرة ومحاقر وقتورية وبرشانة واوربة وبلش وبسطة واشكر واندرش وشبالش ومدينة وادي آش وفنيانة والحمة وصالحة وانيرة ومنتفريد ولوشة وارجلانة وانتقيرة ودكوان وقرطمة ورندة وسبتة وطنجة وقصر كتامة واصيلا وسلا وآنفا وآزمور وتيط ورباط اسفي ومرّاكش واغماة ومكناسة وفاسًا ومدينة الملك وامرسلوين وسجلماسة وتازا وغساسة

فما قاله في وصف فاس : هي الحشر الاول والقطب الذي عليه المعول والكتاب الذي لا يتأوّل بل المدارك والمدارس والمشايخ والفهارس وديوان الراجل والفارس والباب الجامع من موطا المرافق ولواء الملك الخافق وتنور الماء الدافق ومحشر المؤمن والمنافق وسوق الكاسد والنافق حيث البنى التي نظر اليها عطارد فاستجفاها وخاف عليها الوجود ان يصيبها بعينه الحسود فسترها بالغور واخفاها والاسواق التي ثمرات كل شيء اليها قد جبيت والموارد التي اختصت وحبيت والمنازه المخطوبة وصفاح الخلج المشطوبة والغدر التي منها ابوطوبه

بلد اعارته الحمامة طوقها ۞ وكساها ريش جناحها الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة ۞ وكأن ساحات الديار كؤوس

اجتمع بها ما اولده سام وحام . وعظم الالتئام والالتحام . فلا يعدم في مساكنها زحام فاحجارها طاحنة . ومخابزها شاحنة . والسنتها باللغات المختلفة لاحنة . ومكاتبها هائجة ورحابها متهائجة واوقافها جارية والهمم فيها الى الحسنات واضدادها متبارية .

وقال في آنفا وهي التي سماها البرتغاليون في القرن السادس عشر الدار البيضاء : جون

الحط والاقلاع ومجلب السلاع تهوي اليها السفن شارعة وتبتدرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الابريز وتراوح برها وتغاديه بالتبريز

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـب وتغشى منازل الكرماء

وخارجها يفضل كل خارج . وقانصها يجمع بين طائر ودارج . وفواكهها طيبة . وامطار عصيرها صيبة . وكيلها وافر . وسعرها عن وجه الرخاء سافر . وحبرتها لا تنقطع لها خف ولا حافر . لكن هواؤها وماؤها عديما الصحة . والعرب عليها في الفتن ملحة . والامراض بها تعيث وتعبث . والحزين بها لا يلبث

صفوة العرفان في تفسير القرآن

اهدانا محمد فريد افندي وجدي صاحب مجلة الحياة نسخة من مقدمة تفسيره هذا التي فيها على موجز من فلسفة الاديان وادوار الانسان في الاستسلام للعقيدة او التردد فيها وعلاقة ذلك بالجهل والعلم والحضارة والبداوة وذكر فصولاً في الوحي والنبوات وخوارق العادات والشؤون الروحية وتاريخ القرآن من حيث وحيه وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وتعدد قراآته كل ذلك بعبارة سهلة تدل على فضل المؤلف وقد استشهد بآراء علماء المشرقيات في الكتاب العزيز واهل الاسلام فزادت بذلك فائدة هذه المقدمة التي وقعت في ١٨١ صفحة كبيرة فنهنئه على نشاطه الذي يرينا كل حين اثراً من آثاره . ومما عربه عن المسيو جول لابوم في مقدمة فهرسته الذي جمع فيه الآيات المتشابهات قوله في حالة العالم قبل البعثة النبوية : « كان جو العالم في حوالى ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرن السادس الميلادي متلبداً بغيوم الاضطرابات والفتن فكان شعب الوزيزيغو آلاريون في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصادقون الملك كلوفيس واولاده الكاثوليكيين فكانوا من اجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو جوتسنيانس ثم اضطروا الى الدخول معه في حرب جديدة تخلصاً من سلطة القواد الذين جاؤوهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين لا ولاء المساعدين المحامين

« اما في فرنسا نفسها فكان اولاد كلوفيس هذا متغادرين متقاتلين وكانت الحروب التي شبت نيرانها بين الملكة الوزيغوتية برونهو والملكة الفرنكية فيربديجوند تهيء للتاريخ اشد الصحائف اثارة للاسى والكمد . وكان الانجلو في انكلترا ينازعون السكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية كيمريس وهم اقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة وهي التي كانت في ذلك الوقت مجالاً للقوة الوحشية السائدة في تلك الغياهب الحالكة .

« اما في ايطاليا فكان اسم الرومان وهو ذلك الاسم الشامخ قد فقد موقعه القديم وكانت رومية وهي الشظية الاخيرة او رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تململها من استحالة امرها الى مركز ديني بسيط ترتج وتضطرب كلما المّ بها طائف من ذكرى عظمتها القديمة ايام كانت مركزًا دينيًا اصليًا فكانت تهيئ نفسها لان تكون مركز البابوية وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة شارلمان ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان ولكنها مع ذلك لم يسعها حمل نير الهيروليين والاستروغوتيين وامبراطرة المملكة الرومانية واللومبارديين الذين تداولوا السلطة عليها تداولاً

« اما مملكة اليونان التي كانت قد نسيت مجدها القديم فكانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء . وكان شرق اوروبا مقلقًا جنوبها من اول مصب نهر الرون من جهة الغرب الى مصب نهر الطونة « الدانوب » من جهة الشرق فكان الاسكندينافيون والنروجيون والدانيماركيون يتزاحمون في الطريق الذي كان سلكه الغوط والهونيون الذين احتلوا تراسيا ومكدونية ولمبارديا وايطاليا بالقوّة او بالخديعة . في ذلك الوقت بدأ ظهور الاتراك من اعماق آسيا الصغرى وهي تلك الامة التي قصرت فيما بعد مملكة اليونان على اسوار القسطنطينية

« التصوير البديع الذي جادت به قريحة المسيو رينان لبيان مركز الامبراطورية الرومانية في القرن الاول من التاريخ المسيحي لا علاقة له البتة بالتصوير الممكن عمله لتجلية حال اوروبا في القرن السادس : تلك كانت مفاسد قيصرية مختمرة اما هذه فوحشية حربية تلعب بالارواح وتتمرغ في الاوحال .

« اما آسيا فلم تكن اهدأ بالاً من اوروبا في شيء : فمملكة التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة في اوروبا الآن قرائحها وافكارها العامة ولغاتها . والصين التي تعد مسألتها اغرب المسائل السياسية والفلسفية وبالجملة اغرب المسائل الاجتماعية كانت كلها ممزقة الاحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية

« اما السفح الشمالي من الهضبة الآسياوية العالية التي هي في حوزة روسيا الآن فكانت غير معروفة على الاطلاق واما مملكة الفرس التي كانت احوالها مرتبطة باحوال الغرب خصوصًا من لدن حملة الاسكندر المكدوني فكانت مشتبكة في حرب مع اليونان الرومانيين في القسطنطينية الذين كانوا اصحاب السلطة على آسيا الغربية . واما في افريقية فكان هؤلاء اليونان الرومانيون انفسهم وهم اخلاط من عساكر وتجار وحكام مجموعون من آفاق مختلفة -- دائبين على امتصاص دم القطر المصري وعاملين على جعل مصر العلمية ذات

المجد القديم كالجثة المصبرة لا حركة فيها ولا حس وكان هذا شأنهم في الاقاليم الخصبة يومئذ في الجهات الشمالية من افريقية التي انتزعوها من ايدي الفنداليين »

كتاب الحيوان

لا مجال هنا للكلام على هذا الكتاب الجليل الذي احياه بالطبع محمد افندي الساسي المغربي كما احيا كثيراً من كتب مؤلفه الجاحظ والمدونة للامام مالك وغير ذلك بعد ان تكلمنا في المجلد الاول في فضل الجاحظ ومزية كتبه بما لا نرى الآن في اعادته كبير امر اما الآن فنزف البشرى الى عشاق العلم والادب ان قد تم الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الحيوان و به تم هذا السفر البديع الذي لم ينسج كاتب على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فتمت بذلك فائدة جعبة علم وادب بل خزانة كلها منافع حيثما قلبت طرفك منها تسقط على ما تقرّ به عينك وتشرح به صدرك وتحلي به عقلك وها نحن اولاء ننقل هنا للتسلية فائدة نأخذها بالعرض من ألوف الفوائد في اسماء لعب الأعراب قال الجاحظ : النقيرا وعظيم وضاح والخطوة والدارة والشحمة ولعبة الضب فالنقيرا ان يجمع بديه على التراب في الارض الى اسفله ثم يقول لصاحبه اشته في نفسك فيصيب و يخطيء . وعظيم وضاح ان تأخذ بالليل عظماً ابيض ثم يرمي به واحد من الفريقين فان وجده واحد من الفريقين ركب اصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه الى الموضع الذي رموا به . والخطوة ان يعمدوا مخراقاً ثم يرمي واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر فان عجزوا عن اخذه رموا به اليهم فان اخذوه ركبوهم . والدارة هي التي يقال لها الخراج . والشحمة ان يمضي واحد من احد الفريقين بغلام فينحون ناحية ثم يقبلون و يستقبلهم الآخرون فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام اليهم وان هم لم يمنعوه ركبوهم وهذا يكون كله في ليالي الصيف عن غب ربيع مخصب . ولعبة الضب ان يصوروا الضب في الارض ثم يحوّل واحد من الفريقين وجهه ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب فيقول الذي يحول وجهه انف الضب او عين الضب اوذنب الضب او كذا وكذا من الضب على الولاء فان اخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب اصحابه وان اصاب حوّل وجهه الذي كان وضع يده على الضب ثم يصير هو السائل .

تقرير اللورد كرومر

صدرت الترجمة العربية من تقرير معتمد انكلترا في هذا القطر سابقاً عن الحالة المالية والادارة والحالة العامة في مصر وفي السودان سنة ١٩٠٦ مترجماً في ادارة المقطم ومطبوعاً

في مطبعته وهذا آخر تقرير للورد كرومر ضمنه حقائق كثيرة عن مصر والسودان وتكلم فيه كلام السياسي والاجتماعي الذي يخدم امته بالذات وغيرها بالعرض وجاء في ٢٤٨ من قطع الثمن وبحرف كهذا الحرف . وقد سبق لنا نشر شيء منه عن حالة المعارف عند صدور النسخة الافرنسية منذ بضعة اشهر وتقارير العميد السالف من خير الكتب الاجتماعية والاقتصادية في حياة مصر فهي حرية بان لا تخلو منها مكتبة

نخب لغوركي

سليم افندي قبعين ممن اتقنوا اللغة الروسية وترجم بعض كتب لمشاهير كتابها منها كتاب حقوق المرأة في الاسلام وانجيل تولستوي ومذهب تولستوي وقد ترجم مقالات لمكسيم غوركي الكاتب الشاعر الاشتراكي الذي كان له اثر مهم في نهضة روسيا الاخيرة فاستفدنا منه الوقوف على اسلوب هذا الكاتب الذي رفعت امته قدره ورفع هو قدرها ومن لنا بعشرة ينقلون للعربية من الروسية والالمانية والايطالية ما يغنيها فان من اعظم النقص في النهضة العلمية المصرية الحديثة ان لا يكون فيها تراجمة ينقلون الينا ما تمس اليه الحاجة من آداب تلك الامم واخلاقهم وآثار علمهم لان ما يترامى الينا عن طريق الفرنسيس والانكليز لا يساوي ما نأخذه عن تلك الامم نفسها.

تهذيب الشبيبة السورية

اخذنا التقرير السنوي الرابع لهذه الجمعية النبيلة المقصد وفيه خلاصة اعمالها من اول تموز سنة ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ فكان مجموع دخلها ١٩٧٥٣ غرشاً ومجموع ما انفقته ٨٠٣٥ غرشاً انفقته على شبان لا يستطيعون ان يتعلموا لضيق ذات يدهم وما زالت تنفق على بعض نابتة الذكاء . والقائمون بهذا العمل فئة من افاضل المتخرجين من المدرسة الكلية الاميركية جزاهم الله خيراً .

حديث البلبل

هي محاورة ادبية خيالية وكلمات وعظية لمحمود افندي رمزي وقعت في ٤٨ صفحة صغيرة .

الابيض والاسود

هي احدى روايات فيكتور هوغو عربها لمسامرات الشعب نقولا افندي رزق الله بسلاسة تعريبه ونقله فنشرتها تتمة لسنتها الثالثة وقد اعلنت ادارة هذه المجلة القصصية الفريدة في بابها بانها ستصدر في سنتها الرابعة في ٢٤٤ صفحة صغيرة مرتين في الشهر اي في ٢٨٨٠

صفحة في السنة وقد حسنت ورقها وطبعها وزادت قيمة اشتراكها الى خمسين قرشاً وهي همة تذكر لصاحبها خليل بك صادق الذي عرف ذوق الجمهور وخدمه بهذه الروايات الادبية وقد صدّر المعرب روايته بثلاث قصائد في وصف هوغو الاولى لاحمد بك شوقي والثانية لحافظ افندي ابراهيم والثالثة من نظمه وقد جاء في الاولى :

ثأر الملوك وظل عند ابائه يرجو ويؤمل عفوه المثئور
واعار «وترلو» جلال يراعه فجلال ذاك السيف عنه قصير
ياايها البحر الذي غمر الثرى ومن الثرى حفر له وقبور
انت الحقيقة ان تحجب شخصها فلها على مر الزمان ظهور
ارفع حداد العالمين وعد لهم كيما يعيد بائس وفقير
وانظر الى البؤساء نظرة راحم قد كان يسعد جمعهم ويجير
الحال باقية كما صوَّرتها من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنعمى على حاليهما والحظ يعدل تارة ويجور
ومن القوي على الضعيف مسيطر ومن الغني على الفقير امير
والنفس عاكفة على شهواتها تأوي الى احقادها وتثور
والعيش آمال تجد وتنقضي والموت اصدق والحياة غرور

ومما جاء في الثانية :

عاف في منفاه ان يدنو به عفو ذاك العاهل المغتصب
بشروه بالتداني ونسوا انه ذاك العصامي الابي
كتب المنفي سطرًا للذي جاءه بالعفو فاقرأ واعجب
ابريء عنه يعفو مذنب كيف تسدي العفو كف المذنب
جاء والاحلام في اصفادها ما لها في سجنها من مذهب
طبع الظلم على اقفالها بلظاه خاتماً من ذهب
وانبرى يصدع من اغلالها باليراع الحر لا بالقضب
هاله ان لا يراها مرة تمتطي في البحث متن الكوكب
ساءه ان لا يرى في قومه سيرة الاسلام في عهد النبي

***

قلت عن نفسك قولاً محكماً لم تشبه شائبات الكذب
انا كالمنجم تبر وثرى فاطرحوا تبري وصونوا ذهبي

وجاء في الثالثة :

الا هل اتى اقوامنا ان دولة — تدول اذا ما شاعر قام منشدا
اغار على رب السرير بشعره — وضعضع ملكاً ظنه الناس سرمدا
وكانت قوافيه جيوشاً تزوَّدت — حياة وموتاً للاحبة والعدى
تولى بريد الدهر للناس نقلها — وانشدها في الخافقين مرددا
ولم يبق في ارض الفرنسيس غير من — يقر له بالفضل او يحفظ اليدا
فعاد الى اوطانه غير ناقم — على غربة اولته ذكراً مؤبدا
واعلاء اقدار الرجال وخفضها — اضل واشقى الشرق والغرب اسعدا

الانتقام

قصة بقلم ناصيف افندي نقولاوس والغالب انها مترجمة وان لم يذكر صاحبها ذلك . وهي في ١٩٢ صفحة متوسطة وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة الشعب

سير العلم

حقيقة السجون

كتب السيد هاملتون من رجال ادارة سجن مقاطعة مشيغان في الولايات المتحدة فصلا في « مجلة العالم الكبيرة » وصف فيه هذا السجن الذي هو مثال السجون الحقيقية التي يراد منها ان يجد الناس فيها ما يسيرون معه بعد مغادرتهم اياها على محور الاستقامة ويتركون ما الفوه مما يخالف ارتكابه القانون ويهدد اركان النظام والسلام ويجعلهم اعضاء اشلاء في جسم الامة قال : يقيم بين جدران هذا السجن سبعمائة نفس من اسواء سكان المقاطعة خلالاً وهم مع هذا يعاملون على الجملة بشفقة ولهم في سجنهم الحرية التامة . وبما انهم يعودون الاخلاق الكريمة فمن الممكن ان يبلغوا ويسموا بنفوسهم الى مراتب الامانة والاستقامة . ولا يسمح بجلد المذنبين في هذا السجن ويؤذن لهم بعد ظهر كل سبت بالتنزه احراراً مدة ساعة في ارض خضراء كثيرة الكلاء واذ كان هذا الامتياز الذي يناله المجرمون عرضة للالغاء ان نشأ عنه سوء فالمسجونون انفسهم يبالغون في الاحتراس من وقوع ما يؤخذ عليهم وعلى هذا فليس في السجن اكثر من ثلاثين حارساً وجميعهم لا يحملون بايديهم غير العصي فقط

ولا يسمح لهم بحمل اسلحة نارية داخل الحبس وتعرف المسجونين بسيماهم والبستهم فمن كان حسن الخلال يلبس رداءً ازرق ومن لم يزل تحت التدريب على ذلك يلبس كسوة رمادية غير ان اولئك المذنبين الذين لم يصلحوا لقبول ذلك وقد جردوا من جميع الامتيازات التي ينالها الآخرون فهم يلبسون اردية خاصة بهم مخططة · ويبقى السجين محبوساً ولا يطلق من سجنه حتى تصبح اخلاقه شفيعة بنيله ذلك · ويشترط قبل مبارحته السجن ان يتعرف الى احد يتكفل بان يبحث له عن عمل يحترف به ويراقبه ويسوغ للسجناء ان يتكلموا في السجن في خلال عملهم ولايجوز ذلك وقت تناولهم الطعام وعند ما يسيرون صفوفاً · ويسوغ لهم بعد ان يتموا ما يفرضه عليهم نظام السجن من الاعمال ان يعملوا ما شاؤوا وما يربحونه من عملهم يكون لهم · هذا ويجيزون لهم ان يضعوا في غرفهم آلات الطرب وتأتي في الغالب جمعيات التمثيل التي تزور المدينة الى السجن فتمثل القصص على المسرح اللطيف الصغير الذي بناه المجرمون فيه · وهذه المعاملة بالشفقة والرحمة هي الوسيلة الوحيدة التي تتبع في هذا السجن من زمن قديم · ولقد شوهد ان التهذيب بالعنف والرهبة مهما سهل امره فهو مضر للغاية ومميت الشعور من يعنى بتأديبه وتهذيبه ·

انقراض الطيور

ينقرض في الغالب كل سنة نوع او عدة انواع من الحيوانات والطيور وهذا الانقراض آخذ في الزيادة والاسراع · وقد قال السيد ادورد فيفان من مقال نشر في (جريدة شامبر) الانكليزية انه كان في جزيرة سانت توماس من جزر الهند الغربية اربعة عشر نوعاً من انواع الطيور منذ قرن فانقرض الى الآن منها ثمانية انواع ومكث في افريقية الغاغة Quagga حتى سنة ١٨٦٥ ثم انقرض وانقرضت معه عدة انواع من طيور اخرى · وبادت من جزائر المحيط الهندي عدة انواع من طيور ثمينة القدر وقد انقرض الدودو Dodo في القرن السابع عشر وغاب عن الانظار الجاموس الاميركاني تقريباً من اميركا الشمالية ·

فظائع الحروب

انشأ السيد كارل شوروز مقالاً بليغاً في احدى المجلات الانكليزية تكلم فيه عن وقعة جتسبرج وقد رأينا ان ننشر شيئاً مما كتبه في وصف ما يراه الناظر بميدان القتال في اليوم الثاني لحدوث احدى الوقائع قال : لا اقبح ولا ابشع من النظر الى جثث القتلى في ساحة الحرب وقد لبثوا يوماً او اكثر قبل ان يذوقوا حتفهم عرضةً لاشعة الشمس المحرقة والهواء الحار · وقد تنكرت سحنتهم فانتفخت وجوههم وانصبغت بالسواد وبرزت اعينهم وصارت

ثابتة في مكانها لا تتحرك وتبدلت هيئتهم حتى بعدوا عن ان يميزوا و يعرفوا وقد انفرد بعضهم وبقي غيرهم مرتبين صفوفًا ووقع آخرون بعضهم على بعض فكانوا اكوامًا . وبدت على آخرين هيئة من يريد الراحة بالصلح وقد رفعت ايدي فريق منهم . وظهر آخرون في صورة الجلوس . واخذ نفر يركعون . وبقي بعضهم ينبش الارض باظفاره . وقد تشوه كثيرون تشوهًا منكرًا بينما كانت الحرب شديدة الوطيس وملك المنون يرفرف فوق الرؤوس .

امتلأت الديار ومحابس الحيوانات والمزارع بالانين ووضعت النضائد في فضاء الارض ومكث الجراحون واكامهم مرفوعة الى مرافقهم . وسواعدهم المكشوفة «وكذلك وزراتهم» الكتانية مخضبة بالدماء وهم — الا قليلاً منهم — قابضون على اسلحتهم باسنانهم بينما يكونون مهتمين بمداواة جريح راقد فوق المنضدة او على مكان آخر او تكون ايديهم مشتغلة بعمل وهناك من خلفهم برك الدماء و بجانبها اكوام من السواعد والارجل المقطوعة مما يزيد ارتفاعه في بعض الاحايين عن قامة الانسان !

الجريح راقد على المنضدة وهو غالبًا يصيح مما يقاسيه من الالم فيخف اليه الجراح و يفحص بسرعة جرحه ثم يشرع في بتر العضو الذى يؤذيه و يشير الى الخدم بالاستعداد لاحضار آخر . فيخرج سلاحه من « بين اسنانه » التي كان قابضًا عليه بها حين كانت يداه مشغولة و يمسحه بخفة مرة او مرتين في « وزرته » الملطخة بالدم ثم يبدأ بالبتر . فاذا انتهى من عمله نظر الى خلفه وتنهد تنهدًا كثيرًا صادرًا من اعماق فؤاده ثم نادى : « غيره ! » . . . .

و يلفت نظرك ان ترى الجراح — وقد مضى عليه زمن طويل وهو يشتغل — نازعًا سلاحه من يده قائلاً والدموع الغزيرة تنهمل من عينيه انه لم يعمل عمله بثبات فان ما يشاهده تعجز عن رؤيته طاقة البشر . وترى كثيرين ممن جرحوا من المجاهدين يتحملون آلامهم وهم سكوت بجلد وسكون وجبنهم متجعدة واعينهم دامية . ثم يصل الى اذنيك صدى انين من فؤاد كليم واصوات من الالم منكرة تشق الفضاء وصريخ يائس قانط يقول : « ايها اللورد ! » . . « ايها اللورد ! » او « دعني اموت » . ثم تسمع اصواتًا ضئيلة تردد وتقول : « امي . . . ! » او « ابي . . . ! » او « وطني . . . ! »

رعاية الاطفال

اسس السيد جرانشر عام ١٩٠٣ بباريز جمعية دعاها « جمعية وقاية الاطفال من داء السل » والعمل الذي تقوم به هذه الجمعية هو انها تبحث عن الاطفال المصابين بهذا الداء ثم تأخذهم وترسل بهم الى المزارع وهناك يعيشون في الهواء الطلق مع اسرات الفلاحين يعودهم جماعة من الاطباء تنتخبهم الجمعية

وقد انشئت مدرستان بفرنسا خارج المدن حيث يكون الهواء خالصاً نقياً فيدرس فيها التلاميذ المرضى ممن لا يوافقهم هواء المدن وهناك يعالجهم الاطباء . والآن يعملون في انشاء مثل هذه المدارس في المانيا حيث رأى الدكتور بندكس انشاء مدارس الغابات واول مدرسة منها فتحت ابوابها سنة ١٩٠٤ وكانت نتيجتها مرضية . ويتعلم في هذه المدرسة التلاميذ الرقيقو المزاج المصابون بالسل . ونظامها ان يذهب اليها التلاميذ كل يوم صباحاً في الساعة السابعة ونصف تقريباً مشاة على اقدامهم اوفي المركبات الكهربائية فاذا بلغوها تناولوا في الحال حساء سخيناً وقطعة من الخبز . وبعد ان يدرسوا الدرس الاول يتناولون قدحاً من اللبن وشيئاً من الخبز ايضاً . اما طعام الغذاء فيتألف من اللحم والبقول والبطاطا . وهم كذلك يتناولون عند الساعة الرابعة بعد الظهيرة لبناً وخبزاً . اما اجرة التعليم فالاغنياء ملزمون بدفعها عن اولادهم . وابناء الفقراء تدفع (البلدية) نفقاتهم . هذا وقد شيدت ملاجيء صحية كثيرة لاغلب البلاد الالمانية في الغابات يقضي فيها نهارهم من تمكنت منهم العلل والامراض

الطعام الصحي

كتبت السيدة ك . ايرل في العدد الاخير من مجلة (الشرق والغرب) الانكليزية مقالة صحية موضوعها (الطعام الصحي) صرحت بانها تذكر فيها ما يحصل به الانسان على القوّة والصحة قالت :

احدث اكتشاف هارفي لدورة الدم انقلاباً عظيماً في العلوم الطبية واني اعتقد انه سيأتي يوم لا ينكر احدٌ فيه النظرية الطبية الجديدة وهي ان كثرة وجود الحامض البولي في الجسد يسبب الضعف وهذه الحال سواء في كل مناخ وهواء . واري ان الطعام الذي يخرج الحوامض البولية من الانسجة والعضلات والمفاصل يسهل شفاء المصابين بداء النقرس او المفاصل او المصابين بآلام عصبية .

ويكفي ان يتناول الانسان الطعام في اليوم ثلاث مرات . وخير لمن يحب ان يغير دائماً الاطعمة التي يتناولها ساعات الاكل ان يسير على النظام الآتي : —

اولاً		الشاي والقهوة وحساء اللحم تبدل بانواع اللبن والحليب والماء وحساء مع اللبن
ثانياً	طعام الصباح : —	اللحم والبيض والسمك تبدل بالثريد والخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق ونحو ١٠٠ او ١٣٣⅓ درهم لبن وشيء من البندق

ثالثًا	ما يتناول بين طعام الصباح وطعام الظهيرة : —	السمك واللحم بيدلان بالخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب (طعام يتكوّن من البيض والدقيق واللبن وغيرها) ومائة درهم من اللبن واوقية انجليزية من الجبن
رابعًا	طعام الظهيرة : —	السمك واللحم بيدلان بالخبز المقدد والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب وصفحة من الجبن ومائة درهم من اللبن

قالت الكاتبة : ومن اهم البواعث التي تسبب القابلية للا كل ان يكون الانسان تعبانًا او يكون قد عمل شيئًا نشط به جسمه .

ا ٠ ز ١٠

الهجرة الطليانيه

كتب احدهم في مجلة المسائل الدولية الاستعمارية الفرنسوية مقالاً في هجرة الطليان جاء فيه انها تزيد سنة عن سنة ويؤخذ من الاحصاآت الرسمية ان عدد المهاجرين سنويًا بين سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٠ كان حوالى ثلثمائة الف فاصبح من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٤ نصف مليون كل سنة وارتقى سنة ١٩٠٦ الى ٧٨٧٩٧٧ مهاجرًا ومعظمهم من الفلاحين والمهاجرون من الذكور على نسبة ٨١ في المئة و١٩ من الاناث والمهاجرون في الاكثر هم سكان الجنوب وينزلون اميركا كما يهاجر سكان شمالي ايطاليا الى اقطار اوروبا فقط ليغتنوا فيها . وقد بحث علماء الاجتماع من الطليان في نفع الهجرة لبلادهم او عدمها ولم يبتوا لهم رأيًا بعد . وشوهد ناس من اهل الطبقة الوسطى اباعوا اراضيهم وانقلبوا الى بلاد اخرى يرتاشون فيها ويتأثلون وهذا ما ينسب الى قلة التناسب المتزايد بين وسائط الحياة التي تقل وحاجياتها المتكاثرة . ومن الاسباب التي ذكروها في مضار الهجرة ان عدد العجزة في ايطاليا خف عن ذي قبل ولكن لم تعد تنمو سكان البلاد في العشر سنين الاخيرة على نسبة نموها من قبل وذكروا من حسناتها انه قل عدد البطالين وارتفعت اسعار ايجار الاراضي وترقت اثمانها بما جاء به بعض المهاجرين لدن عودتهم الى بلادهم من الاموال كما زادت ثروة ايطاليا بما يغدق عليها ابناؤها المهاجرون من مهاجرهم . وقد جاء في ذاك التقرير ان للهجرة يدًا في ايطاليا منذ ثلاثين سنة في ارتقاء ايطاليا الاقتصادي وهو مادة ارتقائها التجاري

اجتياز البحار

يتحدثون الآن في الاندية الصناعية والعلمية في اجتياز المسافة بين اوروبا والولايات المتحدة في اربعة ايام . وقد ادعى مهندس اميركي انه يقطع في باخرة جديدة انشأها حديثًا ثلاثين عقدة في الساعة وكانت باخرتان المانيتان وهما من آخر طراز يقطعان ٢٣ عقدة . ولم تكن البواخر تقطع لاول اختراعها سوى ٩ عقد في الساعة ثم تدرجت حتى وصلت الى ٢٣ عقدة وها هي اليوم قد بلغت او كادت الثلاثين على ان المسافة تجتاز بين اميركا واوروبا في خمسة ايام وبضع ساعات . اما الباخرة الجديدة فتحمل من عشرين الى ثلاثين الف طن وآلتها بقوَّة ثلاثين الف حصان ووزن الآلة المحركة يبلغ مائتي طن واذا أضيف اليه عدَّاد الغاز فيكون خمسمائة طن ويقتضي ٨٥٠ طنًا من زيت البترول الخام لاجتياز مسافة مائتي ميل ما عدا الوقود ولا يخرج منه دخان

اوراق السفر

رأى بعض الباحثين ان عمال السكك الحديدية يأخذون الاوراق من المسافرين ليقطعوها ويعيدوها اليهم وربما احبوا العجلة فقطعوها بريقهم مما لا يخلو من نقل جراثيم الامراض ورأوا ان احسن طريقة في هذا الباب هي التي سارت عليها بعض شركات السكك الحديد في سويسرا فانها تجعل الاوراق اضبارة واحدة وتقطعها كما تقطع الطوابع بادنى مس باليد .

المدارس في مصر

احصى مدير الاحصائيات في مصر عدد المدارس الوطنية والاجنبية في هذا القطر فكانت ٢٠٠ مدرسة مصرية فيها ٧٥٣٤٤ من البنين و٣٨٩٧ من البنات و٢٠ انكليزية فيها ١٤١٥ تلميذًا و٦١٩ تلميذة و١٢٠ اميركية فيها ٧٠٤٤ تلميذًا و٢٠٥٣ تلميذة و٩ نمساوية فيها ٨٨١ تلميذًا و٥٥٠ تلميذة ومدرستان هولانديتان فيها ١٤٢ تلميذًا و٣٦ تلميذة و٨٥ مدرسة فرنسوية فيها ٨٦٤٥ تلميذًا و٦١٤٠ تلميذة واربع مدارس المانية فيها ٣٣٣ تلميذًا و٤٤٦ تلميذة و٢٩ يونانية فيها ٣١٠٨ تلاميذ و٢٣٦٣ تلميذة و٣٥ ايطالية فيها ٤٢٣١ تلميذًا و٢٣٣٨ تلميذة ومدرسة روسية واحدة فيها ٤٧٥ تلميذًا

وصية للعلم

اوصى الماني بمئة الف مارك لينفق ريعها على تلميذ ذكي من المدارس العثمانية العالية ينجز دروسه في المانيا .

جماجم المصريين

ظهر للاستاذ اليوت سميث معلم التشريح في مدرسة الطب بالقاهرة من البحث في المومياء المصرية ان جماجم قدماء المصريين كانت رقيقة وان القسم الخارجي منها هو على الجملة من النحافة على ما يعجب منه الناظر على ان تجويف الجمجمة لم يصب بمرض ولا تظهر فيه نحافة حيث كانت العضلات . وقد شاهد ذلك في اهل السلالة الرابعة الى اهل السلالة الرابعة عشرة خاصة ولم يجدها فيمن كان قبلهم او بعدهم وقد تبين مما قام به الاستاذ ماسبرو وغيره من علماء الآثار المصرية من الحفريات ان اهل الطبقات العالية في الامة المصرية كانوا يضعون على رؤوسهم شعوراً مستعارة فنسب العلماء نحافة رؤوسهم لثقل تلك الشعور وذلك لان الاستاذ اليوت سميث لم يشاهد هذا الضعف الا في جماجم اهل الغنى والثراء من تلك السلائل ولا يقدح في ذلك ما ألفه الفلاحات من حمل اشياء ثقيلة على رؤوسهن على ان جماجمهن سالمة من العيوب فان الضغط الموقت لا يؤثر في الجماجم كما يؤثر فيها الضغط الدائم من مثل الشعور وغيرها . والمسألة ما برحت موضع النظر

خارطة الولايات المتحدة

شرعت حكومات الولايات المتحدة في رسم مصوَّر لتلك البلاد لم يعهد مثله حتى الآن في رسم الارض فاخذت كل ولاية تقيس وتمسح وتذكر ما جد من القرى والدساكر والمدن ويقولون ان حكومة الاسكا تجتهد من وراء الغاية في رسم بلادها لتضمها الى خارطة تلك البلاد مع ان القسم الاعظم منها لم يكتشف بعد . وناهيك بما يقتضي ذلك من النفقات في بلاد هي في مساحتها كأوروبا او اكثر ويقال ان هذا العمل يكلف اميركا مليوني فرنك اي من ٧٥ الى ١٠٠ فرنك في كل كيلومتر مربع ولا ينجز قبل سنة ١٩٠٩

التعليم في فرنسا

تنفق فرنسا على التعليم العالي في ست عشرة كلية ثلاثة عشر مليونًا وثمانمائة الف فرنك وقد كان مجموع الطلبة في هذه المدارس الجامعة سنة ١٩٠٦ — ٣٥٦٧٠ تلميذًا وزاد منذ عشر سنين نحو عشرة آلاف طالب وكان الاساتذة اذ ذاك ٥٩١ فصاروا الآن ٨٠٠

الرخص والعلم

لئن ارتفعت اثمان الحاجيات منذ خمسين سنة لكثرة النقود فقد كان من تأثير العلم ان ارخص كثيرًا من المواد الصناعية بفضل ادخال التحسين على ادواتها فنزل سعر المتر الواحد

من المرايا نحو الثلثين ونزل سعر الحامض الكبريتي الى النصف والصودا الى ثلاثة ارباع وقد استفادت الزراعة والصناعة من هذا الرخص فائدة كبرى

نساء اليابان والالمان

منذ عهد غير بعيد تضاعف عدد مدارس الاناث في اليابان فاصبح المتخرجات منها يتعاطين التدريس او المحاماة او الكتابة . وانك لتجد في جميع امهات المدن اليابانية اندية للنساء وقد اخذ بعضهن ينشرن في طوكيو الآن جريدة سمينها « المرأة في القرن العشرين » تتولى ادارتها « اوتا امي » الكاتبة الاشتراكية المشهورة التي احكمت الانكليزية كما احكمت لغتها فصارت الصحف الاميركية تتلقى مقالاتها بالقبول كما تتلقى مقالات كبار الكتاب من الانكليز . وما برح النساء في المانيا يطالبن بقبول البنات المتعلمات في العشر كليات الالمانية التي سدت حتى الآن ابوابها في وجوه البنات وقصرت تعليمها على البنين والغالب انهن ينلن بغيتهن كما نلنها في كليات بافاريا مثل كلية مونيخ وارلانجن وورتزبورغ وفي دوقية باد ككلية فريبورغ وهايدلبرغ وتوبنغ وفي امارة تورنغ ككلية ايناوفي امارة ساكس ككلية ليبسيك . وقد طلب ١١٦٠ استاذًا من اساتذة الكليات الالمانية الى الحكومة ان تسمح بحرية الدخول للبنات في مدارس الصبيان . وينقسم الطالبات في المانيا الى طالبات طب وطالبات فلسفة وطالبات علم اصول اللغات وطالبات تاريخ . فمتى يطلب نساؤنا ياترى حقوقهن من التعليم الابتدائي المنظم فقط

الشعب النظيف

يرى الدكتور ماتينيون الفرنسوي وهو ممن اقام مدة في الشرق الاقصى ان النظافة عند ابناء يابان كادت تكون من الايمان فيرى الياباني ان الاستحمام كل يوم من الضروريات كتناوله قدح الارز . وقد اثبتت الحرب الروسية اليابانية الاخيرة شدة تعلق هذه الامة بالنظافة فكان الجند في معسكراتهم يستعملون جرارًا صينية كبرى من الفخار المطلي يجعلونها تحت اديم الارض ويتخذونها مستحماً لهم . ولكل جندي في جعبته فرشة لتنظيف اسنانه وذرور لها لان الياباني يعنى باسنانه كل العناية ويتمضمض مرات عديدة في اليوم . وقد عجب الاطباء الاوروبيون من تنطع اليابانيين في النظافة الى هذا الحد كما ثبت لهم ان من كل خمسة جنود من الاوروبيين يموت اربعة من الامراض وواحد قتلاً اما من ابناء يابان فان في خمسة قتلى يموت واحد منهم من الامراض

المقتبس

الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني

ذي القعدة سنة ١٣٢٥ الموافق دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٧

محاسن الكتب

للجاحظ (١)

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء ازدشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون ، ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والاشعار والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب اشد تقييداً للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باقٍ يقع من قرن الى قرن ومن امة الى امة فهو ابداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو ابلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتيء وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لامر جسيم او عهداً لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرُّها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراه من مرَّ به ولا ينسى على وجه الدهور .

---

(١) منقولة من كتاب المحاسن والاضداد ومن كتاب الحيوان وقد حذفنا بعض الفقرات المكررة في الثانية فقط

ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولولم يتم ذلك لحرمنا اكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق لجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه · واهل العلم والنظر واصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وارباب النحل وورثة الانبياء واعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب اعوان الصلحاء وكتب اصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية · ومنهم من يفرط في العلم ايام خموله وترك ذكره وحداثة سنه · ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى ان يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ·

وسمعت محمد بن الجهم يقول : اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازي للفوائد والاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبيين اشد إيقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته و رجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم ابغ به بدلاً فلا ازال انظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله · وقال ابن داحة : كان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ارَ اوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا اسلم من الوحدة · واهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب معه : هديتي اعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق · وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء · وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤونة له · وقال آخر : ذهبت المكارم الا من الكتب ·

قال الجاحظ وانا احفظ واقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل · والكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشي ظرفاً واناء شحن مزاحاً إن شئت كان اعيى من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبناسك فاتك

وناطق اخرس ومن لك بطبيب أعرابي ورومي هندى وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع لك الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ·

وبعد فما رأيت بستاناً يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض واكتم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة ولا اعلم جاراً آمن ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولا صاحباً اظهر كفايةً وعناية ولا اقل املالاً ولا ابراماً ولا ابعد عن مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب · ولا اعم بياناً ولا احسن مواتاة ولا اعجل مكافأة ولا شجرة اطيب عمراً ولا اطيب ثمراً ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل ابان من كتاب · ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب ·

ومن لك بزائر ان شئت كانت زيارته غباً وورده خمساً وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك · والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق · والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخم الفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء ·

وان امثل ما يقطع به الفرّاغ نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام · ولولم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلز · ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية

وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم واعظم المنة وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحدثون باحسن ما يحفظون ويحفظون احسن ما يكتبون ويكتبون احسن ما يسمعون فاذا اخذت العلم تخذه من افواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً . وقال الزهري : اذا سمعت ادباً فاكتبه ولو في حائط .

قال ذوالرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري فالكتاب احب اليَّ من الحفظ لان الاعرابي ينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام ولا اعلم جاراً ابرّ ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولا صاحباً اظهر كفاية ولا اقل جناية ولا اقل ملالاً وابراماً ولا احفل اخلاقاً ولا اقل خلافاً واجراماً ولا اقل غيبة ولا ابعد من عضيهة ولا اكثر أعجوبة وتصرفاً ولا اقل تصلفاً وتكلفاً ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعلم قريناً احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا احضر معونة ولا اخف مؤونة ولا شجرة اطول عمراً ولا اجمع امراً ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكاً ولا اوجد في كل ابان من كتاب ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع بين التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

والكتاب هو الذي يؤدي الى الناس كتب الدين وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه صامت ما اسكته وبليغ ما استنطقته ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه . قال ابوعبيدة قال المهلب لبنيه في وصيته : يابني لا تقوموا في الاسواق الا على زراد او وراق . وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبت المكارم الا من الكتب . وسمعت ابا الحسن اللؤلؤي يقول : غبرت اربعون يوماً ما قلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدري . وذكر العتبي كتاباً لبعض القدماء فقال: لولا طوله

وكثرة ورقه لتسخنه فقال ابن الجهم : لكني ما رغبني فيه الا الذي زهدك فيه وما قرأت قط كتاباً كبيراً فاخلاني من فائدة وما أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم الا تتعجب من فلان نظر في كتاب اقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد وساعة واحدة فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على انه حر مخير وتلك أمة مقصورة وهو احرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية قال ابن الجهم : قد كنت اذن انه لم يفهم منه شكلاً واحداً واراك تزعم انه قد فرغ من مقالة . قال العتبي : وكيف ظننت به هذا الظن وهو رجل ذو لسان وادب قال : لاني سمعته يقول لابنه : كم انفقت على كتاب كذا قال : انفقت عليه كذا انما رغبني في العلم اني ظننت اني انفق عليه قليلاً واكتسب كثيراً فاما اذا صرت أنفق الكثير وليس في يدي الا المواعيد فاني لا أريد العلم بشيء فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بد ان تكون كتبه اكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يختلف حتى يكون الانفاق عليه من ماله الذ من الانفاق من مال عدوه ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب الذ عنده من عشق القيان وانفاق المستهزئين بالبيان لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الاعرابي فرسه باللبن على عياله وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الاعرابي في فرسه .

وقال ابراهيم بن السندي مرة : وددت ان الزنادقة لم يكونوا حرصى على المقالات بالورق النقي الابيض وعلى تحلل الحبر الاسود المشرق البراق وعلى استجادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقاً ولا كالخطوط التي فيها خطاً واذا غرمت مالاً عظيماً مع حبي للمال وبغض الغرم كان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات .

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت اكتب عنه بعضاً وادع بعضاً فقال لي : اكتب كل ما تسمع فان مكان ما تسمع اسود خير من مكان ابيض . وقال الخليل بن احمد : تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ . وقال ابو امجق القليل والكثير للكتب والقليل وحده للصدر وانشد قول ابن بشير .

اما لو أعي كل ما اسمع واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفد خير ما تدجمـ ـت لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل نو ع من العلم تسمعه تنزع

فـلا انا احفظ ما قد جمعـ ت ولا انا من جمعه اشبع
وأحصر بالعي في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فمن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

وقال ابن اسحق: كلف ابن بشير الكتب ما ليس عليها ان الكتب لا تحيي الموتى ولا تحول الاحمق عاقلاً ولا البليد ذكياً ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي ومن اراد ان يعلم كل شيء ينبغي لاهله ان يداووه فان ذلك انما تصور له بشيء اعتراه فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد الى شيئين والى ثلاثة اشياء ولا ينزع الدرس والمطارحة ولا يدع ان يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون عالماً بالخواص ويكون غير غفل عن سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً الا نسي ما هو اكثر منه فهو من الحفظ من افواه الرجال ابعد . وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدارسه كتاب الاوله ثلاث نسخ . وقال ابو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه افضل منه واعقل

وقال ابو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً ان في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة وهم جلوس على خيرة لهم وعندهم طنبور فتسوّرنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى جالس في وسط الدار واصحابه حوله واذا هم بيض اللحى واذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر فقال الذي سعى بهم : السوءة في ذلك البيت وان دخلتموه عثرتم عليها فقلت : والله لا اكشف فتى اصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا وانشد رجل يونس النحوي .

استودع العلم قرطاساً فضيعه فبئس مستودَعُ العلم القراطيسُ

قال فقال يونس : قاتله الله ما اشد ضنانته بالعلم واحسن صيانته له ان علمك من روحك ومالك من بدنك فضعه منك بمكان الروح وضع مالك بمكان البدن . وقيل لابن داحة واخرج كتاب ابي الشمقمق واذا هو في جلود كوفية دفتين طائفتين بخط عجيب فقيل له : لقد اضيع من تجود بشعر ابي الشمقمق فقال : لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ولو استطعت ان اودعه سويداء قلبي او اجعله محفوظاً على ناظري لفعلت ولقد دخلت على اسحاق بن سليمان في امرته فرأيت السماطين والرجال مثولاً كأن على رؤوسهم الطير ورأيت فرشته وبزته ثم دخلت عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه

وجواليه الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر فما رأيته قط افخم ولا انبل ولا اهيب ولا اجزل منه في ذلك اليوم لانه جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السؤدد الحكمة . وقال بعضهم : كتب الحكماء وما دوّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات والآداب والارفاق من القرون السابقة والامم الخالية ومن له بقية ابقى ذكرًا وارفع قدرًا واكثر رداءً لان الحكمة انفع لمن ورثها من جهة الانتفاع بها واحسن في الاحدوثة لمن احب الذكر الجميل والكتب بذلك اولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر لان من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن واكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك في ايام الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم اصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان .

ان من شكر النعمة في معرفة مغاوي الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم ان تحتمل ثقل مؤونتهم في تقويمهم وان تتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل ما يسدى اليهم فلن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره على ان قراءة الكتب ابلغ في ارشادهم من تلاقيهم اذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتقوى الحمية وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع والانفة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت من التعرف وعميت عن مواضع الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد يدرسها والمنفرد يفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله وقد عدم من له يباهي ومن اجله يغالب .

والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ويرجح قلمه على لسانه بامور منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الاعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك امر مستحيل في واضع الكتاب والمتنازع في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى اثره ولولا ما اودعت لنا الاوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودوّنت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا لجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة ولو لجأنا الى قدر قوّتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة وعاد الرأي

عقيماً والخاطر فاسداً ولكلٍّ الحدُّ وتبلد . واكثر من كتبهم نفعاً واشرف منها خطراً واحسن موقعاً كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل حكمة وتعريف كل سيئة وحسنة وما زالت كتب الله تعالى في الالواح والصحف والمحار والمصاحف وقال الله عز وجلّ : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » . وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . ويقال لاهل التوراة والانجيل اهل الكتاب . وينبغي ان يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا على انا قد وجدنا من العبرة اكثر مما وجدوا كما ان من بعدنا يجد من العبرة اكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم باظهار ما عنده وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد امكن القول وصلح الدهر وخوى نجم التقليد وهبت ريح العلماء وكسد العي والجهل وقامت سوق البيان والعلم وليس يجد الانسان في كل حين انساناً يدربه ومقوّماً يثقفه والصبر على افهام الريض شديد وصرف النفس عن مغالبة العالم اشد منه . والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيداً وبما يحتاج اليه قائماً وما اكثر من فرط في التعليم ايام خمول ذكره وايام حداثة سنه .

ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونزعت الى حب الادب وانفت من حال الجهل وان تكون في غمار الحشو ولدخل على هؤلاء من الخلل والمضرة من الجهل وسوء الحال ما عسى ان لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل ان تسوّدوا . وقد نجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يعد فقيهاً ولا يجعل قاضياً فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واشباه ابي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة او سنتين حتى تمر ببابه فتظن انه من بعض العمال وبالحريّ ان لا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكماً على مصر من الامصار او بلد من البلدان . قال ابن بشير في صفة الكتب في كلمة له .

اقبلت اهرب لا آلو مباعدة — في الارض منهم فلم يحصني الهرب
فقصر اوس فما والت خنادقه — ولا النواويس فالماخور فالحرب
فايما موئل منها اعتصمت به — فمن ورائي حثيثاً منهم الطلب
لما رأيت باني لست معجزهم — فوتاً ولا هرباً قربت احتجب
فسرت في البيت مسروراً به جذلا — جاراً لبوأة لا شكوى ولا شغب
فرداً يحدثني الموتى وتنطق لي — عن علم ما غاب عني منهم الكتب
هم مؤنسون وألاّف غنيت بهم — فليس لي في انيس غيرهم ارب

لله من جلساء لا جليسهمو ولا عشيرهمو للسوء مرتقب
لا بادرات الاذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها أُخرى الليالي على الايام والشعب
فايما آدب منهم مددت يدي اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار يرفعها الى النبي ثقات خيرة نجب
او شئت من عرب علماً باولهم في الجاهلية انبتني بها العرب
او شئت من سير الاملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الرأي والادب
حتى كأني قد شاهدت عصرهمو وقد مضت دونهم من عمرهم حقب
يا قائلاً قصرت في العلم نهيته امسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الاوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا ولا ذهبوا
ما مات مثل امريءٍ ابقى لنا ادباً نكون منه اذا ما مات نكتسب

قال الجاحظ : ومما يدل على نفع الكتاب انه لولا الكتاب لم يجز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فتعلم بها اهل البصرة قبل المساء اه

غلاة الكتب

لله اخوان افادوا مفخرًا فبوصلهم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى هم فاحصون عن السرائر تفحر
ان ابغ من عرب ومن عجم معًا علماً مضى فيه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا كفي وكفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت به جليساً مبرمًا لا يستطيع له الهزيمة عسكر

ليس في الدنيا منظر تنصرف اليه الوجوه ولا صورة تحدق فيها العيون ولا نفحة ترتاح اليها الارواح وتخاطبها القلوب ولا صديق اخلص من ذاك الكتاب تودعه سرك فلا يخونك وتبوح اليه بذات نفسك فيحفظ غيبتك ويطرب حضرتك · ليس في صنع البشر مثل هذه

الاوراق الثمينة التي قد يجهد كاتبها في تسويدها نفسه و يصرف عليها ايامه واعوامه رجاء نفع يُرتجى وعقل يرتقي وجهالة تضمحل وذكر يخلد ومحمدة تردد . نعم ليس افضل في القلوب من الكتاب يعيد مظلمها مستنيرًا وميتها حيًا ويجعل بعد عسر يسرًا . فبالكتب تحيا الامم وترتفع الى ذرى المجد والسؤدد وبالصحف تأنس النفوس المستوحشة وتنبسط الصدور المنقبضة .

وماذا عسانا نقول في وصف الكتاب بعد ان قرأ القارئ ما قرأ في صدر هذا الجزء من قول الجاحظ سيد العلماء ورأس الحكماء وانما نقول هنا على الجملة ان قد كثر المولعون في جمع الكتب قديمًا بكثرة اسباب الحضارة بحيث لو اراد المرء احصاء من ولعوا بذلك من العرب و وصف شيء من حالتهم لاقتضى ذلك كتابًا برأسه . فبلغ من عناية الملوك بالكتب وجمعها ان حمل المأمون الى بغداد من الكتب المخطوطة ما يثقل مائة بعير وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث ان يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . قيل ان عدد مجلدات خزانة المأمون كان ستمائة الف وان فهرستها دخلت في اربعة واربعين مجلدًا وقيل ذلك في مكتبة الخلفاء بالاندلس . وأنشيء بيت الحكمة في بغداد على عهد الرشيد في غالب الاقوال وكان يجتمع فيه النساخ والمؤلفون والمترجمون والمطالعون . اما دار الحكمة او دار العلم في القاهرة فكانت فيها خزانة انشأها الحاكم بامر الله وحمل اليها الكتب من خزائن القصور . وكان في القاهرة في اوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير وكان من نظامها ان تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وقد تكاثرت خزائن الكتب في المدارس الكبرى والصغرى فقومت كتب المدرسة النظامية ببغداد بالوف وكذلك كان شأن مدارس الشام ومصر .

قال القلقشندي في خزائن الكتب المشهورة : ويقال ان اعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن احداها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك الى ان دهمت التتر بغداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب . الثانية خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من اعظم الخزائن واكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم ولم تزل على ذلك الى ان انقرضت دولتهم فاشترى القاضي الفاضل اكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة فبقيت فيها الى ان استولت عليها الايدي فلم يبق منها الا القليل . الثالثة خزانة خلفاء بني امية بالاندلس وكانت من اجل خزائن الكتب ايضًا ولم تزل الى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف عليها . قال واما الآن (اي في القرن الثامن) فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاء بخزائن كتب المدارس .

ولم تكن الحكومات ورؤساؤها مولعة بجمع الكتب وجعلها وقفاً على المطالعة والمراجعة في قصورهم او مكاتب ينشئونها لهذا الغرض او في مدارسهم بل كان العلماء والوزراء وكثير من اهل الثراء مولعين باقتناء الكتب على تعذر الحصول عليها فقد كان نور الدين الشهيد مولعاً بالكتب جمع منها الامهات ووقف كثيراً منها على الاستفادة . وكذلك كان صلاح الدين فانه نقل بعض الكتب المهمة من مصر الى الشام لما صار عليهما سلطاناً . وانشأ يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله ثاني خلفاء الفاطميين خزانة كتب و بذل الاموال في الاستكثار من المؤلفات النافعة . وكان يجمع فيها من الكتاب الواحد عشرات من النسخ ولقد غالى من كتب عنها ومنهم المقريزي وقالوا كان العزيز يتعهدها بنفسه حيناً بعد آخر . وانشأ نوح بن منصور صاحب بخارى من ملوك بني سامان مكتبة منقطعة القرين فيها الكتب على اختلاف ضروب العلم . وقد وصفها ابن سينا وكان أذن له بدخولها وقراءة ما فيها من كتب الطب فقال : دخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته ايضاً من بعد .

ولما كتب نوح بن منصور الى الصاحب بن عباد وزير بني بويه المتوفى سنة ٣٨٥ ورقة في السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته وتدبير مملكته كان من جملة اعذاره اليه انه يحتاج لنقل كتبه خاصة الى اربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل . وكان سيف الدولة بن حمدان مولعاً بجمع الكتب ولوع نوح بن منصور فكانت في داره خزائن كبيرة جمع فيها الامهات المفيدة . وقيل ان وزير الواثق بالله كان ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها . وكان للفتح بن خاقان وزير المتوكل خزانة كتب جمعها علي بن يحيى لم ير اعظم منها كثرة وحسناً وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة قال ابو هفان ثلاثة لم ارَ قط ولا سمعت باكثر محبة للكتب والعلوم منهم الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيام لحاجة اخرج كتاباً من كمه او جيبه وقرأ فيه الى حين عودة المتوكل — قاله ابن الكتبي في الفوات .

وذكر المبرد مثل هذه الرواية فقال انه ما رأى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي . فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب

قرأه من اوله الى آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول او للصلاة اخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان يأخذ مجلسه · واما سمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه · وبلغ من ولوع بعض الخاصة بالتوفر على خدمة العلم انهم كانوا يفتحون ابواب خزائنهم لكل مستفيد فقد جعل حنين بن اسحق النسطوري في بغداد داره مكتبة عامة تفد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه · وكان لافرائيم بن الزفان الاسرائيلي من اطباء مصر همة عالية في تحصيل الكتب الطبية وغيرها وكان ابداً عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه · قال ابن ابي أُصيبعة وحدثني ابي ان رجلاً من العراق كان قد اتى الى الديار المصرية ليشتري كتبا ويتوجه بها وانه اجتمع مع افرائيم واتفق الحال فيما بينهما ان اباعه افرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد · وكان ذلك في ايام ولاية الافضل بن امير الجيوش فلما سمع بذلك اراد ان تبقى تلك الكتب في الديار المصرية ولا تنتقل الى موضع آخر فبعث الى افرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق تثمينه بين افرائيم والعراقي ونقلت الكتب الى خزانة الافضل وكتبت عليها القابه وخلف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين الف مجلد · وكان للصاحب امين الدولة السامري همة عالية في جمع الكتب وتحصيلها قال ابن ابي اصيبعة : واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم وكانت النساخ ابداً يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً فقال : هذا الكتاب الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد ففرقه على عشرة نساخ كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سنتين وقد اجتمع عنده اكثر من عشرين الف مجلد وفي رواية انها بلغت مئة الف مجلد لا نظير لها في الجودة · ووقف موفق الدين ابي طاهر بساوة دار كتب · قال ابو بكر بن شاذان : وكان ممن اخذ عن الصولي وكان يتباهى كثيراً بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان كل صف من الكتب لون فصف احمر وصف اصفر وغير ذلك قال فكان الصولي يقول هذه الكتب كلها سماع وكان ابو منصور الخوافي كثير الرواية واكثر رواياته كتب الادب وكان قد جمع كتباً من كل جنس · وكانت لبني موسى بن شاكر همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل واتعبوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السني فاظهروا عجائب الحكمة — قاله ابن خلكان ·

وكانت لموفق الدين بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧ على ما في تاريخ الاطباء همة عالية في تحصيل الكتب حتى انه مات وفي خزائنه من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجامكية والجراية وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة وكان خطه منسوباً وكتب المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة وكان كثير المطالعة للكتب لا يفارق ذلك في اكثر اوقاته واكثر الكتب التي كانت عنده توجد وقد صححها واتقن تحريرها وعليها خطه بذلك وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها انه كتب لكثير من الكتب الصغار والمقالات المتفرقة في الطب وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلاً منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بمسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان ابداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه .

وكان للقاضي الفاضل من رجال صلاح الدين يوسف ولع بتحصيل الكتب وبعه بالكتابة قيل ان كتبه التي ملكها تكون مئة الف مجلد وليس هذا ببعيد على من كان له من صلاح الدين المكانة المعروفة فقد كان دخله ومغله على ما في كتب التاريخ نحو خمسين الف دينار سوى متاجر الهند والمغول وغيرها . وكان جمال الدين بن القفطي الصعيدي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم المتوفى سنة ٦٤٦ جماعاً للكتب جمع منها ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها وله حكايات غريبة من غرامه بالكتب ولم يخلف ولداً فاوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب .

وكان ناصر الدين العسقلاني المتوفى سنة ٧٢٣ جماعاً للكتب خلف ثمان عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة ادبية وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب وبقيت تبيع منها الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان اذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني وملكته في الوقت الفلاني وكان اذا اراد اي مجلد قام الى خزائنه وتناوله كأنه الآن وضعه بيده قال ابن الكتبي: وكان يباشر الانشاء بمصر زماناً الى ان اضرّ لانه اصابه سهم في نوبة حمص الكبرى فعمي وبقي ملازماً بيته . وخلف ابو زكريا يحيى معين المعري البغدادي الحافظ المشهور من الكتب مائة قمطر واربع حباب شرابية (كذا) مملوءة كتباً وكان الامير ابن فاتك من افاضل اعيان مصر محباً لتحصيل العلوم وكانت له خزائن كتب فكان في اكثر اوقاته اذا

نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب الا المطالعة والكتابة و يرى ان ذلك اهم ما عنده وكانت له زوجة كبيرة القدر ايضاً من ارباب الدولة فلما توفي نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه وفي قلبها من الكتب وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه وفي اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق اكثرها قال ابن ابي اصيبعة : فهذا سبب ان كتب المبشر ابن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال ·

وجمع الوزير الفاضل ابونصر المنازي كتباً كثيرة وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد قال ابن خلكان وهي الى الآن موجودة بخزائن الجامعين ومعروفة بكتب المنازي ·
وكان الاستاذ ابوالفتوح برجوان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته مولعاً بالكتب ولعه بالطرائف والاثاث والرياش والآلات وخلف منها مالا يحصى كثرة · واقتنى تاج الدين البغدادي اوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع من كتب خزائن مصر كل نفيس · وكان ابو موسى سليمان بن محمد الحامض النحوي المتوفى سنة ٣٠٥ صاحب الكتب الحسان في الادب اوصى بكتبه لابي فاتك المقتدري بخلاً بها الى ان تصير الى احد من اهل العلم ·
وذكر صاحب نفح الطيب ان جده كان غنياً جداً حتى ان المقري هذا لم يدرك من ثروة جده الا اثر نعمة اتخذ فصوله عيشاً واصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ·
ومن جملة ذخائر قصر العاضد آخر ملوك العبيديين بمصر التي استولى عليها صلاح الدين يوسف خزانة كتب من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد ·
وكان ابو سعد السمعاني صاحب كتاب الانساب يحصل الكتب · وكان ولد القاضي الفاضل الاشرف بهاء الدين مثابراً على تحصيل الكتب مثل والده · وكان في دار ابي المظفر بن معروف من افاضل مصر واطبائها مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ولم يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشتغلا في الكتب والقراءة والنسخ قال في طبقات الاطباء : ومن اعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفا كثيرة من الكتب في كل فن واں جميع كتبه لا يوجد شيء منها الا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لابي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء الا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد منفرقة مما يجانس ذلك الكتاب

قال الذهبي وسنة اثنتين ومائة مات الضحاك بن مزاحم الخراساني صاحب التفسير وكان علامة وكان مؤدباً عنده ثلاثة آلاف صبي (كذا) ومكتبة كالجامع كان يدور عليهم قلت: ومن العجيب وجود كتب في القرن الاول تكون من الكثرة بحيث صح ان تدعى مكتبة

وكان اسحق بن ابراهيم النديم الموسيقي المتوفى سنة ٢٣٥ كثير الكتب حتى قال ابوالعباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل احد قط اكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي . وكانت كتب الواقدي تملأ ستمائة صندوق و يقتضي حملها مئة وعشرين جملاً . وكان صاحب القاموس الفيروزابادي لا يسافر الا ومعه احمال من الكتب . وكتب ابن قيم الجوزية بخطه مالا يوصف وكان محباً للعلم ومطالعته وكتابته واقتناء كتبه واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره . وكان عند محمد ابن سيد الناس كتب كبار وامهات جيدة وهو من الحفاظ والمحدثين ورأى ابن النديم صاحب الفهرست مكتبة ابن ابي بعرة من اهل مدينة الحديثة في الموصل وقال : انه لم ير لاحد مثلها . ومدح ياقوت الحموي مدينة مرو فقال : ولولا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد واخرابها لما فارقتها الى الممات لما في اهلها من الرقة ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فاني فارقتها وفيها عشرة خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة منها خزانتان في الجامع احداها يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين ابو بكر عتيق الزنجاني اوعتيق بن ابي بكر وكان فقاعيا للسلطان سنجر وكان في اول امره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابيا له وكان ذا مكانة منه وكان فيها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها والاخرى يقال لها الكمالية لا ادري الى من تنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي ابي سعد محمد بن منصور في مدرسته ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته وخزانتان للسمعانيين وخزانة اخرى في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك احد الوزراء المتأخرين بها والخزانة الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن .

وفي خطط مصر ومزاراتها للسخاوي ان المدرسة المحمودية بخط الموازينيين انشأها محمود الاستادار في سنة ٧٩٧ ورتب بها درساً للسادة الحنفية وللحديث النبوي وعمل بها خزانة كتب لم تحو خزانة مثل ما فيها من الكتب وهي كلها كتب قاضي القضاة ابراهيم بن جماعة . وكان الامام زين الدين ابوحفص عمر بن مسلم القرشي من علماء دمشق المتوفي سنة ٧٩٢ مولعًا بالكتب وملك من نفائسها شيئًا كثيرًا حتى انه لما اعتقل هو وابنه بقلعة دمشق في دولة الظاهر برقوق رهن كثيرًا من كتبه على المبلغ الذي طلب منهما . واولع الامام

المقري الواعظ المفسر الخطيب الصوفي شيخ العراق عزالدين ابوالعباس احمد الفاروقي الواسطي بالكتب كثيرًا قال ابن كثير : انهخلف الفي مجلد ومائتي مجلد وتوفي سنة ٦٩٤ واحب بدر الدين بن غانم احد كتاب الانشاء بدمشق الكتب وُعني بجمعها وخلف الفي مجلدة . ووقف فخر الدين المارديني الفيلسوف سنة ٥٩٤ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق الفيلسوف والكتب التي وقفها فخر الدين هي من اجود الكتب وهي نسخه التي كان قد قرأ اكثرها على مشايخه وحررها وقد بالغ في تصحيحها واتقانها . وحصل عمران الاسرائيلي الطبيب المتوفى سنة ٦٣٧ من الكتب الطبية وغيرها مالا يكاد يوجد عند غيره . وأُحصيت الكتب التي وجدت في خزانة نور الدين علي بن جابر فكانت نحو ستة آلاف مجلد . وبامثال هؤلاء راجت صناعة الوراقة والنسخ في البلاد الاسلامية رواج المطابع اليوم او اكثر حتى كان الوجيه بن صورة المتوفى سنة ٦٠٧ سمسارًا في الكتب بمصر « وله في ذلك حظ كبير وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع عنده في يوم الاحد والاربعاء اعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده الى انقضاء وقت السوق فلما مات السلفي سار الى الاسكندرية لبيع كتبه »

وبعد فقد أُولع اهل الاندلس بالتطريس على آثار المملكة الاسلامية الشرقية في علومها وصناعتهم وزراعتهم حتى كان لبعض العظماء منهم في كل عاصمة من عواصم العلم في الشرق نساخ متوفرون على نقل الكتب التي يؤلفها المشارقة ولا يصح ان تخلو منها مكاتب المغاربة فكأن الاندلسيين كسائر الغربيين الاوروبيين من الافرنج يولعون من الفطرة بالاخذ عن الشرق كليات الحضارة وجزئياتها . وترى اليوم مثالاً من ذلك يشبه حال الاندلسيين مع سكان المشرق قديمًا فان اهل الغرب ما برحوا يتتبعون آثار السلف في الشرق على ارتقاء العلوم عندهم وايغالهم في مرامي المدنية .

ذكروا انه كان في الاندلس وحدها سبعون مكتبة عامة فيها مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة . قال ابن الخطيب كانت في سبتة خزانة كتب العلوم وكذلك في مكناسة الزيتون خزائن كتب . وكان الحكم بن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦ جماعًا للكتب يبذل الاموال في استجلابها من الاقطار قال الذهبي : ولعل كتبه كانت تساوي اربعمائة الف دينار وقال لسان الدين بن الخطيب انه كان محبًا في العلم والعلماء مثيرًا للرجال من كل بلد جمع العلماء من كل قطر ولم يكن في بني امية اعظم همة ولا اجل منزلة في العلوم وغوامض الفنون منه قال ابن حزم: اخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة

ليس فيها الاذكر اسماء الدواوين لا غير . وقال ابن خلدون ان الحكم كان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه قال جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر وامر باخراجها و بيعها الحاجب واضح ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة . ونقل المقري ان الحكم جمع من الكتب مالا يحدولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها قال : وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن . وكان ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك المصامدة شديد الولع بالعلم والادب طمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من اجزائها وبدأ من ذلك بعلم الطب ثم تخطى ذلك الى ما هو اشرف منه من انواع الفلسفة وأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي قال صاحب المعجب : اخبرني ابو محمد عبد الملك الشذوني احد المتحققين بعلمي الطب واحكام النجوم قال : كنت في ايام شبيبتي استعير كتب هذه الصناعة يعني صنعة الاحكام من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف يكنى ابا الحجاج يعرف بالمراني كانت عنده منها جملة كبيرة وقعت الى ابيه في الفتنة بالاندلس فكان يعيرني اياه في غرائر احمل غرارة واجيء بغرارة من كثرتها عنده فاخبرني في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها فسألته عن السبب الموجب لذلك فاسرّ اليّ ان خبرها أُنهي الى امير المؤمنين فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك وكان الذي ارسل كافور الخصي مع جماعة من العبيد الخاصة وامره ان لا يروّع احداً من اهل الدار وان لا يأخذ سوى الكتب وتوعده والذين معه اشد الوعيد ان نقص اهل البيت ابرة فما فوقها فأُخبرت بذلك وانا في الديوان فظننته يريد استصفاء اموالي فركبت وما معي عقلي حتى اتيت منزلي فاذا الخصي كافور الحاجب واقف على الباب والكتب تخرج اليه فلما رآني وتبين ذعري قال لي لا بأس عليك واخبرني ان امير المؤمنين يسلم عليّ وانه ذكرني بخير ولم يزل يبسطني حتى زال ما في نفسي ثم قال لي : سل اهل بيتك هل راعهم احد او نقصهم شيئاً . جاء ابو المسك حتى استأذن علينا ثلاث مرات فاخلينا له الطريق

ودخل هو بنفسه الى خزانة الكتب فامر باخراجها فلما سمعت هذ القول منهم زال ما كان في نفسي من الروع وولوه بعد اخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه . ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع للملك قبله من ملوك المغرب . ولما تغلب السلطان يعقوب بن عبدالحق صاحب المغرب الاقصى على ملك قشتالة في اواخر المئة السابعة سأله ان يبعث اليه بكتب العلم التي بايدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملاً فامر السلطان بحملها الى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم. وكان احمد بن الرومية احد اعلام المحدثين المتوفى سنة ٦٣٧ وهو النباتي الذي وقف على ما لم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الاسلامية حتى صار فرداً لا يجاريه احد باجماع من اهل هذا الشأن ـ كثير الكتب جماعاً لها كما قال في الاحاطة وذلك في كل فن من فنون العلم وربما وهب منها للمتمسه الاصل النفيس الذي يعز وجوده احتساباً واعانة على التعليم قال: وانتشرت عنه تصانيف ابي محمد بن حزم واستحسنها واظهرها واعتنى بها وانفق عليها اموالاً جمة حتى استوعبها جملة فلم يشذ له منها الا ما لا خطر له مقتدراً على ذلك بجدته ويساره . قال : ولما وصل الى المشرق لقي مئين من شيوخها فقفل برواية واسعة وجلب كتباً غريبة .

وذكر صاحب الاحاطة ان ذا الوزارتين ابي عبدالله اللخمي المتوفى سنة ٧٠٨ اكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وافرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها واثرت انديته من ذخائرها . قال ابن خاتمة: كان للشيخ ابي بكر الحكيم الرندي عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب جمع من امهاتها العتيقة واصولها الرائقة الانيقة ما لم يجمعه في تلك الاعصر سواه ولا ظفرت به يداه وكان اقتناء الكتب عند الاندلسيين من شارات الوجاهة وامارات الظرف وقد يجمع الغني ما شاء من كتب وقماطر وهو لا يعلم الفائدة المترتبة عليها وكان اهل قرطبة ارغب في مقتناها من اكثر البلاد الاندلسية . جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع آلاته حملت الى قرطبة وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته وكتبه حملت الى اشبيلية حتى تباع فيها قال ابوالفضل التيفاشي : وقرطبة اكثر بلاد الله كتباً . وروى المقري أن ذلك صار عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة

يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عند احد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به . قلت: وهذا الغلو يشبه لعهدنا غلو جماع الطوابع والعاديات والصور وممن كان جماعاً للكتب والدواوين العلمية بالاندلس احمد بن عباس الانصاري فكان معتنياً بها مغالياً بها نفاعاً بها من خصه لا يستخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد اثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك — قاله لسان الدين . وقال في ترجمة احمد بن الصغير الخزرجي من علماء الاندلس المتوفى سنة ٥٥٩ انه كان مولعاً بالاسفار كتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يخفى كثرة بشدة ضبط وحسن خط وعد في جملة محننه ان ضاعت له في ذلك وفي غيره كتب كثيرة بخطه مما تجل عن القيمة . قال وكان احمد ابن ابراهيم من اهل الاندلس امتحن بان نشأ بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء وحشة فكبس منزله واستولت الايدي على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه ما طالت له الحسرة وجلت له الرزية ولما سريت عنه النكبة كانت له الطائلة على عدوه والطائلة الحسنى بعد التياث امره والظفر بكثير من منتهب كتبه وتوفي سنة ٧٠٨

وكان ابو جعفر احمد بن الجواز من اهل القيروان عالماً وجد له خمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها . وكان القاسم بن محمد الاشبيلي الامام الحافظ المحدث المؤرخ باذلاً لكتبه واجزائه ووقفها . وكان ابن نغرلة اليهودي كاتب باديس الصنهاجي احد رؤساء الاندلس جماعاً للكتب وكان ضليعاً في العلم كتب عنه وعن صاحبه بالعربي فيما احتاج اليه من فصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسوله والتزكية لدين الاسلام .

وكان محمد بن حزم جماعاً للكتب . وكان ابو بكر محمد بن يحيى والد ابي زكريا الراوية من حفاظ النحو واللغة والشعر مولعاً بالكتب جمع منها شيئاً عظيماً .

وكان عبدالله محمد بن عبدالله السلمي المرسي احد ائمة العلم كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه . وكان الوزير الكاتب ابوجعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية من بلاد الاندلس جماعاً للدفاتر حتى بلغت اربعمائة الف مجلد واما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها . وكان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كثير الادب جم المعرفة محباً لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة — قاله ابن حيان . وقال ابن بسام : كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب

المظفري في خمسين مجلداً يشتمل على فنون وعلوم من مغازي وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ·

هذا ما ظفرنا فيه من اسماء غلاة الكتب في عصور الارتقاء في هذه الملة فليته يعود للشرق بعض هذه الهمة في اقتناء المفيد ·

نظام الشرب

للدكتور فيلكس رينول نشرت في «المجلة» الفرنسوية

لماذا نشرب

الماء ضروري للحياة · وقد ثبت ان بعض المخلوقات المنحطة كذوات الثديين تصبر على قلة الماء حتى اذا بُلّلت به تعود الى الحياة في الحال · وفي الواقع انها تموت بعد ان تترك بيوضاً ذات قشرة ثخينة تبقى في الجفاف وتنقف في الرطوبة · وترى الحيوانات المائية في البلاد الحارة عند ما يقلّ الماء تتخذ لنفسها وقاية من مادة ملتحمة ثم تخلد الى السبات · ففي بطائح السنيغامبيا التي تجف ثلاثة ارباع السنة سمك غريب « بروتو بتروس انيكتانس » متى اعوزه الماء ينغمس في قالب من الطين الملتحم الاجزاء وينام نوماً طويلاً · ولا يعيش الانسان في القفار وبلاد السهوب المعشبة الا بفضل بعض الينابيع القليلة · والحيوانات على اختلاف اجناسها تردها وهي تريد بلّ صداها ·

تحمل الحيوان على الشرب ضرورة دفع العطش والمرء وحده هو الذي يتوقع من الشرب لذائذ اخرى · فهو يتطلب اشربة تبعث شهوته للطعام فيختار لذلك في العادة من الادوية المفتحة ما يتألف من الالكحول ممزوجاً بنباتات مرة كنبات كف الذئب وغيره مما يوصي به الاطباء · يتطلب الاشربة التي تسهل الهضم · والمرق من اكثرها تأثيراً وتغذيته متوسطة ولكن ينشأ عنه ترشح غزير في الاخلاط فتكثر العصارة المعدية ولذلك جرت العادة ان يتناول في بدء الطعام · ويتطلب المرء ايضاً اشربة تسره وتطيب بها نفسه كالقهوة والشاي واللوز المندي والالكحول تحسن صوت القلب وتدفع التعب وتهيج الرأس ·

وفي بعض الامثال ان من يقتصرون على الماء تعروهم الكآبة · فاذا كان العامل يتعاطى الالكحول بعد معاطاة عمله الشاق فذلك لانه يريد ان يرى نضرة الحياة · والبحث

عن المسرات من مباديء اعمالنا . ثم ان المرء يتطلب اشربة تغذيه طبيعية كاللبن ومحضرة كالشوكولاتا ومخمرة كالالكحول . وقد تبين اليوم ان الالكحول مادة تدب منها الحرارة في اجسامنا ولكن الافراط في تناوله ملازم لاستعماله .

مدة بقاء الاشربة في المعدة

تقضي الحال بهضم الاشربة كما تهضم الاغذية ويقول الفسيولوجيون ان درجة هضم الطعام تختلف فهي تبع لمكثها في المعدة . وقد رأى بعض الباحثين باستعمالهم آلة الفونآندسكوب ان للمعد اطوارًا في هضم الشراب فاذا فرغت لا تستغني في العادة عن ان يكون فيها كمية قليلة من الشراب فمتى تناول المرء شرابًا يسقط الى المعدة في الحال على خلاف رأي الاقدمين ويمكث فيها زمنًا . ويرون ان المعدة تنقبض وتصعد وتستطيل مارة بالعرض ويرتفع معدل ما فيها حتى يبلغ فم المعدة وهكذا ينزح الشراب على طريقة لا تنقطع

اذا عرفت هذا فلك ان تقول ان الشراب الممزوج بالاطعمة يمر في فم المعدة قبل الطعام لقلة كثافته ويشغل الطبقة العالية منها . ويرى احد الباحثين من الالمان ان المعدة تهضم نصف لتر من الماء في نصف ساعة على حين يبقى اللحم فيها مدة ثلاث ساعات . واذا جرب البحث في الاشربة المختلفة يتجلى ان مقامها في المعدة يختلف كاختلاف الاطعمة في سرعة هضمها وعدمه وقد جرب الطبيبان يبانشي وكونت فعل الاشربة في انسان على الريق فاخذا يعطيانه نصف لتر من الماء فتمددت المعدة كالكيس وبعد ساعتين فرغ معظم الماء وعادت المعدة الى صورتها السالفة . ومدة بقاء الماء في المعدة تختلف باختلاف درجة حرارة الماء فاذا كانت حارة او باردة تهيج انقباض المعدة فتفرغ بسرعة واذا كانت فاترة تبطئ في انقباضها وينشأ عنها مقس (تحرك الى القيء) اما الماء المبرَّد الذي هو من درجة ١٢ الى ١٣ فانه من احسن المياه للشراب واذا اشتدت برودته يضعف المعدة ويفلجها وربما حدث عنه التهاب فيها .

وتتمدد المعدة بالاشربة الغازية مثل ماء سلتز مثلاً تمددًا كثيرًا وتتسع دائرتها ويطول زمن امتلائها فتجدها بعد ساعتين من تناول الماء وهي محتوية على كمية كبيرة منه . وعليه فالواجب اتقاء الاشربة الكثيرة الغازية كماء سلتز الصناعي الذي ينعش شهوة الطعام الضعيفة قليلاً ثم يحدث عنه في الحال كسل دائم في المعدة . وليس في الخمور المزبدة هذا العائق فان الالكحول الذي يحتوي عليه يقبض المعدة ثم ان مدمنيها يتعاطونها باردة جدا على درجة برودتها من ٨ او ١٠ درجات واحيانًا على معدل درجتين كما تشرب الشمبانيا المبردة . اما المرق فانه يحدث غازات فتتمدد المعدة ويطول امر تفريغها فاذا هاج المرق

ترشح عصارة المعدة فانه على العكس يبطئ الانقباضات المعدية . بمعنى انه يسكن شهوة الطعام على حين يظهر انه يغذي وليس في تغذيته كبير امر بل ان المرء يشعر بالجوع بعد تناوله سريعا وعليه فمن الواجب ان يتناول من المرق كمية قليلة كما يجب ان يكون قليل المائية يتناول على انه مسهل للهضم زائد في العصارة المعدية لا على انه غذاء .

اما الاشربة المغذية كاللبن والشكولاتا فانها تجري في المعدة فتنقاص بها مسرعة بعد ساعتين من هضمها ولا يعود فيها غير جزء ضعيف والاشربة الحارة والعطرة تبقى في المعدة اقل من جميع انواع الاشربة ونعني بالاشربة الحارة القهوة واللوز الهندي (كا كاو) والشاي والماتي (١) والاشربة الاخيرة اي القهوة والشاي واللوز الهندي والماتي نافعة للاعصاب بل انها ملينة لها وذلك ان المعد الكسلانة تحسن حالتها اذا استعملتها على ما اثبتته التجارب واعترف به العامة والخاصة في كل زمن .

في اي وقت يسوغ الشرب

لا يكفي بيان اي شراب ينبغي الاعتماد عليه بل ينبغي ان يعرف في اي وقت يناسب تعاطيه . لا جرم ان في العادة قاعدة لذلك . فاللبن والشكولاتا يتناولها الناس في الصباح والخمر مع الغذاء والقهوة بعد الطعام . واذا عرفت هذه القواعد فان السبب في بقائها مجهول على الجملة وذلك لاننا نخضع للعادات بدون ان نبحث عن سرها فالمرق او الحساء من المقبلات المعينة على الهضم وهو على جودته يمدد المعدة وهذه تصلح بالخمر الذى يقبضها فاذا لم تكف الخمور المألوفة في تنبيه المعدة الكسلانة فان القهوة التي تشرب بعد الطعام تقوم مقامها وذلك لانها تؤخذ على درجة ٤٥ من الحرارة . والاشخاص المصابون بضعف في اعصابهم يستعيضون عن القهوة بقدح من منقوع الاخوان اذا كانت القهوة تهيج معهم وذلك لان في الاخوان مواد عطرة وحرارتها نافعة كحرارة القهوة . قليل من الخمر على الطعام خير مما يأتيه المدمنون فانهم يتناولون منها في الصبوح والغبوق فيأخذون قدحاً في الصباح على الريق ليبعثوا النشاط في اجسامهم ويتناولون المقبلات والمشهيات والالكحول طول النهار . هذه الاشربة اذا جمعت تهيج المخاط المعدي كما تهيج عروق الكبد فيتأتى عنها وجع في المعدة ومرض في الكبد اما العارف باشكال الخمر فانه يحافظ على اصول الطبخ فيتيسر له ان يتناول كمية كبرى من الالكحول بدون ان يشعر بتأثيرات ضارة .

---

(١) الماتي غير مألوف في اوربا ولا في بلادنا وهو ورق يتناول منقوعاً وقدعم استعماله في اميركا الجنوبية وفيه مادة عطرية قلما عرفت وهكذا فان خاصية التهييج في الشاي الاخضر ترجع الى المادة العطرية التي فيه وليس فيه من مادة التيين ما في الشاي العادي

كيف ينبغي الشرب

لا تكفي معرفة الساعة التي يجدر بها الشرب بل ينبغي ايضًا ان تعرف طريقته · فكما انه ينبغي تناول الطعام بتأن ينبغي كذلك شرب الماء بتأن فالعارف بالشراب اذا ذاق قدحا من الخمر الجيد يشربه نغبة بعد نغبة و يضعه في فمه شيئًا فشيئًا و يترشفه ليدرك رائحته وتصل به الحال ان يحسن ذوقه بحيث يعرف اصل ما يتناول من الخمر وحالته من القدم وهذه المعرفة تبلغ ارقى درجاتها عند المتذوق ·

فالسير على هذه الصفة التي من شأنها التلذذ مما يساعد على الهضم كثيرًا وتأثر الاعصاب الذوقية يهيج ترشح الريق فيأتي الماء الى الفم ويحلل الشراب · وقد ابان الفسيولوجيون ان المعدة وان كانت فارغة ترشح عصارة معدية بكثرة · وعند ما يصل اليها الشراب فان كان من المغذيات يهضم بسرعة واذا كان من المهيجات كالالكحول يتحلل ولا يؤثر اصلاً في المخاط ·

ومن سوء الحظ ان قليلين من المتذوقين يحسنون معرفة طعم الاشربة وذلك لاننا جميعنا الا النادر منا نشرب كما نأكل بسرعة زائدة دون ان نفكر فيما نعمل حتى اذا أصبنا بسوء الهضم نسرع الى استشارة الطبيب وهذا لا يلبث ان يوصينا بالتأني ونحن لا نعمل بما يرسم لان الاقلاع عن العادات السيئة يصعب مباشرة والاجدر استعمال الملعقة او طاس ذي عنق طويل كالذي يستعمله المرضى او يستعمل النبيذ الذي يجفف عنبه على القش · ومعلوم ان الطريقة الاخيرة تستعمل في احتساء الاشربة المبردة والاحتياط في ذلك مطلوب واذا تناولها المرء بسرعة تؤثر البرودة في المعدة وتحدث فيها اضطرابات تضرُّ بها ·

واصعب من ذلك المدمن الذي يتناول القدح دفعة واحدة فتنفتح المعدة وتقفل بسرعة كالآلة فلا يشعر المسكين الا بالحرارة التي تنشأ عن الالكحول فاذا جرى تناوله على هذه الصورة من السرعة ودخل على معدة فارغة من الطعام لا يحلله اللعاب فيدخل الى معدة جافة فيكون من ذلك ما يزيد في المضرة ·

المدمن كالشره لا صواب في عمله فالاول مدخول في عقله والثاني شهواني · وارضاء شهوة اقل خطرًا من الافراط · وتكفي الشره كمية قليلة من الطعام فاذا اكثر منه تضعف حواسه وينقطع والمجنون بالسكر هو ولا شك مصاب في عقله حقيقة لا يشبع مهما كرع واحسن الطرق في معالجة دائه ان يمنع من السكر على رغم انفه ·

الاكثار من الاشربة

يشرب الناس كما يأكلون بسرعة بدون ان يتمهلوا في ذوق ما يتناولون وبعد ذلك يكثرون من العجلة في طعامهم وشرابهم وكلتاهما عادتان رديئتان متلازمتان · فيشرب

الشارب شرابه بدون شعور منه كلما رأى كأسه فرغ يملأوه حتى اذا استوفى حظه يكون قد ملأ معدته بشراب والقى الاضطراب في عقله بابخرة خفيفة من السكر · ومن اصعب الاشياء ان يلح عليك من دعاك الى تناول طعامه وشرابه بالاكثار فتضطر الى امتثال امره ادبًا وما هو الا ان تنقلب الى اهلك مريضًا لكثرة ماشربت ·

ليست الاشربة الروحية ضارة فقط لما فيها فان التسمم بالالكحول بل بالقهوة بل بالشاي مشهور لدى الخاصة والعامة بل ان ضررها يكثر من تناول الكميات الوافرة منها حتى ان الماء العذب النقي اذا جرى تناوله بافراط يصبح ضارًا فيحل العصارة المعدية ويمنع الهضم ويتعب المعدة والطعام الكثير لا يستلزم اكثر من ثمانمائة غرام من الشراب ولكن الشريب لا يلبث ان يتناول ضعف هذا الوزن او ثلاثة اضعافه على ان قدحين من الشراب اي من ثلثمائة الى خمسمائة غرام تكفي في غذاء متوسط والمكثرون من تناول الجعة (البيرا) يصابون بتمدد المعدة وتضخم البطن وارتخاء البدن وتعب الكلى و يصابون بالزحير وانبساط القلب المفرط فالاكثار ضار على كل حال ·

الاشربة الشافية

اذا كان الافراط في تناول الاشربة قتالاً فان استعمالها في بعض الاحيان قد يشفي وكلامي هنا لا يتناول الادوية العديدة كالمياه المعدنية ومياه البزور واللعوق وغيرها من الاشربة التي تجهز على صورة سوائل بل ان في الماء الصرف وحده مساعدًا حسنًا على التداوي · فقد قام في الازمان السالفة اطباء عالجوا الادواء بالماء واول من سنّ هذه الطريقة فلاح من اهل العقول الكبيرة اسمه بريسينز اشتهر في اوائل القرن التاسع عشر بعد ان كان خاملاً في قرية صغيرة من سيلزيا من اعمال بروسيا وراح الناس من كل مكان يفزعون الى تعاطي التداوي بالماء للاستحمام او للشرب ومنذ ذاك العهد اكثر الاطباء من وصف التداوي بالماء · وكيفما كانت طريقة استعماله فان الماء اذا أُخذ بكثرة يجلب الانحطاط والسميات و يكثر الاخلاط الضارة بالحياة على الكلي او الجلد · فمن الضروري ان يشرب الماء على الريق لينفع في غسل المعدة فان المصابين بضعف المجموع العصبي تجود صحتهم بتناول قدح من الماء البارد صباحًا عند القيام من النوم وينبغي اختيار ماء تقل فيه المعادن والا فتتعب الكلى ·ولقد قام في عصر بريسينز من ينافسه ويصف غير طريقته في نفس قريته التي نشأ فيها واخذ يحظر على الناس الشرب بينام في التعريق (العرق) والتعريق بزعمه يدوم من ست الى ثماني ساعات وكان يوعز بالاقلال من الطعام كثيرًا وقد فاخر بان كثيرين شفوا على يده بهذه الطريقة ولكن الناس الذين يتحملون طريقته قلائل

اما الآن فقد لطفت طريقة الامتناع عن الشرب لان الطبيب يصف للمصاب بسوء الهضم الذي ثقل فيه العصارة المعدية ان يخفف من السوائل كما يصف ذلك لارباب المعد المصابة بالتمدد والمصابين بالضعف الذين يحاذرون الامتلاء والكظة . ولا سيما للشرهين ممن نرى حرمانهم من الاشربة يعدل شهواتهم للطعام بالقوة وفي تلك الحال يكفي تناول قدح في خلال الطعام ولكن ينبغي ان يمتنع عن الشراب ساعتين او ثلاثاً بعده وهكذا اصدق المأثور عن النبي محمد (عليه السلام) «الماء في خلال الطعام يعطي قوة»

المشروبات القتالة

ثبت الآن ان من الماء تنبعث الجراثيم الباثولوجية كالهواء الاصفر والحمى والتيفوئيد وغيرها وقلما يعرف الناس ان الماء ينقل بيوض جراثيم الاحشاء كما اوضح ذلك العالم متشنكوف حديثاً وكثيراً من الناس من يحملون في احشائهم جراثيم التيفوئيد بل والكوليرا ولا تضرّ بهم . فالماء يحتوي على حلمات طفيلية بقدر ما يحتوي من الباشلس فاضافة شيء من الالكحول عليه في صورة خمر او غيره من الاشربة المخمرة لا تأثير له ولا نفع . اما تقطيره الذي طالما دعا اليه الاطباء فلا يؤثر الا اذا بولغ في التدقيق فيه وهو مما يصعب اتخاذه في المنازل حتى ان الماء اذا استقى من نبع يمكن ان يكون ضاراً اذا كان هناك تربة ترشح وفيها شقوق . واحسن الطرق في تناول افضل الماء سالماً من المضار ان يطال تعريضه للهواء والشمس فهما يقللان سمية الجراثيم ويقضيان عليها . وبذلك يفهم القارىء كيف ان اهل مدينتي كفرسان وانجر احداهما تشرب من نهر السين والثانية من نهر اللوار هم اقل اصابة بالحمى التيفوئيدية من غيرهما من المدن التي تستقي ماءها من الينابيع وذلك لان تينك المدينتين تشربان الماء بعد ان يمر على مرشحات متخذة من الرمل والفحم فيتعرض للهواء وينصفى . اما من حيث الحلمات الطفيلية فان الهواء والنور لا يؤثران فيها . ويقول متشنكوف ينبغي غلي الماء للوقاية منه ولكن هذا الاحتياط يصعب اتخاذه اذ ان الناس اذا تناولوا طعامهم مطبوخاً وامكنهم الاستغناء عن البقول النجة الا بغسلها بالماء المغلي واذا أكلت من الفواكه ما طبخ او كان قابلاً للتقشير ولم يؤخذ اللبن الا مغلياً فان استعمال الماء المغلي هو في العادة ثقيل تفه لا لذة فيه . نقول تفه لانه فقد حامض الكربونيك الذي يوليه الطعم وثقيل لانه زالت عنه مواده المعدنية . على انه يمكن على كل حال ان لا يغالى برداءة الماء المغلي وذلك بان يهوى بالتكرير ويحفظ في مكان رطب .

ويستعمل الجنس الاصفر (اليابانيون والصينيون) الشاي الخفيف في امصارهم لان الماء النقي من الشوائب يصعب ايجاده في بلادهم الكثيرة السكان ولكننا لا نرى استعماله

الشارب شرابه بدون شعور منه كلما رأى كأسه فرغ يملأوه حتى اذا استوفى حظه يكون قد ملأ معدته بشراب والقى الاضطراب في عقله بابخرة خفيفة من السكر ٠ ومن اصعب الاشياء ان يلح عليك من دعاك الى تناول طعامه وشرابه بالاكثار فتضطر الى امتثال امره ادباً وما هو الا ان تنقلب الى اهلك مريضاً لكثرة ماشربت ٠

ليست الاشربة الروحية ضارة فقط لما فيها فان التسمم بالالكحول بل بالقهوة بل بالشاي مشهور لدى الخاصة والعامة بل ان ضررها يكثر من تناول الكميات الوافرة منها حتى ان الماء العذب النقي اذا جرى تناوله بافراط يصبح ضاراً فيحل العصارة المعدية ويمنع الهضم ويتعب المعدة والطعام الكثير لا يستلزم اكثر من ثمانمائة غرام من الشراب ولكن الشريب لا يلبث ان يتناول ضعف هذا الوزن او ثلاثة اضعافه على ان قدحين من الشراب اي من ثلثمائة الى خمسمائة غرام تكفي في غذاء متوسط والمكثرون من تناول الجعة (البيرا) يصابون بتمدد المعدة وتضخم البطن وارتخاء البدن وتعب الكلى و يصابون بالزحير وانبساط القلب المفرط فالاكثار ضار على كل حال ٠

الاشربة الشافية

اذا كان الافراط في تناول الاشربة قتالاً فان استعمالها في بعض الاحيان قد يشفي وكلامي هنا لا يتناول الادوية العديدة كالمياه المعدنية ومياه البزور واللعوق وغيرها من الاشربة التي تجهز على صورة سوائل بل ان في الماء الصرف وحده مساعداً حسناً على التداوي ٠ فقد قام في الازمان السالفة اطباء عالجوا الادواء بالماء واول من سنّ هذه الطريقة فلاح من اهل العقول الكبيرة اسمه بريسينز اشتهر في اوائل القرن التاسع عشر بعد ان كان خاملاً في قرية صغيرة من سيلزيا من اعمال بروسيا وراح الناس من كل مكان يفزعون الى تعاطي التداوي بالماء للاستحمام او للشرب ومنذ ذاك العهد اكثر الاطباء من وصف التداوي بالماء ٠ وكيفما كانت طريقة استعماله فان الماء اذا أُخذ بكثرة يجلب الانحطاط والسميات و يكثر الاخلاط الضارة بالحياة على الكلى او الجلد ٠ فمن الضروري ان يشرب الماء على الريق لينفع في غسل المعدة فان المصابين بضعف المجموع العصبي تجود صحتهم بتناول قدح من الماء البارد صباحاً عند القيام من النوم وينبغي اختيار ماء نقل فيه المعادن والا فتتعب الكلى ٠ولقد قام في عصر بريسينز من ينافسه و يصف غير طريقته في نفس قريته التي نشأ فيها واخذ يحظر على الناس الشرب بينا هم في التعريق (العرق) والتعريق بزعمه يدوم من ست الى ثماني ساعات وكان يوعز بالاقلال من الطعام كثيراً وقد فاخر بان كثيرين شفوا على يده بهذه الطريقة ولكن الناس الذين يتحملون طريقته قلائل

اما الآن فقد لطفت طريقة الامتناع عن الشرب لان الطبيب يصف للمصاب بسوء الهضم الذي ثقل فيه العصارة المعدية ان يخفف من السوائل كما يصف ذلك لارباب المعد المصابة بالتمدد، والمصابين بالضعف الذين يحاذرون الامتلاء والكظة . ولا سيما للشرهين ممن نرى حرمانهم من الاشربة يعدل شهواتهم للطعام بالقوة وفي تلك الحال يكفي تناول قدح في خلال الطعام ولكن ينبغي ان يمتنع عن الشراب ساعتين او ثلاثاً بعده وهكذا اصدق المأثور عن النبي محمد (عليه السلام) «الماء في خلال الطعام يعطي قوة»

المشروبات القتالة

ثبت الآن ان من الماء تنبعث الجراثيم الباثولوجية كالهواء الاصفر والحمى والتيفوئيد وغيرها وقلما يعرف الناس ان الماء ينقل بيوض جراثيم الاحشاء كما اوضح ذلك العالم متشنكوف حديثاً وكثيراً من الناس من يحملون في احشائهم جراثيم التيفوئيد بل والكوليرا ولا تضرّ بهم . فالماء يحتوي على حلمات طفيلية بقدر ما يحتوي من الباشلس فاضافة شيء من الالكحول عليه في صورة خمر او غيره من الاشربة المخمرة لا تأثير له ولا نفع . اما تقطيره الذي طالما دعا اليه الاطباء فلا يؤثر الا اذا بولغ في التدقيق فيه وهو مما يصعب اتخاذه في المنازل حتى ان الماء اذا استقى من نبع يمكن ان يكون ضاراً اذا كان هناك تربة ترشح وفيها شقوق . واحسن الطرق في تناول افضل الماء سالما من المضار ان يطال تعريضه للهواء والشمس فهما يقللان سمية الجراثيم ويقضيان عليها . وبذلك يفهم القارىء كيف ان اهل مدينتي كفرسان وانجر احداهما تشرب من نهر السين والثانية من نهر اللوار هم اقل اصابة بالحمى التيفوئيدية من غيرهما من المدن التي تستقي ماءها من الينابيع وذلك لان تينك المدينتين تشربان الماء بعد ان يمر على مرشحات متخذة من الرمل والفحم فيتعرض للهواء ويتصفى . اما من حيث الحلمات الطفيلية فان الهواء والنور لا يؤثران فيها . ويقول متشنكوف ينبغي غلي الماء للوقاية منه ولكن هذا الاحتياط يصعب اتخاذه اذ ان الناس اذا تناولوا طعامهم مطبوخاً وامكنهم الاستغناء عن البقول النيئة الا بغسلها بالماء المغلي واذا أكلت من الفواكه ما طبخ او كان قابلاً للتقشير ولم يؤخذ اللبن الا مغلياً فان استعمال الماء المغلي هو في العادة ثقيل تفه لا لذة فيه . نقول تفه لانه فقد حامض الكربونيك الذي يوليه الطعم وثقيل لانه زالت عنه مواده المعدنية . على انه يمكن على كل حال ان لا يغالى برداءة الماء المغلي وذلك بان يهوى بالتكرير ويحفظ في مكان رطب .

ويستعمل الجنس الاصفر (اليابانيون والصينيون) الشاي الخفيف في امصارهم لان الماء النقي من الشوائب يصعب ايجاده في بلادهم الكثيرة السكان ولكننا لا نرى استعماله

في بلادنا لان تأثير الشاي اذا أضيف الى تأثير الاشربة المخمرة والاكثار من اللحوم يضرنا اكثر مما ينفعنا . وانه ليطول العمل بهذه النصائح ولكنها تنفع ضعاف الاجسام ممن يريدون عود العافية عليهم كما تنفع صحاح الاجسام ممن يتعرضون لانتهاك القوى والضعف اذا استرسلوا بلا وازع صحي . وحفظ الصحة عدو اللذة .

سياحة العقل

لاتقبل الاجرام عدّا   كلا ولا الابعاد حدّا
العقل يرجع خاسئًا   عنها وان لم يأل جهدا
يرقى اليها موريا   بالفكر في الظلماء زندا
متجهزًا بضياء انـ   ـظارٍ بها ان ضل يهدى
وقد استعدّ وكل سا   عٍ يستعين بما استعدّا
فيسيح في ليلٍ به   زهر النجوم يقدن وقدا
ويجوز اجوازًا لها   متعسفًا فيكاد يردى
مهما ترقى صاعدًا   الفى وراء البعد بعدا
يسمو وينفذ موغلا   فيصدّه الاعياء صدّا

***

حكت المجرة صارما   وحكت سحائبها فرندا
نفسي تود وكيف اه   نع في نفسي ان تودّا
لو انها وجدت طريـ   ـقًا منه للشعرى يؤدّى
وتصعدت فتقلدت   من انجم الجوزاء عقدا
وبكفها لمست من الـ   ـقرب السماء اللازوردا
خادعت نفسي حين لم   ارَ من خداع النفس بدّا
اني اذا خالفتها   كانت ليَ الخصمَ الالدّا
يانفس بعد الموت ذا   لك كائن فاليك وعدا

***

والعقل يعلم من سيا   حته التي اولته مجدا

ان المجرة لم تكن　　الاَّ عوالم فقن عدّا
والسحب فيها انجم　　هن الشموس بعدن جدا
متحركات في السما　　ء تخال ان لهن قصدا
متنقلات في فسـ　　ـيح فضائها عكساً وطردا
فلها مجاز في مجا　　هلها تسير به ومعدى
زُرقًا وحمرًا زاهيا　　تٍ في مجاريها ورُبدا
متجاذبات لو تخلّـ　　ـف واحدٌ عنها لاودى

***

وهناك اجرام على　　كرّ الدهور جمدن بردا
ستعيد يوما ما حرا　　رَتَها القديمة او اشدّا
وتمد ثانية اشعّـ　　ـتها الى الاطراف مدا
اني لاحسب ان هـ　　ـذا الكون حي سوف يردى
وكذاك احسب كل نجـ　　ـمٍ جوهرًا للكون فردا

***

والارض بنت الشمس تر　　ضع من حرارتها وتغذى
وتدور في اطرافها　　مشدودةً بالجذب شدا
فتطوف مثل فراشة　　لاقت بجنح الليل وقدا
وبدور محورها توجّـ　　ـه نحو نور الشمس خدّا
لولا دليل الجذب ما　　ملكت بهذا السعي رشدا
ولاً بعدت عن امها　　فمضت وما الفت مَرَدّا
بل تاه جامد جرمها　　اوصادمت في السير ضدا
فهناك يهلك اهلها　　وتكون للسكان لحدا
ويلي لها ان صادمت　　جرمًا من الاجرام صلدا

***

لهفي على الشبان تخـ　　ـمد منهم الانفاس خمدا
وعلى الحسان الكاعبا　　ت عرضن كالرمان نهدا
والورد خدًّا والظبي　　عينا وخوط البان قدا
تردى واكبر في نفو　　س العاشقين بذاك فقدا

فتموت سلمى في الشبا ب وزينب وتموت سعدى
وعلى الرجال الذائدين عن الرعية من تعدى
كشفت بهم غماؤها واحيل بؤس العيش رغدا
هم البسوا الاقوام اذ فسدوا من الاصلاح بردا
وبنوا بفضل الذّب بين الظلم والضعفاء سدا
مثل السيوف المصلتا ت لم تكون الارض غمدا
وعلى الفلاسفة الأُلى كشفوا من الإسرار عدا
وعلى الرجال الماحصين العلم تحقيقا ونقدا
ويلي له من حادثٍ يستنفد الاعمار حصدا
ان لم يمت في يومه الا سان فهو يموت بعدا
ما الموت الاّ منهلٌ نأتمه وفداً فوفدا
قد مرّ للمتنعمين وطاب للبؤساء وردا
حمداً لك اللهم في السـ ـرّاء والضرّاء حمدا

***

ماذا تكون الارض بعـ ـد صلاتها اتعود تهدا
اتجد بعد خرابها الـ ـمظنون للعمران عهدا
أَلها اذا بلغت نها ية دورها المسعود مبدا
اني لآمل ان تعيـ ـد قوى الحياة وتستردا
وتعيش حيواناً بها وتكون للانسان مهدا
وتعيد آباء كما كانوا بها وتعيد ولدا
الارض بالانسان تكـ ـسب بهجةً وتنال سعدا
يا ارض لولا سعيه لم تدركي يا ارض مجدا
هو ذلك السر الذي افشاه مبدعه وابدى
لا تحتقره لكونه في زعمهم قد كان قردا
فلقد تقدم في الكما ل وبالفضائل قد تردى

بغداد ج ...

تهذيب الفرد في المجتمع الانساني

معربة من كتاب علم الاجتماع لهربرت سبنسر

(١)

تهذيب الفرد لفظ يراد منه معاونته على التذرع بالذرائع التي تؤهله الى حياة تامة في هذا الوجود . والتهذيب من حيث هو يشتمل على امرين احدهما ان يكسب الفرد شيئاً من العلم ثم يصحبه بشيءٍ من العمل وكلاهما نافع . بل هما من الامور التي يترتب عليها قوام معاش الفرد والاسرة والامر الآخر يتضمن ترقي القوى المودعة في الفرد على اختلاف انواعها وهذا الترقي يمكن تلك القوى من نيل اللذائذ التي تهديها طبيعة الوجود والبشر الى نفوس تقبلها وتستطيع ان تستمتع بها .

النوع الاول تحث عليه الاخلاق وتوجبه لان به يحصل التلاؤم بين الفرد ومحيطه ويصبح خليقاً بالوجود . ولما كان لهذا النوع علاقة بالحياة كان الحصول عليه من واجبات الفرد نحو نفسه ثم نحو المجتمع . واصحاب العمل اليدوي لا ندحة لهم عن احراز هذا النوع من التهذيب لان به معاشهم ولاغنى عنه لكل فرد من البشر اللهم الا لمن انتقل اليه شيء من الرزق بالارث فيمكنه ان يعيش به . اماسائر الافراد فانهم اذا اغفلوه ولم يتعنوا له يتعذر عليهم مناصبة الطوارىء الطبيعية التي تقضي بنسخ الضعيف ليقوم مقامه الاقوى . وينتج من هذا ان الفرد الذي لا يكون متأهباً التأهب التام بهذا التهذيب يصبح كلاً على كاهل سائر الناس هو واسرته وولده فاذا هم ابوا تقديم الضرورات له ولنسله فلا يتخلصون من قلق وسآمة ينالانهم عند مشاهدة عجزهم وألمهم . وهو بلية على البشرية مصدرها اولئك الذين عاثوا في الارض فساداً وبخسوا التهذيب حقه وخلطوا فيه اذ وهموا فيما يتقاضونه فاطلقوه على معلومات ربما حملت في مطاويها ضرراً اكثر من نفع وربما كانت وسيلة لاكثار القاعدين الذين لا طاقة لهم بهذا الوجود . هؤلاء باسم العلم والتهذيب يثقلون مناكب البشر ويكلفونهم بتقديم القوت وسائر الحاجات . يتسمون بسمات لو نزعتها عنهم لرأيت تحتها العجب العجاب .

اما النوع الثاني فليس له نهج خاص ولا يجب ان ينحى في طلبه طرق معلومة والاولى ان نترك القوى وشأنها فلا يكون الواجب مسيطراً عليها ودليلها الطبيعة والسليقة وهما تسوقان الفرد الى معرفة اللذائذ التي هو اهل ان يمتع نفسه بها والتي اذا تغاضى عنها ولم يبال بها كان

ذلك باعثاً على انتقاص سروره و زيادة ألمه · ان اهل الزهد يتخلون عن البشر ويعمدون الى مسخ جسومهم وتعذيب ابدانهم ويحظرون على اتباعهم اية ملذة كانت وينفرون من كل ما يطلق عليه هذا اللفظ على ان تعظيم العامة لهم ومجرَّد ذهابهم الى ان العناية الغيبية راضية عنهم فيه من اللذة ما فيه هذا مع انه لادليل لهم على قهر انفسهم وكراهتهم للذة · وغلوّهم في الزهد حدا بفرقة الكوكر (Quakers) ان يندّدوا بهم ويخطئوهم · وقد رأينا طائفة من الفلاسفة مذهبهم ان السعادة هي اسمى فضيلة وفلسفتهم تدعى الهدونية (Hedonism) فهؤلاء يحرضون على ترقية المدارك والعواطف وتمرينها على معالجة المحسوسات بحيث تصبح خليقة ان تكسب منها كل ما من شأنه جرُّ سرور لصاحبها او رفع ألم عنه وعلى التمادي تصل به الى السعادة المنشودة وكله استعداد لحياة تامة وهذا مما يقتضيه التهذيب على ما مرَّ بك وتحث عليه الاخلاق ·

(٢)

ترى مما تقدم اننا وصفنا التهذيب وصفاً عاماً ونتوخى الآن ان نورد لمعاً عن فروعه المتفاوتة ومآخذه المتعددة · فمن جملة هذه الفروع التهذيب العملي وهو اعظمها خطراً على ان الناس لا يقدرونه حق قدره وقد كاد يهمل امره في كثير من معاهد الطلب وتلافى هذا الخطر اهل النظر فقاموا يشدون أزره وسعوا بادخاله في لوائح المدارس · على ان المنافع التي تنجم عن التمرين العملي والمهارة اليدوية تجلى لمن توقف معاشه عليهما وانحصرت مصادر ضرورات حياته فيهما على انه لا يسع من كانوا في غنى عنهما لما توفر لهم من دواعي الثروة واسباب الدعة الا الاقرار بالنفع الذي يتأتى من التحصن بهما ·

ولا نزاع في ان هذا التهذيب يأتي بمرافق خطيرة لمن ينصرفون الى الاشتغال بالصنائع وسائر الاعمال البدنية على انه لا ينبغي ان يعنى به كثيراً في تربية الطلبة الذين عقدوا النية على معاطاة الصنائع في المستقبل لان هؤلاء يتيسر لهم فرص لاتمامه وحسبهم التمرن على شيء طفيف منه · اما الطلبة الذين يتوخون ولوج الدوائر العليا من المجتمع كوظائف الحكومة وسائر الاعمال العقلية فيجب ان تربى فيهم المهارة الفنية والقوى المدركة على السواء لان محيطهم المنتظر لا يمكنهم من الرياضة العضلية وانهماكهم بمعضلات المسائل ينسيهم الواجب عليهم لابدانهم ·

ثم ان الفرد الذي يهذب عقله و بدنه يكون اقل عرضة لعوامل الوجود وعوارض الطبيعة من مشوّه الجسم وان دهمته نكبة او بغتته حادثة فهو اقدر على درء ضررها عنه وقد يكون عوناً لاخوانه في كثير من الاحايين بيد ان الضعيف من البشر يعرضه ضعفه الى الوقوع

في حبائل النوائب وقد يؤدي به الى الهلكة ان لم نغثه فريبه المقندر فترى من هذا ان مشاعر الفرد واعضاء بدنه لها غاية واحدة وهي المناسبة والمطابقة بين افعال الفرد و بين الاشياء والحركات التي تتناولها افعاله فوجب اذًا علي البشران يرقوا مداركهم وجسومهم على السواء لتكون خليقة بافعال ذات شأن حتى يكمل التناسب بين الفرد والمحيط ·

ان في الطرائق التي تتخذ الآن في تربية الطلبة نقصًا محسوسًا · وما اسخف تربية تلقن برمتها بمثائل تلقى على الطالب ليعيها في حافظته فالعلم معلى شأنه والعمل مهمل امره ولا يسوغ الشطط في وجوه التهذيب فالتمرين العملي واجب وينبغي ان ينظر فيه الى الغاية التي ينشدها الفرد و يريدها ان تكون أسًا لحياته ثم هو يتروى في فوائد التمرين و يأخذ منه قدرًا ينفعه في ادراك غايته و يهمل مالا يجديه اما المنافع التي تكون من تهذيب القوى بأسرها فمما لامراء فيه وهي تظهر في كل عمل من اعمال البشر ·

(٣)

التهذيب العقلي هو الفرع الثاني من تهذيب الفرد ولعله ينطبق في مأخذه على الفرع الاول فكما ان في التهذيب العملي رياضة لاعضاء بعسور تعدها لمعالجة الاشياء مباشرة فهكذا التهذيب العقلي يوجب تمرين العقل وتجهيزه للمطابقة بينه و بين الاشياء ومعالجته اياها بواسطة الاعضاء · على ان التهذيب العقلي باعلى صوره هو فوق طاقة العامة فيكاد يخفى عليهم ان ثمة علاقة بينه و بين الحياة العملية وان بينهما مطابقة وانه نافع للبشر في تحصيل معايشهم وما ذلك الا لضعف نظرهم في الامور وجهلهم بطبائع الاحوال · فقد نسوا ان العود الذي يرفع به ثقل وان الدولاب والجذع اللذين يستخدمان في باخرة ما هي كلها تطبيق لمباديء العلم في نظريات المخل · نسوا ان تثقيف النبال يقتضي علمًا ببعض مباديء القوة والحركة في العلم الطبيعي · واننا نحن نتدرج من هذه المباديء البسيطة في العلم ثم نتطرق الى نتائج رياضية وفلكية وان العلم نفسه نشأ نشوءًا و ما زال يترقى حتى بلغ حاله المعهودة الآن وان المعارف المشوشة التي ابتدأ العلم بها قد كانت للبشر اساسًا لا كتشاف العلم المنظم والنافع للفرد وبدونه لا يقوى علي الحياة · الا ترى ان المعارف العالية في الفلك وسائر الرياضيات هي دليلنا الامين في المعامل ومكاتب اهل العمل التجاري وفي تسيير السفائن والبواخر · وان علم الحكمة والكيمياء ليس لنا عنهما غنى في التجارب العملية والتحليل المادي وعلى الجملة فالتهذيب العقلي يوجب ترقية قوة الفرد ومواهبه و بذلك يؤثر في محيطه ثم يستعد لان ينفع نفسه ويحيا حياة تامة · ولما كان التهذيب العقلي وسيلة لمعرفة طبائع الاشياء وجب توسيع نطاقه مهما امكن فلا يجوز للفرد ان يتخذ جزءًا منه ويغفل اجزاء ولعلَّ هذا

من نقائص الاساليب الحاضرة في تعلم الصنائع . فان العلم ببضعة من المظاهر الطبيعية مع جهل سائرها قد يؤدي الى سقطات فادحة في ابداء الاحكام في احوال الموجودات وقد يتعذر بقاؤه في الذاكرة .

ثم ان لكل شيء وكل عمل في هذا الوجود روابط تربطه الى ظواهر الكون على تباين صنوفها فمنها ما هو رياضي ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو كيماوي ومنها ما هو حيوي وهذه الظواهر جميعها مشتبكة بعضها ببعض حتى ان العلم التام بجملة منها يقتضي العلم بمبادىء بقيتها . وقد يستغرب بعضهم من الحث على توسيع التهذيب العقلي الى هذا الحد ويخيل لهم ان ذلك لا ضرورة تدعو اليه على ان تعميم التهذيب على هذا الاسلوب يمكن الفرد من ادراك حقائق كل علم على حدته دع عنك ما فيه من ادراك النتائج الاصلية التي تتفرع عن هذه الحقائق ولا يجب عليه ان يبحث عن تشعباتها ونسبها وتفاصيلها فليس ذلك من شأنها وبعد ان يقف على مبادىء العلوم باسرها يصبح ذا المام بمظاهر الكون جميعها واذذاك يكون قد استعد استعدادًا تامًا للاخصاء فيصرف نفسه الى جملة من ظواهر الطبيعة و يعمد الى درسها واتقانها .

ترى من هذا ان الاجتماع نفسه يحث على التهذيب العقلي من وجه مضمن لانه كلما عظم شأنه سهل امر معاش الفرد والاسرة . وبالجملة استدر المجتمع النفع العام . وهنالك وجه آخر ظاهر يؤيد التهذيب العقلي على انه ليس له علاقة بالحياة العملية وهو مستقل عنها كل الاستقلال وهاك ما نقصد على سبيل الايضاح : — اكثر البشر لا يدركون عظمة الكون وذلك لقلة مادة العلم وكساد بضاعة التهذيب بينهم فالخادم وصاحب الحانوت وحامل العلم والاديب جميع هؤلاء لا يدركون عظمة ما في هذا الوجود من حي وجماد ولا يدركون ما يستطيع ادراكه ناس انقطعوا الى درس حركات الطبيعة وظواهرها . هؤلاء يقدرون ان يبحثوا في دقائق الطبيعة و يسرحوا مخيلتهم في الكون بعد ان يكونوا قد اقصوا عن عقولهم المباحث والخواطر التي تتعلق بالحياة العملية . تصوَّر ردهة مزدانة حوائطها بانواع الزين وقد دخلت اليها في جنح الدجى ولم يكن فيها الا شمعة منارة موضوعة بقرب زاوية في الحائط . فبان لك شيء من الزينة والنقوش وخفيت عنك اشياء وبينا أنت في هذا الحال أنيرت مئة قنديل كهربائي فازالت من الردهة رداء الظلام الحالك ومثلتها لعينيك بما فيها من الزين والنقوش . هذا مثال ينطبق على ظواهر الكون كل الانطباق فالعلم يعلي شأن الحياة العقلية وكلما كان تهذيب الفرد اتم كان نظره في الكون اوسع .

فينتج من هذا ان درس نظام المظاهر الطبيعية يوجد في الفرد علماً عاماً باحوالها على

انه يؤدي به الى حدود يقف عندها العقل البشري في دهشة و يتقاصر عن تجاوزها كل بحث وعبروا عنها بقولهم ماوراء الطبيعة . وهذا الدرس يمكننا من ادراك العلاقة بين الفرد واسرار الوجود ويخولنا ان نشارك الطبيعة ونتمتع بما تفيضه علينا من سوابغ النعم وعظيم اللذائذ .

(٤)

اما العلم الذي يجب على الفرد ان يتطلبه فعلم الاجتماع وهذا يتضمن الاطلاع على التاريخ ولاسيما ما كان يبحث منه عن الوطن وما له علاقة به و ينبغي تتبع آثار الامم والرجوع بها القهقرى الى ما قبل انبلاج فجر حضارتها والبحث عن آثارها في إبان بداوتها لان هذا البحث هو المصدر الذي نشأت منه الحقائق الاجتماعية المتفرقة وهو مهمل في دوائر التربية الحاضرة . ثم انه يجب الوقوف على احوال الامم المشرقية لان ذلك يقتضيه علم العمران و يوجبه . ودرس التاريخ يجب ان يتناول بالاكثر احوال الامة وكل ما ليس له علاقة بالاشخاص على انه لايجوز اغفال سيرة الرجال بتاتًا ولايجب ان يبخس حقه . غير ان المؤرخين افرطوا في الاهتمام به حتى انهم حصروا علم التاريخ بتراجم العظماء . وما زال الاغمار في كل عصر يؤيدون هذا الرأي . وقد صرَّح كارليل ان علم التاريخ كناية عن تدوين حوادث قام بها الملوك مضافًا اليه ترجمة حالهم والناس الآن يميلون الى الاطلاع على تواريخ الرجال الغابرين كما يرغبون في الاطلاع على احوال المعاصرين . والغرض من درس التاريخ هو الاطلاع على نواميس النشوء الاجتماعي وهذا لا يتيسر بالوقوف على ترجمة حال الملوك والوزراء والبابوات والقواد ولا بالعلم بما شنوه من الغارات او قاموا به من المحاصرات او احدثوه من المؤامرات وابرموه من المحالفات والمعاهدات .

ثم انك اذا تدبرت الطرق التي ترقى بها المجتمع تر ان رقيه كان باديء ذي بدء في تقسيم الاعمال وتوزيعها على الافراد وكثيرًا ماحدث التقدم بدون رضى الحكام . هذا يدلك على ان النشوء العمراني يجري مجراه فيكيف المجتمع وينوعه غير مبال بالعوائق التي يحاول الكبراء صده بها . ويليق بنا ان نعلم شيئًا من الاعمال التي قام بها بعض الملوك ونطلع على اخلاقهم لما في ذلك من النفع لنا في ادراك مشاهد النشوء التي حدثت في زمانهم والتي ان هي فصلت عن حوادثها وعن اشخاص كان لهم علاقة بها تعذر ادراكها حق الادراك . ثم ان المعرفة المتوسطة من هذا العلم تعينناعلى ادراك الطبع البشري وتقف بنا على يفاع نشرف منه على ما بلغه الانسان عند طرفين متناقضين وهما الضير والخير فمن البشر من يسعى الى دمار العمران وخرابه ومنهم من يسعى الى اعلاء شأنه وتوسيع نطاقه .

اما علم الادب فلا ريب ان له شأناً عظيماً في تهذيب الفرد واعداده لحياة تامة ولا يجب مع هذا ان يخص بوقت طويل لاسيما في تهذيب الراشدين واعني بهم من بلغوا من العمر ما يناهز العشرين وذلك لان البشر عموماً يرغبون العمل في امور تلذهم ويستسهلون معاطاتها . فالتاريخ المتعارف والشعر والروايات وتراجم العظماء طالما عُني بها كثيرون وانصبوا عليها وانصرفوا اليها اما العلم الذي يبحث عن الطبيعة وظواهر الكون فليس للبشر ميل اليه ولذا وجبت العناية به اكثر من الادبيات . على ان للادبيات قدراً عظيماً عند اصحاب الهدونية (Hedonism) يتخذونها من وسائل بلوغ السعادة لان عليها تترتب البلاغة في الحديث والطلاقه في اللسان ومنها تكتسب العبارة جزالة ورقةوبهاتتولد اللذائذ العقلية وتنصبغ المشاريع الاجتماعية ولولاه لكان الحديث كناية عن الفاظ يتفاهمون بها وهي خلو من الحياة كالجسم اذا فقد الروح .

(٥)

بيد ان البشر يتطرفون جداً في متابعة تهذيب الفرد فمنهم من يفرّط فيه ويغفله بتاتاً فيخسر فوائده جهلاً . ومن سلك هذا المسلك هم السواد الاعظم من البشر ومنهم من يفرط فيه كأن ينصرف بكليته اليه فيؤدي به هذا الافراط الى اضرار ربما كانت مهلكة .

قال اميرسون: ان من شرائط التهذيب الاولية ان يكون الفرد حيواناً قوياً وهو قول ينطبق على افراد البشر بدون تفرقة . فالحياة التي تزري بالوجه الحيواني من الفرد ليست حياة . وان كان يعذر صاحبها في بعض الاحوال فانه ملوم على وجه العموم . ولو تقصينا احوال البشر ومعارفهم لظهر لنا انه لا يمكن انفصال العقل عن الحياة ولا انفصال الحياة عن الاجسام ونتبين انه لا يمكن ان يحيا الفرد حياة تامة الا اذا كان قويّ البنية شديد العضل وان الاعتداء على شرائع الصحة الطبيعية يؤدي بالفرد الى مضار طبيعية ويجلب مع الزمن مضار تشوش العقل وتضعضع احواله . ثم انه لا ينبغي للفرد ان ينصرف الى التهذيب الاعلى الا بعد ان يكون عرف انه اكمل الواجب عليه من سائر مطالب الحياة ولا يجب ان يكون تهذيبه عقبة امام نشوء الجسم ولا ان يتوخى منه التمرين على الحركات القانونية التي تتضمن الالعاب اليدوية فان هذه لا تنفع في الحياة الا قليلاً . ومن الخطإ الفادح الاهتمام المفرط بالتهذيب بحيث تنتهي الحال بالانسان ان ينصرف به عن سائر اللذائذ الطبيعية وقد يولد فيه هذا الافراط سآمة تناله في نفس الموضوعات والاشياء التي اخذ النفس بها ولعل هذا الكره متأتٍ عن الضغط الشديد على النفس واكراهها على سلوك مسلك مذموم . وان الافراط في تهذيب النساء تهذيباً عالياً مذموم في ذاته لما يجلب عليهن من الاضرار

الجسيمة قال بعضهم : ان جامعتي غرتون (Girton) ونهم (Newnham) في كمبردج (Cambredge) ليستا على صواب في تهذيب البنات لانهما متطرفتان والتهذيب الذي تستعملانه مناف للصحة الجيدة . وهو قول حق اذا أُخذ على بابه . على ان قائليه يخلطون في فهم معنى « الصحة الجيدة » و يعنون بها سلامة الجسم من التوعك والانحراف الظاهرين . اما نحن فنريد منها ان يكون الفرد ذا مزاج قوي وان يكون فيه نشاط في الحركة . فترى ان القول المار ذكره صحيح وان كان فكره مغلوطاً فيه . وان هناك بوناً شاسعاً بين معاني الصحة فالناس ينظرون الى الظواهر

ومن الغريب ان كثيراً من النساء يخدعن بظواهرهن فيظن الناظر اليهن انهن ممتعات بصحة جيدة غير انهن في الحقيقة غير خليقات بانشاء نسل صالح لحفظ النوع ذلك ان في المرأة فضلة من الكريات الحيوية ليست في الرجل خلقت لانشاء النوع البشري فاذا أُرهقت الاعضاء بالاهمال والافراط في التهذيب الاعلى كان ذاك باعثاً على نقصان تلك الفضلة وقد تبقى المرأة قادرة على التوليد لبقاء ما يقتضيه في بدنها من القوة الحيوية فلا يشعر بذلك النقصان . ثم انه تتلف من الجسم مقادير عظيمة من الكريات في اعمال اخرى غير اعمال التوليد كالحركات اللازمة للحياة العملية وما يندثر من الدماغ عند اعمال الفكرة واعمال الروية وانفعال المتأثر به وما شاكل من الاتلاف الحيوي الذي يؤثر على التمادي في كريات التوليد فيضعفها . فترى من هذا ان قوة التوليد في المرأة تضعف على نسب متفاوتة فطوراً تضمحل فلا تستطيع المرأة الولادة وتارة تولد ولكنها لا تستطيع الارضاع وفي بعض الاحوال تتأتى اضرار لا اقدر ان اصرح بها . ومن العواقب السيئة التي تنجم عن الافراط في تهذيب النساء وقوع النفرة والتباعد بين الزوجين وهو من النتائج الدقيقة التي لا تظهر الا لاصحاب التروي .

ولو هذبت لوائح المدارس عندنا (انكلترا) بطرق مطابقة للعقل لتأتى للنساء التهذيب الضروري لهن وتخلصن من مضار التربية الحاضرة . يجب ان يلغى منها كل ما يعبث بها من المضار ويبقى كل نافع . ولا يمنع ولاة الامور من الغاء الطرائق الحاضرة الا زعمهم انها موافقة لمقصود التربية .

على ان التربية باسمى معانيها تقتضي الحصول على شيء من العلم ضروري لكيان البشر نافع لانارة الاذهان وتوسيع العقول مقصود به اعداد الفرد لحياة كاملة وما تجاوز ذلك كان فيه غلو عقيم وافراط سقيم .

(٦)

سبق لنا في هذه المقالة ان الاخلاق توجب تهذيب الفرد وتحث عليه وهناك موجبات

عمرانية فمنها ما هو غيري ومنها ما هو اناني . اما الانانية فهي تحتم على الفرد ان يتحلى بالتهذيب العقلي لان به تترقى قواه ويطيب له المعاش وان هو اغفله وجهله كان اشبه بالحيوان منه بمخلوق عاقل . والغيرية تتقاضى الفرد ان يبذل من قواه شيئاً في سبيل سرور غيره فان لم يكن مهذباً يستحيل عليه نفع المجتمع الانساني .

وافضل انواع التهذيب هو التهذيب الفني واعني به درس الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير والشعر ولا يجب ان يتوخى فيه فقط النفع الشخصي والسعادة الذاتية وانما ينبغي ايضاً ان يعنى به لانه يهيء الفرد لنفع محيطه وهذا هو الموجب الغيري . على ان للوجه الاناني شأناً عظيماً في هذا التهذيب لان الفرد الذي يتعلم الموسيقى وسائر الفنون ينال من اللذة ما يتعذر استمتاع غيره بها ممن ليس على شيء من العلم بها .

الا ان الافراط في التهذيب الفني ليفضي بصاحبه الى اضرار شأن الافراط في سائر انواع التهذيب العقلي ولذلك وجب الاعتدال لان التطرف فيه يذهب الوقت و يضيع العمر سدى . واقبح المضار التي تنجم عنه مشاهدة في النساء اللواتي انصرفن الى الفنون الجميلة واغفلن سائر الاعمال . ومع ان الاخلاق تحث على التهذيب الفني فهي تشدد النكير على الافراط فيه ولا ترضى عن اساليبه في هذا العصر . وما احسن البحث في الرذائل التي انبعثت عن الغلو في حب الموسيقى فان ذلك يظهر كل الظهور ان المغالاة سوس ينخر عظام الامم حتى ينتهي بها الى العدم .

القاهرة خليل الخوري

المطلقة

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود من الخفرات آنسة عروب
نوارٌ تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
ولكن الشوائب ادركته فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجداً وكاد يجف ناعمه الرطيب
اصابت من شبيبتها الليالي ولم يدرك ذؤابتها المشيب

وقد خلب العقول لها جبين تلوح على اسرّته النكوب
الا ان الجمال اذا علاه نقاب الحزن منظره عجيب

***

حليلة طيب الاعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
توثق حبل ودهما حضورًا ولم ينكث توثقه المغيب
فغاضب زوجها الخلطاء يومًا بامر للخلاف به نشوب
فاقسم بالطلاق لهم يمينًا وتلك أليـة خطأ وحوب
وطلقها على جهل ثلاثًا كذلك يجهل الرجل الغضوب
وافتى بالطلاق طلاق بت ذوو فنيا تعصبهم عصيب
فبانت عنه لم تأت الدنايا ولم يعلق بها الذام المعيب

***

فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يانجيب صرمت حبلي وهل اذنبت عندك يانجيب
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ وصرت اذا دعوتك لا تجيب
ابن ذنبي اليّ فدتك نفسي فاني عنه بعدئذٍ اتوب
اما عاهدتني بالله ان لا يفرّق بيننا الاّ شعوب
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقه الوجيب
وما ادماء ترتع حول روضٍ ويرتع خلفها رشأ ربيب
فما لفتت اليه الجيد حتى تخطفه بآزمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه بداء ما لها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحًا وتحب والبغام هو النحيب
وتمزع في الفلاة لغير وجه وآونةً لمصرعه تؤوب
باجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منكِ فارقك الحبيب

***

فاطرق رأسه خجلاً واغضى وقال ودمع عينيه سكوب
نجيبة اقصري عني فاني كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي وليس العيش دونك لي بطيب
ولا اسلو هواك وكيف اسلو هوىً كالروح فيَّ له دبيب
سلي عني الكواكب وهي تسري بجنح الليل تطلع او تغيب
فكم غالبتها بهواك سهدًا ونجم القطب مطلع رقيب
خذي من نور رنتجن شعاعًا به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري وانظريني ترى قلبي عليك به ندوب
وما المكبول ألقي في خضم به الامواج تصعد او تصوب
فراح يغطه التيار غطًا الى ان تم فيه له الرسوب
باهلكَ يا ابنة الامجاد مني اذا انا لم يعدْ بك لي نصيب

***

الا قل في الطلاق لموقعيه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوًا يضيق ببعضه الشرع الرحيب
اراد الله تيسيرًا وانتم من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بامتكم كروب لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهى حبل الزواج ورقَّ حتى يكاد اذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس ادلت به في الجوّ هاجرة حلوب
يمزقه من الافواه نفث ويقطعه من النسم الهبوب
فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما اتاه طريق علم نحاها شيخه الحبر الاريب
وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد امرًا لنا فيجيب منهم من يجيب

بغداد معروف الرصافي

مخطوطات نادرة

اما وقد خصصنا شطراً من هذا الجزء للكلام على محاسن الكتب وغلاتها فيجدر بنا ان ننقل هنا من كناش الشيخ طاهر الجزائري وناهيك بما يقع عليه اختيار هذا الاستاذ الكبير بعض المخطوطات النادرة من الاسفار المحفوظة في خزائن الكتب العامة في الاستانة ودمشق وحلب والقاهرة و باريز نسوقها هنا ليرجع اليها من يتصدون لطبع الكتب او يرغبون في الاستنساخ تعميماً للفائدة ·

علم الحكمة

من الجدير بالطبع والاحياء في دار الكتب الخديوية بالقاهرة في هذا الفن (١) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي المقولات والقضايا والقياس والبرهان لابن رشد (٢) تلخيص كتب ارسطو الاربعة وهي السماع والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلوية لابن رشد (٣) ويلي ذلك كتابان له اولهما في اثبات اقاويل المفسرين المطابقة لما قاله ارسطو في العلم الطبيعي ثانيهما في النقاط الاقاويل العلمية من مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٤) مقالات ارسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة (٥) مقالات ارسطو لابي الفرج عبدالله بن الطيب كتب سنة ٤٨٠ (٦) الانصاف لابن سينا (٧) التعليقات له ·

وفي مكتبة اللاله لي بالاستانة (٨) شرح الاشارات لابن كمونة اليهودي (٩) شرحها للسيف الآمدي (١٠) المعارف العقلية للغزالي (١١) في مكتبة اياصوفية بالاستانة الحكمة المشرقية لابن سينا·(١٢) كتاب في الحكمة الجديدة لابن كمونة اليهودي ٦٧٦ (١٣) كتاب في المناظر للحسن بن الهيثم (١٤) العمل بالكرة الفاكية لقسطا بن لوقا البعلبكي (١٥) تحرير اقليدس لمحيي الدين المغربي (١٦) مجموعة الرئيس ابن سينا فيها رسالة في معرفة الله وصفاته وافعاله واخرى في قصائد الشيخ واخرى في مسائل دارت بينه وبين بعض المتكلمين واربعة في خطبة الشيخ وخامسة في امر المهدي (١٧) ومجموع آخر للرئيس ايضاً فيه رسالة في الارزاق وفي ايراد البراهين على مسائل عويصة وثالثة في اثبات النبوة ورابعة في اقسام العلوم العقلية وخامسة في حل مشكلات في الهيئة ·

وفي المكتبة العثمانية بالاستانة (١٨) ترجمة كتب ارسطو لاسعد اليانيوي ١١٣٤ وفي مكتبة الفاتح (١٩) مختصر صوان الحكمة لحجة الحق عمر بن سهلان · وفي مكتبة راغب باشا (٢٠) شرح النجاة للشيرازي (٢١) المدخل فى الموسيقى للفارابي (٢٢) في مكتبة بني جامع بالاستانة (٢٣) نهاية الادراك للقطب الشيرازي · في مكتبة الكوبرلي (٢٤)

الكاشف لابن كمونة سعد بن منصور اليهودي (٢٥) المنتخب من صوان الحكمة لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني . في المكتبة الاحمدية في حلب (٢٦) المباحث المشرقية للفخر الرازي

علم التاريخ

في دار الكتب الخديوية (٢٧) الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ليوسف البياسي ج ٢ (٢٨) در السحابة في مواضع وفيات الصحابة للصغاني (٢٩) طبقات فقهاء اليمن (٣٠) تجارب الامم وتعاقب الهمم لابن مسكويه طبع منه الجزء السادس (٣١) المغرب في حلي اهل المغرب لستة سادسهم ابن سعيد سنة ٦٧٢ كتبه بخطه للخزانة الكمالية بحلب (٣٢) نهاية المشتاق للادريسي محلى بالذهب كتب سنة ٧٤٨ (٣٣) الدرر الكامنة في المائة الثامنة للحافظ ابن حجر (٣٤) المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي .

في مكتبة بشير اغا بالاستانة (٣٥) منتخب تاريخ الحكماء ويسمى صوان الحكماء لابي القاسم البيهقي . في مكتبة الكوبرلي (٣٦) احوال الهند للبيروني (لعله المطبوع في اوروبا) (٣٧) انباء الغمر بابناء العمر للحافظ ابن حجر سنة ٨٥٢ (٣٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نسخة ٤ (٣٩) تاريخ مصر ودمشق للعلم البرزالي ٧٣٨ (٤٠) ترجمة الشاهنامة الى العربية للشرف الاصفهاني (٤١) تنبيه الملوك لعمرو الجاحظ (٤٢) كتاب الخراج لابي الفرج بن قدامة (٤٣) دول الاسلام للحافظ الذهبي (٤٤) الذيل على الروضتين (٤٥) ذيل تاريخ الذهبي لعبد الرحمن العراقي (٤٦) شذور العقود في تاريخ العهود لابن الجوزي (٤٧) طبقات الادباء لياقوت الحموي (٤٨) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران للبقاعى ٥٨٥ (٤٩) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر وانختصر صاحب لسان العرب وهو ٢٩ مجلداً اكثره غير موجود .

وفي مكتبة الفاتح (٥٠) سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين بن عبد الظاهر (٥١) فتوح مصر والمغرب لعبد الرحمن القرشي . وفي مكتبة اللالهلي (٥٢) مختصر تاريخ الطبري لابن العميد سنة ٦٧٢ . في مكتبة اياصوفية (٥٣) اعيان العصر للصفدي (٥٤) تاريخ حلب لابن العديم (٥٥) تاريخ صنعا واليمن (٥٦) العبر للذهبي مع ذيله لتلميذه الحسيني (٥٧) المنتظم لابن الجوزي ج ٨ (٥٨) تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ (٥٩) ذيل مرآة الزمان لموسى البعلبكي ٧٢٦ (٦٠) الدر الثمين في سيرة نور الدين للبدر ابن شهبة . في مكتبة راغب باشا بالاستانة (٦١) تاريخ الحكماء للشهرزوري . في مكتبة يني جامع بالاستانة (٦٢) طبقات الفقهاء لابي اسحق الفيروزابادي . في مكتبة حلب (٦٣) الوافي للصفدي ج ٤ (٦٤) مختصر تاريخ الذهبي ج ٦ (٦٥) عيون التواريخ في مكتبة باريز (٦٦) تاج

المفرق في تحلية علماء المشرق (٦٧) تاريخ ابن الفرات (٦٨) الاعلام والتبيين في خروج الفرنج على بلاد المسلمين (٦٩) تكملة تاريخ الطبري (٧٠) الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة (٧١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٠

كتب الادب

في دار الكتب الخديوية (٧٢) شمس العلوم لعلامة اليمن نشوان بن سعيد الموجود منه جزء من اربعة ذكر فيه نبذًا من كل فن (٧٣) التكملة والذيل والصلة لحسن الصنعاني ٦٥٠ وهي في ست مجلدات مضبوطة جمعها من نحو الف كتاب (٧٤) سر الصناعة لابن جني (٧٥) المحيط للصاحب بن عباد ٣٨٥ الموجود منه الثالث (٧٦) الصينيات لفضل الله الزوزني فرغ منها سنة ٧٤٠ عارض بها النجديات ٠ في مكتبة الكوبرلي في الاستانة (٧٧) سحر البيان للجاحظ (٧٨) الزاهر في تفسير غريب الفاظ الامام الشافعي للازهري (٧٩) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (٨٠) تاريخ ابي مسلم الخراساني (٨١) رسالة في اول كتاب صنف في الاسلام ٠ في مكتبة الفاتح (٨٢) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ (٨٣) رسالة في مدح العلوم وذمها للجاحظ ٠ مكتبة اسعد افندي بالاستانة (٨٤) شرح نهج البلاغة لحسين الاردبيلي ٠ مكتبة اياصوفية ومكتبة ولي الدين في الاستانة (٨٥) مكاتبات الغزالي ٠ مكتبة عاشر افندي في الاستانة (٨٦) كتاب التيجان لابن هشام (٨٧) مدح الكتب والحث على جمعها للجاحظ ٠ في مكتبة يني جامع بالاستانة (٨٨) التوسل الى الترسل لمحمد بن مؤيد البغدادي ٠ في مكتبة حسام الدين بالاستانة (٨٩) ترسل القاضي الفاضل ٠ في مكتبة باريز (٩٠) المختار من رسائل الوزير ابن عباد

كتب مختلفة

دار الكتب الخديوية (٩١) نصائح للزمخشري انشأها سنة ٥١٢ اولها احمده على ما اروح من آلائه في تضاعيف بلائه (٩٢) المدهش لابن الجوزي (٩٣) ادب السلوك لعبد المنعم الجلياني رتبه على ٦٠ مشرعًا ٠ في مكتبة اياصوفية (٩٤) الاخلاق لابي الليث السمرقندي (٩٥) تقويم سياسة الملوك للفارابي (٩٦) ارشاد الملوك لسداد السلوك لابراهيم الهندي (٩٧) نهج السلوك في سياسة الملوك لعبدالرحمن بن نصر (٩٨) السياسة في تدبير الرياسة للفرغاني ٠ في المكتبة العثمانية (٩٩) رسالة في الاخلاق لعبدالله بن المقفع (١٠٠) كنز العلوم لابن تومرت ٠ في دار الكتب الخديوية (١٠١) الطراز في فنون الاعجاز للسيد يحيى اليمني فرغ منه سنة ٧٢٨ (١٠٢) النقائض بين جرير والفرزدق لابي عبيدة سنة ٢٠٩ (١٠٣) رسالة في القبان ليعيش الاندلسي (١٠٤) الصفقة الفضية في الرد على منكري العربية

للطوفي (١٠٥) ايمان العرب في الجاهلية للنجيرمي الكاتب (١٠٦) العمدة في علم الكتابة لعبدالله الهيتي (١٠٧) حواش على درة الغواص لابن بري سنة ٥٨٢ ولابن ظفر سنة ٥٦٥ (١٠٨) ذيل على درة الغواص للجواليقي · في مكتبة الداماد ابراهيم باشا بالاستانة سر الصناعة لابي علي الحاتمي ٣٨٣ في مكتبة الكوبرلي (١٠٩) في آلات الساعات والعمل بها لرضوان الخراساني (١١١) كتاب المناظر للحسن بن الهيثم (١١٢) كتاب المغازي لمحمد بن اسحق (١١٣) كتاب في نسب قريش للزبير بن بكار (١١٤) مختار الاغاني للجمال بن مكرم (١١٥) قانون الادب للتفليسي (١١٦) مجموع رسائل لابن سينا (١١٧) كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه (١١٨) فيما نقل الكندي من الفاظ سقراط · في مكتبة الفاتح (١١٩) نزهة الملوك في الطب والسياسة للرازي في سنة ٣١١ (١٢٠) البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي نسخة ٥ في المكتبة العمومية (١٢١) انموذج العلوم للفخر الرازي (١٢٢) مختصر حلية الآداب للعماد الكاتب (١٢٣) نقائض جرير والاخطل لابي تمام مكتبة دمشق (١٢٤) المدبجات لعبد المنعم الجلياني · في مكتبة اياصوفية مجموع في الرسائل التي دارت بين النصير الطوسي والصدر القونوي

الكتاب

كتابي لا اروم سوى كتابي ... فكم خففت فيه هموم ما بي
اجيل الطرف فيه فيجتلي لي ... مخائل حكمة في كل باب
اذا غمزت قناة الدهر قلبي ... اداوي في مباحثه مصابي
لان اخطأت في فكري ببحث ... ففيه قد هديت الى الصواب
وان شاهدت من قومي جفاء ... يسليني باقوال عذاب
حوى خبر الزمان بما اتاه ... وما يأتي الى يوم الحساب
غدا عمن تقدم ترجمانًا ... يخبرنا باخبار عجاب
اعاتبه اذا خطب دهاني ... فليس يمل من كثر العتاب
تراه اخرسًا وتراه يحكي ... بابلغ ما تريد من الخطاب
كتوم ان بثثت اليه سرًا ... وان حابيت غيرك لا يحابي
فكم نادمته بالليل وحدي ... فيغنيني عن الخود الكعاب

وكم فيه سكرت من المعاني فعفت لطيبها طيب الشراب
تكفل بالعلوم فكل علم حواه لا يؤل الى ذهاب
فما حاسبته الا تراه خبيرًا بالدقيق من الحساب
فمن والاه نال هدى وفضلاً ومن عاداه راح الى عذاب

بغداد السيد عبدالقادر العبادي

اليونان

تقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون — لما غدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهلها على تنظيم حكومتهم بحيث لايخرجون عن حكمه بتاتًا . فانشؤا مجلسًا مؤلفًا من ثلاثين عضوًا انتخبوا من اعداء الحكم الديمقراطي وكانوا قبلُ حاولوا النزوع الى الثورة ليفصموا عرى الدستور وعهد الى هذا المجلس ان يؤلف دستورًا جديدًا ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانونًا . وأُقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الآثينيين حامية من الجند تحت امرة قائد اسبارطي في قلعة الاكروبول المشرفة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم التي وضعها ليزاندر في المدن اليونانية في آسيا والجزر عند ما اخرجها من محالفة آثينا

خول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون بالجيش الاسبارطي فانشئوا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على اشياع الحكم القديم وينفذون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم تتناول الاغنياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم فمن ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالمًا . وانتهت الحال بترامين احد الاعضاء وكان تآمر على الديمقراطية واتفق مع الاسبارطيين ان قال لرصفائه بانه قُتل اناس كثيرون فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد فرّ كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميكار وثيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو ترازيبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال

اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياعهم يداهمونه الا انهم رُدوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل الثلج و بعثوا بالحامية الاسبارطية و بالفرسان فهجم تراز يبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بتراز يبول نازحون جدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز اتيكيا فاستولى على مرفإِ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها للتحصن فقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعقاب . وعندئذ نزع اشياعهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها بليزاندر حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في جيشه ووصل الى آثينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين ورخصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آثينة فدخل تراز يبول ورجاله اليها وهم مدججون باسلحتهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول يقدمون ضحية للمعبودة . ثم اعاد الآثينيون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياعهم الى الوزيس فقصدهم الآثينيون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وارجعوا الباقين ثم اقسموا كلهم ان لا تنزع الاحقاد من صدورهم لما انتشب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالمدنة « النسيان » ولم تعد تحدث ثورة في آثينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — شغل اليونان بقتال بعضهم بعضاً فكفوا عن مهاجمة الخاقان الاعظم بل واخذوا يسعون في محالفته . وكانت المملكة الفارسية لا تقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة بتاتاً ولكل منهم بلاطه وخزائنه وجيشه يحارب من يشاء وقد امسى قيلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا بقتل السلف ففقدت ملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتجف لذكرها جميع شعوب آسيا . وهاك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موظفاً عندهم : انهم ينامون على البسط و يلبسون قفافيز في ايديهم و يتدثرون بالفرو و يلبس الكبراء حجابهم وخبازيهم وطباخيهم وحماميهم والخدمة الذين يخدمونهم على موائدهم و يطيبونهم و يعطرونهم ليجعلوا منهم فرساناً موظفين و يربحوا اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم ينتفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطوفون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجرؤن اصلاً على قتال بعضهم بعضاً عن أمم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والترس والفأس ولكن لم تكن لهم الجرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقي بنفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا خلت من سائقيها

تحدث لهم ضررًا اكثر مما ينشأ منها للاعداء على ان الفرس لا يكتمون انفسهم ضعفهم العسكري و يعترفون بانحطاطهم في هذا الشأن ولا يجرأُون على الدخول في المعارك بدون ان يكون بعض الروم في جيوشهم · ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون لهم منهم مساعدون ·

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكاوس سنة ٤٠٠ اخو الخاقان الاعظم ارتاكسركيس ليخانه وكان في تلك البلاد اذ ذاك أُلوف مؤلفة من نزاع الآفاق او المنفيين من اليونانيين يؤجرون انفسهم اجنادًا فدعا كيكاوس عشرة آلاف رجل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم · فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود الفرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل · واخذ اليونان جريًا على عادتهم يعدون مسرعين وهم يصرخون صريخ الحرب وقبل ان يكون البرابرة على قيد غلوة بادروا الى الهزيمة فلحقهم اليونان وهم يتصارخون ان لا يفارق احدهم صاحبه · ولما انتهت اليهم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم ليتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني بادنى ضرب ما خلا واحدًا جرح بسهم ·

جرح كيكاوس وتشتت جيشه بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضًا على مهاجمتهم ولكنهم غدروا فقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين ضابطًا ومائتي جندي جاؤُا لعقد محالفة · ولما اصبح اولئك المستأجرون من الجند بلا قواد وضباط انتخبوا زعماء جددًا وحرقوا خيامهم ومركباتهم وركنوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما نالهم من الجوع وكثرة الثلوج وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان تفسح لهم مجالاً للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم « سنة ٣٩٩ » ٨٠٠٠ جندي ·

اجازيلا — وبعد ثلاث سنين داهم اجازيلا ملك اسبارطة في جيش صغير بلاد آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بغناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل جيوش التيبيين والاثينيين · وكان اجازيلا اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فحزن ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضًا ولما اخبروه بتمام لغلبة كورنت قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال : « مسكينة انت يا بلاد اليونان التعسة لقد اضعت رجالك وكان لك فيهم وحدهم غناء في اخضاع عامة البربر » ·

وابى ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا ابدنا جميع اليونان الذين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعور كان قليلاً على عهده . قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لاجازيلا هاتفاً « من كان غيره يرى من المصيبة ان يغلب عند ما كان يحارب شعوباً من جنسه » .

عظمة ثيبة . ابامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة براً وبحراً . قال كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين ولما ضاقت صدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها الفوا عصابة لمقاومتها . فكان من ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سلطانهم على بلاد اليونان بضع سنين الا بمحالفتهم لملك الفرس «٣٨٧» بيد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا شعب شديد البا س شجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الآثينيون وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الاشراف المحار بين من الاسبارطيين القلعة واوقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم .

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجؤا الى آثينة . فعزم احدهم المدعو بيلو بيداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلاده كما فعل تراز يبول في تخليص وطنه فراح يقيم في قرية مع جماعة من المنفيين واتفق مع الثيبيين الذين بقوا في ثيبة فدخل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رجاله وداهم الحكام وهم في مادبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة فهتف له هذا بانه محررها من اسر العبودية . وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة . وعادت ثيبة مستقلة وعملت على ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء واحد لحرب اسبارطة .

ابامينوداس — كان ابامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة الثيبيين فخفقت به ثم اعلام النصر . وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعتاد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مقلاً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه . فصيح اللسان الا انه يندر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا مما لم يكن من عادة اليونان » شجاع جداً في الحروب ولكنه مفرط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ويحترمه كل من يراه . ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد

السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان الثيبيون كسائر اليونانيين قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجلي منهم كتائب كتائب على ثمانية الى عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً تؤلف مثلثاً ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعلقة على اذرعتهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون الميمنة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيل ابامينونداس ان يعبيء رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فتأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضخم من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكرة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع الثيبيون عن بلادهم باديء بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي يداهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق الغلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منظماً بل كانت غاراته مناوشات فقويت شكيمتهم وتمرسوا في الحروب . رأى ابامينونداس ان جيشه قد اعتاد قراع الابطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجالة من جند الاسبارطيين اصطفت على عمق اثني عشر مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة الثيبيين اقل وفرسانهم اكثر « لان بيوسيا كانت بلاداً تربى فيها الخيول الجياد » فاستطاع ابامينونداس ان يحمي الميسرة وكان من ذلك ان اختصر خط الحرب وحمل الجناح الايسر من جيشه وكان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقتل «٣٧١» وهذه كانت المرة الاولى التي تغلب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت ثيبة المدينة المقدسة اكثر من جميع مدن يونان وصارت لها الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى ذاك العهد خاضعة لاسبارطة فالتمست معونة الثيبيين لنيل استقلالها . فانشأت مدينة ماتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرغم من دفاع اسبارطة وذبحت نتيجة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مشتتين الى ذاك العهد في القرى فانضموا بعضهم الى بعض وانشئوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ابامينونداس جمهور الثيبيين على ان يذهبوا الى غزو الاسبارطيين في عقر دارهم فدخل الجيش البيوسي الى بلاد المورة وكثر سواده بالاركاديين واهالي ارغوس وتوغل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة «٣٧٠» وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم

بكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا «وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة» جماعة الهيولتيين وحصن الآكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ابامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها استرجعه ادراجه وقبل ان يغادر المورة جمع المسينيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلمون شعثهم . وتحالفت اسبارطة مع الآثينيين الذين كانوا يحسدون الثيبيين كما حالفوا اهل سيراكوزة ومع الجبار ديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف ثيبة . وعندها حاولت ثيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد بيلوبيداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الخاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمحالفة ثيبة «٣٦٧» اما سائر المدن فلم تكن تخشى ملك الفرس وابت ان تخضع له .

ولم تكن ثيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ابامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسينيين ثانية وحاول ان يداهم اسبارطة واذ بلغ ذلك اجازيلا كرَّ راجعاً وراح ابامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتخاذه الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد الثيبيون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عز ثيبة ولم يبق مما قام به القائد ابامينوداس الا مدينة مسيسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤدِ هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنهم لا اسبارطة ولا آثينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخضوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهن قوى بعض ويكافح بعضهن بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تتفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدتها تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الخاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتالسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تخالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آثينة وثيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدننا . اليس بيده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فندعوه الخاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاشلهم وتدابرهم ما كانوا نالوه في حرب مادي .

سير العلم

التنفس الصناعي

وفق الاستاذ بو بعد اشتغال ثلاثين سنة الى تكميل آلة التنفس الصناعي وهي مؤلفة من اسطوانتين صغيرتين لها بوقان موضوعان بحيث يمكن تحريكهما معاً فاحداها توصل كمية من الاوكسجين والاخرى تأتي بالهواء و يناط في كل منهما انبوب توضع طرفه على مناخير الذي يراد تنفيسه وقد جربت هذه الآلة في الارانب والكلاب فحسنت نتائجها ·

حامض الكربون

أنشيء معمل في اوفرن من اعمال فرنسا لصنع حامض الكربون السائل وهو يكثر في ارض تلك الناحية وكان من قبل يضيع منه في الهواء ملايين من الامتار المكعبة وهذا الغاز احسن بطبيعته من المصنوع فاخذت فرنسا تحذو حذو المانيا في الانتفاع من انحائها البركانية فتصنع في اليوم ملايين الكيلوغرامات من حامض الكربون السائل وعدد ينابيع الغاز التي يمكن الانتفاع بها ستة وستكون لاهل تلك الناحية مورد ربح عظيم ·

جوهر صناعي

الكوروندون Corindon حجر لطيف يعتبر بعد الماس بقيمته و يسميه صياغ الافرنج الجوهر الشرقي وهو ذو ألوان مختلفة فمنه الوردي والاصفر والازرق والبنفسجي والاخضر واللازوردي وقد اكتشفت احدى الشركات في اميركا معدناً تستخرج منه بطرق صناعية ما يشبه الجوهر الشرقي بصلابته ولا يقل عنه رواء ومتى كثر انتشاره تسقط قيمة الماس الطبيعي اكثر مما سقطت ·

كتب العميان

الآنسة هيلانة كيلر هي من ابتلاهن الله بالعمى والصمم والبكم وقد خدمت ابناء جنسها بان سعت الى تعليمهن خدماً تذكر فتبين لها بعد الاختبار ان الطرق المألوفة لتعليمهن بحروف ناتئة او محفورة او غيرها ليست من السداد في شيء وتؤدي الى ان الاعمى الالماني لا يستفيد من مثيله الفرنساوي ولا الاميركاني من الانكليزي ولذلك ترى توحيد طريقة تعليم العميان والصم البكم على طريقة برايل الفرنسوية وربما عقدت مؤتمرات لذلك ·

التدفئة الكهربائية

اصطنعت شركتان للكهربائية في اميركا ادوات من الكهربائية تستخدم للتدفئة وتوليد الحرارة ارخص من توليد الحرارة من الغاز بثلاث مرات ·

عالمة عاملة

ذكرت الصحف انه عهد للآنسة هاس ان تنظم مجموعة المستندات الرسمية في نيويورك لانها اقدر قيمة على الكتب والدفاتر في جميع الولايات المتحدة وهي مديرة دار الكتب العامة في نيويورك · وقد عجبت المجلات من ان تكون مجموعة الاعمال الرسمية في الولايات المتحدة من ترتيب امرأة اديبة ولكن هو العلم يشترك بعد الاخذ منه الاسود والابيض والنساء والرجال

الرقص

انشأت فرنسا في بعض فيالقها مدرسة لتعليم صغار الضباط الرقص على انواعه وكان لها من قبل في كل معسكر مدرسة للرقص اذ ثبت ان الرقص ينفع الصحة ويزيد انشراح النفس وهو من المتممات للرياضة الصحية المسلية وكان نابوليون الاول يكره جنده على الرقص قبل انتشاب المعركة وبعدها وفي كل فرقة في روسيا معلم للرقص ·

قضاة الانكليز

ينسبون معظم الفضل في تحري قضاة الانكليز الحق في بريطانيا لكثرة الرواتب التي يتقاضاها الفرد منهم فان قاضي القضاة يقبض ٢٥٠ الف فرنك في السنة والقضاة العاديون ١٥٠ الفاً وفيهم من يقبض ٢٠٠ الف وقضاة المقاطعات يتناولون ٣٧٥٠٠ فرنك وعند الانكليز ٦٠ قاضياً يقضون في خمسمائة محكمة وعند فرنسا ٣٠٠٠ قاض لثلاثمائة وخمسة وسبعين محكمة وهم يقبضون اقل من ذلك بكثير ولكن انكلترا تعطي قضاتها رواتب باهظة وتطلب منهم عملاً حسناً كثيراً ·

مدرسة المثريات

اقسمت الولايات المتحدة ان تكون رأساً في عامة اسباب الحضارة والعمران فمن جملة مدارس البنات العالية عندها مدرسة اكوتز في ضواحي فيلادلفيا بنيت وسط حدائق ذات بهجة وهي عبارة عن قصور ملوكية حوت ارقى درجات الترف والرفاهية وفيها دار تمثيل كبرى وحديقة للشتاء · واجرة تعليم الفتاة الواحدة فيها عن السنة المدرسية وهي ثمانية اشهر عشرة آلاف فرنك ·

الطب في البلاد العثمانية

كتب احد اطباء العثمانيين فصلاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية تكلم فيه على طب التجارب والطب الاصولي ومدارس الطب والمستشفيات في الاستانة والولايات وصناعة الطب فقال ان الطب في البلاد العثمانية قبل افتتاح المدرسة الطبية في الاستانة سنة ١٨٢٧ كان عبارة عن تجارب وما كانت الامة تعتقد على ذاك العهد بالطب الغربي بل ولم يكن لها ثقة حتى بالطب التجربي وكانت تكتفي بالعقاقير تأخذها من دساتير الدجالين على غير جدوى والمسلمون يضيفون الى هذه الطريقة المألوفة في القرون الوسطى في التداوي القول بالادعية للاستشفاء. وكانوا يرونها نافعة في امراض كثيرة ولاسيما الامراض الباطنية والعصبية وان هذه العادات ما برحت شائعة على كثرة المعتقدين بتأثيرات الطب وليس هذا الاعتقاد خاصاً بالمسلمين بل ان المسيحيين كان لهم مثال منها في حضارتهم وتاريخهم واستشهد بحديث «آخر الدواء الكي» وقال ان بعض القوم يصفونه فينفعهم وان الحكومة لما انشأت المدرسة الطبية الاولى في الاستانة كان اساتذتها اجانب وكانت تدرس بالفرنسوية ولم تدرس بالتركية الا سنة ١٨٧٣ ولم يكن رغبة للمسلمين في تعلم هذه الصناعة فشق على الاساتذة الذين اخذوا بتدريس الطب بالتركية باديء بدء ثم اخذوا يتعلمون المصطلحات الطبية ويؤلفون لها مفردات من العربية والفارسية والتركية واذا صعب عليهم التعبير عنها بلفظ عربي او تركي او فارسي يأتون باللفظ اللاتيني او الفرنسوي بدون ان يعمدوا الى اخذ شيء عن الانكليزية والالمانية ·

وبعد ان ذكر كيفية تدريس الطب واورد اسماء مشاهير الاطباء العثمانيين من المسلمين والارمن والروم ومعاملة طلبة المدارس واحوالهم قال ان في البلاد العثمانية مدرستين طبيتين ملكيتين احداها في الاستانة والثانية في دمشق · وعدّد المستشفيات العثمانية ووصفها فقال ان في الاستانة وضاحيتها عشرة مستشفيات ما عدا مستشفيات المدارس وفي الولايات وهي احدى وثلاثين ولاية ١٢٢ مستشفى اهمها في الحواضر وقال ان تشريح الجثث ممنوع في المستشفيات العسكرية والملكية ولا يجري الا اذ حدثت جناية او في السجون وقد عاق منع التشريح تقدم الطب مع انه من جملة برنامج دروس المدرسة الطبية الكبرى وهو غير مناف الاسلام لان السلطان محمود الثاني استصدر فتوى من شيخ الاسلام في الترخيص بالتشريح فافتاه بذلك ·

وقال ان المستشفيات البلدية في الاستانة اربعة وان عدد المستشفيات البلدية في الولايات اربعة وعشرون وفي الاستانة ثلاثة مستشفيات خاصة واحد للارمن والثاني

للاسرائيليين والثالث للروم وفيها مستشفيان احدهما الماني والثاني فرنسوي وختم كلامه بالكلام على الدجالين من الرجال والنساء والعثمانيين والاجانب ممن يمارسون اعمالهم في السر سواء كان في الاستانة او في الولايات ويربحون ما يربحون لفرط استسلام الناس اليهم وتفضيلهم احيانًا على غيرهم ·

تحريم التقبيل

رأى كثير من الاطباء في مؤتمر لهم عقدوه في احدى مدن اميركا ان يسن قانون يحظر التقبيل على المتزوجين بل على الامهات وعلى ذوي القربى والاخدان المتحابين ورأوا ان تعلق على حوائط المدينة اعلانات يذكر فيها عدد الجراثيم التي يلصقها المقبل بشفتيه على خد المقبل · قالت المجلة التي ننقل عنها وما هو ياترى رأي هؤلاء النطاسيين لو حضروا عيد القبل في رومانيا وهو الذي يجيء فيه البنات والفتيات زرافات من جميع اطراف القرى المجاورة تحمل كل منهن سجلا او دلوًا من الخمر مزينًا بالرياحين ويقبلن كل من يصادفنه في طريقهن من شفتيه ثم يقدمن له السجل ليسقى منه ويرتوي ومن ابى ان يتناول ما يقدم له يعد عمله اهانة · ويارب كم من الجراثيم تنتقل من فم الى آخر يوم ذاك العيد وفي تلك العادة الغريبة ·

كلام النساء

كان يظن ان كثرة كلام النساء آت من ضيق عقولهن اما الآن فقد اثبت الاستاذ ماراج من كلية السوربون بباريز ان اقتدارهن على الكلام ناشيء من متانة صدورهن وذلك انه بحث في اصوات الرجال واصوات النساء وقاس مقدار ضغط الهواء الصادر من الفم فظهر له ان المتكلم من الرجال يتعب اربعة اضعاف المتكلمات من النساء وان النساء لا يتعبن من الكلام بقدر ما يتعبن اذا استعملن مراوحهن ·

المناطيد

كان لسباق المناطيد شأن عظيم في فرنسا والمانيا في العهد الاخير وتفننت الامم في تطييرها تفننًا ذكرت الجرائد السيارة اكثره وآخر سرعة قطعتها المناطيد الالمانية كانت ١١٠ كيلومترات في ساعتين و١٧ دقيقة والمنطاد الجديد اشبه بسفينة طوله ١٢٨ مترًا وعمقه ١١ مترًا و٧٠ سنتيمترًا وقطره ١١٤٣٠ مترًا مكعبًا وهو على شكل اسطواني ينتهي بمخروط سئيني وفيه ست عشرة غرفة في كل منها منطاد من القماش منفوخ بالهيدروجين ·

جريدة بالتلفون

الف احد كتاب الاميركان سنة ١٨٨٨ كتاباً خيالياً ذكر فيه كيف يعيش الانسان بعد مئة سنة ومما قاله ان طريقة تبليغ الاخبار وسماع الموسيقى وخطب الاندية والمؤتمرات ستنقل الى الناس بواسطة التلفون فضحك بعضهم من هذه النبوءة ولكن مدينة بودابست عاصمة المجر قامت تحقق اليوم ما تنبأ بحدوثه ذاك الكاتب فاسست شركة تلفون تنقل لاهالي تلك العاصمة بواسطة مائتي عامل لها يعملون بلا انقطاع في اسلاك تلفونية طولها ثلثمائة كيلو متر الى خمسة عشر الف مشترك اخبار العالم وانباءه البرقية وحوادث اليوم وانباء المجالس النيابية والخطب السياسية واخبار البورصة والاسواق وحوادث الشرطة والقضايا المرفوعة امام المحاكم وشذرات من صحف بست وفينا وانباء الظواهر الجوية والاعلانات وغيرها كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة العاشرة مساء وتنقل للمشتركين الفاظ الممثلين في اشهر دور التمثيل كما يلقونها والمواعظ كما يفوه بها اصحابها وغيرها والمشترك لا يدفع لقاء هذه الاخبار التي تنقل اليه باسرع ما يكون سوى عشرين سانتيماً في اليوم وستسارع باريز ولندن وبرلين وغيرها من العواصم الى تأليف شركات من هذا الطراز .

نظافة الشوارع

اصبحت نظافة شوارع لندن وبرلين المثل المضروب عند الامم بنظافتها على كثرة الحركة فيها ولا سيما لندن اعظم عواصم الارض فان برلين تمنع المارة من القاء الورق دع عنك الفضلات في الشوارع ولندن تستخدم ألوفاً من الاطفال يحمل كل منهم مكنسة ورفشاً لتناول السرقين حالة وقوعه وجعله في علب كبيرة تجمع وتباع من ارباب الحدائق سماداً للارض من انفع ما يكون .

تبخير الموتى

يقول كوى المستشرق بان عادة حرق الخشب الذكي الرائحة اكراماً للاموات كانت مألوفة في المدينة قبل الاسلام وبقيت بعده راسخة .

نفقات التعليم

في احصاء اخير ان المدارس الابتدائية البلدية في انكلترا تسع ٣٥٢٠٠٠٠ الف تلميذ والمدارس الاهلية ٣٥٠٩٩١٤ تلميذاً وقد كان معدل من اختلفوا الى المدارس الاولى سنة ١٩٠٥ — ٣١٩٩٠٥٠ تلميذاً والى المدارس الاهلية ٢٨٤٢٦٥٤ تلميذاً وبلغت نفقاتها ٢١٣٢٣٢٧٤ جنيهاً منها ١١٠٢٢٦٠٠ دفعتها الحكومة و١٠٣٠٠٦٧٤ دفعتها

المجالس البلدية وبلغ سائر ما انفق على التعليم ٣٠٤٠٩٦٤ جنيهاً منها ١٥٥٦٤٨١ جنيهاً دفعتها الحكومة و١٤٨٤٤٧٦ جنيهاً من موارد معينة اي ان برنامج معارف انكلترا بلغ خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات في حين ان حكومة مصر تنفق على ضروب التعليم اقل من اربعمائة الف جنيه . بل الانكى من ذلك ان ولاية فيكتوريا في اوستراليا وسكانها مليون وربع تنفق على تعليم اولادها عشرين مليون فرنك .

التعليم في الهند

يؤخذ من الاحصاء الاخير ان عدد المدارس في ولاية مدراس من اعمال الهند قد كان سنة ١٩٠٦ -- ٨٣٩٩١٠ وكان قبل ٨٤١٠٣٤ مدرسة وزل معدل الصبيان الذين يتعلمون فيها فصار ٢٩ بالمئة كما زاد معدل المتعلمات من البنات فاصبح خمسة وكسوراً في المئة وكان يجب ان يكون في المدارس تسعمائة الف متعلمة فلم يأتها غير ثمانية واربعين الفاً بحيث اضطرت مدارس كثيرة الى اقفال ابوابها والحكومة لم يتيسر لها ان توزع ما خصصته للانفاق على المتعلمين والمتعلمات اما في اقليم بنجاب فقد ساءت حالة التعليم اكثر وذلك ان ١٤ في المئة من البنين يختلفون الى المدارس و٢٨— ٢ في المئة من البنات .

ثروة فرنسا

يؤخذ من احصاآت المواريث ان ثروة الافراد تكثر في فرنسا فبعد ان كانت الايرادات اربعة مليارات فرنك سنة ١٨٧٣ اصبحت سنة ١٩٠٢ ستة مليارات وارتقت واردات المنقولات من مليار سنة ١٨٧٣ الى مليار وثمانمائة الف فرنك سنة ١٩٠٣ ، وليس لامة بقدر ما لفرنسا من المنقولات خارج بلادها وقد زادت وارداتها من مليار و٥٨ مليوناً سنة ١٨٧٣ الى مليار و٨٩٤ مليوناً سنة ١٩٠٣ وكان دين فرنسا سنة ١٩٠٤ ملياراً ونحو نصف مليار .

اتحاد التربية

تحاول دوقية باد في المانيا ان تدخل الى مدارسها طريقة الوحدة في التربية حيث يتعلم الاناث بجانب الذكور في مدرسة واحدة وقد كان عدد البنات اللائي تعلمن سنة ١٩٠٦ في المدارس العلمية والصناعية مع الصبيان ٥٣ ابنة واخذت المدارس العالية تقبلهن ويقبلن على التعليم فيها .

البطالون في انكلترا

بلغ هذا العام عدد من ليس لهم عمل في بلاد الانكليز مليون نسمة اي ان واحداً

من كل اربعين ليس لهم عمل وربما يستكثر بعضهم هذا العدد وهو كثير الاَّ ان جميع الممالك مصابة بداء البطالة والسبب في ذلك ان القرى يقل سكانها ويكثر سكان المدن وليس في هذه اعمال تقوم باعالتهم فقد كان الفلاحون سنة ١٨٩٠ ثلث مجموع سكان بريطانيا فهم الآن خمسهم وكذلك الحال في المانيا فقد بلغ عدد المشتغلين بالزراعة فيها ٢١ مليونًا من اصل ٦٢ مليونًا والباقون يعملون في التجارة والصناعة ·

التيسير في السياحة

كتب احدهم في بعض المجلات العلمية في تيسير السفر في النصف الاخير من القرن الماضي والاقتصاد والراحة التي نشأت فيه قال ان المسافر كان يقضي ستين ساعة في قطع المسافة بين باريز وبوردو وهي ٦٨٥ كيلو مترًا اي انه يقطع نحو عشرة كيلومترات في الساعة وكان يدفع أجرة عن كل ساعة في المركبة لا تقل عن ١٤ سانتيماً ما عدا الاكل ومن يسافر مع البريد يؤدي ضعف هذه الاجرة كما يقطع المسافة في اقل من ذلك بقدر النصف اما الآن فان المسافة تقطع في السير السريع بالسكة الحديدية في سبع ساعات وعشرين دقيقة والاجرة ليست فاحشة ·

الكتابة على الزجاج

الكتابة على الزجاج تسلية لا تتطلب غير المران عليها ولكي ينجح الانسان فيها ينبغي له قلم رصاص من معدن الالومنيوم يمكنه صنعه بنفسه وذلك بان يلف عليه شيئًا من هذا المعدن ثم يبلّ الزجاج بلاً خفيفًا او يغشيه بمحلول ملح القلي ويبرع في هذه الكتابة من سبق لهم انهم عانوا التصوير قليلاً ·

مدرسة الممرضات

اقتبست فرنسا من انكلترا انشاء المدارس لتعليم الممرضات وقد انشئت مدرسة في بوردو منذ ثلاث سنين تخرج فيها من الممرضات احسنهن وافضلهن وقد جعلت هذه المدرسة داخل مستشفى فتتولى مديرتها امر ممرضاتها وتعلمهن وتمرنهن كأنهن تلميذات في الطب ومتى تمن حصصهن ينقلبن الى غرفهن او يصرفن اوقاتهن في قاعة كبيرة جعلت فيها خزانة كتب ومحال للمطالعة والكتابة او الى الضرب على البيانو ·

الموظفون الفرنسويون

احصى احد الباحثين عدد الموظفين في الجمهورية الفرنسوية فقال انهم كانوا سنة ١٨٤٦ ١٨٨ الفًا فاصبحوا الآن ٤٠٠ الف واذا عدّ فيهم موظفو المقاطعات والعمالات بلغوا ٥٣٠

الفاوالشفاعات وعطف اصحاب المناصب على ذوي قرباهم Le favoritisme,le népotisme هي السبب في هذه الزيادة المفرطة التي تكلف نحو مليار فرنك في السنة اذا أضيفت اليها رواتب المتقاعدين

مكتبة تجدد

وصف احد فضلاء الفرنسيس المكتبة التي انشأها كارنجي الغني الاميركي في مدينة ادنبرغ التي هي من بريطانيا كمدينة آثينة من يونان ايام عزها فقال ان ليس فيها كتب نفيسة كثيرة بل فيها ادلة وكتب ارشادات وتقاويم وخطط وغيرها معروضة على المناضد للمطالعة ويرجع اليها المختلفون الى تلك المكتبة لاول ساعة وعددهم كل يوم لا يقل عن ٧٠٠٠ وان ٤ من ٧ يترددون على غرفة المجلات وهناك غرفة لاعلاق الكتب لمن يطلبها فيها ٥٢ الف مجلد وهي تمزق وتعتق فتجدد كل مدة ويؤتى باحسن منها اما قاعة المراجعة ففيها ١٠١٣٩٦ مجلداً من المعاجم والموسوعات ومجاميع القوانين وغيرها ·

فقراء الهند

نشرت احدى المجلات الالمانية بحثاً في حكماء المسلمين في الاصقاع الهندية الذين يدعون بالفقراء فقالت ان الاوروبين الذين يزورون الهند زيارة سطحية بدون ان يسبروا اخلاقها يرون من هؤلاء الفقراء مجانين مختلة شعورهم ولكن لهؤلاء الصالحين الشحاذين دخلاً في الدين وعددهم بحسب الاحصاء الاخير نحو خمسة ملايين نسمة في الهند ومن اشهرهم كور يسانكار وكان من قبل وزيراً لبهافنكار وهو ذو حظوة عند الانكليز ومؤسس مدارس وسجون كانت انموذجاً في انتظامها ثم نفض يده من الدنيا وانقطع الى غابة سنة ١٨٧٩ وكتب الى ماكس موللر الفيلسوف اللغوي الالماني : لقد عشت ستين سنة في الحياة الخارجية فاريد الآن ان اصرف عمري في التأمل ·

العرب والغوط

بين احد الباحثين الانكليز النسبة بين الهندسة الغوطية والعنصر الغوطي وبين الهندسة العربية والعنصر العربي والغوط هم شعب كان ينزل في جرمانيا واغار على المملكة الرومانية سنة ٤١٠ م فقال ان الهندسة العربية غير ثابتة ولذلك فنيت واضمحلت اما الابنية الغوطية فهي على العكس تنبيء بعقول بناتها من اهل الشمال وبشدة اخلاقهم وان ما خص هذا العنصران اي الغوطي والعربي مما انبأ به تاريخهما من قلة نظامهما يقرأه المرء فيما بقي من مصانعهما وآثارهما ·

المقتبس

الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني

ذي الحجة سنة ١٣٢٥ الموافق يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٨

حالتنا العلمية والاجتماعية

حري بنا والربع الاول من القرن الرابع عشر ينتهي بانسلاخ هذا الشهر ان نذكر بعض ما تم للبلاد العربية في خلاله من اسباب النهوض وتحسين الملكات والارتقاء العلمي والادبي فنثبت من ذلك ما نعرفه عن مصر والشام بالعيان وما يبلغنا عن البلاد القاصية من ثقات من رحلوا اليها او اطلعنا عليه فئة من اهلها فنقول :

كان حظ مصر من هذا الارتقاء عظيماً اذا قيس بالخطوات التي خطتها الاقطار الاخرى ومصر لا تزال منذ سقوط الدول الاولى محط رحال العالمين والمتعلمين ومقصد اهل الاسلام من اهل افريقية واوروبا وآسيا وجزائر المحيط . فقد زاد فيها عدد المتعلمين وبعد ان كانوا واحداً او اثنين في المئة اصبحوا الآن نحو عشرة وزاد المتأدبون والقراء ايضاً فبعدان كانت الجرائد لا يتناولها اكثر من الفي قارئ ومعظمهم لا يكادون يفقهون ما يقرأون زاد عددهم زيادة كبرى حتى جاوزوا فيما احسب ثلاثين الفاً وكثير منهم يعقلون ما يلقى عليهم كما زاد تحسين الصحافة العربية واخذت تجري على مثال الصحافة الغربية وصار لها صوت وتأثير في الامة . وعلى تلك النسبة نما فريق الكتاب والادباء والمعربين والمصنفين بعد ان كان الكتاب في مصر اواخر القرن الثالث عشر يعدون على الاصابع ومعظمهم ضعاف يكثر في كلامهم اللحن والركاكة كما تقل الافكار السديدة . ولولم يكن المصريون منصرفين الى تولي اعمال القضاء والادارة والطب والهندسة في الحكومة لرأيت الكاتبين والمفكرين منهم اكثر سواداً واعظم نفعاً ولكن الآمال معقودة بان يزيد عددهم ويكثر الانتفاع بثمرات عقولهم وتجاربهم في الربع الثاني من هذا القرن اذ اصبح بعضهم يشعرون بان الاعتماد في تعليم

الفأوالشفاعات وعطف اصحاب المناصب على ذوي قرباهم Le favoritisme,le népotisme هي السبب في هذه الزيادة المفرطة التي تكلف نحو مليار فرنك في السنة اذا أضيفت اليها رواتب المتقاعدين

مكتبة تجدد

وصف احد فضلاء الفرنسيس المكتبة التي انشأها كارنجي الغني الاميركي في مدينة ادمبرغ التي هي من بريطانيا كمدينة آثينة من يونان ايام عزها فقال ان ليس فيها كتب نفيسة كثيرة بل فيها ادلة وكتب ارشادات وتقاويم وخطط وغيرها معروضة على المناضد للمطالعة يرجع اليها المختلفون الى تلك المكتبة لاول ساعة وعددهم كل يوم لا يقل عن ٧٠٠٠ وان ٤ من ٧ يترددون على غرفة المجلات وهناك غرفة لاعلاق الكتب لمن يطلبها فيها ٥٢ الف مجلد وهي تمزق وتعتق فتجدد كل مدة ويؤتى باحسن منها اما قاعة المراجعة ففيها ١٠١٣٩٦ مجلداً من المعاجم والموسوعات ومجاميع القوانين وغيرها ٠

فقراء الهند

نشرت احدى المجلات الالمانية بحثاً في حكماء المسلمين في الاصقاع الهندية الذين يدعون بالفقراء فقالت ان الاوروبين الذين يزورون الهند زيارة سطحية بدون ان يسبروا اخلاقها يرون من هؤلاء الفقراء مجانين مختلة شعورهم ولكن لهؤلاء الصالحين الشحاذين دخلاً في الدين وعددهم بحسب الاحصاء الاخير نحو خمسة ملايين نسمة في الهند ومن اشهرهم كور يسانكار وكان من قبل وزيراً لبهافنكار وهو ذو حظوة عند الانكليز ومؤسس مدارس وسجون كانت انموذجاً في انتظامها ثم نفض يده من الدنيا وانقطع الى غابة سنة ١٨٧٩ وكتب الى ماكس مولر الفيلسوف اللغوي الالماني : لقد عشت ستين سنة في الحياة الخارجية فاريد الآن ان اصرف عمري في التأمل ٠

العرب والغوط

بين احد الباحثين الانكليز النسبة بين الهندسة الغوطية والعنصر الغوطي و بين الهندسة العربية والعنصر العربي والغوط هم شعب كان ينزل في جرمانيا واغار على المملكة الرومانية سنة ٤١٠ م فقال ان الهندسة العربية غير ثابتة ولذلك فنيت واضمحلت اما الابنية الغوطية فهي على العكس تنبىء بعقول بناتها من اهل الشمال وبشدة اخلاقهم وان ما خص هذا العنصران اي الغوطي والعربي مما انبأ به تاريخها من قلة نظامها يقرأه المرء فيما بقي من مصانعها وآثارها ٠

المقتبس

الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني

ذي الحجة سنة ١٣٢٥ الموافق يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٨

حالتنا العلمية والاجتماعية

حري بنا والربع الاول من القرن الرابع عشر ينتهي بانسلاخ هذا الشهر ان نذكر بعض ما تم للبلاد العربية في خلاله من اسباب النهوض وتحسين الملكات والارتقاء العلمي والادبي فنثبت من ذلك ما نعرفه عن مصر والشام بالعيان وما يبلغنا عن البلاد القاصية من ثقات من رحلوا اليها او اطلعنا عليه فئة من اهلها فنقول :

كان حظ مصر من هذا الارتقاء عظيماً اذا قيس بالخطوات التي خطتها الاقطار الاخرى ومصر لا تزال منذ سقوط الدول الاولى محط رحال العالمين والمتعلمين ومقصد اهل الاسلام من اهل افريقية واوروبا وآسيا وجزائر المحيط . فقد زاد فيها عدد المتعلمين وبعد ان كانوا واحداً او اثنين في المئة اصبحوا الآن نحو عشرة وزاد المتأدبون والقراء ايضاً فبعدان كانت الجرائد لا يتناولها اكثر من الفي قارئ ومعظمهم لا يكادون يفقهون ما يقرأون زاد عددهم زيادة كبرى حتى جاوزوا فيما احسب ثلاثين الفاً وكثير منهم يعقلون ما يلقى عليهم كما زاد تحسين الصحافة العربية واخذت تجري على مثال الصحافة الغربية وصار لها صوت وتأثير في الامة . وعلى تلك النسبة نما فريق الكتاب والادباء والمعربين والمصنفين بعد ان كان الكتاب في مصر اواخر القرن الثالث عشر يعدون على الاصابع ومعظمهم ضعاف يكثر في كلامهم اللحن والركاكة كما تقل الافكار السديدة . ولولم يكن المصريون منصرفين الى تولي اعمال القضاء والادارة والطب والهندسة في الحكومة لرأيت الكاتبين والمفكرين منهم اكثر سواداً واعظم نفعاً ولكن الآمال معقودة بان يزيد عددهم ويكثر الانتفاع بثمرات عقولهم وتجاربهم في الربع الثاني من هذا القرن اذ اصبح بعضهم يشعرون بان الاعتماد في تعليم

ابنائهم على الحكومة وحدها ليس من السداد في شيء ومتى اخذت الوظائف كفايتها من العمال يغدو المتعلمون وقد سدت في وجوههم الابواب في الحكومة فلا يعود امامهم غير الصناعات الحرة ومنها القيام على التأليف والكتابة وهي من المعايش التي يزهدون فيها الآن

ساعد مصر على النهوض انتشار الحرية الشخصية وكثرة احتكاك الاهلين بالاجانب فنشأ من ذلك نشء ان لم يكن في الغاية بتعلمه فهو اهل للعمل لو دُرب عليه . وعرف اكثرهم منزلتهم ومنزلة قومهم من القصور فهموا ان يعملوا وحاولوا ان ينفعوا واصبح الناس يبحثون في الشؤون العامة اكثر من ذي قبل وان كان بحث عامة الناس في الشؤون السياسية عقيماً في الاغلب . والجرائد هي السبب في غرس هذا الميل في نفوس القوم فهي المدرسة اليومية بعد المدارس الاميرية والاجنبية والكتاتيب الاهلية ولطالما اكثرت من ترديد عبارات التحميس والنقد والتنديد والنعي والعويل ففعلت اقوالها في الاذهان بقدر تأثير كتابها حتى خاف العقلاء ان تكون الآراء السياسية مشغلة للقوم عن النظر في شؤون التجارة والزراعة والصناعة . وقد اخذت بعض الجرائد الخطيرة تحاول سد هذه الثلمة فانشأت تكثر من نشر الموضوعات الاجتماعية والتاريخية والادبية على نحو ما تفعل الصحف في بلاد الغرب . وكما كان للجرائد العربية تأثير في الافكار فقد فعلت فعلها في الالسن والاقلام باستعمالها الكلام الفصيح كل يوم بحيث علق من تراكيبها ومصطلحاتها جملة صالحة صار العامة يدمجونها في تضاعيف كلامهم وخطابهم وترقت بواسطتها لغة الدواوين وكانت من قبل في احط دركات الركاكة .

نشأ لمصر مهندسون واطباء وقضاة متعلمون كاحسن ابناء صنفهم في بلاد الغرب لولا ان رجالنا يصابون في الاكثر بشيء من الفتور ووقوف عقيب سن الدراسة قد يعوقهم عن الجري في العمل بعد ان يستوفوا النظريات ولولا ذلك لرأينا من آثارهم في نشل ابناء بلادهم من سقطتهم اكثر مما رأينا . وابناء مصر لا يزالون مقصرين فيما يربي النفوس على حب العمل الحر النافع ولم يقبلوا حتى الآن على اتقان العلوم الزراعية والصناعية وما ينبغي لها اقبالهم على الحقوق مع شدة حاجة القطر الى الزراعة قبل كل علم .

ويسرنا ان نرى كثيرين من المصريين يقصدون بلاد الغرب للتعلم في مدارسها وبعضهم من ابناء الاعيان . وكيفما كانت الغاية من تعلمهم فهم مفخر من مفاخر بلادهم ولابد ان يكون السابقون مقصرين فيما يجب عليهم اتباعه والاضطلاع به بداءة بدء ولكن الجيل المقبل سيكون انشط في عمله واسرع الى تلقف ما يلزمنا من مدنية اوروبا وما يضرُّ بنا منها وهو كالصدإ عليها وعقلاء اهلها ينادون بالتخلي عنه في كل شارقة وبارقة .

قلت ان الجرائد اثرت في نهضة المصريين ولم اقل المجلات لان هذه مقصورة على طبقة خاصة من القراء وبعضها منتشر خارج القطر اكثر من انتشاره داخله لان العلميات والاجتماعيات والدينيات والادبيات ليس لها في نفوس العامة تلك المنزلة التي يجدها القارئ فيما يقرأه للتفكهة من الاخبار والمناقشات السياسية ويجده منه قيد النظر ويكبر فيه الاماني. على ان لبعض المجلات الكبرى التي ظهرت في مصر على قلة انصارها فضلاً كبيرًا في التعليم والتربية .

ومن الترقي في الافكار ان بعض اهل الجمود ممن كانوا لا يقولون بتلاوة الصحف والكتب الحديثة اخذوا يقرؤنها اضطرارًا وسمحوا او تسامحوا بمطالعتها فكان من اثرها ان عرف بعض طلبة العلوم الدينية تقصيرهم في الاخذ من علوم الدنيا بحظ وافر يعينهم على فهم اسرار الشريعة ونشأ من هذه الحركة ان دخل شيء من الاصلاح طفيف على طريقة التعليم في الازهر وادخل في قاعة دروسه من علوم الرياضة وتقويم البلدان والتاريخ وفن الادب ما كانت تلك المدرسة الكبرى محرومة منه زمنًا طويلاً . وانه على عقم طريقتها الى الآن يرجى ان ينشأ منها ناشئة يفضلون بما تعلموه اخوانهم الذين سبقوهم خصوصًا وقد توفرت العناية بمدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم وهما من انفع المدارس لاتمام دروس من يتخرجون في الازهر وانشأت مدرسة ابي العباس المرسي في الاسكندرية تخرج من طلبة الدينيات من لهم مشاركة في شيء من علوم الدنيا . فكأن مشايخ العلوم الدينية وكانوا لا يسفون للتنازل الى تعلم ما فاتهم من اسباب العلم بزمانهم رأوا الآن وقد قامت المدارس المنظمة على الطريقة الاوربية بعض التنظيم تنازعهم فضل تربية الامة واعداد رجالها ان لا مندوحة لهم عن دعوة صغار الطلبة ولو بلسان الحال ان ينظروا نظرًا اجماليًا فيما لا غنية عنه من علوم العصر .

فعسى ان تتم للناهضين من هذه الامة امنيتهم من الاهابة بالمتعلمين الى الاخذ من علوم الدنيا والدين على حد سواء ثم يتمحض منهم من يريد ان يتمحض لفرع من الفروع التي يجد فيها له الغناء . ومن قرأ تاريخ اوروبا في القرن السادس عشر يجده كتاريخنا في هذا الربع الاول من القرن : عراك بين القديم والحديث وقلة اتقان لهما كليهما والنفوس آخذة بالشعور تلوب على ما يوليها نهوضًا . وادراك الفرد نقصه وسعيه الى كماله ولو اخطأ الطريق بادي بدء فأل خير وبشرى سعادة . والقول اول مراتب العمل والشك اول درجات اليقين . ولا بقاء لهذه الامة الا اذا ابقت على النافع من قديمها ولم تستهن به واضافت اليه من الحديث مالا عهد لها به وفيه قوام اجتماعها .

ان اختلاط مصر بالغرباء والافرنج منهم خاصة ممن كثر اقبالهم عليها اكثر من كل

بلد يتكلم اهله بالعربية اللهم الا الجزائر وتونس وتعلم جانب من ناشئتها في مدارسهم واتقانهم للغاتهم وذهاب اهل السعة منهم كل صيف للاصطياف في اوروبا وارسالهم بعض اولادهم يغترفون من مَعين العلم في مدارسها و شلاً — كل هذه الاسباب ادخلت مصر في طور البلاد الافرنجية ولا سيما حواضرها وامهات مدنها حيث يكثر المتعلمون واهل اليسار وتصدر الصحف والمطبوعات ويجتمع الموظفون والمزارعون والمضاربون واهل التجارة ·

ومما يعد في باب الارتقاء في الفكر الديني بفضل ما انتشر بالطبع من امهات الكتب الدينية وتناقلتها الايدي على اختلاف الطبقات ان اخذ بعض العامة دع عنك الخاصة يدركون ان في بعض معتقداتهم شوائب وفي الكتب المعتمدة في القرن الماضي من مؤلفات المتأخرين اغلاطاً لا بدَّ من نزعها والرجوع فيها الى الاصول الصحيحة · وهذا الاعتقاد سرى في النفوس لاسباب منها انسيال تيار الفلسفة الجديدة واحياء الامهات من اسفار السلف وانتباه اهل العقول الى ان الرجوع بالناس الى الاصول خير من الضلال بها في مهامه الفروع المشوبة والمعتقدات الضارة ·

وقد دخلت المطبوعات في دور جديد فبطل بعض الطبع السقيم واخذ ارباب المطابع يحاولون تجويد الطبع وانتقاء المصنفات النافعة فاحيوا كثيراً من الامهات القديمة في الشريعة والادب والتاريخ كما ترجموا بعض المترجمات الجليلة في الحقوق والطب والكيمياء والطبيعة والاجتماع والقصص · وكان الفضل في تحريك نفوس المسلمين هنا وايجاد حركة ادبية بينهم لاحد ارباب النفوس الكبيرة والحكمة ونعني به السيد جمال الدين الافغاني فانه هبط مصر في الربع الاخير من القرن الثالث عشر ولقي فيها من بقايا اهل العلم والذين تعلموا في اوروبا من ساعدوه على قبول دعوته وكانت العجلة من طبعه يريد التأثير والاصلاح مباشرة ولولم يكن كذلك لدل الامة اكثر مما دلها على معايبها ووصف لها من اسقامها بنغمة لم تكن تألفها وقد نفعت دعوته في تهيئة الملكات فربى له رجالاً يغلب عليهم النشاط والعقل في الجملة ومنهم اكبر مريديه الشيخ محمد عبده الذي وفق الى تولي منصب الافتاء فكان له فيه اعظم تأثير ومضى زهاء عشر سنين على مصر كان فيها زعيم الحركة الاصلاحية كما كان شيخه جمال الدين من قبل ومن اعظم آثار الشيخ المفتي انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية وهي عمل نافع تثلج له الصدور وتقر العيون ·

اما القطر السوري فكانت حركته العلمية والادبية جيدة على الجملة ولا سيما في بيروت مدينة العلم والمدارس في الشام ومركز الحركة العقلية التي نشأت في الحقيقة بفضل مدارس مرسلي الاميركان والفرنسيس ومطبعتيهما العظيمتين وسائر المطابع والجرائد التي نشأت فيها

اواخر القرن الماضي و بعده وثلة من الافاضل الذين خدموا العربية خدمة نافعة كفانديك وورتبات وبوست والبستاني والاسير والاحدب واليازجي والحوراني والشرتوني وشيخو وبلو واضرابهم السائرين على آثارهم ·

ومما ساعد على تحسين الاذواق في بيروت ولبنان كثرة ولوع سكان الجبل بالهجرة الى اميركا منذ اوائل القرن كما اولع اجدادهم الفينيقيون بها من قبل وعودة بعضهم باموال اقاموا فيها القصور والمباني على النسق الغربي وحاولوا العيش على المناحي الافرنجية وجلبوا معهم عادات ومعارف جديدة نفعت في انشاء ملكاتهم وآدابهم · والفلاح السوري على الجملة ارقى من الفلاح المصري واذكى منه ولكن اهل الطبقة الوسطى والعليا من المصريين ارقى من اهل جنسهم في الشام · وقد سرت من حب الهجرة شظية الى داخلية سورية وهب المسلمون الى الاغتراب بعد ان كان المسيحيون وحدهم يضربون في اكناف الارض ولا سيما في اميركا ومصر كما سرت عدوى العلوم الحديثة وحب تعلم اللغات الاوروبية ولكن هذه الجراثيم ما زالت قليلة الانتشار بينهم · وممن كان لهم اليد الطولى في الدعوة الى تصحيح الافكار في سورية ولا سيما في دمشق واعمالها الشيخ طاهر الجزائري فانه نفع بتآليفه وارشاده وخطبه في الاندية الخاصة حتى كان سبباً في انارة عقول جمهور كبير من المتعلمين والمتأدبين والمتصدين للنفع والتدريس فكان العضو العامل في انشاء المدارس الابتدائية في سورية واحياء كتب السلف بعد ان بددها الخلف وجعلها في خزائن عامة كالمكتبة العمومية في دمشق وغيرها · ولكن سورية مُنيت بالمراقبة على المطبوعات فهجرها اكثر المفكرين والكاتبين من ابنائها بحيث صح ان تدعى سورية مدرسة وميدان العمل مصر واميركا وغيرهما · ولئن لم يأت المسلمون في سورية حتى الآن بعمل يدل على فضل وعقل فان الانتباه الذي حدث في هذا العهد يدعو الى الامل بانه سيكون منه عما قريب احسن اثر يعود على البلاد بما ينفعها في مادياتها ومعنوياتها · ومتى ايقن المرء بجهله تعلم والجهل البسيط خير من الجهل المركب ونريد بالجهل البسيط هو ان لا يعلم صاحبه و يعلم انه لا يعلم والجهل المركب هو ان لا يعلم ولا يعلم انهُ لا يعلم ·

هذا في العلوم الدنيوية اما العلوم الشرعية فقد قلّ المشتغلون بها كثيراً لان الناس مفطورون على حب المنفعة العاجلة اكثر من الآجلة · وذلك ان فريق المتعلمين رأوا العلوم الشرعية اصبحت لا يرزق صاحبها منها بقدر رزق صاحب العلوم الدنيوية فرغبوا عن الاولى الى الثانية وفشا فيهم داء الاستخدام كغيرهم فضعفت بذلك العلوم الاسلامية التي كانت تعد دمشق وحلب مثلاً من امهات مدنها واسواقها في العصور السالفة ·

واذا تقدمنا الى العراق نجده يشبه حال الشام وان بقي له شيء من العلوم القديمة ولم يأخذ من الحديثة بقسط وافر على ان ذكاء العراقي ونشاطه معروفان موصوفان ولا يبعد اذا تهيأت اسباب واحدة للقطرين الشقيقين ان يسبق العراق الشام · ومثل ذلك يقال في نجد واليمن والحجاز فان الذكاء موجود في اهلها على اتمه ولكن اسباب التعلم ضعيفة جداً والعاقلون العاملون لا يهتدون الى طريقة تفتح امامهم سبيل الوصول ·

واقليم نجد ما برح على الفطرة حتى ان علوم العربية ضعيفة فيه وليس هناك غير العلوم الشرعية من الفقه الحنبلي وغيره مما بثه فيهم امامهم محمد بن عبدالوهاب في القرن الثالث عشر وكانوا من قبل في جاهلية جهلاء وهم لا يزالون بعيدين عن تعلم العلوم العصرية مع كثرة تجول بعضهم في الاقطار المجاورة في التجارة ورؤيتهم في الهند ومصر وغيرهما من آثار العلم الغربي ما يبهج ويدهش · وكذلك الحال في اليمن الا ان العلوم الاسلامية على كثرة الفتن هناك ما فتئت بين الزيدية ارقى مما هي في غيرها من الاقطار وهي منحطة عند غيرهم ويمتاز عامة اهل نجد واليمن عن عامة غيرهم بمعرفتهم المبادىء الاولى التي هي اساس لما بعدها بحيث ان عامتهم يشاركون اعلى طبقات العلماء في المبادىء الصحيحة حتى ان كثيراً من عامتنا بل من علمائنا يتوهمون في كثير من عامتهم بانهم علماء نحوا صنا ارقى من خواصهم وعامتهم ارقى من عامتنا · والحجاز ما برح كما وصفه الكتاب العزيز وادياً غير ذي زرع كما انه لا يزال وادياً غير مخصب بالعلم والادب وان كان كما قال لي احد الثقات بانه قد ينزل فيه علماء كبار ولكن يقصدونه للعبادة والتخلي عن الدنيا لا ليعملوا ويجدوا فترى فيه الافغاني والهندي والمغربي وغيرهم ممن صرفوا اعمارهم في النافع واحبوا ان يختموها بالعبادة · اما السواد الاعظم من السكان هناك فبعيدون الآن عن التغيير ولعل السكة الحجازية متى وصلت بلادهم ببلاد الشام تنقل اليهم من وراء البحار ما تستنير به عقولهم كما ستنقل اليهم الغلات و الثمار ·

هذه احوال جزيرة العرب من الارتقاء وهو احرى كما رأيت ان يدعى وقوفا ·
واما شمالي افريقية فحالتها ليست الا دون ما يرجى فاذا نظرت الى المغرب الاقصى ترى الفوضى السياسية تمزق احشاءها منذ سنين بل منذ اعصار والقول الفصل فيها لمشايخ الطرق منذ خمسة قرون وليس لعلماء الدين الحقيقيين سلطة تنفع اما العلوم العصرية فمعدومة بالجملة واذا نظرت الى فاس وغيرها من امهات مدن العلم في ذلك الصقع الواسع لا تجدها قد اختلفت شيئًا عما كانت عليه منذ قرون اللهم الا في انحطاط العلوم الدينية مع ان المغرب الاقصى من اوروبا على قيد غلوة ولكنه ضرب دونه ودون المدنية باسوار منيعة وحرم اهل الشأن فيه

ما لم يحرمه دين ولا عقل كقراءة الكتب الجديدة والصحف بل وصل الغلوّ بهم الى تحريم تفسير القرآن لخيالات يتخيلونها من قراءته ·

واذا جئت المغرب الاوسط وهو الجزائر ترى العلوم الاسلامية منحطة فيه والعلوم الجديدة ليس منها شيء الا في المدارس الفرنسوية على قلة جدواها ولم يصل منها الى اهل البلاد النافعين في انهاضها غير نور ضئيل جدًّا لان اكثر الدول المستعمرة تذهب الى ان العلم يرفع ربقتها عن المستعمرين وكذلك الحال في المغرب الادنى وهو تونس وبرقة اي طرابلس وما والاها من بلاد الصحراء الا ان اهل تونس هم بالنسبة للمغربين المجاورين لها ارقى في العلوم الدينية والدنيوية · وجامع الزيتونة يكاد يكون ارقى من الجامع الازهر على ان تونس كانت منذ القديم تعنى بالعلوم الاسلامية اكثر من غيرها من الاقطار وحسن الترتيب بين التوانسة في طريقة التعليم قديم العهد كيف لا وهم في الاكثر من نسل الفينيقيين وجالية الاندلسيين · ويرجى لهم بعد ان نفس عنهم الخناق بعض الشيء ان تنفعهم الحرية فيفكر قادتهم لهم وان ما نسمع به ونراه من الصحف والجمعيات التي اكثروا من تأسيسها مؤخرًا ليدعونا الى الرجاء بان يكون الربع الثاني من القرن احسن فائدة واكبر عائدة عليهم ان لم يعاودهم الضغط والمراقبة ·

هذه حال البلاد التي يتكلم فيها باللغة العربية بقي السودان وزنجبار وحالها حال سائر البلاد العربية واضعف وكنا نأمل لاهل زنجبار ان يكونوا كاهل اليمن في العلم والانتباه ولا ندري ما احاق بهم حتى تأخروا عن اللحاق بهم · واذا احصيت العرب لا تراهم يقلون عن خمسين مليونًا ولو قست حالهم العلمية والمادية باصغر الشعوب الاوروبية كالبلجيك او هولاندة او سويسرا لبكيت وانتحبت هذا ولغة العرب ينطق بها نحو مئتين وخمسين مليونًا فهي اقوى اللغات واضعفها اقواها باساسها الثابت المتين واضعفها باهلها المشتتين · فنسأل الله ان يهيء لهذه الامة من يرشدها ولا خير لها الا من انفسها لان سادتها وكبراءها ناموا عن رعايتها ·

مصائب المكاتب

ليس اعزّ على عالم من كتب واوراق كتبها هو او غيره ولذلك نجد المصنفين في كل عصر ومصر يختارون اجود الورق واثبت المداد واجمل الخطوط تخليداً لجدهم وحرصاً على بنات افكارهم او افكار من عاصرهم اوتقدمهم · ولما كان لكل شيء في العالم عمر طبيعي يقضيه حيواناً كان او نباتاً او جماداً لم تخرج الكتب عن حد كونها عرضة للفناء وان طالت اعمارها اكثر من غيرها في عالم الكون والفساد بيد ان المصيبة بها جليلة لانها ثمرة عقول البشر وزبدة اقوالهم وافعالهم وافضل ما في المرء عقله ولا يتم له حفظ ثمراته في الغالب الا بكتاب ·

حدثت الكتب في الاسلام في اواخر القرن الاول ولم يمض قرن او قرنان حتى عدّت بالالوف وصار لها شأن عند القوم بعد ان كانوا أمة أمية لا يقرأون ولا يكتبون · قيل ان الكتب التي كتبها ابو عمرو بن العلاء المتوفى بعد الخمسين ومائة عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب السقف ثم انه تقرأ اي تنسك فاخرجها كلها · وفي رواية احرقها · فلما رجع الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه · ومعلوم ان اصحاب السلطان في الاسلام عُنوا باقامة الخزائن وتسبيلها على المطالعة والمراجعة والنسخ ينتابها خاصة الناس وعامتهم لندرة الكتب وعزة الظفر بها اذ ذاك وقد اصاب تلك الخزائن ما اصاب غيرها من مخربات العمران واقلها التحريق والتمزيق والضياع والتفريق · ولذلك طالت لها الحسرة · وهلاك فرد لا يوازي هلاك افراد وان عُدّ الفرد احياناً بامة · وكذلك الحال في الكتب فان ذهاب مكتبة او مكاتب برمتها لا يشبه ذهاب كتاب او بضعة كتب واهم المآتم التي اقيمت على الكتب الاسلامية ثلاثة ·

الاول يوم دخل هولاكو سنة ٦٥٦ الى بغداد وقتل الخليفة العباسي وازال الخلافة جملة وخرب دار السلام فالقيت الكتب في دجلة حتى قيل ان لون مائه على غزارته بقي اياماً اسود مكمدّاً بما تحلل فيه من مداد الاسفار التي ابتلعها وبالغ المؤرخون فيما ذهب في تلك النكبة · ويكفي بان بعض تلك الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة على زمن هؤلاء التتر قد انشأ بها نصير الدين الطوسي احد فلاسفة الاسلام خزانة عظيمة اتخذها بمراغة في القبة والرصد الذي انشأه هناك فتجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد · والمأتم الثاني يوم دخل الافرنج مدينة طرابلس الشام في الحروب الصليبية فاحرقوا مكتبتها بامر الكنت برترام سنت جيل وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فقضى باحراق المكتبة كلها وفيها على ما قيل ثلاثة ملايين مجلد · واصاب البلاد غير هذين الرزيتين

ما اصابها من الخراب بايدي التتر واهل الصليب · والمأتم الثالث نكبة الاندلس وداهيتها الدهياء فقد وقعت كتب المسلمين في ايدي اعدائهم وقد اعماهم الجهل والتعصب فجعلوها طعاماً للنار ·

قال فوندي في تاريخه ان مسيحيي اسبانيا لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت اليه ايديهم من مصنفات المسلمين وعددها مليون وخمسون الف مجلد جعلوها زينة وشعلة في يوم واحد ثم رجعوا على سبعين مكتبة في الاندلس وانشؤا يتلفون كل ما عثروا عليه في كل اقليم من مؤلفات العرب · وقال احد مؤرخيهم ربلس ان ما احرقه الاسبانيول من كتب الاندلسيين بلغ الف الف وخمسة آلاف مجلد · وذكر بعض المؤرخين ان احد جثالقتهم امر باحراق ثمانين الف مجلد في ساحات غرناطة عقيب استيلائهم عليها وانهم قبضوا على ثلاث سفن قاصدة مراكش تقلُّ ما عزَّ على المسلمين ان يخلفوه وراءهم من اسفارهم فالقوها في قصر الاسكوريال ثم لعبت فيها النيران وبقيت منها بقية رتب فهرستها احد مسيحيي سورية وجعلوها الى اليوم مكتبة ينتابها علماء الارض وكان بقي منها على عهد من رتبها ١٨٥١ سفراً · وقد ادعى قوم ان المسلمين حرقوا كتب الامم قبلهم في الفتح فعاملهم الدهر بعملهم بعد · فقالوا ان عمر بن الخطاب امر باحراق كتب الاوائل وانه امر عمرو بن العاص باحراق مكتبة الاسكندرية وفيها قسم كبير من حكمة اليونان وغيرهم من الامم الخالية وانهم حرقوا مكاتب فارس في خلال الفتح وان عبدالله بن طاهر قائد المأمون حرق في خراسان سنة ٢١٣ هـ ما كان باقياً من مؤلفات المجوس الى غير ذلك مما يتذرعون به من الحجج وهو مردود عند اهل التمحيص ونقدة الاخبار ·

ولو كان لما ادعوه ظل من الحقيقة لذكر قدماء المؤرخين من المسلمين ذلك ولو باشارة طفيفة · ولماذا يا تُرى لا نرى لهذه الدعوى ذكراً فيما بين ايدينا من كتب التاريخ كابن جرير والمسعودي والبلاذري وغيرهم كما انا لا نجد لذلك اثراً في كتب سيرة العمرين وكان على مؤلفيها لو كانت رُويت هذه الاخبار لهم من طريق صحيح وتواترت في زمانهم ان يعدوها في باب مناقب الخليفة الثاني ويوردوها بسلامة صدر على عادتهم في بعض اخبارهم · بل كان على اصحاب الكتب الستة مثلاً ان يفردوا لاحراق الكتب باباً لو كان صدر من بعض الخلفاء الراشدين مثل هذا العمل · كل هذا لم يرد شيء منه في تضاعيف كتب الثقات وانما هم الوضاعون وضعوا هذا الخبر كما وضعوا مئات مثله والصقوه بالامام فتلقفه من لا عهد له بوضع الاخبار على محك النقد من مؤرخي القرون الوسطى قضية مسلمة وراح بعضهم يتذرعون به الى النيل من الائمة باحراقهم الكتب ليحولوا دون العقول والاخذ من

علوم الاوائل وكل ما نسب للمؤرخين المتأخرين منقول عن القفطي من اهل القرن السادس ولا يبعد ان يكون تلقفه من كتب الوضاعين وتابعه عليه من بعده . يؤيد ذلك ما مُني به المسلمون من التفرق الى شيع يضاد بعضها بعضاً وما ثبت في التاريخ من ان الحريق طرأ على هذه المكتبة مرات قبل الاسلام ولما فتحت الاسكندرية في الصدر الاول لم يكن في مكتبتها من الكتب ما يدعو الى مد يد الفاتح اليها بشيء من الاذى والحرق ولذا لم يذكر هذا الخبر احد من معاصري الفتح من المؤرخين سواء كانوا من الروم او غيرهم .

هذا ما وقع للكتب العربية من النكبات العامة في القرون الوسطى وقد وقع لها ما بعده نكبات اعظم وادهى نريد بها جهل القوم و زهدهم فيها ومفاداتهم بها و بيعها بثمن بخس لكل طالب . وما زال الشيوخ من اهل هذا الجيل يحدثوننا بما وقع لكتبنا في مصر والشام واقله السرقة والحرق الاختياري وبيعها من الدلالين لينقلوها الى الاجانب .

حدثني ثقة ان دلال كتب في دمشق كان يغشى منازل اهل العمائم ممن يعرفون بين القوم بالعلماء ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس فيبتاع منها ما طاب له من كتب القوم المخطوطة باثمان زهيدة اذ لم يكونوا يحرصون الا على كتب الفقه وكانوا ابيع من اخوة يوسف لكتب التاريخ لانها كذب بزعمهم والكذب لا ينبغي ان يوضع في قماطرهم وخزائنهم وهناك فنون كثيرة تلحق فن التاريخ بالطبع وهي كتب الحكمة والادب . قال وقد ابتاع معظم هذه الكتب قنصل المانيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض و بقي سنين يتلقطها من اطراف سورية حتى اجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده فاخذتها حكومته منه وكافأته عليها والغالب ان معظم مافي مكتبة برلين العربية هو من بقايا الكتب التي كان يعدها اولئك المتعالمون اضاليل واباطيل والتخلص منها بدراهم معدودة خير وابقى .

ومثل هذا وقع في كثير من بلاد الشرق العربي ولا سيما القاهرة فان ما تدورك امره وجمع في دار الكتب الخديوية هو غيض من فيض . وكذلك ما جمع في خزانة الكتب العمومية في دمشق وما بقي في بعض مدارس حلب وغيرها وما اظن الآن حظ سائر البلاد الاسلامية كان كحظ هذين القطرين في كتبه لان الداء واحد وهو عموم الجهل .

اما مكاتب الاستانة وهي نحو اربعين مكتبة الآن ويبلغ ما فيها نحو مائة الف مجلد ففيها النفيس الذي لا خطر له ولكنها مغلقة تأكلها الارضة ولا ينتفع بها وكثيراً ما سطا عليها شياطين الانس من الغربيين وابتاعوا بعضها من القوّام عليها لقاء ريالات يرضخون بها لهم ولا يزال معظمها في حكم العدم وتوشك اذا دامت كذلك ان تفنى مع ما فني وترحل مع ما رحل .

الا فالتمر مكاتب مونيخ و برلين وستراسبورغ وليبسيك وليدن وفيناو بودابست وا كسفورد ولندن و باريز والاسكوريال و بطرسبرج ونيو يورك وشيكاغو وغيرها من المكاتب العامة والخاصة فانها هي التي عرفت قدر ما احتقرناه و بواسطة رجالها يحيا كل كتاب انتقل اليهم و ينتفع بهولو بعدحين وآمالنا في انتشار مدنية الاسلام على يد اولئك الغربيين ا كثر من آمالنا من انتشارها على يدنا وان كنا نود مشاركة اولئك الغيورين في احياء مدنيتنا وصاحب الحاجة اولى بها ·

نظام العمل

للدكتور موريس ديفلوري نشرت في «المجلة» الفرنسوية

لا ارى انسانًا يصف نفسه بانه يقتلها في العمل خليقًا بان يكون حكمه معقولاً لان العمل في ذاته لا يقتل بل هو على العكس شرط من شروط الصحة وموازنة القوى · اذاع في العهد الاخير احد الدعاة الى نزع الملكية (١) (Collectiviste) المتحمسين المخلصين بان دور السعادة اتى وانه سيكفي المرء بعد الآن ان يعمل كل يوم ساعة وثلثًا ليقوم بحاجاته الخاصة و يوفي ما للمجتمع عليه من المطالب · وهو نظر في المستقبل لم احفل به بتة اذ لم يقع من قلبي موقعًا مقبولاً لعلمي بان الانقطاع عن العمل اثنتين وعشرين ساعة واربعين دقيقة هو مما يؤدي بالانسانية الى مواقع الضعف الطبيعي المحزن والغفلة التي تغشى الابصار والبصائر سيئاتها· هذا اذا لم اقل ان هذه البطالة والاغراق في عدم استعمال قوانا ربما يدفعانناالى السقوط فيما سقط فيه اسلافنا الاول من الوحشية · على حين نرى العمل اليومي الطويل ضروريًا لتجديد قوانا وهو منظم غريب في جهادنا العصبي فعلينا والحالة هذه ان لا ننطال الى الافلال منه بدون تبصر ·

لا يموت كبار العاملين شبابًا كما يموت اسوأ الخاملين والامراض السارية لا تبقي على النساء المنقطعات عن العمل وتتناول الرجال المجدين في تعاطي اعمالهم · وكذلك الحال في رجل له دخل يعيش في احدى الولايات فتراه لا عمل له الا ان يقرأ جريدة و يذهب ليتفرج

(١) هذا التعليم هو من التعاليم الاجتماعية الحديثة يقضي بالغاء التملك الشخصي ليجعل بيد الحكومة والمجتمع

على مرور القطار السريع تراه يشيخ بسرعة على نحو ما يشيخ ذاك الطبيب من معارفي وهو يستيقظ الساعة السابعة صباحاً من نومه ويذهب ليقوم بوظيفته في المستشفى ثم يلقي درساً في المدرسة الطبية ويسأل المرشحين في الفحوص ويطب عشرين مريضاً احسن تطبيب ويكتب عشر رسائل ويدير دفة اعمال المباحث في معمل كيماوي ويرأس لجنة طبية وينشر كل سنتين او ثلاث سنين مجلداً ممتعاً من قلمه . نعم انك لترى الشعوب المفرطة في الكسل مهما كان هواء بلادها جيداً يموت منهم اكثر مما يموت من الشعوب المتوفرة ابداً على تعاطي الصناعات .

ومن المحق ان من الصنائع ما يضر بالصحة تعاطيه . والمرء قد يمرض لانه استنشق زمناً غباراً او ابخرة مضرة مهلكة . ولا يختلف اثنان بان للعمل العقلي والعضلي شروطاً وارى ان انصح للعاملين بما لديَّ من النصائح لاعلمهم ان لا يعرضوا انفسهم للاعياء والاعنات . ولا بدَّ لي ان اقول في فاتحة كلامي لمن اتخذوا الكسل شعاراً ان كل حاسة من حواس الانسان اذا انصرفت زمناً الى الراحة تهزل على ان الحاسة التي تعمل على الدوام تحفظ وتزداد وتكمل

يقول علماء منافع الاعضاء ان صرف القوى بالعمل المعتاد يكاد لا يدرك اذا كان قانونياً ويعوض النوم والغذاء ما فقد منها . وان المرء اذا كان صحيح الجسم وجرى في تدبير صحته على قاعدة معقولة يقوم بعمل يوازي على الاقل يومي العمل المقنن في العادة وهو ما تراه نقابات العملة الآن مغايراً للمعتاد وذلك بدون ان تنفد قواه . وارى ان هذه الكمية من العمل هي في الواقع نافعة لقوام البنية الحيوية القانونية .

نشر الاستاذ لاندوزي في مؤتمر السل الاخير خلاصة ابحاثه المهمة التي عني بتحقيقها هو واثنين من تلاميذه المسيو هنري والمسيو مارسل لابي واورد الصورة التي يغتذي بها في العادة العملة الباريزيون . فدلت تحقيقاتهم على ان معظم العاملين بقواهم يبذلون تقريباً من الدراهم ضعفي ما يقتدي لغذائهم اليومي وان انتقاء انواع الاطعمة كما هو الآن ينافي كل المنافاة قواعد تدبير الصحة الغذائية النافعة وهي مبادئ قلما يعنى بها علماء الاجتماع لهذا العهد .

ومن المحقق بعض التحقيق ان العمل الصناعي اذا قام به المرء وعمل فيه التركيب النامي على حد الكفاية لا يستلزم شيئاً من التعب العصبي الكثير لانه يكاد يجري على وتيرة واحدة بدون وساطة الفكر الاختياري ولا تتعب سوى المصاعب التي لم تنتظر والصعوبات غير المألوفة لانها تستلزم من القوى تطبيقاً جديداً لتجري نحو غاية تحدث ولم تكن متوقعة فالطعام القليل الذي يسوء انتقاؤه وكميته هو الذي يتعب الجسم ويمرضه نعم ان الضرر

نشأ من الافراط في استعمال المقويات الرديئة والمهيجات والالكحول وفساد المسكن وازدحامه وقلة نفوذ الهواء الى محال العمل حيث يعمل العامل مع اخوانه ممن يكونون مصابين بالسل . ولقد احسن من سنوا قانوناً لعمل صغار الاولاد اذ دل الاختبار على انه لا يتأتى اكراه الاعصاب التي لم تتكامل على العمل الطويل بدون ان يحدث فيها ضرر ويستندون في ذلك على ان عظام الاطفال تكون آخذة بالنمو . ولكن رجلاً بالغاً صحيح الجسم يحسن ما يعمل من الصنائع ولا يسم جسمه في حانة بما يتناوله من المشروبات الروحية لا يتعب بمقدار ما يكون عمله منتظماً .

يذهب المديرون للطبقة العاملة الآن الى اعتبار العمل اليومي اسراً وظلماً ينبغي الخلاص منه بالسرعة الممكنة . وهذه المزاعم منافية من كل وجه لمبادىء علم منافع الاعضاء الحديث الثابتة المحسوسة اذ ثبت ان العمل مبعث السرور والصحة يطيل فينا حبل الحياة وينهضنا من خمولنا وبدونه لا يتأتى لنا ان نعيش في المجتمع . اليس العمل هو السبيل الوحيد الذي ينسينا شقاءنا فلا نفكر في آلامنا ويحملنا على مداواتها بان نلجأ الى بعض الرفاهية والدعة .

من شأن المؤثرات الخارجية ان تديم اعصابنا على انكماشها فالقوة البشرية فينا تنشأ من قوة الادراك بالحواس لا لتعمل تلك القوة عملها وتفنى في مكانها بل لتصدر عنا ونقوم بما قدر لها وتتبع الاعمال بنتائجها . ولا بد من الوقوع في خطر اذا تركت تلك الحاسة تتجمع في مراكز اعصابنا فالفتور يؤدي بادىء بدء الى الغضب ثم ينتهي بالهزال .

فعلينا والحالة هذه ان ندعو الى حب العمل فانه مصدر القوة المتجددة النامية والرضى والامان . وعلينا ان نعنى كل العناية بتحسين حال العمل وتعميم قواعد تدبير الصحة في الحرف الشاقة وان نطالب بتطهير المعمل والمسكن ونضاعف عدد المطاعم الصحية الرخيصة وان نغلق ابواب كثير من الحانات وان نلقن العملة مبادىء التمدن ونعلمهم ان يعيشوا بعقل وحشمة وان لا ينهبوا حياتهم نهباً وان يحاذروا من استعمال الالكحول لانه اضر المقويات التي يسر باديها ويسوء خافيها وان نجعل لهم سلاحاً يجاهدون به البؤس والمرض وان نصرح على رؤوس الملاء ولو ساء ذلك بعضهم بان من يفتري بان العمل مذلة ومنقصة كاذب في مذهبه ختار في مبدإه .

يظهر ان نوع العمل الذي اعتاد الناس ان يدعوه عقلياً لانه يستدعي شيئاً من الجهاد العصبي هو اقل موافقة لقواعد الصحة واقل نفعاً من عمل الحقول والمعامل . فحياة من يقضون اوقاتهم في الغرف فيها ما يعوّد التركيب النامي على كسل الاعصاب وليس فيها بوجه

من الوجوه ما يبعث النشاط في اسقاط المسمات وقلما يطعم طعامًا او يشرب شرابًا ويدخن وهو يعمل. فمن يقضي نهاره في اماكن ضيقة غير معرضة للهواء ولا يجري من انواع الرياضة الا ما يأتيه كل يوم من القفز الى الحافلة (اومنيبوس) ليصل بها الى داره لا شك انه يصاب بوجع المفاصل وما اليه من الاوجاع الكثيرة ولا تلبث حواس الافراز مثل الاحشاء والكبد والكلية ان تتدرن فلا تعمل عملها وينتهي ذلك بفساد الصحة عامة والهرم العاجل.

فاذا كان من يعمل بعقله حامي الرأس بارد الارجل ضعيف المعدة متداعي الاحشاء رخو الاعصاب ضعيف السوق فهو بلا مراء عرضة اكثر من عامل المدينة والحقول لسوء الهضم والبدانة والصلع والنقرس وضعف المجموع العصبي ولامراض كثيرة سببها البطء في التغذية.

هذا حظ العاملين بعقولهم ممن يعملون لغيرهم ولا يتحملون اقل مسئولية اما من يعملون بعقولهم ويديرون حركة اشغالهم فيكون لهم خيرها وشرها وخلها وخمرها فاولئك اناس تضطرهم الدواعي الى اجهاد القوى والدقة وتجديد جدة الارادة والخوف من السقوط والقلق مما يأتي به الغد ويكثر المصابون بضعف المجموع العصبي من ارباب الاشغال العقلية من مثل المهندسين واصحاب الصنائع والسياسة والشبان الذين يستعدون لتقديم الامتحانات او الدخول في المسابقات.

ولقد كنت لاول امري مثل كثير من رصفائي في طب الآلام العصبية اذهب الى ان ضعف الجهاز العصبي كان ينبعث في الغالب من الاجهاد في العمل والافراط فيه اما الآن فقد علمت بالتجربة خمس عشرة سنة ان الاعتقاد بان اهم سبب في المتاعب العصبية ناتج في الاكثر من عمل مؤثر وغم وشدة الجد وكد الذهن في موضوع مخصوص والعمل القلق والمؤثرات من الافكار والملقيات في الاضطراب والتذبذب من مثل النظر الى الغاية وتوقع الثمرة. فمن ورثوا عن والديهم مرض النقرس والاعصاب هم عرضة للتألم من الحياة خاصة فتسود ايامهم في عيونهم وتبهظهم فيستطيلون حياتهم فتنحل قواهم الدماغية وبهذا عرفت ان طريقة العمل هي التي تولد الاعياء لا العمل نفسه. يتظاهر الانكليز السكسونيون ان لا تبدو عليهم امارات العجلة والقلق ولا يتجلى الاضطراب على محياهم وان يسلكوا مسالك التوءدة والعقل. ومن المحقق ان برودة الطبع في الظاهر تكره صاحبها على استعمال السكون في الباطن وتقمع الجهاز العصبي. فقلة الصبر والخمول والحمية تجيء بالتعود والمران اكثر مما تنشأ بعامل الطباع والامزجة ومن يتأمل يتضح له ان السيئات التي تحملها لنا حوادث الحياة يكون شرها الاصلي لا بذاتها بل بالكيفية التي نحلها منا ومعظمها لا يفعل فينا الا بقدر

تجسيمها في انفسنا . على ان من يعملون قليلاً هم الذين يعجلون في استنفاد قوة حواسهم العصبية وذلك لان تثاقلهم عن العمل يلقي في قلوبهم الخوف حتى ليغصون بالماء القراح ومن يقع في نفسه انه قام بكل ما يقدر عليه يتوقع ابدًا والسكون رائده نتيجة اجتهاده الذي قلما يضيع بامره .

والحال سواء في الاعمال العقلية والاعمال اليدوية وجميع اعمال حياتنا على انواعها وفي جملتها الحب وما يتصرف عليه لا تتعب الا اذا كانت منقطعة نادرة او غير مألوفة وعارضة بدون تسلسل بينها . والعادة والميل يزيلان مفعول المؤثرات العصبية . ولقد بحثت قديمًا في حالة المشاهير والطريقة التي يجري عليها كبار المفكرين من كتابنا في حياتهم فما رأيتهم يتوقعون ان يوحى اليهم من السماء بالخواطر والافكار بل انهم كانوا ينشدونها بطول الثبات وانتظام اعمالهم انتظامًا تامًا فكان اعاظمهم يبدأون بعملهم كل صباح في ساعة معينة على نحو ما يشرع المستخدمون في مكتب تجاري بعملهم وكان دوام تحديقهم في شيء واحد يضاعف افكارهم بحيث تكون عالية عظيمة وكان الصبر الطويل عند معظمهم اول الملهم القوي في عقولهم وقد عمروا الا قليلاً منهم امثال بالزاك الذي قتلته همومه وزولا الهالك بعارض طرأ وموسيه قضى من تعاطي المسكرات وبودلير وجول دي كونكور والفونس دودى وموباسان قضوا نحبهم عقيب امراض طرأت عليهم عرضًا وما فقط نسب موتهم قبل استيفاء سني حياتهم للعمل الذي كانوا يتعاطونه .

وهنا نأتي على التدابير التي تعين العاملين فلا يلاقون نصبًا ولا وصبًا . فاعلم انه ليس احسن في شرع العمل من توفر المرء على عمله وان ما يجلب التعب في العمل الطبيعي او العقلي هو كيفية تعاطي العمل اي ان اجهاد الذهن وحصره في موضوع يعطي المرء قوة فعلى الارادة ريثما يستحضر الذهن ويشرب حب الميل الى العمل الذي ينوي استخراج شيء منه ان تتوسط في الامر للحال لتستدعي انتباه الفكر واجتماعه وهذا مما يجلب التعب ولكن متى تهيأ سبيل الموضوع الذي يقضي الشروع به ومتى اعددت للموضوع عدته واسبابه يجري العمل فيه بذاته ويعمل الدماغ فلا يعود يتأثر بالفكر وحصر الذهن فعلى المرء والحالة هذه ان يعمل ببطء وتسلسل ويجدر به ان يحاذر استنزاف قواه . خيرٌ لمن لم يرزق ارادة ثابتة وقوة ادبية عجيبة ومن لم يؤت فضائل سامية خارقة ان يعتاد عادات نافعة فان العادة الحسنة والضارة سواء في تأثيرها في النفس . وبعد فلنتعلم تنظيم حياتنا بتدقيق وان نجلس الى منضدة العمل كل يوم في وقت معين ليتراكم الدم من ذاته في دماغنا ويستعد لعمله وتعد المعدة جهازها الهضمي للطعام وتجوع من نفسها في الوقت المعين لغذائها . حقًا ما

قيل ان العادة طبيعة ثانية بل هي قوّة جميع الضعفاء وهي ايضاً سر الاقوياء اذ ان ارباب العقول الكبيرة يكرهون انفسهم عليها عند ما تحدثهم نفوسهم بابراز تأليف مطول ممتع ·

قال موسو الايطالي عند كلامه على التعب ان اطالة الفكر في موضوع واحد تضاعف في قيمة الوقت مضاعفة خاصة · وهو كلام لطيف لانك ترى الانسان في تعاطي العمل ثلاث ساعات شديدة التي تأتي بها المداومة على الفكر النافع يعمل عملاً اكثر واحسن من عمل عشرين ساعة منقطعة ونفكر لا طائل تحته وفي احلام مختلفة غير مقررة التي يقضي فيها المرء وقته في انتظار الوحي والالهام · ولقد كانت طريقة مشاهير كتاب العالم على هذا النحو ومعظمهم لم يصرف اكثر من ساعتين او ثلاثاً في عمله اليومي اما سائر ساعات الفراغ فكانوا يقضونها بالطبع في التدبر وهو من توابع الاعمال العقلية ·

وهنا مجال لان ابين انه ينبغي تدبير الصحة ومن اللازم اللازب على ابن الكتابة ان يتريض كل يوم ببعض الرياضة العضلية مخافة ان ينسخ التركيب النامي كله وفي جملة ذلك الدماغ الذي يحتم احراق فضلاته واسقاطها فان المشي وركوب الدراجة والارتياض والفروسية نافعة لارباب العقول على شرط ان يعتدل فيها فلا يكون في معاطاتها تعب عضلي يزيد التعب العقلي · وجميع حركاتنا الاختيارية ناشئة من قشرتنا الدماغية · واني لاعرف اناساً افرطوا كثيراً في حصر اذهانهم في السباق فاضاعوا قوّة افكارهم وعلينا ان لا ننسى ان الحركة العضلية ينبغي ان تجري بالطبيعة لا دخل للارادة فيها ليحسن اثر الرياضة ولا يقع المرء في الافراط

وعلى المرء ان يلتزم القصد للغاية تحامياً من الوقوع في بطاءة التغذية والربالة ووجع الاعصاب وتجمد الشرايين وجميع ما يجري هذا المجرى من الامراض فان الاطعمة المعتادة والخمور الجيدة والمشروبات والافسنتين كلها مما يورث حواسنا اذى كبيراً فتغير الدماغ وتضر بالاعتدال والصفاء وحضور الذهن واذا ثارت في متعاطيها ثائرة الغضب تورث رأسه ثقلاً وسباتاً مضراً فان الافراط وسوء الهضم مضران بارباب العقول الكبيرة لما انه ثبت ان جميع كبار كتابنا على التقريب اقتصروا على تناول الماء ولم يتعاطوا المشروبات الروحية ·

اما العفة التي يراها بعضهم غير ضرورية للقرائح فانا لا اراها الا نافعة فان المرء الذي يقضي حياة طيبة في العمل لا تأتيه المفاسد والاستهتار الا بالضرر وهي امارة نقص فيه اما الحب الشريف فانه يرفع قدر الاحساس ويسمو بالنفس وينبه الارادة للانتقال من عمل الى آخر ·

ارتقاء الافكار

ترجمة مقدمة كتاب المانيا الحديثة ونشوءها

اذا قيس العصر الحاضر بالقرون السابقة فاول ما يبدو للناظر كالشمس الرائعة ازدياد مقدرة البشر في خلال القرن الاخير . ولعلّ في الناس من يرتاب في تقدم الانسانية من هذا الوجه فيقول ان ابن اليوم اذا قيس بابن امس فليس اسعد منه حالاً ولا اوسع عقلاً ولا اكثر امناً وطمأنينة . على اننا نعتقد اعتقاداً لا تردد فيه بان القوّة المشتركة التي يتمتع بها المتمدنون و يكافحون بها عناصر الوجود قد زادت زيادة كبرى . فتسنى للذكاء الانساني ان يخطو خطوة عظيمة خلال القرن التاسع عشر في سبيل تسخير القوى الطبيعية وحسن الانتفاع بها والتغلب عليها . فغدا المرء لا ينظر للعالم على ما كان ينظر اليه ابن القرون الغابرة ولا يشعر بمثل شعوره نحوه سابقاً بل ارتقى عقله واي ارتقاء وتقدم كما يقول نقدة كتبة الالمان فصار كل شيء ذاتياً في الانسان .

عرفت القرون الوسطى بعدم استقلال شعورنا وبتبعيته لقوى الوجود التي تربو على قوانا كثيراً . واذا حللنا العقل الذي اخذ يقوى حوالى القرن الخامس عشر يثبت لدينا بان ما يزيد في مسافة الخلاف بيننا و بين اهل القرون السالفة نشأ من عدم توفقهم الى معرفة مبدإ تحليل عناصر المادة وتعليل المسببات . نحن نقول بوجود رابطة سببية مستحكمة بين جميع الظواهر الحسية بدون استثناء ونسعى جهدنا بما لدينا من التجارب ان ندرك جميع هذه الصلات والاسباب والنتائج حق الادراك . ولا نزال في حال عدم اطلاعنا على تلك الصلة موقنين بوجودها وان العلم الناضج يتمكن من تحليلها وتعليلها . وهذا اليقين الاساسي هو الذي نقص ابن القرون الوسطى . فكانت معرفته بالعالم الخارجي ضيقة النطاق ولم يكن لديه كما لابن هذا العصر تجارب جمة مبنية على قواعد راهنة منظمة بنظام معقول ومرتبة على احسن اسلوب . ولم يتلمس عقله كلما عرض امامه حادث و بدت لعينيه الظواهر ان يبحث عن شرح الاسباب وتعليلها بل كان يكتفي كل حين في باب التبصر في وجوه الامر وكشف غامض كل سر يعرض في فضاء الظواهر بان يعللها باقيسة مختلفة وقد تكون سطحية لا قائمة على استدلال مدقق واستنتاج متين .

واي شيء اعجب مما كان عليه ابن القرون الوسطى امام مجموع حوادث مازالت ضيقة المضطرب علمته العادة ان يميز فيها بعض النظام فجزم من تلقاء نفسه بوجود عالم المعجزات والخوارق و بانه فسيح المدى غير خاضع للنواميس الطبيعية على قربه منا وفي مكنته ان

قيل ان العادة طبيعة ثانية بل هي قوّة جميع الضعفاء وهي ايضاً سر الاقوياء اذ ان ارباب العقول الكبيرة يكرهون انفسهم عليها عند ما تحدثهم نفوسهم بابراز تأليف مطول ممتع ·

قال موسو الايطالي عند كلامه على التعب ان اطالة الفكر في موضوع واحد تضاعف في قيمة الوقت مضاعفة خاصة · وهو كلام لطيف لانك ترى الانسان في تعاطي العمل ثلاث ساعات شديدة التي تأتي بها المداومة على الفكر النافع يعمل عملاً اكثر واحسن من عمل عشرين ساعة منقطعة وتفكر لا طائل تحته وفي احلام مختلفة غير مقررة التي يقضي فيها المرء وقته في انتظار الوحي والالهام · ولقد كانت طريقة مشاهير كتاب العالم على هذا النحو ومعظمهم لم يصرف اكثر من ساعتين او ثلاثاً في عمله اليومي اما سائر ساعات الفراغ فكانوا يقضونها بالطبع في التدبر وهو من توابع الاعمال العقلية ·

وهنا مجال لان ابين انه ينبغي تدبير الصحة ومن اللازم اللازب على ابن الكتابة ان يتريض كل يوم بعض الرياضة العضلية مخافة ان ينسخ التركيب النامي كله وفي جملة ذلك الدماغ الذي يحتم احراق فضلاته واسقاطها فان المشي وركوب الدراجة والارتياض والفروسية نافعة لارباب العقول على شرط ان يُعتدل فيها فلا يكون في معاطاتها تعب عضلي يزيد التعب العقلي · وجميع حركاتنا الاختيارية ناشئة من قشرتنا الدماغية · واني لاعرف اناساً افرطوا كثيراً في حصرا ذهانهم في السباق فاضاعوا قوّة افكارهم وعلينا ان لا ننسى ان الحركة العضلية ينبغي ان تجري بالطبيعة لا دخل للارادة فيها ليحسن اثر الرياضة ولا يقع المرء في الافراط

وعلى المرء ان يلتزم القصد للغاية تحامياً من الوقوع في بطاءة التغذية والربالة ووجع الاعصاب وتجمد الشرايين وجميع ما يجري هذا المجرى من الامراض فان الاطعمة المعتادة والخمور الجيدة والمشروبات والافسنتين كلها مما يورث حواسنا اذى كبيراً فتغير الدماغ وتضر بالاعتدال والصفاء وحضور الذهن واذا ثارت في متعاطيها ثائرة الغضب تورث رأسه ثقلاً وسباتاً مضراً فان الافراط وسوء الهضم مضران بارباب العقول الكبيرة لما انه ثبت ان جميع كبار كتابنا على التقريب اقتصروا على تناول الماء ولم يتعاطوا المشروبات الروحية ·

اما العفة التي يراها بعضهم غير ضرورية للقرائح فانا لا اراها الا نافعة فان المرء الذي يقضي حياة طيبة في العمل لا تأتيه المفاسد والاستهتار الا بالضرر وهي امارة نقص فيه اما الحب الشريف فانه يرفع قدر الاحساس ويسمو بالنفس وينبه الارادة للانتقال من عمل الى آخر ·

ارتقاء الافكار

ترجمة مقدمة كتاب المانيا الحديثة ونشوءها

اذا قيس العصر الحاضر بالقرون السابقة فاول ما يبدو للناظر كالشمس الرائعة ازدياد مقدرة البشر في خلال القرن الاخير . ولعلَّ في الناس من يرتاب في تقدم الانسانية من هذا الوجه فيقول ان ابن اليوم اذا قيس بابن امس فليس اسعد منه حالاً ولا اوسع عقلاً ولا اكثر امناً وطأنينة . على اننا نعتقد اعتقاداً لا تردد فيه بان القوّة المشتركة التي يتمتع بها المتمدنون و يكافحون بها عناصر الوجود قد زادت زيادة كبرى . فنسنى للذكاء الانساني ان يخطو خطوة عظيمة خلال القرن التاسع عشر في سبيل تسخير القوى الطبيعية وحسن الانتفاع بها والتغلب عليها . فغدا المرء لا ينظر للعالم على ما كان ينظر اليه ابن القرون الغابرة ولا يشعر بمثل شعوره نحوه سابقاً بل ارتقى عقله واي ارتقاء وتقدم كما يقول نقدة كتبة الالمان فصار كل شيء ذاتياً في الانسان .

عرفت القرون الوسطى بعدم استقلال شعورنا وبتبعيته لقوى الوجود التي تربو على قوانا كثيراً . واذا حللنا العقل الذي اخذ يقوى حوالى القرن الخامس عشر يثبت لدينا بان ما يزيد في مسافة الخلاف بيننا و بين اهل القرون السالفة نشأ من عدم توفقهم الى معرفة مبدإ تحليل عناصر المادة وتعليل المسببات . نحن نقول بوجود رابطة سببية مستحكمة بين جميع الظواهر الحسية بدون استثناء ونسعى جهدنا بما لدينا من التجارب ان ندرك جميع هذه الصلات والاسباب والنتائج حق الادراك . ولا نزال في حال عدم اطلاعنا على تلك الصلة موقنين بوجودها وان العلم الناضج يتمكن من تحليلها وتعليلها . وهذا اليقين الاساسي هو الذي نقص ابن القرون الوسطى . فكانت معرفته بالعالم الخارجي ضيقة النطاق ولم يكن لديه كما لابن هذا العصر تجارب جمة مبنية على قواعد راهنة منظمة بنظام معقول ومرتبة على احسن اسلوب . ولم يتلمس عقله كلما عرض امامه حادث وبدت لعينيه الظواهر ان يبحث عن شرح الاسباب وتعليلها بل كان يكتفي كل حين في باب التبصر في وجوه الامر وكشف غامض كل سر يعرض في فضاء الظواهر بان يعللها باقيسة مختلفة وقد تكون سطحية لا قائمة على استدلال مدقق واستنتاج متين .

واي شيء اعجب مما كان عليه ابن القرون الوسطى امام مجموع حوادث مازالت ضيقة المضطرب علمته العادة ان يميز فيها بعض النظام فجزم من تلقاء نفسه بوجود عالم المعجزات والخوارق وبانه فسيح المدى غير خاضع للنواميس الطبيعية على قربه منا وفي مكنته ان

يفرط كل حين السلسلة القانونية من هذه الظواهر · واي شيء اعجب من حال ابن القرون الوسطى وقد فقد الحلم الحسي المنظم فكان من قلة اختباره ان اثر فيه كل التأثير ما ورثه من الحكمة التقليدية · واي شيء اعجب من مذهب قائم على الاعتقاد بالخوارق ومؤسس على سلطة تقليد قديم يستولي على العقول وتلزم به الاذهان والارادات بقوّة لا تغالب·

اما العقل الحديث فيختلف عن ذلك كل الاختلاف · وذلك ان العقول كانت في القرون الوسطى تذل برضاها امام سلطة التقاليد وتعترف في كل مكان بالخوارق و بتأثيرات السحر والتنجيم والامور الغيبية المطلقة التي تشير الى ان هناك قوى سامية في عالم الكون والفساد · غير ان العقل الحديث غدا اكثر استقلالاً وامتد فضاء التعقل في الانسانية ايما امتداد واخذت تجاربه الكثيرة تنظم وصار لها قانون تكثر به وتزيد وانتشر العلم والميل العلمي على موازاة ذلك · وحل بالتدريج الاعتقاد بالمقدور محل الاعتقاد بما فوق الطبيعة وقام البرهان بالاستدلال المسدَّد مقام البرهان بالقياس · وانتظمت اذ ذاك معرفة العالم معرفة مبنية على العقل والتجارب التي ما زالت تكثر وتتم ولا سيما في خلال القرون الثلاثة الاخيرة · فألفت الرياضيات الميكانيكية في خلال القرن السابع عشر والثامن عشر بما قام به من الاكتشافات العظيمة كل من « سيمون ستيفن » و « غاليلة » و « نيوتن » و « ديكارت » و « لايبنز » و « اولر » و « المبر » و « لابلاس » وخرجت العلوم التجريبية ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر من دور الشك والحيرة وبدأ تاريخ الكيمياء الحديث بلافوازيه كما بدأ علم الكهرباء بكالفاني وفولتا · وفي خلال القرن التاسع عشر نضجت المواد واتسعت الآراء في المجموع الميكانيكي في العالم وعرف العقل الانساني تصوّر جميع العوامل الطبيعية في الوجود والاعمال الميكانيكية والحرارة والصوت والكهربائية كأنها مرادفات كثيرة مختلفة ترجع الى شيء واحد وانها قوة سياسية تظهر متحدة الذات والمعنى بنفسها في جميع الظواهر الطبيعية · وهكذا برهن العقل البشري على وحدة قوى الطبيعة واثبت ان القوّة في كل مكان على تباين اشكالها تخضع لناموس القواعد الاساسية في الطبيعيات ولقانون حفظ القوّة وبقائها ومعرفة المادة · ثم توسع اكثر من ذلك في اكتشافاته فحاول ان تعم هذه القوانين الطبيعية العضوية واظهر في احد الاجسام البسيطة التي لا تجزأ بان الكربون وهو الجسم الغريب الذي يدل على تكوّن المجموع الحيوي وتنوّعه الى ما لا نهاية له بانه يمثل اساس الكيمياء في الحياة (رأي هيكل الالماني) واكتشف في الخلايا البسيطة المفردة جسماً حيوياً صغيراً تتولد منه باجتماعه المتصل جميع الانسجة التي تتألف منها التراكيب النباتية او الحيوانية وتوصل العقل الانساني بنظرية النشوء التي كان تنبأ بها الشاعر كيتي في اواخر القرن الثامن

عشر وقررها داروين سنة ١٨٥٩ بان قدّم لعلم الحياة (بيولوجيا) مسألة التحليل والتركيب واعلن بان العالم اذا أُخذ بمجموعه فليس الا نشوءاً دائماً من المادة ·

ولكن العقل لم يقف عند حد العناية بشرح العوالم المؤسسة على مبادىء تعليل الاشياء ولم يكتف بالنظريات بل تعداها الى العمليات فاصبح يعمل ويوجد · فكان كلما احسن معرفة النواميس الفعالة في الحوادث ايضاً اخضع قوى الوجود اليه وادخلها تحت نظام وترتيب وشغلها فيما ينفعه فكما انه اوجد العلم فقد رتب الفنون العقلية ·

وكانت الفنون القديمة تجريبية صرفة يعرف الصانع كيف يتصرف بما لديه من المصنوعات جارياً في ذلك على الطريقة التي تعلمها ممن سبقه وذلك لان معلمه نقل اليه بالعمل الطرق التجريبية وعلمه كيف ينبغي له ان يتعاطى العمل ليتمكن من صنع الشيء الفلاني · وكان على جهله بنواميس الوجود يطبق طريقته في العمل بدون ان يعرف في الاكثر كيف تبلغ به النتيجة المطلوبة وعلى اي وجه تسير · وكثيراً ما كان يعثر بالعرض على طريقة جديدة للوصول الى الغاية المنشودة من اسرع سبيل فيغني في الحال مجموع قوانين الفن بقاعدة جديدة يخلفها لاعقابه واخلافه ولكن مجموعة القوانين التي اهتدى اليها بالصدفة وانتقلت اليه من اسلافه لم تبرح على الدوام طريقة تجريبية اكتشفت عرضاً لا مجموعاً حسن التنسيق بالمعارف المبنية على العقل المؤيدة بالعلم والتجربة ·

وبعد فان مما تمتاز به الفنون الحديثة التوسع كل حين باستبدال العلم المبنيّ على العقل بالعلم الذي كان يقوم على النظر واحلال الطريقة العلمية محل الطريقة التقليدية فمن ثم كان من توابع معرفة الوجود معرفة علمية ان عُدّلت جميع الفنون التي برزت في شكل اعرق في الحداثة والجدة · ما هي الغاية التي يرمي اليها علم الوجود ؟ انه يعني بالذات ان يُرجع اختلافات الكيفية الى اختلافات الكمية وبايجاد طريقة رياضية توضح باسلوب تام احدى الظواهر الطبيعية وان يرجع جميع ظواهر الحياة العضوية في ذاتها الى حركات تكون اكثر تركباً من المواد الاولية التي ما كانت تختلف في جوهرها عما تتألف منه الاجسام غير الآلية · حتى ان العلم الحديث على اختلاف اشكاله ميكانيكية كانت او طبيعية كهربائية او كيماوية وغيرها ترمي الى ان تسقط في كل مكان العوامل الحيوية لتستعيض عنها بعناصر ميتة فتبدل مثلاً القوّة المحركة الانسانية او الحيوانية بقوّة البخار او الكهرباء وتستبدل عوامل الحديد او الفولاذ ذي الادوات بالعملة الذين خلقوا من لحم وعظم وتستعيض عن الحاصلات الآلية والطبيعية كالخشب والالوان النباتية والاسمدة بحاصلات غير آلية وصناعية كالفحم الحجري والفحم وفحم القلي النيلي والاسمدة الكيماوية · فاصبحت الانسانية بذلك على التوالي معروفة المقاصد لا تعلق لما

بشيءٍ مستقلة عن المسافة او الزمن غير تابعة للكفاآت الطبيعية او الكسبية من مثل رشاقة اليد وحدة البصر والسمع والذوق والشم ولا وقفاً على فئة خاصة من الناس بل تجري بدقة شديدة لا تتغير حركتها واعني بها الآلة والاداة. ولم تقتصر الانسانية على الاستسلام لاحوال الزمان والمكان التي جعلت نموّ الاحياء الحيوانية والنباتية الطبيعي تحت تصرفها ولكنها انتجت الحاصلات التي ارادت ايجادها بان ركبت تركيباً صناعياً من العناصر والقوى التي لها. ولم يقف الامر عند حد صناعة دقيقة يوشك سرها ان يضيع بل اصبح ذلك من الاكتشافات التي لا نزاع فيها النافعة في علوم البشر على مر الازمان كلها وبين ظهراني جماع الامم . وهكذا بلغ انتشار العلم والفنون العقلية في قدرة الانسان وتسلطه على الطبيعة الى التي لا تصدق ودخل القلب والابدال على اسلوب العلم باسره وتناول فهم اسرار الحياة والعالم .

كنا نقول بان الانسان شعر في القرون الوسطى بانه مستقل بالذات بعد ان كان خاضعاً في جميع اطوار حياته المادية والروحية لله او لتعاليم الكنيسة فكان له في الامور الدينية من التوراة والكنيسة حل تام لا جدال فيه لجميع المسائل العويصة في مسائل ما وراء الطبيعة وهذا الحل اوحى به المولى بالذات فكان على ابن تلك القرون ان يقبل ذلك بدون نظر او مماحكة فيه . فقانون الاخلاق مفروض عليه كأنه امر الهي وما عليه الا الخضوع له صاغراً . وكان النظام الاجتماعي مؤسساً على تعاليم قديمة له صفة نصف مقدسة فيخضع الانسان في جميع اعماله المهمة في حياته لامر صادر من قوّة وارادة اسمى من قوّته وارادته لا يسعه معها الاّ الخضوع المطلق والاستسلام التام .

بيد ان حالته هذه من الخضوع لسلطة خارجية هي التي تعدلت كلما ايقن المرء بقوّته ولقد مضت القرون والنصرانية تأتي ابناء الغرب بقواعد تكوّن المادة وتشرح النشوء التاريخي وتأول معنى الحياة وتسن السنن وتشرع الآداب . مضت قرون وكانوا يضعون الايمان في في رأس كل شيء وكلما ازداد انتشار العلم العقلي والسلطة المنظمة التي يوليها هذا العلم تزداد ثقة المرء بنفسه فاصبح العلم من ثم خصماً للايمان وراح العقل يعجب بما أوتيه من آيات الغلبة وكتب له من اسباب الفلج والنجح طامحاً الى ان يحل محل الدين في كل ما له علاقة بالحياة البشرية وطامعاً ان ينزل المقام الاول من صحيفة اعمال الناس . وما جاء القرن السابع عشر والثامن عشر حتى ادت الحركة العقلية الى تأليف مبادىء واسعة وانتهت بانشاء فلسفة ديكارت وسبينوزا ولايبنز وطفق العقل ينزل منزلة القاضي المسيطر على الحق واخذ على نفسه انشاء مذهب يجري عليه العالم وعُدّته ما رزقه من نور المعرفة مستقلاً عن كل سلطة نازعاً من كل تقليد ووحي . وفي اوائل العهد الحديث اعلن الفكر الالماني على رؤوس

الملا بلسان « كانت » و « فيختي » بالمبدإ العظيم في استقلال الارادة فعكس العلاقة التي كانت مقبولة الى ذاك العهد بين الدين والاخلاق · وكان اللاهوت الادبي القديم يرى مبدأ الاخلاق في الارادة الالهية ويخضع الارادة البشرية لارادة الله وهذا ماراه « كانت » ادبًا مخالف القانون قائمًا على مبدإ السلطة وقضي عليه بكل جهده حاكمًا بان الارادة الخالصة المقررة خاصة بحدود العقل الصرف تكون وحدها الفاعلة العاملة فيه بما تسنه لنفسها بنفسها من قانون تجعله مبدأ كل ادب حقيقي معلنًا بانه ليس في الارض سلطة لها حق التسلط على الحرية البشرية وان المرء يشرع لنفسه ويقنن لاجتماعه وانه اذا خضع لقانون الادب فانه يخضع بذلك لعقله الخاص فكان من « كانت » ان تم على يده في دائرة اللاهوت الادبي عمل قريب المأخذ وفتح بذلك عصرًا جديدًا في تاريخ الوجدان الادبي وبفضله تم للانسانية استقلالها وللعقل تحريره

وانشأت الانسانية بعد ذلك تتناغى بهذا العقل وتؤيده بمضاء دائم وقضت زيادة على ذلك الاعتقاد بان الشخص المفكر العامل لا يعترف بسلطة فوقه يجب عليه الخضوع لها وزاد في ابن العصر الشعور بانه لا يجب ان يخضع بل ان يدبر وينظم ، ووطد نفسه على تجشم المشاق في استخراج خيرات الارض بقوة الفكر وعلى العمل لتنظيم الحياة في كل مظاهرها بقانون العقل وذلك من حيث الاخلاق والاقتصاد والاجتماع والسياسة · وقام الفيلسوف نيتش ونادى بانكار الالوهية في فلسفته الذاتية العصرية على صورة متطرفة غريبة ولم ينكر من يقول اهل اللاهوت بوجوده بل جحد المولى الفاعل الذي يعتقد به علماء ما وراء المادة واخذ يدعو الانسان ان يبقى « مخلصًا للارض » وان يطرح جانبًا كل اهتمام بمسائل الآخرة وان يفهم بانه هو موجد الاشياء قائلاً ان ليس فيما عداه حقيقة مرئية ادبية او طبيعية يجب عليه الخضوع لها بل عليه ان يشرع لنفسه شريعته حرًا مستقلاً · وان ليس في العالم الا مراكز قوى لا تزال في نشوء وهي ابدًا في تفاعل وتدافع يؤثر بعضها في بعض · فالجد في احراز الحول والمنعة بل المنعة المتزايدة على المدى تلك المنعة التي تخضع لسلطانها جزءاً عظيماً من القوى هو العمل الرئيسي في الحياة العامة · وبذلك صح قولنا ان المباينة تمت على اشدها بين العقل في القرون الوسطى والعقل اليوم · فصار المؤمن وهو يشعر من جهة بانه محاط باسرار واعاجيب ويخضع مختارًا لسلطة التقاليد الديني والادبي والعلمي ومن جهة ثانية يرى الشيطان المريد الذي لا يعترف اصلاً بقانون ولا يد فوقه ويرى في الجهاد المتواصل لاحراز المنعة انه هو حظ الانسان على الدوام بل قسط الانسانية من العالم اجمع ·

واذا عارضتُ على هذه الصورة بين السلطة القديمة والذاتية الحديثة فلا ادعي بحال

من الاحوال انني اثبت ان لاحد هذين الوأيين في الحياة قيمة خاصة به تسمو منزلتها عن الاول ولا ان احدهما يجب بطبيعة الحال ان يختلس مكان الثاني ولا ان التاريخ يدلنا على ان ثمت نشوءاً دائماً لا حد له نحو «الذاتية» العقلية . وغاية ما اريد ان اقول ان المرء في العهد الحديث ولا سيما في خلال القرن التاسع عشر احس من نفسه بانه اتسع في صدره على نسبة كبيرة الشعور بالقوّة المنظمة للذكاء وللارادة الانسانية فصرف همته من وراء الغاية الى احراز القوّة العلمية او الفنية والاقتصادية او السياسية فالجهاد ربما كان اعظم حادث في القرن التاسع عشر وبه تمت الغلبة للعقل العلمي المستقل على ما عداه . على انه من الثابت ان الغريزة الدينية التي كانت تخضع الارواح في القرون الوسطى للاسرار الآلهية وتحملها على تبجيل هذا التقليد في الدعوة الربانية وتخضعها للعبادة والخضوع للنظام العام وتحملها على الخضوع لقانون العالم بل على الخشوع المحترم امام معميات العالم لا بالسلطة والعنف — هذه الغريزة لم تبرح تسمع لها الى عهدنا ركزاً . يعمل ابن العصر بما فيه من قوّة على تسخير العالم لذكائه وارادته وهو يفاخر بقوّته ولكنه يظل محساً بما في نفسه من ضيق مضطر به في الاستيلاء على المادة ولم يفتأ يعظم القوى اللامتناهية المخوفة التي تحيق به ويشعر بانه تبع لها فتراه عن رضى ولا سيما في المانيا يحترم ويبجل تلك الحكمة التي لا شعور بها في النفس التي تتجلى من التقاليد العظيمة الدينية او الاخلاقية السياسية او الاجتماعية مضيفاً هذا الى سنن السلوك التي املاها العقل .

يهم البحث في حالة المانيا في القرن التاسع عشر من وجهتين وذلك لان الالمان كانوا في اوروبا الشعب الذي ابلى بلاء حسناً في خدمة الفنون العقلية والارادة المنظمة والامة التي نفحت بينها « الذاتية » الحديثة على ادهش صورة وهم مع ذلك من الامم التي حفظت للفكر الديني ولاحترام التقاليد الدينية قوّة اكثر من غيرها . فقد ساعد الفكر الالماني كل المساعدة على انتشار العلوم الحسية وإحكام التفسير العقلي للعالم . فانتظمت القوّة الالمانية على طريقة حسنة المنهاج هائلة الحول والطول فقصدت بجد لا نظير له الى احراز القوّة الاقتصادية والقوّة السياسية بما اصبحت به المانيا احدى الدول التي هي اعظم الناس انتشاراً وارتقاء على نحو ما هي انكلترا والولايات المتحدة . وهكذا رسخ العقل الالماني بتأثير من الطراز الاول واداة من القوّة منقطعة القرين ولكنه لم يلزم به متخذاً من مطلق سلطانه قوّة ومن قلة تسامحه سلاحاً . ولطالما حاول العقل الالماني ان يتفق ما امكنه مع السلطات القديمة وحاول في الدينيات عقد عهود التحكيم مع المعتقدات التقليدية وذلك بان يصالح النصرانية لا ان يشتد في حربها وكان من العقل الالماني في السياسيات انه لم يجعل من

كل قطعة مملكة تقوم بنظام العقل وتحافظ على التقاليد مراعياً اياها كل المراعاة وابدي احترامه للسلطة الملوكية وتلطف فلم يعتد على الحقوق المكتسبة ولا غالى في نشوئها السياسي الذي يؤدي الى الديمقراطية في الامم الحديثة .

ايعد كل هذا ضعفاً ام قوة ؟ سؤال فيه نظر . يعجب بعض الناظرين من استمرار النشوء السياسي والديني في المانيا ويرون من اعظم المنافع التي نالت هذه الامة انها لم تأت على قديمها فتدكه من اساسه وبهذا لا يستبعدون بانها ستظل في تقدمها على النحو الذي نحته آمنة العوادي والصدمات باحثة وظافرة عن قانون يقبله السواد الاعظم في المعضلات الديمقراطية والاشتراكية او الاقطاعية والاكليريكية . ويرى آخرون على العكس من ذلك بان المانيا اليوم وهي على اغراقها في اعداد معدات الحرب وشدة احتفاظها باقطاعاتها وتفانيها في بسط سلطانها وتغاليها في فلسفتها العقلية وولوعها باحراز السلطة واحتجان المال مزدرية بالديمقراطية او الانسانية بحيث اصبحت ناقلة بنظريات الافكار في وسط اوروبا الحديثة القديم الذي كان من حقه ان يضمحل الى هذه القرون الحديثة وربما لا تلبث ان يصيبها قريباً تغيير عظيم يكون عليها شديداً . وهذا امر طالما تناوله النظار بالبحث والى الآن لم يسفر عن نتيجة .

اللغات الافرنجية (١)

لهجت بعض الالسن في منافع اللغات الاوروبية ومضارها في مجتمعنا عقيب ان قام صاحب المؤيد في الجمعية العمومية في الربيع الماضي وناقش ناظر معارف مصر في وجوب تعليم العلوم في المدارس الاميرية باللغة العربية فكان من اثر ذاك الحوار ان بطلت دروس الاشياء وجعل تدريس علم تقويم البلدان باللغة العربية في المدارس الابتدائية كما شرع بتعليم الرياضيات في السنين الاولى من المدارس الثانوية باللغة العربية ايضاً .

فقام بعض الناس متخذين من هذا الاصلاح حجة على قلة غناء اللغات الافرنجية زاعمين ان في العربية ما يكفيها من العلوم . على حين كان ما دعا اليه الداعون من التدريس بالعربية لمقصد آخر أريد به احياء لغة البلاد اذا دُرست العلوم بها واشراب نفوس المتعلمين حب امتهم ليعم النفع مما يتعلمون لا التنفير من تعلم اللغات الافرنجية التي لا يمتري عاقلان

(١) هذه المقالة والتالية لها كتبتهما لجريدة المؤيد ونشرتا فيه

في وجوب تعلمها على فريق كبير من الناس ولا سيما من تصدوا للنفع والتأليف والكتابة على نحو ما يفعل علماء اليابان فيتعلمون الانكليزية كما يتعلمون لغتهم الاصلية ·

نقول تعلم اللغات الاجنبية وما احرانا ان نقول اتقانها لان المباديء البسيطة منها قد لا تفيد المتعلم الا توهمه انه اصبح من العارفين · فان تعوذ علماؤنا قديماً من نصف فقيه ونصف صوفي ونصف كاتب ونصف شاعر فما احرانا ان نتعوذ من ناشيء يتعلم طرفاً من لغة لا يستفيد منها ولا يفيد · وليس معنى هذا انه يحتم وجوباً على كل متعلم للغة اجنبية ان يكون فيها مؤلفاً خطيباً كاتباً مترجماً فهذا مناف لسنة الكون ولكن المطلوب ان يعرف الناس في تعلم احدى اللغات الاوروبية القدر الذي يؤهلهم للانتفاع منها في التجارة واعمال الادارة والقضاء والعلم ·

ولا مشاحة في ان اكثر من تعلموا اللغات الاجنبية من ابنائنا لم يتقنوها وان حذقوها فلا يكون لهم من المعرفة بلغتهم ما يستطيعون معه ان يعبروا به عن افكارهم وينقلوا اليها ما يعوزها من علوم الغرب وحضارته · بيد ان اللغة وان اتقنها صاحبها لا تنفعه وينتفع بها النفع المطلوب الا اذا اضاف اليها علماً او فناً اخصى فيه واللغة آلة لا غاية وان كان من يتقن لغة اوروبية لا يتسنى له ذلك الا بعد ان ينظر نظرة اجمالية في الفنون المتعارفة ·

اما ما يقوله بعض من لا يساعدهم الوقت على تعلم لغة اجنبية من انه ليس في النقل من اللغات الغربية كبير امر وان العالم يستفيد من الوجود اكثر من استفادته مما دوّنه كبار ارباب العقول من امم الحضارة فهذا من الآراء التي يقصد بها الاعتذار عن التقصير ومن جهل شيئاً عاداه · اذ من الثابت المقرر اننا مهما تأملنا في صحيفة الكون لا نستطيع ان ندرس فيه نظام الاجتماع ولا تقنين القوانين ولا الطب والهندسة ولا الفلك والطبيعة والكيمياء وفنون الادب والتاريخ ورسم الارض وغيرها من الفروع الكثيرة التي لا اسماء لها في العربية اذ لم يكن للعرب عهد بها ولا تتم سعادة مجتمع اليوم الا بتعلمها واتقانها ·

ومن قال بان اسلافنا من العرب قد اجالوا في هذه العلوم قداح انظارهم ووضعوا فيها ما وضعوا من رسائلهم واسفارهم فهو على صواب وخطاء · وذلك ان اجدادنا قاموا بالواجب من خدمة هذه العلوم في عصر تماسكهم وانبساط ظل دولتهم الا انه انقطعت سلسلتها بعد القرن السادس الى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة وهي القرون التي كانت فيها الامة العربية في غفلة والامم الغربية في انتباه فاخذ الغرب عن الشرق ما عنده من حضارة وزاد عليها اضعافاً ولا يزال يركض طرف عقله في مضمار البحث والاستقراء ويعاني من ضروب العلم ما نحن فيه معه اجهل من تلميذ مبتدىء بالتهجئة بالنسبة الى عالم يكتب الكتاب ويقصد القصيد

فالامة العربية اذا ارادت النهوض العقلي والعلمي يجب عليها ان تأخذ من كل علم بالسهم الاوفر ولا يتم لها ذلك الا بالنقل عن الامم الغربية وهذا لا يتأتى الا بعد ان تخرج مدارسنا الالوف من الطلبة المتعلمين على الاساليب الحديثة لينشأ لنا منهم عشرات يكونون لنا عوناً على ما ينقصنا من اسباب نهضتنا وما تشتد حاجتنا اليه . ويكاد ذلك الى الآن يعد مفقوداً بيننا اللهم الا طائفة من اسفار نقلها بعض المولعين بالعربية وماتيسر للمجلات تعريبه من حين الى آخر من علوم الغرب . وكله دون حد الكفاية بكثير . قال ابن رشد في فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال :

« اذا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس العقلي فبين انه ان كان لم يتقدم احد من قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه انه يجب علينا ان نبتديء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقاء نفسه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان آراءه التي تصح بها التذكية ليس يعتبر في صحة التذكية بها كونه آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبلة ملة الاسلام .

«واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صواباً قبلناه منهم وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها يقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها فان من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية ونبين ايضاً ان هذا الغرض انما يتم لنا في الموجودات بتداول الفحص عنها واحداً بعد واحد وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض في علوم التعاليم فانه لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك مثل ان يعرف قدر الشمس من الارض وغير ذلك من مقادير الكواكب ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحي او شيء يشبه الوحي بل لو قيل

ان الشمس اعظم من الارض بنحو ١٥٠ ضعفًا او ستين يعد هذا القول جنونًا من قائله . وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قيامًا لا يشك فيه من هو من اصحاب هذا العلم «قال وهذا امر بين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة . واذا كان هكذا فقد يجب علينا ان القينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظرًا في الموجودات واعتبارًا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقًا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم»

هذا ما قاله الفيلسوف الاسلامي في عصر كان العرب اساتذة العلم في العالم وقوله كما رأيت غاية غايات الحكمة . وما الغربيون الآن بالنسبة الينا الا قدماء متقدمون وبهديهم يجب علينا ان نهتدي في العلوم . وهذا لا يقدح فيما خلفه لنا اسلافنا من آثارهم ايام استجار عمرانهم واتساع سلطانهم . اما اللغات الحديثة التي تشتد حاجتنا الى الاخذ منها فهي الانكليزية والافرنسية والالمانية . وفي كل لغة من هذه اللغات من انواع المعارف ما لا يكاد يحلم به من لا يعرف لغاتهم .

وليت شعري اذا كان بعض اهل الغرب والعلوم قد بلغت عندهم ما علمت من الارتقاء الغريب يتعلمون لغات الشرق لينقلوا منها الى لغاتهم بعض الكتب التاريخية والادبية والاخلاقية والشرعية ويستعينوا بها على قراءة آثاره وما زبر على احجاره افلسنا نحن احرياء بان نتعلم لغاتهم على فقرنا الثابت ونقتبس منهم ما يعوزنا من علوم البشر ؟

الا ان ما نفاخر به من علم اسلافنا وحضارتهم العظيمة انما قام باحيائهم مدنية من قبلهم من الامم كالروم والفرس وغيرهم ولم يتأت لهم ذلك الا بترجمة علومهم والزيادة عليها وتحسينها فكانوا بذلك احسن صلة وعائد بين امم الحضارة السالفة والامم الاوروبية الخالفة . فحضارة الاسلام ان انصفنا قامت بفضل التراجمة والنقلة من اليعاقبة والاسرائيليين والمسلمين لا بايدي علماء الكلام مثلاً وقد كان على يد هؤلاء التشتيت وعلى يد اولئك الجمع وشتان بين المفرق والمجمع . وليس معنى هذا انكار فضل من تمحضوا لخدمة الشريعة واللغة في القرون الاولى للاسلام وما في الناظرين من يقول بان الخليل والجاحظ والغزالي والماوردي هم في حسن بلائهم في خدمة هذه الامة دون ابي الريحان البيروني ونصير الدين الطوسي وحنين بن اسحق وثابت بن قرة . وما كان قط اهل الفريق الاول يحتقرون علم الفريق الثاني ولا العكس لما وقر في النفوس من ان المجتمع لا يقوم على امتن الدعائم الا اذا اتقن كل ذي علم عمله (

قال الجاحظ : الانسان وان اضيف الى الكمال وعرف بالبلاغة وفاتش العلماء فانه لا يكمل ان يحيط علمه بكل مافي جناح بعوضة ايام الدنيا ولو استمد بكل نظار عظيم واستعان بكل بحاث واع وكل نقاب في البلاد ودارسة للكتب وما اشك ان عند الوزراء في ذلك ما ليس عند الرعية من العلماء وعند الخلفاء ماليس عند الوزراء وعند الانبياء ما ليس عند الخلفاء وعند الملائكة ما ليس عند الانبياء وما عند الله عزَّ وجلَّ اكثر والخلق في بلوغه اعجز وانما علم الله كل طبقة من خلقه بقدر احتمال فطرهم ومقدار مصلحتهم .

وقال الراغب الاصفهاني في الذريعة : العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله تعالى بكل منزلة منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي عليها بني الشرع ثم حفظ كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسائط ومعرفة اصول البراهين والادلة ولهذا قال (هم درجات عندالله) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته في حق ماهو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله ان يحفظ مكانه ثوابًا على قدر عمله لكن قلما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في مكسبه وطالب لرياسته وجاهل معجب بنفسه بصير لاجل تنفيق سلعته صارفًا عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعائبًا له فلهذا ترى كثيرًا ممن حصل في منزلة من منازل العلم دون الغاية عائبًا لما فوقه وصارفًا عمن رامه فان قدر ان يصرف عنه الناس بشبهة مزخرفة فعل او ينفر الناس عنه فعل اه .

وان ما في عبارة هذين الحبرين ليذكر بما يجب للمجتمع من مراعاة مبدإِ التعاون والتكافل الاجتماعي وقد قال احد كبار شيوخ العلم من المعاصرين ان مما يؤخر الشرق في العلم عدم مراعاة ابنائه لمبدإِ التعاون والتكافل الاجتماعي ففيه من يحسن التفصيل كما فيه من يحسن الخياطة وليس بينهما من يضم اعمال الفئة الاولى للثانية لينتفع بها المجتمع حق الانتفاع ومثل لذلك بمن نقلوا لنا العلوم على عهد الحضارة الاسلامية الاولى فقال انه كان يندر ان يجمع المترجم بين معرفة العلم الذي يترجمه واللغتين اللتين ينقل منهما فمن كان يجيد السريانية لا يحسن العربية الا انه كان يترجم ما يفهم بعبارة ركيكة او عامية فيجيء المصححون يصلحون العبارة على الاسلوب العربي فتجيء معرباتهم من اصح ما يكون لفظًا ومعنى وعلى هذا درج ديوان الترجمة في الدولة العلوية الخديوية في القرن الثالث عشر في مصر فكان المترجم غير المصحح ولذلك جاء فيما نقلوه وحرّروه بالعربية اكثر من المصنفات التي نقلت الى العربية حتى في هذا القرن قال وهكذا عرفت دولة العباسيين في بغداد

والامويين في الاندلس والاسرة العلوية في القاهرة ان تجمع بين من يحسن التفصيل ويحسن الخياطة فكان من هذا الجمع ما كان كما حسن النفع من كل ما تصرف تحت اسم علم ·

الشعر الاجتماعي

ليس جميع ما خلد في بطون الاوراق من شعر شعرائنا الغابرين هو في المديح والهجاء والرثاء والغزل والنسيب والخمريات والزهديات والخلاعيات بل كان منهم ذوو أخلاق طاهرة يتأثرون بمحيطهم ويشعرون بشعور امتهم يشاركونها في آلامها واسقامها ويسعون الى صلاحها واصلاحها · وان ما انتهى الينا من شعر الجاهليين والمخضرمين والمولدين ان صح اصدار الحكم عليه لقلته ليدعو الى القطع بان معظم الشعراء اميل الى الخصوصيات منهم الى العموميات · وابو العلاء المعري رأسهم في تشريف الشعر والتفادي من ابتذاله وجل لزومياته من الشعر الاجتماعي الصادر عن نفس ابية مشرفة على ما يعبث بجسم المجتمع من الشرور والغرور والقصور ولذلك لم يبرح يضرب على نغمة التنديد وكثيرًا يخرجه النقد الى الغلو واي شعر خلا من غلو ·

ولو خلت نفس ابي الطيب المتنبي من المطامع والتغالي في حب الجاه والغنى لساغ ان يكون من مجموع حكمياته ديوان شعر اجتماعي ينفع الامة في تكبير نفوسها وتحسين ملكاتها ولا سيما لو كانت الحكمة مختلطة باجزاء نفسه اختلاطها باجزاء روح المعري وكانت اقواله على قدر افعاله · فقد رأيناه يملأ الدنيا مديحًا بسيف الدولة ثم يهجوه ويمدح كافورا الاخشيدي لما كان يرجو ان يوليه ولاية ثم يهجوه اقبح هجو لما يئس منه فكيف يثق العقلاء باقواله وتفعل اشعاره في النفوس فعلاً محمودًا ·

واذا تقدمنا الى ما وراء ذينك العصرين وبحثنا في شعراء اوائل العباسية كابي العتاهية وابي نواس لا نعتم ان نقول فيهما ما قلناه في ابي الطيب وان كانت الزهديات غالبة على شعر الاول والخمريات مستحكمة من شعر الثاني ·

اما من كانوا بعد ذلك العهد من الشعراء كابي فراس الحمداني فانك تجد شعرهم بحسب محيطهم · فنقرأ في شعر هذا علو النفس والشمم وشيئًا من روح الاجتماع · وبحق ما قيل بدئ الشعر بملك وهو امرؤ القيس وختم بملك وهو ابو فراس وبحق ما قالوا كلام الملوك ملوك الكلام ·

وانك لا تجد في نفسك النشأة التي تجدها بتلاوة شعر الشريف الرضي وابن الرومي ما تجده بكلام صريع الغواني وناصح الدين الارجاني · اما اذا جئت تقرأ الشعر في القرون الخمسة الاخيرة وهي عصور انحطاط اللغة وانحطاط الافكار فتكاد لا تجد الجيد واحداً من مائة واكثر من اجادوا في الاجتماعيات من كانوا على شيء من معرفة زمانهم من الشعراء وتأثروا بتأثر امتهم مثل تلك الزمرة من الشعراء التي سقطت الاندلس في ايامها فبكوها ورثوها او كانوا قبيل سقوطها لحذروا ملوكهم عاقبة التفاشل وبينوا لهم مواضع الضعف واي شعر اوقع في النفس وافعل في إثارة الشجون من قصيدة ابن الابار لما اوفده صاحب بلنسية عند ما حاصرها ملك برشلونة البرتغالي الى ابن ابي حفص صاحب افريقية التي يقول في مطلعها ·

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها ... فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزراً ... للحادثات وامسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة ... يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحال شائبة ... تثني الامان حذاراً والسرور اسى
وفي بلنسية منها وقرطبة ... ما ينسف النفس او ماينزف النفسا

واي شعر اصدق من رقعة وجدت في جيب ابي عبدالله الفازازي يوم موته يقول فيها

الروم تضرب في البلاد وتغنم ... والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة ... والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم ... الا معين في الفساد مسلم
اسفي على تلك البلاد واهلها ... الله يلطف بالجميع ويرحم

قال المقري ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حياً ضربت عنقه ·

ولم يزل اهل الاندلس بعد ظهور الافرنج على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما اخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية ابا حفص ويقول فيها ·

ياحسرتي لعقائل معقولة ... سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفي ذكراك ما ... يمري الشؤون دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد ... شب الاعاجم دونها هيجاءها

والى ر ا واباطح لم تعترض حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها وتطلعت غرر المنى اثناءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورًا بعد ما يئست ثغور
أما وابي مصاب هدّ منه ثبير الدين فاتصل الثبور

الى ان يقول

فان قلنا العقوبة ادركتهم وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم واشد منهم نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن ان يحل بنا انتقام وفينا الفسق اجمع والفجور
واكل للحرام ولا اضطرار اليه فيسهل الامر العسير

ومما قيل في ذلك قصيدة ابي البقاء الرندي وهي مما اشتهر

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول من سرّهُ زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احد ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتماً كل سابغة اذا نبت مشرفيات وخرصان

ومن هذا الباب قصيدة العقيلي يتوسل بسلطان فاس التي يقول فيها

كنا ملوكاً لنا في ارضنا دول نمنا بها تحت افنان من النعم
فايقظتنا سهام للردى صبب يرمى بالجمع حتف من بهن رمي
فلا ننم تحت ظل الملك نومتنا واي ملك بظل الملك لم ينم

وهكذا كانت تلك الطبقة من الشعراء على ذلك العهد في الاندلس على نحو ما كان بعض شعراء المانيا في القرن الماضي وقد قاموا يحمسون الامة والحكومة في معارضة الدين ومناهضة الحكم المطلق مثل ستراوس Strauss والاخوان بوير Bauer وارنولدروج Arnold Ruge وكارل ماركس Karl Marx وفورباخ Feuerbach وكجمهور من الشعراء السياسيين مثل هوفمان فون فالرسلبين Hoffman Von Fallersleben ودنجلستيد Dingelstedt وفرايليجرات Freiligrath وميسنير Meissner وكارل بيك Karl Beck وغوتفريد Gottfried وكاين كيل Kin Kel وغيرهم ممن اخذوا على انفسهم الدفاع عن حقوق الامة والحرية واخذوا ينشرون في

اوروبا دعوات حماسية ولكن شتان بين من يسعون الى تأسيس ملك ضخم وسلطان عظيم العلم رائده والعقل قائده يقولون فتسمع اقوالهم وتؤثر الاثر المطلوب و بين من يقولون كبقايا اولئك الاندلسيين وهم خائفون فلا تؤثر اقوالهم ويمسون ينشدون و يصبحون يندبون بلاداً سقطت واطفالاً يتمت ونساء ايمت وعمراناً اضمحل وسماكنّا ابذعر

وليس معنى هذا ان الشعر كله يجب ان يكون اجتماعياً بل ان اكثره اذا اصبح كذلك ينفع و يرقي . والشعر ادعى الى التأثير واسرع ان يعلق في الذهن من النثر . والشعراء اذا احسنوا القصيد وصرفوه فيما يفيد تقطف البلاد بثمرة اقوالهم ما تقطفه من ثمرات اقوال الخطباء والكتاب ان لم نقل اكثر . الشاعر الاجتماعي هو الذي يدل امته على عوارها وعارها و يبين لها طريق نجاتها وعثرتها و ينوع الاساليب في تعليمها وتهذيبها . وما انس لا انس غوركي شاعر الروس وقد كان منذ سنين يؤلف القصيدة الثورية الاجتماعية و يلقنها الفلاحين حتى اذا استظهروها يرحل عنهم وقد ظل اعواماً على هذه الدعوة ورجال الشرطة يطاردونه وهو بجر بذته يفلت من ايديهم حتى كانت اقواله من جملة ما ولد الثورة الروسية الاخيرة

وقد اذكرني غوركي بعمارة اليمني الشاعر الذي دعا في مصر للدولة الفاطمية بعد ان حل عراها صلاح الدين يوسف وما قال في ذلك من قصائد ومقاطيع كانت سبب صلبه ومن جملة شعره القصيدة التي توضح عذر السلطان صلاح الدين في قتله وقتل من شاركه في ذلك قال في مطلعها

رميت يادهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حلي الحسن بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فان ... قدرت من عثرات البغي فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا ... ينفك ما بين نقص الشين والخجل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة ... على فجيعتنا في اكرم الدول

الى ان يقول

ياعاذلي في هوى ابناء فاطمة ... لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت ... فيكم قروحي ولا جرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة ... في نسل آل امير المؤمنين علي
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما ... ملكتم بين حكم السبي والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم ... محمد وابيكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد | من الاعادي ووجه الود لم يمل
اسبلت من اسف دمعي غداة خلت | رحابكم وغدت مهجورة السبل
ابكي على ما ترا آى من مكارمكم | حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت انس وافدكم | واليوم اوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم ان اصغت مكارمكم | تشكو من الدهر ضيماً غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست | وورث منها جديد عنهم وبلي
وموسم كان في كسر الخليج لكم | يأتي تجملكم فيه على الجمل

وختمها بقوله

وما خصصتم ببر اهل ملتكم | حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللـ | ـضيف المقيم وللطاري من الرسل
وللجوامع من احباسكم نعم | لمن تصدر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا لمعقلها | منكم واضحت بكم محلولة العقل

ولسائل ان يقول اما في شعراء العربية اليوم من نقع لهم يا ترى مثل هذه القصائد الحماسية الاجتماعية يحسنون بقريضهم الملكات ويضمون الشتات قبل الفوات · فالجواب ان هذه الروح ضئيلة جدًا في شعرائنا فان غلبت على شعر حافظ افندي ابراهيم حتى جاز ان يدعى الشاعر الاجتماعي بلا مدافع وقرئت في قصائد جميل صدقي افندي الزهاوي ومعروف افندي الرصافي من شعراء بغداد فانها تقل في شعر الشيخ عبدالمحسن الكاظمي واحمد بك شوقي والامير شكيب ارسلان ومصطفى صادق افندي الرافعي والسيد توفيق البكري والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي وخليل افندي مطران والامير نسيب ارسلان ونقولا افندي رزق الله وعبدالله افندي البستاني وابراهيم افندي الحوراني وفارس افندي الخوري وعيسى افندي اسكندر معلوف ورزق افندي حداد واحمد افندي محرم وامين افندي حداد واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصف والياس افندي فياض ومحمد امام افندي العبد وطانيوس افندي عبده وقسطاكي بك الحمصي واحمد افندي الكاشف واضرابهم المجيدين في شعرائنا ممن لم تحضرني اسماؤهم فانك لا تقرأ لاحدهم المقطوعة او القصيدة الفذة حتى تقرأ له عشرات غيرها في اغراض اخرى فياحبذا لو توخى قادة القريض بما ينظمون النفع العام ونحوا في اشعارهم منحى السداد لتفعل في عقول منشديها وراويها فتسدد خطاهم وتصحح افكارهم وتقوي قلوبهم وتصلح عيوبهم · فعصرنا هذا عصر الحقائق لا عصر الخيالات العاقل ينتفع باقواله بحسب نيته وهيهات ان نقول ان للشعر العربي دولة الا اذا حسنت

آثار اقوال زعمائه في ابنائه وقديماً قالوا اعذب الشعر اكذبه اما نحن اليوم فنقول اعذب الشعر اصدقه وعهدنا هذا يفتح بما فيه من دواعي القول قرائح من لم يحلم بانه يقول الشعر.

الغروب

نزلت تجر الى الغروب ذيولا　　صفراء تشبه عاشقاً متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها　　صبٌّ تملل في الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرةً　　وبكت مغاربها الدماء اصيلا
مذ حان في نصف النهار دلوكها　　هبطت تزيد على النزول نزولا
قد غادرت كبد السماء منيرةً　　تدنو قليلاً للافول قليلا
حتى دنت نحو المغيب ووجهها　　كالورس حال به الضياء حيولا
وغدت باقصى الافق مثل عرارةٍ　　عطشت فابدت صفرةً وذبولا
غربت فابقت كالشواظ عقيبها　　شفقاً بحاشية السماء طويلا
شفق يروع القلب شاحبُ لونه　　كالسيف ضُمخَ بالدما مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج ادمعاً　　هملت بها عين اليتيم همولا
رقت اعاليه واسفله الذي　　في الافق أُشبع عصفراً محلولا
شفق كأن الشمس قد رفعت به　　ردناً بذوب ضيائها مبلولا
كالخود ظلت يوم ودّع إلفها　　ترنو وترفع خلفه المنديلا
حتى توارت بالحجاب وغادرت　　وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
فكأنها رجل تخرّم عزّه　　قرع الخطوب له فعاد ذليلا
وانحط من غرف النباهة صاغراً　　واقام في غار الهوان خمولا

***

لم انس قرب (الاعظمية) موقفي　　والشمس دانية تريد افولا
وعن اليمين ارى مروج مزارع　　وعن الشمال حدائقاً ونخيلا
وتروع قلبي للدوالي نعرة　　في البين يحسبها الحزين عويلا
ووراء ذاك الزرع راعي ثلةٍ　　رجعت تؤم الى المراح قفولا
وهناك ذو برذونتين قد انثنى　　بهما العشيَّ من الكراب نحيلا

وينتهي نظري دخان صاعد   يعلو كثيرًا تارةً وقليلا
مدّ الفروع الى السماء ولم يزل   بالارض متصلاً يمدّ اصولا
وتراكبت في الجوّ سود طباقه   تحكي تلولاً قد حملن تلولا
فوقفت ارسل في المحيط الى المدى   نظرًا كما نظر السقيم كليلا
والشمس قد غربت ولما ودعت   ابكت حزونًا بعدها وسهولا
غابت فاوحشت الفضاء بكدرة   سقم الضياء بها فزاد نحولا
حتي قضت روح الضياء ولم يكن   غير الظلام هناك عزرائيلا
واتى الظلام دجنةً فدجنةً   يرخي سدولاً جمة فسدولا
ليلٌ بغيهبه الشخوص تلفعت   فظللت احسب كل شخص غولا
ثم انثنيت اخوض غمر ظلامه   وتخذت نجم القطب فيه دليلا
ان كان اوحشني الدجي فنجومه   بعثت لتؤنسني الضياء رسولا
سبحان من جعل العوالم انجمًا   يسبحن عرضًا في الاثير وطولا
كم قد تصادمت العقول بشأنها   وسعت لتكشف سرها المجهولا
لا تحتقر صغر النجوم فانما   ارقى الكواكب ما استبان ضئيلا
دارت قديمًا في الفضاء رحى القوى   فغدا الاثير دقيقها المنخولا
فاقرأ كتاب الكون تلق بمتنه   آيات ربك فصلت تفصيلا
ودع الظنون فلا وربك انها   لم تغن من علم اليقين فتيلا

معروف الرصافي

الشمس في الطلوع

طلعت في جلالة ووقار   من وراء التلول شمس النهار
طلعت من حجابها كاله الا   حسن في موكب من الانوار
وتجلت مثل العروس بوجهٍ   نوره باهرٌ اولي الابصار
فكست منكب الربى وحواليـ   ـها رداءً مطرزًا بالنضار
وادرّت على الرياض شعاعًا   لجّ في لثم مبسم الازهار
كلما مسّ ظاهر الارض اعطى   رونقًا للتراب والاحجار

ماتدانى الا واهدى نشاطاً لحياة الحيوان والاشجار
وله في جداول الروض رقصٌ فوق سطح الماء الزلال الجاري
واضاء الهواء فهو كبحر ماج في لج نوره الموَّار
ان للشمس منظراً سوف يلفي مثله في النجوم والاقمار
منظراً راق حسنه غير اني كل يوم اراه بالتكرار
انما الشمس مركزٌ لنظام سابح في بحر بعيد القرار
ليس في عالم المجرَّة الا قدراً صاغراً من الاقدار
نحن من ارضنا نعيش جميعاً فوق جرم محقر سيار
طاف يسعى على ذكاء كما دا رت بليل فراشةٌ حول نار

الشمس في المغيب

اترى افزع الغزالةَ ذيب فهي تسعى شريدة وتغيب
وقد اصفرّ وجهها كفتاة قلبها من وشك الفراق كئيب
ام قضت نصف دورة هذه الار ض دنا فيه من ذكاء غروب
وعلاها السحاب فاحمرّ منه لدواعٍ ذوائبٌ وجيوب
صاح ما هذه الدماء اراها بعيوني افي السماء حروب
ام ترى ابدت الطبيعة لوحاً نظرُ الروح نحوه مجلوب
تقف العين نحوه وهي حيرى يستبيها جماله المحبوب
حار في وصفه الاديب فلا يع لم ماذا عسى يقول الاديب
وانظر البرّ في مقابلة الشم س تجد ما تذوب منه القلوب
بقرُ الحيّ من مراتعها تر جع في مشيةٍ خطاها قريب
وقطيع الاغنام من وجهة الشر ق الى جانب الخيام يؤب
وصغار الحملان مربوطة تص بو الى امهاتها وتلوب
تسمع الامهات وهي اليها مسرعات بغامها فتجيب
منظرٌ للغروب في البر يشجي فتكاد القلوب منه تذوب
منظرٌ يعجز المصوّر والشا عر عن رسمه ويعيا الخطيب

بغداد ج ٠٠٠

اليونان

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المملكتين فتركتا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه. وكانوا على خشونتهم وقسوتهم اشبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في واديين عظيمين مطلين على البحر . وقلما كان اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً ثانوياً كما ينظرون للبرابرة واذ كان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعاب الاولمبية و بذلك اعترف بهم ضمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداخلية بعيدين عن البحر يشتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب نشيط شجاع طموح ونعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان ينشيء جيشاً قوياً

(٢) ان ينشيء جميع الموانى على شاطيء مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعاً وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له انصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه و يمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بغلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

ولقد كان الخصم الالدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع اسلحة تيتم في السابعة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشده اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه ما اختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستظهر تاريخ توسيديد بيد انه عند ما خطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيراً فتوفر عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلة ونصف رأسه محلوق لئلا يحاول الخروج ويلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطيء البحر ليمرن نفسه على التغلب بصوته على جلبة الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذ كان يحافظ كل

المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القائها غدا ارقى خطيب واعظم مفوّه في بلاد اليونان ·
وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذاك العهد بزعامة فوسيون يطمح في السلم اذ لم يكن لآثينة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأشير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها · وكان ديموستين على العكس يحتقر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فتطوّع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربته واستخدم ما فيه من فصاحة لاخراج الآثينيين من سياسة المسالمة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريضهم على ذلك ·

وانك لتجد موضوع كثير من خطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية · قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآثينيون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتمرحوا في الساحات وبعضكم يسأل بعضاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من جديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آثينة ويستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالذات عند مسيس الحاجة · جنبوا مسمعي حديث جيش مؤلف من عشرة او عشرين الفاً من الاجانب ولا حقيقه له الا على الورق فاني لا اريد الا جنوداً من الوطن متطوّعين في خدمته ·
وقال ديموستين في الفيليبيات الثالثة سنة ٣٤١ بذكر الآثينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لغفلتهم وقلة حركتهم : «كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطتهم ليظلموا غيرهم تقوم بلادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدوني حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويحتفل بالالعاب البيتية (١) او يأمر خدمه بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأتي امراً كما ينظر الى البرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه · والسلطة تعظم بدون ان يخطو احد خطوة لايقافها · وكل ينظر من عهد اليه في تمزيق شمل غيره كما لو كان يعد ذلك ربحاً في وقته بدلاً من ان يفكر ويعمل لسلامة اليونان عند ما يعرف الناس ان المصيبة ستنال البعدين» · ولما استولى فيليب على الاتيه في مدخل بيوسيا (٣٣٩) ازمع الآثينيون بما نصح لهم به ديموستين ان يتبهروا الحرب ويبعثوا بوفود الى ثيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في ثيبة وفداً جاء من قبل فيليب فتردد الثيبيون وارادهم ديموستين على ان يتناسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية فعزموا بمساعيه ان يعقدوا محالفة مع آثينة وان يظلوا على المقاومة والحرب ·

---

(١) هذه الالعاب كانت تقام كل اربع سنين كالالعاب الاولمبية في مدينة دلفيس اكراماً لابولون البيتي

وبعد سنة (٣٣٨) نشبت الحرب في شيرونيه من اعمال بيوسيا وكان عمر ديموستين اذ ذاك ثمانياً واربعين سنة نخدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الاثينيين والثيبيين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدربين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول ·

الاستيلاء المكدوني — واذ ظفر فيليب اقام حامية في ثيبة وصالح آثينة ثم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى الشعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذاك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنت (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فانهم لم يبعثوا بمندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لغزو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت محالفة عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش بسلام مع غيرها وأنشيء مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والقتل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالزعامة على جميع الجنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل تضرب عنقه بدون محاكمة ·

الاسكندر — خُنق فيليب ملك مكدونية سنة ٣٣٤ وكان ابنه الاسكندر اذ ذاك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من ابناء البيوت الشريفة ماهراً في الالعاب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الجياد (وهو الذي وحده استطاع ان يكبح جماح حصانه بوسيفال في الحرب) وكان زيادة على ذلك عارفاً بالسياسة حسن البيان يعلم التاريخ الطبيعي وكان استاذه من سن الثالثة عشرة الى السابعة عشرة الفيلسوف ارسطو اعظم عالم في اليونان فكان يتلو الالياذة بشوق و يدعوها دليل فن الحرب و يريد ان يتشبه بالابطال الذين ورد ذكرهم فيها · فكأنه خلق ليكون فاتحاً لانه مغرم بالقتال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية ضيقة النطاق فلا تسعك »

الجحافل المكدونية — ترك فيليب لابنه الاسكندر اداة من ادوات الفتح ونعني بها الجيش المكدوني وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يؤلف جيش المشاة وجيش الفرسان فكان الجحفل المكدوني مؤلفاً من ١٦ الفاً من الرجال مصفوفين ألوفاً ألوفاً ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحاً طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحة الوغى بدلاً من ان يسيروا الى العدو كلهم من جهة واحدة يقفون لا حراك بهم و يضربون برماحهم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يضعون رماحهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان ذاك الجيش يشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو بداهمه فيحطم ·

وكنت ترى الاسكندر بينا كان الجيش في ساحة الحرب يوقع بالعدو وهو في مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف ·

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الف راجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالونًا من المال (اقل من اربعمائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يومًا · ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الغوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كخسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون الفًا من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودسي فقد كان في مكنة هؤلاء اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون وتشتت جيشه شذر مذر فتخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين · وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهزم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال انه كان مؤلفًا من ستين الفًا في مضايق سيليسيا في ايسوس (نوفمبر ٣٣٢) وشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشًا اكثر عددًا (٣٣١) ·

فكانت هذه الغلبات مثالاً من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو مشوش بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاثقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يشتت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا نزهة يكتب فيها الظفر وهذا الفاتح لا يجد امامه مقاومًا (١) وماذا يهم شعوب المملكة ان يخضعوا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فموقعة الغرانيك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة ايسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد ·

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتبر نفسه وارثًا للخاقان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحًا نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيشه الى بابل (٣٢٤) هلك بالحمى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١)

مقصد الاسكندر — من المتعذر جدًا ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر · هل كان

(١) ما عدا مدينة صور الفينيقية خصيمة اليونان لاسباب تجارية

يفتح حبًا بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعبًا واحدًا ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناحي الفارسية ليكون مثالاً لغيره ؟ او انه قلد الخاقان الاعظم صلفًا واعجابًا ؟ اننا لم نقف على نياته الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة

ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد التتر حتى بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهيأ الملكات في الشعوب الآسياوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق

خراب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس · ولم يدم هذا الملك العظيم الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فيمن يولى الملك بعده وحارب بعضهم بعضًا مدة عشرين سنة واتخذوا باديء بدء حجة لحروبهم بانهم يتقاتلون لمعاضدة احد أسرة الاسكندر كاخيه وابنه وامه واخوته او احدى زوجاته ثم تقاتلوا علنًا باسمائهم وتوطيدًا لدعائم الملك لسلطانهم فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدوني او جنود يونان مأجورون فكان اليونانيون يتقاتلون فيمن يستأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هيأ له كل منهم مملكة واسعة مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت بعض الممالك الصغرى او اخذت بالانفصال عنها مثل ابير في اوروبا ومثل بون وبيتيني وغالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من ابناء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتعبد بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته ودينه وعاداته · رعاياه من الآسياويين أي من البرابرة وهو يحاول ان يجعل له حاشية من جنسه ويجند جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويتخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد على عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطواريء والتجار ولا سيما من الاجناد فاكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينتحلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسياويًا بل اصبح يونانيًا حتى ان الرومانيين لم يجدوا في آسيا في القرن الاول الا شعوبًا يشبهون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية باسرهم (١)

الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما كان يلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على شاطيء البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي أُنشئت بأمر الاسكندر

بنيت الاسكندرية على سطح مستو فكانت ذات نظام اكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت الشوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويشقها من وسطها الشارع الاعظم وعرضه ثلاثون مترًا وطوله ستة كيلو مترات وعلى جانبيها ابنية عظيمة مثل بناء الستاد حيث كانت تقام الالعاب العامة والجمناز والمتحف والارسينوم

وكان المرفأ مؤلفًا من سد طوله الف وثلثمائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أُقيم برج من الرخام جعل في قمته مكان ينبعث منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفإ ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت الميناء العظمى للتجارة في العالم باسره .

المتحف — كان المتحف بناءً عظيماً من الرخام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معهدًا علميًا عظيماً . وفيه مكتبة عظيمة (٢) وكان لرئيس القوّام عليها ان يبتاع جميع ما يتسنى له الظفر به من الكتب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساخ ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض عليه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع بمثله (وهو اربعمائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكتب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذاك العهد مبعثرة مشتتة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرقت مكتبة المتحف في خلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها فرع جعل في السرابيوم وفيه على ما يقال ثلثمائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

وكان في المتحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكي وقاعة للتشريح اقيمت على الرغم من اوهام المصريين كما أقيم معمل كيماوي (كان الملك بطليموس فيلادلف يخشى كثيراً من الموت فقضى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة) وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين و يقدم لهم غذاؤهم على نفقة الحكومة وكثيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاورة والمطالعة ويجيء الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان الشبان يبعث بهم آباؤهم الى الاسكندرية ليتعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٤ الفاً من الطلاب .

ومن ثم كان المتحف مكتبة ومجمعاً علمياً ومدرسة في آن واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذاك العهد من الاوضاع الجديدة التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصبحت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المشارقة من يونان ومصريين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل منهم دينه وفلسفته وعلمه و يختلط بعضهم ببعض فغدت الاسكندرية اذ ذاك وظلت قروناً كثيرة عاصمة العلم والفلسفة في العالم

برغامة — كانت برغامة في آسيا الوسطى من الممالك الصغرى ولم تعد لها سطوة بيدان عاصمتها برغامة كانت كالاسكندرية مدينة ارباب الصنائع والادب وانشأ نقاشو برغامة في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت برغامة كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اتال الكتب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي برغامة اخترعت الكتابة على الجلود للاستعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الجديد ورق برغامة هو الرق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصابات — الفتح

الحروب الاهلية — كانت بأيدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على التقريب جميع الاعمال والمعامل الصناعية والسفن التجارية وعامة مصادر الربح وموارد العيش اما سائر الاسرات اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال

(١) اتصل بنا بعض التماثيل التي استصنعها الملك اتال ذكرى لانتصاره على الغالبين في آسيا المعروفين بالغلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريباً طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في اوروبا

وماذا كان الوطني الفقير يعمله ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعًا او عاملاً او ملاحًا . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم ومنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للانفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يطعمون عبيدهم طعامًا غليظًا ولا يؤدون اليهم اجورًا . ثم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيهات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعًا للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة النظام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنيًا . فكانت من الوطنيين في يونان طبقة شريفة ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديمًا ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك شرفها اما تعاطيها الاعمال بايديها فيعد تنازلاً واتضاعًا ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين بما كانوا عرضة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الشرف والنباهة فحكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشهم متوفرة وخطر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء شركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاغنياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباغضون ويتقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالغتين في التطرف وهما الغاء الديون وتقسيم الاراضي من جديد . فاذا عادت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم باني اظل ابدًا معاديًا للشعب واؤذيه ما استطعت » ولم يكن ثمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للتخلي عن ثروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعًا . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشب فهي لنقل الثروات من يد الى اخرى » .

ومن ثم كان الفريقان يقتتلان اشد قتال على نحو ما يحدث ابدًا بين الجيران فتغلب الفقراء بادئ بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الهرب من المدينة ثم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاخذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت ارجل البقر ودخل الاغنياء المدينة

وبذلك كانت تعد آثينة بما فيها من ١٣ الفًا من ارباب الاملاك من الثروة النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

فاصبحوا اصحابها الحاكمين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفتوهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء ٠

الحكم الجمهوري والحكم الافرادي — كان لكل من الاغنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين ٠ فكانت حكومة الاغنياء من نوع الحكم الافرادي (اوليكارشي) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها اما حكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكلون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين يتفق مع الفريق المماثل له في المدن الاخرى وبذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصابة الاغنياء او الحكم الافرادي وعصابة الفقراء او الحكم الجمهوري ٠ وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آثينة تعضد الحزب الديمقراطي واسبارطة تالي الحكم الافرادي فاتحدت المدن التي كان فيها للفقراء سلطة مع آثينة كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الاغنياء مع اسبارطة ٠

ولقد دامت الحروب الاهلية بين الاغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في خلالها كثير من ابناء البلاد وطرد منهم عدد اكثر من ذلك فاخذوا يهيمون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهي الجندية فينخرطون متطوعين في الجيش الاسبارطي والآثيني وفي جيش الخاقان الاعظم والجيش الفارسي بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابناء يونان خمسون الفاً في خدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعودون الى بلادهم متى خرجوا منها ٠

العصابات — ضعفت الشعوب التي حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآثينة وثيبة ولم يبق في القرن الثالث من اهل الشدة والبأس غير سكان غربي البلاد فالايتوليون يسكنون الجبال في شمالي خليج كورنت والآشيون النازلون في شاطئ المورة في جنوبي هذا الخليج وقد نظموا احوالهم عصابات لا مدناً فاحتفظت كل مدينة بحكومتها وكان لها كلها مجلس للعصابة يقرر فيه الحرب والعهود ويفرض الجند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقضي عليه ان يقود جيش العصابة ٠

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين ٠ ومن العادة ان تعضد العصابة الايتولية الحرب الديمقراطي والعصابة الآشية الحزب الاوليكارشي ٠ وقد رأس العصابة الآشية ضابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعاً وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) طارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد

الاغنياء معيداً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلوبيمان قام في القرن الثاني وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسينيون ·

احلاف الرومانيين — لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان فحاربهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) ثم ملك سورية انطيوخس (١٩٣ — ١٦٩) فنكست اعلامهما كليهما ودمرت رومية جيوشهما واستولت على اساطيلهما وقاتلت « برسي » ملك مكدونية الجديد وأسرته وخربت مملكته (١٦٧) ·

ولم يحاول اليونان قط ان يجتمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واغنياؤهم يقتتلون وكل حزب يمقت الحزب المعادي له اكثر من بغضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحزب الاوليكارشي للرومانيين · وبينا الثيبيون من الديمقراطيين يقاتلون في جيش فيليب كان مواطنوهم من الاوليكارشيين يفتحون ابواب المدينة للقائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او تكلموا بما يخالف رضى رومية وكتب كاليكرات احد اشياع الرومانيين ن الآشيين قائمة بالف وطني اتهمهم بانهم كانوا يميلون للبرسي فارسلوا الى رومية وامسكوا فيها عشرين سنة بدون ان يحاكموا

الفتح — لم يظهر الرومانيون اولاً في مظهر الاعداء وقد ذهب القنصل فلامانيوس سنة ١٩٧ بعد ان غلب ملك مكدونية الى برزخ كورنت واعلن امام اليونانيين المجتمعين للالعاب البرزخية بان جميع الشعوب اليونانية حرة فطرب الجمهور لقوله واقتربوا منه ليشكروه يريدون ان يسلموا عليه وهو محررهم وان يروا صورته ويلمسوا يده ويلقوا عليه اكاليل النصر وباقات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يختنق ·

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة فحدثتهم انفسهم بان يقودوا البلاد فاطاعهم الاغنياء عن رضىً لان رومية كانت لهم واسطة للخلاص من حزب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة · ولما شغلت رومية بقرطجنة سنة ١٤٧ اعادت للحزب الديمقراطي حياته في بلاد اليونان فاعلن الحرب على الرومانيين فذُعر لذلك فريق من اليونانيين وتقدم كثيرون الى الجند الروماني ووشوا اليهم بمواطنيهم بل وشوا بانفسهم وبعضهم فروا الى اقاصي المدن وآخرون القوا بانفسهم في الآبار او الهوات وصادر زعماء المقاومين اموال الاغنياء والغوا الديون واعطوا سلاحاً للعبيد وكان الجهاد شديداً واذ غلب الآشيون للمرة الاولى عادوا فحشدوا جيشاً وساروا الى القتال مستصحبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والقى فيه النار ·

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال و باعوا النساء والاولاد (١٤٦) ونهبت المدينة وحرقت وكانت مملوءة بالنفائس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه ·

صحف منسية

وصف الهرمين

قال القاضي الفاضل : الهرمان فداقد الارض(؟) وكل شيء يخشى عليه من الدهر الا الهرمان فانه يخشى على الدهر منهما(وللمتنبي)

اين الذي الهرمان من بنيانه — من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها — حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وقال ابوالصلت أمية بن عبدالعزيز

بعيشك هل ابصرت احسن منظراً — على ما رأت عيناك من هرمي مصر
انافا عناناً للسماء واشرفا — على نحو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزاً من الارض عالياً — كأنهما نهدان قاما على صدر

وقال الفقيه عمارة اليمني

خليلي ما تحت السماء بنية — تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما — على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها — ولم يتنزه في المراد بها فكري

وقال آخر

انظر الى الهرمين اذ برزا — للعين في علو وفي صعد
وكأنما الارض العريضة اذ — ظمئت لفرط الجزر والمد
حسرت عن الثديين بارزة — تدعو الاله لفرقة الولد
فاجابها بالنيل يشبعها — رياً ويشفيها من الكمد

وقال ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر — وبينهما ابو الهول العجيب
كعمار بيتين على رحيل — لمحبوبين بينهما رقيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ركاب الركب ابلغها الركوب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف وهو محزون كئيب

وقال ابن الساعاتي

ومن العجائب والعجائب جمة دقت عن الاكثار والاسهاب
هرمان قد هرم الزمان وادبرت ايامه ويزيد حسن شباب
لله اي بنية ازلية تبغي السماء باطول الاسباب
وكأنما وقفت وقوف تبلد اسفًا على الايام والاحقاب
كتمت عن الاسماع فضل جهادها وغدت تشير اليه بالالباب

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اي غريبة وعجيبة في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هي كالخيام مقامة من غير ما عمد ولا اطناب

وقال بعضهم واجاد

تبين ان صدر الارض مصر ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا وقد ولدت كثيرًا على هرم وذاك النهد ناهد

ولما عدى القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الاهرام كتب الى الامير الجاولي الدوادار وذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة قال

لي البشارة ان امسيت جاركم في ارض مصر باني غير مهتضم
حفظتمو لي شبابي في ظلالكم مع انكم قد وصلتم بي الى الهرم

مطبوعات ومخطوطات

بهجة الصيانة في عجائب مصر والكنانة

هذا الكتاب من جملة مخطوطات خزانة الكلية الاميركية في بيروت لمؤلفه احمد محمد القزويني اوله : الحمد لله الذي خلق الانسان من صلصال من حماء مسنون وفضل بعضهم على بعض فهم بذلك يتفاوتون . « فجعل منهم الخادم والمخدوم والحاكم والمحكوم وخص بالنبوة والخلافة بعض اولاده وخص بالسلطنة والعبودية منهم على مراده »

ذكر فيه المؤلف المواضع التي وقع بها ذكر مصر في القرآن والاحاديث المنقولة فيها ثم ذكر جغرافيتها وبلادها واول من نزل فيها ومن ملكها ودخلها من الانبياء والعلماء وذكر عجائبها وآثارها ومن دخلها من الصحابة والتابعين وحكمها من الملوك والسلاطين الى زمن الملك الاشرف قايتباي في النصف الاخير من القرن التاسع · والكتاب كله موجز العبارة تسهل قراءته كتب سنة ١٠٨٥ هـ ولا يخلو من خرافات وموضوعات كما انه لا يخلو من حقائق حرية بالنشر · وقد رأينا علماء المشرقيات ينشرون الكتاب من اجل مسألة او بعض مسائل فمن لنا من ارباب مطابعنا من يطبع لنا كتاباً من مثل هذا له علاقة كبرى بتاريخ بلادنا وقد نقلنا عنه ما جاء فيه في وصف الهرمين في باب الصحف المنسية

المستصفى

يكفي في شرف علم اصول الفقه ما قاله الغزالي مؤلف هذا الكتاب من ان « اشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع وعلم الفقه واصوله من هذا القبيل فانه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد » وقد ذكر لنا احد كبار العلماء ان اهم الكتب التي أُلفت في هذا الفن على طريقة المتكلمين اربعة كتب كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من اهل السنة وكتاب العمد للقاضي عبدالجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وما بقي فهو متفرع عن هذه الاربعة وهي قواعد هذا الفن واركانه · وقد اصبحت اكثر هذه الاربعة كالمفقود ان لم تكن مفقودة وتدارك احد اركانها وهو الركن الاهم فيما يبدو لنا كتاب المستصفى لحجة الاسلام الغزالي الذي هو من آخر مؤلفاته واجودها وكلها جيد الشيخ فرج الله زكي الكردي وطبع معه كتاباً آخر يسمى فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت للشيخ محب الله بن عبد الشكور · وكان بودنا لو طبع مع هذا الكتاب كتاباً يناسبه مثل المنخول للامام المشار اليه او لو طبعه مجرداً على عادة ارباب المطابع الراقية · وقد طبع في المطبعة الاميرية طبعاً جيداً مما يوجب الشكر للطابع وحبذا لو اتبعه بامثاله من امهات الكتب النافعة في الفنون المختلفة خصوصاً ما يخشى فقده منها والكتاب في مجلدين وقعا في نحو ثمانمائة صفحة من قطع الربع وثمنه ٤٥ قرشاً اميرياً من الورق الجيد و٣٥ قرشاً من الورق العادي ·

الفوائد السمية

في شرح النظم المسمى بالفرائد السنية في فروع الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة

للشيخ محمد الكواكبي المتوفى سنة ١٠٩٦ ويليه منظومة الفرائض للشيخ عبدالله الحنبلي وبهامشه ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب في علم الاصول للكواكبي ايضاً طبع الجزء الاول منه بالمطبعة الاميرية الشيخ فرج الله زكي وهذا الجزء في ٣٧٦ صفحة ويطلب من طابعه بـ ٣٥ غرشاً من جيد الورق و٢٥ من عاديه وسينجز الجزء الثاني قريباً

تقريب المرام

تهذيب الكلام كتاب مشهور لسعد الدين التفتازاني وهو من اخصر ما أُلف في هذا الفن واجمعه ولما كان يحتاج الى شرح يبين مقاصده ويشيد قواعده تصدى لذلك الشيخ عبدالقادر السنندجي من علماء الاكراد وطبعه الشيخ فرج الله زكي ويطلب منه وثمنه ١٢ قرشاً

رسائل وكتب منوعة

كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين تأليف الشيخ علي السويدي من اهل القرن الثالث عشر للهجرة طبع طبعاً متقناً بمطبعة مصطفى افندي وعيسى افندي وبكري افندي البابي الحلبي وهو في ٢٢٣ صفحة ويباع في مكتبهم بستة قروش ونصف مجلداً . ويطلب منها ايضاً كتاب كشف الظلمة لحسين افندي قلي الداغستاني وهو بثلاثة قروش . والرحلة الشنقيطية لتقييد الرواية واللغة الشيخ محمد محمود الشنقيطي تباع بمكتبتهم بثلاثة قروش .

واهدينا كتاب المفيد الكافي للتعليم الجغرافي تأليف محمود افندي عابدين في مائة صفحة صغيرة .

ورسالة في التنويم المغناطيسي لمحمد افندي مختار الباجوري وثمنها قرشان . ومنظومة في الانسان والسلم والحرب لناظمها الشيخ سليمان ظاهر .

ونبذة من شعر الشيخ عبدالسلام الشطي نشرها حفيده جميل افندي .

والتقرير الرابع عن اعمال مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٤ وفيه ان عدد الطلاب الى نهاية العام الماضي ٥٧٦ والذين استمروا على الدراسة منهم ٣٢٤ وتقدم للمشيخة هذا العام ٤٨٥ استمر منهم على الطلب ٢٩٣ وفي التقرير فوائد كثيرة تدل على سلوك هذا المعهد العلمي سبيل النجاح .

ذكر فيه المؤلف المواضع التي وقع بها ذكر مصر في القرآن والاحاديث المنقولة فيها ثم ذكر جغرافيتها وبلادها واول من نزل فيها ومن ملكها ودخلها من الانبياء والعلماء وذكر عجائبها وآثارها ومن دخلها من الصحابة والتابعين وحكمها من الملوك والسلاطين الى زمن الملك الاشرف قايتباي في النصف الاخير من القرن التاسع . والكتاب كله موجز العبارة تسهل قراءته كتب سنة ١٠٨٥ ﻫ ولا يخلو من خرافات وموضوعات كما انه لا يخلو من حقائق حرية بالنشر . وقد رأينا علماء المشرقيات ينشرون الكتاب من اجل مسألة او بعض مسائل فمن لنا من ارباب مطابعنا من يطبع لنا كتاباً من مثل هذا له علاقة كبرى بتاريخ بلادنا وقد نقلنا عنه ما جاء فيه في وصف الهرمين في باب الصحف المنسية

المستصفى

يكفي في شرف علم اصول الفقه ما قاله الغزالي مؤلف هذا الكتاب من ان « اشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع وعلم الفقه واصوله من هذا القبيل فانه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد » وقد ذكر لنا احد كبار العلماء ان اهم الكتب التي ألفت في هذا الفن على طريقة المتكلمين اربعة كتب كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من اهل السنة وكتاب العمد للقاضي عبدالجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وما بقي فهو متفرع عن هذه الاربعة وهي قواعد هذا الفن واركانه . وقد اصبحت اكثر هذه الاربعة كالمفقود ان لم تكن مفقودة وتدارك احد اركانها وهو الركن الاهم فيما يبدو لنا كتاب المستصفى لحجة الاسلام الغزالي الذي هو من آخر مؤلفاته واجودها وكلها جيد الشيخ فرج الله زكي الكردي وطبع معه كتاباً آخر يسمى فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت للشيخ محب الله بن عبد الشكور . وكان بودنا لو طبع مع هذا الكتاب كتاباً يناسبه مثل المنخول للامام المشار اليه او لو طبعه مجرداً على عادة ارباب المطابع الراقية . وقد طبع في المطبعة الاميرية طبعاً جيداً مما يوجب الشكر للطابع وحبذا لو اتبعه بامثاله من امهات الكتب النافعة في الفنون المختلفة خصوصاً ما يخشى فقده منها والكتاب في مجلدين وقعا في نحو ثمانمائة صفحة من قطع الربع وثمنه ٤٥ قرشاً اميرياً من الورق الجيد و٣٥ قرشاً من الورق العادي .

الفوائد السمية

في شرح النظم المسمى بالفرائد السنية في فروع الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة

للشيخ محمد الكواكبي المتوفى سنة ١٠٩٦ ويليه منظومة الفرائض للشيخ عبدالله الحنبلي وبهامشه ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب في علم الاصول للكواكبي ايضاً طبع الجزء الاول منه بالمطبعة الاميرية الشيخ فرج الله زكي وهذا الجزء في ٣٧٦ صفحة ويطلب من طابعه ب ٣٥ غرشاً من جيد الورق و٢٥ من عاديه وسينجز الجزء الثاني قريباً

تقريب المرام

تهذيب الكلام كتاب مشهور لسعد الدين التفتازاني وهو من اخصر ما ألف في هذا الفن واجمعه ولما كان يحتاج الى شرح يبين مقاصده ويشيد قواعده تصدى لذلك الشيخ عبدالقادر السنندجي من علماء الاكراد وطبعه الشيخ فرج الله زكي ويطلب منه وثمنه ١٢ قرشاً

رسائل وكتب منوعة

كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين تأليف الشيخ علي السويدي من اهل القرن الثالث عشر للهجرة طبع طبعاً متقناً بمطبعة مصطفى افندي وعيسى افندي وبكري افندي البابي الحلبي وهو في ٢٢٣ صفحة ويباع في مكتبتهم بستة قروش ونصف مجلداً. ويطلب منها ايضاً كتاب كشف الظلمة لحسين افندي قلي الداغستاني وهو بثلاثة قروش. والرحلة الشنقيطية لتقييد الرواية واللغة الشيخ محمد محمود الشنقيطي تباع بمكتبتهم بثلاثة قروش .

واهدينا كتاب المفيد الكافي للتعليم الجغرافي تأليف محمود افندي عابدين في مائة صفحة صغيرة .

ورسالة في التنويم المغناطيسي لمحمد افندي مختار الباجوري وثمنها قرشان . ومنظومة في الانسان والسلم والحرب لناظمها الشيخ سليمان ظاهر .

ونبذة من شعر الشيخ عبدالسلام الشطي نشرها حفيده جميل افندي .

والتقرير الرابع عن اعمال مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٤ وفيه ان عدد الطلاب الى نهاية العام الماضي ٥٧٦ والذين استمروا على الدراسة منهم ٣٢٤ وتقدم للمشيخة هذا العام ٤٨٥ استمر منهم على الطلب ٢٩٣ وفي التقرير فوائد كثيرة تدل على سلوك هذا المعهد العلمي سبيل النجاح .

سير العلم

العلم في مصر

مما يسجل بالحمد ويدعو الى توسيع الآمال في مستقبل مصر ان نظارة معارفها وفرت العناية هذه السنة بالتعليم باللغة العربية في المدارس الاميرية وارسلت ثمانية عشر تلميذاً من نبهاء المصريين الى بعض مدارس انكلترا يتعلمون فيها كما كانت العادة جارية منذ زمن محمد علي الى عهد قريب بارسال طائفة من التلاميذ الاذكياء الى مدارس الغرب ليعودوا منها فينفعوا بلادهم بفضل علمهم وقد انشأت المعارف بقوة ارادة ناظرها تتوسع بالتعليم المجاني وانشأت مدرسة القضاء الشرعي وشرع في التدريس فيها منذ اول السنة المدرسية والرجاء ان يأتي من هذه المدرسة من المنافع مثل ما اتى من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن ·

ومما يدعو الى الرجاء في اعتماد الاهلين على انفسهم لتعليم اولادهم انه زادت العناية بانشاء الكتاتيب الاهلية في ارجاء القطر ولا سيما في مديرية الدقهلية حيث بلغ عددها زهاء ثلثمائة كتاب صرف على بنائها نحو مئة وخمسين الف جنيه ووقف عليها من الاطيان والعقارات ما يبلغ ايراده السنوي ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه والقطر في اشد الحاجة الى الاستكثار من امثال هذه الكتاتيب المنظمة المتقنة ولو كانت البلاد مستعدة لانشاء مدرسة جامعة لرأينا الامة تقوم قومة رجل واحد للبذل في هذا السبيل ويقال ان عدم مدّ الايدي بالاعانة لانشاء مدرسة جامعة ناتج من الضائقة المالية التي اهتزت لها اعصاب القطر هذه السنة ولم تتجاوز الاعانة التي جمعت حتى الآن السبعة والعشرين الف جنيه ما عدا المئة فدان التي وقفها عليها احد اغنياء الغربية ·

ومما يذكر في باب ارتقاء مصر الاجتماعي قيام عدة احزاب سياسية فيها من اهلها · وفي ذلك دليل بان القوم بدأوا يعرفون الاجتماع وان قوى الفرد ضائعة اذا لم تكن مجموعة كما انشأ المتخرجون من دار العلوم نادياً في القاهرة واختاروا اناساً منهم ومن غيرهم من الافاضل ليتولوا من الاعمال ما يرقي اللغة العربية فيكون مجمعهم هذا نسخة مصغرة من المجامع العلمية في اوروبا فالرجاء ان تكون الفائدة من اجتماعهم لمجموع الامة اكثر من نادي المدارس العليا الذي أُسس في القاهرة منذ ثلاث سنين ولم يأت بفائدة عامة حتى الآن · ومن هذا القبيل مجيء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التركية في باغجه سراي من بلاد القريم ومن رجال النهضة التربية الى القاهرة وخطبته في نزل كنتننتال امام مئات من العلماء والكتاب والاعيان يدعو المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى عقد

مؤتمر اسلامي عام ينظر فيما طرأ على المسلمين من الامراض الاجتماعية لجعلهم في مؤخرة الامم على استعداد فيهم ومالهم من التاريخ المجيد . ومما يعد خسارة على الآداب العربية هذه السنة وفاة حسن باشا عاصم و المطران يوسف الدبس و رشيد افندي الشرتوني والسيد محمد ابن الخوجه والشيخ طه محمود وخليل افندي الخوري ونجيب افندي حبيقة وكانوا اخلف الله علينا من يقوم مقامهم اعضاء نافعة في جسم المجتمع خدموه جهد طاقتهم بعقولهم . اما البلاد العربية الاخرى فلم يحدث فيها هذه السنة ما هو جدير بالتدوين هنا .

العلم في المانيا

ساعد على ارتقاء المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ان التعليم العام فيها انتشر انتشاراً لا يكاد يتصوره العقل فبعد ان كان فيها سنة ١٨٨٢ — ٢٠٤٤٠ مدرسة ابتدائية تحتوي على ١٤٢٧٠٤٥ تلميذاً اصبح فيها سنة ١٩٠١ في المدن ٤٤١٣ مدرسة فيها ٣٥٧٣٣ فرقة وفي القرى ٣٢٣٣٢ مدرسة فيها ٦٨٣٤٩ فرقة وفي مجموعها كلها زهاء ٥٦٨٠٠٠٠ تلميذ وهكذا الحال في التعليم الثانوي فقد كان فيها سنة ١٨٣٥ — ١٣٦ مدرسة عالية فغدا فيها سنة ١٩٠٥ — ٣٦٣ مدرسة يضاف اليها ٣٣٥ مدرسة يسمونها المدارس الحقيقية المجردة و زاد عدد طلاب الكليات فكان فيها سنة ١٨٣٠ — ١٥٨٧٠ طالباً فصار عددهم سنة ١٩٠٥ ٣٧٦٧٧ و بعد ان كانت نظارة المعارف والاديان في بروسيا تنفق في سنة ١٨٥٠ عشرة ملايين مارك اصبحت تنفق سنة ١٩٠٥ — ١٨٥ مليون مارك وعدا ما انشيء فيها من المدارس العالية الفنية والزراعية والتجارية ومدارس الكبار وكليات الشعب وقاعات الخطب والمحاورات المجانية والمكاتب المجانية والمتاحف وغيرها فان المانيا اكثر البلاد اصداراً للكتب وتجارتها عندهم رائجة الى التي لا بعدها فلم يكن في اوائل القرن الماضي عدد المصنفات الجديدة التي تصدر في المانيا سوى ٣٩٠٠ فاصبحت تصدر سنة ١٩٠٠ — ٢٤٧٩٢ وسنه ١٩٠٥ — ٢٨٨٨٦ على حين لم تصدر فرنسا وهي معدودة في الدرجة الثانية بين الامم التي تكثر اصدار الكتب سنة ١٩٠٤ سوى ١٢١٣٩ مصنفاً واذا فرضنا انه يطبع من كل كتاب في المانيا الف نسخة فيصيب كل اثنين من سكانها مجلد واحد هذا على اقل تعديل وكان في المانيا سنة ١٩٠٥ — ٧١٥٢ محلاً لتصريف الكتب اصدرت الى البلاد الخارجية كتباً بمائتين وتسعين مليون مارك والكتب والصحف والمجلات في المانيا كثيرة جداً ففي اواخر الربع الاول من القرن التاسع عشر كان في المانيا ٨٤٥ جريدة فارتقت سنة ١٨٦٩ الى ٢١٢٧ جريدة وفي سنة ١٨٩١ صارت ٧٠٨٢ جريدة يزيد ما تطبعه شهراً عن شهر

وبعد ان كان الاشخاص الذين يعيشون من التمثيل والموسيقى والمعارض الصناعية سنة ١٨٨٢ ، ٤٦٥٠٨ اشخاص اصبح سنة ١٨٩٩ — ٦٥٥٦٥ .

استحالة الطماطم

بلغ من تفنن بوربانك مؤلف كتاب الفواكه Pomologie ان اخرج من الطماطم (البندورة) عنباً واجاصاً وكمثرى وتفاحاً ودراقاً وغيرها من الفواكه مما اذا رأيته ظننته اصلياً . وكان من اجود اختراعاته في ذلك الطماطم بالعنب والطماطم بالكمثرى ومنها الاصفر والاحمر ويستخدم الاصفر في المربيات لجودة رائحته وكانت الطماطم بهذه الانواع من الفاكهة تخرج كل نبتة منه من مئة الى مائتين وخمسين وتعطي ارباحاً عظيمة وهي تنبت من شهر يوليو الى اكتوبر بعد ان تزرع من ابريل الى مايو .

الاستصباح الصناعي

نشر احد مهندسي الاميركان بحثاً في هذا المعنى قال فيه ان الاستصباح بالاضواء الصناعية المتعارفة يجب ان يكون الى الانوار الطبيعية اقرب وان يجمع بين الفائدة والجمال وان الطريقة المتبعة الآن في تنوير المساكن والمحال العامة في الليل سواء كان بالاضواء الكهربائية او الغازية او الزيتية او غيرها ليست من الاضواء الطبيعية في شيء وينبغي ان يستعمل من مواد الانارة ما يقربها من الطبيعي لئلا تتضرر العيون ورأى ان الاجدر بالنور الصناعي ان يكون مستوراً او معتدلاً وبذلك يجب التخلي عن المصابيح الشائعة بالاستعمال الآن وان اضواء المسكن يجب ان تكون متناسبة مع اثاثه وفرشه كما تكون متوافقة مع عدد الاشخاص الساكنين فيه وهو يحاول ابدال الطريقة المستعملة في الانارة بغيرها .

طول العمر

نصح احد كبار الاطباء لمن اراد ان يطول عمره مئة سنة ان يقوي حواس جسمه وانسجته برياضات يومية في الهواء الطلق وذلك باستعمال الالعاب الجسدية او التنفسية وان يعتدل في اكله وشربه ولذائذه الطبيعية وان يهوّي المساكن ويقيم ما امكن في العراء وان يقاوم الامراض والاستعداد لما ورثه من آبائه وان يباكر النوم ويباكر اليقظة ولا ينام اقل من ست ساعات ولا اكثر من ثماني وان يعزز القوى العقلية بعمل منظم وان يحتفظ باسباب الصلاح والسرور وسكون الروح والامل في الحياة وان ينبه في نفسه الشعور بالواجب كل وقت من اوقات الحياة ويقوي العزيمة في مجاهدة المصائب وينشطها على فعل

الخير وانقاء الضير . قال احد الظرفاء وعندي شرط عاشر لطول الحياة وهو ان لا يشتغل المرء بالسياسة فان الاشتغال بها يقصر الاعمار .

دواء الكلب

اخترع احد اطباء نيو يورك دواء جديداً للكلب . وقد زاد عدد المصابين بهذا الداء الذي ينسب انتشاره لرداءة الاسباب الصحية التي تعيش فيها الكلاب في العادة فيحبس بعضها في الدور ويغذى باخبث المآكل . ولاحظ بعضهم ان الكلاب تعيش في ستين ايسلاند وهي جزيرة واقعة بين لون ايسلاند وجون راريتان في المحيط الاتلانتيكي اهنأ عيشة ويُعنى بامرها من وراء الغاية ومع هذا فهي تصاب بالكلب . ورد بعضهم على هذه الحجة قائلاً ان الكلب ينتقل الى تلك الكلاب المرفهة بالعدوى . ويقول الاميركيون ان الدواء الذي اخترعه باستور الفرنسوي لمعالجة الكلب يطول به الشفاء ولا يهتدى لمعالجة المصاب لاول اصابته به اما الطبيب النيويوركي فانه يفحص رأس الحيوان لاقل شبهة تقع في النفس من ناحيته فحصاً ميكروسكوبياً ليعرف بذلك فيما اذا كان فيه بعض الاجسام النيجرية نسبة للبكتريولوجي نيجر مخترعها ومتى وجدت هذه الاجسام في الكلب فهو مصاب بالكلب لا محالة وبذلك لا يعمد الى استعمال الطريقة المتبعة الآن في كشف حال الكلب بحقن عين ارنب والانتظار خمسة عشر يوماً لتحقيق الاصابة بل ان المصاب يعرف في اليوم الذي يشتبه فيه .

دواء للصمم

منذ خمس عشرة سنة اكتشف دواء يعين بعض الشيء على الشفاء من الصمم سموه التيوزينامين La thiosinamine ولم يثبت نفعه الا في هذه السنة بفضل محلول مائي منه اخترع حديثاً ويؤكدون ان هذا الدواء يسكن بعض التسكين ولا يفيد كل الفائدة .

أعظم ضوء

هو الذي ينبعث من الكرة المعلقة في اعلى برج من المحطة الجديدة في مدينة لاكاوانا في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة فقد جعل داخل هذه الكرة التي يبلغ قطرها مترين ٤٩ مصباحاً ذا اقواس يكون منها نور يعادل مليون ونصف مليون من الشموع وينير الضواحي والاقاصي .

مكتبة العميان

اغتنت مكتبة العميان في نيو يورك المؤسسة من اعانات المحسنين بقائمة جديدة من

كتبهم مؤلفة من ثلاثة آلاف كتاب جعلت في جرار خاصة يكفي الاعمى ان يمر يده على احدها حتى يفهم موضوعه وهذه الكتب تساعد الاكمه كثيرًا على التعلم وعدد العميان في الولايات المتحدة نحو سبعين الفًا ·

نبوغ الكاتبات

قالت احدى المجلات الفرنسوية من الصعوبة ابدًا ان يبدأ المرء في عمل و يبرّز فيه والبداءة بالادب من جملة الامور المتعذرة وقد كان شأن القصصية هانري كربفيل شأن غيرها من الكاتبات والكاتبين في ذلك فطافت لاول عهدها ادارات تحرير الجرائد والمجلات فلم تقبل لها شيئًا من رواياتها فاضطرت ان تعيش في مسكنة وتسكن مسكنًا حقيرًا وقد قبلت « مجلة العالمين » وهي من اهم مجلات فرنسا ذات يوم من هذه الكاتبة ان تنشر لها احدى قصصها بعد ان فحصتها وما هي الا عشية او ضحاها حتى اختلف الى المؤلفة الطابعون في باريز يسألونها ان تخصهم بشيء من مؤلفاتها واذ كانت هي على ثقة من نفسها و يقين من جودة منثورها خطر لها ان تشترط على اولئك الطابعين بان تتقاضى منهم ضعف ما اتفقت معهم عليه عند ما يتجاوز المطبوع من قصصها الطبعة العاشرة وكان ذلك كما خطر لها اذ انها لم تمت حتى رأت معظم ما كتبت وقد طبع اربعين مرة فاتاها بثروة عاشت فيها في خفض وسعة ·

الراحة الاسبوعية

نشرت جريدة الاقتصاديين مقالة في فضل الراحة يومًا في الاسبوع وشيء من تاريخها واوردت صورة المحضر الذي وقّع عليه في لندن سنة ١٨٥١ بقلم ٦٤٠ طبيبًا وما كتبه الفلاسفة في هذا الشأن مثل روسو وعلماء الاجتماع مثل ما كولي ولنكلن والاقتصاديون مثل برودون ورجال السياسة مثل بالمرستون وروبرت بيل وكلهم يثبتون ضرورة راحة يوم في الاسبوع ومنافعها الطبيعية والاخلاقية وحسناتها الاقتصادية والاجتماعية ·

نساء اميركا

بحثت احدى المجلات الالمانية في حالة النساء في الولايات المتحدة فقالت ان عددهن فيها بالنسبة لعدد الرجال يقل نحو مليوني نسمة اما في التعليم فان عدد المتعلمات منهن هو ضعفا عدد الرجال ولذلك يقوى الميل كل يوم في تلك البلاد في تقليل تربية البنات مع الصبيان وانشاء مدارس للبنات خاصة ·

حب الوطن

اسف احد المفكرين في احدى المجلات الالمانية من ان محبة الوطن لا تلقن الناس

الا بتمجيد ابطال الحروب فيعلم التلميذ الاعجاب بالغالب في ساحة الوغى وما المجد الحقيقي الا لتلك الاجيال من الفلاحين والعملة ممن عملوا بسلام على اغناء بلادهم وراحة افرادها ولا سيما اولئك العلماء ممن تجردت نفوسهم عن الاغراض فنفعوا بما اتوا من اعمالهم الجليلة ابناء البشر عامة ولا يحتفظ بحب الوطن الحقيقي الا بالقاء النظر على اعمال السواد الاعظم من الامة . وقد قال الاشتراكي فولمار منذ ايام : ان محبة الانسانية لا تمنعنا مطلقاً من ان نكون من احسن الالمان عراقة في الوطنية .

استعارة الكتب

نشرت مجلة التعليم الدولية مقالة في نظام اعارة الكتب من مكاتب باريز وجميع انحاء فرنسا وكلياتها وبلدياتها سواء كان لابناء البلاد او لمن يطلبها من العلماء في الخارج لقاء رهن وشروط تشترطها نظارة معارف فرنسا على المستعير وعلى دولته المتوسطة في الامر فقالت ان الحكومة هناك بذلت وما زالت تبذل منذ ثلاثين سنة كل ما يساعد المؤلفين والعالمين على الانتفاع بالكتب ايًا كانت جنسيتهم وبلادهم والقيود التي وضعتها سهلة ولم تستثن الا بعض المخطوطات التي كتبت على الرقوق قبل اختراع الطباعة وقال ان في مكتبة الامة بباريز من المخطوطات ١٠٨٥٠٠ وذلك عدا ما في الولايات وخزائن الكليات والبلديات وان الفرنسيس مقصرون في الاستعارة من مكاتب الامم الاخرى مع ان مكاتب الامم المتمدنة مفتحة ابوابها لهم ما خلا مكاتب انكلترا واسبانيا فان هاتين الحكومتين لم تريا من العقل ان تخرجا الكتب الثمينة وتعرضها لخطر الضياع والحوادث باعارتها . اما الامم الغربية فتستعير من فرنسا اكثر مما يستعير علماء الفرنسيس من غيرهم وقد كان عدد الكتب التي اعارتها مكاتب باريز والولايات سنة ١٩٠٦ — ٤٨٨ وما اعارته فرنسا للخارج ١٢١ اما عدد ما استعارته من الخارج فهو ١١ كتاباً .

الشعر والثورة

الف احد علماء الفرنسيس مجلداً ضخماً اثبت فيه بالبرهان التاريخي تأثير الثورة الفرنسوية الاولى في عقول بعض شعراء الانكليز المعاصرين لها حتى صارت روحها تظهر على أسلات اقلامهم وتتجلى في ابداعهم ونظامهم ولا سيما ورتسورت وسوثي وكولريج وقال ان الاضطرابات والشعور الذي نالهم من ذاك الحادث قد ساعدهم على تجديد حياة الشعر الانكليزي المعروف بالرومانتيك اي الجديد الخالي من التقليد . وبين المؤلف تأثير الثورة الفلسفي اي الافكار الادبية والاجتماعية التي نتجت منها ورددها اولئك الشعراء وتغنوا بها بين قومهم .

محصول السكر

كان محصول السكر في العالم سنة ١٨٧٠ — ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ طن فبلغ سنة ١٩٠٥ ١٠٫٠٨٦٫٠٠٠ طن ·

مسكرات العالم

في احصاء اخير انه كان مجموع الوارد من المشروبات على اوروبا سنة ١٩٠٦ ٦٣٣٥٦٦ هيكتولتر منها ٤٧٦٤ على البلاد العثمانية في اوروبا و٩٧٩ على بلادها في آسيا والهيكتولتر مئة ليتر ·

مدارس الاجانب

بلغ عدد التلاميذ الذين يدرسون اللغة الفرنسوية في مدارس فرنسوية ٩٠ الفًا في البلاد العثمانية و١٦٧٥٣ في مصر · وايطاليا والمانيا تحاولان ان تتقدما على فرنسا في هذا الباب ولا سيما بعد فصل فرنسا الدين عن السياسة واعلانها الحرب على الدين واهله فقد بلغ ما خصصته ايطاليا سنة ١٩٠٤ لانشاء مدارس لها في اسكوب واشقودرة والاستانة وسلانيك وازمير ١١١٢٠٠٠ لير والليرمعاملة طليانية قدره فرنك وبلغ ما خصصته المانيا ٦٥٠ الف مارك للانفاق على مدارسها في فلسطين وغيرها والمارك فرنك وربع

الخطوط الحديدية

بلغ ما مدّ الى الآن من السكك الحديدية في السلطنة العثمانية ٦١٠٠ كيلو متر وبلغ طول السكك الحديدية في الديار المصرية ٥٢٥٢ كيلو مترًا

شاعر مضحك

عثروا في احدى القرى التي غابت عن الانظار في ضفة النيل على اربع قطع للشاعر اليوناني الهزلي مياندر المتوفى قبل ٢٢٠٠ سنة وقد فرح اهل الادب بهذا الاكتشاف لانهم لم يروا مما خلفه مياندر حتى الآن الا محاورات طفيفة والمأثور عنه انه الف ثمانمائة رواية ويقول مؤرخو الادب ان مياندر جاء العالم بقصائده المضحكة قبل تراس الشاعر الهزلي وقبل شعراء اللاتين

التلغراف اللاسلكي

من اهم ما وفق اليه العلم في الايام الاخيرة ربط اوروبا باميركا بالتلغراف اللاسلكي الذي اخترعه ماركوني الايطالي وبه ينقل الكلام باسرع مما كان ينقل بواسطة الاسلاك البحرية وبه يمكن ارسال رسالتين في آن واحد ومعنى مختلف وهذا الاختراع سيغير احوال المخابرات بعض التغيير

١٥٢٠٠
١٥١٤٦
١٥٠٠٠
٤٥٣٤٦
٧٠٠
٤٤٦٤٦

١٢٦٩
٧٥
٩٩٢٥٠
١١٦٥٨
٢٠٠٠٠
١٢٢٧٧
٤٢٨٩٥
١١٦٥٠
٤٤٥٤٥

٤٥٤٢
٧
٤٤٦٢

١٥٢٠٠
١٥١٤٦
١٥٠٠٠
٤٥٣٤٦
٧٠٠
٤٤٦٤٦